

Black Sea

الدكتور عدنان عليان
Mediterranean Sea

جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية

الشَّعَّة

والدولة العراقية الحديثة

(الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي)

١٩١٤م - ١٩٥٨هـ

العراق للطوبى

YEMEN

COMMON
INDEPEND

د. عدنان عليان

الشيخة

والدولة العراقية الحديثة

تاريخ
عراق
١ ٢ ٣ ٤

الشيعة

والدولة العراقية الحديثة

هذا الكتاب

دراسة حول جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، وحقبة كون العراق مركز التشيع في المنطقة، ودور الشيعة في (قيام) و (بناء) الدولة العراقية الحديثة.

وهي دراسة تاريخية وسكانية وحضارية وسياسية واجتماعية وليست فقهية يمكن أن نختلف فيها، وإن كنا نؤمن بأن تعدد المدارس الفقهية هو علامة صحة في الأمة.

مع اعتقادنا أن حالات التعصب المذهبي، والتخندق الطائفي، والتمزت الديني، والعزل السياسي، والاضطهاد الأثني، حالات مرفوضة تماماً، لذا تركّز بحثنا في كيفية خلق علاقات متوازنة، لعراق أفضل، ليس من أجل الشيعة فحسب، بل من أجل العراق كل العراق بكل مكوناته الأثنية والدينية والمذهبية.

وإن هذه الدراسة هي بمثابة نقد وتبصير لكل من يهمله الأمر لكي يدرك حقيقة أن الشيعة هم المكوّن الأساسي الأول للعراق وهم ليسوا (عنصراً دخيلاً) لا صلة لهم به، فالحديث عن العراق، يعني الحديث عن الشيعة، والعكس صحيح أيضاً، فأدوار الشيعة الريادية، في (قيام) و(بناء) الدولة العراقية الحديثة، كانت مسيرة تضحيات خُصّبت بالدم، وجباه نضحت بالعرق، ومآقي حرقت بالدموع.

وختاماً هي دراسة هامة لتقويم نهج من يحاول تهيمش الشيعة في الخليج والجزيرة العربية، وتبصير من يصفهم بالعجمة والأجنبية، وتنوير من يتهمهم بالكفر والمغالاة



Beirut - Lebanon - P.O.Box: 106/24 - 1017 - 2010
Tel: 0096 1 543359 E-mail: arell@hotmail.com
al-Najaf - Iraq - al-Maidan - Tel: 00964 33 370636

HEALTH OF
IT STATES

H.Mousa 03/935797

AFGHANISTAN

PAK.

Strait of
Hormuz

Gulf of Oman

Muscat

AN

qm

bian Sea

الدكتور عدنان عليان

جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية

الشيعة

والدولة العراقية الحديثة

(الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي)

١٩١٤م - ١٩٥٨م

مؤسسة العارف للمطبوعات

جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

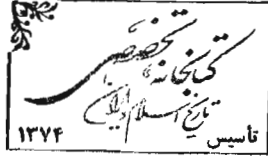
تنويه

هذا الكتاب كناية عن اطروحة دكتوراة كان قد اعددها المغفور له
المرحوم عدنان عليان ولكن تغمده الله برحمته قبل ان يناقشها باسابيع .
وتخليدا لذكراه العطرة وتقديرا لجهوده القيمة تمت طباعة الاطروحة في
هذا الكتاب دون اي تعديل في مضمونها.

أسرة الفقيد

مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت - لبنان حارة حريك ص ب ٢٤/١٠٦
TLF:00961 1 54 33 59 - + 3 54 84 03
العراق - النجف الاشرف ساحة الميدان
TL :00964 33 37 06 36 - + 33 36 63 16
Email: arefli@hotmail.com



الإهداء (1)

إلى ذكرى الأعز عندي
[أبي وأمي وشقيقتي]
وهم في رحاب الله،
أقدم لهم هذا الجهد، وفاء لهم لما تحملوه وعانوه
بسببي، خلال عملي السياسي، في عقدي الخمسينات
والستينات من هذا القرن.

(1) كتب هذا الإهداء المغفور له المرحوم عدنان عليان إلى اهله؛ واسرته تهدي بدورها هذا الانجاز والجهد العلمي إلى روحه الطاهرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: 159].

إستدراك

من منطلقات معنى وتفسير وروح هذه الآية الكريمة، وليس بمعزل عنها، نخوض غمار دراستنا عن جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، وتثبيت العراق مركز التشيع في المنطقة، ودور الشيعة في (قيام) و(بناء) الدولة العراقية الحديثة. وإن هذا الأستدراك له حيثياته الموضوعية والواقعية، فقد صممنا أن نكون أمناء على أن لا يستشف من هذه الدراسة ونهجها، أية مسحة مذهبية، وأية حالة عنصرية. لأننا ننتقل في دراستنا هذه من إتجاهين:

الاتجاه الأول: أن هذه الدراسة هي دراسة تاريخية وسكانية وحضارية وسياسية وإجتماعية عن الشيعة، فهي إذن ليست دراسة فقهية، حتى يمكن أن يثار فيها ما يدعو للاختلاف، وإن كنا نؤمن بأن وجود المدارس الفقهية مجتمعة على الأصول، ومختلفة ببعض الفروع، هو علامة صحة في الأمة، وهو ما موجود فعلا في الأمة على إختلاف مذاهبها، وبما يحفظ الدين والدنيا، متوسلين قول الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ في هذا الإتجاه وهو: «إختلاف أمتي رحمة».

الاتجاه الثاني: رغم أن محيط تربيتنا قد يكون له بعض التأثير والتأثير في هذا الإتجاه أو ذاك، إلا أن هذا التأثير والتأثير هامشي لا يستحق الأهتمام، لأننا ننتقل من حقيقة لا يجهلها المطلعون، ولا يمكن أن تغرب عن بال أحد وهي أن حالات التعصب المذهبي، والتخندق الطائفي، والتزمت الديني، والعزل السياسي، والأضطهاد الأثني، حالات مرفوضة تماما في قاموس: الفهم القومي العروبي، والفهم الإسلامي الوطني (الأصيلين) اللذين ننتمي إليهما، واللذين أفنينا جل عمرنا السياسي والإجتماعي، نعمل فيه ل(العروبة والإسلام). وقد عمدنا لهذا الإستدراك، كي ننتي بأنفسنا عنمن يسئ الفهم والأدراك. «والله من وراء القصد».

المؤلف



تقديم

بقلم البرفسور هيثم غالب الناهي

لقد سبق لي وان قدمتُ للعديد من الكتب والدراسات؛ وسبق لي ان اكون ممتحنا خارجيا لطلبة يبحثون في اتون سياسة الشرق الوسط للحصول على شهادة الدكتوراة؛ وسبق لي ان اخوض غمار البحث وجذوره منذ ان وددتُ ان اكون اكاديميا صرفا مبتعدا عن التوجهات والميول التي يؤمن بها الساسة الكبار والمحترفين. ولكن لم اكن في يوم من ايامي التي خلت اتوقع ان أقدم لكتاب عزيزٍ وصديقٍ وأخٍ كبير عرفته مفكرا لامعا سياسيا قديرا محبا لشعبه ووطنه ومضحيا من اجله لآخر لحظة في حياته. فطالما كنت استأنس برأيه أو اطلب منه النصيحة أو مراجعة ما اكتب في السياسة والفلسفة والتاريخ والتعليق على الآراء والتوجيه بما هو مناسب وصريح ومؤكد. هكذا كانت علاقتي بالمرحوم المغفور له عدنان عليان.

ذات يوم كان صيف لندن هادئاً ونهاره طويل؛ وجلسنا نستمتع بين زغاريد الطيور بالحديث والآراء ونحن جالسين في باحة حديقة بيته الخلفية؛ وعلى حين غفلة لاحظته قد سافر في صمته هنيةً وكنتُ اتوقع انه سافر إلى ذكريات الطفولة وفراق الاحبة والوطن؛ وراح صمته يتترجم بنظراته البائسة الشائبة وكادت ان تترقق دمعة في عينه لكنه كان محاولا امساکها دون ان يجرح مشاعر الدمعة وحققها في النزول على خديه لتخدش وجنتيه المتعبة بهموم العراق والاسلام والعرب في شتى بقاع المعمورة. بين هذا الصمت وبين انخرط الشمس بحزنٍ جديد ليسدل الليل جناحيه التفت الي قائلاً «ولدي العزيز هيثم سلب منا نظام صدام الحرية؛ والمال والفرحة والوطن وتراني افكر انه سيسلب منا حتى حق الموت أيضاً...».

كانت تلك النظرة التشاؤمية الممزوجة بمرح شخصية عدنان عليان قد جعلتني اتسأل ماذا يقصد الرجل بذلك وكيف يمكن لنظام غادر ان يصادر حتى الموت من ابناء الوطن. اسئلة ترددت كثيرا على مسمعي فتارة اناقشها في جوفي ومرة ابحت مع هدير العالم المتلاطم بمصائبه عن تفسير لذلك. وما ان مرت أسابيع قليلة حتى كان عليان بصوته الذي عرفناه من خلال تلاوته للقرآن في المناسبات الدينية والاجتماعات والسياسية يلوح هادرا في حفل تكريم المغفور له العلامة الدكتور احمد الوائلي بكلمة القاها نيابة عن الاستاذ الوطني العراقي احمد الحبوبي؛ اقول كان يلوح شاجبا النظام الغادر وشرح مظلومية العراق وكيفية الخلاص منه وضرورة التواصل لآخر لحظة من حياتنا لمقارعة الظلم واحقاق الحق عاليا. وما ان انتهى من شجب حكام بغداد القتلة المارقين ونزل ليستريح في كرسيه الذي كان جنبي حتى

مال على كتفي وامسكته الازمة القلبية القاتلة ليودع الدنيا وعيناه شاخصتان تبحث عن منقذ للعراق واهله الذين قتلتهم الغربية وكادت الغربية ان تثار لهم .

نزف قلبي دما واحسستُ انني شخصيا قد فقدت شيئا مهما في حياتي كنتُ لا بد ان احافظ عليه ولكن لا اعتراض للقدر رلمشيئة الله؛ فقد اختاره الله ليزيد الاطهار في الجنة طهرا جديدا . واي طُهرٍ؛ طُهرٍ عرفناه يحمل في كفيه معاناة شعب جريح ومعاناة انسان مؤمن بالله وقضيته؛ مطارِد محبوس في بلاد الغربية لاكثر من عقدين ونيف من السنين .

ومع هذه الهواجس عادت بي الذاكرة لما كنتُ اتحدث إليه عندما كانت ساعات الحديث تطول . ففي يوم من تلك الايام الغابرة كنتُ اسأله متخوفا من الموت لانني سأدفن في الغربية وابقى محروما حتى من قبر مترٍ بمتر في بلدي العراق الحبيب؛ فأجابني مبتسماً «ولدي لك العمر المديد وجميل ان يفكر الإنسان حتى بموته فأنا كذلك فلذا اوصيت ابنائي ان ادفن في العراق مهما كلف الثمن» . ولعل ابناءه الابرار وعائلته الكريمة الوفية حاولت جادة لاستحصال موافقة لنقل جثمانه الشريف لمقبرة العائلة في العراق فجاء الرد من عصابة بغداد في حينها الرفض لكونه معارض؛ فما كان بدأ إلا ان يدفن في سورية فمات غريبا ودفن غريبا كغربة الحسين عليه السلام . حينها عرفتُ ماذا كان يقصد عزيزي المفقود بمصادرة النظام للموت لنا .

هكذا كان لي وهكذا كنتُ له؛ وعليه فحين طلب مني ولده البار عبد الناصر شخصيا واسرته الكريمة التقديم لكتابه (رحمه الله)؛ انتابني شعورٌ وهواجسٌ لا يحسها الإنسان إلا في فقد والده أو حبيبٍ فارق بغير رجعة . هكذا كانت هواجسي حين خط القلم لتأبينه قبل ان اتصفح مادة الكتاب العلمية التاريخية السياسية . فكان لا بد لي قبل الضلوع في اعطاء تصوري العام من الناحية العلمية للكتاب وما توصل إليه الباحث ان نعطي صورة حية عن خُلق واداء وجهاد والتزام عدنان عليان . عرفته قبل ان يفارق الحياة وهو يتكأ في الاحتفال على كتفي رجلاً مؤمناً غيوراً شريفاً عانى الكثير وفقد الكثير وعمل دؤوبا من أجل العراق دون التفكير بمأرب شخصي كما كان يفكر غيره . الذين اتضحَت صورتهم الحية الان دون الحاجة إلى تفسير أو تحليل معمق . مات الفقيد ونَسِيَهُ من كان يتكأ على اسمه وتاريخه وجهاده ليعلو نجمه دون ان يحاولوا كجزءٍ من الوفاء ان يأنوه باحتفال يليق بمقامه أو احياء ذكره ببرنامج خطابي . ولكن مثلك يا عدنان عرشك في القلوبِ مشيدٌ وحسى الزمان البالي .

وحين عدتُ للمادة العلمية في الكتاب وجدتُ في طريقة بحثه الموضوع اسلوب جديد لم يسبق لاي باحث عربي في هذا المضممار ان يسلك تلك السلوكية في الخطاب السياسي الإسلامي المعطوف بخصوصية على الشيعة . فقد انطلق البحث في تفسير واظهار الفكر

والمرتكزات الشيعية بصورة طغى عليها اولا جانب الاثبات التاريخي للمبدأ الشيعي. محاولا الباحث بذلك ان يبين ضعف الاتهامات والتكهنات الموجهة للشيعية واصولها الفكرية واسسها التكوينية الحية. مستندا بذلك لمصادر عديدة اولها المعنى اللغوي لها وعلاقتها بالنصوص القرآنية المتراصة مع الاحاديث الشريفة. ولم يتناسى الباحث الفذ في عطف اثباته للمصطلح ومرتكزه في كينونه المبدئية على الربط ما بين وقوع الحدث واثبات المقولة وتتابع اصداؤها في تأصيل العقيدة الإسلامية.

كان الخوض في المرتكزات الفكرية الشيعية مدخلا مهما في الوصول إلى مفهوم تطور الفكر الشيعي وامتداداته المفهومية المنبثقة من العقيدة الإسلامية وكيفية ترجمتها فعلا بالاستناد إلى النظرية المفسرة باحاديث الرسول ﷺ. لكن الباحث لم يحاول ان يفند الاعتراضات الفقهية الدالة من المذاهب الاخرى ولم يحاول ان يدحضها ليضع اسس تطور الفكر الشيعي ضمن السياق الفقهي والسياسي والاجتماعي؛ بل لاحظنا انه استند في تطور الفكر الشيعي إلى امتداده داخل الجزيرة العربية. ونحن نميل إلى رأيه في التطور بتحفظ ومن جانب واحد هو؛ لو لم يكن هناك تطورا في المفهوم الفكري ومرتكزاته لما انطلق التشيع في الجزيرة العربية ومحيطها من الدول الحديثة الان. وبالتالي فنلاحظ ان الباحث ترجم التشيع ومراكزه في دول الخليج العربي والجزيرة العربية بصورة لم يسبق لاحد من قبله ان تناولها بهذه المصادقية المدعمة بالمصادر المهمة والتي اطلعنا عليها لاثبات مصادرها الحقيقة. فقد غاب عن الكثير البحث في العلاقة ما بين الفكر الشيعي الاصولي والفكر الشبه الشيعي كالزيدية مثلا في اليمن. وبالتالي فخوض الباحث في هذا الجانب وشمولية الحديث عن الشيعية في المنطقة باسرها ليستخلص من بعد ذلك ان العراق مركزا للتشيع امر مهم جدا. إلا ان الباحث اراه يميل في بعض الاحيان إلى التطرف من خلال ملاحظاته العامة وليس من خلال مصادر البحث. ولعل من اهم الامور التي لا يمكنني الجزم بصحتها هي انساب العوائل الشيعية التي سكنت منطقة الخليج العربي لعدم ادراج مصادرها من ناحية وان وجدت فهي مصادر غير موثقة ولا يمكن اعتبارها اكااديمية بحتة. ولكن هذا لا يمنع من ان نقول ان الباحث تمكن من رسم الصورة الانثراپولوجية للمنطقة من خلال مكوناتها الاجتماعية وعلاقتها في الارض وكيفية تعاملها مع مستجدات الاحداث وتواترها ضمن واقع تواجد العشيرة أو العائلة والقبيلة في هذا المحيط الجغرافي.

لم يكن غريبا علينا ان يطربنا الباحث بقوله ان العراق مركزا للتشيع؛ فهذه حقيقة لا يمكن انكارها؛ فقد بدأ التشيع في كوفة العراق بفضل الفكر النير الذي نقله علي بن أبي طالب عليه السلام وبمن هاجر معه من عرب الجزيرة الذين صاحبوا الرسول؛ الاحرار منهم

والاكارم. ولعل الباحث ابدع في كيفية الوصل لنتيجة بث التشيع في انحاء العراق من على منبر علي في الكوفة ومآثره المبنية اصالة على العقيدة الإسلامية المترجمة بوحى الله على قلب رسوله ﷺ والمنقولة على لسان علي عليه السلام. لكنه لم يتمكن من تغطية المؤثرات الاموية على التشيع وكيف تمكن التشيع ان يكون شموليا في العراق ومركزا له مع بداية قيادة الدولة الإسلامية في الكوفة دون ان يكون لدولة معاوية دورا في قمعها. على الرغم من ذلك تمكن بنقله نوعية ان يستدل بخطب علي إلى ولاته؛ تلك الخطب التي يمكن اعتبارها منهاجا اساسيا في تسييس الدولة الإسلامية وضمن الاطار الاخلاقي الذي يتضمنه الفكر العقائدي الإسلامي. فقد تمكن الباحث من خلال مراجعة سياسة الدولة الإسلامية في عهد علي عليه السلام ان يبين اسباب الاحباط في والتكأ في ديمومة الدولة الإسلامية المتمثلة بالخلفاء الثلاث الذين سبقوا عليا فيها. وبالتالي فقد مزج الباحث بنظريته الفذة الجديدة بداية تسييس العقيدة الإسلامية؛ ولكن بالاستناد إلى التعاليم القرآنية المبنية على رعاية الرعية والحفاظ على كينونة تكوينها الاخلاقي. ويبدو لي ان التسلسل التاريخي الذي طرقة الباحث والذي من خلاله جسد فكر علي الذي اصبح اليوم مرتكزا للفكر الشيعي؛ جعله بنجاح ان يرسم صورة حية لتطور الفكر الشيعي في مرحلة ما بعد علي. إلا انه في مرحلة اخرى اخفق في تثبيت اسباب فشل ونجاح شمولية الفكر الشيعي لما بعد وفاة علي.

لقد جاء الباب الاول والثاني بفصوله المتعددة بالعديد من الاطروحات الموضوعية المتعلقة بالاحداث التي واكبت مرحلة التشيع الأولى ومؤثراتها الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والسياسية. ولعله تناول مسألة الصراع الأموي العلوي بتلك الصورة الثابتة؛ قد اعطى بعدا تاريخيا اساسيا لمنهجية الصراع ما بين الحق المتمثل بتعاليم السماء المحمدية وما بين الحضوة الدنيوية وعدم الايمان بالآخرة. اذ لم يتوقف الباحث عند الصراع الفكري العلوي السفيناني (معاوية)؛ بل استمر ليتجسد بصورة اوضح ليأخذ شكلا ومضمونا في الصراع الحسيني اليزيدي. وهو ما نعتقد كان اساسا كبيرا لافول نجم الاموية المتمردة على تعاليم السماء والراغبة في حياة دون ممات. إلا انه باعتقادنا لم يكن موفقا جدا في المقارنة ما بين الاداء العباسي السلطوي والاداء الأموي الموتور. لانه كان يستند في تحليلاته لمصادر غير موثوقة ومتحيزة في الموضوع أو تغفل الحقيقة كما هي في كتابات سيد قطب الذي اعتبره الباحث مصدرا رئيسيا؛ خصوصا اذا ما عرفنا ان هذا المصدر كان يغلب عليه الطابع الانشائي اكثر من الطابع الأكاديمي الفكري التحليلي. ومع ذلك فقد تمكن الباحث في مجالات اخرى وبالاستناد إلى مصادر اكثر نضجا وتوثيقا من ان يوضح في جوانب عديدة اسباب الصراع وثمرته دون ان يستخرج من خلاله خطابا مرحليا للفكر الشيعي عند تلك

الفترة . وباعتقادي لما لموضوع البحث من ضخامة وكم هائل من المعلومات التي شاهدها يمكن الوصول إلى تعريف الامتداد الفكري للمراحل الثلاثة (الخلافة الراشدة - الاموية - العباسية) ودورها الفكري في تفعيل تطور الفكري الشيعي الذي جاءت مؤسسته التنظيمية متأخرة اذا ما استثنينا مرحلة وجود الأئمة الاطهار عليهم السلام . واوعز سبب عدم الوصول إلى هذه الفكرة إلى سوء الاشراف على الاطروحة؛ التي كان لا بد لها من ان تتخلل تلك العناصر الأساسية .

لقد اسهب الباحث كثيرا في شرح مكونات الشعب العراقي بعد ان تتبع مسار الامارات التاريخية التي عاصرت وجود الشيعة؛ ولعله قد بذل جهد كبير ليخرج لنا بتلك الحلة الذهبية التي جمعت في تكوينها العمق الاجتماعي والعمق الديني؛ ومما لا شك فيه ان السياسة قد نالت قسطا كبيرا من هذا العرض . إلا انه اخفق في صحة بعض التواريخ التي ادرجها؛ فعلى سبيل المثال جاء في البحث ان اماره عربستان والاحواز قد الحقت بايران في عام 1847م؛ والحقيقة ان اماره الاحواز وعربستان الحقت قسرا ودسياسة بايران في مايو عام 1922م . ومع كل هذا فقد تمكن الباحث من ان يرسم ديموغرافية العراق وتسلسل الانتماء القبلي وعلاقته التاريخية بالامتدادين العربي والاسلامي . كما تمكن الباحث بجهد يبدو لي غير يسير ان يعطي نشاط تلك القبائل الشيعية والسنية منها في الاحداث التي عاصرت المنطقة . وبالتالي فقد تمكن من ان يثبت دون من سبقه من الباحثين عمق الصراع الفكري في المنطقة وعلاقته بالحالة القبلي العشائرية بالنسبة للعرب من جهة؛ وسوء فهم العلاقة المذهبية بالنسبة إلى العرقيات المتاخمة لمنشأ الانتشار الفكري الشيعي من جهة أخرى .

ولعل من أهم الجوانب الاساسية التي يمكن ان يبحثها باحث كبير كصاحب هذا الكتاب هو دراسة كيفية تواجد القبائل العربية وعشائرها وعائلاتها في العراق وماهي الاسس التي جعلت من الهجرة ان يكون مسارها نحو العراق . وانني بكل امانة اقول قد نجح الباحث نجاحا كبيرا لم يسبقه اي باحث من قبل في رسم الصورة التحليلية لهذا الموضوع ضمن محدودية المصادر التي وقعت بين يديه . واسس اساسا قويا لمادة تاريخية قد اغفلها المؤرخون منذ عهد بعيد؛ قد يبدو لي بسبب نقص درايتهم للواقع الديمغرافي العراقي . إلا ان الاشكال الوحيد الذي لا يمكن ان اقره كليا؛ هو اعتبار الباحث كل تلك الافخاذ والعشائر الشيعية والسنية منها ذات اصول عربية وقد فسرها ضمن مديات بحثه . وهذه اشكالية كبيرة لا يمكن الالتزام بها من خلال مصدر أو مصدرين ولا نعرف هذا المصدر أو المصدرين على اية معلومة قد استند أو إستندا . خصوصا وان العراق قد تعرض لعدة احتلالات ولعدة غزوات وجيء بالجيوش وعائلاتها (كالانكشارية والشركس والزنج وغيرهم) لتستقر في ارض العراق وبين عشائره وتسمى باسمائهم . وبالتالي فعلينا توخي الحذر في اسناد مثل هكذا موضوع

دون الرجوع إلى من سكن المنطقة على مسار تاريخي كبير. ونستقريء الاحداث التي عاصرت اصول تلك الافخاذ والتحري عن سيرتهم التاريخية القبلية من جهة والانتماء إلى المذاهب الإسلامية من جهة. فعلى سبيل المثال كان الاتراك قد جاؤا بالانكشارية والذين جلهم لا يؤمنون بالاسلام وتعسكروا قرب الحلة عام 1913م؛ وبعد ما خسرت الدولة العثمانية الحرب ذاب هؤلاء في المناطق المحيطة بالحلة ككربلاء والنجف والديوانية وقرب بغداد وتدينوا بمذاهب أهل المنطقة واطلقوا على اسمائهم سمة فخذ ينتمي لعشيرة مهمة. ولعل الدكتور الوردي والدكتور الحسيني اللذين أشار إليهم الباحث في ابوابه الثمانية قد ذكرا ذلك في مؤلفاتهم العديدة. ولعلي هنا اقول ان الباحث توقف عند هذه النقطة دون تمحيص لكون جانب البحث لا يتسع للخوض في مثل هكذا امر لانه شائك ويحتاج لدراسة معمقة. ولكن لا بد ان ننوه انه على من يريد ان يبحث فيه ان يستل كل مدينة على حدة ويحدد مسارها التاريخي ودورها في الاحداث التي سرت بها وتثبيت تواريخ احداثها وربطها بالهجرات العربية. ناهيك ان العراق قد تعرض لعدة ضغوطات تعسفية لتغيير المسار المذهبي بدءاً من نشأة الدولة الاموية وحتى يومنا هذا. وهو بالتأكيد يؤثر في اية دراسة مستقبلية متخصصة في الاصول المذهبية وعلاقتها بالهجرة العربية.

في الحقيقة لا يمكن ان اخفي سرا جعلني احس بقوة ورسالة البحث الذي بين يدينا؛ وهو تمكن الباحث بعد الاسترسال التحليلي؛ من اعطاء رسم بياني يحمل في مضمونه معان كثيرة. إذ احتوى هذا الرسم البياني على المشاركة المذهبية الشيعية والسنية في القبائل العراقية العربية؛ حسب تواجدهم الجغرافي الرئيسي. مما يؤكد حقيقة عروبة التشيع بالاستناد فقط لتلك القبائل العربية الكبيرة التي عرفت بعضها وعلى مر التاريخ ببطون العرب. وبالتالي فقد تمكن الباحث لحد بعيد من اثبات شيئين مهمين وهما؛ عروبة التشيع الفكري في العراق؛ وبروز المرتكزات الشيعية وتطورها في العراق منذ نقل مقر الدولة الإسلامية في عهد علي للكوفة.

لم يبخل الباحث في وضع تصميم دقيق لمنهجية بحثه للانتقال من الجوهر العام للتخصصية العراقية في مضمون التشيع؛ كما انه لم يبخل في وضع الصورة الحية لمسار الانتقال من الحقب التاريخية البعيدة إلى الحقب التاريخية الحديثة. وعليه فالباحث تمكن بجدارة ان يسلك مسلكين اساسيين في اتجاه واحد يلتقيان متى شاء وينفصلان متى شاء ليلتقيا مرة اخرى لتفسير وتحليل جوهر الموضوع. فقد ركز على الجانب التاريخي من جانب وعلى الجانب الفكري من جانب اخر؛ هادفاً من خلال ذلك ان يبين الارتباط الفكري للتشيع بعنصرين اساسيين هما الطبيعة الاجتماعية والطبيعة الجغرافية. اذ من خلالها تمكن من ان يبني آلية فهم الخطاب الشيعي الحديث وعلاقته بالفكر ضمن مراحل المتعاقبة. فلذا حين

اراد ان يؤسس للخطاب الشيعي الجديد ويوجهه لابناء العمومة كما اسماهم من العرب المتمذهيين بمذاهب اخرى؛ انتقل لدراسة واقع المجتمع العراقي الحديث. ونقصد بذلك كما يقصد الباحث بدءاً من سقوط الدولة العثماني وبداية فهم النظرية السياسية وليومنا هذا. ولاطراء هذا الموضوع فقد خصص الباب الرابع وجزءاً من الباب الثالث وبعضاً من الباب الخامس لمناقشة واقع العراق السياسي ونشأة الاحزاب وظهور الشخصيات السياسية. مراعيها فيها المعاهدات واللقاءات مع الشخصيات الاسياسية التي تبدو يههما مصير ومستقبل العراق. وبالفعل تمكن من مناقشة رسائل الشريف حسين ومكماهون ومدى تأثيرها على الشيعة في الجزيرة العربية وخصوصا العراق. إلا اننا لا نتفق معه في تحليل شخصية السيد طالب النقيب من الناحية السياسية في عهد ما بعد سقوط الدولة العثمانية. اذ ان الباحث ركز على جانب العلاقات البريطانية النقيبية فقط ومرتکز على مصدر واحد فقط؛ وكان من الاجدار تسليط الضوء على تلك الشخصية العراقية المهمة التي جمعت في ذلك الوقت التزام الشيعة والسنة على حد سواء لشخصه لاغين بذلك الطائفية التي طبل لها البريطانيين. ولعل اعتدال شخصية السيد طالب النقيب هي التي ادت إلى تأسيس طلائع حرس الاستقلال الوطني التي اعلنت الحرب على البريطانيين قبل ان تجتاح ثورة العشرين المدن العراقية الشيعية. وهو ما حدا بالبريطانيين ان يعملوا بصورة أو أخرى على تضيق الخناق على شخصية السيد طالب النقيب. فالباحث في النهاية استند إلى دليل وميض عمر نظمي الذي تقع الكثير من الشبهات على مصادره؛ في حين لم يستند إلى الحسنی والبصير والعمرى والوثائق البريطانية التي توضح عدم ارتياح البريطانيين للسيد طالب النقيب وتوجهاته الوطنية في حينه. وكان الاجدر بالباحث ان يناقش كل هذه المواضيع حتى يبقى البحث في السياق الرصين الذي وجدته منذ الصفحات الأولى.

إن لثورة العشرين وحصار النجف كان لهما الحظ الاوفر في بحثه؛ ولعلهما كانا الاكثر جدارة والارصن في التاريخ السياسي العراقي؛ خصوصاً عند مقارنة ما ذهب إليه المرحوم عدنان عليان وما كتب عن تلك الثورة من قبل. اذ جاءت بنود مناقشته التحليلية مستندة على وثائق الطرفين. فالطرف البريطاني تمكن الباحث من ان يبرزه من خلال الرسائل ما بين السفير البريطاني مع وزارة الخارجية من جهة والرسائل ما بين المندوب السامي ووزير المستعمرات البريطانية من جهة اخرى. في حين ان الطرف العراقي الشيعي المتمثل بعشائره ومن ثم تدخل الحوزة العلمية في النجف قد استخلصها من شهادات عديدة ووثائق موضوعة بلمسات مادية قد لا يقوى على اتباعها وتفنيدها وتبويبها مثل ما فعل الباحث هنا. وبالتالي فقد نجح الباحث في اعطاء صورة مهمة عن الصراع الشيعي العشائري - الحوزوي مع المحتل البريطاني؛ ووضح الثوابت الوطنية المتأصلة في نفس كلا منهما ليس كمبدأ أخلاقي

ولكن كمبدأ عقائدي اساسي في الخطاب الشيعي الشرعي . ولعلي كنت اتمنى ان يكون الباحث حاضرا لحين هذه اللحظة معنا ويكتب عن تلك الحقبة التي يمر بها العراق الان بعد الاحتلال الامريكي لنا؛ ليدونها بامانة كما دون غيرها من المفردات الاساية . وانني على يقين كبير انه سيغير كثيرا من المفاهيم التي توصل إلى نتائجها ومعانيها الذاتية لما ما موجود من مهزلة في اتخاذ موقف أمام المسؤولية الشرعية والوطنية التي تقع على أعتاقنا . ولعلي اكون متأكداً إذا قلت ان المغفور له سوف يعيد صياغة الخطاب الشيعي الجديد الذي كان يراه مناسباً عندما يرى ما يحدث الان . هذه الثقة نابعة من معرفتي القريبة لشخص المرحوم ومدى تفكيره ونظراته الشاخصة للواقع .

إن أهم الاستنتاجات التي تمكن الباحث من الوصول إليها في هذا المبحث العام هو رسم الصورة التاريخية للفكر السياسي لتأسيس الدولة السياسية؛ وكيفية رسم ملامحها المستقبلية . فعلى الرغم من انحيازه التام إلى الجانب الشيعي من واقع الشخصيات إلا انه أعطى وتوجها عاماً مارسته الدولة بواقع أحزابها السياسية وشخصياتها التي مارست الأدوار المتعددة . لكنه اغفل اغفالا كاملا وبرأيي كان ذلك بسبب ضعف الاشراف؛ في تحديد مسار البحث في كيفية فضح الانتهازية في كل شخصيات المذاهب الدينية في العراق والتي لعبت دوراً بارزاً في تكثيف المفهوم الطائفي . وكان عليه ان يبحث عن الشخصيات العراقية المبدئية التي لم تعطى الفرصة في خدمة العراق؛ لكي يتمكن بصورة قد نوصفها بالموضوعية من خلال متابعة الباب السادس والسابع وبعض من الباب الثامن؛ ان ينتهي إلى مفهوم الخطاب الشيعي العراقي المبني على الاسس الوطنية التي لا تراعي الملاسات الطائفية إلا في النواحي التي تخدم الدين الإسلامي .

نخلص مما تقدم ان الباحث قد توصل إلى عدة مفاهيم اساسية يمكن اجمالها بما يلي :

- 1 - تمكن من رسم الصورة السياسية للعراق بتوافق مذاهبها بدرجة لا تخلو من مصداقية على الرغم من عدم تدقيقه في مصادر التقسيم المذهبية بصورة اكااديمية بحتة .
- 2 - تمكن من ايجاد ارضية تاريخية لرسم الواقع الفكري السياسي للدولة العراقية وعلاقتها بالمذاهب الدينية وكيفية التعامل معها .
- 3 - افاد الباحث في مباحثه هذه في رسم الخريطة البشرية للشيعة في العراق من خلال درج الأسس التي تكونت من خلالها التجمعات الشيعية والتي تمخض عنها ولادة الأحزاب السياسية الدينية المذهبية المعروفة .
- 4 - أعطى الباحث مجالاً لم يسبقه أحد في وضع أسس الخطاب السياسي الذي يستوجب ان يقوم عليه العراق الحديث لازالة النعرة الطائفية والعرقية .

5 - بايجاز مسهب اعطى مصادر الحياة الاساسية وكيفية معالجة توزيع الثروة بما يتناسب بمصداقية مساواة كل أبناء العراق .

ومع اعجابي بما ابلى به الباحث من بلاء حسن؛ إلا انني أرى هناك بعض النواحي التي لا بد ان اشير اليها من الناحية الاكاديمية ليكن عملا متكاملًا؛ مع العلم ما سوف اشير إليه لا يغير من الاستنتاج الذي توصل إليه ولا يغير في رأي بالمادة العلمية التي اوصلها اليها؛ ولعل اختيار الله عز وجل للفقيه الغالي هو السبب في وضع الاطروحة بهذا الشكل الذي نراه غير متكامل مع اصراري على ان الجهد المبذول هو جهد شخصي لا يستحق درجة الدكتوراة في حينه لوحدها؛ بل يحتاج إلى درجة علمية جديدة أكبر من الشهادة الممنوحة. لكون المادة العلمية التي خلص إلى نتائجها الباحث سوف تبقى اساسية في المكتبة العربية الإسلامية لكل من يحاول مستقبلا البحث في هذه الموضوع بامانة علمية بعيدة عن الانحياز الطائفية. فكما ذكرت ان النقاط التي ارى وجوب النظر فيها عند الباحثين يمكن ادراجها كما يلي:

1 - استعان الباحث ببعض المصادر التي لا تعتمد في البحث الاكاديمي والتي عند مراجعتنا لها وجدنا المصادر التي اعتمدوا عليها اما غير موجودة أو لا توثق لها؛ وهو ما يحدث شرخا في الامانة العلمية .

2 - العوائل الشيعية وتوزيعاتها لا توجد لها اية مصادر يمكن الاعتماد عليها لتأكيد عروبتها وعراقيتها في ان واحد؛ وهو ما يحتاج إلى بحث ادق للوصول إلى النتيجة التي يمكن ان ترفد البحث بالمفهوم الواقعي للخطاب السياسي الشيعي العربي العراقي .

3 - لو أُتيح للباحث اليوم فرصة دراسة الممارسة السياسية لبعض الشخصيات؛ ولو كان الباحث قد عاصر التغيير بالتأكيد لغير الكثير من المفاهيم التي كان يميل اليها ولوجد ان السفينة قد تغير ربانها وبدأ الولاء يتغير عما كان معروفا تاريخيا ضمن التاريخ السياسي العراقي الحديث أو القريب من حداثة الدولة العراقية .

في الختام لا يسعني إلا ان أبدي سعادتي لتقديم هذا الكتاب الذي بحق يعتبر أول كتاب عالج الموضوع العراقي الشيعي السياسي بمصداقية وشجاعة لم يتمكن احد غير المرحوم عدنان عليان ان يقدم عليه رحمه الله وأسكنه فسيح جناته انه نعم المولى .

هيشم غالب الناهي

لندن 11 اكتوبر 2004

المقدمة

لا يخفى على المطلع الكريم حساسية هذا النمط من الدراسات، إلا أن ما يرصد أهميتها، أنها جاءت بوقت عادت فيه الصراعات الإقليمية والدولية تحيط بدول الخليج والجزيرة العربية، كسابق عهدها نهاية القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين، وكأن الزمن يعود القهقري. وإن إختيارنا الحديث عن جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، والتركيز على العراق كمركز للتشيع، هو ما سيجعل هذه الدراسة أكثر موضوعية، كونها تكتب بـ (رؤية عراقية وطنية مستقلة) الهدف الأساسي منها هو: الحرص الشديد على مستقبل العراق، وأستقلاله الوطني، ووحدته ترابه وشعبه. وقد حاولنا جهد إستطاعتنا أن نكون أمناء على أن لا يستشف من هذه الدراسة، أي تحيز لمذهب، أو تشبث بعنصر.

ونحن بدراستنا هذه لا ننطلق من موروثات عقيمة عفى عليها الزمن، إنما نحاول أن نتلمس الحقائق الموضوعية، والوقائع المتحركة، خلال فترة هذه الدراسة، مسلطين الأضواء عليها، كي نتجنب مؤثرات سلبياتها، ونتوخى تأثيرات إيجابياتها، في واقعنا المعاش، مصممين بهذا النهج، العمل بالإيجابيات، رافضين التورط في السلبيات.

وأن إشكالية هذه الدراسة هو كيفية خلق علاقات متوازنة، لعراق أفضل، ولأننا نعتقد والأعتقاد مبعثه الأيمان، أن حالات وممارسات، التعصب المذهبي، والأضطهاد العرقي، والعزل السياسي، عناوين مرفوضة تماما في النهج الوطني العراقي الأصيل، فإن واقعا هذه ثوابته، سيؤدي حتما إلى التغلب على أية إشكالية.

فإذا كان الدافع الأول للخوض في هذا الموضوع على هذا المستوى من الأهمية والخطورة والمسؤولية، وعلى هذا المستوى من الفهم الواقعي. كان الدافع الآخر متمما أساسيا له، بتأكيد بعض الأمور لعل من أهمها: هو أن تفهم سلطة الحكم ومن ورائها، حقائق غابت أو غيبت أو تعمدوا تغييبها في أذهانهم عن شيعة العراق، الجذور. الوجود. الفكر. الدور الريادي في (قيام) و(بناء) الدولة العراقية الحديثة.

فالمطلوب إذن في هذا الظرف الدقيق والخطير، أن يدرك الجميع هذين الدافعين، ليس من أجل الشيعة فحسب، بل من أجل العراق كل العراق بكل مكوناته الأثنية والدينية والمذهبية. وإن هذه الدراسة هي بمثابة نقد وتبصير لأولي الأمر كي يدركوا حقيقة أن المكون الأساسي الأول وهم: الشيعة العرب ليسوا (عنصرا دخيلا) لاصلة لهم بالعراق،

قديمه، ووسيطه، وحديثه. وبداي ذي بدء، هناك حقيقة لا بد من الإشارة إليها، وهي؛ أن الحديث عن العراق، يعني الحديث عن الشيعة، والعكس أن الحديث عن الشيعة يعني الحديث عن العراق. فلا يمكن ان يكون عراقا بدون شيعة، من حيث ان المكون السكاني الأول لشعب العراق هم الشيعة. وإن هذا الوجود يشكل في محصلة الأمر، الكثير من الأبعاد، التي تربط الماضي بهواجس الحاضر، وتطلعات المستقبل. ومثل هذا الربط يعطي صورة متكاملة، عن الشيعة والتشيع، التي ظلت المكتبة السياسية العربية، تفتقد لمثل هذه الدراسة المترابطة الحلقات، فإن هي تناولته، كما في بعض النماذج، تناولته بصورة مجتزأة، وفي أحيان أخر بصور مشوهة، في حين أن هذه الدراسة بما تتناوله من مفردات، ستؤدي إلى تسليط الأضواء على حلقات الأبعاد والمضامين الحقيقية، لمسيرة الشيعة والتشيع.

ومن خلال هذه الدراسة نتعرض إلى الشيعة والتشيع في العراق، بتناول الجذور، والرجال، والفكر، والتطور، والمرتكزات، مع إستعراض موجز عن التشيع في الخليج والجزيرة العربية، مؤكداً أن العراق هو مركز التشيع، ومستعرضين واقع شيعة العراق الاجتماعي والسياسي والأقتصادي، بين إحتلالين، الأحتلال العثماني، والأحتلال البريطاني. وأهمية موقع الشيعة الاستراتيجي، من الناحية الدينية والتراثية والعلمية، والسكانية، والأقتصادية، والجغرافية. وتناول طبيعة التنافس الأجنبي وأبعاد التآمر المحلي والخارجي، والأدوار الجهادية والسياسية للشيعة، عبر أحداث الأمة، وصولاً إلى أدوار الشيعة الريادية، في (قيام) و(بناء) الدولة العراقية الحديثة، عبر مسيرة توضيحية خضبت بالدم، وجباه نضحت بالعرق، ومآقي حرقت بالدموع. مختمين كل هذه الحلقات بالخطاب السياسي المطلوب لشيعة العراق.

وفي ضوء ذلك سنعيد إلى الأذهان ما تعرض له شيعة العراق، من ظلم وإضطهاد، وعزل سياسي سلطويين، مع تحليل لأسباب ومسببات ذلك. واضعين نصب عيون جميع العراقيين، والخليجيين، والمهتمين بالشأن العراقي أموراً غاية في الأهمية والخطورة، وإن حالة من التفهم الواقعي والأعتراف بأبعاد هذه الأمور ومضامينها، لا بد وأن تخلق حالة متوازنة ومتقدمة لصالح الأئتلاف الوطني العراقي وتعميقه من جهة، ولصالح المنطقة من زاوية إستقرارية من جهة ثانية.

وليس خافياً أن لكل دراسة هدف مركزي تحاول الوصول إليه، وقد كان في ذهننا ونحن نخوض في هذه الدراسة، أن نصل بدراستنا هذه تقويم نهج من يحاول تهميش الشيعة في الخليج والجزيرة العربية، وتبصير من يصفهم بالعجمة والأجنبية، وتنوير من يتهمهم بالكفر والمغالاة، من ذوي النفوس المريضة، المملوءة بالحقق المذهبي، المشبعة بالطائفية

السياسية، والتي تتصاعد اصواتهم بين الفينة والأخرى، وهي تردد تلك الاتهامات الباطلة. ونحن نخوض في غمار بطون المراجع والمصادر والوثائق، لأنجاز ما أقدمنا عليه، جاءت دراستنا هذه، لتفرز لنا أكثر من هدف مركزي، وأكثر من إسهامة ودور، لها أهميتها المحسوسة للشيعة والتشيع في العراق، كما ولها تأثيرات وإنعكاسات على شيعة الخليج والجزيرة العربية. ولعل من أهم تلك الأهداف والإسهامات المؤثرة، والأدوار الريادية، والحقائق الساطعة، التي نتوخى بروزها في هذه الدراسة الموسعة، وهي تأكيد الجذور العربية للتشيع في الخليج والجزيرة العربية، من عمق التاريخ، ومنذ الصدر الأول للإسلام. وترسيم الفكر الشيعي الإمامي، وتثبيت مرتكزاته، وتأكيد مراحل تطوره. وإثبات أن المكون الشيعي العربي، يمثل مشارك مهم وأساسي، بالنسبة لشعوب دول الخليج والجزيرة العربية، بوجه عام، إلا أنه بوجهه الخاص، يمثل الثقل المركزي الأول بين مكونات الشعب العراقي. إعطاء لمحة عن الشيعة والتشيع في الخليج والجزيرة العربية، والتوصل إلى أن العراق هو مركز التشيع الإمامي الأثني عشري في المنطقة العربية؛ هو تجسيد البعد الحضاري (الديني والتراثي والعلمي) للتشيع وبالخصوص في العراق. تحديد معطيات الموقع الأستراتيجي (التاريخي، والجغرافي، والتنموي) لشيعة العراق على وجه التحديد. تأثيرات المسيرة الجهادية والسياسية الشيعية، في حركة الأستقلال الوطني العراقي. الأدوار الريادية لشيعة العراق والتي ادت إلى قيام الدولة العراقية الحديثة. رصد أسباب إنكفاء المسيرة الشيعية في العراق، وعزلها عن نظام الدولة. شيعة العراق وحقيقة الموقف من السلطة والحكم، المشاركة، والمعارضة. تطلعات شيعة العراق نحو التيارات السياسية الوطنية والقومية والإسلامية، وتنظيماتها. محاولات شيعة العراق تقويم ممارسات ونهج نظام الدولة العراقية الحديثة. إسهامات الشيعة العراقيين، وأدوارهم المؤثرة، في تأسيس البنى التحتية للدولة. شيعة العراق وعمق تفهمهم لأبعاد المواقف العربية والأقليمية والدولية. إستراتيجية العمل والخطاب السياسي المطلوب لشيعة العراق.

أما منهجية البحث وخطته المعتمدة في هذه الدراسة، فهي تقوم على منهجيتين:

أولاً: منهجية (تاريخية - تحليلية)، من حيث أن هذه الدراسة تعتمد على أحداث التاريخ، وما نتج عنها من إفرزات إنعكست محصلتها على مسيرة الشيعة.

ثانياً: منهجية (سوسولوجية)، من حيث أن مقطعاً مهماً من هذه الدراسة هي في صميم مجتمعات

دول الخليج والجزيرة العربية، والمجتمع العراقي من أهمها، كون أن شيعة العراق هم المكون الأول لشيعة المنطقة.

ومهما يكن فإن هذه الدراسة تستمد أبعادها من الوقائع التاريخية، إضافة للملامح الاجتماعية للشعب العراقي، عبر مسيرة الأحداث. مع عدم إغفال الجوانب التحليلية لبعض الظواهر ذات المساس بمفردات البحث، وعدم إغفال مناقشة بعض الأفكار والمعلومات التي أوردها الباحثون والكتاب، والتي تتعارض سواء مع حقيقة الشيعة والتشيع، أو أية معلومة تستدعي المناقشة، وإضافة لذلك كنا حريصون كل الحرص على تثبيت بعض وجهات النظر الخاصة بنا، أين ما وجدنا من ضرورة لذلك، يقتضيها البحث العلمي.

ولقد إعتدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع والصحف والمجلات العربية، إضافة للمراجع والوثائق الأجنبية. وسوف يلاحظ القارئ الكريم وجود نصوص أوردها بعض المؤرخين والباحثين نقلا عن آخرين، ولعدم توفر المراجع الأصلية بين يدينا، إضطررنا الإستفادة من النصوص التي نقلها بعض الباحثين ولكن بأصق الأطر. وقد حصرنا هذه الدراسة في توطئة وثمانية أبواب، وتضمنت الأبواب ستة عشر فصلا، ضمت واحدا وأربعين مبحثا، وخاتمة، والصحاح والمصادر والمراجع والوثائق والصحف، العربية والأجنبية.

ولا بد هنا من الإشارة إلى (الصعوبات) التي اعترضتني في توضيح الجزء الخاص بإسهامات الشيعة في (بناء) الدولة العراقية الحديثة، لأنعدام المصادر التي تبحث في هذا اللون من الدراسات سواء في داخل العراق أو خارجه، إلا أنني حاولت جاهدا سد هذا الخلل وتعويضه، ولعل الدراسات العامة عن مختلف البنى التحتية في العراق، يمكن ان تسد جزءا من حاجتي، عن طريق إلتقاط ما يسد الحاجة أو جزءا منها، ولعل مساهمات الشيعة في الحكم، وعلى أعلى المستويات، اتاحت لي الفرصة، لسد هذا الجزء. ولقد بذلت بهذا الصدد محاولات جادة للحصول على بعض المعلومات من رجالات عراقية كانت في صميم الخدمة العامة، وتبأت مناصب مرموقة ساهم أصحابها بقسط كبير في تأسيس البنى التحتية للعراق.

ولا ننسى ما للمؤسسة الدينية الشيعية من دور كبير؛ عدا ادوارها السياسية والجهادية، فهناك مساهمات جلى في قيام البنى التحتية، وبالخصوص جهودها الكبيرة والمؤثرة، في تعليم علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة والعربية، ومختلف العلوم الأنسانية. أضف إلى ذلك أهمية المؤسسة العشائرية الشيعية وجماهيرها، في البناء الزراعي، وتطوير الثروة الحيوانية. ناهيك عن رفد كل دوائر الدولة ومؤسساتها المختلفة، بالعاملين والمستخدمين لمختلف الأغراض، المدنية، والأمنية، والعسكرية.

وهناك نشاطات (خاصة) لشرائح مختلفة من الشيعة، وفي مختلف القطاعات التجارية

والصناعية والعمرانية والتنمية، كان لها تأثيراتها المباشرة والمهمة في تأسيس البنى التحتية لدولة العراق الحديث، إلا ان هناك صعوبات جمّة في فرزها وتحديد حجمها، ولكن يمكن ترسيمها بما لدى الباحث من معلومات عامة كرجل أعمال سابق، كان على إحتكاك مباشر بالعمل التجاري والصناعي والعقاري، على مدى اربعة عقود من الزمن، ما يدفع لتسهيل المهمة إلى حد ما. وفي كل الأحوال تبقى قاعدة أن: «ما لا يدرك كله لا يترك جله»، هو الأساس الذي إعتدناه وصولاً إلى الهدف المطلوب في هذا المفصل بالذات من الدراسة. وعن طريق إستعراض هذه الحلقات ستبرز المعطيات الإيجابية والنتائج السلبية، لمسيرة الشيعة السياسية والجهادية. فالمعطيات الإيجابية منها هي التي فرضت الأمر الواقع على الأنكليز، بصرف النظر عن حكم العراق من قبلهم حكماً مباشراً، وذلك بإقامة الدولة العراقية الحديثة. أما السلبية فإن الأنكليز وبعد أن وجدوا الصدود والمواجهة الضاربة من قبل الشيعة، رأوا أنهم حتى يستطيعوا ضمان مصالحهم فلا بد من الإعتماد على وضع نخبة الأقلية على دست حكم هذه الدولة الفتية.

وقد ظلت هذه الدولة تنوء تحت سيطرة المشروع البريطاني ردحا غير قليل من الزمن، إستمرت بعض آثارها حتى بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م. وهكذا أصبح شيعة العراق معزولين في نظام الدولة الجديد، رغم كل ما قدموه من أجل قيام هذه الدولة الفتية. وإن الأنكليز قد فعلوا الأمر نفسه في معظم الدول العربية التي إستعمروها.



توطئة

مما يؤسف له أن طبيعة الأنظمة في منطقة الخليج والجزيرة العربية، لم تتعامل بندية مع المطامع الإقليمية والدولية، خلال هذا القرن، مثلما تعامل بعضها بنهج منظم وبخاصة مع مواطنيها من الشيعة، عن طريق الأضطهاد النفسي، والعزل السياسي، وفي أحيان كثيرة بالتصفية الجسدية، رغم أن هذا الوجود الشيعي المؤثر، كان ولا يزال وسيبقى له إسهامات رائدة في عملية البناء والحضارة، في هذه الدول، علما بأن الوجود الشيعي فيها لم يكن طارئا، إنما هو في عمق الوجود الإسلامي، وفي صميم تكون الدول الحديثة، ومنذ البدايات الأولى.

وحيث أننا إختارنا لباكورة دراساتنا عن الشيعة، (شيعة العراق) كنموذج، من حيث أن شيعة العراق العرب، هم الأكثر تأثيرا في مجريات الأمور ليس على مستوى العراق، بل على مستوى المنطقة، وحيث أن شيعة العراق يعدون (المستهدف الأول)، على مدى قرون عديدة من الزمن، ومازالوا المستهدف الأول ولكن بأنماط مختلفة ونهج غاية في الخطورة، فهم أمام إمتحان عسير لأنهم يواجهون اليوم مؤامرة توحى أبعادها بمحاولة تغيير معادلة التركيبة السكانية للشعب العراقي، أو هكذا يراد لهم، كون أن الشيعة يشكلون المكون الأول في هذه التركيبة.

إلا أن هذا الزخم السكاني المؤثر في كل الاتجاهات، ظل المانع الاستراتيجي أمام تحقيق هذا الهدف، لكن يبقى هذا الهدف شاخصا، ولوعن طريق تغيير جزئي لهذه المعادلة، ما دام هذا الشاخص يشكل دائما هاجس الخوف من (الطيف الشيعي الإيراني) عند صناع القرار، والتابعين من الأنظمة القائمة في المنطقة.

وإذا كان هذا الأمر قد شمل كل الحقب السابقة، إلا أن الحقبة الحالية وخاصة في العراق قد تخطت كل الحدود، إضافة إلى أن هذا الهدف كان ومازال ضمن إهتمامات بعض حكام المنطقة، ومنهم حكام الدول العربية، إضافة لذوي العقول المتمتعة طائفيا، من عراقيين وعرب، ناهيكم ماللأطماع الدولية والصهيونية، من مآرب وغايات، في هذا الاتجاه.

ودون أن نسقط من حساباتنا إهتمامات بعض الأنظمة الخليجية والعربية والإقليمية، بهذه السلوكية، وهي دول ذات تأثيرات كبيرة في المنطقة، وترتبط بعلاقات عميقة مع

الولايات المتحدة الأمريكية، المتأثرة حتى النخاع بالصهيونية العالمية، والتي سبق لها أن دعمت هذا التوجه، بكل إمكانياتها المادية والسياسية، في فاصل زمني قبل غزو الكويت. ومع ذلك كله ورغم حساسية مثل هذه الدراسات كما أشرنا بدءاً، إلا أن ما يجعل هذه الدراسة هادفة كونها كتبت (برؤية عراقية وطنية مستقلة) الهدف الأساسي منها هو: الحرص الشديد على مستقبل العراق وأستقلاله الوطني ووحدة ترابه وشعبه، وإستقرار المنطقة، ولتبصير أبناء العمومة بحقائق الأمور، وصولاً إلى إقامة علاقات أكثر إنسانية، بين شعوب المنطقة.

وقد حاولنا جهد إستطاعتنا أن نكون أمناء على أن لا يستشف من هذه الدراسة، أية مسحة مذهبية أو حالة إستعلائية أو نبرة عداثية. ومع ذلك وضعنا في الحساب أن ينتج عن مثل هذه الدراسات من الناحية العاطفية حساسيات غير مبررة، لأن مثل هذه الحساسيات ناتجة من حالات تزلزلت متوارثة، لكن النهج الذي سنعمل به سيقطع الطريق على أصحاب تلك الحساسيات، من التصيد في الماء العكر، حين تخرج هذه الدراسة في إطار عقلاني وواقعي، عندها تفرض هذه الدراسة نفسها من خلال الأهداف القريبة والبعيدة لطروحاتها، لما فيه خير المصلحة العامة لكل مكونات الشعب العراقي، دونما إستثناء، وسيكون هذا النهج متنفساً، لشيعة دول الخليج والجزيرة العربية، وضاعفاً في تغيير نهج بعض الحكام الأضطهادي إتجاههم، بما يعزز الوحدة الوطنية، ويقوي أواصر العلاقات بين شعوبها، بما يخدم (حقوق الإنسان) لكل شعوب المنطقة. وهو ما يؤدي بمحصلة الأمر إلى تعزيز حالة الأستقرار والتطور، على طريق البناء والحضارة.

وحتى تكون هذه الدراسة دراسة معمقة ومجدية، كان لابد من تسليط الضوء في أبعادها ومضامينها، كي تكون دراسة أكثر واقعية، ولا أخفيكم سرا أن تناول مثل هذا العنوان من الدراسات، كثيراً ما شاغل فكري رغم حساسيته، ولعمق حساسيته وجدت نفسي في محصلة الأمر، وأنا أخوض في بحره اللجي، ولم يكن هاجسي في خوضي هذا البحث هو التظلم من نهج «أبناء العمومة» وجلب إستعفافهم، إنما تبصيرهم من مخاطر الأصرار على نهجهم الأضطهادي الأستحواذي.

وإن أحقية شيعة الخليج والجزيرة العربية وباقي شعوبها ومن بينها العراق وكل مكوناته، بالتمتع فعلاً بالحقوق السياسية والأجتماعية كاملة غير منقوصة، ليست غاية بحد ذاتها، بقدر ما هو حق مشروع يقتضي التأكيد عليه، لأنه بات من المسلمات لبناء علاقات إستراتيجية حقيقية، تشكل الحصن المنيع لصون حقوق الأمة، ولقطع الطريق على أية مخططات إستعمارية وصهيونية لتفتيت الأمة أرضاً وشعباً، وتعريضها للتصفية التاريخية.

وبخصوص العراق فإن ما حصل فيه من ممارسات على يد الأنظمة المختلفة التي تعاقبت عليه، خلال هذا القرن، فقد مهدت بصورة وأخرى للعملية التصفية المنوه عنها، حين أعطت تلك الممارسات غير الطبيعية، سواء منها الأضطهادية أو التهجيرية أو الديموغرافية، كل المبررات لفعل ذلك. ونحن إذ نعرض من خلال هذه الدراسة لشيعه العراق، ولواقعهم الاجتماعي والسياسي بين إحتلالين، ولدورهم في (قيام) و(بناء) الدولة العراقية الحديثة، إنما لنعيد إلى الأذهان ماتعرض له شيعه العراق العرب، من ظلم وإضطهاد سلطويين، مع تحليل لأسباب ومسببات ذلك. واضعين نصب عيون جميع العراقيين، والخليجيين، والمهتمين بالشأن العراقي أمورا غاية في الأهمية والخطورة، وإن حالة من التفهم الواقعي لهذه الأمور، لا بد وأن تخلق حالة متوازنة ومتقدمة لصالح الأئتلاف الوطني العراقي وتعميقه، ولصالح المنطقه من زاوية إستقرارية. وهذه الأمور تنحصر في عدة امور نرى من الضروري حصرها في ما يلي:

الأمر الأول:

إن مسيرة شيعه العراق السياسية والجهادية المخضبة بالدم، بين إحتلالين، كان لها التأثير المركزي الأول في قيام الدولة العراقية الحديثة. وإن حالة العزل السياسي ضد الشيعه، من قبل السلطات البريطانية التي أوجعتهم مسيرتهم، والأضطهاد العنصري تجاه الأكراد، لمطالبتهم بحقوقهم المشروعة ضمن التراب العراقي جاءت متناغمة مع إهتمامات نخبة أهل الحكم من العراقيين المتأثرين بالنهج العثماني المذهبي والعنصري.

الأمر الثاني:

إن التخص من الفهم والنهج الذي قام عليه نظام الحكم في الدولة العراقية الحديثة، وإفرازاته المذهبية والعنصرية، عبر مسيرة الدولة منذ عام 1920م وحتى يومنا هذا، وإن خلق القناعات المتجردة من أية عنعنات مذهبية كانت أو عنصرية، لا بد وأن يؤديان إلى الحلول والمعالجات الحقيقية، التي تشغل بال العراقيين.

الأمر الثالث:

إن عراقا خاليا من التعنت الحزبي، والأديولوجيات المتزمتة، وحالات الأستحواذ التسلطي، هو الطريق الأنجع في إطار (الحل العراقي الوطني الديمقراطي الموجه)، ونعني بالموجه أي الأخذ بالآليات الديمقراطية بما ينسجم وطبيعة الشعب العراقي وتقاليده وقيمه الوطنية والقومية والروحية. دون الأخذ بالديمقراطية كنظام ومذهب، هو في إعتقادنا الصيغة المثلى الموصلة لبناء عراق جديد، وسبيل أوجد للخروج بالعراق من أزمته في الحكم والسلطة.

وفي ضوء ما تقدم فإن مثل هذا الاستعراض يجب أن لا يفهم منه أنه دليل إثارات وتحديات، كما قد يتصوره بعض المتشبهين بالفهم والنهج الذي تعاطاه العثمانيون بدءاً، ونخب الحكم لاحقاً، وكأن المكون الأساسي الأول وهم: الشيعة العرب عنصر دخيل لا صلة له بدول الخليج والجزيرة العربية، ومن ضمنها العراق. ونحن بتأكيداتنا المتكررة هذه، لا نرنب تبرير ما عزمنا عليه بقدر ما نرنب أن يفهم المنصفون، إنه أن الأوان كي يدرك جميع المعنيون وبالتحديد «أبناء العمومة» هذه الحقائق، ويتعاملوا معها من منطلق العدل والمساواة ليس مع الشيعة فحسب، بل مع كل مكونات شعوب المنطقة. كما على أبناء العمومة أن لا يصموا الأذان ويطبقوا الجفون، وتأخذهم العزة بالإثم، وكأن مسألة تشبههم «شبه الآحادي» بالسلطة والحكم والإمبيازات، هو الضمان الحقيقي الدائم لوجودهم من خلال تصيريه ملكا عضوضا، في زمن تطورت فيه أساليب الحكم والسلطة والعلاقات داخل الشعوب، عن طريق ضمان الحريات الخاصة والعامّة، وضمان المشاركة المتكاملة في الحقوق والواجبات، وعلى مختلف المستويات، وإن شعوب دول الخليج العربية، هي أقرب الأنماط في خصوصياتها، من باقي الشعوب الأخرى وبخاصة الشعوب غير العربية. وهذا يشكل عنصر جذب في خلق حالة من التوافق والتقارب الحقيقيين بينهم.

ولنا في بعض الدول التي قطعت شوطا كبيرا في إرساء تلك، الأساليب، وذهبت في محصلة الأمر، إلى إرساء علاقات متقدمة لتوحيد شعوبها المتنافرة ذات الخصوصيات المختلفة، ولكن ذات المصالح المتجانسة، عن طريق إلغاء القيود، ورفع الحدود، وتوحيد العملة، وصولا لتكامل العملية الإقتصادية والسياسية، لما فيه خير شعوبها، كما هو مشاهد اليوم بين دول أوروبا الغربية، المختلفة الحضارات.

ولنضع أحداث ومسيرة التاريخ العربي والإسلامي عبرة، لحاضرنا من أجل مستقبلنا، فحقائق التاريخ لا يمكن طمسها، مهما تفنن المتقصدون. ولنا في الإمبراطوريات العربية والإسلامية: الأموية، والعباسية، والعثمانية، خير شاهد ودليل، فلقد تحقق لها ملكا وأمجادا، قلما تحقق لأخريات، ولكن سلاطينها حين ظلوا متمسكين بفهم ونهج عزل أتباع «مدرسة الإمامة» وإضطهادهم، والأبتعاد عن روح الإسلام الأصيل، ومكارم الأخلاق العربية، والإسلامية، حين حكموا الأمور الدنيوية وزبارجها، مكان القيم العربية والمبادئ الإسلامية الإنسانية، مما أدى بتلك الإمبراطوريات إلى السقوط، والتشطي، والتحلل، وبذلك خسروا الملك، بعد أن خسروا الدنيا والآخرة. ولم تترجم صفحات التاريخ الإنساني لهم، سوى صفحات سوداء، من زاوية التعامل السيئ مع (أئمة أهل البيت وأتباعهم من الشيعة الإمامية).

ومن حيث أن المكون الذي ينتمي إلى نخبة (الحكم والسلطة) في العراق قد تمتع غالبيتهم في مفاصل زمنية ليست بالقصيرة - بإميازات سياسية وأجتماعية ومكاسب إقتصادية شبه مطلقة - إلا أن البعض منهم قد تعرض في مفاصل زمنية متأخرة، كما تعرضت له المكونات الأخرى، وإن أختلفت الأسباب والمسببات، إلا أن النتيجة تبقى واحدة، في حسابات المصالح الإستراتيجية المشتركة، بينهم وبين الشيعة.

ورغم أن الحالة النسبية متفاوتة، إلا أن الخطاب السياسي الشيعي، يؤمن أن هذا المكون يستطيع أن يلعب دورا مبرزا في عملية التغيير لصالح الشعب وضد الدكتاتوريات، ليس كونه يمتلك الكثير من خيوط اللعبة، بل كونه مكونا يعتر به، وليس بمعزل عنه. . ولكن ! ولكن دون الإنطلاق من مقولة:

(أنا وأخي على ابن عمي، وأنا وابن عمي على الغريب)

لأن المفهوم الحضاري يرفض مثل هذه المحسبات لا سيما ونحن اليوم نعيش في عالم متحضر، وأمامنا أعداء شتى لا يرحمون. والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا الموقف هو كيف تستطيع مكونات هذا الشعب العظيم، وبخاصة أبناء العمومة، ان تصون الحالة العراقية، وتمنعها من التصدع والتآكل؟ لا سيما وهناك من يتربص بهذا الشعب الدوائر، سواء من أعداء تقليديين، أو طامعين إقليميين (بدون إستثناء). إلا أن وجود نقاط الألتقاء والأنتلاف، بين أبناء العمومة المتمسكين بالنهج العروبي والإسلامي بخاصة، وبينهم وبين الآخرين من الوطنيين الذي يرتبطون بتربة الوطن بعامة، أكثر من نقاط الأفتراق والتصدع. وهذا لعمرى دليل عمل وطني رائد، يجعلنا ننظر للمستقبل نظرة تفاؤل وأمل كبيرين، وهو ما يتطلب أن تعي نخبة الأمة العراقية بحق، ما يخطط لها. فإن النخبة الممثلة لجميع مكونات الشعب العراقي، هي وحدها القادرة على التصدي والمواجهة لكل التحديات، ليكن القرن الواحد والعشرين، لنا قوة حقيقية، ترفع ثقتنا عاليا لبناء مستقبل أفضل. أما دور الشيعة في (قيام) الدولة العراقية الحديثة فيبدو لي في هذا المقام أن التاريخ يعيد نفسه، فكما حصل في (إقامة) الدولة العباسية حين إستثمر دعائها العباسيون، الرصيد الشيعي المناهض للدولة الأموية التي قامت على أساس الملك العضوض، تلك المناهضة المخضبة بدماء الشيعة وأئمتهم. فإن قيام الدولة العراقية الحديثة قام بالدرجة الأولى على جماجم الشيعة، فهي بذلك تتطابق من حيث الواقع والنتيجة مع قيام الدولة العباسية، لأن الشيعة العراقيين كانوا في حالة تصدي ومواجهة شبه مستمرة، ضد ممارسات الدولة العثمانية وولاتها، الذين ناصبوا شيعة العراق العداء، هذا من زاوية. والزاوية الأخرى، فحين وطئت أقدام المحتلين الأنكليز أرض العراق عام 1914م، كان الشيعة أول من تصدى لهم بكل عنف، وكانت مسيرتهم

الجهادية والسياسية مرة أخرى مخضبة بالدم. في حين نلاحظ أن البعض من نخب الحكم، ممن كانوا في صميم خدمة الحكم العثماني، قد غيروا ولاءاتهم من خدمة بني عثمان إلى خدمة بني سكسون، بمجرد ما شعروا بان الدولة العثمانية آيلة للسقوط والإنحلال.

وحين ننتهي من بحث كل حلقات هذه الدراسة، نكون في صميم الخطاب السياسي المطلوب لشيعة العراق والذي يمكن أن يعكس موقفا إيجابيا لكل مكونات الشعب العراقي، بما ينسجم وطبيعة الهجمة التي يتعرض لها العراق، من قبل المستكبرين المتأثرين بالصهيونية العالمية، آخذين بنظر الاعتبار أن يكون الخطاب السياسي الشيعي، خطابا جامعاً لكل مكونات الشعب العراقي، وليس خطاباً فئويًا، قاطعين بذلك الطريق على تكرار نفس تجربة نخبة الحكم، وصولاً إلى حكم جماعي ينبثق من إرادة كل العراقيين، عن طريق وضع التصورات والمرتكزات موضع الاعتبار لما يؤدي إلى قيام «الجمهورية الثانية» بما يصون بقاءها ويجنبها عثرات الماضي وتجاوزاته.



الباب الأول الشيعية والتشيع، الفكر والمرتكزات

الفصل الأول: الشيعة لغة والتشيع إصطلاحاً، الجذور والرجال

- المبحث الأول: الشيعة لغة والتشيع إصطلاحاً

- المبحث الثاني: جذور التشيع ورجاله

الفصل الثاني: مرتكزات الفكر الشيعي، وتطوره

- المبحث الأول: مرتكزات الفكر الشيعي

- المبحث الثاني: تطور الفكر الشيعي

الفصل الأول

الشيعة والتشيع والفكر والمركزات

المبحث الأول: الشيعة لغة والتشيع إصطلاحاً

مما لا إشكال فيه أن الشيعة العرب لم يتعرضوا للطائفية السياسية، في حقب زمنية مختلفة، سواء من قبل العثمانيين أو من «أبناء العمومة» فحسب، بل أن التعريض شمل: نهج الشيعة وفكرهم ومسيرتهم الإمامية. وحيث أنهم اليوم في صميم نفس الأجواء، الأمر الذي يستدعي تبصير «أبناء العمومة» بحقيقة الشيعة والتشيع العربيين، ولكن بإسلوب مختلف عما درج عليه الآخرين، وبنهج علمي جديد، يسلط الأضواء على مجسات غاية في الأهمية والخطورة، لقطع الطريق على المغرضين وتبصيرهم، بواقع الشيعة والتشيع، لما فيه خير الأمة. ورغم أن التعريف بالشيعة والتشيع وبشيعة العراق وبكل ما يخصهم قد تم تناوله بأوقات مختلفة، إلا أن حالة الرصد لمسيرة التشيع عبر هذه الظروف الدقيقة المستجدة (حالة ضرورية) ليس من زاوية فقهية أو تاريخية فحسب إنما من زاوية سياسية وإجتماعية، وهو صلب موضوعنا.

ومع ذلك فنحن نعتقد أن الزاويتين الفقهية والتاريخية تبيان تفرضان نفسيهما في سياق البحث العلمي، ولو من زاوية تعريفية محدودة، حيث أننا لانقدم دراسة متخصصة عن فقه الشيعة وفكرهم، إلا أننا سنعطي فكرة موجزة عنهما مع تغطية للجوانب الأخرى، وبخاصة إعطاء لمحة موجزة عن الشيعة والتشيع في دول الخليج والجزيرة العربية، حتى يتحقق التكامل.

لذا ستكون مفردات هذا الفصل عبارة عن تساؤلات نسلط الأضواء عليها، بما يفي بالغرض، ومن تلك الأسئلة ماذا تعني كلمة الشيعة؟ وماهو مصطلح التشيع؟. ومن هم أئمتهم؟. وماهي عقائدهم؟. وماهو فكرهم؟. وكيف نشأ؟. وكيف تأسس وتطور؟ وماهي مركزات الفكر الشيعي الإمامي الأثني عشري؟. ومن هم شيعة الخليج والجزيرة العربية؟ ومن هم رجالهم؟ ولماذا أصبح العراف مركز التشيع في المنطقة العربية؟.

الشيعة لغة:

قال ابن منظور: «الشيعة: أتباع الرجل وأنصاره وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم

شيعة»⁽¹⁾. وقد ورد في القرآن الكريم ما يؤكد هذا المعنى، لقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ﴾ [الصفوات: 83].

وقال الطبرسي في تفسير الآية وإن من شيعة نوح إبراهيم، يعني أنه على منهجه وسنته في التوحيد والعدل وإتباع الحق وقيل: «إن معناه وإن من شيعة محمد ﷺ إبراهيم»⁽²⁾. وماورد في السنة الشريفة يؤكد هذا المعنى أيضا، قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»⁽³⁾. وكان ﷺ يشير لعلي. وذهب ابن خلدون في تعريف الشيعة إلى هذا المعنى اللغوي، وهو «الصحب والأتباع»⁽⁴⁾. ويقول د. الفياض إن أقدم من أشار إلى مصطلح الشيعة هو أبو مخنف لوط بن يحيى إستانادا لقول الإمام الحسن بن علي ﷺ لأهل الكوفة؛ «أنتم شيعتنا»⁽⁵⁾. أما الكاتب الغربي تريتون TRAITON فيتقارب مع الرأي الإسلامي فيقول عن الشيعة لغة؛ «فريقا أو حزبا أو أتباعا»⁽⁶⁾.

التشيع اصطلاحا:

إن الحديث عن التشيع اصطلاحا ليس كتعريف الشيعة لغة، فالتعريف اللغوي المجرد، هو أمر بغاية السهولة كما أسلفنا. أما التعريف الاصطلاحي، فهو أمر مختلف تماما لأنه بحقيقة الواقع أمرا ليس عاديا، على ضوء الفهم الشيعي له، لأنه في اعتقادهم أمر مرتبط

- (1) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (منشورات أدب الحوزة، قم، 1405هـ)، مجلد 8، ص 188 - 192، مادة: شيع.
- (2) الطبرسي، الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، (ط1)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1986م، ج 8، ص 1، 7.
- (3) السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير المأثور، (ط1)، بيروت، 1983م، ج 8، ص 589.
- (4) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، (منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لا، ت)، ص 196. وقد تناول كتاب وباحثون موضوع الشيعة لغة، منهم:
 - الجوهري، إسماعيل بن حماد، صحاح الجوهري، (دار الكتاب العربي، مصر، لا. ت) ج3، ص 156.
 - مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، (المكتبة الأهلية، بيروت، لا. ت)، 12.
 - الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس، (بيروت، 1956م)، مادة شيع.
- (5) د. الفياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، (ط2)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1975م، ص 31.
- (6) د. حسن عباس حسن، الفكر السياسي الشيعي، (ط1)، الدارالعالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1988م، ص 118. نقلا عن:

بتوجيه إلهي وتنفيذ رسالي، لعلاقته أصلاً بمفهوم الإمامة، لذا وجب علينا أن نعطيهِ الأهتمام المناسب، كي يتفهّمه الآخرون عن قرب. فمن رواية للسيوطي جاء فيها:

«روى عن ابن عساكر بسنده عن جابر بن عبد الله قال: كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي فقال النبي: «والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة»⁽¹⁾.

فنزل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7].

يقول الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء:

«وهكذا كان الأمر فإن عدداً ليس بقليل إختصوا في حياة النبي بعلي ولازموه وجعلوه إماماً، كمنبلغ عن الرسول، وشارح ومفسر لتعاليمه، وأسرار حكمه وأحكامه، وصاروا يعرفون بأنهم شيعة علي...»⁽²⁾.

وكان النبي محمد ﷺ يهدف من هذا التمهيد إعلان أمر غير عادي للمسلمين في قياسات المسؤوليات الكبرى، إلا وهو أمر «الإمامة». من هذا نخلص إلى أن النبي حرص على قيام (رافد حركي) في الأمة، يصون من بعده منبعي الدين والعقيدة (القرآن والسنة) - وليس بديلاً عنهما - إنما ينطق بهما قولاً، ويعمل لهما فعلاً. وحيث أن هذه المهمة تعتبر من المهمات الكبرى، شأنها شأن النبوة والرسالة، فكان لا بد أن يكون لها من أهل لها - علماً ومنزلة - فكان هارون الأمة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وإمتداده من بعده من الأئمة. ويؤكد الإمام محمد الباقر عليه السلام على عدد الأئمة فيقول:

«إن الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، كعدد نساء بني إسرائيل وكانوا إثني عشر، الفائز من والاهم، والهالك من عاداهم»⁽³⁾.

ويصفهم الإمام جعفر الصادق عليه السلام بعد أن يشير إلى أسمائهم فيقول:

«ذاك علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، وأفضل الوصيين، وخير الخلق أجمعين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. ثم الحسين، سبطا رسول الله، وإبنا خيرة النسوان، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي، ثم جعفر بن محمد، ثم موسى بن جعفر، ثم محمد بن علي، ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم ابن الحسن... وهم عترة الرسول صلى الله عليه وآله، المعروفون بالوصية

(1) السيوطي، المصدر السابق، ج8، 589.

(2) كاشف الغطاء، محمد حسين، أصل الشيعة وأصولها، (ط1، بيروت، 1983م)، ص45.

(3) الغريفي، عبد الله، التشيع، (ط1، دار الموسم للإعلام، بيروت، 1990م)، ص59. نقلًا عن: (عيون أخبار الرضا) للصدوق.

والإمامة، لا تخلو الأرض من حجة، والحجة على أهل الدنيا، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. وكل من خالفهم ضال مضل، تارك للحق والهدى، وهم المعبرون عن القرآن، والناطقون عن الرسول الله صلى الله عليه واله بالبيان، وإن مات ولا يعرفهم مات ميتة جاهلية، ودينهم الورع والعفة، والصدق، والصلاح والجهاد⁽¹⁾.

وينقل لنا ابن حجر حديث النبي عن عدول أهل البيت ونصه:

«في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين، وإنتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين. إلا وإن أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى، فأنظروا من توفدون»⁽²⁾.

لذا نلاحظ أن الشهيد السيد محمد باقر الصدر يذهب في هذا المقام للتأكيد على أن التشيع هو حالة إقتضتها ضرورات الدين، فيقول:

«وجد التشيع لا كظاهرة طارئة على مسرح الأحداث، بل كنتيجة ضرورية لطبيعة تكون الدعوة، وحاجاتها وظروفها الأصيلة، التي كانت تفرض على الإسلام أن يلد التشيع...»⁽³⁾.

ويفسر الشهرستاني التشيع بمعناه الإصطلاحي فيقول:

«الشيعة الذين شايعوا عليا رضي الله عنه، على الخصوص، وقالوا بإمامته وخلافته نصا ووصية، إما جليا وإما خفيا، وأعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده...»⁽⁴⁾.

وحين نستعرض ما كتبه الشيخ الآلوسي من مقارنة بين ما كان عليه نخبة آل البيت من أئمة الشيعة، وبين ما كان عليه طلاب السلطة من أمويين وعباسيين، نجد أنه يضع المجس على ما يميز بين الخبيث والطيب. ويقول الآلوسي:

«إذ لاحظ الشيعة بحق - كما لاحظ غيرهم أيضا - واقع معظم الخلفاء الذين وصلوا إلى سدة الخلافة، أوصلت إليهم بالوراثة (ولاية العهد) في عهد الأمويين والعباسيين، من إنحرافات في السلوك مخجلة، ومن تصرفات سيئة ومستويات فكرية وعلمية متدنية مقابل هؤلاء، كانت تعاصر أولئك التافهين المنحرفين المتخلفين، شخصيات فذة من

(1) م. ن، ص 61.

(2) ابن حجر، الصواعق المحرقة، ص 128.

(3) الشهيد الصدر، محمد باقر، بحث في الولاية، (ط2، بيروت، 1979م)، ص 70.

(4) الشهرستاني، محمد عبد الكريم، الملل والنحل، (قم، 1364 هـ)، ص 149.

أل بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليه، أجمع أهل العلم الموثوق بهم، والمؤرخون المنصفون، على أنهم كانوا قوماً في الكمال، ومصايح في ذلك الظلام، تنير الطريق للسائرين الباحثين عن الحقيقة، المتطلعين إلى البديل، زهد وإستقامة، وحكمة وسداد رأي، وعبادة وعدالة، وكرم وإيثار، وترفع عن دنابا الأمور لقد إتفق الأجماع على صلاحهم وتقواهم، ذرية بيت النبوة، أبوهم علي وأمه فاطمة، أن الأمة كانت قد ملكت زمام أمرها، مثلما ملكته في عهد الرسول والراشدين، لولتهم أمرها من دون تردد أو منافس ولما إختارت غيرهم قط»⁽¹⁾.

ومن الإشارات المبكرة التي أشرت لمذهبية التشيع، جائتنا من أبي حاتم في كتاب الزينة، ومفادها:

«أن أول إسم لمذهب ظهر في الإسلام هو الشيعة»⁽²⁾.

وهناك من المتأخرين من يذهب في القول إلى أن:

«التشيع ليس مذهاً من المذاهب، بل هو الجهاز الحركي للإسلام، الذي يستوعب ضمن منظور الأخوة الإسلامية جميع أبناء المذاهب الأخرى، لغرض السير في طريق تطبيق الإسلام، الذي بشر به رسول الله ﷺ»⁽³⁾.

ويمكن مناقشة الرأيين المتقدمين من زاويتين؛ فمن زاوية حقيقة التشيع وأهميته في الأمة كمجسد حركي للقرآن والسنة، فهو نابع من كونه يشكل آلية الإمامة لصون القرآن والسنة في إطار - التطبيق والممارسة - من الانحراف والتجاوز. ومن زاوية أن الإمامة ليست ظاهرة عفوية في الأمة، كونها إلهية التشريع، ومحمدية التنفيذ، وعلوية الأنتساب، مما نستدل به على أن النبوة جاءت للتشريع والسنن، أما الإمامة فجاءت للتجسيد والحركة، في إطار تجسيد الأحكام، وتطبيق الممارسات النبوية. وفي ضوء ماتقدم أصبحت النبوة والإمامة صنوان يكمل أحدهما الآخر بإرادة إلهية، منزهان عن التأويل والمحابة، كما دلت عليه المسيرة النبوية الشريفة منذ البعث وحتى الوفاة، وكذا المسيرة الإمامية منذ إعلانها من قبل الرسول في عام وفاته وحتى عام الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر. وما أضطلع به أولو الأمر من العلماء والمجتهدين والمراجع من مسؤوليات، في صميم الخط الإمامي ونهجه.

(1) الألوسي، الشيخ محمد، التشيع والتسنن، (لندن، 1993م)، ص 22، 23، 31.

(2) د. الوائلي، المصدر السابق، ص 27.

(3) الموسوي، علاء نجف، التطور السياسي للقيادة الشرعية في عصر الغيبة الكبرى، (ط 1، طهران،

1980م)، ص 13، عن مجلة دراسات وبحوث، السنة الأولى / العدد 2 / 1981م.

وأن الإمامة هي أكبر من الخلافة الزمنية، بل إن الخلافة الزمنية يمكن أن نعتبرها حلقة مفصلية من حلقات الإمامة، من حيث أن الإمامة هي حالة حركية مستمرة في الأمة في الزمن المطلق، مادامت الأمة في الوجود، سواء كانت هناك خلافة (لأمام إثني عشري) أو لم تكن. فالإمامة التي شرعت في عهد النبي، هي في إطار الاستحقاقات لها خصوصياتها، وهو ما ينجر تبعاً لذلك على خصوصيات التشيع الذي تقف الإمامة على قمته، ومن حيث كون أن المذاهب هي نتاج جهود وقناعات بشرية فردية، في حين أن التشيع هو خلاصة الإمامة الإلهية، التي أنهل النبي أئمة الأوائل من علمه ودرأيته، فهو نتاج (جماعي) تواكب في صياغته إثنا عشر إماماً من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وبتمهيد ومباركة محمدية. وبهذا يبرز الفرق بين خصوصيات التشيع وخصوصيات المذاهب الأخرى، وهذا لا يلغي مقولتنا في المقدمة، عن أن المذاهب الإسلامية تختلف في الفروع ولا تختلف في الأصول، من حيث أن هذه المقولة تبعاً لذلك هي الأخرى، لا يمكن أن تلغي تلك الخصوصيات. ونحن بهذا لا نطرح تصوراً جديداً للتشيع، إنما نعرض وجهة نظر مختلفة عما درج عليه الفهم العام عن حقيقة التشيع، من منطلقات ليست كلها من صنع الإنسان.

لذا يجب أن يكون الإدراك لهذه الحقيقة بعمق عائدة هذه المنطلقات، وليس بمعزل عنها، حتى تكون الصورة أكثر دقة ويكون الفهم أكثر إستيعاباً.

وإن إطلاق كلمة (شيعة إمامي) هو أدق معنى، وأميز تعبير، يجسد هذه الحقيقة، كونه مختصر ينبع من أصل الإمامة الإلهية التي خصها الله لعلي. ومن حيث أنه جرى التعارف والتداول عبر التاريخ الطويل بتوصيف التشيع بالمذهب، إلا أن تداول هذا التوصيف لا يلغي ما ذهبنا إليه من تحليل. كما نلاحظ أن أطروحة التشيع، هي حركة أصيلة ومعبرة عن أصل التجربة العربية الإسلامية التي قادها النبي بما تحمله من طموحات في صدر الإسلام الأول، وقد أراد ﷺ أن تكون إطروحة التشيع (مجسداً حقيقياً لعملية التغيير) أي حالة حركية مستمرة لما بدأه هو، من حيث أن عملية التغيير ما زالت حديثة العهد، تحتاج إلى فاصل زمني مناسب، لتأخذ أبعادها ومضامينها الحقيقية في حياة الأمة. فالتشيع أثبت عبر أحداث الأمة أنه تعبير صادق وأصيل وصورة ناطقة للتجربة العربية الإسلامية، بما تحمله من أبعاد ثورية ومضامين إنسانية. وإن واقع الأحداث أكد تلازم التيارين العروبي والأسلامي في الحركة الشيعية الأستقلالية، وهو ما يجب أن يعود وبعث، ليس ضمن الحركة الشيعية فحسب، إنما ضمن الحالة العراقية وليس بمعزل عنها، بأي ظرف كان. لأنه الترجمة الواقعية التي تعبر بحق عن أصالة الأمة، وتعكس طموحاتها الحقيقية، في الحياة الحرة الكريمة. وإن التجربة النضالية التي سادت وتسود هذا العصر جاءت لتؤكد بأن الحركة

الشيعة تمثل حالة متقدمة في النضال من أجل حقوق شعب ومصير وطن، يتعرضان للتآمر الاستعماري الصهيوني، وإن تفاعل الحركة الشيعة مع الحالات الأخرى على طريق (الوطنية والعروبة والإسلام) سيؤدي بلا ريب لتحقيق الهدف، بما يمكن أن يحقق يوم الخلاص الوطني من الدكتاتوريات، الذي تنشده كل مكونات الشعب العراقي.

المبحث الثاني: جذور التشيع ورجاله:

في الحديث عن العمق التاريخي لجذور التشيع ورجاله نجد ان هناك حزمة من الآراء والأستنتاجات، لكن هذه الحزمة تنحصر في كل الأحوال بين عهدي النبوة وإمامة الصادق. إلا ان الرأي السائد عند غالبية الشيعة من فقهاء وباحثين ومؤرخين، هو أن جذور التشيع ورجاله يمتد في عمق التاريخ الإسلامي، منذ عهد النبوة. ولا يقتصر هذا الرأي على الشيعة، بل يؤيده آخرون من غير الشيعة. وإن النوبختي من أعلام القرن الثالث الهجري من أوائل من قال، أن:

«الفرق الشيعة وهم فرقة علي بن أبي طالب عليه السلام، المسمون بشيعة علي عليه السلام، في زمان النبي ﷺ وبعده، معروفون بإنقطاعهم إليه والقول بإمامته ومنهم: المقداد بن الأسود الكندي، وسلمان الفارسي، وأبو ذر جندب بن جنادة الغفاري، وعمار بن ياسر المذحجي، ممن وافق مودته، مودة علي بن أبي طالب، وهم أول من سمي بأسم التشيع من هذه الأمة، لأن إسم التشيع قديم قدم شيعة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى والأنبياء»⁽¹⁾.

أما كاشف الغطاء فينسب البذرة الأولى للتشيع للرسول ﷺ فيقول:

«إن أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام، هو صاحب الشريعة الإسلامية...»⁽²⁾. وقد أورد البرقي بعض رموز شيعة علي في عهد النبي ويسميه بـ (الأصفياء) ومنهم: «سلمان المقداد، أبو ذر، عمار، أبو ليلي، شبير، أبو سنان، أبو عمرة الخدري، أبو برزة، جابر بن عبد الله، البراء بن عازب، عرفة الأزدي»⁽³⁾.

ويأتي بعده من المحمدين السبحاني، فيشير إلى رواد التشيع لعلي في عصر النبي،

(1) النوبختي، حسن بن موسى، فرق الشيعة، (دار الأضواء، بيروت، 1984م)، ص 17.

(2) كاشف الغطاء، م. س، ص 42. راجع الصواعق المحرقة لأبن حجر ص 101. وتفسير السيوطي في تفسير: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مَادَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: 33].

(3) البرقي، أحمد بن أبي عبد الله، الرجال، (طهران، لا. ت)، ص 1، ت: 274، أو 280 هـ.

ومنهم مشاهير بني هاشم، وعلى رأسهم: عقيل بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس. كما ويشير إلى الأتباع والأنصار، وعلى رأسهم؛ أبو ذر الغفاري، وسلمان المحمدي، وجابر بن عبد الله الأنصاري. أما الوائلي فيشير إلى عددهم بأنتهم مائة وثلاثون صحابي⁽¹⁾، كلهم عرب، فيما عدا قلة منهم. وحين يتحدث د. كامل عن التشيع يقول:

«إن التشيع قد عاصر بدء الإسلام، بإعتباره جوهره له وأنه ظهر كحركة سياسية، بعد ان نازع معاوية عليا على الإمارة، وتدبير شؤون المسلمين، ويتبين بعد ذلك أن تبلو الحركة السياسية تحت إسم الشيعة كان بعد مقتل الحسين عليه السلام مباشرة. . يمكننا أن نخلص. . أن التشيع كان تكتلا إسلاميا ظهرت نزعتة أيام النبي، وتبلور إتجاهه السياسي، بعد مقتل عثمان، وإستقل الأصلاح الدال عليه بعد مقتل الحسين»⁽²⁾.

وهناك آراء بخصوص جذور التشيع، أشارت إلى مفاصل تاريخية ظهر فيها التشيع، مع تباين فيما بينها، فمنهم من يرى أن التشيع حصل في عهد إعلان إمامة علي من قبل النبي في (غدِير خم) في حجة الوداع، ومنهم من يرى أنه حصل في عهد خلافة عثمان، وهناك من يعتقد أنه ولد في خلافة علي، ومنهم من إعتبر معركة صفين بين جيش معاوية وجيش علي عاملا من عوامل ظهور التشيع، وقسم يرى أن التشيع ولد بعد واقعة الطف في كربلاء، ومنهم من إعتبر أن التشيع بدأ على عهد الإمام جعفر الصادق عليه السلام. وقسم جعل من التشيع حالة أجنبية طارئة، وآخر ذهب إلى تشويه التشيع فغتنه بنعوت ظالمة⁽³⁾. إلا أن ما نذهب إليه بهذا

(1) السبحاني، جعفر، الشيعة في موكب التاريخ، (ط1، إيران، 1413 هـ)، ص33 - 41.

- د. الوائلي، أحمد، هوية التشيع، (ط2، دار الكتاب الإسلامي، قم، 1403 هـ). ص 33.

- بن عبد البر، يوسف بن عبد الله، الأستيعاب، (حيدر آباد، 1336 هـ)، ج1، ص 280.

- الخليلي، جعفر، موسوعة العتبات المقدسة، (بيروت، 1965م)، فصل الشيعة: بقلم الأنصاري.

(2) د. مصطفى، كامل، الصلة بين التصوف والتشيع، (ط2، مصر، 1969م)، ص 23.

(3) كولد تسيهر، المستشرق، العقيدة والشريعة، ص174.

- أمين، أحمد، فجر الإسلام، (ط10، بيروت، 1983م)، ص266.

- أبو ريان، محمد علي، تاريخ الفكر الفلسفي في الإسلام، (بيروت، لا. ت)، ص125.

- د. الوائلي، أحمد، هوية التشيع، (بيروت، 1987م)، ص24، 25.

- نعمة، عبد الله، روح التشيع، (بيروت، 1985)، ص22.

- د. الشيبلي، كامل مصطفى، الصلة بين التصوف والتشيع، (ط3، بيروت، 1982م)، ص22.

- الصدر، محمد باقر، التشيع والإسلام، (ط4، بيروت، 1973م)، ص49.

- د. حسين، طه، الفتنة الكبرى، (منشورات دارالمعارف، القاهرة، 1956م). ج2، ص173، 174.

الخصوص، وفق تسلسل المواقف والأحداث هو أن التشيع بدأت نبتته الأولى مع بداية عهد النبوة، حين نفذ النبي نص قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]. حين جمع أهل بيته وطلب مؤازرتهم على الدين الجديد، ولم ينبري لهذه المؤازرة سوى علي، مما حدا بالنبي، أن يعلن أن عليا هو وزيره وخليفته⁽¹⁾. وإن التشيع إذا لم يكن قد أخذ شكله الرسمي في هذا الإعلان كونه كان محصورا بيني هاشم، إلا أن التشيع قد حقق هدفه المرحلي في الإعلان المحمدي لإمامة علي في «غدير خم» في حجة الوداع، حين كانت الجموع شاهدة عليه.



(1) الزعامة: علي بن أبي طالب ودوره الفكري: غالب الناهي؛ صحيفة الهدف الموصل؛ 4 مارس 1963م.

الفصل الثاني

مرتكزات الفكر الشيعي وتطوره

المبحث الأول: مرتكزات الفكر الشيعي

يمكن اجمال مرتكزات الفكر الشيعي كما يلي:

أولاً: المرتكز العقائدي:

ويقوم المرتكز العقائدي عند الشيعة على خمس: التوحيد، العدل، والنبوة، والمعاد، والإمامة. وقد رأينا أنه من الضروري لبحثنا هذا، أن نشير بإختصار شديد إلى فحوى كل عقيدة من هذه العقائد التي يمكن ادرجها كما يلي:

التوحيد: وهو الاعتقاد بوحدانية الله وعدم الشرك به.

وقد إعتمدنا بخصوص ذلك على نصوص أوردها الإمام محمد حسين كاشف الغطاء اذ يقول:

«يجب على العاقل بحكم عقله عند الأمامية، تحصيل العلم والمعرفة بصانعه، والاعتقاد بوحدانيته في الألوهية، وعدم شريك له في الربوبية واليقين بأنه هو المستقل أن شيئاً من الرزق أو الخلق أو الموت أو الحياة لغير الله، فهو كافر مشرك خارج عن رتبة الإسلام... وكذا يجب عندهم إخلاص الطاعة والعبادة لله، فمن عبد شيئاً معه أو شيئاً دونه أو ليقربه زلفى إلى الله فهو كافر عندهم أيضاً. ولا تجوز العبادة إلا لله وحده لا شريك له، وطاعة الأنبياء والأئمة عليهم السلام، فيما يبلغون عن طاعة الله، ولكن لا بدعوى أنها عبادة لله فإنها خدعة شيطانية وتلبيسات إبليسية. نعم التبرك بهم والتوسل إلى الله بكرامتهم ومنزلتهم عند الله، والصلاة عند مراقدهم لله كله جائز وليس من العبادة لهم بل العبادة لله. وفرق واضح بين الصلاة لهم والصلاة لله عند قبورهم - لقوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تَرْفَعَ وَيُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمَاءُ﴾ [النور: 36]. هذه عقيدة الأمامية في التوحيد المجمع عليها عندهم على إختصار وإيجاز»⁽¹⁾.

العدل: وهو الإعتقاد بأن الله عادل لا يظلم أحداً، وهو الذي أقام السماوات والأرض بالعدل.

(1) كاشف الغطاء، م. س، ص 61، 63.

ويحدثنا كاشف الغطاء عن ذلك أيضاً قائلاً:

«ويراد به الإعتقاد بأن الله سبحانه ل يظلم أحداً، ولم يفعل ما يستقبحه العقل السليم، وليس هذا في الحقيقة أصلاً مستقلاً، بل هو مندرج في نعوت الحق، ووجوب وجوده المستلزم لجامعيته لصفات الجمال والكمال، فهو شأن من شؤون التوحيد»⁽¹⁾.

النبوة: وهو الأعتقاد بأن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم رسل من الله، وأن محمداً خاتم الأنبياء وسيد الرسل، والمجمع عليه عند الشيعة الأمامية بخصوص هذه العقيدة. ويقول كاشف الغطاء عن ذلك:

«يعتقد الشيعة الأمامية أن جميع الأنبياء الذين نص عليهم القرآن الكريم، رسل من الله، وعباد مكرمون، بعثوا لدعوة الخلق إلى الحق، وأن محمداً خاتم الأنبياء وسيد الرسل، وأنه معصوم عن الخطأ والخطيئة، وأنه ما أرتكب المعصية مدة عمره وما فعل إلا ما يوافق رضا الله سبحانه حتى قبضه الله إليه. وأن الله سبحانه أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج من هناك بجسده الشريف إلى ما فوق العرش والكرسي وما وراء الحجب والسرادات، حتى صار بها قاب قوسين أو أدنى. وأن الكتاب الذي أنزله الله إليه للإعجاز والتحدي ولتعليم الأحكام، وتمييز الحلال من الحرام، وأنه لا نقص فيه ولا تحريف ولا زيادة، وعلى هذا إجماعهم ومن ذهب منهم أو من غيرهم من فرق المسلمين إلى وجود نقص فيه أو تحريف فهو مخطئ نص الكتاب العظيم «إنا نحن أنزلنا الذكر وإنا له لحافظون»⁽²⁾. والأخبار الواردة من طرفنا أو طرفهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً فيما أن تأول بنحو من الاعتبار، أو يضرب بها الجدار ويعتقد الأمامية أن كل من إعتقد أو إدعى نبوة بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله هو كافر. فالرسول ﷺ أسرى إلى المسجد الأقصى، ثم عرج من هناك بجسده الشريف إلى ما فوق العرش والكرسي وما وراء الحجب والسرادات، حتى صار بها قاب قوسين أو أدنى. والأخبار الواردة من طرفنا أو طرفهم الظاهرة في نقصه أو تحريفه ضعيفة شاذة، وأخبار آحاد لا تفيد علماً ولا عملاً فيما أن تأول بنحو من الاعتبار، أو يضرب بها الجدار ويعتقد الأمامية أن كل من إعتقد أو إدعى نبوة بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو نزول وحي أو كتاب فهو: كافر يجب قتله»⁽³⁾.

(2) المرجع السابق، ص 64.

(1) م. ن، ص 63، 64.

(3) أيضاً، ص 75.

المعاد: وهو الاعتقاد بأنه تعالى شأنه يعيد الخلق بعد موتهم ليوم الحساب والجزاء. ويقول كاشف الغطاء عن الميعاد:

«يعتقد الإمامية كما يعتقد سائر المسلمين، أن الله سبحانه يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب أو للجزاء. . . ويؤمنون بجميع ما في القرآن والسنة القطعية من الجنة والنار، ونعيم البرزخ وعذابه، والميزان والصراف والأعراف، والكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها. وإن الناس مجزيون بأعمالهم ان خيرا فخير، وإن شرا فشر ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾⁽¹⁾ [الزلزلة: 8]، إلى غير ذلك من التفاصيل بالمذكورة في محلها من كل ما صدح به الوحي الأمين وأخبر الصادق الأمين»⁽²⁾.

الإمامة: وهو الاعتقاد بإمامة علي عليه السلام؛ بنص إلهي، إستنادا لحديث الغدير، الذي رواه اثنا عشر بدرية، وثلاثون صحابياً. بطرق مختلفة لكنها متقاربة. والمجمع عليه عند الشيعة الإمامية، أن الإمامة هي ركن من أركان معتقداتهم. ويقول كاشف الغطاء:

«وقد أنبأناك أن هذا هو الأصل الذي إمتازت به الإمامية وإفترقت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهرية أصلي، وما عداه من الفروق فرعية عرضية، كالفروق التي تقع بين أئمة الإجتهد عندهم كالحنفية والشافعية وغيرهما وعرفت أن مرادهم بالإمامة كونها منصبا إلهيا يختاره الله بسابق علمه بعباده، كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم بإتباعه ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي وينصبه علما للناس من بعده وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يثقل على الناس، وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لأبن عمه وصهره. ومن المعلوم أن الناس ذلك اليوم وإلى اليوم، ليسوا على مستوى واحد من الإيمان واليقين بنزاهة النبي، وعصمته عن الهوى والغرض، ولكن الله سبحانه لم يعذره في ذلك، فأوحى إليه: ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولَ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: 67]، فلم يجد بدا من الأمثال بعد هذا الإنذار الشديد، فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدير خم، فنادى وجلهم يسمعون: الست أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا: اللهم نعم فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه وعادي من عاداه، وأنصر من نصره». ثم أكد ذلك في مواطن أخرى تلويحا وتصريحا وإشارة ونصا، حتى أدى

(1) كاشف الغطاء، م. س، ص72.

(2) ابن حنبل، الفقيه أحمد، مسند الإمام أحمد، (مصر، 1313 هـ)، ج1، ص 37. وج4، ص370.

الوظيفة وبلغ عند الله المعذرة⁽¹⁾.

«إن الإمامية تعتقد أن الله سبحانه لا يخلي الأرض من حجة على العباد من نبي أو وصي ظاهر مشهور، أو غائب مستور، وقد نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأوصى إلى ولده الحسن وأوصى الحسن أخاه الحسين وهكذا إلى الإمام الثاني عشر (المهدي المنتظر) وهذه سنة الله في جميع الأنبياء من آدمهم إلى خاتمهم. وقد الف جم غفير من أعظم علماء الدين مؤلفات عديدة في إثبات الوصية⁽²⁾».

وفي ضوء ماتقدم فإن الإمامة لم تكن بدعة من البدع بل كانت تشكل روح التشيع، وإن التشيع يشكل آلية الإمامة وهي ليست حالة طارئة في الأمة إنما هي تشريع إلهي خصه الله لعلي وأمر رسوله بتبليغه للناس، وقد مر أمر التبليغ هذا بشروط طويل من التمهيد وعبر مراحل متعددة راعى فيها الرسول الأعظم ﷺ البيئة والأجواء المحيطة، إلى أن كان يوم الإعلان المحمدي للإمامة في غدیر خم. هذا ما تعارفت عليه الشيعة الإمامية الإثني عشرية مستوحية ذلك عن طريق الإيمان (بعصمة النبي ومعاجزه) إستنادا لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ (٣) ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ (٤) [النجم: 3-4]. وإن النبي الذي نفذ الأمر الإلهي بخصوص الإمامة فإنه، لم يلتفت بالضرورة أن يتولى عليا والأئمة من بعده أمر الخلافة، لأن الإمامة أكبر من الخلافة، ويترتب عليها مسؤوليات كبرى، فمسؤولياتها إذن مسؤوليات غير عادية، وإن ممارسة دورها الريادي في الأمة يتجاوز الزمن المحدد إلى الزمن المطلق، وإن كان تلازم الخلافة والإمامة فيه درجة من التكامل. ومما يدعم هذه النظرية أن الإمام علي قد مارس مسؤوليات الإمامة، بوجود الخلفاء الثلاثة الذين سبقوه والتجأهم إليه هم وغيرهم من المسلمين إذ أخذوا منه الكثير في إطار التطبيق والممارسة في الفقه والقضاء والأحكام والسنة والمشورة وفي كل ما يتصل بالإسلام ومصالحه، ونفس الشيء ينطبق على الأئمة من ولده.

(1) كاشف الغطاء، م. س، ص 65، 66.

(2) م. ن، ص 67، 68. وقد أورد كاشف الغطاء بعض مؤلفات إثبات الوصية ومنها:

مؤلفات القرن الأول والثاني الهجري: (كتاب الوصية) لهشام بن الحكم. (الوصية) للحسين بن سعيد. (الوصية) للحكم بن مسكين. (الوصية) لعلي بن الحسين بن الفضل. (كتاب الوصية) لإبراهيم بن محمد بن سعيد بن بلال. (الوصية) لأحمد بن محمد بن خالد البرقي. (الوصية) لعبد العزيز بن يحيى الجلودي. أما مؤلفات القرن الثالث الهجري فهي: (الوصية) لعلي بن رثاب. (الوصية) لمحمد بن المستفاد. (الوصية) لمحمد بن أحمد الصابوني. (كتاب الوصية والإمامة) لعلي بن حسين المسعودي. (لوصية) لمحمد بن الحسن بن فروخ. (الوصية) لمحمد بن الطوسي. (الوصية) لمحمد بن علي الشلغماني (الوصية) لموسى الحسن بن عامر.

وحيث أن التمهيد الذي إضطلع فيه النبي في تحضير الأرضية المناسبة، لإعلان الأمر الإلهي، بخصوص الإمامة، قد إستغرق فاصلا زمنيا إمتد من بدء الدعوة للعشيرة الأقربين وحتى حجة الوداع، لذا أصبح البحث الموجز في طبيعة التمهيد الرسالي للإمامة أمرا ضروريا لمثل هذا الموضوع.

بحث مختصر في التمهيد لأعلان الإمامة:

مرت مهمة التمهيد والأعلان للإمامة بمرحلتين، نمر على ذكر بعض مواقفها دون الأسهاب.

- المرحلة الأولى: وتتضمن المواقف التالية:

1 - الموقف الأول: تبليغ العشيرة

حين نزلت الآية الكريمة: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]. جمع الرسول عشيرته من أعمامه وأبنائهم والمتعلقين بهم، وهم نحوا من أربعين رجلا. فخطب ﷺ قائلاً:

«... وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه فأياكم يؤازني على هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم» فلم يستجب له أحدا منهم غير علي الذي قال: «أنا يا نبي الله أكون وزيرك عليه» فأخذ محمد برقبة علي ثم قال: «إن هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم، فإسمعوا له وأطيعوا...».

ويمكن ان نبين ان هذه المفردات وهذا الموقف وردت في عدة مصادر، وبصور متقاربة⁽¹⁾. ولله در الفضل بن العباس الذي أنشد شعرا في هذا المقام حين قال:

وكان ولي الأمر بعد محمد علي وفي كل المواطن صاحبه
وصي رسول الله حقا وصنوه وأول من صلى وما ذم جانبه

2 - الموقف الثاني: المؤاخاة

لما آخى الرسول بين أصحابه من المهاجرين والأنصار قال علي:

(1) كنز العمال ج 6 ص 155، 392، 397. الإصابة ج 1 القسم الرابع ص 214. الرياض النظرة ج 2 ص 163.

طبقات بن سعد ج 1 القسم الأول ص 124. الدر المنثور في ذيل تفسير الآية: ﴿قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: 25] نور الأبصار ص 70 إستنادا لتفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ...﴾ [المائدة: 55]. كما ورد في تفسير الرازي لهذه الآية.

«يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤأخي بيني وبين أحد منهم» فرد الرسول قائلاً: «والذي بعثني بالحق نبيا ما أخرجتك إلا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي من بعدي وأنت أخي ووارثي، ثم تلا: «إخوانا على سرر متقابلين المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض».

وردت مفردات هذا الموقف في عدة مصادر أيضا، وبصور متقاربة⁽¹⁾.

3 - الموقف الثالث: زواج الصنوين

كانت فاطمة عليها السلام من أقرب الناس لنفس وروح النبي، وهو القائل عنها «فاطمة بضعة مني» و«فاطمة أم أبيها»، فحين آلت إلى سن الزواج طمع فيها القوم للتقرب بها إلى رسول الله، ليزدادوا بها شرفا ومكانة، وكان جلهم من علية القوم مثل: أبو بكر وعمر وأبن عوف وأبن عباد، إلا أن النبي كان يردهم ردا جميلاً «لم ينزل القضاء بعد». في هذا الموقف كثرت ملححة القوم على علي كي يتقدم لخطبة الزهراء، وكان القوم إقتنعوا في أن عليا هو الزوج المنتظر لفاطمة، ورغم تردد علي لتبنيه من هذا الأمر، إلا أنه حسم الأمر في المحصلة، في الرضوخ لتلك الأبحاث. وحين تقدم لرسول الله قاصدا خطبة فاطمة، قال النبي ﷺ:

«ما حاجة علي؟» قال علي: «يارسول الله ذكرت فاطمة» فقال الرسول: «مرحبا» وقد خطب الرسول بهذه المناسبة بجمع من المسلمين، إلى أن قال: «... ثم إن وأهلا الله تعالى قد أمرني أن أزوج فاطمة بنت خديجة من علي بن أبي طالب». وحين خاطب الرسول إبنته بهذا الخصوص قال لها: «أما علمت أن الله عز وجل أطلع على أهل الأرض فأختار منهم أباك فبعثه نبيا ثم أطلع الثانية فأختار بعلك، فأوحى إلى فأنكحته واتخذته وصيا».

ولله در الشاعر الذي قال:

(1) صحيح الترمذي ج2 ص 299. صحيح بن ماجة ص 12. مستدرک الصحيحين ج3 ص 14، 126، 159. مسند الإمام أحمد ج1 ص 159، 230. طبقات بن سعد ج3 القسم الأول ص 13، وج 8 ص 114. الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: 72]. كنز العمال ج3 ص 61، 154، 155، وج6 ص 122، 394، 398، 400. الرياض النضرة ج1 ص 13، 15، 17، وج2 ص 168، 201. ذخائر العقبى ص 92. أسد الغابة ج3 ص 317. الاستيعاب ج2 ص 460. حلية الأولياء ج7 ص 256. تاريخ بغداد ج12 ص 268. الصواعق المحرقة ص 74، 75. كنوز الحقائق ص 27. مجمع الهيثمي ج9 ص 121. الإصابة ج8 القسم الأول ص 183.

أخوه إذا عد الفخار وصهره فلا مثله أخ ولا مثله صهر
وقد وردت هذه المفردات وهذا الموقف في في عدة مصادر، وبصور متقاربة⁽¹⁾.

4 - الموقف الرابع: مدينة العلم وبابها

ومن أحاديثه عليه السلام المأثورة في علم علي ودرايته وتفقهه في الدين قوله:
«أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت من باب». وقوله عليه السلام: «ليهنك العلم
أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلت نهلاً». ويضيف عليه السلام قائلاً عليه السلام: «والله لقد
أعطي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر».
ولسعة علم علي ودرايته وتفقهه في الدين كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يخاطبه قائلاً: «يا علي أنت
تبين لأمتي ما اختلفوا فيه من بعدي». لذا كان علي يقول وهو الوحيد القائل بعد رسول الله:
«سلوني قبل أن تفقدوني» وحقا له أن يقول:

«وما من آية نزلت في بر أو بحر أو في سهل أو جبل إلا عرفت حين نزلت وفيم نزلت.
ولو ثبتت لي وسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الأنجيل بإنجيلهم،
وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل القرآن بقرآنهم».

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم هنا إنما يجسد قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتِ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا
وَوَاءَنذَرْتَهُمْ وَكَلَّمَ شِقْوَةَ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]. فعن حبر الأمة عبد الله بن عباس عن
علي كرم الله وجهه قال:

«أنا والله الإمام المبين أبين الحق من الباطل ورثته من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

ولم لا يقول عليا ذلك والنبى يؤكد قاطعا في علي المقولات الآتية:

«أنه الإمام الذي أحصى الله تبارك وتعالى فيه علم كل شيء»

«علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيفما دار»

«أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون»

«علي مع القرآن والقرآن مع علي، لا يفترقان حتى يردا علي الحوض».

«يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى»

(1) مستدرك الصحيحين ج 3 ص 129. أسد الغابة ج 4 ص 42. كنز العمال ج 6 ص 153، 192 وج 7
ص 106. نور الأبصار ص 102. كنوز الحقائق ص 241. ذخائر العقبى ص 31، 32. فيض القدير ج 2
ص 215. الدر المنثور في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ يَبْتِغِيَانِ بَرْحًا لَا يَبْتِغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَيَأْتِي
ءَالَاؤُكُمْ نَكِّدًا بَآيَاتٍ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا الذُّلُومُ وَالْمَرَمَاتُ ﴿٢٢﴾ فَيَأْتِي ءَالَاؤُكُمْ نَكِّدًا بَآيَاتٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الرحمن: 19-23].

وقد وردت مفردات هذا الموقف في مصادر عديدة، وبصور متقاربة⁽¹⁾.

5 - الموقف الخامس: المباهلة بآل محمد

حين أراد الله تعالى إيقاع الحجة على النصارى، بعد أن كثرت حججهم وأعدارهم، وذلك بمباهلتهم بآل رسول الله، فأنزل تعالى هذه الآية المباركة:

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران: 61].

فما كان من الرسول إلا تنفيذ هذا الأمر الإلهي، فدعى ﷺ كل من علي وفاطمة والحسن والحسين وقال: «اللهم هؤلاء أهلي» وتهياً بهم لمواجهة نصارى آل عمران. حينها خرج عليه مرط من شعر أسود، وقد احتضن الحسين، وأخذ بيد الحسن، وفاطمة تمشي خلفه، وعلي خلفهما وهو يقول:

«إذا دعوت فأمنوا».

فقال أسقف نجران:

«يا معشر النصارى إنني أرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لأزاله بها، فلا تباهلوهم فتهلكوا، ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة».

وهكذا حسم أسقف نجران الأمر حين أيقن أن مباهلة أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، يعني الهلاك، وهو ما عزى بالقوم، فأتعظوا وعزفوا. ونلاحظ أن الرسول بأمر من الله أراد أن يضيفي على آل بيته وهم، علي وفاطمة وحسن وحسين، هالة من القدسية والإعجاز. ويحدثنا أبو بكر عن ذلك قائلاً:

«رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، خيم خيمة، وهو متكئ على قوس عربية، وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: «معشر المسلمين أنا سلم لمن سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد، ولا يبغضهم إل شقي الجد ردي الولادة».

(1) صحيح البخاري في كتاب بدء الخلق. صحيح ابن ماجه ص 12. مسند أحمد بن حنبل ج 1 ص 174 وج 5 ص 26. مسند أبو داود ج 1 ص 28. خصائص النسائي ص 15، 16. صحيح الترمذي ج 2 ص 299، 301. مستدرک الصحيحين ج 3 ص 12، 124، وج 5 ص 26. تهذيب التهذيب ج 7 ص 338. سنن البيهقي ج 5 ص 59. الصواعق المحرقة ص 73. الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُمْ﴾ [النور: 36].

ولقد وردت مفردات هذا الموقف في مصادر عديدة، وبصور متقاربة⁽¹⁾.

6 - الموقف السادس : سد الأبواب إلا بيت علي

يحدثنا النسائي في خصائصه عن الحرث بن مالك قوله :

«أتيت إلى مكة فلقيت سعيد بن أبي وقاص فقلت له : سمعت لعلي منقبة؟ قال : كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد فروى فينا لسده ليخرج من في المسجد، إلا آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وآل علي، قال : فخرجنا، فلما أصبح أتاه عمه فقال : يارسول الله أخرجت أصحابك وأعمامك وأسكنت هذا الغلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما أنا أمرت بإخراجكم، ولا بإسكان هذا الغلام، إن الله هو أمر به» .
وحين سئل عبد الله بن عمر(رض) عن علي أجاب بما قل ودل من الكلام «ما في المسجد بيت غير بيته» وهذا يعني التكريم الاستثنائي من الله تعالى .

وكان النبي يبين فضل علي ومكانته وأهل بيته . فيخاطب علياً أمام الملائكة قائلاً :

«ومثلكم يا علي مثل بيت الله الحرام من دخله كان آمناً» .

وحين نزل قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى : 23] . سئل رسول الله ﷺ عن الذين وجبت مودتهم بهذه الآية الكريمة، فقال : «علي وفاطمة وأبناهما» .

وردت مفردات هذا الموقف في مصادر عديدة، وبصور متقاربة⁽²⁾.

ومما تقدم يتضح أن بيت علي كان لصيقاً ببيت الله وبيت النبي، فهذا هو الله عز شأنه

(1) صحيح مسلم في كتاب فضائل الصحابة . صحيح الترمذي ج 2 ص 166 . الكشاف في تفسير الآية موضوعة الإشارة . التفسير الكبير في تفسير الآية موضوعة الإشارة . نور الأبصار ص 100 . تفسير ابن جرير ج 3 ص 212 ، 213 في تفسير الآية موضوعة الإشارة . الدر المنثور في تفسير الآية موضوعة الإشارة . أسباب النزول ص 75 . الصواعق المحرقة ص 93 . مستدرك الصحيحين ج 3 ص 172 . العقاد، م . س ، ص 175 .

(2) صحيح الترمذي ج 2 ص 301 . مستدرك الصحيحين ج 3 ص 116 ، 125 ، 172 . مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 175 ، 330 ، وج 2 ص 26 . خصائص النسائي ص 13 . حلية الأولياء ص 152 ، 408 . ميزان الاعتدال ج 2 ص 194 . مجمع الزوائد ج 9 ص 115 . تفسير الطبري ج 25 ، ص 16 ، 17 . الدر المنثور في تفسير قوله تعالى : ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى : 23] . أسد الغابة ج 5 ص 367 . ذخائر العقبى ص 25 . الصواعق المحرقة ج 1 ص 102 ، 218 . تفسير الكشاف في تفسير الآية المشار إليها .

مسجد يذكر فيه إسمه ، وهذا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، بيت يفوح منه عبق الرسالة والوحي ، وهذا علي كرم الله وجهه بيت تتجسد فيه وصاية الله ورسوله . وكل ذلك يدل على عمق الروابط بين : نور السماوات والأرض الله ، وصاحب رسالة السماء محمد ، ووارث الوصاية الإلهية علي .

7 - الموقف السابع : الأداء والتبليغ عن الرسول

لم يقف الأهتمام بعلي عند حدود معينة ، إنما تجاوزتها إلى الأداء والتبليغ ، فقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن لا يقوم في الأداء والتبليغ إلا هو - أي النبي - أو رجل من أهل بيته ، وهو ما حصل فعلاً بتكليف علي من قبل النبي ﷺ إبلاغ أهل مكة سورة براءة :

﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُحْزِي الْكٰفِرِينَ ﴿٢﴾﴾ [التوبة: 1-2].

وبعد أن تم لعلي مهام الأداء والتبليغ نيابة عن رسوله الكريم نادى قائلاً :

«ذمة الله ورسوله بريئة من كل مشرك فسيحوا في الأرض أربعة أشهر ، ولا يحجن بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ولا يدخل الجنة إلا مؤمن» .
وقد وردت مفردات هذا الموقف في عدة مصادر وبصور متقاربة⁽¹⁾ .

هذا حقيقة نزر قليل من فيض الأحاديث النبوية التي وردت في صحاح ومصادر «مدرسة الخلافة» ، بخصوص التمهيد الرسالي وصولاً للإعلان المحمدي لإمامة علي . إلا أننا ونحن نتصفح تلك المصادر والصحاح والمراجع تجمع بين يدينا من الألقاب والكنى والصفات ما لا يحصى ، ومن تلك الألقاب والكنى والصفات ثلاثة وثمانون ، وقد أطلقها الرسول على علي في مناسبات عديدة ، وهذا النوع من الأهتمام من الرسول لا يخرج عن سياق التمهيد العام للإمامة .

وقد ردت هذه الصفات والألقاب والكنى في مجموعة كبيرة من صحاح ومصادر «مدرسة الخلافة»⁽²⁾ . وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر بعضها :

(1) صحيح الترمذي ج 2 ص 183 . خصائص النسائي ص 20 . مستدرك الصحيحين ج 3 ص 51 . مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 3 ، 246 ، 330 . الدر المنثور في تفسير السورة . تفسير بن جرير ج 10 ص 46 ، 47 . ذخائر العقبي ص 69 . كنز العمال ج 1 ص 246 ، وج 6 ، ص 399 . مجمع الهيثمي ج 4 ص 11 .

(2) صحيح الترمذي ج 2 ص 298 . خصائص النسائي ص 3 . مستدرك الصحيحين ج 3 ص 119 ، 12 ، 124 ، 127 ، 137 . الدر المنثور في تفسير قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: 7] . الإصابة ج 1 القسم الرابع ص 217 وج 7 القسم الأول ص 167 . الرياض النضرة ج 2 =

«أمير المؤمنين، الصديق الأكبر، الفاروق الأكبر، يعسوب الدين، قائد الغر المحجلين، أزهد الزهاد، خير البرية، ولي الله، حجة الله، وصي النبي، إمام المتقين، الهادي، سيد العرب، سيد المجاهدين، سيد الأصحاب، سيد في الدنيا، سيد في الآخرة، خير البشر، باب مدينة العلم، إمام الأئمة، إمام الموحدين، سيد الوصيين، فتى الفتان، فقيه الأمة، إمام الفصحاء، سيد البلغاء، قاضي القضاة، أمير النحاة، أسخى الأسخياء، أبو تراب، أبو الريحانتين، أبو الحسين».

المرحلة الثانية: التأكيد الألهي بوجود إعلان الإمامة، لقوله تعالى لنبيه؛
 ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفِغُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنَّ لَكَ لَأَنْزِيلًا وَرَسُولًا وَأَلَّا يَكْفِرِينَ﴾ [المائدة: 67].

ونستدل من سياق هذه الآية الكريمة، أن الله تعالى كان قد أصدر أمراً مسبقاً للنبي. والواضح أن النبي كان يحاول تمهيد الطريق لهذا التبليغ، بما يجعل له القبول والرضا مسيراً، لأنه ﷺ كان يعرف مافي نفوس القوم، حيث أن الأسلام لم يزل غصاً طرياً في النفوس لم يأت أكله بعد، بما ينتزع من النفوس المشبعة بأجواء الجاهلية، بعنعاتها وعصبياتها القبلية، ومن حيث أن الإمام علي كان قد جندل فرسان علية القوم من قريش، وهو يخوض معركة التوحيد ضد الشرك، فترك في النفوس جروحاً عميقة لم تندمل بعد. إضافة لمكانته المتفردة من النبي. الأمر الذي جعل النبي متريثاً طيلة الفترة الرسالية للبت الحاسم في تبليغ الأمر الإلهي بخصوص إعلان إمامة علي. وبعد تهيئة طويلة كما تقدم، قام النبي بتنفيذ الأمر الإلهي، وأعلن في حجة الوداع في موقع يقال له (غدير خم) قائلاً:

«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم والي من والاه وعادي من عاداه وأنصر من نصره وأخذل من أخذه».

وقد وردت مفردات في الموقف اعلاه في مصادر عديدة وبصور متقاربة⁽¹⁾. ولكن

= ص 155، 167، 177، 193. مجمع الهيثمي ج 9 ص 102، 116، 131، 158. كنز العمال ج 6 ص 152، 394، 399، 400، 402، 405. تاريخ البغدادي ج 4 ص 391، وج 7 ص 421 وج 8 ص 437 وج 11 ص 89، وج 13 ص 122 كنوز الحقائق ص 42، 64، 92، 188. الصواعق المحرقة ص 73، 96، 102. حلية الأولياء ج 1 ص 63 وج 2 ص 42 وج 5 ص 38، 59. أسد الغابة ج 1، ص 69 وج 3 ص 116. فيض القدير ج 4 ص 358. الاستيعاب ج 2 ص 750. مشكل الآثار ج 1 ص 50.

(1) صحيح الترمذي ج 2 ص 298. صحيح ابن ماجة في باب فضائل الصحابة ص 12. مستدرک الصحيحين ج 2 ص 129، وج 3، ص 10، 110، 116، 371. الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: =

بمجرد إنتهاء الرسول من هذا الأعلان، كان من أوائل المهتمين لعلي بالإمامة هو: عمر بن الخطاب حين قال لعلي:

«هنيئا يا ابن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة»

ولم يقتصر هذا الموقف على عمر فحسب، بل شمل أبو بكر وجمع من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم⁽¹⁾. والشيء الملفت للنظر في هذا المقام، أن الله عز شأنه، قد جعل من هذا الأعلان المحمدي لإمامة علي خاتمة التنزيل لقوله تعالى:

﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضَيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3].

وكانت هذه الآية الكريمة هي آخر الآيات الكريمة، التي نزلت على الرسول الأعظم محمد ﷺ وكان نزولها في «غدِير خم» يوم الأعلان المحمدي لإمامة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽²⁾.

فمن حيث إيمان الشيعة الإمامية الإثنا عشرية بـ (عصمة النبي ومعاجزه) لقوله تعالى: ﴿وَمَا يَطِّقُ عَنِ أُمُورِ اللَّهِ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: 3-4]. من هذا نستدل على حقيقة تشريع الإمامة من الله وتبليغ من محمد، كما نستدل من جهة أخرى على أن النبي الذي نفذ الأمر الإلهي بخصوص الإمامة، فإنه ﷺ وهو الذي لا ينطق عن الهوى، كان يعلم علم اليقين بأنه ليس بالضرورة أن إستحقاقات الإمامة لا تتم إلا عن طريق تسلم الخلافة، سواء لعلي أو للأئمة من ولده، لأنه يعلم أن الإمامة كونها أمر إلهي، فهي عدل النبوة بما يترتب

= ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأحزاب: 6]. مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 1 ص 84، 88، 89، 119، 152، 330، وج 4 ص 270، 372، وج 5 ص 307، 350، 366، 419. خصائص النسائي ص 21، 22، 23، 26. الرياض النضرة ج 2 ص 169. التفسير الكبير في تفسير قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67]. حلية الأوليات ج 5 ص 26. تاريخ بغ داد ج 7 ص 377، وج 8 ص 290، وج 12 ص 343. كنز العمال ج 1 ص 48، ج 6 ص 154، 390، 393، 398، 399، 403، 405، 406. الإصابة ج 1 القسم الأول ص 319. الإمامة والسياسة ص 93. مشكل الآثار ج 2 ص 307. فيض القدير ج 6 ص 218.

(1) ورد هذا الموقف في مجموعة من مصادر وصحاح «مدرسة الخلافة» بصور مختلفة لكنها متقاربة منها، مسند الإمام أحمد بن حنبل ج 4 ص 281. التفسير الكبير في تفسير قوله تعالى: «يا أيها الرسول بلغ...». فيض القدير ج 6 ص 217. تاريخ بغداد ج 8 ص 290. ذخائر العقبى ص 68. الرياض المضرة ج 2 ص 170.

(2) الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ﴾. تاريخ بغداد ج 8 ص 290. فيض القدير ج 6 ص 217.

عليها من إستحقاقات غير عادية تجاه الأمة، وإن ممارسة أدوارها ليس بالضرورة أن تكون من خلال (منصب الخلافة). هنا لا بد من وقفة على حقيقة تشريع الإمامة وأهمية إستحقاقاتها ومما يدعم هذا الأستنتاج أن الإمام علي كرم الله وجهه، قد مارس مسؤوليات الإمامة وإستحقاقاتها بوجود الخلفاء الثلاثة.

والذين لجئوا من الذين سبقوه، إليه وأخذوا منه الكثير في إطار التطبيق والممارسة سواء كان ذلك في: الفقه أو القضاء أو تفسير الأحكام أو توضيح السنن أو المشورة في شؤون الرعية أو في كل ما إستعصى عليهم من أمور تنصل بالإسلام وبمصالح المسلمين كما اسلفنا. وقد أشارت مجموعة من صحاح ومصادر «مدرسة الخلافة» لتلك الأستشارات. كما نلاحظ أن الرسول الأعظم لم يتوقف عند هذا التبليغ فحسب؛ لأنه كان يرى مصلحة الأمة بمنظار يختلف به عن مناظير سائر البشر، فحتى تصان الأحكام والسنن من النسيان والتحرير والتجاوز، وحفظها كما أراها الله والرسول في إطار التطبيق والممارسة، فلا بد من مجموعة عمل مختارة لمثل هذه المهمة الخطيرة، فكانوا الأئمة من ولد فاطمة عليها السلام. لذا أكد عليه السلام على مودتهم والأنقطاع لهم بقوله عليه السلام:

«من سره أن يحيى حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنة عدن غرسها ربي، فليوالي عليا من بعدي، وليوالي وليه، وليقتد بالأئمة من بعدي، فإنهم عترتي، خلقتوا من طينتي، رزقوا فهما وعلمنا، وويل للمكذابين بفضلهم من أمتي، القاطعين فيهم صلتني، لا أنالهم الله شفاعتي»⁽¹⁾.

وقد تغنى الإمام الشافعي (رض) بهؤلاء الأئمة شعرا إختارنا منه:

إذا في مجلس نذكر عليا	وسبويه وفاطمة الزكية
يقال تجاوزا يا قوم هذا	فهذا من حديث الرافضية
برئت إلى المهيمن من أناس	يرون الرفض حب الفاطمية
وقال أيضاً:	

يا آل بيت رسول الله حبكم	فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفخر أنكم	من لم يصلي عليكم لا صلاة له ⁽²⁾

وحتى يتكامل الدور وكى تأخذ إستحقاقات الإمامة دورتها المتكاملة، لصون القرآن

(1) الحافظ أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء، (مصر، 1351هـ)، ج1، ص 83.

(2) الشبلنجي، مؤمن، نور الأبصار، (مصر، 1322 هـ)، ص 104.

والسنة، ويبقى دورها مستمرا عبر الزمن المتواصل كان أولي الأمر من العلماء والمجتهدين والمراجع هم المدعوون لهذه المهمة، وقد أشار إليهم سبحانه وتعالى في محكم كتابه الكريم، من خلال قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: 59]. وإن مهمة أولي الأمر ستبقى مستمرة في الأمة إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، بظهور آخر الأئمة وهو قائمهم محمد بن الحسن العسكري عليه السلام ليملا الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا. وقد أخرج الطبراني عن ابن مسعود (رض) أن محمدا صلى الله عليه وآله قال: «يخرج رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه إسمي وخلقه خلقي فيملاها عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا» وقد ذكر هذا الحديث بطرق مختلفة لكنها متقاربة مجموعة من المحدثين والفقهاء وأئمة المذاهب من «مدرسة الخلافة».

ورب تقييم يفرض نفسه في هذا المقطع، وهو إن إجتماع السلطة والإمامة، يؤدي إلى درجة من التكامل، ويبدو أن هذا التحليل مقبول من الناحيتين المنطقية والعملية، وهو ما حصل في عهد خلافة الإمامين علي وإبنة الحسن، لكن حالة من إقساط المتأمرين ونكوث المبايعين وخروج المارقين شاغل الإمامين وإستوعب جل جهوديهما ووقتيهما، وهو ما أدى بمحصلة الأمر إلى تحجيم دور الإمامة من أن تأخذ دورها الحقيقي في الأمة، في حين كان عطاء الأئمة الباقين وأولي الأمر على طريق الإمامة وبمعزل عن السلطة، حالة متقدمة على طريق الرسوخ والتألق والانتشار، ودليلنا هو أن أكثر من أربعة آلاف محدث وعالم وفقه كل يقول: حدثني جعفر بن محمد، كما تقدم ذكره. وفي كل الأحوال تبقى هذه وجهة نظر خاصة، قابلة للنقاش. ولكننا نعتقد أن لإرادة الله في خلقه في هذا الأمر شؤون.

وعدا مسألة العقائد الخمس المنوه عنها في المرتكز الأول، هناك أمراً هاماً تتميز به «مدرسة الإمامة» وتعمل له وهو (الأجتهد) وهم متمسكون به بخلاف «مدرسة الخلافة» الذين سدوا هذا الباب. والأجتهد ليس أمراً مستجدا، إنما هو حالة متقدمة متداولة حتى في عهد النبي. ويبدو أن الأجتهد أغلق عند جمهور المسلمين، حين أعتد جمهور المسلمون بما وصل إليه أئمتهم. وكانت سنة 665 هي السنة التي حسم فيها العمل فقط للمذاهب الأربعة: الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية وتحريم ما سواها⁽¹⁾. وكان الفقه عند الإمامية في القرون الثلاثة الأولى، محصورا فيما روي عن الأئمة، من فتاوى وأحاديث إستدلالية بالقرآن والسنة. ويبدو ان المحقق الحلي، هو أول من اطلق لفظ «الأجتهد» من

(1) الخطط المقرزية، ج 2، ص 344.

الإمامية، على إستنباط الأحكام في كتابه «معارج الأصول في علم الأصول»⁽¹⁾. والمعروف عند الشيعة الإمامية أن مصادر الفقه عندهم، هي الكتاب والسنة، في الدرجة الأولى، فإن وجدت حالة ما، لم يتناولها المصدران كمسألة (التدخين) مثلاً، كان الأستدلال على حليته أو حرمة، بالإجماع والدليل العقلي، شرط أن يكون حكم هذان الدليلان، في صميم روح القرآن والسنة، وليس بمعزل عنهما. ومن الأمور المتفق عليها عند الشيعة الإمامية الأثني عشرية، ضرورة إجتماع ضوابط ذات مواصفات وشروط معينة، لدى المجتهد، كي ينال درجة الأجتهد، ويحوز الأعلمية، للقيام بواجباته الشرعية كما امره الله ورسوله.

ومن أبرز تلك الضوابط الأيمان وما يحتضنه من تقوى وهداية وإحسان وورع ومجاهدة للنفس، إضافة للأخلاص والأمانة والألتزام بالعهود، ورجحان العقل وسلامته، بما يؤهله لحسن التشخيص، ونفاذ الرأي وإستقامته. ومعرفة العلوم الأدبية من لغة ونحو وبلاغة وإشتقاق، والضلوع في علوم القرآن كالتفسير مثلاً، والعلم بالسيرة النبوية والإلمام التام بالسنة النبوية الشريفة، وبالأحاديث المروية عن أئمة أهل البيت، ويشترط معرفة مصطلح الحديث، وعلم الرجال، وتاريخ الفقه والقضاء، وسيرة الخلفاء والحكام والسلاطين، والتاريخ السياسي، وكذا معرفة تاريخ نشأة المذاهب الفقهية، ومعرفة الفقه والفقهاء، ومعرفة علم الأصول، وعلم الكلام، والفلسفة والمنطق والنجوم والأوزان والنقود، ولا بد للفقهاء المجتهد في كل الأحوال، على إطلاع كبير بالأعراف والعادات والعلاقات الإجتماعية. ويعقب كاشف الغطاء على مسألة الأجتهد، مبيناً أهميته في حياة المسلمين وشؤونهم الدينية والدينية وفق المفهوم الشيعي فيقول:

«... إن باب الأجتهد كان مفتوحاً في زمن النبوة، وبين الصحابة، فضلاً عن سائر الأزمنة التي بعده. بل كان أمراً ضرورياً عند من يتدبر، ثم لم يزل مفتوحاً عند الأمامية إلى اليوم. والناس بضرورة الحال لا يزالون بين عالم وجاهل، وبسنة الفطرة وقضاء الضرورة إن الجاهل يرجع إلى العالم، فالناس إذا في الأحكام الشرعية بين عالم ومجتهد وجاهل ومقلد، يجب عليه الرجوع في تعيين تكاليفه إلى أحد المجتهدين. والمسلمون متفقون أن أدلة الأحكام الشرعية منحصرة في الكتاب والسنة، ثم العقل والإجماع ولا فرق في هذا بين الإمامية وغيرهم من فرق المسلمين... إن الإمامية لا تعمل بالقياس. ومنها: أنهم لا يعتبرون من السنة (أعني الأحاديث النبوية) إلا ما صح

(1) مجلة النور، العدد/ 93، شوال، 1419هـ، الأجتهد في الإسلام (ندوة مسقط)، بحث: محمد واعظ الخراساني، الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ص 61.

لهم من طرق أهل البيت ومنها: أن باب الإجتهد ما زال مفتوحاً عند الإمامية بخلاف جمهور المسلمين. وماعدا تلك الأمور فالإمامية وسائر المسلمين فيها سواء لا يختلفون إلا في الفروع كإختلاف علماء الإمامية أو علماء السنة فيما بينهم، من حيث الفهم والأسنباط. ثم إنه لا تقليد ولا إجتهد في الضروريات كوجوب الصلاة والصوم وأمثالها مما هو مقطوع به لكل مكلف... كما لا تقليد في أصل العقائد، كالتوحيد والنبوة والمعاد ونحوها. وما عداها من الفروع فهو موضع الإجتهد والتقليد⁽¹⁾.

ومن الوثائق الإمامية المهمة التي تؤكد أن المسألة الإجتهدية في النهج الشيعي، تتمحور ضمن النصوص والأحكام القرآنية والسنة النبوية الشريفة ولا تتجاوزها. ما وردنا عن الإمام الصادق بما يؤكد بصورة قاطعة أن التشيع في موقع الإجتهد إنما يستمد أوامره ونواهيه من القرآن والسنة. حيث يقول عليه السلام بهذا الصدد:

«فلا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإننا إن تحدثنا، تحدثنا بموافقة القرآن وموافقة السنة، إما عن الله وعن الرسول نحدث، ولا نقول قال فلان وفلان، فيتناقض كلامنا، إن كلام آخرنا مثل كلام أولنا، وكلام أولنا مصدق لكلام آخرنا، وإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه عليه وقلوا أنت اعلم بما جئت به، فإن مع كل قول منا حقيقة، وعليه نور، فما لا حقيقة معه ولا نور عليه، فذلك قول الشيطان»⁽²⁾.

ثانياً: المرتكز السياسي:

كان النبي يضطلع بمسؤوليات الأمة، وكان يمارس السلطات الدينية والمدنية، وحين إستتب لأمر وإنقطع خبر السماء، وأنتقل النبي إلى الرفيق الأعلى، كان بلا شك قد أدى الأمانة الإلهية كاملة. وتحولت بما يلي: السلطان المدنية والدينية إلى الخلفاء الراشدين الأربعة على التوالي، بالصورة والكيفية المعروفة، ورغم ما صاحبها من إجتهدات وتأويلات وتصرفات وتجاوزات في بعض مفاصلها مع ما كان عليه صاحب الدعوة، وهو ما أشرنا له بإقتضاب شديد قبل قليل. المهم هنا هو أن الفكر السياسي الشيعي مر عبر فاصله الزمني، بأربعة مراحل حديثة، ساعدت على إنطلاقه وتطوره، تلك المراحل التي يمكن إجمالها:

المرحلة الأولى: وتمثلها حالة التسارع لأستلام السلطة بمجرد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، من قبل

(1) كاشف الغطاء، م. س، ص 79 - 81.

(2) الطباطبائي، محمد حسين، جامع أحاديث الشيعة، (المطبعة العلمية، قم 1399هـ)، ج 1، ص 257 -

بعض الأنصار والمهاجرين . وهو ما حصل في سقيفة «بني ساعدة» .

المرحلة الثانية: وتمثلها جالة الممارسة المباشرة في المبايعة على رؤوس الأَشْهاد في (ترشيح وإنتخاب) الإمام علي للخلافة والتي حصلت في المسجد .

المرحلة الثالثة: وتمثلها حالة إقْساط معاوية بن أبي سفيان عن مبايعة الإمام علي بن أبي طالب، ونكوث بعض المبايعين له مثل، الزبير بن العوام، وطلحة، بتشجيع ودعم من عائشة (رض)، وتمرد المارقين عليه وهم الخوارج .

المرحلة الرابعة: وتمثلها حالة المواجهات التصفوية التي حصلت بحق، أهل البيت وأتباعهم من الشيعة على عهد الدولتين الأموية والعباسية .

وخلاصة ما يمكن الخروج به من المرحلتين الأولى والثانية، في ضوء الفهم الشيعي، أننا أصبحنا أمام حقيقتين ساطعتين هما:

الحقيقة الأولى: (الأمر السياسي) الذي أعلنه النبي محمد ﷺ في «غدير خم» .

الحقيقة الثانية: (القرار السياسي) الذي إتخذ في «سقيفة بني ساعدة» .

وعليه سوف نخوض في تفصيلات هاتين الحقيقتين بالقدر الذي يتطلبه البحث العلمي، لدعم موجبات تكون (الفكر السياسي الشيعي) فإن حالة الإعراض عن «الأمر السياسي» الذي جاء على لسان النبي بدليل إعتقاد «القرار السياسي» الذي أعتد في السقيفة، تجعل من غرس أول نبتة للفكر السياسي الخاص بشيعة علي أمراً فرضته تلك الظروف . ف«الأمر السياسي» حين يكون من نبي لا ينطق عن الهوى انه إلا وحيّ يوحى، لا بد ان يشكل حالة متطورة عن «القرار السياسي الوضعي» من هذا نشأ بمواجهة هذا «القرار الوضعي» حالة ثالثة متطابقة مع الحالة المتطورة الأولى، من حيث كون الإمامة هي إمتداد للنبوة . ويفسر لنا د. ربيع نظرياً ذلك فيقول:

«القرار السياسي، هو خاتمة لتطور سياسي، ومقدمة لتطور سياسي آخر»⁽¹⁾ .

لذا نلاحظ بوضوح أن حالتي الإعراض عن (الأمر السياسي)، وإعتقاد (القرار السياسي) وما صاحبه من إجتهدات وتجاوزات مختلفة، أدى إلى قيام مدرستين سياسيتين وفقهيتين هما:

أولاً: مدرسة الخلافة ويمثلها: الخلفاء أبو بكر وعمر وعثمان (رض) .

(1) د. ربيع، حامد، محاضرات في القرار السياسي في إسرائيل، (مكتب القاهرة الحديث، القاهرة، لا. ت. ص 3.

ثانياً: مدرسة الإمامة ويمثلها: الإمام علي بن أبي طالب والأئمة من ولده عليه السلام.

أما ما يمكن أن نخرج به من المرحلتين الثالثة والرابعة، فهو:

1 - قيام القاسطين وعلى رأسهم العدو المخاصم معاوية بن أبي سفيان، والذي أدى إقساتهم في حق الإمام علي، إلى معركة «صفين» في بلاد الشام. وهو ما ينطبق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: 15].

2 - قيام الناكثين وعلى رأسهم الزبير بن العوام وطلحة، بدفع وتشجيع من عائشة زوجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والذي أدى نكوتهم لبيعة الإمام علي إلى معركة «الجمل» في البصرة. وهو ما ينطبق عليهم قوله عز من قائل: ﴿فَمَنْ نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ [الفتح: 10].

3 - قيام المارقين وعلى رأسهم ثلة من الذين البسوا الحق بالباطل والذي أدى مروقهم على الإمام علي، إلى معركة «النهران» في العراق. وهو كما ينطبق عليهم قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَجِدُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُدْعَوْنَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَسْمَعُونَ﴾ [البقرة: 9].

وهكذا أصبح إمتناع معاوية بن أبي سفيان «والي بلاد الشام» عن مبايعة الخليفة الشرعي خروجاً لا يقومه إلا السيف، وحدث ما حدث من قتال في «صفين» وكان الإمام علي على رأس جيش الشرعية، أما جيش القاسطين فكان على رأسه معاوية. وختمت المعركة بمهزلة التحكيم المعروفة، حين رفع جيش القاسطين كتاب الله فوق رؤوسهم لخداع الأمة، في حين كان النصر قاب قوسين أو أدنى لصالح جيش الشرعية بقيادة علي، وقد ولد هذا الموقف حالة من الأستياء والإستنكار لدى النخبة من المسلمين. ولعل من أهم إفرزات هذه الحقبة، هو تعرية معاوية «دينياً وسياسياً» فحين آلت إليه الخلافة حولها إلى ملك عضوض⁽¹⁾. ومن هذا يتضح أن الصراع بين مدرسة الإمامة ومناوئها، لم يكن صراعاً عابراً، إنما كان في جوهره، صراع بين فلسفتين، متقاطعتين تماماً، في النهج والفعل والأثر. فلسفة ترتبط في القرآن والسنة النبوية، إرتباطاً لا إفكاك منه في إطار التطبيق والممارسة، مثلتها «مدرسة الإمامة» وعلى رأسها الإمام علي. وفلسفة ترتبط بالدنيا وزبرجها، وتتقمص تجاوزاً عقيدة الإسلام، لأضفاء الشرعية عليها وعلى ممارساتها، لكنها هي أقرب لروح الجاهلية منها إلى روح الإسلام، وتمثلها «مدرسة الطلقاء» ومن هم على نهجهم، وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان.

وللأستدلال على ذلك نقارن بين تطلع الفلسفتين صوب السلطة والحكم؛ فبالوقت

(1) قطب، م. س، ص 176.

الذي أصبح عليه الإمام المبين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، على أعلى جانب من الأستعداد لتولي أمر المسلمين، بعد تلك المسيرة الطويلة التي تداخلت. فيها الأمور وتشابكت، منذ نزول الوحي وعلي يرى نور النبوة وهو في كنف ابن عمه محمد، وبدايت الدعوة المحمدية حين دعى الرسول عشيرته الأقربين كان علي اول المآزرين، وقبلها كان أول المسلمين ومن ثمة الأصحاب والأتباع، وبعدها كان أول فدائي في الإسلام، والهجرة للمدينة والمؤاخاة مع النبي، ووضع اللبنة الأولى لبناء الدولة الإسلامية، حتى حجة الوداع، وإعلان الإمامة والولاية لعلي ووفاته عليه السلام، وبداية عهد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان (رضوان الله عليهم) وما تخللها من بعض التجاوزات والإجتهاادات. وفي الخصوص على عهد خلافة عثمان، وهو ما أدى للثورة عليه وقلته، وهو ما تناولته الكثير من المراجع والمصادر⁽¹⁾.

المهم أن تلك الظروف الاستثنائية، جعلت علي يعزف عن تلبية الدعوة لتولي الخلافة بعد عثمان، وحين كثر عليه الضغط أجابهم كرم الله وجهه قائلاً:

«دعوني وإلتمسوا غيري، فإننا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإن الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت، وإعلموا أنني إن أجبتكم ركبت بكم ما اعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب، وإن تركتموني، فأنا كأحدكم، ولعلي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزير خير لكم مني أمير»⁽²⁾.

وهكذا حاول علي أن يلتمس العذر لنفسه كي يتخلص من هذه المسؤولية الجسيمة، في تلك الظروف الدقيقة، إلا أن إصرار القوم، سواء منهم الوافدين من وجهاء مصر والعراق واليمن أو أولئك الوجهاء من أهل مكة والمدينة، على مبايعته على الخلافة، قد جعله في صميم الأحداث، ومن نماذج رغبة وإصرار القوم، حديث الأنصاري مع الإمام علي بهذا الخصوص. وينقل لنا يعقوبي قول النصاري:

«يا أمير المؤمنين ما اصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلا إليك، ولئن صدقنا

(1) طه حسين، م. س، ص 77، 94.

- البلاذري، أنساب الأشراف، ج5، ص 27، 28، 52.

- د. جعفر، نوري، علي ومناوئوه، (ط1، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1982م)، ص 90، 99.

- الأمين، أحمد، دائرة المعارف الإسلامية، ج2، ص 78، 87.

(2) ابن أبي الحديد، م. س، ج1، ص 269، 270.

أنفسنا فيك أنت أقدم الناس إيماناً، وأعلم الناس بالله وأولى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم، لك ما لهم، وليس لهم ما لك...»⁽¹⁾.

وحين كثر عليه الضغط إشتراط الإمام علي لذلك شرطاً مهماً يعتبر في قياس الترشيح والانتخاب «حالة متقدمة» لم يسبقه إليها أحد، بل ولم يلحقه به أحد، على إمتداد الدولتين الأموية والعباسية، حيث طلب الإمام علي أن يكون ترشيحه ومبايعته على رؤوس الأشهاد في المسجد، فأستجيب لطلبه وحصل «الترشيح والانتخاب» في آن واحد، وكانت المحصلة تبوء الإمام علي هذا المنصب بإجتماع عام وحاشد، شارك فيه جل الصحابة من الأنصار والمهاجرين والتابعين. وتعتبر هذه المبايعة أول تجربة لحرية الإختيار في صدر الإسلام الأول والتي تشكل بحق نقطة إنعطاف غاية في الأهمية، ولو كتب لها نصيب في إطار الممارسة والتطبيق في الحقب اللاحقة، لما تحول الحكم في الدولة الأموية، ومن ثمة الدولة العباسية إلى ملك عضوض. من هذا نستنتج أن المرتكز السياسي في الفكر الشيعي، كانت له بدايات رائدة في إطار التطبيق والممارسة لما يشابه الديمقراطية في عصرنا الحالي، حين سنحت له الفرصة الأولى في تثبيت مبدأ حرية الإختيار. ولم يقبل الإمام الخلافة إلا بعد أن أوقع الحجة على القوم، أنه سائر على نهج القرآن والسنة النبوية الشريفة. لذا قال قولته المعروفة:

«اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منا منافسة في سلطان، ولا إلتماس شئ من فصول الحطام، ولكن لنرد المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمن المظلومين من عبادك، وتقام المعطلة من حدودك»⁽²⁾.

أما الأستدلال على نهج مدرسة الطلقاء، فنشير إلى أقوال معاوية رأس هذه المدرسة وهو يفضح كيفية توليه أمر الخلافة، وجعلها ملكاً عضوضاً إذ يقول: «لا بمحبة وليتها، ولكني جالدتكم بسيفي هذا مجالدة»⁽³⁾؛ وقوله أيضاً: «الأرض لله وأنا خليفة الله، فما أخذ من الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزاً لي»⁽⁴⁾. لذا يرى الدكتورالدوري؛ أن إنتصار الأمويين يعني إنتصار التيار القبلي على التيار الديني⁽⁵⁾. ولعل عبارة (إنتصارالتيارالمشبع

(1) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج 2، ص 155.

(2) شمس الدين، محمد مهدي، دراسات في نهج البلاغة، ص 260.

(3) العقد الفريد، ج4، ص 147.

(4) جرداق، جورج، الإمام علي صوت العدالة والأنسانية/ علي والقومية العربية، (ط1، منشورات دار

مكتبة الحياة، بيروت، 1970م)، ص 101.

(5) د. الدوري، عبد العزيز، (بغداد، 1950م).

بالجاهلية) هو أقرب لصفة الأمويين منهمن التيار القبلي، لأن التيار القبلي فيه قيم ومكارم اخلاق. فلذا حين ينقل لنا الوائلي مقولة كازانوف في الأمويين بقوله ادناه يتضح ما كنا نقصد بانتصار الجاهلية:

«كانت نفسية الأمويين مركبة على الطمع في الغنى، إلى حد البشم، وحب الفتح بقصد النهب»⁽¹⁾.

وحين يحدثنا العقاد عن مكنون نفس معاوية يقول:

«لم يكن معاوية زاهدا في الخلافة على عهد أبي بكر أو عمر أو عثمان لكن الخلافة كانت زاهدة فيه. فلما جاء عصر الملك طلب الملك، والملك طلبه»⁽²⁾.

ويضيف جرداق على ذلك قائلاً:

«إن أبرز الأمويين لخصائص أمية في الإسلام، إنما هو معاوية بن أبي سفيان، وأول ما يطالعنا من صفات معاوية إذا درسناه درساً دقيقاً، انه لم يكن على شيء من إنسانية الإسلام وخلق الإسلام، في ذلك العهد الطيب من عهود الناس»⁽³⁾.

ويعقب المستشرق فلهاوزن، على هذا النهج قائلاً:

«وكان من السخرية بفكرة الحكومة الشوقراطية، أن يظهر الأمويون ممثلها الأعلى، فهم كانوا مغتصبين وظلوا كذلك، ولم يكونوا يستندون إلا إلى قوتهم الخاصة، إلى قوة أهل الشام ولكن قوتهم لم تستطع قط أن تصير حقاً شرعياً»⁽⁴⁾.

اما الدكتور نوري جعفر فيصف معاوية بصورة تبدو مغايرة لما جاء على لسان غيره فهو يقول:

«أن سياسة معاوية كانت سياسة وصولية إنتهازية، تسير على المبدأ القائل، بأن الوسائل تبررها الغايات»⁽⁵⁾.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر أن معاوية أمر بقتل حجر بن عدي وجماعته صبراً،

(1) الوائلي، م. س، ص 29.

(2) العقاد، م. س.

(3) جرداق، م. س، ص 29.

(4) فلهاوزن، تاريخ الدولة العربية، ص 60.

(5) د. جعفر، نوري، علي ومناووه، (مؤسسة الوفاء، بيروت، 1982م)، ص 211.

بتهم باطلة، هي في حقيقتها لا تتجاوز حبههم وإنقطاعهم لذكرى إمامهم علي. ويقول الفياض عن ذلك:

«عمد الأمويين إلى التنكيل بآل البيت وشيعتهم منذ عهد معاوية، الذي أمر بقتل حجر بن عدي وجماعته صبيرا، بتهمة مهلهلة لا تعدو حبه لعلي والأخلاص لذكراه بعد موته حتى إن الإمام الحسين لم يتحمل عظم تلك المظالم، فوجه لمعاوية خطابا جاء في: «... ثم سلطت زيادا على العراقيين، يقطع أيدي المسلمين وأرجلهم، ويسمل عيونهم ويصلبهم على جذوع النخل... فكتبت إليه أن أقتل كل من كان على دين علي فقتلهم ومثل بهم بأمرك»⁽¹⁾.

وكان معاوية بن أبي سفيان أول من سن سنة خبيثة، في قذف المسلمين⁽²⁾، وكان مستهدفه الإمام علي وأهل بيته وأتباعه. فلنلاحظ في هذا الصدد المقارنة بين موقف الطرفين، من هذه السنة التي نهى عنها الإسلام. فعن بن أبي الحديد، عن موقف معاوية من علي، يقول:

«روى أبو الحسن علي بن نوح بن أبي سيف المدائني في كتاب الأحداث، قال: كتب معاوية إلى عماله بعد عام الجماعة، أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل أبي تراب⁽³⁾ وأهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه، ويقعون فيه وفي أهل بيته»⁽⁴⁾.

في حين كان معاوية يأمر عماله وأتباعه ووعاظه، بسب علي ولعنه من على المنابر، كان عليا يعنف في موقف سابق أثناء معركة صفين بالتحديد، كلا من صاحبيه: حجر بن عدي، وعمرو بن الحمق، وبعض الأتباع، حين سمع أنهم كانوا يشتمون معاوية، شتيمة بشتيمة. وجسد الإمام بذلك موقف عفة اللسان وحسن التواضع لله. وكان يؤكد عليهما وعلى أتباعه الآخرين، قائلاً:

«إني أكره أن تكونوا سبابين، ولكنكم لو وصفتم أعمالهم، وذكرتم حالهم، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر. وقتلتم مكان سبكم إياهم: اللهم أحقن دماءنا

(1) د. الفياض، المصدر السابق، ص 89. نقلا عن: كتاب الرجال للكشي، ص 34.

(2) الشالحي، عبود، موسوعة العذاب، (ط1)، الدار العربية للموسوعات، بيروت، لا. ت، ج1، ص17.

(3) وأبو تراب كنية كنى بها النبي عليا، وكانت من أحب الكنى إلى نفس علي وروحه.

(4) ابن أبي الحديد، م. س، ج3، ص 16.

ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم وأهدمهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحق من جهله، ويرعوي عن الغي من لهج به»⁽¹⁾.

وإن أهم ما يمكن إستنتاجه من هذه الأحداث أنه رغم ما ذهب في هذه الألتحامات من قتلى، بين شهيد وقتيل، فقد تركت هذه المعارك بصمات سوداء في تاريخ الأمة، لأنها مثلت لأول مرة خروجاً منظماً ضد الشرعية. إلا أن الواقع أثبت أن الأطروحة الشيعية التي أخذت طريقها في عهد نبوة محمد ورسالته، قد تعمقت في خلافة علي وتعرز موقعا جراً تلك الأحداث، وجراء المظالم التي حلت بآل البيت وشيعتهم على عهدي بني أمية وبني العباس. وكما كانت المواجهة الشيعية تأخذ أبعاداً مختلفة من التصعيد، مع تصاعد ظلم بني أمية وبني العباس، وجورهم بحق بيت النبوة وشيعتهم، كان الفكر الشيعي السياسي هو الآخر يأخذ أبعاداً لها مدلولاتها، في إطار التعامل مع الأوضاع الجديدة التي توالى على الأمة. لذا أصبحت أحداث إستشهاد الأئمة علي ولديه الحسن والحسين، ضمن الزمن الذي إستغرقته وماتخللتها من ممارسات تجاه شيعتهم تمثل مرحلة التضحية المخضبة بالدم، لصون قم التشيع الإسلامية الصميمة، ووضع الفكر الشيعي على الطريق. أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التجسيد الفعلية للأطروحة الشيعية، وتكريس الفكر الشيعي. الإمامي، وقد إضطلع بها بقية أئمة أهل البيت، مع تميز إمامة الصادق في مقطعها الزمني الذي إستغرقته، بما توفرت بين يديه من ظروف مناسبة سهلت مهمته.

وكما كان التشيع العربي في حالة تصدي ومواجهة ضد الظلمة من الحكام الأمويين والعباسيين، فإنه في تاريخه المعاصر يشكل واقعا متقدما ضد الهيمنة والتبعية الأجنبية، وضد الإحتلال بكل أشكاله، وهو بنفس الوقت لا يستكين لحكام الجور وأنظمة الفساد والإفساد، ولا يجيز الركون إليهم أو مهادنتهم، مقتديا قولاً وفعلاً بالآية الكريمة: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: 104].

يقول الراغب الأصفهاني في تفسيره لهذه الآية؛ «المعروف إسم لكل فعل يعرف بالعقل أو الشرع حسنه. والمنكر ما ينكر بهما - أي ما ينكره العقل والشرع -»⁽²⁾.

وقد أشار مجموعة من الباحثين والمؤرخين إلى معلومات تفصيلية، عن تلك

(1) جرداق، م. س، مجلد 3، 265.

(2) الراغب الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، معجم مفردات القرآن، (بيروت، لا. ت) مادة: عرف، ص 331، ت: 502 هجري.

الأحداث، نشير لبعضها في الهامش⁽¹⁾. وإستنادا للآية الكريمة اعلاه صار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نهجا ثابتا في الفكر الشيعي السياسي، عدا كونه واجب عبادي لحماية الدين، فعن طريقهما تتم عملية تبليغ الأحكام الشرعية بما يرشد الإنسان إلى فعل الخير، ومكافحة الشر، ومن خلالهما تخلق حالة التصدي للظلم والإستبداد. لذا نلاحظ أن الفكر الشيعي السياسي، ومنذ صدر الإسلام الأول، وأهله لازالوا يخوضون معارك من كل نوع، من أجل هذه المبادئ والخلق العربية والإسلامية، وإن المفهوم السائد عن (التقية) عند الشيعة جاء مبالغا فيه، ولم يكن دقيقا وحقيقيا.

التقية بين الحقيقة والأتهام في موضع التصدي والإنكفاء:

هناك خطأ ظل شائعا عند الكثيرين، ممن يظن أن هناك فترات إسترخاء أو إحجام عن نهج التصدي والمواجهة، لا سيما أولئك الذين وجدوا صفة يعتنون بها الشيعة بـ (التقية) حتى من الشيعة أنفسهم. ونحن إذ نختلف معهم بهذا التشخيص غير الدقيق في فهم حقيقة النهج الشيعي في هذا الموضع. وكفي ندرك حقيقة الأمر علينا أن نقف على ما وردنا من تعريفات لهذا المصطلح. يقول محمد النعمان في تعريف التقية:

«كتمان الحق وستر الاعتقاد به، ومكاتمة المخالفين، وترك مضاهرتهم، بما يعقب ضررا في الدنيا والدين»⁽²⁾.

ويعرفها عرفان عبد الحميد على أنها:

«إخفاء المعتقد خوفا من ضرر هالك، ومعاشرة ظاهرة مع العدو المخالف، والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء، وإنتظار زوال المانع من شق العصا»⁽³⁾.

ونحن من جانبنا نعرف التقية من زاوية لغوية وأخرى إصطلاحية، وبما ينسجم ويتقارب مع طبيعة الأحداث ذات العلاقة، وتداخلاتها. التقية لغة: (هو إتقاء الشئ قدر المستطاع). اما مفهومها إصطلاحا: (فهو التعامل بوجهين ظاهر وباطن، وهو ما يمكن أن يطلق عليه بعلم الإجتماع بـ «الإزدواجية»).

إلى تفصيلات وافية، وبالخصوص ذكره لأسماء من قتل مع الحسين، في معركة

(1) أشار العلامة مهدي شمس الدين في كتابه أنصارالحسين، (ط3، منشورات قسم الدراسات الإسلامية، طهران) ص56.

(2) النعمان، محمد بن محمد المفيد، أوائل المقالات، النجف 1973م، ص66.

(3) عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، (بغداد، 1977م)، ص45.

الطف . وقد تتبع شمس الدين أخبارهم وأصولهم، فتوصل إلا أنه قتل مع الحسين سبعة عشر كوكبا من بني هاشم، ومئة وأحد عشر من الأتباع.

ومن خلال إطلاعي على تعامل الشيعة بالتقية عبر التاريخين القديم والحديث، وجدت أنهم إنما أخذوا بالتقية بمعناها اللغوي دون الإصطلاحي، وفي فواصل زمنية معينة، حين أجبرتهم ظروف وأحداث قاهرة يصعب مواجهتها، وهم بذلك لم يأتوا أمرا فريا، إنما جاءوا به هو من صميم القرآن لقوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ تَكْفُؤْا مِنْهُمُ تُقْنَةً﴾ [آل عمران: 28]. ولم يقتصر العمل في التقية على الشيعة فحسب، بل قالت فيها فرق إسلامية أخرى كالمعتزلة والخوارج وأهل السنة⁽¹⁾. ورغم أن لبعض الشيعة الإمامية على إمتداد التاريخ أدلة كثيرة في تعاملهم مع التقية مستندين في ذلك على (الكتاب أو السنة أو العقل أو الأجماع)، فنجد مواقف وصور مختلفة حصلت وفي فترات مختلفة، وسبيلنا لتشخيصها أدلة لا تحصى، نورد منها ثلاث نماذج تاريخية على سبيل المثال، حصلت في فواصل زمنية مختلفة، ولكل منها أسبابها:

الدليل التاريخي الأول:

وقد حصل في صدر الإسلام الأول حين تجاوز المشركون المدى في تعذيب الصحابي الجليل عمار بن ياسر، وهو كما معروف من شيعة الإمام علي منذ عهد النبي، والذي إستجاب مضطرا لتكفير النبي. هنا نلاحظ عظمة الله تعالى، وهو يهدف إلى حفظ النفس البشرية المؤمنة. من خلال هذه الآية الكريمة:

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: 106]

ونلاحظ في هذا النص أن الله تعالى لم يشر للنبي في مقام التكفير كما ورد في الحادثة، بل أشار لجلاله تعالى، للتأكيد بصورة قاطعة وحاسمة على صحة موقف عمار، ومثل هذه الأحكام تسري مسرى المطلق العام، في كل زمان ومكان. وهنا إستعمل عمار التقية في بعض معانيها الأصطلاحية، لدرء الخطر عن نفسه، إلا انه بقى على إيمانه على أحسن ما يكون الإيمان.

- (1) الخياط، عبد الرحيم بن محمد، الانتصار، (مصر، 1344هـ)، ج8، ص 128.
 - الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، (مصر، 1321هـ)، ج4، ص 68.
 - الغزالي، محمد أبو حامد، (مصر، 1346هـ)، ج3، ص 119.
 - الطبري، محمد بن جرير، تفسير الطبري، (مصر، 1954م)، ج3، ص 229.
 - بن حزم، علي بن أحمد، المحلى، (دار الكتاب العربي، مصر، ت)، ج8، ص 335.

الدليل التاريخي الثاني:

وهو واقعة الطف في كربلاء، والتي حصلت بعد أكثر من نصف قرن من الزمن على الحادثة الأولى، والتي سبق الإشارة إلى بعض تفصيلاتها. فالإمام الحسين بثورته. المعروفة، إنما أراد أن يضرب للأمة من خلالها، أهمية التصدي للظلم والانحراف الذي كان عليه بنو أمية حين تبو خلافتهم يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، ولم يلتفت الحسين للتقية لا بمعناها اللغوي ولا بمعناها الاصطلاحي، وهو يعلم أن بثورته هذه قد وضع نفسه وعباله وأتباعه على طريق الموت المحتم. وبذلك رسم الحسين لشيعته الخط الذي يجب على الأمة سلوكه لمواجهة الظلم والظالمين.

الدليل التاريخي الثالث:

وهو دليل متأخر عن الأول والثاني من الناحية الزمنية، ومختلف عن الأول في حيثياته، لكنه متقارب في بعض أوجهه مع الدليل الثاني، ومتطابق معه في النتائج. فهو يشكل الوجه الآخر لموقف الشيعة في التعامل مع التقية، وقد حصل في بدايات هذا القرن، وهو أن النخبة الشيعية سواء في المؤسسة الدينية أو العشائرية أو الحركة الوطنية السياسية، رغم ما كان لهم من حق المشروعية في ممارسة التقية بمعناها الاصطلاحي، وهم يعيشون على أعتاب عهد جديد كان يمكن إستغلاله بما يعزز مكانتهم على مستوى السلطة والحكم، لو أنهم تعاملوا مع المحتلين الأنكليز بالتقية بمعناها الاصطلاحي، لكنهم في موقف الدفاع عن حقوق الأمة لم يلجئوا للتقية لا بمعناها اللغوي ولا بمعناها الاصطلاحي. فرغم أن الأنكليز كانوا على يقين بادئ ذي بدء أن الشيعة الذين إضطهدوا على مدى التاريخ، سيكونون أول المرحبين والمتعاونين معهم، وهو ما كان سيمهد للشيعة الطريق بنيل حقوقهم المشروعة، التي طغى عليها العثمانيون طيلة حكمهم. إلا أن الشيعة بغالبية نخبهم وجماهيرهم تصدوا للإحتلال البريطاني، وواجهوه بضراوة غير عادية، وهو ما أدى لخلق البيئة والأرضية التي دفعت بالإنكليز الإنصراف عنهم، وذلك بالإعتماد على نخبة الأقلية وسلمتهم السلطة، لأنها أحبكت اللعبة السياسية حين تقمصت التقية بمعناها الاصطلاحي، بدلا من الشيعة، فحققت أهدافها بتولي سلطة الحكم.

وفي ضوء ذلك يتضح أن مسؤوليات غالبية النخب الشيعية، كانت متمسكة بنهج سياسي ثابت يقوم أساسا على عنصري التصدي والمواجهة، ضد الظلم والظالمين، ولن يحدوا عنه، إلا أنهم أدركوا في بعض الظروف أنه ليس من الحكمة أن يكون الجميع في خندق المواجهة الساخنة، بل أن الحكمة والضرورة تقتضي توزيع المسؤوليات والمهام والأدوار.

وكما أن المواجهة الساخنة حالة مطلوبة في مواجهة الإنحراف والمنكر والظلم، كانت الحاجة لصون حالة المواجهة السياسية والفكرية والعقيدية والقيادية هي الأخرى حالة مطلوبة، لذا صيغ لها عبارة «التقية» لدفع الأذى عن النخبة وصونها من التصفية. وبذلك ضمان لإستمرارية المسيرة الجهادية، للحفاظ على بيضة الدين والعقيدة من الانحراف والتصدع. فالأمة بدون نخبتها، لن تكون قادرة على التصدي والمواجهة السياسية، والأمة تبعا لذلك غير قادرة على التصدي والمواجهة الجهادية، بدون وجود رجالات جاهزين على الدوام للتضحية والفداء. وهذا مما يؤكد الحاجة إلى أن الشريحتين مطلوبتان لديمومة العمل ضمن هذا النهج السياسي المتفاعل، وليس بمعزل عنه، إنما كل في محيط حركته القيادية والجهادية. لذا نلاحظ أن مسار النهج السياسي في الفكر الشيعي، ظل في حالة توازن بين الشريحتين وبكلا الأسلوبين المشار إليهما، وهو ما شكل سر إستراتيجية الحالة الشيعية على مدى الأربعة عشر قرن المنصرمة، رغم عظم الهجمة التاريخية عليهم. وهو دليل العمل الأستراتيجي الناجع الذي إتصف به الشيعة الإمامية الأثنا عشرية، وبالخصوص في عراق العروبة والأسلام.

ووقفة في صميم الأستحقاقات الأستراتيجية لا بد من التأكيد عليها، وهي أن النهج الشيعي في فاصله التاريخي خلال هذا القرن، ظل على مستوى من التمسك بالموقف المبدئي والأخلاقي، دون اللعبة السياسية، ودون إزدواجية المواقف في سياق التقية بمعناها الإصطلاحي، وهو ما جعل الحالة الشيعية في حالة تحد وضمود دائمين، ولكن هذا النهج جاء على حساب تحقيق أية طموحات مشروعة.

إلا أن تطور الأوضاع خلال العقود الأخيرة من هذا القرن من زاوية، إضافة لتطور الحالة الشيعية التي أصبحت اليوم تمسك بالكثير من خيوط اللعبة من زاوية أخرى، ما يدفع بإتجاه أن تعي النخبة الشيعية، ضرورة الحنكة السياسية بالتوازن مع التمسك بالمسألة المبدئية والأخلاقية، وصولا لتحقيق الطموحات المشروعة على مستوى مؤسسات دولة «الجمهورية الثانية» وبما ينسجم مع واقعها الجديد، دون التفكير بأي عملية إستحواذية لأنها ستعيد المأساة ذاتها، ولكن بصورة مقلوبة.

وفي يقيني الثابت والأكيد أن المسيرة الشيعية وما تمتلكه من رصيد فقهي ومبدئي وأخلاقي، قد إستفادت من تجاربها وتجارب الآخرين، لذا فهي تأبى أن تضع نفسها بموقف الضد. فعلى «أبناء العمومة» أن يدركوا هذه الحقائق، ويتعاملوا معها من منطلق العدل والحق المشروعين.

ثالثاً المرتكز الإقتصادي:

من أجل أن يكون حديثنا عن هذا المرتكز مستوفياً شروطه العلمية، كان لا بد من الإشارة إلى ان ماهية الأقتصاد الإسلامي في بدايات تكون الدولة الإسلامية، فلم يكن الأقتصاد الإسلامي مذهب إقتصادي، وكذا المذاهب الإقتصادية الوضعية كما هي اليوم. ورغم التطور الحاصل اليوم في طبيعة ماهية المذهب الإقتصادي الإسلامي، كما يراه الشهيد الصدر⁽¹⁾. مقابل المذاهب الأخرى، إلا أنه لم يأخذ حظه في حياة المسلمين، لعدم إعتماده من قبل الانظمة الحاكمة في العالم الإسلامي، الذي يمكن أن يهني مثل هذه الفرصة في إطار التطبيق والممارسة.

وقد كانت بدايات تكون الأقتصاد الإسلامي على عهد النبي محمد ﷺ بدايات تكوينية إذا ما وضعنا مرتكزاته، بالمقارنة مع مرتكزات مذاهب الأقتصاد الحديثة، لكنها في صميم الحاجات كانت بحق بدايات عملية هادفة، إلا أن تلك البدايات كانت أقرب لإدارة الأموال العامة منها للأقتصاد المتكامل بمفهومه المتعارف عليه اليوم.

وكان النبي بهذا يضع اللبنات الأولى لأقتصاد متكامل، كما متعارف عليه اليوم، ولكن بصورة مختلفة تماماً لكون الأقتصاد الإسلامي هو (إقتصاد إنساني متكافل) تحكمه حزمة من القواعد والتشريعات القرآنية، محاطة في مكارم الأخلاق. ولو وقفنا على طبيعة التعامل مع الأموال العامة، في صدر الأسلام الأول، وهو موضوع هذا المبحث، لوجدنا أنها تتمثل في ثلاث أبعاد، هي:

البعد الأول (الوجه المكتمل):

وهو الوجه الذي مثلته الفترة الرسالية، بقيادة النبي فبعد ان مارس الرسول دوره الرسالي الريادي في إشباع النفوس المسلمة بالعقائد التوحيدية والأيمانية، إنبرى بالعمل على مستوى البناء التكويني للأمة ودولتها، وفق القواعد الألهية التشريعية. وأن النبي بعمق بصيرته أدرك أن أساس أقتصاد الأمة هو (المال) ورغم انه ﷺ تعامل مع مفردات أخرى هي في صلب مكونات الأقتصاد، إلا انه أولى مفردة المال إهتماماً خاصاً. لذا نلاحظ أن النبي كان حريصاً كل الحرص بمحافظته على المال العام، فوجه خطابه وأول ما وجهه إلى عشيرته واهله

(1) ألف المفكر الإسلامي الكبير الشهيد محمد باقر الصدر (رحم) مجموعة من الكتب تعالج قضايا إسلامية معاصرة، وكان من أهمها فيما يخص موضوعنا كتاب يمثل النظرية الإسلامية، في المذهب الإقتصادي الإسلامي، مقارنة مع المذاهب الإقتصادية الوضعية، عنوانه (إقتصادنا).

الأقربين، ليجعل من هذا الخطاب حالة متقدمة، وعبرة للأمة، في موقف الأهتمام والحرص الشديدين على أموال المسلمين. اذ قال الرسول الأعظم محمد ﷺ:

«يا معشر قريش إشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»⁽¹⁾.

وهذا التحذير أصبح بمثابة القاعدة الثابتة للمحافظة على أموال المسلمين. ويعزى سبب إهتمام الرسول ﷺ بهذا الجانب، هو أن الأموال والثروات إنما هي ملك لله تعالى، وقد إستخلف عليها الإنسان، ووضع لهذا الأستخلاف شروطه وحدوده لقوله تعالى:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآرْضَ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْأَلُكُمْ فِي مَاءِ أَنْتُمْ﴾ [الأنعام: 165].

هذه القاعدة شملت المال بصورته المطلقة سواء الخاص منه أو العام لذلك كان حريا بالرسول أن يبادر وأول ما يبادر إلى سن قاعدة حفظ الأموال العامة، وهو ما فعله مبكراً، من حيث ان الأموال تخص جموع المسلمين. وكانت قناة المال العام المركزية في صدرالاسلام الأول، ما كان يأتي لبيت المال من غنائم الفتوحات، وما كان يفرض من جزية. أما الأموال الخاصة المتحققة للأفراد من تعاطيهم الأعمال الحرة من تجارة ومهن مختلفة، فقد أوجب عليها الاسلام فرائض كثيرة لتكون القناة الثانية لبيت المال، منها الخمس؛ لقوله عز من قائل: ﴿أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال: 41]؛ والزكاة؛ لقوله سبحانه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [النساء: 77]. وكذلك الإنفاق الواجب، لقوله جل وعلا: ﴿وَلَا تَسْأَلُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: 237]؛ والإنفاق المندوب، لقوله جل جلاله أيضاً: ﴿أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: 254]. والتوارث المادي وما يترتب عليه من حقوق الثلث، وحقوق ذوي القربى، ومن حضر القسمة لقوله عظمت كلماته: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ﴾ [النساء: 7-12]. . . . إلخ من آيات التوارث المادي».

وحتى يصار إلى تنفيذ إرادة الله في خلقه وفق تلك القواعد والأحكام، توالى الآيات على المسلمين بخصوص طاعة الرسول وتنفيذ أوامره ونواهيها، وعدم الخروج عليها، لأنها

(1) قطب، سيد، م. س، ص 44.

من وحي الله سبحانه كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: 21]؛ و﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7]؛ و﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: 3-4].

ووفق القاعدة الإلهية التي سبق الإشارة إليها، لم تكن أموال المسلمين كما شرعها الله بدون هدف، بل إنها كانت في صميم الأهداف التي تقي المسلمين شر الفاقة والحرمان والعوز، كي تستمر الحياة الأنسانية نحو تحقيق أهدافها في خلق مجتمع قائم على (العدل والأكتفاء والتوازن)، لا طبقية فيه ولا إستغلال. ونلاحظ هنا أن منهجية الرسول الأعظم لم تدخر وسعا في إنصاف المسلمين، حين تحضر أوقات توزيع الأموال، فلم يفرق بين صغير وكبير وبين أسود وأبيض وذكر وأنثى، وقريب وبعيد، وحر ومولى، بل كان مبدأ المساواة بين الجميع هو الأساس الذي لا رجعة عنه، فلا محاباة لأحد ولا تمييز. هكذا كان (البعد المتكامل) والوجه المشرق الذي مثله محمد ﷺ في هذا الجانب، لبناء مجتمع (العدل والأكتفاء والتوازن).

البعد الثاني (الوجه المجتزأ):

أما تسمية هذا البعد بالوجه المجتزأ فمرده أنه بعد إنتقال محمد ﷺ إلى الرفيق الأعلى، نحت بعض النفوس المسلمة المؤمنة منحى إبتعدوا فيه في بعض المواقف، عن منحى السيرة الرسالية، حين نزعت تلك النفوس إلى التأويل والأجتهد في بعض أمور المسلمين، مبتعدة عن الأحكام الصريحة والسنن الثابتة، وسنقتصر الكلام على ما يخص هذا المبحث. فحين تولى الخلافة بعد رسول الله، أبو بكر لم يحد عن سيرة نبيه ورسوله محمد، في توزيع الأموال على المسلمين بالتساوي، وللتدليل على ذلك نثبت هنا الموقف الخلافي الحاصل بين أبو بكر وعمر بن الخطاب بخصوص توزيع الأموال العامة. حيث يقول سيد قطب، في ذلك:

«وقد حدثت في عهد أبي بكر سابقة إختلف عليها هو وعمر، فقد رأى أبو بكر أن يسوي في القسمة بين السابقين الأولين والمتأخرين في الإسلام، وبين الأحرار والموالي، وبين الذكور والإناث ورأى عمر مع جماعة من الصحابة أن يقدم أهل السبق في الإسلام، على قدر منازلهم، فقال أبو بكر: أما ما ذكرتم من السوابق والقدم والفضل، فما عرفني بذلك، وإنما ذلك شئ ثوابه على الله جل ثناؤه وهذا معاش فالأسوة فيه خير من الأثرة»⁽¹⁾.

(1) قطب، م، س، ص 170.

وعن بذل وعطاء أبي بكر من أمواله الخاصة، لصالح الإسلام والمسلمين نورد هذا الموقف من الدليل التاريخي حيث يقول سيد قطب:

«فهذا أبو بكر كان له يوم اسلم أربعون ألف درهم مدخرة من ربح تجارته، وقد ربح الكثير من التجارة بعد إسلامه، فلما هاجر إلى المدينة مع صاحبه صلى الله عليه وسلم لم يكن قد بقي له من كل مدخره سوى خمسة آلاف درهم، لقد انفق ماله المدخر في إفداء الضعفاء من الموالى المسلمين، الذين كانوا يذوقون العذاب الوانا من سادتهم الكفار، كما انفق في بر الفقراء والمعوزين»⁽¹⁾.

وهكذا حافظ أبو بكر طيلة مدة خلافته على سنة رسوله بخصوص توزيع الأموال بالتساوي بين المسلمين، دون ان ينصاع لوجهات نظر الآخرين، كما تقدم. وكان أبو بكر في صميم البعد ذو الوجه المكتمل، الذي عمل به نبيه الكريم بهذا الخصوص. أما الخليفة الثاني عمر والذي سمي من قبل الخليفة الأول أبو بكر، قبل ان يدركه الأجل بحين، فقد كانت له إجهاداته وتأويلاته، كما ثبت ذلك في كتب الصحاح والتاريخ والتراجم. وما يهمنا هنا هو الجانب الذي يخص بيت المال. ففي الممارسة الأولى، كان للخليفة عمر منحى مستقل تماما، لما عمل فيه في عهدي الرسول وأبو بكر، بخصوص توزيع الأموال والحقوق على المسلمين. وقد أشار إلى ذلك أبو يوسف في كتاب الخراج فقال:

«وحدثني شيخ من أهل المدينة، عن إسماعيل بن محمد السائب، عن زيد عن أبيه قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «والله الذي لا إله إلا هو، ما أحد إلا وله في هذا المال حق أعطيه أو أمنعه، وما أحد أحق به من أحد إلا عبد مملوك، وما أنا إلا كأحدكم، ولكننا على منازلنا من كتاب الله عز وجل، وقسمنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالرجل وبلاؤه في الإسلام، والرجل وقدمه في الإسلام، والرجل وغناؤه في الإسلام، والرجل وحاجته في الإسلام. والله لئن بقيت ليأتين الراعي بجبل صنعاء حظه من هذا المال وهو في مكانه قبل أن يحمر وجهه»⁽²⁾.

وفي ضوء هذه القناعات سار عمر مخالفاً لسلفيه الرسول وأبو بكر. ففي كتاب الفاروق، ثبت هيكل القواعد التي وضعها عمر لتوزيع المال العام. ويقول هيكل بصدد ذلك:

«... ثم إنه فرض لكل رجل شهد بدرا خمسة آلاف درهم في كل سنة وفرض لكل من

(1) قطب، م، س، ص 170.

(2) أبو يوسف / كتاب الخراج.

كان له إسلام كما سلام أهل بدر من مهاجرة الحبشة ومن شهد أحد أربعة آلاف درهم في كل سنة، وفرض لأبناء البدريين الفين الفين، إلا حسنا وحسينا، فإنه الحقهما بفريضة أبيهما لقرباهما من رسول الله ففرض لكل واحد منهما خمسة آلاف درهم وفرض لكل رجل هاجر قبل الفتح ثلاثة آلاف درهم، ولكل رجل من مسلمة الفتح الفين، ولغلمان أحداث من أبناء المهاجرين والأنصار كفرائض مسلمة الفتح. وفرض للناس على منازلهم وقراءتهم القرآن وجهادهم. ثم جعل من بقي من الناس بابا واحدا ففرض لمن جاء من المسلمين إلى المدينة وأقام بها خمسة وعشرين دينارا، وفرض لأهل اليمن وقيس بالشام والعراق الفين إلى الف وخمسمائة إلى ثلاثمائة، ولم ينقص أحدا عن ثلاثمائة. وقال: لئن كثر المال لأفرضن لكل رجل أربعة آلاف درهم الف لسفره، وألف سلاحه، وألف يخلفها لأهله، وألف لفرسه وبغله⁽¹⁾.

ولم يستمر عمر على هذه القواعد بل خرج عنها، حيث يقول هيكل:

«غير أن عمر خرج عن القاعدة التي وضعها لتنظيم العطاء، في أمر رجال ونساء زاد في عطائهم، على عطاء أمثالهم ممن في طبقتهم. فرض لعمر بن أبي سلمة أربعة آلاف درهم، وعمر هذا هو ابن أم سلمة أم المؤمنين، وقد إعترض محمد بن عبد الله بن جحش وقال لأمير المؤمنين: لم تفضل عمر علينا؟ فقد هاجر أبائنا وشهدوا، فأجاب ابن الخطاب بقوله: أفضله لمكانه من النبي صلى الله عليه وسلم، فليأتني الذي يستعقب بأم مثل أم سلمة أعتبه. وفرض لأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم، فقال عبد الله بن عمر، فرضت لي ثلاثة آلاف وفرضت لأسامة أربعة آلاف، وقد شهدت مالم يشهد أسامة، وأجابه عمر: زدته لأنه كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك، وكان أبوه أحب إلى رسول الله من أبيك. وفرض لأسامة بنت عميس زوج أبي بكر الف درهم ولأم كلثوم بنت عقبة الف درهم، ولأم عبد الله بن مسعود الف درهم، فزادهن على أمثالهن لمكانتهن الخاصة، إذ كن أزواجا وأمهات لرجال لهم على غيرهم منزلة وفضل⁽²⁾».

وقد خلفت التطبيقات المالية التي أقدم عليها عمر آثارا متفاوتة، منها:

1 - أنها خلقت وأول ما خلقت درجة من الأستياء في نفوس المسلمين نتيجة مبدأ (المفاضلة) بين المسلمين، كما تجسد ذلك أثناء المحاورات المتقدمة. رغم أن عمرا وضع لها

(1) هيكل، الفاروق عمر.

(2) 109 - ن. م.

قواعد، حين خصها في أناس سواء لمنازلهم وخدماتهم للأسلام والمجتمع، أو لمواصفاتهم المتقدمة بين المسلمين.

2 - أنها ساعدت بصورة وأخرى على تنامي بدور الطبقة بين المسلمين، كمحصلة طبيعية لتراكم الأموال والثروات بين يدي بعض المسلمين، لا سيما عند الأغنياء منهم.

3 - أنها كانت سببا قويا، ومبررا مشجعا للخليفة الذي جاء بعد عمر، وهو عثمان، ومع مالمديه من إستعداد ليوغل في هذا الأمر، على نقيض القواعد التي وضعها عمر.

إلا ان الخليفة عمر ادرك في أواخر حياته، وقبل أن يتولى عثمان الخلافة خطأ إجتهاده هذا، وكان عازما على إلغائه. لذا نلاحظ أن عمر، قال:

«إن عشت هذه السنة، ساويت بين الناس، فلم أفضل أحمر على أسود، ولا عربيا على عجمي، وصنعت كما صنع رسول الله وأبو بكر»⁽¹⁾.

ومهما يكن من أمر فإن نهج عمر هذا في توزيع الأموال العامة، قد خلق وضعاً متبايناً في التطبيق والممارسة والنتائج كما تقدم ذكرها، مع ما كان معمولاً به على عهد سلفيه (النبي محمد ﷺ) و(الخليفة أبو بكر (رض)). غير أن عمرا رغم إجتهاده هذا، فقد كان حريصاً كل الحرص على أموال المسلمين، وكان صارماً في تطبيق مبدأ من أين لك هذا؟. فمن خلال الدليل التاريخي نذكر حرصه الشديد في المحافظة على أموال المسلمين. وبصدد ذلك يقول بن أبي الحديد:

«روى الزبير بن بكار، قال: لما قلد عمر عمرو بن العاص مصر بلغه أنه قد صار له مال عظيم، من ناطق وصامت، فكتب إليه، أما بعد: فقد ظهر لي من مالك مالم يكن في رزقك ولا كان لك مال قبل أن أستعملك، فأني لك هذا. ! فوالله لو لم يهمني في ذات الله إلا من أختان في مال الله لكثير همي وإستتر أمري ولقد كان عندي من المهاجرين الأولين من هو خير منك، ولكنني قلدتك رجاء غنائك، فأكتب إلي من أين لك هذا المال، وعجل»⁽²⁾.

وللتدليل على زهد عمر بالمال وزبرج الحياة، نذكر لكم هذه الواقعة، التي يحدثنا عنها قطب، إذ يقول:

«وهذا عمر بن الخطاب يصيب أرضاً بخير، فيجئ رسول الله فيقول: أصبت أرضاً

(1) - هيكل، الفاروق عمر.

(2) أيضاً.

بخبير لم أصب ما لا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ فيجيبه الرسول: إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها؛ فيجعلها عمر وقفا على الفقراء والقريبى وفي الرقاب وفي سبيل الله والضعيف، لاجناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف ويطعم صديقا غير متمول بها»⁽¹⁾.

ويقول الشيخ مغنية عن الخليفين أبو بكر وعمر:

«ليس في سيرة الشيخين، أبي بكر وعمر ما يبعث على النعمة والأستياء ويدعو إلى الثورة، فلقد سلكا طريق الزهد، وعملا على إنتشار الإسلام، ولم يؤثرا الأقارب والأرحام، كما فعل عثمان، ومن جاء بعده من الأمويين والعباسيين»⁽²⁾.

ولم يكن الأمر مقتصرًا على من ذكرهم مغنية، بل يتعداه إلى من جاء بعدهم من حكام وسلاطين، فهم بحقيقة الأمر إمتداد لأولئك، حتى يومنا هذا. وقبل أن يدرك الموت عمر من تلك الضربة الغادرة، التي أودت بحياته أوصى بلجنة الستة المعروفة، لأختيار خلفه إن هو مات من طعنته. وكان ما كان في أمر الأستخلاف، وتم إختيار عثمان كخليفة ثالث للمسلمين. وسنختص هنا بما له صلة مباشرة بمبحثنا. فالواقع أكد أن تلك الأعطيات والهبات من أموال المسلمين، والتي تمت في عهدي عمر وعثمان، قد أخذت مأخذها في النفوس. لذا واجه الخليفة الرابع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، (النكوث والإقسط والمروق)، وهو يحاول إعادة الأمور إلى وضعها الطبيعي، على ما كانت على عهد الرسول.

البعد الثالث (الوجه التقويمي):

لم تكن نظرة الفكر الشيعي للأقتصاد نظرة مستقلة عن المسألة الشرعية والأخلاقية، بل أن المذهب الإقتصادي الإسلامي بالتطبيق الشيعي له، أحاط الممارسات الإقتصادية بسياج من الأحكام والسنن الشرعية، والمبادئ الأخلاقية، وجعل من العملية الإقتصادية حالة إستثمارية تنموية يعم خيرها كل حلقات المساهمين فيها من عاملين وممولين. ومن حيث أن المذهب الإقتصادي الإسلامي بالتطبيق الشيعي، ينظر لرأس المال الخاص والثروات العامة وديعة خصها الله بعباده، فهم مستخلفون عليه. وإن المال بمفهومه الإسلامي ما وجد إلا من أجل الأستثمار للصالح العام، لذا فإن أية محاولة لتجميده عن المنافع العامة، أو تبيذه فيما لا ينفع، يعتبر خيانة للأمانة الإلهية. وقد وضعت اللبنة الأولى في التطبيق الشيعي للمذهب

(1) قطب، م. س، ص 150.

(2) مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون.

الإقتصادي الإسلامي، منذ الوهلة الأولى لتسلم الإمام علي مقاليد الخلافة، فقد كان من أولويات أعمال علي إلغاء تلك الأعطيات والهبات من الأموال العامة، والتي سنت في عهد سلفيه عمر وعثمان، وإعادة تلك الحقوق إلى بيت مال المسلمين. وكان الخطاب الفصل الذي وضع فيه علي النقاط على الحروف، بكل وضوح، ومن دون أن تأخذه في الحق لومة لائم. ولعلنا هنا من الضروري ان نتابع قوله كرم الله وجهه:

«أيها الناس إنما أنا رجل منكم، لي مالكم وعلي ما عليكم، وإني حاملكم على منهج نبيكم، ومنفذ فيكم ما امرت به. إلا إن كل قطعة قطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال فهو مردود في بيت المال. فإن الحق لا يبطله شيء، ولو وجدته قد تزوج به النساء، وملك الاماء، وفرق في البلدان أرددته، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق. أيها الناس، إلا وأيما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله، يرى أن الفضل له على سواه بصحبته، فإن الفضل غدا عند الله؛ وثوابه وأجره على الله. ألا وإيما رجل إستجاب لله ولرسوله، فصدق ملتنا ودخل ديننا، وإستقبل قبلتنا، فقد إستوجب حقوق الإسلام وحدوده. فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسوية، ولا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتقين عند الله أحسن الجزاء»⁽¹⁾.

وللتدليل على ذلك نقف على ما ذهب إليه سيد قطب من مقارنة بين سياسة عثمان وعلي الماليتين:

«إن عثمان قد أنشأ الفوارق المالية والاجتماعية الضخمة في الجماعة الإسلامية، كما أنشأ طبقة تأتيها أرزاقها من كل مكان، دون كد ولا تعب، فكان الترف الذي حاربه الإسلام بنصوصه وتوجيهاته. وبقدرا تكدست الثروات وتعمقت في جانب، كان الفقر والبؤس في الجانب الآخر حتما، وكانت النعمة والسخط كذلك، وما لبث هذا كله أن تجمع وتضخم، لينبعث فتنة هائجة يستغلها أعداء الإسلام فتودي بعثمان، وتودي معه بأمن الأمة وسلامتها، وتسلمها إلى الإضطراب وفوران لم يخب أواره، حتى كان قد غشي بدخانته على روح الإسلام. وأسلم الأمة إلى ملك عضوض»⁽²⁾.

ويستشهد المسعودي على ذلك بهذه الأرقام فيقول:

«إن ثروة أمير المؤمنين عثمان بن عفان، قدرت عند إستشهاده بمبلغ 150 الف دينار،

(1) قطب، م. س.

(2) أيضاً.

وألف الف درهم، وجدت عند خازنه، وكذلك 100 ألف دينار، قيمة ضياعه بوادي القرى وحنين»⁽¹⁾.

وعدا ما خصص به عثمان نفسه من الأعطيات من المال العام، فقد أسبغ عثمان الكثير منها على خاصته من أهل بيته وأصهاره وأتباعه⁽²⁾.

ويبدو أن منح مروان بن الحكم خمس أفريقيا من قبل عثمان، قد اجج في نفوس المسلمين أوار التذمر، ومشاعر الإستياء والغضب، من هذه التصرفات غير المشروعة، مما دفع بعبد الرحمن بن حنبل الجمحي، أن يقول هذه الأبيات، حيث يقارن بين سياسة عثمان في المال، وسياسة الأمينين أبو بكر وعمر اللذان سبقا عثمان في الخلافة:

أحلف بالله رب الأنبا	م ماترك الله شيئا سدى
ولكن خلقت لنا فتنة	لكي نبتلي بك أو تبتلى
فإن الأمينين قد بينا	منار الطريق عليه الهدى
فما أخذنا درهما غيلة	ولا جعلنا درهما في هوى
وأعطيت مروان خمس البلاد	فهيهات سعيك ممن سعى

ولكن الروح الإسلامية السامية في النفوس المؤمنة، ألمها هذا الواقع المرير، فحاولت

(1) المسعودي، م. س، ص.

(2) حسين، طه، في الفتنة الكبرى (عثمان بن عفان)، ص 193، (علي وبنوه)، ص 94؛ عبد المقصود، عبد الفتاح، الإمام علي بن أبي طالب، ج 2، ص 20، 21؛ البلاذري، أنساب الأشراف، ج 5، ص 27-28، 52-59؛ وقطب، م. س. ص 175-176. نقلا عن: هيكلم، م. س. من تلك الأعطيات التي أشارت لها هذه المراجع: منح مروان بن الحكم زوج إبنته أم أبان مئتي الف درهم أول ما اعطى، ومنحه بعدها خمس غنائم أفريقية. ومنح أبا سفيان مئة الف درهم. ومنح عبد الله بن أسيد ابن أبي العيص ثلثمائة الف درهم ولمرافقيه كل منهم مئة الف درهم ومنح إبنته عائشة في يوم عرسها من الحرث بن الحكم، مئتي الف درهم. ومنح الحارث بن الحكم ثلثمائة الف درهم، ومنح الزبير بن العوام ستمائة الف درهم. ومنح طلحة بن عبيد الله مائة الف درهم. ومنح سعيد بن العاص ثلثمائة ألف درهم. ومنح الحكم بن العاص ثلثمائة الف درهم. ومنح زيد بن ثابت الأنصاري مائة الف درهم، حتى إن خازن عثمان على بيت المال، وهو: عبد الله بن الأرقم، تخلى عن مفتاح بيت المال وترك عمله، إحتجاجا وإستنكارا على هذه الأعطيات غير المشروعة، وقد حاول عثمان إسترضاء بمبلغ ثلثمائة ألف درهم، فرفضها بن الأرقم، ورفض العودة لمنصبه، فكان موقفه أبلغ إستنكار على هذه السياسة المالية، التي طبقتها عثمان بدون وجه حق. وهو ما أدى إلى تراكم الأموال والثروات بين حفنة من النس على حساب عوز الأكثرية.

بالكلمة الطيبة، والنصيحة المخلصة، أن تحذر عثمان مما آلت لها الأمور. فهذا الإمام علي، وهو القريب الناصح له، يقول لعثمان قولته المشهورة:

«والله ما ادري ما أقول لك وما اعرف شيئا تجهله، ولا أدلك على امر لا تعرفه، إنك لتعلم ما نعلم، وما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغه، وما خصصنا بأمر دونك، وقد رأيت وسمعت وصحبت رسول الله، ونلت صهره، وما أبين أبي قحافة بأولى بعمل الحق منك، ولا أبين الخطاب بأولى بشيء من الخير منك، وإنك أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رحما، وقد نلت من صهر رسول الله مالم ينالا، ولا سبقناك إلى شيء، فالله الله في نفسك، فإنك والله ما تبصر من عمى ولا تعلم من جهل، وإن الطريق لواضح بين، وإن أعلام الدين لقائمة. تعلم يا عثمان أن افضل عباد الله عند الله، إمام عادل هدي وهدي، وإن شر الناس عند الله إمام جائر ضل وضل به، فأمات سنة معلومة، وأحيا بدعة متروكة، وإني سمعت رسول الله يقول: «يوتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر، فيلقى في جهنم، فيدور في جهنم، كما تدور الرحي، ثم يرتطم في غمرة جهنم»⁽¹⁾.

ويأتي دور الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري (رض) في إشارة بليغة يستنكر فيها على عثمان أن يهب من بيت مال المسلمين، الآلاف المؤلفة دون وجه حق فيقول مخاطبا الناس:

«لقد حدثت أعمال ما اعرفها والله، ما هي من كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إنني لأرى حقا يظنني وباطلا يحيا، وصادقا مكذبا، وأثرة بغير تقى...»⁽²⁾.

وفي موقف آخر رواه مالك عن أبي ذر:

«أنه جاء يستأذن على عثمان بن عفان، فأذن له ويده عصاه، فقال عثمان: يا كعب أن عبد الرحمن توفي وترك مالا، فما ترى فيه؟ فقال: إن كان يصل فيه حق الله فلا بأس عليه. فرفع أبو ذر عصاه فضرب كعبا، وقال: سمعت رسول الله يقول: «ما أحب لو أن لي هذا الجبل ذهباً أنفقه ويتقبل مني، أذر خلفي منه ست أواق». أنشدك الله يا عثمان أسمعته، أسمعته، أسمعته، قال: نعم»⁽³⁾.

فأين موقف عثمان هذا وهو يترك ماترك، من أموال و ثروات، وجلها من بيت مال المسلمين، من موقفه السابق أوائل العهد الرسالي؟ حسبنا للجواب على ذلك من الدليل

(1) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج3، ص 376.

(2) قطب، م. س، ص 174.

(3) حديث رقم 453 من المسند، ج1.

التاريخي، هذا الموقف الخالد الذي سجله عثمان وهو ما نقله لنا قطب قائلاً:

«وهذا عثمان - قبل الخلافة - ترد عير له من الشام في وقت تنزل فيه البرح بالمسلمين من الجذب، فإذا هي الف بعير موسوقة برا وزيئا وزيبيا، فيجيئه التجار يقولون: بعنا من هذا الذي وصل إليك، فإنك تعلم ضرورة الناس، فيقول: حبا وكرامة، كم تريحوني على شراي؟ فيجيئون الدرهم بدرهمين، فيقول أكثر من هذا فيقولون: يا أبا عمرو ما بقى في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا إليك أحد، فمن ذا الذي أعطاك؟ فيجيب: إن الله أعطاني بكل درهم عشرة، أعندكم زيادة؟ فيقولون: لا فيشهد الله على أن هذه العير وما حملت صدقة لله على المساكين والفقراء من المسلم⁽¹⁾».

وحين يستطرد المسعودي في إستعراض التركات التي خلفها عثمان وبعض خاصته وحاشيته، ممن أغدق عليهم الأموال من بيت مال المسلمين، يشير إليها بالأرقام وبصورة تفصيلية⁽²⁾.

وحين نقف أمام الموقف التضحي غير العادي لعثمان، لا يملك لسان الحال إلا ترديد مقولة إمام المتقين علي: «ما حدا مما بدا»⁽³⁾، ولكي تكتمل الصورة، فلنراجع سياسة علي المالية. ونستشهد أيضا بقطب وهو يتحدث عن سياسة علي المالية، إذ يقول:

«لذلك لم يكن غريبا أن يغضب أصحاب الأموال والمستنفعون من تفاوت الحظوظ في العطاء على سياسة المساواة والعدالة التي إعتمها علي بعد عثمان، وأن يتظاهروا بأنهم إنما ينصحون بالعدول عن هذه السياسة خوفا عليه من الأنتقاض. فما كان جوابه إلا أن يستلهم روح الإسلام في ضميره القوي فيقول: «أ تأمرونني أن أطلب النصر بالجور

(1) قطب، م. س، ص 150، 151.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ج1، ص 301 - 303.

وعن طبيعة تلك التركات يوردها المسعودي بالأرقام، فيقول: «... كان لعثمان يوم قتل عند خازنه خمسون ومائة الف دينار، وألف الف درهم، وقيمة ضياعه بوادي أم القرى وحين، وغيرهما مائة الف دينار، وخلف إبلا وخيلا كثيرة. وبلغ الثمن الواحد من متروك الزبير بعد وفاته خمسين الف دينار، وخلف الف رأس وألف أمة، وكانت غلة طلحة من العراق ألف دينار كل يوم، ومن ناحية السراة أكثر من ذلك. وكان على مربط عبد الرحمن بن عوف الف فرس، وله الف بعير، وعشرة آلاف من الغنم، وبلغ الربع من متروكه بعد وفاته، أربعة وثمانون ألفاً. وخلف زيد بن ثابت من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلف من الأموال والضياع. وخلف يعلي بن منبه خمسين الف دينار وعقار، وغير ذلك ما قيمته ثلثمائة الف درهم».

(3) غرر الحكم.

فيمن وليت عليه؟ لو كان هذا المال لي لسويت بينهم فكيف وإنما المال مال الله؟ إلا وإن إعطاء المال في غير حقه، تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة»⁽¹⁾.

ويشير ابن عبد ربه، إلى ما خلفه علي بعد وفاته، كرم الله وجهه، فيقول:

«إن الثروة التي خلفها الإمام علي عند إستشهاده، كانت لا تتعدى 300 درهم»⁽²⁾.

أما موقف الإمام في تطبيق من أين لك هذا؟. ففي كتاب له إلى المنذر بن الجارود العبدي، حين علم عنه أنه خان الأمانات العامة جاء فيه:

«أما بعد فإن صلاح أبك غرني منك، وظننت أنك تتبع هديه، وتسلك سبيله. فإذا أنت فيما رقي إلي عنك لا تدع لهواك إنقيادا. ولئن كان ما بلغني عنك حقا، لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر، أو يتفد به امر، أو يعلى له قدر، أو شرك في أمانة، أو يؤمن على خيانة، فأقبل إلي حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»⁽³⁾.

وكان الإمام علي يحذر من الأستئثار بما جعل الله فيه الناس سواسية فيقول: «إياك والأستئثار بما الناس فيه أسوة»⁽⁴⁾. ورغم فقر علي كما هو معروف، إلا أنه في موقف العطاء حتى ولو كان رمزيته، تراه قد مثل صوراً رائدة، عن طريق مجموعة من الأدلة القرآنية؛ كقوله تعالى: ﴿ وَيُطْمِئِنُّونَ الْطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِمْ شِكِيئًا وَيَبِيئًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان: 8]. فهذه الآية الكريمة كما هو معروف لدى المفسرين بالاجماع تتحدث عن إيثار علي وأهل بيته حين آثروا على انفسهم وعلى ثلاثة أيام متوالية المسكين واليتيم والأسير وهم صيام.

فقدموا لهم طعامهم وطوو على جوعهم، فنزلت بحق إيثارهم النبيل هذه الآية. ولعل قوله تعالى في الآية التالية تعبر تعبيراً صادقا عن سلوكية علي واهله بيته: ﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يؤتون الزكاة وهم راعون﴾ [البقرة: 55]. ولعل تفسير الآية يبين الحادثة التي ألم بها عليا دون غيره؛ فبينما كان عليا يصلي في محرابه دخل عليه سائل يطلب عطاء فيسبيل الله، فما كان من الإمام علي إلا أن أومئ ليداه وفيها خاتم وتقدم السائل وأخذ

(1) قطب، م. س، ص 175، 176.

(2) بن عبد ربه، العقد الفريد، ج 3، ص 124.

(3) جرداق، م. س، مجلد علي وسقراط، ص 249.

(4) م. ن، مجلد علي وحقوق الأنسان، ص 235.

الخاتم من يد الإمام، ليسد بثمانه جوعته وحاجته، فأنزل الله عز شأنه بحق هذه الوقفة المتفردة للإمام علي هذه الآية .

أما الصورة الثالثة فعن مجاهد عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾ [البقرة: 256] قال نزلت في علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان عنده أربعة دراهم، فأنفق بالليل واحدا وبالنهار واحدا وفي السر واحدا وفي العلانية واحدا⁽¹⁾. وفي موقف حرصه كرم الله وجهه على المال العام، في إطار التطبيق والممارسة، كان عليا القدوة للحكام والمحكومين، بما يربي عليه نفوس المسلمين، فقد ذكر أبو نعيم بسنده عن هارون عن أبيه قال:

«دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق، وهو يرعد تحت سمل قطيفة فقلت: بأمر المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال وأنت تصنع بنفسك ما تصنع فقال: «والله ما أرزأكم من مالكم شيئا وإنها لقطيفتي التي خرجت بها من المدينة لله»⁽²⁾.

ولهذا كانت حركة التشيع في موقفها من تناقضات السياسات المالية، على حد تعبير محمد عمارة، تمثل «المقاومة العربية في أحشاء المجتمع العربي، للسلطة الأقطاعية التي تمثلت في حكم بني أمية وبني العباس، والأترك»⁽³⁾.

ويتواصل جرداق في تصويباته، وهو يتحدث عن علي والعدالة الاجتماعية فيقول:

«أما العدالة الاجتماعية التي تساوي بين الناس في كل حق وكل واجب وتهدف إلى إقامة مجتمع يعيش أبناؤه كل أبنائه في نعيم، فهي أساس في كل بناء قومي سليم، وغاية من غايات كل قومية صحيحة»⁽⁴⁾.

ونلاحظ هنا أنه رغم أن نهج الفكر الشيعي الاقتصادي، كما تقدم في المعالجات المالية، قد جسد أمامنا، صورا مشرقة، ورغم ما ولده هذا النهج من تدمير وإستياء لدى المستنفعون، لأنهم كانوا قد تعودوا على نهج الأسلاف عمر وعثمان بخصوص الأعطيات المالية المتقدم ذكرها، إلا أن الإمام علي بما عرف عنه بشدة تمسكه بالأحكام والتشريعات

(1) أسد الغابة، ج4، ص25. الرياض النضرة، ج2، ص206. الصواعق المحرقة، ص78 أسباب النزول، ص64. نور الأبصار، ص70. الكشاف والدر المنثور والتفسير الكبير، في ذيل تفسير الآية.

(2) أبو نعيم، أحمد بن عبد الله، حلية الأولياء (مطبعة السعادة، مصر، 1351 هـ)، ج1 ص82.

(3) عمارة، م. س، ص111.

(4) جرداق، م. س، ص123.

والسنن، التي فرضها الله ورسوله، في إطار التطبيق والممارسة، لم يتنازل عن تمسكه في إعادة الأمور إلى أنصبتها القانونية والشرعية، كما ارادها الله والرسول، وهو ما عمل به بكل إصرار. لذا أصبحت إجراءات الإمام علي في ترسيم معالم الدولة الإسلامية، في صميم العدل والمساواة بين المسلمين، وصولاً إلى بناء مجتمع قائم على (العدل والأكتفاء والتوازن)، وأصبح هذا النهج دروساً على مدى الدهور والأزمان. وهو ما سعت لنهجه بعض النظم الوضعية بعد مرور، أربعة عشر قرناً، على ما إنتهجه الفكر الشيعي. الذي شكل بحد ذاته دليل دراية عميقة، بيوطن النزعة الإنسانية، المفطورة على حب الذات المشروعة، التي غرسها الله في خلقه، والتي ترفض التمايز والتمييز بين الناس، في الحقوق والواجبات.

رابعاً: المرتكز التربوي:

لم يكن أي فكر قد تعامل بالنهج المبدئي والأخلاقي، وهما قمة الناحية التربوية، مثلما أحيط به الفكر الشيعي، لأن المسألتين المبدئية والأخلاقية تشكلان مرتكزا أساسيا في الفكر الشيعي، لذا نشاهد أن المرتكزات السياسية والإقتصادية والإنسانية، في الفكر الشيعي التطبيقي العام، لم يكونا بعيدين عن المرتكز التربوي المبدئي والأخلاقي، بل إننا نجد أن المرتكز التربوي بنهجه المبدئي والأخلاقي قد طبع بكل أصابعه على مقاطع المرتكزات الأخرى وممارساتها. وهو ما يجعل العملية التربوية بكل مفاصلها، ذات شحنات من العطاء الإيجابي في ترسيم معالم الدولة، وتنشأة الأجيال. ونلاحظ أن الناس كلهموا في النهج الشيعي الإمامي سواسية كأسنان المشط. وينقل الطبري عن راذان، هذا الموقف التربوي الرفيع للإمام علي، فيقول:

«رأيت علياً عليه السلام يمشي في الأسواق فيمسك الشسوع بيده، ويناول الرجل الشسع (النعل) ويرشد الضال، ويعين الحمال على الحمولة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَخْرَةِ يُجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ [القصص: 83]. ثم يقول: هذه الآية نزلت في ذي القدرة من الناس قال أخرجهم أحمد في مناقبه»⁽¹⁾.

لذا نجد أن نهج البلاغة بحكمه ومواعظه وإرشاداته وأخلاقياته التربوية، وما تضمنته وصايا باقي الأئمة وأدعيتهم في نفس السياقات، كانت وما زالت وستبقى نبراساً لأجيال الأمة، لتهديب النفوس وتقويمها، وتربية الشخصية البشرية بما يعزز مكانتها التربوية. وحين نقف على نهج الفكر الشيعي، في صميم ترسيم معالم الدولة الإسلامية، في السياق

(1) المحب الطبري، أحمد بن عبد الله، الرياض النضرة، (ط1، مطبعة الأتحاد، مصر، لا. ت)، ج2،

التربوي، كما جسدها إمام الفكر الشيعي الإمام علي، تشخص أمامنا صور رائدة، تشمل كل المرتكزات، في إطار التطبيق والممارسة، ففي الموقف السياسي نجد الموقف المبدئي والأخلاقي مجسداً في مقولة الإمام علي حين يشخص نهج معاوية. وعليه يقول الإمام علي:

«والله ما معاوية بأدهى مني ولكنه يغدر ويفجر، ولولا كراهية الغدر، لكنت من أدهى العرب»⁽¹⁾.

والفجور والغدر من مساوئ الأخلاق، وقد نهى عنهما القرآن وعاقب عليهما فكيف يأتي بهما علي؟ والحديث النبوي الشريف يقول:

«علي مع القران، والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض»⁽²⁾.

وكان علياً حريصاً على أن يكون القدوة لأولي الأمر والناس أجمعين، ليغرز الروح التربوية في النفوس. وهذه الصورة الحية ادناه لنهج الإمام علي تبين حقيقة ما نذهب إليه. فإبن أبي الحديد ينقل لنا قائلاً:

«استعدى رجل على علي بن أبي طالب عليه السلام الخليفة عمر بن الخطاب (رض) وعلي جالس، فإلتفت إليه فقال: قم يا أبا الحسن فأجلس مع خصمك، فقام فجلس معه وتناظرا، ثم إنصرف الرجل ورجع علي إلى محله، فتبين عمر التغير في وجهه، فقال: يا أبا الحسن مالي أراك متغيراً، أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال: وما ذاك؟ قال: كنتني بحضرة خصمي، هلاقت: قم يا علي فأجلس مع خصمك فإعتنق عمر علياً، وجعل يقبل وجهه، وقال: بأبي أنتم بكم هدانا الله، وبكم أخرجنا من الظلمات إلى النور»⁽³⁾.

وهكذا أعطى الفكر الشيعي المسألة التربوية زخماً من العناية والأهتمام، مستهدفاً الوصول إلى بناء الشخصية المسلمة بناءً ذو قيمة حضارية وروحية، مختلفة عما هو عليه عالم اليوم.

خامساً: المرتكز الإنساني:

نتناول في هذا المرتكز الأبعاد والمضامين الأنسانية، في الفكر الشيعي، الذي يهدف إلى بناء علاقات إجتماعية وإنسانية خالية من الظلم. لقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾

(1) العقاد، م. س، ص 32.

(2) وقد ورد هذا الحديث في جملة مصادر منها: مستدرک الصحیحین للحاکم النیسابوری ج3 ص24. مجمع الهيتمي ج 9. الصواعق المحرقة لابن حجر ص75. فيض القدير للمناوي ج4.

(3) ابن أبي الحديد، م. س، ج 17، ص 65.

[آل عمران: 57]. وبعيدة عن الباطل لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا﴾ [ص: 27] لذا نلاحظ أن الفكر الشيعي جعل من العدل سبيلا لرفع الظلم إستنادا لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: 25]. وجعل من الحق داما للباطل لقوله سبحانه: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: 18].

وجعل من التقوى معيارا للتكريم والمفاضلة لقوله عز شأنه: ﴿وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: 14]. وإمتاز الإسلام بإعتباره دينا عالميا لقوله جلت حكمته: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: 107]. لذا حارب الفكر الشيعي، التفرقة العنصرية متمسكا بقوله ﷺ: «لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى». وخير دليل على هذا أن أتباع علي كانوا من جنسيات وقوميات وعصبيات مختلفة، وكانوا من المقربين إليه، ولم يفرق بين أحد وآخر منهم. كما أن الفكر الشيعي ناهض الطبقة المالية. تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿كُنْ لَا يَكُونُ دُولًا بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ﴾ [الحشر: 7]. وهي قاعدة قرآنية تهدف إلى تفتيت الثروات، وتكريس علاقات إجتماعية وإنسانية قائمة على التكافل والتكامل والأنسجام وفقا لقاعدة: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». وجعل من الدين طريقا للهداية والقبول والرضا دونما إكراه. تشبها بقوله عز من قائل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: 256].

وفي تصويب تقييمي من صميم القرن العشرين، لعدالة الإمام علي ينبوع الفكر الشيعي، على لسان جورج جرداق، وهو يتحدث عن إعتقاد علي (المساواة الإنسانية) كأساس للعدالة، إذ يقول:

"إن ابن أبي طالب سباق إلى إدراكها كضرورة إجتماعية لا يستقيم بدونها مجتمع، ولا يشمخ له بناء...".⁽¹⁾

وفي ضوء ذلك يقول جرداق أن عليا جعل المساواة بين الناس:

«كلهم أسوة لا فرق فيهم بين بعيد وقريب أو عدو ونسيب أو مسلم وغير مسلم أو عربي وأعجمي»⁽²⁾.

ولم يقتصر علي في تطبيق المساواة على اساس قطري أو عربي وحتى إسلامي، بل جعل لها بعدا إنسانيا، ويقول جرداق عن ذلك:

(1 - 2) جرداق، م. س، ص 78، 93، 94.

«ثم وسع حدود هذه المساواة حتى بلغ بها آفاق الأنسانية العامة، وأكسبها معناه الذي تريده طبيعة الإنسان، وطبيعة البشر»⁽¹⁾.

وحين يتحدث عن شدة تمسك علي بالعدالة ودفاعه عنها، يقول جرداق:

«وقد عمل علي بقلبه الكبير على رعاية هذه العدالة، فقداها بدمه وأشهد التاريخ بأن العرب يستطيعون أن يكونوا في طليعة الناس، إيماناً بالعدالة، ودفاعاً عنها، وموتاً في سبيلها. وكان له في أيامه تلاميذ وأنصار وأعوان، مشوا على خطاه، وماتوا لمات، ليسموا الشخصية العربية بطابعها الإنساني السليم»⁽²⁾.

ولعله لا بد من وقفة على نهج الفكر الشيعي الإمامي في صميم ترسيم معالم الدولة؛ إذ لم يقتصر الإمام علي في إدارته للدولة على إعادة ترسيم معالم الدولة الإسلامية، عن طريق تقويم الجانبين السياسي والمالي. بل كان في مجال الإدارة العامة قد بلغ شأناً كبيراً، وقد كان الإمام بعيداً كل البعد عن إحتكار السلطة، عبر إجراءات مباشرة يصدرها ويسنها ويطبّقها بنفسه، بل كان في صميم قاعدة: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»، وهي قاعدة مبدئية وأخلاقية رائدة، لأنه يؤمن بأن المسؤولية هي مسؤولية تكافلية وليست فردية، بين أبناء الأمة، ولكنه في موقع المسؤولية والأرشاد، لم يطلق العنان للآخرين، ويترك الأمر لهم على الغارب، بل كان في صميم النصيح والتوجيه، وإذا ما إقتضى الأمر، فالمسائلة، والتوبيخ، والعزل، إذا دعت الحاجة لذلك، منطلقاً من حرصه الشديد على مصالح الأمة. وكان على إصرار شديد في محاسبة ولاته، كحادثة عزل سعد بن عباد والي ممر، حين وصل لمسامعه ولأكثر من مرة ما دفعه لعزله. وكما حصل مع أقرب الناس إليه، كحادثة محاسبة ابن عمه عبد الله بن عباس، حين ولاه البصرة⁽³⁾.

ورغم إنه كرم الله وجهه كان دقيقاً في إختياراته للمسؤولين، وفق مواصفات ومميزات مبدئية وأخلاقية لا يدخل لها الشك. لذا كان جل نخبته الذين تم إختيارهم لمسؤوليات الدولة المختلفة في صميم من عرفوا بالصلاح في العمل، والتفقه بالدين، وعفة اللسان، ونظافة اليد، ونقاء النفس، وصفاء السريرة، وكلها من المكارم المبدئية والأخلاقية. فهو لم ولن ينحاز في تعيين الأقرين⁽⁴⁾، بسبب صلة الرحم، أو لأنتساب عشائري، ولم ينحو في إختياراته من أجل تعزيز سلطته وحكمه بل كان شديداً في خشية الله، في موضع إختياراته، متوخياً في سبيلها خير الرعية والدين. ولو انه راعى بعض تلك الطروحات وتنازل عن

(1 - 2) جرداق، م. س، ص 78، 93، 94.

(3 - 4) جرداق، م. س، ص 129، 163، 169، 170.

مبادئه، لأمن شر: (القاسطين، والناكثين، والمارقين)، ولما حصلت معارك (الجمل، وصفين، والنهروان). فعلي أرادها دولة مبادئ وأخلاق للعدل الإلهي، بما ينتصر فيه للدليل من أجل نيل حقه، ويمحق فيه القوي لإعادة ما إستلبه من حقوق. وكان كرم الله وجهه يؤكد قائلاً:

«الدليل عندي عزيز حتى أخذ الحق له والقوي عندي ضعيف حتى أخذ الحق منه»⁽¹⁾.

لكن الطلقاء أرادوها دولة باطل، لا دولة مبادئ تراعى، ولا أخلاق تأخذ بنظر الاعتبار، فهذا معاوية بن أبي سفيان رأس الطلقاء وهو يوجه أحد أعوانه وجلالوته لأرهاب الناس بالباطل. فحين يأمر معاوية أحد أعوانه فيوصيه، قائلاً:

«فأقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك، وأنهب أموال كل من أصبت له مالا ممن لم يكن له دخل في طاعتنا»⁽²⁾.

فستان بين دولة العدل القائمة على المبادئ والأخلاق، ودولة الباطل القائمة على المفساد، وسوء الخلق. ولسنا هنا في موضع التفصيل بعرض الصور والدلالات على سلوكية الإمام في الحكم، ونهجه الإلهي المحمدي في ترسيم معالم الدولة، لأن ذلك سيحتاج لبحوث ودراسات مستقلة. لكننا سنقتصر على ذكر دليلين، هما:

الدليل الأول:

وثيقة العهد الإمامية لمالك الأشتر، حين ولاه ولاية مصر، والتي يمكن أن يستنبط منها دستوراً متكاملأ لإدارة الدولة. فهو كرم الله وجهه بعد أن يعرف أهل مصر بالأشتر كونه عبداً من عبيد الله، وسيفا من سيوف الله في موضع الجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق وفعله، وإزهاق كلمة الباطل وإزالة أثره، يشير إلى الدروس الثرية بما يجسد من خلالها على موضع التدليل على عمق إهتمام الأمام بالتعامل مع الرعية بأدق تفصيلات شؤونها ما لها وما عليها ضمن إستحقاقات إرادة الله في خلقه. فهو بعد أن يشير إلى أهداف وثيقة العهد هذه، يبدأ بتوجيه السلوك الشخصي، وينتقل إلى الإهتمام بالرأي العام، موضحاً علاقة الحاكم بالرعية، محذراً من المحسوبية والظلم، مسلطاً الضوء على أهمية عموم الشعب، دون الفئات الأرستقراطية، مستبعداً مستشاري ووزراء السوء، لأنهم بطانة خطر على الأمة. مؤكداً على حاشية أهل الورع والصدق والعدالة والعلم والمعرفة، حاثاً على الإحسان إلى

(1) جرداق، م. س، ص 129، 163، 169، 170.

(2) جرداق، م. س، مجلد/ علي وعصره، ص 29.

الرعية، والرأفة بالضعيف، والأنتصار للمظلوم، مشيراً على ان المسؤولية ليست مسؤولية فردية، دكتاتورية، إنما هي مسؤولية تكافلية. واضعاً الجميع أمام مسؤولياتهم، ما لهم وما عليهم، ناصحاً ان تكون شخصية القاضي مشبعة بالعدل، ومتصفة بالإحسان، و متمسكة بالنزاهة. عدا ما تضمنته وثيقة العهد هذه من توجيهات عامة عن الإدارة والتنظيم وتوزيع المهام حسب الإستحقاق، والأفضلية، في كل مفاصل الولاية، إضافة للأستحقاقات السياسية والأقتصادية والعسكرية والمالية والأنسانية. وقد أحسن العلامة شمس الدين تناوله لهذه الوثيقة، وبصورة مسهبة، في كتاب مستقل، مجسداً تحليل ابعادها ومضامينها في إطار التطبيق والممارسة على أحسن الوجوه⁽¹⁾.

الدليل الثاني:

فهو كرم الله وجهه بعد ان يصور عمق دراية بمطاوي النفوس، وما شغفت به القلوب، بإسلوب بياني رائع، من خلال الوصف الدقيق لفساد العامة، حيث يقول:

«إنما هي من فساد العامة، وإنما العامة ليقسمون إلى خمس: العلماء وهم الأدلاء على الله، والزهاد وهم الطريق إلى الله، والتجار وهم أمناء الله، والغزاة وهم أنصار دين الله والحكام وهم الطريق إلى الله. فإذا كان العالم طماعاً وللمال جماعاً فبمن يستدل؟، وإذا كان الزاهد راغباً ولما في أيدي الناس طالباً فبمن يقتدى؟، وإذا كان التاجر خائناً وللزكاة مانعاً فبمن يستوثق؟، وإذا كان الغازي مرانياً وللكسب ناظراً فبمن يذب عن المسلمين؟، وإذا كان الحاكم ظالماً وفي الأحكام جائراً، فبمن ينصر المظلوم على الظالم؟. فوالله ما اتلف الناس إلا العلماء الطماعون، والزهاد الراغبون، والتجار الخائنون، والغزاة المراءون، والحكام الجائرون» ﴿وَسِعَ الْعَرْشُ كُلَّ شَيْءٍ مِّنْهُ يَوْمَ تُنْفَخُ السُّورُ﴾ [الشعراء: 227].

وفي ضوء هذه الدراية العميقة عما جبلت عليه نفوس الناس وأهوائهم، نقف على النصائح البليغة التي وجهها الإمام المبين علي لعامله مصدق حين بعثه من الكوفة إلى باديتها لجباية الزكاة، فأوصاه بما أوصاه بهذه القيم السامية، بما يوقع الحجة البالغة على الناس، ويضعهم في صميم مسؤولياتهم، وبما يرسم لنا نهجاً متفرداً، في طريقة تحصيل حقوق الدولة من المواطنين بما ينسجم وشريعة الله وسنة نبيه الكريم. ومما قاله الإمام علي لمصدق:

(1) شمس الدين، العلامة محمد مهدي، عهد الأشتر، (ط 1، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1404هـ).

«ثم أمضي إليهم بسكينة ووقار، حتى تقوم بينهم، ثم قل لهم: يا عباد الله أرسلني إليكم ولي الله، لآخذ منكم حق الله في أموالكم فهل في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه؟ فإن قال قائل لا، فلا ترجعه، وإن انعم لك فهو منعم فإنطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلا خيراً، فإذا أتيت ماله، فلا تدخله إلا بإذنه، فإن أكثره له، فقل: يا عبد الله أتأذن لي في دخول مالك؟ فإن أذن لك فلا تدخله دخول متسلط عليه فيه، ولا عنف به... فأصدع المال صدعين، ثم خيره أي الصدعين شاء فأيهما إختار فلا تعرض له ثم أصدع الباقي صدعين، ثم خيره، فأيهما إختار فلا تعرض له، ثم أصدع الباقي صدعين، ثم خيره، فأيهما إختار فلا تعرض له، ولا تزال كذلك، حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله، فإذا بقى ذلك فأقبض حق الله منه، وإن إستقالك فأقله ثم أخلطها، وأصنع مثل الذي صنعت أولاً، حتى تأخذ حق الله من ماله»⁽¹⁾.

المبحث الثاني: تطور الفكر الشيعي الإمامي:

بعد أن إطلعنا عن كتب على واضح بذرة التشيع الأول والممهّد له وهو النبي، والمضطلع به وهو علي. إلا أننا بهذه التحديدات لانعني تجاوز الأئمة الباقيين من آل بيت النبوة، فكلهم قد أخذ الشيعة بقولهم وعملوا برأيهم، وساهموا بصورة وأخرى في نشر فكر وعلوم التشيع، لأن علم الأئمة الأثني عشر، هو علم واحد لا تبعض ولا تجزئ فيه، وهو موروث من القرآن والسنة، منقول عن النبي، موكول لعلي، مغروس في ولده من الأئمة الأطهار. وهو كالسلسلة المحكمة التي لا فكاك لها لترابط حلقاتها الواحدة بالأخرى، حيث يرثه الأب عن أبيه دونما تكلف وتأويل، ومن غير إجتهد وتجاوز، بل تجنباً من أي زيادة ونقصان.

إلا أن الملاحظ أنه لم تنهياً الظروف والفرص للأئمة الأطهار بالصورة المطلوبة والمتواصلة، لتجسيد أطروحة التشيع في ضمير الأمة ووجدانها، بما إستودعهم الرسول محمد ﷺ من أحكام القرآن وتفسيراته، ونشر ما إختزنه من سنته وما تهدف إليه، مثلما تهيأ لجعفر الصادق من تواصل، حيث إستوعبت فترة إمامته حقبة زمنية قياسية، إذا ما قورنت بالأئمة الآخرين. والتي إبتدأت من وفاة والده الإمام محمد الباقر في 7 ذي الحجة عام 114 هجري، وإنتهت بوفاته في 25 شوال عام 148 هجري. وقد مرت (أطروحة التشيع) بفترة تواصل التكامل، بمرحلتين مهمتين هما:

(1) العقاد، م. س، ص 165، 166.

الأولى: مرحلة الأغناء والترسيم

يبدو أن الفاصل الزمني بين تحلل الدولة الأموية، وقيام الدولة العباسية وتشاغل الجانبين في هذا الأمر، قد هياً للصادق أجواء علمية وفقهية مناسبة، حيث تشاغل المهتمون بالمناظرات والمقابلات، والآراء والمذاهب، وهو ما خلق الأرضية المناسبة للأغناء الفكري، والترسيم العملي، التي إنطلق منهما الصادق بعلوم آبائه وأجداده المختلفة. ووضع له «أطروحة التشيع» أسسها الثابتة، في شتى فروع الأحكام الإلهية، والسنة النبوية، والفقه والتفسير، وعلوم الطب والكيمياء، والأدب والمعرفة، والأحتجاج وعلم الكلام، ومكارم الأخلاق. حتى أصبح الرواة عن الصادق وهو يخوض هذه المعركة الفكرية والعلمية الكبرى أربعة آلاف أو يزيدون. ويشير كاشف الغطاء إلى ذلك قائلاً:

«أن أبا الحسن الوشاء قال لبعض أهل الكوفة: أدركت في هذا الجامع يعني (مسجد الكوفة) أربعة آلاف شيخ من أهل الورع والدين كل يقول: حدثني جعفر بن محمد»⁽¹⁾.

والأمر الملفت للنظر أن الرواة عنه لم يقتصروا على الشيعة فحسب، بل أخذ عنه جمهرة من أكابر الأعلام والأئمة من معاصريه من أهل السنة. وهكذا نلاحظ أن التشيع شهد على عهد إمامة جعفر الصادق بما جعله حالة إغناء وتقويم، حين أصبح بشرعته الإلهية وسنته المحمدية وحرركته الإمامية، المرجعية المركزية للشيعة في أصقاع المعمورة، وبالخصوص ل (شيعة العراق) فهم يمثلون بحق الصورة المشرقة للشيعة الإمامية الأثني عشرية، أو ما يطلق عليهم ب (الجعفرية).

الثانية: مرحلة النهوض والتطور:

وبعد فترة من الزمن على مرحلة الأغناء والترسيم المتقدمة، مراتشييع بمرحلة إكتنفته ظروف وأجواء وعلاه بعض اللغو والغلو، وشوهت فيها الكثير من المفاهيم، وهو ما إستدعى ضرورة تشذيب ما علق بالتشييع من ممارسات وتجاوزات لا تمت لأصول التشيع الحقيقي بصلة، إنما هي أمور دست عليه من قبل الجهلة والحاقدين والمغرضين. ولا يستبعد ما للأسرائليات من دور خبيث في ذلك، من حيث أن التشيع يمثل خلاصة الدين الإسلامي، لتمسكه الشديد بأحكام القرآن والسنة النبوية. وإن تشويه معالمه، هو إستهداف مباشر لبيضة الإسلام، وتشويها لأبعاده ومضامينه. وهو ديدن اليهود منذ الصدر الأول

(1) كاشف الغطاء، م. س، ص 52.

للإسلام. ويبدو أن هذه المرحلة وما صاحبها من حملة التشذيب بدأت من بغداد. ولم يزهار التشيع في بغداد إلا في عهد البويهيين سنة [334هـ / 945م]⁽¹⁾.

وعن علاقة المؤسسة الدينية الشيعية بالبويهيين أورد القزويني قائلاً:

«ونتيجة للحرية التي تمتع بها هذا العصر، فقد أصبحت (بغداد) مركزاً إستقطب قادة المذاهب الدينية، على إختلاف مشاربهم، من مختلف بقاع العالم، وبالرغم من ظهور الأثنا عشرية كمدرسة بدأت تتبلور فكرياً - في هذه المدرسة - إلا أن المؤسسة الدينية المتمثلة بالزعماء الروحانيين، لم تسجل أي نشاط سياسي يخدم السلطة البويهية بشكل مباشر أو تسهم في مناصب حكومية مهمة بل حرصت على أداء وظيفتها بطريقة متوازنة مع الظروف السياسية غير المستقرة»⁽²⁾.

ولعل هناك عاملان أساسيان ساعدا على تطور (حالة التشيع) يمكن ايجازهما بما يلي:

العامل الضمني:

وهو خصوصية التشيع من زاوية إعطاء دور مركزي للعلماء في قيادة الأمة، وإن أهمية هذه القيادة أنها مورست بوجود (سلطة الحكم)، ولم تأت هذه الخصوصية من فراغ، إنما هي من صميم القرآن والسنة، يقول عز من قائل: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّكَ اللَّهُ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28]. وهو ما يؤكد أن العلماء هم في صميم المسؤولية الدينية والشرعية. ذ«العلماء ورثة الأنبياء» و«العلماء أمناء الرسل مالم يدخلوا في غبات السلاطين» وإن «الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»⁽³⁾. وهي قاعدة للعلاقات بين الملوك والناس والحكام، بما يجعل للعلماء الدور المؤثر في حياة الأمة.

العامل الظرفي:

هو أن قيام الدولة البويهية في فاصلها الزمني الممتد من عام 945 هجري - 1055 ميلادي، قد شهد ظهور جمهرة من الفقهاء العظام. إلا أن ثلاثة منهم يعزى لهم السبق في الإهتمام بإطروحة التشيع، في مرحلة النهوض والتطور، والذي أدى بمحصلة الأمر إلى قيام

(1) الجميلي، رشيد عبد الله، دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، (الرباط، 1983م)، ص 19.

(2) القزويني، جودت، المؤسسة الدينية الأثنا عشرية - دراسة في التطور السياسي - ص 4. وهو كتاب مخطوط كإطروحة لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة سوس (لندن).

(3) أصول الكافي، ج 1، ص 34 / باب ثواب العالم والمتعلم. وص 46 / باب المستأكل بعلمه؛ مستدرک الوسائل، باب من صفات القاضي، حديث 7، وحديث 18.

(المؤسسة الحوزوية العلمية الدينية الشيعية) وقد توالوا على قيادتها الواحد تلو الآخر، وهم: «الشيخ المفيد» [336هـ-413هـ / 948م-1022م]، وهو، محمد بن محمد بن النعمان. ويعد المفيد الرائد الأول لمدرسة (الإجتهد) عند الشيعة الإمامية الأثني عشرية. ويأتي بعده عالمان وفقهان مبرزان هما في الأصل من تلامذته وهما كل من «الشيخ المرتضى» [355هـ-436هـ / 965م-1046م]، وهو، علي ابن أبي أحمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. «والشيخ الطوسي» [385هـ-460هـ / 995م-1068م]، وهو، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي بن الحسن.

وقد مارس هؤلاء الفقهاء الثلاثة أدوارهم العلمية والفكرية وفق الأجواء والظروف التي أحاطت بمهماتهم، ويمكن القول أنهم من أوائل من جسّدوا الفكر الشيعي الإمامي الأثني عشري، الذي وضع خطوطه الأساسية الأصيلة الإمام الصادق، من معينه الأول الإمام علي، كما أسلفنا قبل قليل.

وكانت باكورة أعمال الشيخ المفيد في فاصلها الزمني، هو التصدي لتنقية التراث الإمامي وتشذيبه مما علق به من أية إجتهدات فكرية متباينة، وتنزيهه من أية إنحرافات عقائدية تسربت إليه بفعل «الفرق المغالية»، كما ويعود الفضل الأول إلى المفيد في خلق زعامات دينية علمية مؤهلة لزعامة الشيعة الإمامية مثل: الشريف الرضي، والشيخ الطوسي.

ورغم مكانة المرتضى وأعلميته، وتوليّه رئاسة الطالبين بعد وفاة شقيقه «الشريف الرضي» عام (408هـ/1017م) وهو من المناصب المتوارثة عند الطالبين من بني هاشم. إلا أن زعامة المرتضى العلمية والدينية توسعت بعد وفاة المفيد عام (413هـ/1022م) وفي ظل مسؤولياته العلمية والدينية، عمل على تنظيم الدراسة الدينية، وركز إهتمامه الشديد على تنظيم شؤون طلبة العلم، وتسهيل إحتياجاتهم المادية والعينية، بصورة منتظمة، كي يوفر لهم الأجواء المطلوبة للدراسة والتأليف. وهناك من أشار إلى أن المرتضى كان يغطي هذه التكاليف من موارده الخاصة، التي كان يحصل عليها من إستغلال الأراضي الزراعية العائدة له⁽¹⁾. والمرتضى بهذا العمل السديد إنما حصن المؤسسة العلمية الدينية الشيعية، وثبت لها إستقلاليتها، وهو الأمر الذي ظلت تتمتع به هذه المؤسسة على مدى تاريخها الطويل، الذي يمتد لألف عام ولا زال، من دون أن تخضع هذه المؤسسة للتقلبات السياسية والنزوات

(1) البحراني، يوسف، لؤلؤة البحرين، (بيروت، 1986م)، تح: محمد صادق بحر العلوم، ص317.

السلطوية وتأثيراتها، وإليه يرجع الفضل الأول في إقامة المؤسسة المحصنة التي تمتلك ناصية أمرها، وتمتع بالاستقلال الكامل.

وبعد وفاة المرتضى تبوأ الطوسي (460 هـ / 1068 م) الموقع العلمي والديني الأول، وهو في هذا الموقع كان الوريث الطبيعي للفكر والتراث الشيعي المتواصل، وكأي وريث عامل وجاد راح الطوسي يتعمق في إكمال ما ابتدأه سلفيه المفيد والمرتضى، وراح يعمل على إكمال كتابة وتنقيح هذا التراث الفكري، بما يعزز لـ«مدرسة الإمامة» تثبيت مرتكزاتها في علوم الشريعة الإسلامية من وجهة النظر الشيعية، وصولاً إلى فتح الآفاق للباحثين على التاريخين القريب والبعيد، كي ينبروا في الدراسة والبحث والتأليف العلمي الرصين، لأغناء الفكر الشيعي بأية إضفاءات مناسبة، وملئ أي حالة فراغ قد تحصل.

وقد ترك لنا الطوسي مجموعة قيمة من المؤلفات تعد بحق من أغنى وأهم مصادر الفكر الشيعي الإمامي الأثناعشري، والتي لازالت بصمات تأثيراتها واضحة على أجيال العلماء والمجتهدين ورجال الدين حتى اليوم. ولعل من أهم الموضوعات التي كتب وألف فيها الطوسي كانت (علم تفسير القرآن) و(علم الحديث) و(علم الفقه) و(علم أصول الفقه) و(علم الفقه المقارن) و(علم الرجال). ومما لا إشكال فيه أن الفاصل الزمني الذي عاشه الطوسي في بغداد، والذي قدر بأربعين سنة يعد في قياسات التقييم العلمي من أخصب الفترات العلمية والفكرية التي ساعدت على تأليف تلك النشرات المشرفة من الكتب والمؤلفات العلمية. إلا أننا نلاحظ أنه رغم حذر المتقدم ذكرهم الشديد من الإنغماس في العمل السياسي، إلا أن الصراع السياسي والمذهبي فرض نفسه على الواقع حين إحتل السلاجقة بغداد، وراحوا يمعنون في تخريب تلك الجهود الجبارة التي أقامها الرواد من الشيعة الإمامية الأثني عشرية. ويوضح النقاش ذلك قائلاً:

«... أما في بغداد فإن دار العلم... إذا لم تكن شيعية بالكامل، كانت مع ذلك تستخدم في هيئتها التدريسية عددا كبيرا من الكوادر الشيعية... وأعقب إحتلال السلاجقة لبغداد صراع طائفي محتدم، ودوهم بيت العالم الكبي: أبو جعفر محمد الطوسي، ونهبت وأحرقت مكتبته العظيمة. وإذا لم يعد الطوسي قادراً على مواصلة التدريس في بغداد، إنتقل في عام 1056م إلى النجف، حيث إفتتح فيما يعد أول مدرسة شيعية»⁽¹⁾.

(1) نقاش، إسحاق، شيعة العراق، (ط 1، دارالمدى للثقافة والنشر، بيروت، م1996)، تر: عبد الإله النعيمي، ص 436

وتعد مرحلة «تطور التشيع» التي إستعرضناها خطوة رائدة وضعت إطروحة التشيع في مسارها الأصيل لأنها عمقت الأبعاد والمضامين الحقيقية للفكر الشيعي، ونقلته إلى أدواره التكاملية المتواصلة في الأمة. أما ما حصل ويحصل بعد تلك المرحلة من (إضفاء آت إجتهدية)، إنما الهدف المركزي منها المساعدة على فهم ذلك التكامل وتعميقه في وجدان الأمة، في إطار التطبيق والممارسة. هذه خلاصة الآراء والتحليلات والوقائع، حول الشيعة لغة والتشيع إصطلاحاً، كما توصلنا إليها وتلك هي مرتكزات الفكر الشيعي الإمامي الأثني عشري بأبعادها ومضامينها، والتي جسدت مسيرة هذا الفكر العقائدية والسياسية والأقتصادية والتربوية والأخلاقية والأنسانية، عبر الصور الحديثة المنتقاة على سبيل المثال لا الحصر، وما صحب ذلك من حديث عن تطور الفكر الشيعي الإمامي.

نأمل أن نكون قد أعطينا صورة موجزة ولكنها واضحة ومحددة، عن الشيعة والتشيع، وسنحاول في الباب الثاني إعطاء فكرة، عن جذور الشيعة والتشيع، في الخليج والجزيرة العربية، بما يحكم التكامل في هذا الموضوع، ويرسم معالمه. ومن حيث أن أهم مركزين للتشيع العربي الإمامي الأثني عشري، عدا العراق، هما المملكة العربية السعودية، والبحرين الحديثة، وان التشيع العربي في باقي الأقطار الأخرى مثل (الكويت والإمارات العربية المتحدة وقطر وعمان واليمن) إنما إستمدت التشيع من هاتين الحاضرتين، المملكة والبحرين، إضافة للعراق، بفعل الهجرات كما سيتضح.

لذا فإننا سنواصل الحديث عن الشيعة العرب، في كل من دول الخليج المتقدم ذكرها، في الباب القادم، بما يعطي فكرة واضحة، عن جذور التشيع في الخليج والجزيرة العربية، مضمنين تثبيت مركزية التشيع في العراق، بما يتكامل مع الباب الأول.



الباب الثاني

التشيع في الخليج والجزيرة العربية، ومركزه

الفصل الأول: التشيع في الخليج والجزيرة العربية

- المبحث الأول: التشيع في بلاد الحرمين الشريفين
- المبحث الثاني: التشيع في دولة البحرين الحديثة.
- المبحث الثالث: التشيع في دولتا: الإمارات العربية والكويت
- المبحث الرابع: التشيع في دول: قطر، وعمان، واليمن

الفصل الثاني: العراق مركز التشيع

- المبحث الأول: التشيع في الكوفة ونجف العراق
- المبحث الثاني: التشيع في أنحاء العراق

الفصل الأول

التشيع في الخليج والجزيرة العربية

المبحث الأول: التشيع في بلاد الحرمين الشريفين

في كل ناحية من نواحي تناول تاريخ الشيعة والتشيع، يقترن بدء الحديث عن تجليات مسيرة الأئمة الثلاث الأوائل. وذلك فيما يخص إعادة البناء وتقويم التجاوزات، وما جرى في محصلة الأمر من مواجهة مخضبة بالدم، دفع ضريرتها، إستشهاد الأئمة البناة الثلاث الأوائل، للتشيع الإمامي الأثني عشري، وهم كل من الإمام علي، وولديه الإمامين الحسن والحسين. لتصبح تلك التجليات حالة حركية متفاعلة في الأمة، أضفت وما زالت وستبقى تضيفي على الشيعة والتشيع بخاصة، وعلى المسيرة الأنسانية العالمية بعامة، حالة من الأنبهار في مجال الأقتداء، وحالة من التسامي في مجال التطبيق العام، والممارسة العملية اليومية للمتشيعة. فبعد المسيرة الإمامية الأولى لعلي، منذ ضمه الله لنيه بسبب قحط أصاب قريش، وهو بن ست سنوات، فعاش في كنف ابن عمه لبيدأ طريق الرحمن، وهو يتغذى علم رسول الله ونهجه، وينهل من معينهما الغض الذي لا ينضب، القرآن والسنة النبوية.

وحين توالى الخطوب والأحداث، تبوأ الإمام علي مسؤولية الدولة الإسلامية، في ظروف غير تلك الظروف التي عاشها نبيه الكريم محمد ﷺ، والنفوس غير تلك النفوس التي عاشت في محيطه. لذا كانت مهمته في غاية التعقيد، لكنه واجهها بكل مسؤولية، فهو بادئ ذي بدء، رفض المساومات، وأنصاف الحلول، ومداهنة الآخرين، وإستمرار الإيرادات المعطوبة، في مراكز السلطة، ممن عبث في مصالح الدولة والمواطنين. لذا وقف حائلا دونها، فيما عمد إليه، بكل صلابة وتحدي، ليس تجاوزا وقلة حنكة وضعف دراية، وعدم معرفة، لكنه الإسلام ومبادئه التي جاء بها دستور القرآن والسنة النبوية الشريفة، لتقويم مرافق الدولة، ومرتكزاتها التي أصابها العطب حتى اللباب. لذا نراه يضع القواعد العلاجية الحاسمة التي لا رجعة فيها، لكي يعيد الأنصبه الحقوقية والمالية والأنسانية والأقتصادية والسياسية والعسكرية والإدازية، ضمن أطرها الشرعية فيما يخص العام منها أو الخاص، كما أمر بها الإسلام. وهو ما سبق تفصيله في مباحث سابقة.

وكان الأئمة البناة الثلاث الأوائل بالتتابع، يخوضون تلك المعارك المتنوعة، وهي في خضم أوارها التأمري من قبل المناوئين، فقدم الأئمة الثلاث دماهم الزكية، لتكون نواميس

عمل كتبت سطورها بالدم الطاهر، دفاعاً عن بيضة الدين، وحقوق الشعب وكيان الأمة، ولتصبح تلك السطور السراج المضيء لأجيالها، كي تقتبس منه في حاضرها من أجل مستقبلها.

وحتى تكتمل صورة التجليات لا بد من المرور على تلك المسيرة المخضبة بالدم، التي كانت بادئتها مواجهة الإمام علي للناكثين وعلى رأسهم عائشة وطلحة والزبير، والتي ختمت بمعركة الجمل في مدينة البصرة، وكان النصر فيها لمعسكر علي. عندها عزم الإمام رأيته بنقل مركز الخلافة، من المدينة إلى الكوفة، ولم يكن هذا العزم حالة مزاجية، أو عاطفية عابرة، لأن الإمام أيقن أن معركة الجمل هي نتوء لأصل، وأن الأصل كامن في العدو المخاصم الأول الحقيقي الخارج على الشرعية، معاوية بن أبي سفيان، وأن المواجهة لا بد آتية، ولا يتعدى الأمر مجرد وقت، طال أم قصر. وحتى تكون المواجهة ندية وحقيقية فلا بد لها من مستلزمات، لذا فإن نقل مركز الخلافة من المدينة إلى الكوفة هو الذي هيأ تلك المستلزمات. على ضوء الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى مادية لها أسبابها ومسبباتها

أما أسبابها فكانت ديموغرافية وإستراتيجية، فديمغرافياً، كان للإمام علي ثقل بشري من شيعته واتباعه في الكوفة. وإستراتيجياً أنه أثر أن يكون على مقربة من العدو المخاصم معاوية الخارج على الشرعية، والذي يجب الأنتهاء منه، كي تستتب أمور الدولة، «فلا يصلح سيفان في غمد واحد».

وأما المسببات فلأن مقره القديم في المدينة، لم يكن ليهيئ له الكثافة السكانية المطلوبة، كي يستطيع بها مواجهة الخصم من ناحية. وقلة الموارد المالية في المدينة، من ناحية أخرى، كونها أرض قليلة الزرع والضرع، فهي شحيحة العطاء، إضافة إلى بعدها عن مسرح العمليات حين وقوعها. وحين تكون المواجهة المتوقعة، مع عدو كمعاوية يمتلك قدرات بشرية ومادية غير عادية في بلاد الشام، كل هذه المسببات المباشرة، عززت الموقف، فدفعت بالإمام كي يحسم الأمر، بالتفتيش عن موقع يهيئ له المستلزمات التي تمكنه من تلبية إحتياجات عساكره، ليوم المواجهة، ولأي طارئ كان، فكانت مدينة الكوفة هي الموقع المادي والأستراتيجي المطلوب. وبهذا الأنتقال حقق علي بالثقل البشري من شيعته في الكوفة، وموقعها الأستراتيجي، مركزاً قوياً من الناحيتين العسكرية والسياسية⁽¹⁾.

(1) الحسنی، هاشم معروف، سيرة الأئمة، ج 2، ص 464 - 466.

الحقيقة الثانية إحترازية:

لم تكن المدينة المنورة على مستوى من الولاء المطلوب لمركز الشرعية، لكثرة المناوئين له فيها من الأمويين، والموالين لهم، والمتنفعين منهم، ناهيكما في النفوس وبخاصة الأموية منها، من حقد وكره شديدين، لمجندل فرسانهم، حين خرج الأيمان كله، لمحاربة الكفر جلّه، في ساحة الوغى، عند بدء الدعوة وإنتشارها، وذلك عبر معارك فرضها الكفار، وكان الإمام علي بجديتها، وفارس فرسانها. وهو ما شكل دوافع قوية وضاغطة، بما عزز خطوة نقل مركز الخلافة إلى الكوفة⁽¹⁾.

وبعد أن إستتب الأمر في الكوفة، رفض الإمام كل محاولات المساومة، وأنصاف الحلول، التي طرحت عليه، بخصوص الموقف من معاوية، كما رفضها بادئ ذي بدء. لأنه كرم الله وجهه، رأى ببعد بصيرته، أن موقف معاوية يمكن ان يتكرر في أي زمان ومكان، وهو ما يشكل خطراً غير عادي على وحدة كيان الدولة الإسلامية. ومهما يكن، فبعد تلك المسيرة المخضبة بالدم، والتي خاض غمارها الإمام ضد القاسطين وعلى رأسهم معاوية، في معركة صفين، وضد المارقين (الخوارج)، في معركة النهروان التي خاضها قبل ذلك مع الناكثين.

وبعد حالة التقاعس والخذلان التي امسى عليها غالبية أعوانه، وبخاصة بعد توقف معركة صفين بسبب قيام عساكر معاوية الذين شارفوا على الهزيمة، رفع المصاحف على الرؤوس، الأمر الذي دفع بالإمام علي القبول مكرها بالتحكيم، وما ترتب عليه من تنصل وتجاوز، صب لصالح معاوية، بفعل المكر والغدر. وبينما الأمام على وهو يخوض معركته الكبرى، معركة الإسلام المحمدي، ضد الأنحراف السفيناني، تهوى على جبهته الكريمة تلك الضربة الغادرة، فيهبوي النسر مضرجا في دمه الزكي، لكنه وهو الفدائي الأول الذي فدى الأسلام بنفسه، كان حريصا على ان تستمر المسيرة، رغم كل مؤامرات الغدر، التي حاكها الناكثون، والقاسطون، والمارقون. لذا نراه وهو في لحظات الأحتضار من تلك الضربة الغادرة، يوجه هذا الكلام لولديه الحسن والحسين فيقول:

«نعم ولدي لقد نجحت المؤامرة بإغتيالتي، ولهذا سوف تشردون وتقتلون أنتم وشيعتكم. ولكن هذا يجب ان لا يفت في عضدكم، لأن المعركة لم تنته بعد، يجب ان تقاوم حتى تقتل مسموما، ويجب أن يقاوم أخوك الحسين حتى يقتل بالسيف، ولا بد

(1) مجلة الحكمة، العدد/4، السنة/1400هـ، راجع مقالة عنوانها: إستراتيجية الكوفة في خلافة الإمام علي، للعالمي، ص 29 - 33.

أن يستمر الخط، حتى بعد ان سرق من الأمة وجودها، لأن محاولة إسترجاع الوجود إذا بقت حية في أذهان الأمة، فسيبقى نفس الجهاد فيها، ويبقى هناك ما يحصن الأمة ضد التميع وفقدان الإرادة. لأن الأمة حينما تتنازل عن إرادتها، وشخصيتها للطاغوت، حينئذ تكون عرضة للتميع والذوبان في أتون هذا الطاغية وذلك الجبار. ولكن إذا بقي لدى الأمة محاولة إسترجاع هذا الوجود بإستمرار، فهناك أمل في أن تتمكن الأمة من إسترجاع وجودها، وعلى اقل تقدير، سوف تحقق هذه المحاولة كسبا أنيا بإستمرار، وهو تحصين الأمة ضد التميع والذوبان المطلق في إرادة وإطار الحاكم الطاغية⁽¹⁾.

لم يكن كلام الإمام لولديه كلاما عابرا، إنما هو دستور عمل، ومنهج دراية، كي يسيرا على ضوءهما، لتبقى الأمة حاضرة لأسترجاع وجودها، ولتحصين الأمة ضد التميع وفقدان الإرادة لصون بيضة الدين. وتتواصل المسيرة، في الحسينين الأحسنين، الذي قال فيهما الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ قوله المشهورة:

«هذان إمامان قاما أو قعدا، اللهم إني أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما»⁽²⁾.

فإذا وقفنا عند الإمام الحسن، فقد عاصر جده النبي سبع سنين، وهي سني عمره آنذاك، عندما مات جده، والرسول هو القائل فيه عن انس ابن مالك:

«من آذى الحسن فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»⁽³⁾.

وكان الحسن على جانب كبير من مكارم الأخلاق، وحسن السريرة، ولم يكن سنه الزمني في عهد أبي بكر (رض) يسمح بأن يساهم في أي نشاط ميداني لنصرة الإسلام، فقد تعدى عمره إذ ذاك العاشرة حين مات أبو بكر، لكنه في عهد عمر بن الخطاب (رض) تواصل عمره حتى بلغ العشرين، عندها لم يتردد الإمام الحسن في خوض غمار الحروب والفتوحات لنشر الإسلام، فقد شارك في حملة بقيادة عبد الله بن نافع، وأخيه عقبه في فتوحات أفريقيا⁽⁴⁾. وشارك في عهد عثمان بن عفان (رض) في حملة على طبرستان، بقيادة سعيد بن العاص⁽⁵⁾.

(1) الأديب، عادل، دورأئمة أهل البيت في الحياة السياسية، (دارالتعارف للمطبوعات، بيروت، 1988م) ص 157، 158.

(2) الحسيني، هاشم معروف، سيرة الأئمة الاثني عشر/ القسم الاول، ص 511. 527.

(3) المتقي الهندي، كثر العمال، (مطبعة دار المعارف النظامية، حيدر آباد، 1312هـ)، ج 6، ص 222.

(4) الحسيني، م. س، ص 535. نقل عن: بن خلدون كتاب العبر.

(5) الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج 5، ص 57.

أما في عهد أبيه فقد إشتراك في كل حروبه، لتقويم الحالة الإسلامية، حين نزعت النفوس إلى الدنيا وزبرجها. وكثيرا ما كان أباه يرسله في مهمات سياسية خاصة، مفردا، أو مع آخرين، كعمار بن ياسر، وهكذا شارك أباه في حياته السياسية والعسكرية والإدارية، فتمرس على إستيعابها.

كما لم يكن كلام الإمام لولديه كلاما عابرا، إنما هو دستور عمل، ومنهج دراية، كي يسيرا على ضوءهما، لتبقى الأمة حاضرة لأسترجاع وجودها، ولتحصين الأمة ضد التميع وفقدان الإرادة لصون بيضة الدين. وتتواصل المسيرة، في الحسينين الأحسنين، الذي قال فيهما الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ قوله المشهورة:

«يا بني إنه أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أوصي إليك وأدفع إليك كتبي وسلاحي، كما أوصى إلى كتبه وسلاحه، وأمرني أن آمرك إذا حضرك الموت، أن تدفعها إلى اخيك الحسين»⁽¹⁾.

وكان أول ما قام به الحسن وقف خطيبا في مسجد الكوفة قائلاً:

«لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولم يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقه بنفسه، وأينما وجهه رسول الله، كان جبرائيل على يمينه، وميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتى يفتح عليه. أيها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني. فأنا الحسن بن علي، وأنا ابن النبي والوصي، وأنا ابن البشير النذير، والداعي إلى الله بإذنه، وأنا ابن السراج المنير، وأنا من أهل البيت الذين كان جبرئيل ينزل إلينا ويصعد من عندنا، وأنا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وإفترض مودتهم على كل مسلم»⁽²⁾.

وتمت البيعة للإمام الحسن، خليفة وأميرا للمؤمنين، سواء في الكوفة أو الأمصار الأخرى، كالحجاز، واليمن، وفارس. وكان من أوائل المتقدمين لمبايعته، هو قيس بن سعد بن عبادة النصارى⁽³⁾. والشئ الملفت للانتباه أن تلك المبايعة، لم تكن بكل أبعادها ومضامينها، تصب في إنقطاع حقيقي في الولاء للحسن، بعد أن نزعت الكثير من نفوس القوم، إلى الدعة وتحقيق المكاسب، إلا أن المبايعة جاءت كردة فعل سريعة تشوبها عواطف تفجرت أنيا نتيجة تلك الحادثة التراجيدية، التي اودت بحياة أبيه الإمام علي. وكما ان

(1) الطبرسي، أعلام الوري، ص 206.

(2) القرشي، حياة الإمام الحسن، ج 2، ص 32.

(3) الحسيني، سيرة الأئمة، ج 1، ص 557.

للأنقطاع الحقيقي شروطه في الديمومة والبقاء، فإن للمبايعة العاطفية آثارها التي سرعان ما تنطفئ، وتتحول بصورة وأخرى للضد، وهو ما حصل فعلا لدى بعض المتأثرين. ومثل هذا الأمر ليس حالة مستجدة طارئة على الساحة الإسلامية، إنما هي حالة لها أكثر من نموذج، منها حالات: الناكثين، والقاسطين، والمارقين. والتي حسمت في محصلة الأمر لصالح المناوئين الخارجين على الشرعية. وهو ما ساعد على ضعف الحالة الإسلامية، وحصانتها في النفوس، وكان ما كان في عملية تصفية الإمام علي.

وهكذا يتضح أن الأوضاع التي أحاطت بخلافة الإمام الحسن، لم تكن لتسمح له، القيام بواجباته، وخدمة أمته ودينه، وقد ساعدت على تعميق تلك الأوضاع الشاذة، عمليات التآمر والخبث والمكر، من قبل عيون معاوية وجلاوزته، أضف إلى ذلك شراء الذمم الضعيفة، ببذل الأموال والأعطيات، والوعود بالسلطة والحكم. فإذا كان معاوية لم يجرأ على ذلك في عهد علي، بالصورة التي حصلت في عهد الحسن، فإنما ذلك راجع إلى أن ابن أبي سفيان، لم يكن يعتقد أنه مؤهلا لمزاحمة علي، بل مشاغلته، إنما الأمر مختلف مع الإمام الحسن تماما. لذا حسم معاوية الأمر لصالحه ولكن...! ولكن بأخس الأساليب للوصول إلى هدفه، على وتيرة قوله:

«والله لأستميلن بالدنيا ثقة علي، ولأقسمن فيهم الأموال حتى اغلب دنياي آخرت»⁽¹⁾.

وحين بدأت تلك الأساليب تأتي أكلها، حين إنسلخ عن الإمام الحسن مجموعة من أتباعه المهمين، أمثال عبيد الله بن عباس، وخالد بن معمر، وعثمان بن شرحبيل مع عدة آلاف من أعوانهم⁽²⁾. الأمر الذي جعل الإمام الحسن في موقف لا يحسد عليه، فقال قوله المشهورة:

«والله إنني ما سلمت الأمر إلا لأنني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا، لقاتلته ليلي نهاري، حتى يحكم الله بيني وبينه»⁽³⁾.

وشتان بين الحكم لله كما سعى لتحقيقه الإمام الحسن، وبين الحكم للدنيا وزبرجها كما قصد تحقيقه معاوية في تحركاته، وهو ما جاء في حديثه، حين صعد المنبر في حشد من المسلمين خاطبا، فقال:

«إنني لم أحاربكم لكي تصلوا أو تصوموا أو تحجوا أو تزكوا، بل حاربتم لكي أتأمر

(1) الأديب، م. س، ص 184، 185.

(2) الأديب، م. س، ص 184، 185.

(3) الأديب، م. س، ص 184، 185، 193، 197.

عليكم، وقد أعطاني الله ذلك، وانتم لذلك كارهون»⁽¹⁾.

وبعد أن إستتب لمعاوية الملك، أراد تحويله إلى ملك عضوض، في ولده وإمتداده، إذن لا بد من التخلص من الطرف الثاني، في إتفاقية الصلح، وهو الإمام الحسن، لذا عمد إلى من يتوصل في الأندساس إلى عقر داره، ليوغر صدر الزوجة الخثون للإمام الحسن، التي راحت تنفذ تلك المؤامرة القذرة، بدس السم له في طعامه، حتى تقطع كبده، وخر شهيد عقد الصلح، الذي وقعه مع معاوية، وكانت وفاته عام 49 هـ، وهو الأمر الذي مكن معاوية في محصلة الأمر من تثبيت ولاية العهد لابنه يزيد، والتي فرضها عن طريق ثلاث منافذ:

المنفذ الأول: تخلصه من البديل الشرعي وهو الإمام الحسن، والتخلص من عقد الصلح.

المنفذ الثاني: بالقوة والإكراه، لكل من وقف في وجهه.

المنفذ الثالث: وجود أرضية غير صالحة بوجود زمرة من المنتفعين، والتي كانت جاهزة للبدل والتأييد،

بفعل المصالح المشتركة بينها وبين رأس النظام معاوية.

إلا ان هذا الأمر لم يكن بالسهولة التي أراها معاوية لأبنه، لأن هناك إرادة فوق إرادته، وحين يحدثنا الفكيكي عن تلك الإرادة الحسينية يقول:

«لقد تعالت إرادة الحسين على إرادة معاوية ورغبته، في أخذ ولاية العهد لأبنه يزيد، لأن الإرادية السفيانية تنافي مبدأ الخير لأمة محمد ﷺ وإرادة الحسين مصدر افعال الخير والسعادة، وعصمته لا تدفعه إلا إلى الكمال. وقد تعاظمت إرادة أبي عبد الله ﷺ أمام الوليد امير المدينة، لما اراد إكراهه على بيعته يزيد، تعاظمت إرادته، ليحفظ لطبع الهاشمي كل عظمة عربية، وكرامة إنسانية، لأن المبايعه ليزيد خضوع وخنوع لدعارته وفسقه، ولأنها رق وإستسلام للفحشاء والمنكر حتى الموت»⁽²⁾.

لذا كان إطمئنان معاوية على ولاية العهد لأبنه يزيد؛ مشوبا بالكثير من الخوف والترقب. فلذا أحاط هذا الأطمئنان المخاطر، وهو ما حصل فعلا، فحين مات معاوية،

(1) الأديب، م. س، ص 184، 185، 193، 197.

(2) مجلة الموسم، العدد / الثاني عشر، المجلد / الثالث، السنة / 1412 هـ - 1991 م. ص 81 بحث للأستاذ توفيق الفكيكي، عنوانه: الطباع النفسية في ثورة الحسين التحررية.

وخلفه ابنه يزيد على الملك، تحركت الإرادة المحمدية، ممثلة بالإمام الحسين، لتتصدى لهذا الأستخلاف اللاشعري، لرجل أجمعت عليه كتب التاريخ والتراجم، بالفسوق والفجور. فكيف يصار لمثله أن يتقلد أمور المسلمين؟ هذا السؤال لم يجزأ أن يجيب عليه بالتصدي والمواجهة، غير الإمام الحسين، الذي قال قوله المشهورة:

«... إلا إن الدعي ابن الدعي، قد ركز بين إثنين، بين السلة والذلة، وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك، ورسوله، والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وانوف حمية، ونفوس أبية من أن تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام. إلا إني قد أعذرت وانذرت، إلا إني زاحف بهذه الأسرة على قلة العدد وخذلان الناصر»⁽¹⁾.

وحين حسم الإمام الحسين موقفه، لم يأبه لنداء آت المشيرين عليه، بعدم الخروج، كيف ذلك، وهو يحمل رسالة جده مدافعا عنها لعزة الإسلام، ومنافحا لها لصون بيضة الدين، ومكافحا من أجلها لرفعة المسلمين. ويقول الفكيكي ذلك معبرا:

«وقد أنفت إرادته أن يصيخ لقول المشيرين عليه بعدم الخروج من مكة، وقد انفت كذلك أن تمتنع من تلبية نداء أهل الكوفة، والانصراف إليهم لشعوره بالتبعية الأخلاقية، فطلق حياة الدعة والطمانيئة، لخدمة الأمة، ودفع الغوائل والذل والهوان عنها، ذلك تلبية لنوازعه فكان الحمول الأمين الصادق»⁽²⁾.

وهكذا لبى الإيمان كله، لمواجهة الضلال كله، وخرج الإمام الحسين بجمع من أهل بيته، وبعضا من أصحاب جده وأبيه، وشيعته، قاصدا كوفة أبيه، مليبا رغبة أهلها لتولي أمرهم، فقد تزاحم أهلها على الحسين، سواء بمبايعته عن طريق ممثله في الكوفة، مسلم بن عقيل، أو عن طريق الكم الهائل من رسائل المبايعات التي وصلتته من أهل الكوفة، من عامها وخاصها.

وحين وصل الإمام الحسين بركبه، إلى موقع يقال له كربلاء، وهو الموقع الذي قرر فيه عمر ابن سعد قائد القوة التابعة لأبن زياد أمير يزيد في الكوفة، أن يكون موقع المنازلة، بعيدا عن الكوفة، كي يأمنوا عدم قيام عشائرها بمؤازرة الحسين، لذا حوصر الركب من كل الجهات، ومنع عنه الماء، وحين وبند الحسين نفسه وأصحابه، وقد أطبق عليهم العدو، وإنه لا بد ان يكون مقتولا هو ومن معه لا محال، خير أصحابه، بالانصراف عنه، حينما أيقن أن القوم يطلبونه لذاته، دون غيره، فإما أن يبايع يزيدا، أو الموت، أشار عليهم بالتسلل

(1) مجلة الموسم، ن. ع، ص 81.

(2) أيضاً.

ليل، والنجاة بأنفسهم، لكنهم أبوا بإصرار الأوفياء، وصمود الأتقياء، إلا النصر أو الشهادة. وحين دنت ساعة المنازلة، في اليوم العاشر من محرم الحرام عام 61 هـ، وقف الإمام الحسين خاطباً في صحبه وأهل بيته من الفرسان، وقال:

«إن الله تعالى أذن في قتلكم وقتلي في هذا اليوم، فعليكم بالصبر والقتال صبرا يابني الكرام، فما الموت إلا قنطرة تعبر بكم عن البؤس والضراء، إلى الجنان الواسعة، والنعم الدائمة، فأياكم يكره أن ينتقل من سجن إلى قصر، وما هو لأعدائكم إلا كمن ينتقل من قصر إلى سجن وعذاب. إن أبي حدثني عن رسول الله، أن الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر، والموت جسر هؤلاء إلى جناتهم، وجسر هؤلاء إلى جحيمهم، ما كذبت ولا كذبت»⁽¹⁾.

وسجل الحسين وأهل بيته وأصحابه، في هذه المنازلة، سجلاً من البطولات الخوالية، والصمود الرائع، وقد استشهد في هذه المعركة (معركة الطف)، من غرانيق أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة وعلى رأسهم الإمام الحسين، 17 فارساً، أما من أصحابه وشيعته، فكانوا 111 فارساً⁽²⁾. فلنترك سيد قطب للإجابة على تساؤله الذي طرحه، وهو ما العبرة في ذكرى أبي الشهداء؟، إذ رد قائلاً:

«هي عبرة العقيدة التي لا تضعف، والإيمان الذي لا يهن، والعزة التي لا تستخذي، والإباء الذي لا يقهر، والقلب الشجاع الذي لا تردعه الأهوال. وهي في الجانب الآخر عبرة النفس الإنسانية، حتى تمسخ، والطبع البشري حين ينتكس، والشر اللثيم الخسيس حين تسعفه القوة المادية والنذالة القذرة المنتنة حين تواتيها الظروف. وما الذي صنعت الأيام والدهور بهذا وذاك؟ لقد خلدت العقيدة والأيمان والعزة والإباء والقلب الشجاع. خلدتها في القلوب نورا وإيماناً وعقيدة تذكها القرون والأجيال. ولقد دفنت الطبع المنتكس والشر اللثيم والنذالة القذرة وعفت على هذه الصور البشعة، إلا أن تذكرها بالمقت والأزدرء»⁽³⁾.

ورغم كل هذه المظالم نجد أن بعض سلاطين بني أمية، قد أنصفوا الشيعة وأثمهم، منهم عمر بن عبد العزيز (رض) الذي أطلق عليه (الخليفة الخامس) لشدة عدله. ومن المواقف المحسوبة له: أمره إلغاء (سب علي وآله وشيعته) من على منابر المساجد، وهي

(1) مجلة الموسم، ن. ع، ص 402. نقلاً عن: إثبات الوصية، ص 139.

(2) شمس الدين، م. س، ص 56 - 119.

(3) مجلة الموسم، ن. ع، ص 124، من مقالة عنوانها: العبرة في ذكرى أبي الشهداء لسيد قطب.

عادة درج عليها أسلافه وأخلافه⁽¹⁾. وأمر ذوي الشأن أن يوضع في مكان اللعن هذه الآية الكريمة:

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: 90].

وإنه في موقف العدل أعاد عمر بن عبد العزيز فدك لبني فاطمة، وكتب إلى عامله، في المدينة يأمره:

«أن أقسم في ولد علي بن أبي طالب عشرة آلاف دينار - فتعلل الوالي - فكتب له عمر: إذا أتاك كتابي هذا فأقسم في ولد علي من فاطمة (رضوان الله عليهم) عشرة آلاف دينار فطالما تخطتهم حقوقهم»⁽²⁾.

وهناك من السلاطين الأمويين، وهو معاوية بن يزيد، ثالث خلفاء الأمويين، من خلع نفسه منها، مستكراً حقه فيها، وحمل سلفه وهو (أبوه يزيد)، ذنوب ما إقترفه وأتباعه بحق الأسلام والمسلمين، أبان حكمه، وخاطب معاوية هذا الناس قائلاً:

«وإني لأعلم أنكم تكرهوننا لأننا بلينا بكم وبليتم بنا. وقد كان أبي غير خليق بالخلافة على أمة محمد، فركب هواه وأستحسن خطاه...»⁽³⁾.

ومن أبيات لأم اللقمان بنت عقيل بن أبي طالب⁽⁴⁾. تجسد صيغة الأستنكار لواقعة الطف إذ تقول:

ماذا تقولون إذ قال النبي لكم ماذا فعلتم وأنتم آخر الأمم

بعترتي وبأهلي بعد مفتقدي نصف أسارى ونصف ضرجوا بدم

ما كان هذا جزائي إذ نصحت لكم أن تخلفوني بشر في ذوي رحمي

ولم يكن بنو العباس بأفضل ممارسة وتطبيقاً من الأمويين، بل كانوا أكثر نكايه في الشيعة وأئمتهم. ويجسد لنا المظفر مقارنة بين بني أمية وبني العباس فيقول:

(1) ورد في: تاريخ الخلفاء ص 243. وابن الأثير ج 5 ص 42.

(2) المسعودي، مروج الذهب، ص 184، 185.

(3) مقتبس من بحث للمحاماة العراقية بدور زكي الددة، نشر في كتاب: دراسات حول كربلاء ودورها الحضاري، (ط1، دار الصفوة للطباعة والنشر، بيروت عام 1998م)، ص 53.

(4) الحسنی، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية عبر التاريخ (ط2، منشورات دار الهدى، ومنشورات الرضي، قم، 1404هـ)، ص 26. 408.

«ولقد كانت أيام بني أمية ألف شهر، وقد قتلوا فيها الأمائل من العلويين، ولو حسبت من بدء أيام بني العباس إلى ألف شهر لوجدت أن العباسيين قد قتلوا من العلويين أضعاف ما قتله الأمويون، وما قتلوهم إلا وهم عالمون بما لهم من فضل وقربى. وهذا موسى بن عيسى الذي حارب أهل فنج يقول عن الحسين صاحب فنج وأصحابه: هم والله أكرم خلق الله وأحق بما في أيدينا منا، ولكن الملك عقيم، لو أن صاحب هذا القبر - يعني النبي ﷺ - نازعنا الملك ضربنا خيشومه بالسيف»⁽¹⁾.

ولم أجد أنطق وأبلغ من هذه الأبيات الشعرية، التي تصور جور بني العباس، مقارنة بجور بني أمية وبني مروان، ولله در الشاعر الذي صورلنا مدى حقد وكرهية بني العباس، لآل أبي طالب وشيعتهم، حيث هدموا قبر الأمام الحسين وخرّبوا ضريحه، بعد أن فاتتهم فرصة المشاركة في قتله. نقلها لنا كاشف الغطاء⁽²⁾:

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت رسولها مظلوم
فلقد أتته بنو أبيه بمثله هذا لعمر ك قبره مهذوما
أسفوا على أن لا يكونوا شار كوا في قتله فتبعوه رميما

وعلى قاعدة أن الظلم يولد الانتقام، تصاعدت وتائر المواجهة والتصدي، سواء من النادمين التوابين، أو من قبل الذين فاتتهم فرصة نصره الأئمة، أو ممن هم في صميم الحالة الجهادية المستمرة، لنصرة التشيع وأئمتهم. فعمت الانتفاضات والثورات الشيعية، لتشمل كل أرجاء الأمة، ونحاول هنا الإشارة لأهمها دون الخوض في تفصيلاتها، فلها موضع أملك به. وقد أشار الحسنی، نقلا عن مجموعة من المصادر والمراجع، لتلك الانتفاضات والثورات⁽³⁾، وأورد عنها تفصيلات كثيرة، وهي:

(1) ن . م ، ص 36.

(2) كاشف الغطاء، م . س ، ص 52.

(3) الحسنی، م . س ، ص 420 - 506. نقلا عن: الإمامة والسياسة، لأبن قتيبة، ص 19. حياة المختار، للخرطولي، ص 63، 203. الخوارج والشيعة، للمستشرق فلهاوزن. تاريخ الطبري، للطبري، ج 4، ص 533 وج 7، ص 157. الرجال، للكشي، ص 115. الكامل، لأبن الأثير، ج 4، ص 103، وج 5، ص 87، 85، 382. أنساب الأشراف، ج 5، ص 245. تاريخ يعقوبي، لليعقوبي، ج 3، ص 10، 12-14، 66. مروج الذهب، ص 153، 175. تاريخ بن الجوزي، والبداية والنهاية. تاريخ بن كثير، ج 5، 330. مقاتل الطالبين، للأصفهاني، ص 88، 97، 98، 146، 389. تاريخ الشام، لأبن عساكر. وتذكرة الخواص. مناقب أبي حنيفة، لأبن البزاعي، ج 1، ص 55. زيد بن علي، لعبد الرزاق المقرم. وعمدة الطالب.

- 1 - إنتفاضة المدينة المنورة .
- 2 - ثورة التوابين التي إنطلقت من الكوفة وحصل التلاحم فيها في منطقة يقال لها (عين الوردية) في العراق، حيث فشلت وقتل غالبية المقاتلين من التوابين، بمن فيهم قادتهم، وعلى رأسهم سلمان ابن الصرد الخزاعي .
- 3 - ثورة المختار بن عبيدة الثقفي التي تفاعلت في منطقتين الكوفة والموصل في العراق، لكنها فشلت في محصلة الأمر . إلا أنها إستطاعت تصفية كل من شارك فعلا في قتل الحسين وأهل بيته وأتباعه، واحدا واحدا . وبعد هذه الثورة ونجاح مبادئها قتل المختار .
- 4 - ثورة زيد بن علي بن الحسين بدأت في الكوفة، وقتل فيها زيد .
- 5 - إنتفاضة يحيى بن زيد بدأت في الكوفة، وأنتهت بمقتله في مدينة جوزجان، إحدى مدن خراسان .
- 6 - ثورة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، بدأت في الكوفة، وأنتهت بقتله في مدينة هراة، بخراسان، من قبل أعوان أبي مسلم الخراساني .

وبعد هذا العرض الموجز لتجليات مسيرة أركان الشيعة والتشيع، الأئمة الثلاثة، علي والحسن والحسين، وتواصل حلقات المسيرة التاريخية للأئمة الأطهار، عبر مآلوقه على عهد حكام وأجهزة الدولتين الأموية والعباسية . يتواصل نفس النهج ضد الشيعة والتشيع في الخليج والجزيرة العربية، لأتباع مدرسة الإمامة، من الشيعة . فمثلا تعرض ويتعرض الشيعة للتنكيل والعزل والأضطهاد، تعرض ويتعرض التشيع للتشويه والتجاوزات، على سنة ما تعرضوا إليه على أيدي الأمويين والعباسيين . وهكذا فرض على تاريخ الشيعة والتشيع، التصدي والمواجهة، بسبب ما فرض ويفرض عليهم من ظلم وجور، مثلما هو شأن الظالمين، من حكام وأعوان، ألبسوا ولبسوا الحق بالباطل، من أجل مصالح هي في قياسات الدنيا إلى زوال، وكراسي حكم هي في صميم الواقع إلى إندثار، وشتان في مقياس التقييم بين الظالم والمظلوم .

هذه مقدمة فرضت نفسها لأنها من صميم الشيعة والتشيع، وقبل الخوض في صلب المبحث، هناك ملاحظات مهمة تفرض نفسها في سياق هذا المبحث، نرجو من القارئ الكريم، الألتفات إليها، فرغم قلة المصادر والمراجع التي تبحث عن الشيعة والتشيع في الخليج والجزيرة العربية، إلا أننا سبق ان أثبتنا بالدليل القاطع في الفصل الأول، أن جذور التشيع تمتد بعمق جذور الإسلام، وإن البذرة الأولى بذرت في حاضرة الإسلام الجزيرة العربية، وبالتحديد في (المدينة المنورة)، وتبرعمت في حضن الإسلام وأينعت في حجة

الوداع في (غدير خم) أثناء عودة الرسول الأعظم محمد ﷺ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، بعد أداء فريضة الحج. وإن الجزيرة العربية هي أول من شهد هذا الوليد، في ثلاث حقب:

الحقبة الأولى: على مدى الثلاثة والعشرون عاما الأولى، اي منذ «وإنذر عشيرتک الأقربين» وحتى إعلان ولاية علي، من قبل النبي محمد ﷺ، في حجة الوداع.

الحقبة الثانية: على مدى الخمس والعشرون عاما التالية، والتي تمثل فترة خلافة أبو بكر، وتواصل خلافة عمر، وإنهاءا بنهاية مقتل عثمان، عام 35 هـ.

الحقبة الثالثة: على مدى العشرين سنة، منذ مقتل عثمان، وتبوأ علي الخلافة وإستشهاده، فخلافة الحسن وإستشهاده، وحتى معركة الطف عام 61 هـ وإستشهاد الحسين. وعبر تأثيرات تجليات المسيرة الإمامية المتقدمة، التي هي في صميم حالة التواصل بين الأجيال.

لذا فنحن لا نحتاج لأي عناء بصدد إثبات حقيقة التشيع في الجزيرة العربية، فالواقع الذي تقدم فيه الكلام بهذا الخصوص، وتجلياته، قد حسم هذا الأمر، وأصبح من البديهيات بما يسهل علينا المهمة. ولكن ضرورات البحث العلمي، تتطلب أن نسلط الأضواء على جذور الشيعة والتشيع، في بلدان الخليج العربي والجزيرة العربية، وإعطاء لمحة موجزة ولكن مفيدة عن الشيعة الإمامية، بما يتكامل وطبيعة هذه الدراسة.

سنأخذ (نجد والحجاز) المسماة المملكة العربية السعودية لاحقا، و(البحرين القديمة) الأحساء والقطيف والبحرين الحديث لاحقا، نموذجين لذلك، من حيث أن التشيع إنتقل إلى باقي أقطار الجزيرة، من هاتين الحاضرتين، بفعل الهجرات التي حصلت عبر التاريخ، جراء الأضطهاد والتعسف اللذان وقعا على الشيعة الإمامية الأثنا عشرية، في هذين القطرين العربيين المسلمين. كما نحاول إعطاء فكرة موجزة جدا عن الشيعة والتشيع، في كل من، الكويت، والإمارات العربية المتحدة: وقطر، وعمان، واليمن.

الشيعة والتشيع في بلاد الحرمين الشريفين

ويمكننا ان نتناول في صلب هذا الموضوع ما يلي:

- 1 - الجذور، الرواد، الأنتشار، الأقاليم وتوابعها، العوائل:
يقول حمزة الحسن في كتابه «الشيعة في المملكة العربية السعودية»⁽¹⁾.

(1) الحسن، حمزة جعفر، الشيعة في المملكة العربية السعودية، (ط1)، مؤسسة البقيع لأحياء التراث،

«إن تواجد الشيعة في المملكة العربية السعودية، أصبح اليوم من الظواهر الشديدة الإثارة، التي فرضت نفسها على الباحثين والدارسين . . .»

أ - جذور التشيع: يتحدث الحسن عن جذور التشيع يقول إن:

«التشيع كمذهب ليس جديدا فيما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية في المملكة» الأحساء والقطيف «باتفاق جميع من أرخ لها من الماضين والمعاصرين، ولكنهم اختلفوا في تحديد المدة التي دخلها التشيع، هل هي في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ام في عهد الإمام علي بن أبي طالب». أما فيما يخص واضعي البذرة الأولى للتشيع، فيقول عنهم⁽¹⁾:

«إن اول من بذر بذرة التشيع فيما عرف قديما بمنطقة البحرين والتي كانت تشمل (أوال، والخط، وهجر، والمعروفة اليوم بإسم البحرين، والقطيف، والأحساء، على التوالي) هو الصحابي الجليل أبان بن سعيد بن العاص الأموي الذي ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم البحرين، مسؤولا عن بيت المال. وكان ابان من الموالين للإمام علي، فغرس التشيع في المنطقة». ويشير الحسن إلى أن هناك من يرى:

«بأن التشيع لم يكن معروفا حتى خلافة علي بن أبي طالب، وإن منطقة البحرين «القديمة» اعتنقت التشيع في عهده، وإنها شاركت الإمام في حروبه كلها (الجمال وصفين والنهروان)».

وهناك من المؤرخين والباحثين من أشار لأصول الشيعة في هذه المناطق، فالدكتور الرميحي يذهب في هذا الشأن مؤكدا أن أصول السكان في منطقة الأحساء هم من أحفاد القبائل العربية القديمة التي سادت الجزيرة العربية، منذ آلاف السنين، يقدرها الرميحي بثلاثة آلاف سنة⁽²⁾. ويقول الدكتور العلي في ذلك:

«لا يوجد في كل الأقاليم دين غير الإسلام، والإماميون في مكة والمدينة، ويتكاثرون في الأحساء والقطيف خاصة، وكل سكانها من الشيعة»⁽³⁾. . . ويخلص الحسن إلى القول:

«أن الشيعة عرب في أصلهم. وهم قسمان : قسم ينتمي إلى القبائل العربية الأصلية القديمة، التي كانت تقطن المنطقة قبل الإسلام (عبد قيس وبكر بن وائل)، وقسم ينتمي

(1) د. الرميحي، محمد، الخليج العربي دراسة في أصول السكان، (القاهرة، 1970م)، ص 26.

(2) د. العلي، عبد الله الحامد، الشعر في الجزيرة العربية (خلال قرنين 1150-1350هـ)، ص 38.

(3) المصدر السابق نفسه.

إلى اصول بدوية تحضرت وأعتقت المذهب الشيعي، أو عوائل وفروع قبائل أغراها السكن والرفاه، فوفدت من مدن ومناطق مختلفة - خاصة من نجد - إلى الأحساء والقطيف، وإندمجت مع البقية وذابت عصبيتها⁽¹⁾.

لقد سبق أن تطرقنا في مبحث سابق أن الكثير من القبائل العربية قد تشيعوا للإمام علي وإنسبوا لمدرسته. إلا ان التشيع في منطقة الأحساء والقطيف قد إرتكز بادئ ذي بدء، على قبيلة ربيعة وعشائرها وبالخصوص (عبد قيس وبكر بن وائل) وهما من أكبر العشائر العربية، وكانت لهما مواقف رائدة في دعم التشيع، ونصرة الإمام علي في مواقف عدة كما سيتضح، لكن توسع التشيع وإنتشاره لاحقاً قد ساعد على إنضمام الكثير من العشائر والفروع، وبالخصوص تلك التي نزحت من نجد ولأسباب شتى، لتستقر في الأحساء والقطيف. وحين يتحدث الحسن عن أهم القبائل الشيعية، التي ناصرت الإمام علي، وهي قبائل ربيعة وبالخصوص (عبد قيس، وبكر بن وائل)، يقول عنهم:

«كانت من اشد الأنصار لعلي ومن جملة مديحه لها في صفين قوله لرؤسائها أنتم درعي ورمحي؛ أنتم أنصاري ومجيبو دعوتي ومن أوثق حي في العرب في نفسي. ووصف الإمام علي رايات ربيعة بأنها رايات الله وفي صفين أعجب الإمام بزحف حامل راية ربيعة الحمراء (الحضيين بن منذر) فقال:

لمن راية حمراء يخفق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدما
وينوبها في الصف كيما يديرها حمام المنايا تقطر الموت والدماء⁽²⁾

ب - إستمرارية تعميق جذور التشيع والولاء لمدرسة الإمامة: لم يتوقف ولاء المتقدم ذكرهم من القبائل العربية الشيعية الموالية، لمدرسة الإمامة، في أي مقطع زمني كان، بل ظلوا على تشيعهم حتى بعد قيام الدول الأموية، والقرمطية، والعباسية، والعثمانية، والسعودية، رغم كل ما حصل لهم من إضطهاد وعزل وسياسي. ويتحدث الحسن عن بعض تلك الحقب، فيقول:

«وقد إستمر تشبثهم بولائهم هذا بعد وفاة الإمام، وسيطرة الأمويين على الحكم، والذين حاولوا ترسيخ أقدامهم في المنطقة، إلا انهم فشلوا في ذلك، لكثرة المناوئين لهم، ولنزوح الكثير من المعارضين للحكم الأموي، إلى تلك المنطقة سواء من

(1) الحسن، م . س، ص 26، 27.

(2) ن . م، ص 17.

الحجاز أو من العراق أو غيرها. ومن الثابت أن الأحساء والقطيف كانت بؤرة معارضة للدولة الأموية، حتى أنحلالها، وإستيلاء العباسيين على الخلافة. ولم يكن لهذه المنطقة في نهايات القرن الثالث الهجري أي علاقة بالخلافة العباسية. وفي هذه الفترة سيطر القرامطة على المنطقة، وامعنوا في الشيعة قتلا وتحريقا. وإستطاع العيونيون الشيعة في سنة 466 هـ إنهاء حكم القرامطة، والإجهاز عليهم، وحكموا المنطقة نحو 170 عاما».

وعدا حكم دويلة العيونيون الشيعة العربية، قامت هناك دويلات شيعية عربية أخرى. أشار إليها الحسن بقوله:

«وإلى هنا فإن معظم سكان المنطقة من الشيعة، وقد بقوا كذلك في عهد الدويلات المتعاقبة، كبنو عقيل، وآل عصفور، وآل جروان، وآل جبر، وآل مغماس».

وحين بدأت مرحلة الأستعمار، سيطر المستعمرون البرتغاليون على المنطقة. ويحدثنا عن ذلك الحسن قائلا:

«بعد هذا سيطر البرتغاليون على المنطقة، في اول إستعمار غربي صليبي لمنطقة الخليج، فإستجد الشيعة بالعثمانيين، رغم الخلاف المذهبي، فكانت لهم الغلبة، وحكموا المنطقة من سنة 960 هـ إلى سنة 1080 هـ، حيث إستطاعت قبيلة بني خالد القوية أن تنهي الحكم العثماني، وتحكم المنطقة حتى سنة 1207 هـ. وفي عهد الخوالد هذا وبعد أن فرضوا حكمهم بالعنف في بدايته إندمجوا مع الشيعة، وتحولت كثير من أفرع قبيلتهم إلى جماعات مستقرة تعتنق المذهب الشيعي»⁽¹⁾.

وهكذا تعاقب حكم الأمويون والقرامطيون والعباسيون والعثمانيون والسعوديون، على هذه المنطقة. وينقل لنا الحسن ما ذكرته الكتب الأجنبية عن الشيعة في المملكة العربية السعودية، هذا النص:

«إن الشيعة في المملكة ورغم أنهم يتبعون المذهب الأثني عشري كالإيرانيين والعراقيين واللبنانيين وغيرهم، إلا أنهم عرب، وفي بعض الأحيان يسمون بالبحارنة، نسبة إلى البحرين القديمة - سبق الإشارة إليها - دلالة على أصلاتهم في هذه المنطقة، وهم عرقيا قريبون من الشيعة في البحرين»⁽²⁾.

(1) م . ن ، ص 18.

(2) م ، ن ، ص 29. نقلا عن:

يبدو في هذا النص أن الباحث هنا حين يقول (إلا أنهم عرب) إنما يحاول أن يوحي من سياق العبارة، كأن العراقيين واللبنانيين الشيعة ليسوا عربا، فإن كان قصده هذا، فهو واهم وغير دقيق في حكمه، فقد أثبتنا بما لا يقبل النقاش عروبة شيعة العراق، في حين أن شيعة لبنان هم في صميم العروبة، وفي ضوء ذلك فليس لأي منهما أي إنتماء آخر، غير الأنتماء للعروبة والأسلام.

وحرى هنا التنويه على ان التشيع الإيراني الذي تحقق قبل أربعة قرون من الزمن، تم بواسطة العرب، وبالتحديد عرب العراق ولبنان والبحرين. إلا أن الكثير من المؤرخين المعاصرين المتأثرين بالطائفية السياسية، يحاولون أن يمزجوا بين كلمتي: إيراني - شيعي، وعلى هذا الأساس يحارب الشيعة اليوم في السعودية والبحرين. إلا أننا سنجد صور أخرى لمؤرخين معاصرين من السنة، لكنهم منصفين، أكدوا عروبة شيعة البحرين والسعودية، وأرجعوهم إلى أصولهم وجذورهم العربية الحقيقية.

ت - رواد التشيع في الأحساء والقطيف: رغم ان رواد التشيع ينتسبون لقبائل وعشائر عربية شتى، إلا أن من أهم رواد التشيع في هذه المنطقة، كانوا من قبائل ربيعة وبالتحديد من (عبد قيس). ويتطرق الحسن إلى أشهر رواد التشيع العرب، الذين ناصروا عليا، ومنهم:

- 1 - الصحابي الجليل حكيم بن جبلة العبدي؛ الذي قتل وولده في معركة الجمل الأصفر.
- 2 - الصحابي الجليل صعصعة بن صوحان العبدي؛ شارك في معارك علي كلها.
- 3 - الصحابي الجليل عمرو بن المرجوم العبدي، حارب مع علي في معارك الجمل وصفين.
- 4 - صحار بن العباس العبدي؛ شهد مع علي مواقعه.
- 5 - حويرثة بن سمي العبدي؛ شهد مع علي مواقعه.
- 6 - قدامة بن مسروق العبدي؛ إستشهد في صفوف علي في معركة صفين.
- 7 - الحارث بن منصور العبدي؛ شهد مع علي صفين.
- 8 - الحارث بن مرة العبدي؛ قائد ميسرة جيش علي في صفين⁽¹⁾.

وكشأن القبائل العربية، فقد برز في هذه المنطقة نخبة من الشعراء المنتمون لهذه القبائل

Saudi Arabia Modernization, The Impact Of Change On Stability. By John A. Shaw & David = E. Long, The Center For Stratigic And International Studies, George town University Washington D,C. 1988 P98.

الشيعة، والذين يدينون بالولاء لمدرسة الإمامة، وقد وظفوا شعرهم لخدمة التشيع والدفاع عنه. وأشار الحسن إلى شريحة منهم:

1 - بشر بن منقذ العبدي المشهور بالأعور الشني، الذي وقف بين يدي الإمام علي أثناء معركة صفين وانشده قصيدة إخرنا منها:

أبا حسن أنت شمس النهار وهاذان في الحادثات القمر
وأنت وهذان حتى الممات بمنزلة السمع بعد البصر

ويعبر الشاعر بالبيتين عن إنتمائه للتشيع وإنقطاعه للإمام في حياته، ولولديه من بعده حين نزول الحادثات. وفي موضع آخر يقول نفس الشاعر مفاخرًا بعشيرته ربعة، مبدية إعترازه بمديح الإمام علي لها، وإعتماده عليها حين الخطوب وحصول المحن، والشاعر هنا إنما يفخر بأن إمامهم قد ثمن موافقهم بإعتراز الأوفياء، فيقول:

أنا أمير المؤمنين فحسبنا على الناس طرا أجمعين بها فضلا
فأئني ثناء لم ير الناس مثه على قومنا طرا وكنا له أهلا

2 - قثم بن خبيثة المعروف بـ (الصلتان العبدي)، وكان من شعراء الإمام أثناء معارك الجمل وصفين، ومن شعره في صفين يهجو أحد أعدائه، بعد ان تأكلته السيوف، ووسدته الثرى:

ألا يا عبيد الله ما زلت مولعا ببكر لها تهدي اللغا والتههدا
كأن حماة الحي من بكر وائل بذى الرمث أسد قد تبوان غرقدا
وكنت سفيها قد تعودت عادة وكل إمرة جار على ما تعودا
فأصبحت مصلوبا على شر آلة صريع قنا بين العجاجة مفردا

وهناك شعراء آخرون⁽¹⁾، ذكرهم الحسن، منهم:

الأمير علي بن المقرب العيوني؛ الشيخ محسن فرج؛ الشيخ جعفر بن محمد بن حسن العبدي المعروف بـ (أبي البحر)؛ الشيخ فرج الخطي؛ زياد العجم. الشيخ حسن التاروتي؛ الشيخ محسن فرج؛ الشيخ علي بن حبيب التاروتي؛ الشيخ علي نقي الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي.

وكما هي التهمة ضد شيعة العراق على أنهم إيرانيون أو هنود، نرى أن ذات التهمة توجه لشيعة الأحساء والقطيف، فرغم أن الكثير من المصادر والمراجع تؤكد عربيتهم كما

أوضحنا، إلا أن البعض منهم وبفعل الحقد المذهبي، والطائفية السياسية، يفترون عليهم، وينسبونهم تارة للإيرانيين وأخرى للهنود. فمثلاً نلاحظ أن بوعلية يحاول قلب الحقائق الساطعة، حين يقول:

«والسنة في الأقليم يرجعون إلى اصل عربي، وهم احفاد العرب الأوائل الذين قطنوا هذا الأقليم منذ زمن بعيد. أما الشيعة فيرجعون في أصولهم إلى اصل عجمي، والقليل منهم من اصل هندي»⁽¹⁾ . .

فدعونا نقف معاً على معادلة إفتراضية من نسج الخيال هي أن قبائل ربيعة وأبرز عشائرها (عبد قيس وبكر بن وائل) هم من الإيرانيين أو الهنود، وإذا ما أصابنا هوس معاذ الله وأقررنا بذلك، ففي هذه الحالة (فلنقرأ على العرب السلام)، فبدونهم سوف لن يكون هناك وجودا للعرب أصلاً على وجه البصيرة ولكن! ولكن أنى يكون ذلك وربيعة أصل متجذر من أصول العرب واركانهم، كما أجمعت كتب التراجم والأنساب. إذن فليخسأ رموز الطائفية البغيضة لأنهم في كل المقاييس العلمية والأخلاقية، مسؤولون أمام الحقيقة والتاريخ عن إفتراءاتهم. ويعقب الحسن على هذه الأفتراءات ما يلي:

«وبالنسبة لمنطقة الأحساء والقطيف، فإن أحتكاكهما بفارس كان ضعيفاً، عدا التوافق المذهبي ونزوح جماعات من الشيعة إلى أقاليم فارس المأهولة بالعرب على إمتداد ساحل الخليج الشرقي، وبالخصوص إلى ما عرف سابقاً، بإسم إمارة «عربستان»⁽²⁾ . .

وللعلم إن (عربستان) هي بالأصل عربية أرضاً وشعباً وإدارة، وهو ما ستحدث عنه في مبحث الشيعة ومكونات الشعب العراقي، بشئ من التفصيل، حيث تبرز حقيقة أن الكثير من العشائر العربية التي تسكن عربستان، يوجد لها إمتدادات وتواصل في داخل العراق حتى يومنا هذا. ورغم طبيعة التسنن الطائفي الذي عليه ابن بطوطة، إلا أنه لم يجرأ حين زار إقليم القطيف، إلا أن يعترف بعروبة أهله الشيعة، حيث يقول:

«ثم سافرنا إلى مدينة القطيف وهي مدينة كبيرة حسنة ذات نخيل كثير يسكنها طوائف من العرب وهم رافضية غلاة، يظهرون الرفض جهاراً، لا يتقون أحداً، ويقول مؤذنتهم في أذانه بعد الشهادتين: أشهد أن علياً ولي الله، ويزيد بعد الحيعلتين. ويعني بالحيعلتين: بعد حي على الفلاح مكرراً، وحي على الصلاة مكرراً حي على خير

(1) بوعلية، عبد الفتاح، الإصلاح الإجتماعي في عهد الملك عبد العزيز (الرياض، 1986م)، ص 47.

(2) الحسن، م . س، ص 28.

العمل . ويزيد بعد التكبير الأخير : محمد وعلي خير البشر ، من خالفهما فقد كفر»⁽¹⁾ .

لقد استرعى إنتباهي هذا النص وشدني التعقيب عليه فعن (الرفض جهارا) ، ويعني بها المؤرخ : رفض خلافة أبو بكر وعمر وعثمان (رضي الله عنهم) ، إنطلاقا من أن الشيعة تعتبر ذلك تجاوزا على حق علي وأولويه في الخلافة ، أستنادا لحديث الغدير المتقدم ذكره في مبحث سابق ، أرد على ذلك وأقول لابن بطوطة ولمن هم في سياق إعتقاده ، إنه مع إعتقاد الشيعة بهذه الأحقية ، إلا أنهم وجميع المسلمون يعلمون علم اليقين أن إمامهم علي ، قد بايع الأول والثاني والثالث ، وشد من عضدهم ، بما قدمه إليهم من نصح وإرشادات ، في مجال الفقه والقضاء والإدارة العامة ، لصيانة الدولة العربية الإسلامية الفتية من التصدع ، وبما حاول تقديمه من حماية لآخرهم وفداه بولديه . وهذا لوحده يسكت أية مقولات في هذا الاتجاه . وإن هذا الموضوع وإن وجد في وقته المبكر من عمر الدولة العربية الإسلامية ، إلا انه اليوم أصبح من الماضي ، فهل من مصلحة العروبة والإسلام ، أن نصيب من الماضي سلبياته ، بما يضعف وضع العرب والمسلمين في الحاضر ، وهم بأمس الحاجة لأيجابياته . فإذا ما وضعنا أمامنا (العائلية المتفردة) التي جمعت النبي والخلفاء الأربعة في الميزان ، فإنها ستعيد لنا الأمل في قوة الموقف ووحدة الكلمة ، فهذا النبي كانت تحته السيدة عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهي ابنة أبو بكر الخليفة الأول ، كما كانت تحته أيضا السيدة حفصة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابنة الخليفة الثاني عمر ، وهذا عثمان الخليفة الثالث كانت تحته ربيبتا النبي ، السيدة أم كلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أولا ، وبعد وفاتها كانت الثانية أختها السيدة رقية رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وهما إبنتا أخت خديجة أم المؤمنين رض الله عنهن جميعا ، وهذا عمر بن الخطاب كانت تحته السيدة أم كلثوم رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ابنة الإمام علي ، وخاتمة العلاقة المتفردة ، كان زواج الإمام علي من الزهراء فاطمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا بنت النبي محمد . فأية علاقة صميمية ومتفردة ، كهذه العلاقة العائلية الإنسانية الرائدة ، التي ربطت بين النخبة الأولى في الإسلام؟ إن مثل هذه العلاقات العائلية الإنسانية وما ترتب عليها من حقوق وواجبات وحدود ، تستدعي من المسلمين كافة ، الإعراض عن ترديد وترويج ما يسئ لهذه العلاقة ، بأي شكل من الأشكال ، لأنها ليست من الدين بشئ .

أما فيما يخص ما ذكره بن بطوطة بخصوص الأذان ، فأنا معه فيما ذهب إليه 100% ولكن إستنتاجه من (أذان الشيعة) هذا والذي دفعه لرمي الشيعة في (المغالاة) ، لم يكن منصفاً فيه ، فقد كان الأجدر به أن يستكمل الصورة ، بالإجابة عن لماذا حصل ذلك؟ فإذا عالجتنا السبب

(1) ابن بطوطة ، رحلة بن بطوطة/ المسماة : تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، (دار الكتاب اللبناني ، بيروت) ، ص 186 .

بطل التشبث بتعاطيه، والأنقياد في تكراره من قبل الباحثين، وإن أنجع طريقة في المعالجة هو العودة إلى أذان بلال الحبشي رضي الله عنه وهو الأذان الذي أملى نصه عليه النبي صلى الله عليه وسلم، وسار عليه المسلمون أثناء قيادة النبي، وخلافة الأول أبو بكر، وذلك بإلغاء (الصلاة خير من النوم) التي إجتهد ابن الخطاب وأضافها لنص الأذان وجعله وجوبا. وإلغاء (علي ولي الله) التي أجتهد الشيعة الإمامية الأثنا عشرية وأضافوها لنص الأذان إستحبابا، وعلى ان يعاد لنص الأذان المحمدي ما إقتطع منه وهو (حي على خير العمل) الذي ألغي في عهد بن الخطاب، وهو من موجبات الأذان، ويعاد التسبل الذي كان معمولا به على عهد النبي وأبي بكر وجوبا، بدل التكتف الذي ساد بعدهما، بإجتهد بن الخطاب وجعله وجوبا، رغم ان التكتف غير معمول به لدى بعض جمهور المسلمين. مقتدين بقوله تعالى: «فما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فإنتهوا منه»؛ «ولكم في رسول الله إسوة حسنة». عندها يكون المسلمون جميعا موحدي الأذان والوقوف، بما يتكامل ووحدة الشهاداتتين، وهما أساس الإسلام.

ث - إنتشار التشيع: بعد ان إستعرضنا في هذا المقطع جذور التشيع ورواده، ننتقل بالحديث عن إنتشار التشيع، واماكنه، وتوزع جماهيره على خارطة المملكة. ويحدد الحسن طبيعة إنتشار الشيعة فيقول:

«يسكن الشيعة الإثنا عشرية (الإمامية) في مدن وقرى المنطقة الشرقية، إضافة إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة. فيما يتمركز الإسماعيليون جنوب المملكة (نجران وقرها)، وتوجد أقلييات شيعية (زيدية وإمامية) في مدن وقرى مختلفة من المملكة»⁽¹⁾. وهناك حقيقة يجب أن لا تغرب عن البال وهي، أن وجود الشيعة العرب الإمامية الأثنا عشرية، لم يقتصر على إقليمي الأحساء والقطيف، أو ما يطلق عليها (المنطقة الشرقية)، وإن كان هذان الأقليمان يمثلان حالة الكثافة السكانية الشيعية العربية في المملكة، بل هناك وجودا شيعيا عربيا متفاوتا في بقية أجزاء خارطة المملكة السكانية. وفي ضوء ماتقدم فللشيعة العرب وجود متفاوت في مناطق عديدة لعل من أهمها:

1 - المدينة المنورة: لقد سبق أن أثبتنا أن جذور التشيع الأولى نبتت في المدينة المنورة، وذلك في عهد الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم. وتسكن المدينة وأحيائها اليوم في: السويرقية، وينبع النخل، ومهد الذهب، أربعة مجموعات من الشيعة العرب الإمامية الأثنا عشرية، منهم النخولة؛ الأشراف من (بني هاشم)؛ قبائل حرب وجهينة المشاهدة. ولم يقتصر وجود الشيعة العرب على المدينة المنورة وأحيائها فحسب، بل

(1) الحسن، م . س، ص 32.

ينتشرون بنسب متفاوتة في كل اء المملكة، كمكة المكرمة، والطائف، وجدة، ونجران، وحائل، وأحياء هذه المدن . . . الخ. وإليكم نماذج من الأتهامات والأفترآآت على الشيعة والتشيع، من قبل المتحاملين، فحين يتحدث أحدهم عن الشيعة النخالة يقول عنهم:

«بيت النخلي، وكلهم شيعة شنيعة وأغالبيهم جهلة لا يكادون يفهمون شيئاً من مذهب الرافضة، وإنما وجدوا آباءهم على أمة وهم على آثارهم مقتدون، وهم معهم بلا شك في النار يحشرون. وقد ذاع وشاع وملاً الأسماع أن أصلهم من بغايا أولاد النساء اللواتي حملن بالزنا في قضية الحرة المشهورة في أيام الخبيث يزيد بن معاوية، حين إستباح المدينة قتلا ونهباً وفسقاً وسلباً. وقيل أن النخالة بعضهم أصلهم من العبيد، وبعضهم من الهنود، وبعضهم من اليمن، وبعضهم من المغرب، وبعضهم من مصر، وبعضهم من الحجاز وغير ذلك»⁽¹⁾.

والملاحظ في هذا النص التناقض والتخبط الأعمى، حيث يفضح الكاتب نفسه بنفسه، وهو يتحدث عن الإستباحة والزنا، دون أن يلتفت إلى باقي أهالي المدينة، ومنهم الأشراف من بني هاشم، والعوائل المرموقة، من عشائر الأنصار (الأوس والخزرج)، والذين يضمون الشيعيين وغيرهم، فهل أن جيش يزيد إستباح وزنا في شريحة دون أخرى؟، ولا أدري كيف فرز الباحث بين المكونات، بين من تم الزنا فيهم وبين من سلم منه؟. هذا من زاوية. أما الزاوية الثانية التي ورط الباحث فيها نفسه، تخبطه في تنسيبه للنخالة المزني بهم، فمرة ينسبهم للعبيد، وأخرى للهنود، وأخرى لليمن، ورابعة لمصر، وخامسة للحجاز، ولا ندري هنا كيف يسكت ذوي المروآآت والشرف بهذا التعريض الذي شمل به القاصي والداني؟، ألا ساء ما يصفون.

والنخالة كما هو معروف عنهم أنهم ينتمون لقبائل عربية، وقد تداخل معهم بعض أبناء القبائل الأخرى، طلباً للحماية مثل (العصاري) وهم من قبيلة (عنزة) المعروفه، من بني (أعصر)، فهل يعقل أن تنتمي فروع من مثل قبيلة (عنزة) بأولاد وأحفاد الزنا؟، على حد ما ذهب إليه هذا الداعية الوهابي. وليس مصادفة ان يتطابق نهج الوهابيين هذا، مع نهج البعض من العراقيين، حيث يلتقي تعريض الوهابيين وسلطة الحكم بالشيعة في المملكة، مع تعريض النظام واتباعه في بغداد بالشيعة في العراق. وكنموذج عراقي يقابل نموذج النخالة

(1) المدني، عبد الرحمن بن عبد الكريم، تحفة المحبين والأصحاب في معرفة ما للمدنيين من انساب،

السعودي، وهم عشيرة البومحمد التي سكنت العمارة، وسنعرض لها أثناء الحديث عن الشيعة ومكونات الشعب العراقي، للتدليل على تطابق النهجين ومن ذات المنطلقات في السعودية والعراق ضد الشيعة العرب. وكان هناك نهج موحد ضد الشيعة أينما كانوا، يعمل ضمن (دائرة الاتهامات).

2 - الأقاليم وتوابعها، والعوائل التي ضمتها: ودون التوسع في تفصيلات الأماكن التي توزعت عليها جماهير الشيعة، والعوائل التي برزت فيها، نحاول الإشارة إلى ذلك بما يغطي حاجة البحث. لذا سنقتصر على ذكر أسماء الأماكن وأحيائها أولاً، فأسماء بعض العوائل ورجالاتها ثانياً، وبيان منزلتهم العلمية والأدبية والإدارية، في كل من الأقليمين، الأحساء والقطيف كل على حدة.

3 - (إقليم الأحساء) المدن، الأحياء، العوائل الشيعية العربية:

أ - مدينة الهفوف؛ وهي المدينة الأولى وعاصمة الأحساء وأهم أحيائها الرفعة الشمالية، الرفعة الجنوبية، الكوت، الفريق الشمالي، الفاضلية، التعاون، المزرع، السدرة، الحداديد، السويح، النعائل، الرقيات، اليحيى، الأندلس، الزيقان

ب - مدينة المبرز؛ وتعد ثاني مدينة في الأحساء وأهم أحيائها الشعبة القديمة، الشعبة الجديدة، السياسب، المجابل، العيوني، العتبان، التنزهة، اليحيى، الخرس، الراشدية، محاسن، الحمادية، القوع.

ت - مدن أخرى؛ وهناك مدن أخرى نشير لأسمائها، وهي الجبيل، الشهارين، البطالية، المطيرفي، بني معن، الدالوة، القارة، المنصورة، التيمية، الطرييل، الحوطة، القرن، العقار، الحليلة، الغنسي، المزاوي، المركز، بني نحو، أبو ثور، الساباط، العمران الشمالية، العمران الجنوبية، الشعبة، المنيزلة، الفضول، جليجلة، الطرف، الجفر، الجشة، الصبايخ، الدوبكية، أبو رمل، أبو الحصى، الشويكية، السيدوية، السويدرد، الضاحية، العرامية، العلية، الغرس، واسط.

أما أهم العوائل الشيعية العربية، التي سكنت مدن وأحياء هذا الإقليم، مقتصرين على ذكر بعضها وبعض رجالاتها: (آل بوخمسين) ومن رجالاتها: الشيخ محمد بوخمسين، والشيخ باقر بوخمسين وهو قاضي شيعة الأحساء للأوقاف والموارث، ومنهم الكاتب الصحافي علي بن أحمد بوخمسين. وتوجد عوائل منهم في الكويت والبصرة، نزحوا لهما من الأحساء. (آل الشواف) ومن رجالاتها: الشيخ حسين الشواف، والشهيد محمد نور الشواف، الذي إستشهد في عام 1406هـ. (آل بو حليقة) ومن رجالاتها: الشيخ عبد الله بو حليقة، وكان له إهتمام واضح في تأسيس المجالس

الحسينية، والشيخ أحمد بو حليقة. (آل بوقطان) ومن رجالاتها: علي القطان الذي اشتهر في تأسيس المجالس الحسينية. (آل بو رمضان) ومن رجالاتها: الشيخ أحمد رمضان، والشهيد الشاعر علي رمضان، الذي استشهد في عام 1370هـ. والشاعر المعاصر محمد حسين الرمضان. (آل بو هلال) ومن رجالاتها: الخطيب الشيخ عبد الحميد الهلالي، والشيخ جعفر الهلالي. وقد سكنت عوائل منهم في الزبير ثم إنتقلت إلى النجف في العراق. (آل السويج) السادة ومن رجالاتها: السيد علي السويج، ومنهم عوائل سكنوا مدينة البصرة العراقية. (آل حرز) السادة ومن رجالاتها: السيد محمد حرز، صاحب موسوعة رجال الشيعة، الذي ضم أكثر من خمسمائة ترجمة لأعلام الشيعة. (آل الهاجري) ومن رجالاتها: المجتهد آية الله الشيخ محمد الهاجري. (آل السلمان) السادة ومن رجالاتها: آية الله السيد ناصر السلمان، والسيد محمد السلمان. (آل الجبران) وهي من العوائل العلمية، ومن رجالاتها: الشيخ محمد الجبران، والشيخ صادق الجبران. (آل البشر) ومن رجالاتها: عيسى البشر الذي تجرأ في حضرة الملك فيصل السعود وطالب بحقوق الشيعة، مما دفع بجلالته على إعتقال البشر وإداعه السجن. (آل شايب) ومن رجالاتها: الأستاذ المهندس عبد الله شايب. (آل مسلم) ومن رجالاتها: الشيخ عبد الله ناصر المسلم، الذي استشهد في سجون صدام سنة 1988م، وقد رفضت الحكومة السعودية التدخل لإنقاذه. (آل الشخص) وهم من السادة، ومن رجالاتها: آية الله السيد باقر الشخص، والشاعر الأستاذ محمد رضا الشخص، والخطيب السيد هاشم الشخص. (آل العلي) ومن رجالاتها: الأديب الشاعر محمد العلي، شغل رئاسة تحرير جريدة اليوم، والشاعر الأستاذ جلال العلي. (آل الفضلي) ومن رجالاتها: العلامة المجتهد الشيخ ميرزا محسن الفضلي، والدكتور العلامة الشيخ عبد الهادي الفضلي، وقد شغل رئاسة قسم اللغة العربية في جامعة الملك عبد العزيز حتى عام 1988م. (آل المطر) ومن رجالاتها: الخطيب محمد صالح المطر، وكاظم المطر، وهم من حي الفضول، هذا الحي أصبح من الأمثلة التي تتردد على الألسن، لما تعرض له من مذبحه كذبح النعاج لسكانه عام 1203هـ على يد الوهابيين، وقد ذكر ذلك متفاخرا المؤرخ الوهابي حسين بن غنام، في كتابه روضة الأفكار والأفهام. (آل الشيباني) ومن رجالاتها: الشيخ إبراهيم الشيباني، وهو أحد كبار علماء الشيعة الإمامية في القرن التاسع الهجري، ومنهم الشيخ محمد علي الشيباني صاحب كتاب «غوالي اللآلي». وآل الشيباني من حي (التيمة) وهي بلدة كانت عامرة بأهل العلم والمعرفة، وقبل الإحتلال السعودي الأخير لها، كانت تضم أربعين مجتهدا في آن واحد، وقد هدم المحتلون السعوديون مساجدها على أنها (كنائس). وقد قال

فيهم الشاعر المرحوم الشيخ فرج العمران:

قدسوها مدينة التيمية فهي من خير القرى الهجرية
قدسوا لكم الربوع اللواتي هي بالأمس مشرقات مضيئة
جمعت أربعين من علماء الد ين ممن نالوا المراقي العلية

وهناك عشرات العوائل نشير إلى بعضهم بالأسم فقط:

المهنا، الطويل، الغريزي، الحداد (السادة)، آل مرة، السليمان ومنهم آل خضر، آل العوض، آل إبراهيم، آل حمادة، المعيوف، آل عبد السلام، آل الغدير، الصحاف، المبارك، الحليلي، الجاسم، آل تمار، القضيبي، آل حمضة، الناصر، السعد، آل عبد النبي، آل محمد صالح، الغراش، آل عبد الرضا، الخليفة، آل عبد الباقي، الحسن، العمر، العمران، الحميدي، آل بن سليمان، آل شعبان، الغانم، آل ابن الشيخ، العلي، الصالح، اليوسف، الأحمد، البحراني، الكويتي، القطيفي، المهنا، الناصر، ومن السادة: (آل حسين، آل هاشم، آل حسن، آل بن محسن)، آل الشايب، آل بن نصر، آل عيسى، آل عبد الله، آل حيا، آل عبود، آل ممتن، آل بدوي، آل الصقر، آل عباد، آل حسين، آل العقيلي، آل الدالوي، آل عبد القادر، المسيح، الكري، الحججي، المسلمي، آل رزق، آل عمار، آل خويتم، البندر، العبيدون، البختان، آل علي، الجزيري، آل عطية، آل خميس، آل بوقرين، الشقاقيق، آل تريكي، المطاوعة، آل أوباري، العباد، آل حبابي، السلطان، آل براقي، آل عطية، آل جريدان، الشريط، الجبران، آل بورقية، آل كشي، الخضير، الحليمي، الحليلي، آل نصير، اللومي، آل بطي، آل السليم، آل صويل، آل كاظم، آل جعفري، آل جعيدي، البديوي، الشمالان، آل شريدة، آل بدر، المليفي، الجزيري.

كما ان هناك عوائل مشتركة تنتمي لعشائر مختلفة، ضمت الشيعة والسنة معا، شأنها كشأن بعض العشائر العربية في العراق كما سيتضح، ومنهم:

شمس، البوصالح، الحداد، المرهون، الأسماعيل، آل إبراهيم، العلوان، البو خضر، الحميد، الخميس، الغشام، المجحد، الزين، الحمدود، المبارك، عيسى، العليوي، العوض، العويض، الحواج، النجدي، الشايغ، الوايل، النمر، الدجاني، النجار، التمار، الوصيبي، آل ثاني، آل سعد.

4 - (إقليم القطيف) المدن . الأحياء . العوائل الشيعية العربية: وتعتبر مدينة القطيف من أكبر مدن هذا لأقليم وتحتوي على المدن مدينة سيهات وهي من أهم مدن إقليم القطيف، ولأهالي هذه المدينة مواقف مشهودة في عالم السياسة والأنفاضات، وقد

تعرض أهالي هذه المدينة للكثير من الجور والأضطهاد، بل وللمجازر الجماعية، خاصة في ظل الحكم السعودي الأول والثاني. وأكثر قبائلها من أصول قبلية، كالخوالد، والعجمان، والهواجز، والسيب. أما المدن الأخرى فنشير إلى أسمائها وهي صفوي، تراوت، العوامية، الآجام، القديح، أم الحمام، الجش، الجارودية، الخويلدية، التوبي، حلة محيش، الملاحة، الشويكة، البحاري، عنك.

ولعل أهم عوائل مدن هذا الأقليم الذين سنتتصر على ذكر بعضها وبعض رجالاتها هي؛ (آل أبو ذيب)، وقد برز منهم مجموعة ادباء وشعراء، ومن رجالاتها؛ الشاعر الشيخ أحمد والشاعر الشيخ يوسف، والشاعر الأديب الشيخ عبد الحسين أبو ديب. (آل البحارنة)، ومن رجالاتها؛ الوجيه إبراهيم مكى البحارنة، وكان وكيلاً لآية الله الإمام السيد محسن الحكيم، والشاعر المعاصر مهدي عبد الرسول البحارنة. (آل الجشي) وهي عائلة علمية وأدبية، ومن رجالاتها؛ الأديب والشاعر عبد العزيز نهدي الجشي، والشاعر المعاصر، وهو أحد أهم رواد الحركة الأدبية في القطيف، وكان رئيس تحرير مجلة الغري، التي كانت تصدر في النجف في الخمسينات من القرن العشرين، والشاعرة المعاصرة نهاد سعيد الجشي. (آل المحروس) ومن رجالاتها؛ العلامة الشيخ رضي المحروس، والشاعر المعاصر وجدي المحروس. (آل الخنيزي) أو (الخطي) ومن رجالاتها؛ الإمام الشيخ علي الخنيزي، والشهيد عبد الرؤوف الخنيزي، الذي أعتقل عام 1956م، وسجن لمدة سبعة سنوات ثانية عام 1964م، وتوفى في سجنه جراء التعذيب المستمر، ومن المعاصرين: العلامة الأديب الشيخ عبد الحميد الخطي، قاضي الشيعة في محكمة الأوقاف والموارث بالقطيف، والصحافي الشاعر غسان الخنيزي. (آل سنان) ومن رجالاتها؛ الشيخ أحمد السنان، والأديب المعاصر عبد الرؤوف السنان. (آل الصفار) ومن رجالاتها؛ سماحة الشيخ حسن الصفار، أحد أهم الرموز الدينية والسياسية الشيعية في المملكة، وهو خطيب وكاتب تزيد مؤلفاته على الثلاثين مؤلفاً، آخرها (التعددية في الإسلام)، والفنان التشكيلي علي الصفار. (آل العلقم) ومن رجالاتها؛ الشهيد حسين العلقم، الذي إستشهد في إنتفاضة المحرم عام 1400هـ، والوجيه رضي العلقم. (آل الجامد) ومن رجالاتها؛ الشهيد فيصل الجامد، إستشهد في إنتفاضة المحرم 1400 عامه، والدكتور مرزا الجامد. (آل رمضان) ومن رجالاتها؛ الشاعر علي رمضان، صاحب منظومة «ماضي القطيف وحاضرها». (آل مسلم) ومن رجالاتها؛ الكاتب والشاعر محمد سعيد المسلم، مؤلف كتاب «ساحل الذهب الأسود» وله العديد من المؤلفات، والكاتب المعاصر عبد الواحد

المسلم. (آل العلويات) ومن رجالاتها: الشاعر المعاصر صالح العلويات، وله ديوان مطبوع عنوانه «مصايح الظلام». (آل الغانم) وهي عائلة تولت زعامة الشيعة في القطيف في العهد الماضي، ومن رجالاتها؛ الكاتب المعاصر راشد عبد الله الغانم. (آل خزام) ومن رجالاتها: الشاعر والكاتب المعاصر عباس خزام، له مؤلفات مطبوعة أبرزها «كيف ينظم الشعر»، والشاعر الشاب عادل خزام. (آل أبو عزيز) ومن رجالاتها؛ الكاتب الشيخ محمد أبو عزيز، وله العديد من المؤلفات منها «معراج النبي». (آل الشماسي) ومن رجالاتها: الشهيد عبد المجيد الشماسي، إعتقل عام 1969م، وتعرض للتعذيب الشديد، حيث قلعت أظافره، وكسرت فكه، وهشم عموده الفقري، وبقي ثلاثة أيام ينزف دما، حتى توفي متأثرا بما تعرض له، ومنهم الأديب الشاعر محمد رضا الشماسي.

(آل العمران) وهي من العوائل العلمانية والأدبية والنضالية، وقد ذكر العلامة الشيخ فرج العمران في كتابه «تحفة الأيمان في تراجم آل عمران» جمهرة منهم، ومن رجالاتها: الشهيد الشاعر حسن العمران، أعتقل عام 1390هـ، وأخبرت السلطات الأمنية أهله بوفاته، ومنهم الشاعر محمد العمران. (آل نصر الله) ومن رجالاتها؛ منصور نصر الله، والأديب الصحافي محمد رضا نصر الله، وهو من أبرز النقاد في المملكة، وتسلم لفترة رئاسة تحرير «صحيفة الرياض الأسبوعي»، ومنهم الصحافي الشاعر فؤاد نصر الله. (آل المصطفى) ومن رجالاتها: علي المصطفى، والشاعر أحمد النصر الله، وهو من أعلام الأدب والشعر في القطيف، ومنهم الشاعر والرسام التشكيلي علي عبد الكريم نصر الله. (آل الخباز) ومن رجالاتها؛ الخطيب حيدر الخباز، والشاعر الخطيب عبد الله الخباز، والشهيد إبراهيم الخباز، إستشهد في إنتفاضة المحرم 1400هـ. (آل عبد الجبار) وهي من الأسر المشهورة بالعلم والأدب، ومن رجالاتها؛ الشيخ محمد حسين، والعلامة الشيخ علي، والعلامة الشيخ سليمان آل عبد الجبار، ومن أبرز رجالات هذه العائلة، الشيخ محمد آل عبد الجبار، كان من فقهاء الشيعة، وله العديد من المؤلفات، ومنهم الشهيد عبد الواحد آل عبد الجبار، الذي إعتقل في حزيران عام 1970م، وتوفي بعد احد عشر يوما في معتقله تحت التعذيب.

(آل السادة) ومن رجالاتها؛ الشهيد السيد باسم السادة، إستشهد في إنتفاضة المحرم في المنطقة الشرقية، عام 1400هـ. (آل العوامي) ومن رجالاتها: آية الله السيد ماجد العوامي، والكاتب الأديب السيد حسن العوامي، والشاعر المعاصر السيد عدنان العوامي. (آل الفارس) ومن رجالاتها؛ علي الفارس، وكان قد تولى منصب وكيل المالية في القطيف، ومنهم محمد الفارس، الذي كان عمدة القطيف سابقا، وهو من المهتمين المعاصرين في

الآثار. (آل القلاف) ومن رجالاتها؛ الشهيد حسن القلاف، أول مستشهد في إنتفاضة المحرم 1400هـ، ومنهم الكاتبة المعاصرة فاطمة القلاف. (آل السبع) ومن رجالاتها؛ الشاعر المعاصر حسن السبع، وهو المسؤول الثقافي في جريدة اليوم. (آل الشويخات) ومن رجالاتها؛ الأديب الدكتور أحمد الشويخات، والكاتب القصصي المعاصر الأستاذ حسن الشويخات. (آل الهويدي) ومن رجالاتها؛ الفنان الكبير الأستاذ علي الهويدي، الذي حاز على الجائزة الأولى في معرض المملكة عام 1398هـ. (آل إبراهيم) ومن رجالاتها؛ الشاعر عبد الغني آل إبراهيم، ومنهم الشاعر علي جعفر آل إبراهيم. (آل شرف الدين) ومن رجالاتها؛ الخطيب الشهير السيد هاشم السيد شرف الدين. (آل سيف) ومن رجالاتها؛ العلامة الشيخ أحمد آل سيف، الأستاذ والكاتب الشيخ توفيق آل سيف، وله مؤلفات ودراسات عديدة منها: (البتروك والسياسة في المملكة العربية السعودية)، ومنهم؛ الشيخ الخطيب والكاتب فوزي آل سيف، له مؤلفات عديدة لعل من أبرزها (نظام الإدارة الدينية، عند الشيعة الإمامية). ومنهم؛ الكاتب عبد العلي آل سيف، صاحب مؤلف (القطيف وأضواء على شعرها المعاصر). (آل نمر) ومن رجالاتها؛ الشيخ نمر باقر النمر، والكاتب محمد حسن النمر، له بعض الكتب، كما اصدر بعض الصحف في العراق، منها جريدة (بهلول). (آل زاهر) ومن رجالاتها؛ الحاج باقر الزاهر، عمدة العوامي سابقا، والشاعر علي الزاهر، وله ديوان عنوانه (بسمه الأسحار)، ومنهم الشهيد سعيد آل زاهر، الذي إستشهد في إنتفاضة المحرم 1400هـ. (آل ناصر) ومن رجالاتها؛ الدكتور حبيب الناصر، والشاعر محمد الناصر، والشهيدة زهراء منصور الناصر، التي إستشهدت تحت التعذيب في سجون المملكة عام 1989م). (آل الشرفا / السادة) ومن رجالاتها؛ السيد أمان الشرفا، والعلامة السيد باقر الشرفا، والشاعر طاهر الشرفا. (آل المرهون) وهي أسرة علمية وأدبية، ومن رجالاتها؛ العلامة الشيخ منصور المرهون، والعلامة الشيخ علي المرهون، وله عدة مؤلفات منها (شعراء القطيف من الماضيين والمعاصرين)، والخطيب عبد العظيم المرهون، ومن مؤلفاته (تاريخ أم الحمام). (آل سنبل) ومن رجالاتها؛ الشاعر الشيخ بدر أحمد آل سنبل، والشاعر فيصل عبد الله آل سنبل. (آل حبيب) ومن رجالاتها؛ الخطيب مهدي محمد آل حبيب، والشاعر محمد حسن آل حبيب. (آل نتيف) ومن رجالاتها؛ الخطيب محمد علي آل نتيف، صاحب ديوان (عبرة المؤمنين)، والخطيب مهدي آل نتيف، وله ديوان مطبوع إسمه (جواهر الأفكار)، والخطيب عبد الله آل نتيف، وله ديوان مخطوط عنوانه (ينبوع الحكمة في رثاء أهل العصمة). (آل الخطي) ومن رجالاتها؛ الشاعر الكبير الشيخ جعفر الخطي، ويلقب على ما يبدو بـ "أبي البحر". (آل الخميس) ومن رجالاته؛ الشهيد أحمد مهدي الخميس، إعتقل في ذي الحجة عام 1406هـ، وأستشهد تحت التعذيب في نفس العام. (آل الزهيري)

ومن رجالاتها؛ الأديب الشاعر الشيخ محمد بن عبد الله آل الزهيري. (آل حماد) ومن رجالاتها؛ الشهيد عبد الكريم آل حماد، إستشهد في إنتفاضة المحرم عام 1400هـ. (آل القنبر) ومن رجالاتها؛ الشهيد محمد قنبر آل قنبر، إستشهد في إنتفاضة المحرم عام 1400هـ. وهناك عشرات العوائل سكنت مدن هذا الأقليم وأحيائه، نسير إلى أسمائها فقط وهي المدن، الميلغي، العبد العال، السادة، آل شعبان، الجامع، أبو جعيد، الشيوخ، المهدي، الدار، الميلاد، الموسى، المطرود، المطوع، الخميس، آل جطر، الداود، آل قريش، آل دبيس، العباس، آل الزاكي، آل المسكين، آل مدلوح، آل الراشد، آل المعلم، المسلم، الحمود، السالم، البحر، الحجبي، آل جمعة، آل السبع، أخوان، الحمار، السويكت، المدافع، آل قيصوم، الشويكي، المقابي، الحواج، المسحر، البدر، الذهبية، الحكيم، العصفور، البيات، الماجد، آل الغريفراوي، آل البريكي، الخميس، الغراش، المدن، الميلغي، عبد العال، الجامع، أبو جعيد، آل الخباز (السادة)، الشيوخ، المهدي، الدار، الميلاد، الموسى، القفاص، القلاف، المبارك، المحاسنة، المحسن، المحفوظ، العيد، العبادي، الضيف، الصحاف، الصيخي، شروفنا، المشد، سلاط، الربيع، رضي، دعبل، حيدر، حميدة، الحمود، حمزة، الحمام، الحمالي، البستاني، الجاسم، أمان، البحراني، بزبوز، البزرون، البشراوي، البطي، البناي، التاروتي، تاريخ، تـهـيفة، تنبل، الجارودي، الحامد، الجبيلي، الجراش، الجساس، الجصاص، الجعفر، الجنبي، الحساوي، حكره، حمادة، خزعل، الخضر، الخضير، أبو شومي، أبو صعب، خلف، خليتي، خليفة، الخميري، خواهر، الخياط، خويطر، الخويلدي، الدبيسي، الدشيشي، الدهنيم، زكريا، السعيد، المطلق، المعيوف، المغاسلة، مغيص، الناس، الناصر، المعتوق، المطر، المطاوعة، مسبيح، المرزوق، المرار، المخرق، المختار، المخامل، المحميميد، المحسن، المحمود، القفشات، العيسى، سهوان، السيف، السيهاتي، الشاخوري، شباط، الشنخنخ، شهال، الشمالوي، الصادق، الصايغ، صباح، الصباغ، الصحاف، الضامن، الإبراهيم، أبو تاكي، أبو شاهين، الضو، الطاق، طلاق، الطحان، الفردان، القديحي، القصاب، آل الصليل، الشمر، الهزاع، الناصر، الهلال، المزعل، المرزوق، المتروك، المبارك، المحفوظ، المشامع، المنيان، المحسن الكبيش، الفضل، السلهام، الغانم، السكري، الرشود، الربعان، السبيعي، الرميح، السواد، السيهاتي، سليس، الداود، الخريدة، الباشا، الدرويش، الخميري، البيات، جراد، الجفال، الحلال، الحكيم، الحميدي، الخرداوي، البوري، المرهون، المشهد، اليامي، نصر الله، المؤمن، الخواهر، السدرة، السعدون، شاخور، الشافعي، الشهاب، سومان، شيبان، الصياحي،

الضاحي، العرب، العرادي، العواد، العيد، العيسى، القراش، المحيف، مساعد، المسبح، المسجن، المشرف، المطر، المويس، المعتوق، الهمل، الأمان، برهان، إخوان، الجعصي، الزبيدي، الهاشم، آل دهيم.

إضطهاد الشيعة على يد الوهابيين والدولة الطائفية

حين إقتصرت الأضطهاد والعزل تجاه شيعة العراق، على سلطات الحكم المتعاقبة، ومن غير مراسيم وقوانين حكومية، إنما من خلال ممارسات ونهج غير منظور، أطلقنا عليه (المؤسسة السرية). في حين هناك علاقات إجتماعية وإقتصادية وإنسانية رائدة، بين شيعة العراق وباقي مكونات الشعب العراقي الأخرى من السنة. لكن الأمر مختلف تماما بخصوص التعامل مع شيعة المملكة، فالأضطهاد والعزل السياسي والأجتماعي تجاه شيعة المملكة، يمارس من مصدرين:

أولاً: شعبي من قبل الوهابيين، وتأثير إنعكاسات ممارساتهم ضد الشيعة، إيجابيا على بعض مكونات شعب المملكة، من حيث تأثر الكثير من شعب المملكة بالنهج الوهابي.

ثانياً: رسمي على مستوى الدولة، وفي أعلى المستويات وهو ناتج من خلال التوافقات بين الوهابيين والدولة، حيث إقتضت مصلحة الطرفين عقد ذلك، رغم أن تلك التوافقات لا تنسجم لا مع الدين، ولا مع نسيج الطرفين ولكن هكذا فعل المصالح المتقابلة.

وحين يقف الدارس على حقيقة النهج السعودي من الحكم والسلطة تشخص أمامه حقيقة ساطعة، هي أن أهم مايشغل بال حكام المملكة، هو ديمومة الحكم أولا وثانيا وثالثا، أما النهج فإنهم مع كل ما يخدم هذا المطلب المركزي، وقد رأى باني المملكة الأول عبد العزيز آل سعود، أن من مستلزمات ديمومة الحكم وبقاؤه، هو ضرورة التوافق مع الحركة السلفية (الوهابية) التي أخذت طريقها في الانتشار، وكان التوافق بينها وبين السلطة دافعا مهما ومساعدًا مضافا على إنتشارها، حين أصبح لها دورا شبه زسيمي في الدولة، بما لا يتعارض مع ديمومة الحكم السعودي، بأي حال من الأحوال، بل العكس هو ترسيخ الحكم وديمومته. وحتى نشبت من هذا التحليل نحاول هنا إستعراض ماتم في مؤتمرين عقدا في إتجاه صيانة تلك التوافقات، وسنقتصر على ما يخص الشأن الشيعي في المملكة، كما أوردته بعض المصادر:

ففي مؤتمر الأرتاوية المنعقد عام 1926م الذي عقده (جماعة الأخوان)، حاول الأخوان تحميل عبد العزيز آل سعود مسؤوليات بعض القضايا التي يرونها خروجًا على التوافقات، ففيما يخص شيعة المملكة، ورد في مقرراتهم في الفقرة العاشرة: سكوته عن

شيعة الأحساء والقطيف، وتقاعسه عن فرض الإسلام (الوهابي) عليهم. والمقصود بسكوته هو: الملك عبد العزيز آل سعود. ولعل دراسة مقررات مؤتمر الرياض علم 1927م مهمة جدا؛ ذلك المؤتمر الذي عقده الملك عبد العزيز ردا على مقررات الأرطاوية، والذي سنتناول منه ما يخص شيعة المملكة، فقد ورد في مقرراته:

الفقرة السادسة: أما الرافضة (الشيعة في الأحساء)، فأفتينا الإمام أن يلزمهم بالبيعة على الإسلام (الوهابي)، ويمنعهم من إظهار شعائر دينهم الباطل. وعلى الإمام أيضا أن يلزمهم بالمبايعة على دين الله ورسوله، وبترك دعاء الصالحين من آل البيت، وغيرهم، وترك سائر البدع من إجتماعاتهم على ماتمهم وغيرها مما يقيمون به من شعائر دينهم الباطل، ويمنعون من زيارة المشاهد (كربلاء والنجف)، ويلزمون كذلك بالأجتماع على الصلوات الخمس هم وغيرهم في المساجد، ويرتب فيهم ائمة ومؤذنون من اهل السنة (الوهابية) ويلزمون بتعلم الأصول. كذلك تهدم محالهم المبنية لأقامة البدع في المساجد وغيرها.

الفقرة السابعة: أما رافضة القطيف (الشيعة من أهل القطيف) فيلزم (الإمام) الشيخ ابن بشر بأن يسافر إليهم ويلزمهم بما ذكرناه. يعني تطبيق ما ذكر في الفقرة السادسة. وهناك صور لا تحصى من عمليات الأضطهاد والتمييز والعزل والحرمان ضد شيعة المملكة، يجري تطبيقها ضمن مفهوم دولة التمييز الطائفي، نترك مراجعتها للقارئ، وبما أشار لها بعض الباحثين والمؤرخين⁽¹⁾.

المبحث الثاني⁽²⁾: التشيع في البحرين الحديث

مما لا شك فيه أن البحرين، قد إكتسب أهميتها من موقعها الاستراتيجي في الخليج

(1) الصفدي، عبد الحميد، قانون الفساد في المملكة السعودية، (ط1، منشورات إقرأ، لندن، لا. ت) ص 9، 16، 18، 19، 20، 21، 48، 57، 70، 76، 77، 79.

شاكر، محمود، مملكة ال... دراسة في واقع منحل، (ط1، لندن، 1995م)، ص 125.

لمع الشهاب، تحقيق أحمد مصطفى أبو حاكمة، (بيروت، 1967م)، ص 76.

عبد الرحمن، عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ص 189.

د. العقاد، صلاح، التيارات السياسية في الخليج والجزيرة العربية، ص 58.

الحسن، م. س، ص 109، 110.

(2) عند كتابة هذا البحث كانت البحرين ماتزال دولة؛ ولم تتحول الى مملكة بعد ولذا تمت المحافظة على روحية البحث.

العربي، كونها جزء مهم من هذه الرقعة الجغرافية، حيث يعتبر الخليج المنفذ المائي الأهم الذي يربط شرق آسيا بأوروبا. لذا أصبح الخليج العربي بما فيه البحرين مرتعاً للمنافسات الدولية. وقد عد البحرين بما يتمتع من وصف وموقع في الخليج، كجزيرة قبرص في البحر الأبيض المتوسط⁽¹⁾. والكل يعلم أهمية قبرص في خضم الصراعات الدولية (أيام الحرب الباردة). وعدا الناحية الاستراتيجية للبحرين فقد تمتعت بأهمية إقتصادية غير عادية، كما أشار إلى ذلك الريحاني⁽²⁾. لذا نلاحظ أن البحرين من أوائل من تعرض للغزو الأجنبي في المنطقة، حين إحتلتها المستعمرون البرتغاليون، كما تقدم ذكره.

أما حافظ وهبة فيشير إلى ما ذكره بلغريف عن البحرين، الذي قام بزيارة لها، أن عدد سكانهم هو 70 سبعون ألفاً، وحين يتطرق لمذهب أهل السنة يشير إلى إعتناقهم المذهب المالكي، وحين يشير إلى نسبة السنة لنسبة السكان يوضح أنهم يمثلون سدس السكان، أما الشيعة فيؤكد أنهم يشكلون باقي السكان⁽³⁾. ويتحدث أحد الباحثين عن أصالة شعب البحرين وعروبه وشيعيته، فيقول عنهم:

«ويؤلف العرب القسم الأعظم من سكان البحرين، حيث أرجع أصولهم إلى ثلاث قبائل عربية كبرى، كانت رائدة قبل الإسلام، وتواجدت في البحرين قبل التاريخ الميلادي بسنين طويلة، والقبائل هي، قبيلة تميم المضربة العدنانية، وقبيلة عبد القيس الربيعية العدنانية، وقبيلة بكر بن وائل الربيعية العدنانية، وقد إعتنقت جميع هذه القبائل الدين الإسلامي، دون ادنى حرج، وعرفت في العهد الأول من دخولها الإسلام بولائها للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد ساد المذهب الشيعي أرجاء القبائل العربية الثلاث منذ صدر الإسلام، كما عرف معظم الولاة على جزيرة البحرين بولائهم للمذهب الشيعي، وعلى رأسهم الوالي أبان بن سعيد بن العاص، والوالي عمر بن أبي سلمة، والوالي معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي»⁽⁴⁾.

ويستطرد نفس الباحث بالحديث عن طبيعة المكونات السكانية للبحرين فيقول:

- (1) عبد الوهاب، جواد، (آل خليفة من صحراء نجد إلى الاستيلاء على البحرين)، ص 10. نقلا عن: المستر ديوراند مساعد المقيم البريطاني في الخليج.
- (2) الريحاني، أمين، ملوك العرب، (بيروت، 1929م)، ص 2.
- (3) وهبة، حافظ، جزيرة العرب في القرن العشرين، (ط5)، مطبعة لجنة التأليف والنشر، القاهرة، (1935م)، ص 88.
- (4) الوهاب، م. س، ص 13.

«ويشكل السكان الأصليون 80 ٪ ، بينما يشكل الوافدين 10٪ وقد جاء أكثرهم كمناصرين أو محتمين بحملة الغزو التي قام بها آل خليفة على البحرين عام 1783م. أما الأقليات فتشكل 10٪ من شعب البحرين، وتنحدر من اصول إيرانية، بالدرجة الأولى وهندية وباكستانية وبلوشية، بالدرجة الثانية؛ ويعتقد بعض الباحثين أن قسما منهم ينحدرون - في الأصل - إلى بعض القبائل العربية، التي إستقرت على الطرف الشرقي من الخليج العربي، وإكتسبت اللغة والعادات الفارسية، إلا ان تحولات سياسية وإقتصادية دفعت بهم نحو الهجرة المعاكسة، إلى اوطانهم الأصلية. وليست هناك إحصاءات رسمية حقيقية تحدد الغالبية المذهبية بين سكان البحرين، وتمتنع الحكومة - ولأسباب سياسية أ عن إجراء مثل هذه الإحصاءات. إلا ان الغالبية الساحقة هم الشيعة، وتقدر نسبتهم أكثر من 70٪»⁽¹⁾.

أما الباحث حمزة الحسن فيشير إلى قوة الترابط بين شيعة الأحساء والقطيف وشيعة البحرين، حيث يقول:

«ولا شك أن أصول الشيعة في البحرين والمنطقة الشرقية من المملكة واحدة، فهم ينتمون جميعا إلى القبائل العربية القديمة (عبد القيس بوجه خاص)، وتاريخ المنطقتين واحد، إلى ان جاء الأستعمار البرتغالي، فإنفصلت البحرين (أوال) عن (الخط وهجر) - يقصد الباحث هنا الأحساء والقطيف - كما هو ثابت لدى المؤرخين. ويضاف إلى هذا فإن العوائل في المنطقتين متقاربة نسبيا، رغم فواصل الحدود، وتكاد لا توجد عائلة في منطقتي الأحساء والقطيف، ليس لها إرتباط أو صلة بعوائل في البحرين»⁽²⁾.

ويضيف الحسن لهذه المعلومات ما تعرض له شيعة البحرين من قهر وإضطهاد على أيدي آل خليفة، وهو ما إضطر الكثير منهم للهجرة إلى خارج البحرين، فيقول:

«وواضح من التاريخ ان الهجرات بين المنطقتين تجري بسهولة، إما لأسباب إقتصادية، أو فرارا من الأضطهاد السياسي والمذهبي. فحينما سيطر آل خليفة سنة 1783م على البحرين وإحتلوها، أمعنوا في الأهالي قتلا وسحقا، ففر هؤلاء الشيعة إلى الأحساء»⁽³⁾.

وهناك من يؤيد ما تعرض له السكان الأصليون من الشيعة العرب، بعد هذا الغزو، فقد

(1) أيضا.

(2) الحسن، م . ن، ص 29.

(3) الحسن، م . س، ص 29.

ورد في بحث للدكتور رياض، المتضمن معلومة عن كرستن نيور، مفادها أنه كان في حدود منتصف القرن الثامن عشر في البحرين ما يقارب 365 مدينة وقرية وحي، إلا أنه حين غزى آل خليفة البحرين من البر، لم يبق منها سوى مدينة واحدة محصنة، إضافة لعدد من القرى يتراوح عددها بين 40 - 50 قرية وهي في حالة سيئة جراء الغزو، الذي ولد تلك الحرب الطاحنة بين الغزاة والسكان الأصليين من الشيعة⁽¹⁾.

وإذا ما وقفنا على هجرات الشيعة العرب المعاكسة من الأحساء والقطيف إلى البحرين في فاصل زمني متأخر، فلذلك أسباب مشابهة حيث الأضطهاد الطائفي الذي بدأه (الوهابيون) تحت سمع وبصر سلطة الحكم في المملكة، وبتوافق بينهما، فحينما سيطر الملك عبد العزيز على ما يعرف اليوم بالمنطقة الشرقية التي تضم الأحساء والقطيف، كان للوهابيين دورا مباشرا في عملية إضطهاد الشيعة في هذه المنطقة، وهو ما أدى إلى الهجرة المعاكسة إلى البحرين وكان ذلك عام 1913م/1331هـ. ووقفة على مدى الإستهانة تجاه السكان الأصليين من الشيعة العرب، الذين يطلق عليهم الطائفيون لفظ (البحارنة)، وكأنها وصمة عار يعيرون فيها الشيعة، في حين أن هذه اللفظة هي جمع لمفردة (بحراني)، وهي صياغة عربية صميمية وصحيحة لغويا. فالشيعة العربا أطلقت عليهم كلمة (بحراني)، للتقليل والتصغير من شأنهم، وأصبحت هذه العبارة مرادفة للشيعة في الإستعمال لدى الطائفيين للأستخفاف بالشيعة، ومثل هذا التوجه غير مقبول علميا ولغويا، وغير مستساغ إجتماعيا وإنسانيا. وحين يحدثنا الرميحي عن هذا الموضوع يقول:

«البحراني تعني الشيعي وتعني ساكن المنطقة الأصلي. إلا أنها تعطي للطائفيين معنى دونيا تمييزيا فالبحراني الشيعي إبن المنطقة بالنسبة لهم هو غير العربي»⁽²⁾.

وخلاصة ما يمكن أن نستنتجه في ضوء ما تقدم هو أن التشيع في الخليج والجزيرة العربية لم يكن حديث عهد، إنما يرجع في جذوره إلى عمق التاريخ، منذ صدر الإسلام الأول، وفي عهد الرسول محمد ﷺ، وإن وجوده وإنتشاره في هذا الجزء أو ذاك من الخليج العربي والجزيرة العربية، مر في مسيرة طويلة من الأحداث، ومن هذه الأحداث ما ساعد على خلق ظروف مناسبة لأنتشاره وتمركزه، كما هو في العراق، والعكس هناك أحداث مضادة حجمت من تمركزه وإنتشاره، بل أن هناك أحداثا أدت إلى تصفيات جسدية

(1) مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، العدد/36، أكتوبر عام 1983م، بحث للدكتور محمد رياض، عنوانه: الخليج والخليجيون قبل عام 1930م/ دراسة الجغرافيا والسكان والإقتصاد، ص 235.

(2) الرميحي، م. س، ص 48، 49.

منظمة وموجهة لمعتنقي التشيع، وخاصة في المملكة العربية السعودية، والبحرين الحديثة، حين إعتبرت سلطنا الحكم فيهما بفعل تأثيرات (رموز) الحركات المذهبية، ومن خلال توافق وتنسيق المصالح الخاصة بينهم، وبفعل التمييز المذهبي، الذي لا يتصل بالدين وبحقيقة المذاهب وبمكارم الأخلاق بأي صلة تذكر، حين أعتبروا أن التشيع (كفر وإلحاد)، وزادوا على ذلك حين إنتابت سلطة الحكم في أكثر بلدان الخليج والجزيرة العربية، رعشة النوبة القومية العروبية، على حين غفلة، وهم المعروفون بتصلبهم من القومية والعروبة، بل وتآمر بعضهم على التيار القومي العروبي الوحدوي، عبر أحداث الأمة، فأضافوا التهمة الكفر والإلحاد تهمة (العجمة). فأصبح مثلث (الكفر والألحاد والعجمة)، سلاحهم الأوحده في محاربة المد التشيعي، فشنوا على أبناء جلدتهم من الشيعة والتمشيعين العرب، حربا لا هوادة فيها، مما سبب ذلك عملية هجرة واسعة للأقطار المجاورة، وكانت هجرتهم هذه سببا مضافا لتعميق حالة التشيع الموجودة أصلا في دول الجوار، من دول الخليج والجزيرة العربية، في كل من الكويت، وقطر، والإمارات العربية المتحدة، وعمان، أما (البحرين القديمة) فكانت تشكل جزءا من منطلق التشيع لهذه الأماكن كما اسلفنا، ويبقى لظهور التشيع في اليمن العربي طابعه الخاص به. ولكن الذي يتميز عن الجميع هم شيعة العراق العرب من حيث أن لهم خصوصية مستقلة لها أبعادها ومضامينها، في خضم أحداث الأمة، كما سيتضح في المباحث القادمة، وهو أساس دراستنا هذه.

ولتحليل ما تم إستعراضه لحد الان في هذا المبحث، نرى أن الأستاذ حمزة الحسن قد وفق توفيقا كبيرا في كتابه (الشيعة في المملكة العربية السعودية)، بجزئيه، بتعرضه وبشكل تفصيلي عن الشيعة في المملكة، وتحدث عن الجذور والأقاليم وتوابعها، والقبائل والعشائر والعوائل العربية الشيعية الأثنا عشرية التي سكنتها، وأشار إلى رجالاتها وثبت بعض خصوصياتهم الإجتماعية والأقتصادية، بل وأضاف إلى ذلك ذكر إختصاصات شريحة من نخبهم العلمية والأدبية والسياسية. ناهيك عن أنه تعرض بصورة خاطفة عن البحرين القديمة، لما لها من علاقة جغرافية وسكانية في المنطقة الشرقية، حتى تفتت البحرين القديمة كوحدة إدارية وجغرافية وسكانية واحدة، إلى بحرين الحديثة المستقلة، وبقاء القسمين اللذين كانت البحرين القديمة تضمهما وهما (الأحساء والقطيف)، ضمن خارطة المملكة. لذا نلاحظ تداخل الحديث عند الحسن، عن شيعة البحرين القديمة، كونها تشكل المركز الذي إنطلق منه التشيع للمناطق المجاورة وهو امر طبيعي في البحث العلمي الرصين⁽¹⁾. إلا ان هناك إشارات مقتضبة وردت في مراجع أخرى لباحثين مختلفين، منهم

(1) الحسن، م . س، ص 15 - 72.

من يؤيد الجذور العربية للتشيع، ويؤكد عروبة المتشيعين، وينسبهم إلى القبائل والعشائر العربية، وهناك من يشير لأضطهادهم، ولعزلهم الاجتماعي والسياسي. ومنهم من يشكك في عروبة الشيعة وجذورهم، ويشوه التشيع، ومنهم من معرض بهم، أو ممجد لهم، عدا ذكر بعض الحوادث لإنصافهم، أو للتجاوز عليهم⁽¹⁾.

إن كلا النموذجين من الباحثين في هذا الصدد، يحركهما باعثان، الأول باعث علمي إنساني ينشد الحقيقة والواقع، دون التأثير بأي منحى مذهبي أو طائفي أو فكري، والثاني يدفعه باعث متأثر بالسببية المذهبية، والطائفية السياسية، فلا يتردد في ظلم الآخرين، وشتان بين البحث العلمي المبني على الحق والعدالة والتجرد، وبين البحث اللاعلمي المبني على التحيز المذهبي، أو التزمت الطائفي، أو التحجر الفكري. ومن الأمثلة الخاصة بكيفية عزل الشيعة وطرق التعامل معهم في السعودية يمكن اجمالها بما يلي:

- 1 - لا يسمح بالصلاة على موتاهم في حرمي المدينة ومكة، ولا في مساجد الحكومة.
- 2 - لا يسمح لهم بإستلام مناصب هامة وحساسة في الدولة، بل غالبا يوكل لهم وظائف دونية، لا تنسجم وأدमितهم.
- 3 - يعاملون في دولهم كمواطنين من الفئة الثانية، وربما الثالثة، في حين انهم من السكان الأصليين.
- 4 - يتهمون بولائهم لإيران، وهم تبعاً بذلك يجردونهم من وطنيتهم رغم انهم جميعاً عرب، أحساب وانساب لا يرقى لعروبتهم الشك.

(1) عبد القادر، الشيخ علي، تحفة المستفيد في تاريخ الأحساء القديم والجديد، ص 39، 45، 301. ابن بطوطة، رحلة بن بطوطة/ تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، دار الكتاب اللبناني، بيروت

الجاسر، حمد، المعجم الجغرافي للمنطقة الشرقية، ج1، ص 58، 231، 232.

د. رياض، محمد، الخليج والخليجيون قبل عام 1930/ دراسة الجغرافيا والسكان والإقتصاد، منشورة في (مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية)، العدد / أكتوبر 1983م، ص 245.

الصميط، يوسف محمد، الخليج العربي، دراسة في أصول السكان، (القاهرة، 1970م)، ص 26

الحقيل، حمد بن إبراهيم، كنز الأنساب ومجمع الآداب، (ط10)، ص 139.

فاسيليف، إليكسي، فصول من تاريخ العربية السعودية، (ط1، لندن)، ص 189، 190.

بكر، عبد المجيد، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، (ط1، 1401 هـ)، ص 140.

كشك، جلال، السعوديون والحل الإسلامي، ص 240.

- 5 - ورغم أن كل خيرات النفط في مناطقهم، إلا أنهم الأكثر فقرا في دولهم، سواء على مستوى الإنسان، أو على مستوى التنمية والخدمات، في مناطق وجودهم.
- 6 - يتعرضون لحملات دينية مفرضة وموجهة، سواء من الدولة، أو من متدياتها الدينية، علما أن معظم المناوئين للشيعة سواء على مستوى السلطة، أو الأهلين لا يعرفون شيئا عن المعتقدات الشيعية، ولا يفقهون شيئا عن فكرهم.



المُصَلِّ الثاني

العراق مركز التشيع في الخليج والجزيرة العربية

المبحث الأول: التشيع في كوفة ونجف العراق

عرف العراق بأسماء عديدة عبر تاريخه الطويل، وهناك آراء عديدة حول هذه التسمية، وما تعني، فمن معتقد أن كلمة «عراق» هي عربية الأصل، ومن إعتبرها مشتقة من كلمة «أوروك» أو «أنوك» وتعني المستوطن، إلا أن هناك من إعتبر أن أصل الكلمة أجنبي، تعني «إبراء» بمعنى الساحل وقد عربت إلى «إيراق» ثم «عراق». ومنهم من أطلق على العراق «أرض السواد» أو «ميزو بوتاميا» وتعني «بلاد ما بين النهرين» وهذه التسمية إغريقية الأصل، وعرفت في التوراة بـ«أرام نهرايم» (التكوين، إصحاح 24: 10) أي «بلاد ما بين النهرين» عدا ذلك فقد عرف العراق تاريخياً، بـ«بلاد سوم» و«بلاد أكد» و«بلاد آشور» و«بلاد بابل»، وعرف «العراق» بهذه التسمية منذ العصر الجاهلي. إلا أن أستاذ الآثار القديمة الدكتور تقي الدباغ ينتهي رأيه، حول تداول كلمة العراق، إلى ما يلي:

«ولما شاعت كلمة عراق ما بين القرنين الخامس والسادس الميلاديين تطورت في الأستعمال، وإتسع مدلولها عند الجغرافيين العرب، فقد كثر ذكر إسم العراق في الشعر الجاهلي وأقترن بالرخاء. وصار مدلول العراق يتسع في إستعمال البلدانيين العرب حتى صار يشمل العراق الحالي تقريباً. وتبلورت حدود العراق الحالية بوجه خاص، في العهد العثماني في القرن التاسع عشر، وفي فترة الأحتلال البريطاني»⁽¹⁾.

وحتى نفهم طبيعة الحالة السوسولوجية والجيو سياسية والجيو جغرافية، في العراق، كان لا بد من لمحة موجزة عما تميز به العراق، وكانت ميزاته دافعا لموجات من المحتملين، وقيام الدول التي مرت عليه، حتى قيام دولته العراقية الحديثة، في القرن العشرين، فقد كان العراق مهبط آدم ونوح. ووجد إنسان النيدرتال الأول فيه. وتمتد أرض العراق سهلاً منبسطة واسعة شهد من ألوان الحياة وصور الحضارة. فتجعله من أخصب سهول الدنيا، وأغنى بقاع

(1) نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ثلاثة عشر مجلد، (بغداد، 1985م)، ج 1، ص 13، 15، من بحث للدكتور تقي الدباغ، أستاذ الآثار القديمة، كلية الآداب، - جامعة بغداد - عنوان البحث: البيئة الطبيعية والإنسان.

الله في الأرض، التي يصدق فيها قول ونكلر وويلكوكس، إن الأنسان إستمد تصوره لجنة عدن، وهي غاية أرض النعيم من مناظر المزروعات التي شهدها في سهول العراق. لقد سخت الطبيعة على العراق، فوفرت له سهولا واسعة منبسطة خصبة، ومياها وافرة دفاقة، ومناخاً معتدلاً جذاباً⁽¹⁾.

كان للعراق مميزات إستراتيجية جعلته محط أنظار العالم القديم والجديد. ولذا مرت على العراق موجات كثيرة، وتكونت فيه دول مختلفة، فعدا: السومريون، والأكديون، والعيلايون، والعموريون، والبابليون، والآشوريون، والكلدانيون، والماديون، والفرس، واليونانيون، والفرثيون، وآخرهم ما قبل إنشقاق فجر الإسلام كان الساسانيون. وبعد الفتح الإسلامي الذي بدأ في عام 12هـ، الموافق عام 632م، وانتهى بالنصر على الساسانيين في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في عام 16 هـ، الموافق عام 636م. وبعد دولة الخلفاء الراشدين التي إستمرت حتى عام 40 هـ المصادف عام 662م، بمقتل الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه⁽²⁾. مر العراق بموجات ودول عديدة، كانت غالبيتها من المسلمين.

ففي بلاد الشام كانت الدولة الأموية، التي رأسها معاوية بن أبي سفيان، وحول الحكم فيها إلى ملك وراثي عضوض. وكان العراق محكوما من قبل الدولة الأموية حتى سقوطها، حين أдал العباسيون الدولة الأموية إليهم عام 132هـ، الموافق 750 م. وقرضت الدولة العباسية عام 656 هـ، الموافق 1258م. حين قوضت الدولة العباسية موجة هولوكو خان. الذي دخل بغداد في 4 صفر عام 656 هـ، الموافق 1258 م. ووضع السيف في أهل بغداد وإستمر النهب سبعة أيام اذ حولها إلى خرائب وأنقاض. وكان هولوكو يعرف بـ (أيلخان) ولهذا سميت دولته بـ "الدولة الإيلخانية"، وقد أخضع هولوكو جميع أنحاء العراق لسلطة دولته. المهم التحول الذي طرأ على بعض سلاطين هذه الدولة، فحين خلف «أبا قاجان» والده المتوفي هولوكو، إلا أنه هو الآخر توفي في همدان سنة 681 هـ، الموافق 1262م، فخلفه أخوه «تكودار خان» الذي أسلم وغير إسمه إلى أحمد، إلا ان «أراغون بن أبا قاجان»، ثار على عمه السلطان أحمد، وبعد ان إنتصر عليه وقتل السلطان أحمد، إستمر مسلسل الموت والتصفيات. . حتى تولى «غازان» ابن أراغون، والي خراسان سلطان الحكم. وقد أسلم هو كما أسلم الأسبق. وحين تولى «نيقالدوس» السلطان من أخيه غازان. أسلم هو

(1) د. الدباغ، تقي، العراق في التاريخ، (دار الجيل، بيروت، 1983م)، ص 22 - 24.

(2) الحسيني، عبد الرزاق، تاريخ العراق السياسي الحديث، (ط3، مطبعة دار الكتب، بيروت، 1975م)،

الآخر وسمى نفسه محمد، وتمذهب بالمذهب الجعفري سنة 707 هـ، الموافق 1316م، وأمر بتخليد الأئمة الأثني عشر على قطع نقود الدولة. وظل يتناوب السلطان الأقرب فالأقرب، حتى إنتصر الشيخ حسن الجلائري ونال السلطان. وهكذا إنقرضت الدولة الأيلخانية، بعد أن عمرت ثمانون عاما.

وهكذا قامت الدولة الجلائرية، وقد توالى على حكمها أولاد الشيخ حسن الجلائري وأحفاده، وحصل التناحر والتنافر من أجل السلطان. فثار البعض. وإنقطع الآخر ببعض الولايات وأستقل بالحكم. كما إستقل بعض الولاة من غير العائلة. إلا ان الأمور إستتبت إلى السلطان أحمد أحد أبناء الشيخ حسن الجلائري. إلا ان كثرة الفتن والثورات والألتحامات، أوصلت الأمور في المحصلة، إلى قتله عام 813 هـ، الموافق 1410م، فإنقرضت بموته الدولة الجلائرية.

والقيام كانت الحروب والدماء. وكانت بغداد في خضم هذه النزاعات المتواصلة تدفع الثمن غالبا إلى أن إستغل الوضع «الشاه إسماعيل الصفوي» الذي سار نحو بغداد فأحتلها عام 914 هـ، الموافق 1508 م. وبذا إنقرضت دولة الخروف البيض، بعد ان إنقرضت قبلها دولة الخروف الأسود.

وحين تم لشاه إسماعيل الصفوي الأستيلاء على بغداد، أعلن مذهب التشيع فيها. المقصود بالأعلان هنا هو: إعلان التشيع الرسمي. لأن التشيع العام كان موجودا منذ صدر الإسلام الأول كما تقدم الحديث فيه. وحين توفي هذا الشاه، خلفه أبنة «الشاه طهماسب الأول». وبدأت مرحلة جديدة من التحركات العسكرية والأنفصالية. ولما إصطدمت المصالح بين الشاه طهماسب والسلطان التركي سليمان القانوني، فما كان من القانوني إلا الأستيلاء على العراق، وإسترداده من ايدي الصفويين. وأصبحت بغداد مركزا لآيالة العراق كله. إلا ان للزمن دورة، حيث إستطاع الشاه عباس الصفوي، ان يعيد سلطانه على بغداد، في 9 شوال عام 1033 هـ، الموافق 1623 م. إلا ان هذا الأمر لم يستتب على حاله، فبمجرد موت الشاه عباس عام 1039 هـ، الموافق 1629م، خلفه حفيده الذي سرعان ما توفي هو الآخر بعد سنة واحدة من توليه السلطان.

وكانت الدولة العثمانية تعد العدة لأسترجاع ملك العراق وهكذا إستطاع «السلطان مراد» دخول بغداد عام 1049 هـ، الموافق 1640م. وعادت الكرة مرة ثانية للصفويين حين إستطاع «نادر شاه» الأستيلاء على بغداد، بعد حصار قصير، بدأه عام 1146 هـ، الموافق 1733 م إلى ان بدأت دولة المماليك في العراق عام 1162 هـ، الموافق، 1750م، وصار الولاة العثمانيون يأتون إلى العراق تباعا. فلما كان عام 1285 هـ، الموافق، 1869م، عهد بأيالة

بغداد إلى الوالي «مدحت باشا»، فتنفس العراقيون الصعداء في عهده، قياساً بمن سبقه. فقد أنصرف هذا الوالي إلى فتح المعاهد العلمية، ونشر العدل، والأمن في الربوع العراقية. وأسس مؤسسات صحية وثقافية وإدارية نافعة. وكالعادة لم تدم ولايته طويلاً، فبعد ثلاث سنوات عزل عن الخدمة.

وعادت الأمور إلى التدهور والأنحطاط، إلى أن كان الانقلاب العثماني عام 1326 هـ، الموافق، 1908م؛ الذي إستبشر به الناس خيراً، وبالخصوص في الأمصار. إلا أنه لم ينتج عنه بنهاية الأمر غير إستيلاء «حزب الأتحاد والترقي» ذو النزعة العنصرية الطورانية على مقاليد السلطة فيه. وهو ما أدى بمحصلة الأمر إلى توسع شقة الخلافات والنزاعات والصدامات بين العرب وعلى رأسهم العراقيين وبين الأتراك.

ولما أضرمت نار الحرب العالمية الأولى، ودخلت الدولة العثمانية الحرب بجانب ألمانيا وحليفاتها أصبح العراق ميداناً واسعاً للحروب الدامية. حيث تطاحنت على أرضه القوات البريطانية، الغازي الجديد للعراق، والقوات العثمانية المرابطة فيه. وتوزع العراقيون بين هذا وذاك، وبعد المد والجزر في طبيعة مثل هكذا تطاحن إستطاعت بريطانيا الأنتصار على العثمانيين، فأحتلت بغداد، في 11 آذار عام 1917م، بعد ان كانت قد إحتلت البصرة عام 1914م؛ وبعقب إحتلال بغداد، إحتلال الموصل عام 1918م. وبذا أطبق المحتلون البريطانيون الجدد على العراق كله، بولاياته: البصرة، وبغداد، وحين أعلنت هزيمة العثمانيين، في هدنة «موندوس» في 30 تشرين الأول من عام 1918م، كانت القوات البريطانية المحتلة على أبواب ولاية الموصل، التي اكملت إحتلالها. بعد اند حكم العثمانيون العراق زهاء 396 عاماً؛ اي منذ 941 هـ، الموافق، 1534م، حتى عام 1337هـ، الموافق، عام 1918م. وإنتهت بذلك أطول فترة إحتلال ومعاناة عاشها العراقيون في حياتهم. وبدأت مرحلة جديدة من الأحتلال البريطاني، الذي لم يقل قسوة وإضطهاداً وإستغلالاً، عن سابقه. . فلكل من المحتلين أيا كانوا، ظلمهم وظلامهم. ولعلي هنا اشير إن المعلومات المتقدم ذكرها والمنثورة على الصفحات الثلاث أعلاه، وبتصرف غير مخل من قبل الباحث، وردت في مجموعة من المراجع (1).

(1) الحسيني، م . س، ج 1، ص 22 - 34.

ابن الفوطي، الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المئة السابعة، (بغداد، 1351 هـ)، ص 329.

الغزوي، تاريخ العراق بين إحتلالين، (بغداد، 1353 هـ)، ج 1، ص 321 و ج 2، ص 178.

إبن بطوطة، رحلة إبن بطوطة، (مصر، لا . ت)، ج 1، ص 143.

وفي ضوء ما تقدم عن العراق يتضح لنا أن العراق مر عبر تاريخه القديم والحديث بظروف وأوضاع غير عادية، إذ تقاطرت عليه أقوام مختلفة العادات، متلونة المشارب، متنوعة الحضارات. فهذه البقعة الجغرافية، التي حباها الله بالكثير من الجمال والخير والأهمية والثروات والعلوم والحضارات، ورغم ما أحدثته تلك الظروف والأوضاع غير عادية، لم تؤثر في طبيعة البنية الاجتماعية م أضرارها مباشرة. إلا أن هناك بنفس الوقت مكاسب غير قليلة تحققت في الاتجاه الآخر، ولغالبية الأطراف، وخاصة لتلك التي تمتلك حيزاً من الحضارة والتقدم، حيث أن عملية الاحتكاك قد ولد حالة من التفاعل بين الحضارات، والتمازج بين تراث الأمم، والتلاقح بين أفكارها، مع إحتفاظ كل أمة بخصوصياتها، وبذلك إنعكس النتاج الإنساني، بعضه بإتجاه الآخر، فخلق حالة من الإستفادة المتقابلة. بل وفي حالات كان التأثير الديني آحادياً، في إتجاه (إسلام) البعض من ملوك وسلاطين بعض الدول. وأن لمكانة العراق في التاريخين العربي والإسلامي شأن عظيم، فحين يتحدث عمر بن الخطاب (رض) عن العراق، يقول:

«العراق بها كنز الأيمان، وهم رمح الله يجزون ثغورهم، ويكفون الأمصار»

وللكوفة على ما يبدو تأثير كبير ولكن غير مباشر، في حسم الأمور السياسية على مستوى الدولة. وحين يخاطب بن الخطاب أهل الكوفة يقول:

«يا أهل الكوفة أنتم رأس العرب وجمجمتها، وسهمي الذي أرمي به».

ولعل أول من مصر الكوفة هو عمر بن الخطاب عام 17 هـ لاهميتها الاستراتيجية في الدولة الإسلامية الحديثة؛ فلذا كانت من أوائل المدن التي أقامت حولها القبائل العربية الشيعية⁽¹⁾. ويشير د. الصالح إلى تقييم الإمام علي للكوفة، فيقول:

«من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار وسنام العرب»

وعند عودته من فتح البصرة وجه لهم كتاباً ثانياً قال فيه:

= ابن العبري، مختصر تاريخ الدول، (بيروت، 1890م)، ص 475.

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، (حيدر آباد الدكن، 1349 هـ)، ج 3، ص 378 و ج 4، ص 345.

صائغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، (القاهرة، 1923م)، ج 1، ص 256، 259.

الناهي؛ هيثم غالب؛ الصراع العثماني البريطاني الفرنسي على الموصل؛ القدس العربي؛ لندن 11

أيلول 1998

(1) ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، (بيروت، 1959م)، ج 5، ص 5 - 7.

«وجزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت نبيكم أحسن مايجزي العاملين بطاعته والشاكرين لنعمته، فقد سمعتم وأطعتم، ودعيتم فأجبتهم».

ويكمل الأمام حديثه عن الكوفة فيقول:

«كأنني بك يا كوفة تمدين مد الأديم العكاظي، تمركين بالنوازل، وتركيبن بالزلازل، وإنني لأعلم أنه ما أراد بك جبار سوء إلا إبتلاه بشاغل، ورماه بقاتل»⁽¹⁾.

وعندما سئل الإمام الصادق عن أفضل البقاع بعد حرمة الله ورسوله قال:

«الكوفة هي الزكية الطاهرة، فيها قبور النبيين والمرسلين، وقبور غير النبيين، والأوصياء الصادقين، وفيها مسجد سهل⁽²⁾ الذي لم يبعث الله نبيا إلا وقد صلى فيه، ومنها يظهر عدل الله، ومنها يكون قائمه⁽³⁾ والقوام من بعده، وهي منازل النبيين، والأوصياء، والصالحين»⁽⁴⁾.

ويحدثنا تريتون TRITTON عن الحالة الحركية للتشيع، في العراق فيقول:

«لقد بدأت كحزب سياسي بين العرب، ونظر أتباع هذا الحزب إلى علي بن أبي طالب وصهر محمد وسلالته زعيما وسرعان ما إستقرت هذه الحركة في العراق»⁽⁵⁾.

ويضيف محمد عمارة إلى ماتقدم بخصوص الحالة الحركية للتشيع فيقول:

«بدأت حزبا عربيا، وإستمرت كحزب عربي، ولم تكن في يوم من الأيام حركة شعبية للعناصر غير العربية في مواجهة العناصر العربية التي كانت مسيطرة في ذلك الحين»⁽⁶⁾.

وفي ضوء ما تقدم يتأكد لنا أن أمر نقل مركز الخلافة الرابعة، الذي أقره الأمام علي، من المدينة المنورة إلى كوفة العراق، عام (36 - 40هـ / 657 - 661م) لم يكن خطوة إرتجالية غير مدروسة إنما كان لها مبرراتها وأهميتها السياسية والإجتماعية والأقتصادية القائمة في تلك الحقبة، إضافة لتأثيراتها الأستراتيجية في مداها البعيد. وقد حصل جراء وجود مركز الخلافة في الكوفة على نتائج كبيرة، كان لها تأثيراتها المباشرة والعميقة في تنامي إطروحة التشيع،

(1) د. الصالح، صبحي، نهج البلاغة، (ط3، دارالكتاب، بيروت، 1983م)، ص86، 364، 675.

(2) د. الفياض، عبد الله، تاريخ الإمامية وأسلافهم من الشيعة، (ط2، مؤسسة الأعلمي، للمطبوعات، بيروت، 1975م)، ص31.

(3) المقصود جامع السهولة وليس سهل، ويبدو الخطأ مطبعي.

(4) المقصود بالقائم هو: الإمام محمد بن الحسن العسكري عليه السلام المهدي المنتظر.

(5) A.S. Tritton, (Islam, Hutehinson University Librarys 1968) P.72.

(6) د. عمارة، محمد، فجر اليقضة القومية، ص 109.

وتفجر الفكر الشيعي. ولكن للعقاد رأي آخر في أمر نقل مقر العاصمة من المدينة إلى الكوفة؛ إذ يقول:

«وقد إختار الكوفة فكانت أوفق عاصمة للإمامة العالمية في تلك المرحلة من مراحل الدولة الإسلامية. لأنها كانت ملتقى الشعوب من الأجناس وكانت مثابة التجارة بين الهند وفارس واليمن والعراق والشام، وكانت العاصمة الثقافية التي ترعرعت فيها مدارس الكتابة واللغة والقراءات والأنساب والأفانين الشعرية والروايات. فهي أليق العواصم في ذلك العصر بحكومة إمام، وما زالت الإمامة لاحقة بعلمي ومحيطه به، حيث تحول، وحيث أقام»⁽¹⁾.

فالكوفة عدا كونها موطن التشيع العربي الأول، فهي ومدينة النجف القريبتان لبعضهما، يعتبران اليوم موطن التشيع، والمركز العلمي للشيعة الإمامية الأثني عشرية، وقد وجدت فيهما بيوتات عربية علمية، ضمت رجالات على جانب كبير من العلوم الشرعية والحديث والفقهاء، ناهيك عن أبواب العلوم والمعرفة الأخرى.

تراجم شريحة من هؤلاء الجهابذة، خلال القرنين المنصرمين، ومنهم

1 - الشيخ إبراهيم قفطان [1199 - 1279] هجري:

الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن بن الشيخ علي بن نجم السعدي المعروف بـ (قفطان) وهو من قبيلة بني سعيد العربية المعروفة، ولد في النجف. وهو عالم أصولي ماهر، وأديب مفوه وشاعر كامل. قال عنه بعض العلماء «إنه نال من العلم نصيباً وافراً».

2 - الشيخ إبراهيم البلاغي [. . . - 1246] هجري:

الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسن بن الشيخ عباس بن الشيخ حسن بن الشيخ عباس بن الشيخ محمد علي بن الشيخ محمد، وهو من بيت عربي عرف بـ (البلاغي). ولد في النجف وتربى فيها، وصار يعد من أهل الفضل البارزين والفقهاء المنظورين، وعرف أيضاً أديباً شاعراً.

3 - السيد إبراهيم بحر العلوم [1248 - 1319] هجري:

السيد إبراهيم بن السيد حسين بن السيد رضا بن السيد محمد مهدي المعروف بـ (بحر العلوم) وهو من السادة العرب الحسينيين، ولد في النجف وتربى فيه. وكان من

(1) العقاد، م. س، ص 174.

الفضلاء البارزين والأدباء الشهيرين والشعراء المحلقين . ومن قصيدة له بعثها لولده السيد محمد يوصيه خيرا بطاعة جده إخرنا هذا البيت :

كن عبد جدك وأعلمن بأنني عبد لجدك

4 - الشيخ أحمد حرز الدين [1265 - 1342] هجري :

الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حمد الله بن الشيخ محمود المسلمي الشهير بـ (حرز الدين) وهو من قبيلة عربية معروفة تدعى (بنو مسلم) ، ولد في النجف ونشأ فيها وعدا كونه من أهل الفضل والمال ، كان فقيها ومؤرخا ذو إطلاع واسع ورأي سديد في الأمور العرفية . وكان مجلسه عامرا مكتظا بعلماء من علماء وأدباء وشعراء .

5 - الشيخ أحمد المشهدي [1259 - 1309] هجري :

الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ علي بن الشيخ عبد المولى الربيعي المشهور بـ (المشهدى) وهو من البيوت العربية العلمية القديمة في النجف ، وله سعة باع في علمي الفقه والأصول ، وعدا أن داره كانت تبذل في الضيافة وإطعام الطعام ، إلا أنها كانت ملجأ لعقد الندوات العلمية والأدبية ، وكانت مقصودة من الوجوه العلمية والأدبية والشعرية .

6 - الشيخ أحمد كاشف الغطاء [1292 - 1344] هجري :

الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر الشيخ جعفر ، وهو من بيت عربي معروف عرف بـ (كاشف الغطاء) ولد في النجف وترى فيها ، وكان عالما فقيها ومحققا بارعا ، نال في أواخر حياته رئاسة المرجعية للتقليد ، حين قلده مجموعة من العشائر العربية العراقية .

7 - السيد إسماعيل الصدر [1258 - 1338] هجري :

السيد إسماعيل بن السيد صدر الدين بن السيد محمد بن السيد صالح بن السيد شرف الدين محمد بن إبراهيم بن زين العابدين بن علي نور الدين ، وهو من بيت عربي إشتهر بـ (الصدر) وهو من السادات العرب الحسينيين المعروفين على إمتداد الوطن العربي ، كان فقيها أصوليا مدققا ، وذو علم واسع في العلوم العقلية والنقلية ، ومن طليعة العلماء المحققين .

8 - السيد باقر حيدر الكاظمي [. . . - 1290] هجري :

السيد باقر بن السيد حيدر بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد علي بن السيد

سيف الدين الحسيني: وهو من السادة العرب الحسينيين، من العلماء الأتقياء والأفاضل الأماناء، وكان فقيها أصوليا، وصاحب حوزة في الكاظمية يدرس فيها الفقه والأصول وعلم المنطق والعقائد.

9 - الشيخ جابر الكاظمي [1222 - 1312] هجري:

الشيخ جابر بن الشيخ عبد الحسين بن عبد الحميد بن الجواد وهو من عشيرة عربية تعرف بـ (الجوادات) تقيم في مدينة بلد بين سامراء وبغداد. وهو أديب فاضل وشاعر وشاعر ألمعي، ويعد نظمه من الطبقة الأولى.

10 - الشيخ جعفر كاشف الغطاء [1154 - 1227] هجري:

الشيخ جعفر بن الشيخ خضر بن الشيخ يحيى كاشف الغطاء وهو فقيه مشهور وكان يعتبر شيخ الطائفة في زمانه. وكان على صلوات وثيقة بملوك وسلاطين عصره، وهو الذي وفق بين العثمانيين والإيرانيين، وكان له تأثير ونفوذ عليهم، لما كان عليه من جلال القدر والمنزلة والعلم. توفي في النجف يوم الأربعاء 22 رجب عام 1227 هجري، ودفن في مقبرته التي أعدها بنفسه. وأعقب أولادا مشاهير علماء أربعة.

11 - السيد جعفر القزويني الحلبي [1253 - 1298] هجري:

السيد جعفر بن السيد مهدي بن السيد أحمد بن السيد محمد بن الأمير قاسم الحسيني الحلبي القزويني ولد في الحلة وكان من العلماء وجوه أهل الفضل، وقد أجازته والده إجازة إجتهداد. مرض في الحلة وتوفي بها غرة محرم عام 1298 هجري، وكانت وفاته في حياة والده، وقد رثته الشعراء وعلى رأسهم السيد حيدر الحلبي.

12 - الشيخ جعفر بن الشيخ راضي [1281 - 1344] هجري:

الشيخ جعفر بن الشيخ عبد الحسن بن الشيخ راضي بن الشيخ محمد بن الشيخ محسن بن الشيخ خضر ولد في النجف وكان عالما فاضلا ومجتهدا معروفا، وكان من أعلام النجف ورؤسائها. توفي في النجف يوم الخميس 14 ذي القعدة عام 1344 هجري. ودفن في مقبرتهم، ورثته الشعراء.

13 - الشيخ جعفر البديري [. . . - 1369] هجري:

الشيخ جعفر بن أحمد بن يوسف البديري وهو من قبيلة آل بدير العربية المعروفة، قيل من فخذ (آل شريفة) وقيل من فخذ (آل حمد الله) وهو المرجح لدى المؤلف. وكان عالما جليلا وزاهدا متقشفا. توفي في النجف يوم الأحد 24 شعبان عام 1369 هجري، ودفن في إحدى غرف الصحن الغروي.

14 - الشيخ جواد البلاغي [1280 - 1352] هجري :

الشيخ جواد بن الشيخ حسن بن الشيخ طالب بن الشيخ عباس بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ حسين بن الشيخ عباس بن الشيخ حسن بن الشيخ عباس بن الشيخ محمد علي بن محمد البلاغي النجفي ولد في النجف، وهو عالم فقيه، وأديب شاعر، وبخاتة أهل عصره، وكان موقفه أمام الماديين والطبيين موقف المناضل المجاهد، حتى أزاح شبههم ومزق أضاليلهم، وألزمهم الحجة. وكان من القلائل العارفين لغات الأديان الأخرى المسيحية منها واليهودية. وله معرفة غير قليلة بمذاهب أهل الكتاب ونحلهم. توفي يوم الأثنين في 22 شعبان عام 1352 هجري، ودفن في إحدى غرف الصحن الغروي. وكان فقده خسارة لا تعوض.

15 - الشيخ حسن كاشف الغطاء [1201 - 1262] هجري :

الشيخ حسن بن الشيخ جعفر بن الشيخ خضر كاشف الغطاء ولد في النجف عام 1201 هجري، أرخ عام ولادته الشيخ محمد رضا النحوي بقوله :

أهلا بمولود له التاريخ قد أنبته الله نباتا حسنا

وعد الشيخ حسن فقيه العصر وفريد المصر، وهو عالم مدقق مشهور بالفقاهة وحسن الاستنباط والنظر الصائب. وكان إضافة لكل ذلك شاعرا أديبا سريع البديهة، والملفت للنظر أن كل من تتلمذ عليهم قد أجازوه. بل أجازه بعض العلماء بالرواية عنهم. وهو الذي دفع عن مدينة النجف طغيان الوالي نجيب باشا العثماني عام 1259 هجري. توفي في النجف ليلة الأربعاء 27 شوال عام 1262 هجري على المشهور، ودفن في مقبرة والده المعروفة.

16 - الشيخ حسين الدجيلي [1238 - 1305] هجري :

الشيخ حسين بن الشيخ أحمد بن الشيخ عبد الله بن أحمد الدجيلي ولد في النجف عام 1238 هجري ونشأ فيها، وكان فقيها عالما فاضلا، وأديبا مفوها وشاعرا مجيدا. توفي عام 1305 ودفن في الصحن الغروي.

17 - الشيخ حسين الطريحي [. . . - 1307] هجري :

الشيخ حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد الطريحي وهو من بني أسد القبيلة العربية المعروفة، كان الطريحي عالما فاضلا وأديبا عرف بالفضل والصلاح، وكانت العلماء في النجف ترجع الناس إليه في ضبط حدود الأماكن المقدسة في أعمال الحج بمكة. توفي عام 1305 هجري ودفن في النجف.

18 - السيد حسين القزويني [. . . - 1325] هجري :

السيد حسين بن السيد مهدي بن السيد حسن بن السيد أحمد الحسيني القزويني الحلبي وهو عالم فقيه جامع، وشاعر أديب لامع، وكان عطوفا على الفقراء والمحتاجين وصول لهم. توفي فجأة في ليلة الأحد ذي الحجة عام 1325 هجري، ودفن في مقبرتهم المشهورة.

19 - السيد حيدر الحلبي [1246 - 1304] هجري :

السيد حيدر بن السيد سليمان بن داود بن سليمان بن داود بن حيدر بن أحمد بن محمود بن شهاب بن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي القاسم بن أبي البركات الحلبي ولد في الحلة في الخامس عشر من شعبان 1246 هجري، ويعد الحلبي واحدا من الأدباء والشعراء المبرزين في عصره، وتعد مرثياته كآيات محكمات. توفي في الحلة في التاسع من ربيع الآخر عام 1304 هجري وأقبر في الصحن الغروي.

20 - الشيخ خضر شلال [. . . - 1255] هجري :

الشيخ خضر بن شلال بن خطاب بن خدام المشهور بـ (العفكاوي) هجري وهو من قبيلة عربية معروفة هي (آل شيبه)، وهو عالم عابد تقي زاهد ورع، وهو المبرز في الرجوع إليه في تمييز الأعلام من علماء زمانه، لأنه ثقة أهل الدين والجماهير، وكان يعتد برأيه في إختيار المقلدين. توفي في النجف عام 1255 هجري، ودفن في داره في محلة العمارة في النجف.

21 - الشيخ راضي النجفي [. . . - 1290] هجري :

الشيخ راضي بن الشيخ محمد بن الشيخ محسن بن الشيخ خضر بن يحيى النجفي : فقيه القرن الثالث عشر الهجري، كما أطلق عليه، وكان أعرف بلسان الكتاب والسنة، وهو العربي الصميم في الذوق والسليقة والأدب، تخرج على يديه جمهرة من أهل العلم والفضل، وروى عنه بعضا من العلماء الأعلام. توفي في النجف في آخر شهر شعبان عام 1290 هجري، ودفن في النجف في محلة العمارة في مقبرته المعروفة.

22 - الشيخ راضي نصار العبسي [. . . - 1230] هجري :

الشيخ راضي بن الشيخ نصار بن الشيخ حمد النجفي وهو من آل بدر الحكيمي العبسي نسبة لقبيلة بني عبس العربية المعروفة في الجاهلية والإسلام، وكان عالما تقيا، وهو من شيوخ النجف وأدبائها، وكان يحضر مجلسه العلماء الأعلام والصلحاء والتجار. توفي في النجف حدود عام 1230 هجري، ودفن في الإيوان الكبير المعروف بإيوان ميزاب الذهب، في الصحن الغروي.

- 23 - الشيخ راضي علي بيك [. . . - 1299] هجري:
 الشيخ راضي بن علي بيك الفتلاوي وينتسب إلى عشيرة (آل فتلة) العربية الفراتية المعروفة، وكان عالما عاملا، وهو ورع مشهور بالفقاهة، تثق به جمهرة من أهل الدين والصلاح، وكان رواية ذو علم في سير العلماء ورؤساء القبائل العراقية العربية وبالخصوص الفراتية. توفى في النجف في شهر رمضان عام 1299 هجري.
- 24 - الشيخ رحمة الله الظالمي [. . . - 1356] هجري:
 الشيخ رحمة الله بن الشيخ جواد بن الشيخ علي بن الشيخ حمود الظالمي وهو من عشيرة الطوالم العربية المعروفة. وكان فقيها عابدا، والشيخ رحمة الله من عيون المجاهدين، الذين تصدوا للمحتلين الأنكليز مذ وطئت أقدامهم أرض العراق، وكان يدفع بالقبائل العربية في السماوة لقتال المحتلين في الشعبية عام 1914م. وقد طارده السلطات الأنكليزية بعد ذلك لكنها لم تفلح به، إلى أن توفى يوم الأحد 22 من شهر محرم عام 1356 هجري، ودفن في حجرة من حجر الصحن الغروي.
- 25 - الشيخ سلمان الهدايي [1278 - 1352] هجري:
 الشيخ سلمان بن الشيخ كاظم المعروف ب (الهدائي) وهو من فخذ (آل عصيدة) الذين هو أحد بطون قبيلة خفاجة العربية المعروفة، له علم بالحروف كما وله إهتمام بالفوائد الطبية اليونانية، وعده فقد كتب في الفقه. توفى في النجف يوم الخميس 18 شعبان عام 1352 هجري.
- 26 - الشيخ شاهر العبودي [. . . - 1255] هجري:
 الشيخ شاهر بن الشيخ نون بن الشيخ عبد الواحد بن الشيخ عبد الخضر بن الشيخ راشد العبودي وهو من قبيلة العبودة العربية: كان عالما فاضلا ورعا متأملا في الأمور العرفية والشرعية. توفى في النجف حدود 1255 هجري وأقبر في وادي السلام.
- 27 - الشيخ صالح الكواز [. . . - 1290] هجري:
 الشيخ صالح بن مهدي بن حمزة الشهير ب (الكواز) الحلبي وهو من قبيلة شمر، كان أديبا متميزا وشاعرا ذو قريحة وقادة وسعر متين، رثى الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليه السلام. ومما قاله فيه: كأن السما والأرض في تنافسا فنال الفضل منه أعز المراتب. وله مرثي جلييلة لآل البيت. توفى في الحلة ودفن في وادي السلام في النجف عام 1290 هجري.
- 28 - الشيخ عبد الحسن الشيخ راضي [1260 - 1328] هجري:
 الشيخ عبد الحسن بن الشيخ راضي بن الشيخ محمد بم الشيخ محسن بن الشيخ خضر

النجفي ولد في النجف سنة 1260 هجري، كان عالما فقيها مجتهدا. ونال رئاسة في النجف، إلتف حوله أهل العلم من العرب، وأصبح مجلسه عامرا بالعلماء والوجوه النجفية ورؤساء القبائل العربية الفراتية. توفى في النجف في 7 جمادي الأولى عام 1328 هجري، وقبر مع والده في مقبرته الشهيرة.

29 - الشيخ عبد الحسين الأعمس [. . . - 1246] هجري:

الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد علي بن الشيخ حسين بن الحاج محمد الزبدي الأعمس وينتمي الشيخ إلى فخذ العسمان وهم من قبيلة حرب المعروفة. وكان عالما محققا وفقهيا مبرزاً وأديبا وشاعرا. توفى في النجف في 1246 هجري ودفن في الصحن الغروي في نفس الغرفة التي دفن فيها والده.

30 - الشيخ علي حرز الدين [1182 - 1277] هجري:

الشيخ علي بن الشيخ عبد الله بن الشيخ حمد الله بن الشيخ محمود حرز الدين السلمي وهو من القبيلة الفراتية المعروفة (بنومسلم) ومسلم من قريش بن بدران ابن مقلد بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن بهته بن سليم منصور، ولد في النجف حدود عام 1182 هجري ونشأ فيها، وكان عالما فقيها محققا زاهدا، وكان ماهرا في علم الطب اليوناني، والنجوم والهيئة، وعلم الطلاسم، والعلوم العقلية والنقلية. توفى في النجف في يوم الأربعاء في الخامس والعشرين من ذي القعدة عام 1277 هجري.

31 - الشيخ عيسى زاهد [. . . - 1281] هجري:

الشيخ عيسى بن الشيخ حسين المعروف بالزاهد وينتسب إلى فخذ الزواهد من قبيلة ربيعة العربية المعروفة، وكان عالما فقيها أصوليا، معروف بالأجتهد. توفى عام 1281 هجري.

32 - الشيخ كاظم السبتي [1265 - 1342] هجري:

الشيخ كاظم بن الشيخ حسن بن علي بن سبتي والشيخ من فخذ آل سهلان من قبيلة طفيل العربية الفراتية الشهيرة. ولد في النجف في عام 1265 هجري ونشأ فيها، ودرس مختلف العلوم حتى قيل أنه أصبح مجتهدا، وكان عدا ذلك مولعا في الأدب والشعر. توفى في النجف آخر ربيع الأول عام 1342 هجري، ودفن في الصحن الغروي.

33 - الشيخ كاظم البرقعي [. . . - 1347] هجري:

الشيخ كاظم بن الشيخ مهدي البرقعي وهو ما آل المبرقع وهم فخذ من آل عبد الله من

ربيعة القبيلة العربية المعروفة. كان طبييا حاذقا وأديبا بارعا، وكان فاضلا في علمي الفقه والأصول ضابطا لمقدماته العلمية، راويا للشعر الجاهلي والمخضرمي عن فهم وإمعان. توفي يوم الثلاثاء 9 جمادي الأولى عام 1347 هجري. ودفن في الصحن الغروي.

34 - الشيخ محسن خنفر [1176 - 1270] :

الشيخ محسن بن الشيخ محمد بن خنفر الكبير ولد حدود عام 1176 هجري، وآل خنفر التي ينتمي إليها الشيخ هي من قبائل باهلة العربية المعروفة. وكان عالما محققا وأصوليا بارعا وخبيرا متبعا لعلم الرجال والحديث. وقد حفظ كتاب القانون في الطب لأبن سينا حتى أصبح أستاذا في تدريسه وشرحه. وكثيرا ما كان أهل الدين والبصيرة يرجعون إليه في التقليد. وكان متخصصا في تدريس الطب اليوناني والعلوم. توفي في النجف ليلة السبت آخر ربيع الأول عام 1270 هجري.

35 - الشيخ محمد حسن كبة [1269 - 1336] هجري :

الشيخ محمد حسن بن الحاج محمد صالح بن الحاج مصطفى بن الحاج درويش علي بن الحاج جعفر بن الحاج علي بن الحاج معروف كبة ولد في الكاظمية في الثامن من شهر رمضان عام 1269 هجري. وهو من بيت عريق في بغداد ينتمون إلى قبيلة ربيعة العربية المعروفة. ورغم إنشغاله في التجارة والأعمال الحرة، إلا أنه كان شغوفا بالعلم، ونال من العلوم ما مكنه من أن يصبح عالما مجتهدا حين أجازته الشيخ طه نجف. وكان أديبا وشاعرا مفوها. توفي في النجف أواخر شعبان عام 1336 هجري ودفن بمقبرتهم المعروفة في باب الطوسي.

36 - الشيخ محمد حسن مظفر [1301 - 1375] هجري :

الشيخ محمد حسن بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الله بن أحمد بن مظفر وهو صيرمي الأصل نسبة لقبيلة الصيامر العربية المعروفة. ولد في النجف أوائل شهر صفر عام 1301 هجري، ونشأ فيها، وكان عالما فاضلا محترما عند علماء عصره ووجوه النجف، كما رجع إليه البعض في التقليد. توفي في بغداد يوم الأربعاء 23 ربيع الأول عام 1375 هجري، ودفن في النجف.

37 - السيد محمد حسين الخرسان [. . . - 1322] هجري :

السيد محمد حسين بن السيد حسن بن السيد علي الخرسان وهو من عائلة عربية معروفة تنتسب إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام وكان عالما فاضلا، وأديبا كاملا ينظم الشعر

على قلة. توفي في النجف عام 1322 هجري، ودفن في مقبرتهم مع والده في الإيوان الكبير.

38 - الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء [1294 - 1373] هجري:

الشيخ محمد حسين بن الشيخ علي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ولد في النجف عام 1294 هجري، وكان عالما أصوليا مفوها وفقهيا كاملا وكاتبا بارعا، عدا كونه باحثا منقبا مؤرخا أدبا وشعرا. وصار مرجعا للتقليد، وإشتهر صيته على المستوى العربي والإسلامي، حين حضر المؤتمر الإسلامي في القدس عام 1350 هجري، وخطب خطبته الشهيرة في ليلة 27 رجب يوم مبعث الرسول الأكرم محمد ﷺ، بعد صلاة المغرب، وحين جاء موعد صلاة العشاء، قرر علماء المذاهب جميعا أن يأتوا بالشيخ كاشف الغطاء، فأهمهم كاشف الغطاء وصلى بجمعهم الذي قيل أنه تجاوز الخمسين ألف نسمة. وحين عاد للنجف إنبرى جمع من الشعراء يلقون قصائدهم مرحبين بمقدمه المظفر، ومن قصيدة للعلامة الشيخ عبد المهدي مطر إختارنا هذا البيت:

حسب هذا الدين أن يحيى له في العراقيين معد ونزار

توفي في يوم الأثنين 18 ذي الحجة 1373 هجري، وأقبر في مقبرتهم الخاصة في وادي السلام.

39 - الشيخ محمد رضا الغراوي [1303 - ...] هجري:

الشيخ محمد رضا بن قاسم بن الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى بن أحمد بن محمد الغراوي ولد في النجف عام 1303 هجري، وآل غرة يرجعون إلى قبيلة خزرج العربية المعروفة. وكان الشيخ الغراوي عالما وفقهيا أصوليا، وأديبا شاعرا، وكانت داره ندوة علمية وأدبية تجتمع إليها النخبة من أهل الفضل من علماء وأدباء.

40 - السيد محمد سعيد الحبوبي [1266 - 1333]:

السيد محمد سعيد بن السيد محمود بن السيد قاسم بن السيد كاظم بن السيد حسين بن السيد حمزة بن السيد مصطفى الحبوبي ولد في النجف في 14 جمادي الثانية سنة 1266 هجري: وهذه العائلة غنية عن التعريف بسيادتها العربية، وهي تتوزع بين المدينة المنورة والنجف الأشرف وبغداد دار السلام. وكان الحبوبي عالما فاضلا وفقهيا كامل الثقة، ومجاهدا من الطراز الأول، وهو فوق كل ذلك كان أديبا مفوها وشاعرا محلقا، وله في الموشحات باع طويل، وكانت له مجالسه المعروفة، وبالخصوص الأدبية والشعرية. وحين إحتل الأنكليز البصرة في اليوم السادس من محرم عام 1333 هجري،

أنبرى الحبوبي في تجميع العشائر وسار على رأسهم لمكافحة العدو الهابط، في معركة الشعيبة والمزيرية في البصرة. وقد مرض الحبوبي فيها مرضاً كان سبباً في وفاته، بعد أن عجز الطب من شفائه، وكانت وفاته في ناصرية المنتفك، في ليلة الأربعاء الثالث من شعبان عام 1333 هجري، ونقل إلى النجف وقبر في الإيوان الكبير.

41 - الشيخ محمد طه نجف [1241 - 1323] هجري:

الشيخ محمد طه بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد بن المقدس الحاج نجف وعائلة آل نجف سادة عرب أصلاء موسوية، لكن غلب عليهم أمر المشيخة دون السيادة منذ أمد ليس بقصير، وهكذا جرى عليهم التعارف. ومثل هذا الأمر ليس بنادر فعائلة مؤلف هذا الكتاب وهم بغداديون أصلاء ينتمون إلى عشيرة الموالي (السادات) وهي عشيرة عربية معروفة، لكن لم يغلب عليهم تسمية السيادة، بل غلب عليهم التسمية العامية. كان الشيخ محمد طه نجف قطب دائرة الشريعة، وقد إنتهت إليه الزعامة بإقرار المجتهدين وأهل التحقيق، وهو عدا ذلك كان أدبياً وشاعراً. توفى في يوم الأحد الثالث عشر من شهر شوال عام 1323 هجري ودفن في حجرة من الصحن الغروي، وأرخ عام وفاته بعض الأدباء بقوله:

لقد أمست سماء العلم تبكي بطه أرخوا قد غاب بدرًا

42 - الشيخ محمد العكام [. . . - 1271] هجري:

الشيخ محمد بن الحاج مهدي الحميدي المعروف بـ (العكام) ونسبة الحميدي إلى القبيلة العربية المعروفة (آل حميد)، وكان الشيخ العكام عالماً محققاً، إشتهر بالفضل الواسع والأدب والكمال. توفى في النجف حدود عام 1271 هجري ودفن فيها.

43 - الشيخ محمد الزريجاوي [. . . - 1283] هجري:

الشيخ محمد بن طعمة الزريجاوي نسبة لقبيلة بني زريج العربية المعروفة، وكان عالماً وفقهياً شهد له أهل الفضل والدراية بذلك، حتى راح بعضهم مشيداً بإجتهاده وقوة نظره وعمق فقاوته، وكان أدبياً وشاعراً ومن قصيدة له يهنئ فيها الشيخ طالب البلاغي صاحب الندوة الأدبية الشهيرة في النجف، والمتوفي عام 1282 هجري. إذ يقول:

تجلت بدور السعد من كل جانب بنور معيا طيب الأصل طالب
ولاح لنا بدر السرور وأشرقت شمس الهنا في شرقها والمغرب

44 - السيد محمد الشرموطي [1252 - 1308] هجري:

السيد محمد بن السيد محسن بن السيد علي بن السيد حسن بن السيد سعد بن السيد

أحمد بن السيد يعقوب بن السيد سعد بن السيد غالب بن السيد شمس الدين المعروف بـ (الشمروطي). وهو من السادة الموسوية نسبة للإمام موسى بن جعفر عليه السلام، وكان عالماً محققاً وفقهياً أصولياً، إضافة لكونه أستاذاً في الفلسفة وعلم النجوم والفلك والهيئة والهندسة والحساب وعلم الحروف والطب. توفى في النجف آخر جمادي الثانية عام 1308 هجري وقبر فيها.

45 - الشيخ محمود ذهب الظالمي [. . . - 1324] هجري:

الشيخ محمود بن الشيخ محمد بن ياسين بن ذهب الظالمي وهو من فخذ آل بو حسين أحد أفخاذ قبيلة الطوالم العربية المعروفة. وكان عالماً ومحققاً وفقهياً متقناً وأصولياً بارعاً، ومتخصص بعلم العربية والمنطق. توفى في النجف في يوم الإثنين 16 جمادي الأولى عام 1324 هجري، ودفن في حجرة في الصحن الغروي.

46 - السيد مصطفى الحيدري [. . . - 1339] هجري:

السيد مصطفى بن السيد إبراهيم بن السيد حيدر بن السيد إبراهيم بن السيد محمد بن السيد علي الحسيني البغدادي الكاظمي ولد في الكاظمية ونشأ فيها، وهو من عائلة عربية معروفة وينتهي نسبه بالإمام الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، وتلتقي عائلة الحيدري بعائلة آل السيد عيسى البغدادية المعروفة، عند الجد السابع أو الثامن. والسيد مصطفى من العلماء الأجلاء والفقهاء الأتقياء، وكان كاتباً ومؤلفاً ومؤرخاً ومنقبا، وهو ثقة عدل أمين. توفى في الكاظمية في 11 رمضان عام 1339 هجري، ودفن في مقبرتهم الخاصة، في صحن الإمامين الكاظمين عليه السلام.

47 - الشيخ منصور المحتصر [1298 - 1355] هجري:

الشيخ منصور بن الشيخ محمد بن الشيخ علي المحتصر وهو من إحدى قبائل بني سعيد العربية المعروفة. وكان عالماً وفقهياً، ممدوح السيرة حسن المناظرة والحديث أدبياً كاملاً. توفى عام 1355 هجري في سفرته إلى قبيلته، ونقل للنجف ودفن في الصحن الغروي.

48 - الشيخ موسى كاشف الغطاء [1180 - 1243] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ الأكبر جعفر صاحب كشف الغطاء: كان عالماً حقاً وزعيماً روحياً محلّقاً وفقهياً أصولياً مدققاً، عد من أساطين العلماء، وقد روي أنه يصير تحت منبره للتدريس حدود الألف رجل بين عالم وفاصل. وكان الشيخ موسى يتمتع بمكانة متميزة لدى الدولتين العثمانية والإيرانية، وهو الذي ساعد على حسم الخلافات

بينهما، وكان من المدافعين عن الشيعة العراق من التعصب الطائفي البغيض. توفى في النجف عام 1243 هجري ودفن مع والده في مقبرتهم الشهيرة في النجف، ورثته الشعراء.

49 - الشيخ موسى الخمايسي [1173 - 1270] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ إسماعيل بن الشيخ إبراهيم بن الشيخ عبد علي بن الشيخ يحيى الخمايسي وهو من عشائر (المجرية - المكرية) في ضواحي الحلة المزيدية. وكان على جانب كبير من العلم الغزير والتحقيق، وكان ثقة أميناً روعاً صميماً في فقاوته وذوقه، وكان أديباً مدرساً مشهوراً في المعاني والبيان والعربية وقد تخصص بها، ويروى له مؤلفات في الفقه والأصول والكلام. توفى في الحلة حدود عام 1270 هجري، ونقل جثمانه إلى النجف وقبر في إيوان الصحن الغروي.

50 - الشيخ موسى شلال [. . . - 1275] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ محمد بن الشيخ شلال بن الشيخ خطاب بن الشيخ خدام الطائي وهو من آل شيبية وهم من طي. كان عالماً وفقياً وأديباً، وكان براً تقياً كثير العبادة، زاهداً في الدنيا. توفى في النجف عام 1275 هجري.

51 - الشيخ موسى الحفاظي [. . . - 1287] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ عبد الله الحفاظي وهو من قبيلة آل حفاظ العربية الفراتية المعروفة. وكان عالماً فقيهاً، وكان ينظر إليه بعين الاعتبار والتقدير لفقاوته وسمو مكانته العلمية، وبعد وفاة أستاذه صاحب الجواهر، وإكتمال علميته، غادر النجف وأستقر في قبيلته، وتوفى عندهم ونقل جثمانه ليقبر في النجف حدود عام 1275 هجري.

52 - الشيخ موسى الظالمي [. . . - 1325] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ راضي بن الشيخ حمود بن الشيخ محسن بن الشيخ علي الظالمي وهو من قبيلة الظوالم العربية المعروفة، كان عالماً كاملاً عربياً صريحاً، وبنفس الوقت فقيه أصولي نحوي بياني منطقي أديب، ضابط لمقدماته حافظ للنوادير التاريخية والأدبية والشواهد وآثار السلف. توفى في النجف عام 1325 هجري ودفن في النجف.

53 - الشيخ موسى العصامي [1300 - 1355] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ محسن بن الشيخ علي بن الشيخ حسين بن الشيخ محمد العصامي وهو من فخذ العصامات من قبيلة (جليحة) القبيلة العربية الفراتية المعروفة.

وكان من أعلام أهل الفضل، وهو عدا كونه من الخطباء الموجهين والفقهاء البارعين، كان من الأبدال المؤلفين والكتاب المصنفين. توفى في كربلاء في التاسع والعشرين من شهر رمضان عام 1355 هجري، وحمل جثمانه إلى النجف وأقبر فيه.

54 - الشيخ موسى دعيبل [1298 - ...] هجري:

الشيخ موسى بن الشيخ عمران بن الحاج أحمد بن الشيخ عبد الحسين بن الشيخ محمد بن الشيخ محسن بن الشيخ دعبل الخفاجي وهو من قبيلة خفاجة العربية المعروفة. وكان عالما وفقهيا، إشتغل بتدريس الكتب الفقهية كاللمعة الدمشقية، وشرايع الإسلام، ولفضله وورعه وعلمه وصلاحه جلب إحترام أهل النجف.

55 - الشيخ مهدي الزريجاوي [... - 1279] هجري:

الشيخ مهدي بن الشيخ صالح بن الشيخ أحمد الزريجي وبنو أزيج قبيلة عربية معروفة كما سبق الإشارة إليها. وكان الشيخ مهدي من العلماء والفقهاء المعروفين الأكابر، وكان مدرسا بارعا في الفقه والأصول وعلم الميزان. توفى في النجف عام 1279 هجري ودفن فيها.

56 - الشيخ مهدي قفطان [1256 - 1283] هجري:

الشيخ مهدي بن الشيخ حسن بن الشيخ علي بن الشيخ نجم السعدي المعروف بـ (قفطان) وهو من بني سعيد المار ذكرهم، ولد في النجف في اليوم التاسع من شهر صفر عام 1256 هجري. وكان مولعا بالأدب والشعر، وهو من أهل الفضيلة والتحقيق. توفى في النجف عام 1283 هجري.

57 - الشيخ مهدي كاشف الغطاء [1226 - 1289] هجري:

الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء: كان مقدم العلماء ورئيس الفقهاء وصار المدرس الأوحد في الفقه والأصول، وقد رجع إليه المسلمون في التقليد، وكان عدا ذلك أديبا وشاعرا بليغا ومنطقيا جهوري الصوت. توفى في النجف في 24 شهر صفر عام 1289 هجري ودفن في مقبرتهم المعروفة.

58 - السيد مهدي الحلبي [1222 - 1289] هجري:

السيد مهدي بن السيد داود بن السيد سلمان بن السيد داود بن السيد حيدر بن السيد أحمد بن السيد محمود بن السيد سهاب بن السيد علي بن السيد محمد بن السيد عبد الله بن السيد أبي القاسم بن السيد أبي البركات الحلبي وهم سادة عرب حسينيون، ولد في الحلقة نشأ فيها. وكان من أهل الفضل والعلم والتقى، وكان شيخا من شيوخ الأدب،

وشاعرا ذو قريحة باهرة، وأشتهر في مراثي آل البيت وأتباعهم.

59 - السيد مهدي القزويني [1222 - 1300] هجري:

السيد مهدي بن السيد حسن بن السيد أحمد بن السيد محمد بن السيد مير قاسم الحلبي: وهو من عائلة عربية حسينية معروفة، وكان عالما جامعا ضابطا، من عيون الفقهاء والأصوليين، وشيخ الأدباء والمتكلمين، ووجه لاما من وجوه الكتاب والمؤلفين. تخرج عليه جمهرة من العلماء، وأجاز بالرواية عنه جمهرة من علية العلماء الأعلام. توفي السيد مهدي في طريق عودته من الحج يوم الثلاثاء ربيع الأول عام 1300 هجري. وقد رثته الشعراء ومنهم حيدر الحلبي الذي جاء في مراثيه:

أرى الأرض قد مادت لأمر يهولها فهل طرق الدنيا فناء يزيلها

60 - الشيخ مهدي نجف الصغير [. . . - 1309] هجري:

الشيخ مهدي بن الشيخ محمد طه بن الشيخ مهدي بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ محمد بن الحاج نجف وسبق الإشارة إلى إنتسابهم للسادة العرب، وكان الشيخ الصغير من الأفاضل النابيين والأدباء البارعين، توفي في النجف في حياة والده عام 1309 هجري، ودفن في مقبرتهم الشهيرة. ورثته عصابة من الشعراء منهم الشاعر جعفر الحلبي الذي قال فيه:

أرائد قومه إغتتم الرجوعا فريح الموت صوحت الربيعا

61 - السيد مهدي الحكيم [. . . - 1312] هجري:

السيد مهدي بن السيد صالح بن السيد أحمد بن السيد محمود الحكيم النجفي: وهو من سادات العرب المعروفين، وهو والد المرجع الأكبر الإمام السيد محسن الحكيم، الذي عرفه العالمين العربي والإسلامي، عالما جهيدا ومجاهدا لا يلين ومقداما لا يتراجع. اما السيد مهدي الحكيم فكان عالما مجتهدا وفقهيا محققا وتقيا عابدا. توفي في بنت جبيل في الجنوب العربي اللبناني، يوم الجمعة في الثامن من صفر عام 1312 هجري، ودفن في موضع مبجل هناك بالقرب من جامع البلد.

62 - الشيخ مهدي القرشي [. . . - 1312] هجري:

الشيخ مهدي بن الحاج ناصر بن الشيخ جاسم بن الشيخ محمد بن الشيخ مسعود بن الشيخ أبو عمارة بن الشيخ نصار بن الشيخ ماجد بن الشيخ نصار بن الشيخ زهير بن الشيخ فلاح بن الشيخ سماح بن الشيخ شهاب بن الشيخ جعفر بن الشيخ كلاب الجعفر القرشي وهو من قبيلة عربية معروفة تعرف بـ (الجعافرة). وكان الشيخ مهدي من العلماء

وأهل النظر والتحقيق. وكان تقياً ورعاً محترماً عند أهل الفضل وأساطين العلماء. توفي في مدينة الحي في واسط العراق، وأقبر في النجف.

63 - السيد مهدي البغدادي [. . . - 1327] هجري :

السيد مهدي بن السيد محمد بن السيد حسن بن السيد إبراهيم بن السيد ناصر بن السيد قاسم بن السيد محمد البغدادي زعائلة السادة البغدادية ينتهي نسبهم إلى الإمام موسى ابن جعفر الكاظم عليه السلام. ولد في بغداد لكنه نشأ في مدينة العلم والأدب النجف، وكان من أهل الفضيلة والعلم والمعرفة، عدا أنه شاعراً وأديباً يحسن صوغ الشعر بفنونه والنثر بسجعه، وكانت داره ندوة أدبية تضم طائفة كبيرة من أعلام شعراء النجف والحلة والحيرة وبغداد، ومن شعره نظمه أرجوزة في علم الشطرنج ولعبته المشهورة. توفي في النجف في شهر رجب عام 1327 هجري وأقبر فيها.

64 - الشيخ مهدي الخالصي [1276 - 1343 هجري] :

الشيخ مهدي بن الشيخ حسن بن الشيخ عزيز الخالصي: وهو عربي أصيل ينتمي إلى قبيلة بني أسد المعروفة، ولد في الكرخ - الكاظمية في التاسع من ذي الحجة عام 1276 هجري ونشأ فيها، وبعد أن تنقل بين الكاظمية والنجف وسر من رأى، أصبح عالماً فقيهاً محققاً أصولياً بارعاً، وإستقر في الكرخ - الكاظمية، وفتح باب التدريس حتى إجتمع عليه جمهرة من طلاب العلوم، وأخذ يلقي دروساً في الفقه، ونظريات علم الكلام، وتقاريرات في الأصول. وكان الشيخ مهدي من المجاهدين الذين قادوا المسلمين في المعارك ضد الأنكليز مذ وطئت أقدامهم أرض العراق، وظل الشيخ يقارعهم بعد ذلك حتى أبعده السلطات العراقية بتأثير المحتلين الأنكليز في عام 1342 هجري، إلى خارج العراق. توفي في غربته في مدينة خراسان ليلة الأثنين في الثاني عشر من شهر رمضان عام 1343 هجري، وأقبر في غرفة قرب روضة مرقد الإمام علي ابن موسى الرضا عليه السلام.

65 - الشيخ مهدي حصين [1292 - . . .] هجري :

الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ عبد علي بن الشيخ زامل بن الشيخ جنزير بن الشيخ تركي بن الشيخ بركات بن الحاج سعد بن الشيخ محمد بن الشيخ رطان الساعدي، وهو من قبيلة السواعد العربية المعروفة، ولد في الحلفاوية التابعة لمدينة العمارة عام 1292 هجري ونشأ فيها، هاجر إلى النجف لطلب العلوم، فأصبح من أصحاب العلم والفضيلة والتحقيق، وكان أديباً وشاعراً ومؤلفاً وراويَةً لحوادث القبائل العربية في الجنوب، وقد أجازاه بالحديث عنهما كل من: زعيم الطائفة أبو الحسن

الموسوي، وكذلك الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء. توفي في النجف ليلة السبت 14 جمادى الثانية عام 1381 هجري.

66 - الشيخ يوسف الأزري [. . . - 1211] هجري :

الشيخ يوسف بن الحاج محمد بن الشيخ مهدي بن الشيخ مراد الأزري البغدادي : وهو من قبيلة بنو تميم العربية المعروفة، ولد في بغداد ونشأ فيها، وهاجر للنجف لطلب العلم والمعرفة، حتى أصبح من أهل العلم والفضيلة، وكان على جانب عظيم من الجلالة والعبادة والقداسة، وكان أديبا شاعرا. توفي في بغداد عام 1211 هجري. وقد أرخ وفاته السيد محمد البغدادي فقال :

أصبحت الجنان مثوى يوسف والحوار والولدان فيها صحبه

لقد كان كتاب معارف الرجال للسيد العربي الأصل محمد حرز، بأجزائه الثلاث، قد ضم أكثر من خمسمائة وخمسون ترجمة، لعلماء ونحويين ومفكرين وأدباء وشعراء، وقد تحقق لنا أن من بين هذا الرقم عدا ما ذكرناه أعلاه من تراجم العراقيين العرب، بحدود ثلثمائة عربي عراقي على هذا النمط والمستوى من المعرفة بشتى العلوم، التي نهلوها من مصادر العلم والمعرفة في : النجف بالدرجة الأولى، وكربلاء والحلة والكاظمية وسامراء، وإن حوالي خمسين آخرين من العرب ممن قصدوا النجف، لتلقي العلوم غالبيتهم من جبل عامل في لبنان، والبقية من الأحساء عرب الجزيرة. مع العلم أن الباقيين وجلهم من حملة الجنسية الإيرانية، والبالغ عددهم بحدود المئة شخص، فإن أكثر من نصفهم من أصول عربية معروفة.

وهذا يعني إن عدد من نهل علومه المختلفة من هذه المدن المقدسة من العراقيين العرب هم أكثر من ثلثمائة وخمسين شخصا، وإذا ما أضفنا لهم عرب لبنان والأحساء وأصحاب الأصول العربية من الإيرانيين، يصبح العدد أكثر من أربعمائة وخمسين عالما ومفكرا وفقهيا وفيلسوبا وأديبا وشاعرا، ومدرسا لمختلف علوم الطب والفلك والهندسة والكيمياء والرياضيات، كلهم من العرب، هذا فقط ما أنتجته المعاهد والمدارس والحوارات الدينية، في المدن المقدسة المشار إليها، خلال القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين. وإذا نظرنا نظرة متفحصة لكتاب (الفوائد الرجالية) للعلامة السيد محمد مهدي بحر العلوم⁽¹⁾ تتضح أمامنا الحقيقة بصورتها الساطعة، فقد أورد في كتابه هذا بعضا من تلك (اليوت العربية) العلمية في الكوفة الذين لعبوا أدوارا غير عادية في خدمة التشيع وفكره، وهو ما يعد من

(1) بحر العلوم، محمد مهدي، الفوائد الرجالية، (مطبعة الآداب، النجف، 1965م) ص 203-413.

العوامل الرئيسية في إنتشاره في أرجاء العراق . فالكوفة في ضوء هذا الوجود الكمي والنوعي شكلت مستودعا للعلوم أضفى بضلاله الوارفة على الفكر الشيعي . ولعل من أبرز تلك البيوتات العربية آل أعين، آل أبي رافع، آل أبي شعبة، آل أبي صفية، آل أبي أراك، آل أبي الجعد، آل أبي الجهم، آل أبي سارة، آل نعيم، آل حيان، بنو الحر الجعفي، بنو الياس البجلي، بنو خالد، بنو عبد ربه، بنو يسار، بنو ميمون، بنو سوقة، بنو نعيم الصحاف، بنو فرقد، بنو الهيثم، بنو عمار البجلي، بنو حكيم، بنو حكيم الأسدي، بنو موسى، بنو أبي سبرة، بنو عطية الحافظ . ويشير د. الفضلي عن بحر العلوم إلى (بيت آل أعين) فيقول عنهم:

«ولكن فيهم العلماء والفقهاء والقراء والأدباء ورواة الحديث . ومن مشاهيرهم حمران وزرارة . وعبد الملك وبكير بنو أعين . وحمزة بن حمران . وعبيد بن زرارة وضريس بن عبد الملك وعبد الله بن بكير ومحمد بن عبد الله بن زرارة والحسن بن الجهم بن بكير وسليمان بن الحسن بن الجهم وأبو طاهر محمد بن سليمان بن الحسن وأبو غالب أحمد بن محمد بن محمد بن سليمان»⁽¹⁾.

وفي التاريخ المتأخر؛ هناك من الشيعة العرب العراقيين الذين نهلوا مختلف العلوم والفنون الحديثة، داخل العراق وخارجه، في دور العلم من مدارس ومعاهد وكليات وجامعات، ومنذ عشرينات هذا القرن، فإن أعدادهم تتجاوز اليوم عشرات الآلاف، وقد نبغ منهم جمهرة غير قليلة وأصبحوا في عداد المخضرمين بين علماء ومفكري دول الشرق والغرب . وإن عددا غير قليل منهم قد تبوأ مراكز علمية وتقنية حساسة، في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، والمملكة المتحدة البريطانية، وفرنسا، ودول أوروبا الأخرى . حتى أنهم اليوم قد توزعوا القارات الخمس . وسنشير في أحد مباحث الباب السادس من هذه الدراسة، إلى شريحة منهم .

أن الكوفيين، رغم ما كان منهم من رغبة وإصرار على إستخدام الإمام الحسين عليه السلام لتولي أمرهم . إلا أنهم حوصروا عن نصرته من قبل قوات بن زياد، لا كما يحاول البعض من تصوير موقفهم العام بالتخاذل، وإن تسرب التخاذل لبعض النفوس الضعيفة، إلا أن الأكثرية أجبروا عليه، عدا ذلك فإن جيش بن زياد بقيادة عمر بن سعد قد حال دون وصول الحسين وأتباعه إلى الكوفة، ليمنع عنه نصرة أهلها له . ولذا نلاحظ أن بن سعد قد حدد المكان والزمان بعيدا عن الكوفة، وبذا ضمن الجولة . فبعد أن ضرب جيشه الحصار المطبق على

(1) د. الفضلي، عبد الهادي، تاريخ التشيع الإسلامي، (ط1، دارالنصر، بيروت، 1992م)، ص102.

الحسين وأتباعه وأهل بيته، مما إضطر الحسين مع قلة من أهل بيته وشيعته وبعد أن نفذ ما عندهم من الماء والزاد، في خوض غمار حرب غير متكافئة، لا في العدة ولا في العدد، حيث كان جيش بن سعد عدة آلاف من المقاتلين، في حين كان أتباع الحسين وأهل بيته لا يتجاوز عددهم المئة والثلاثون رجلا على أكثر التقادير⁽¹⁾، فكان يوم الطف في كربلاء، حين تم قتل المنازلين للقتال جميعا في العاشر من محرم عام 61 هجري ومن ثم أخذ النساء والأطفال من آل بيت الرسول محمد ﷺ سبايا إلى بلاد الشام بتلك الصورة التي يندى لها جبين الدين والأنسانية.

ومهما يكن من أمر فإن الكوفيين رغم هذا الموقف الذي أجبروا عليه، إلا أنهم بقوا على ولائهم لآل البيت، ومن هنا كانت ردة الفعل سريعة وعميقة في نفوس من لم تساعده الظروف للانتصار للحسين، أثناء صراع الحسين مع قوى الضلال. إلى أنهم في موضع التكفير عن موقفهم هذا، إنبرت النخبة منهم، تشحذ الهمم للثأر من قتلة الحسين وأتباعه، ورغم أن صفة الثأر كانت واجهة التحرك هذا، إلا أنها بحقيقة الأمر أخذت بعدا سياسيا عميقا. وحين نستعرض مواقف النخبة من التوابين، كما اشار إليها الدكتور صفوت، نستدل بها على ذلك، فهذا عبيد الله بن عبد الله، جاء حديثه في صميم الموقف السياسي إذ يقول: «إنا ندعوكم إلى جهاد المحليين والمارقين فإن قتلنا فما عند الله خير للأبرار وإن ظهرنا رددنا هذا الأمر إلى أهل بيت نبينا»

أما المسيب بن نجية فيرسم الطريق للثائرين على طريق الحسين وأتباعه، اللذين أهدرت دماؤهم على ارض كربلاء، فيقول:

«لا والله لا عذر دون أن تقتلوا قاتله والموالين عليه، أو تقتلوا في طلب ذلك»

وينبري سليمان بن الصرد الخزاعي الذي إتخذ هو الآخر قرار الموت ليقول:

«ألا إنهضوا فقد سخط ربكم، لا ترجعوا إلى الحلائل والأبناء حتى يرضى الله والله ما أظنه راضيا دون ان تنجزوا من قتله أوتببروا»

ويأتي خالد بن سعيد بن نفيل ينقل صورة مثالية في الإيثار من أجل إعلاء كلمة الحق حين وقف قائلا:

«إن كل ما أصبحت املكه، سوى سلاحي الذي أقاتل به عدوي، صدقة على

(1) شمس الدين، مهدي، أنصار الحسين، (ط3)، منشورات قسم الدراسات الإسلامية، طهران، 1357هـ)، ص 56-119.

المسلمين، أقويهم به على قتال القاسطين»⁽¹⁾.

ويأتي تعقيب الدكتور الليثي، بما يؤكد هذه المواقف، حيث تقول:

«أصبحت بلاد العراق بعد مصرع الحسين، مركزاً لنشاط الشيعة، وقد بدأت حركة التوابين سنة 61 هـ، بعد فاجعة كربلاء مباشرة، وكانت نهايتها سنة 64 هـ، لتبدأ حركة أخرى هي حركة المختار الثقفي... كما قامت حركات أخرى منها؛ حركة إبراهيم أخي النفس الزكية، في البصرة عام 145 هـ، في عهد المنصور، وحركة محمد بن إبراهيم وأبي السرايا، في الكوفة، عام 199 هـ، في عهد المأمون، وحركة أبي عبد الله (أخي أبي السرايا)، في الكوفة، عام 202 هـ في عهد المأمون»⁽²⁾.

وقد لفتت هذه الظاهرة نظر الشيخ أبو زهرة فطرح تساؤله؛ لماذا كان العراق مهد التشيع؟ ويرد على تساؤله بنفسه قائلاً:

«لقد تظافرت عدة أسباب فجعلته كذلك، فعلي بن أبي طالب أقام به مدة خلافته، وفيه التقى بالناس ورأوا فيه ما أثار تقديرهم، ولم يعلنوا الولاء بقلوبهم للأمويين قط، فرماهم معاوية في خلافته بزياد بن أبيه ففضى على المعارضة أن تظهر، ولكنه لم يقتل جذورها من النفوس، ولما مضى زياد، إستمر ابنه على حكمه من بعده، في عهد يزيد بن معاوية، وصار العراق أول المنتفضين على الأمويين، حتى إستقر الأمر لبني مروان في عهد عبد الملك بن مروان، فرماهم بالحجاج فأشدت في القمع، وكلما إشدت قمعهم إشدت المذهب الشيعي في نفوس معتقيه»⁽³⁾.

وأهتم كتاب غير مسلمين بالحديث عن ذلك، منهم إسحاق نقاش الذي يقول:

«ارتبط الإسلام الشيعي منذ البداية إرتباطاً وثيقاً بالعراق، لأن العديد من الحوادث المكونة للتاريخ الشيعي وقعت هناك، ففي عام 661 ميلادي، أغتيل علي بن أبي طالب الخليفة الرابع والإمام الشيعي الأول في أحد مساجد الكوفة أو قتل الحسين بن علي الذي طالب بالخلافة مع صحبه في معركة وقعت في سهل كربلاء عام 680 ميلادي، وأمضى العديد من الأئمة الشيعة الأثني عشر شطراً على الأقل من حياتهم في العراق، وفي العراق توجد مدن العتبات المقدسة الشيعية الأربع، الأكثر قدسية؛ النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، ومنذ المراحل المبكر للتاريخ الإسلامي كان الكثير من

(1) صفوت، أحمد زكي، جمهرة خطب العرب، (ط1، دار الحدائث، بيروت، 1985م)، 59-63.

(2) د. الليثي، سميرة مختار، جهاد الشيعة، (دار الجيل للنشر، بيروت، 1976م)، ص31.

(3) أبو زهرة، الشيخ محمد، تاريخ المذاهب الإسلامية، (القاهرة، 1974م)، ج1، ص38.

النشاط الأكاديمي الشيعي يمارس في مراكز العراق مثل الكوفة والحلة وبغداد والنجف وكربلاء. وأخيرا كان العراق فيما مضى أرضا حكمتها سلالات شيعية أبرزها البويهيون (94 - 1055)»⁽¹⁾.

ونحن في هذا المقام لا نتفق من حيث المبدأ مع ما ذكره نقاش من:

«إستعمال تعبير (الإسلام الشيعي) وكان المفترض به أن يتوخى الدقة والحذر وهو يخوض في بحث حساس كهذا، لأن التعبير الذي أستعمله بالأساس غير دقيق وغير سليم. من حيث أن الإسلام هو إسلام واحد وهو (إسلام محمد ﷺ) فكما أنه لا يوجد إسلام سني، لا يوجد إسلام شيعي، ولكن يوجد إضفاءات وخصوصيات في كل مذهب، وهذا واقع لا غبار عليه، وكان يجب أن يلتفت إليه الباحث. ولكن ليس هناك من ضير أن نقول مسلمون شيعة أو مسلمون سنة. إلا أن إستعمال مثل تلك التعابير كما وردت على لسان نقاش، أو غيره من باحثين سنة كانوا أو شيعة، قد لا يخلو من أهداف لا تنسجم مع طبيعة البحث العلمي السليم. وحقيقة الإسلام هو: ما شخصه الرسول ﷺ بقوله: «الإسلام أن تسلم وجهك لله عز وجل وأن تشهد أن لا إله إلا الله وتشهد أن محمدا رسول الله».

ومع وجود إختلافات في الفروع، بين الشيعة والسنة، لكن الأصول ثابتة، وهو الأساس، وإن مثل هذه الأختلافات علاة صحية في الأمة، وليس العكس، كما يصورها المغرضون. والنبى هو القائل: «إختلاف أمتي رحمة» لكن يبقى إسلام الجماعتين إسلاما واحدا وتبقى عملية الإغناء الفكري بما لا يتعارض مع (القرآن والسنة) حالة مرجوة، بما يتناسب مع التطورات الإنسانية الحديثة، وبما يؤدي إلى الحفاظ على الدين. يضاف هذا الدليل لبقية الأدلة المتقدمة، بما يعزز الأستدلال على أن التشيع لم يكن حديث عهد في الخليج والجزيرة العربية، وتمركزه في العراق، وإن الشيخ أبو زهرة قد أصاب كبد الحقيقة، حين أكد ولاء العراقيين لمدرسة الإمام المبين علي كرم الله وجهه، رغم ما رماهم به معاوية، فيزيد، فعبد الملك، بأولئك الولاة الجورة، الذين أعاثوا في الأرض الفساد والإفساد، وعملوا السيف في رقاب أتباع مدرسة الإمامة، وظنهم أنهم سيحصلوا على نتائج إيجابية، ﴿فَبَأَوْ بِعُضْبٍ عَلَى عَضْبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِمٌّ﴾ [البقرة: 90].

حيث جاءت النتائج معكوسة تماما، فقد عززت بمحصلة الأمر أطروحة التشيع، في الربوع العراقية، وتجاوزت إنعكاساتها الإيجابية على المنطقة العربية والأفليمية. ومهما يكن من أمر فإن إستشهاد الإمام علي المبكر، قد حال دون إتمام رسالته في إعادة الأمور على ما

(1) نقاش، إسحاق، شيعة العراق، (ط1، بيروت، 1996)، ص31، تر: عبد الأله النعيمي.

كانت عليه أيام النبي ﷺ لشدة الظروف الإستثنائية التي أحاطت فترة ولايته إلا أن حالة تعمق أطروحة التشيع قد أخذت مأخذها، بل زاد في إضطرابها حصول (واقعة الطف) المعروفة. وهو ما مكن للفكر الشيعي من التوهج والرسوم.

المبحث الثاني: التشيع في أنحاء العراق

لقد أدى تمركز التشيع في كوفة العراق وما حولها إلى إنعكاسات غير عادية، أدت بمحصلة الأمر إلى قيام المدن الشيعية العربية المقدسة: النجف، و كربلاء، والكاظمية وسامراء في العراق، وترسخ الأطروحة الشيعية عند المسلمين، الأمر الذي أثر تأثيراً أشمل وأوسع في جنوب العراق ووسطه العربيين، وبخاصة في المدن الرئيسية المترامية: البصرة والعمارة والناصرية والكوت والديوانية والسماوة والحلة ودبالي وبغداد، حيث أصبح غالبية ساكنيها بتقادم الزمن من الشيعة الإمامية الأثني عشرية. وهناك حقيقة من الضروري الإشارة إليها بما يوضح طبيعة مكونات الشعب العراقي، وما يعكسه ذلك على طبيعة إنتشار التشيع، في أنحاء العراق. فقد أشار أحد الباحثين إلى سكان المدن العراقية أي (الحضر) في بداية هذا القرن اذ قال كانوا يشكلون ما يقارب 24٪ من اجمالي الشعب العراقي⁽¹⁾. وهذا يعني أن الجزء الأكبر الذي تتجاوز نسبته 75٪ هم من سكنة الريف، وحتى الحضر سكان المدن ليسوا ببعيدين عن هذا الأنتماء. فغالبية سكان العراق من ريف وحضر، سواء من العرب او من الكرد، هم من العشائر. إلا أننا سنسلط الضوء على أهم العشائر العربية التي تسكن جنوب ووسط العراق، وبعضاً من شماله، وبالخصوص الموصل. وسنأخذ ببغداد (العاصمة) كنموذج للحديث عن (الحضر) بما يسد حاجة دراستنا هذه، ويحدد طبيعة التشيع.

أولاً: العشائر العربية:

أورد العزاوي معلومات عن تكوينات الإمارات العربية في العراق⁽²⁾، ونحن بدورنا نستعرضها في بحثنا هذا بتصرف محدود بما يضمن من حقائق. ومما لا شك فيه أن (كتاب العشائر العراقية) لمؤلفه العزاوي يعتبر من أقدم من بحث في العشائر العراقية، بصورة تفصيلية. ورغم ما على الكتاب من ملاحظات إلا أن المعلومات التي أوردها مؤلفه عباس

(1) سلمان، محمد حسن، التطور الإقتصادي في العراق؛ التجارة الخارجية والتطور الإقتصادي 1864-1958، (بيروت، 1965)، ص 52، 53.

(2) العزاوي، م. س. ج 1، ص 35، 63، 128، 211، 245. ج 3، ص 33، 34، 59، 72، 201، ج 4، ص 17، 164، 195.

العزاوي، بما في ذلك ما إقتبسه من مؤرخين ثقة، هي معلومات لا غنى للباحث عنها. وحيث أن بعض هذه المعلومات التي وردت في هذا الكتاب قديمة نسبيًا، لأن الكتاب ألف قبل ستة عقود ونيف من السنين. لذا فإن إشاراتنا عن عدد النفوس والفرسان لبعض العشائر إنما هو ضمن الفاصل الزمني الذي تم فيه تأليف الكتاب. وإن نفوس العشائر وفرسانها قد تضاعف اليوم عدة مرات عما كانوا عليه في تاريخه. عدا حالة التقدم الحضاري والتنوع المعرفي والعلمي الذي أصبح عليه أبنائهم، الذين تبوؤا مناصب مرموقة في مختلف مفاصل الدولة العراقية الحديثة.

ويظهر من النصوص التي وردتنا أن وجود العرب في العراق، إرتبط بأصل العراق وتكونه عبر التاريخ، إستنادا إلى هجرة العرب ونزوحهم من الجزيرة العربية، ومن ضمنها اليمن الذي توسع ملكه بضم ممالك أخرى له، إضافة للزيادة السكانية بين العدنانيين والقحطانيين في نجد والحجاز. وحصول سيل العرم في اليمن، كلها أسباب، دفعت لتعزيز الهجرة العربية منذ آلاف السنين، وبالخصوص إلى العراق البلد الزراعي المرفه، الذي كان يطلق عليه (أرض السواد) لكثرة الزراعة فيه.

ولكن قبل الخوض في تفصيلات العشائر نود ان نشير إلى قلة المصادر القديمة والدقيقة التي تبحث في الإمارات والقبائل والعشائر العربية القديمة، وهو ما إنعكس سلبا على المراجع الحديثة بصورة وأخرى. لذا لم يكن نصيب العرب البائدة والعرب المتعربة والعرب المستعربة، وأخبارهم وأحوالهم وهيكلاتهم يذكر في هذا السياق. سوى إشارات موزعة في كتب التاريخ والتراجم تشير إلى عاد وثمود وطسم وجاسم وصحار وبار وجديس⁽¹⁾. وقد أشار القرآن الكريم إلى بعض تلك الأقسام كما هو في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِمْرًا ذَاتَ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾﴾ [الفجر: 6 - 9] . .

ونلاحظ أنه لم يستمر الأمر للإمارات أو القبائل التي أشرنا لها، على سابق حالها، بل تعرضت إلى تطورات كثيرة، منها ما تفتت وتحللت وربما إنقرضت، أو تشظت إلى أجزاء أو ذابت في المدن، أو إنتقلت إلى أصقاع أخرى، أو ضمت بأرضها وعشائرها وثوراتها إلى دول أخرى، كما حصل في ضم عربستان إلى إيران عام 1263هـ-1847م⁽²⁾. فالذي يهمنا هنا هو عشائر القرن العشرين، وقد سدت المعلومات التي حصلنا عليها؛ جزءا مهما لا يستهان

(1) العزاوي، م . س .

(2) كبة، م . س، ص 6.

به من حاجتنا. ومهما يكن من أمر فقد درجنا على أن العرب تنقسم إلى قسمين هما:

القسم الأول العرب القحطانية: نسبة إلى قحطان بن عامر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام ابن نوح عليه السلام ومن أشهر قبائلهم طيء، ومدحج، وهمدان، والأزد، وقضاعة. ويقول العزاوي: «ولا زال شطر كبير من العرب متكونا منهم، وأكثر قبائل العراق اليوم منهم»⁽¹⁾.

القسم الثاني العرب العدنانية: وهم من ولد إسماعيل عليه السلام. وأن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وبنو هاشم ينتهون إليهم لذا يقول صلى الله عليه وسلم: «وإذا وصلتكم إلى عدنان فأمسكوا» وهي إشارة واضحة لإرتباك معلومات ما سبقها. ومن أشهر قبائلهم، أسد، وكنانة، وربيعة، ونعيم، وعنزة، وأياد، وأنمار، ومضر.

أما أشهر القبائل العربية القديمة التي سكنت العراق فهي:

قبيلة أياد؛ قبيلة أنمار؛ قبيلة قضاعة؛ قبيلة طيء؛ قبيلة تميم؛ قبيلة بكر؛ قبيلة تغلب؛ قبيلة ربيعة؛ قبيلة النمر؛ قبيلة مدحج؛ قبائل التنوخيين⁽²⁾.

ويمكن الإشارة هنا لأهم الإمارات العربية القديمة التي قامت في العراق وهي⁽³⁾:

1 - إمارة الحضر.

2 - إمارة الأزد.

3 - إمارة اللخمين وعددها (خمسة).

4 - إمارة أوس بن قلاب.

5 - إمارة كندة.

6 - إمارة طيء.

7 - إمارة أزاوية.

8 - إمارة كعب

وقد إستخلصت من خلال البحث والمتابعة ما يفيد عن طبيعة تشكيلة الهيكلية العشائرية، إذ تتألف من:

1 - الإمارة: وتضم عدة فرق وقبائل وعشائر.

(1) العزاوي، م . س ، ج 1، ص 35.

(2) ن . م .

(3) ن . م .

- 2 - الفرقة: وتضم عدة قبائل وعشائر.
- 3 - القبيلة: وتضم عدة عشائر.
- 4 - العشيرة: وتضم عدة فروع وأفخاذ وبيوتات.
- 5 - الفرع: ويضم عدة أفخاذ وبيوتات.
- 6 - الفخذ: ويضم عدة بيوتات.
- 7 - البيت: ويضم عدة عوائل (أسر).

وقد كان لبعض الإمارات العدنانية والقحطانية، بقايا أثر (إمارات)، في بدايات عراق القرن العشرين، إضافة للعشائر المستقلة الأخرى وهذه الإمارات هي؛ إمارة زبيد (قحطانية)، إمارة طى (قحطانية)؛ إمارة المنتفق (عدنانية)؛ إمارة ربيعة (عدنانية)؛ وتنشطر عن إمارة ربيعة، إمارة كعب⁽¹⁾. وقد استقرت قبائل هذه الإمارات وعشائرها وفرقها وفروعها الأصلية والملحقة بها وأفخاذها وبيوتاتها، في مناطق متفرقة من العراق. ولتسليط الضوء على طبيعة التوزيع العشائري على الخارطة العراقية، نلاحظ أن كثافة العشائر العربية الشيعية تركزت بين أطراف بغداد حتى البصرة، مروراً بالمحافظات الجنوبية والوسطى، وهي مساحة جغرافية كبيرة، ربما تجاوزت ثلثي مساحة العراق المسكونة أو تزيد. في حين أن العشائر العربية السنية تركزت في ثلاث محافظات وسطية هي، الأنبار وديالى وصلاح الدين، ومحافظة شمالية واحدة هي، نينوى.

وقبل الخوض في توزيع العشائر على المحافظات العراقية، لابد من الإشارة لحقيقة مهمة، بخصوص كثافة الوجود العربي الشيعي، وهي أن هناك خمسة محافظات عراقية تعتبر من أكبر محافظات القطر العراقي، وتضم أعلى كثافة سكانية بين محافظات القطر، وهي كل من الديوانية، والناصرية، والبصرة، وبغداد، والموصل، فبخصوص الديوانية التي تقع في وسط العراق والناصرية التي تقع في جنوب العراق وبغداد (العاصمة) التي تقع في الوسط، فجل سكانهما من الشيعة العرب، أما البصرة التي تقع في جنوب العراق وبغداد (العاصمة) التي تقع في الوسط، فجل سكانهما من الشيعة العرب، إلا أن الموصل الواقعة في شمال العراق فمطلق سكانها من السنة العرب. وفي ضوء هذه الحقائق سنتناول الحديث عن عشائر العراق العربية.

أولاً: إمارة زبيد

تنتسب زبيد إلى قحطان، وكانت إمارة زبيد القديمة قبل الإسلام لعمر بن معدى

كرب، وكان لها أيام الفتوحات الإسلامية شأو كبير. وينقل لنا العزاوي بعض الآراء والمعلومات عن هذه الإمارة. وينقل العزاوي عن ابن الدريد:

«ومن بني زبيد عمرو بن معدي كرب بن عبد الله بن عمرو بن عصم بن عمرو بن زبيد، فارس العرب الذي أدرك الإسلام وشهد القادسية»⁽¹⁾..

وينقل أيضا عن الحيدري قوله: «... ومنهم عمرو بن معدي كرب الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ...»⁽²⁾..

ويكمل نقل تلك الآراء عما ذكره البسام بهذا النص:

«زبيد بين الحلة والخزاعل، وهم ثلاث قبائل: الجحيش، البوصالح، السعيد. والقول يفهم أنهم مآل الطالب، وعجالة الراكب، والبحر العذب المسالم، والحرب العطب للمقاوم، ضدهم محزون، وعرضهم مخزون، لاتتبع أحلامهم الأهواء، ولا تميل سفهاؤهم للأدنى، كلهم أبناء كرام، ولاجرم أنهم أذكى فعالا، وأصلا وأقوالا، وأقرى للحرب، إذا نزلت عليهم والمانعها غير ثمانية إليهم، فرسانهم 1500 وسقمانهم ستة آلاف بلا كفاية»⁽³⁾..

أما إمارتهم المتأخرة خلال هذا القرن فعلى حد علمنا أن إمارتها كانت بدءا في آل السمرمد، وإنتهت لآل الخلف، وكان آخر أهم مشايخها هو عبيد الحاج خلف، الذي كان نائبا في المجلس النيابي في العهد الملكي، وكان مقره مدينة الصويرة، توفي قبل سنوات قليلة. وشهد جنازته ومجلس عزائه جماهير غفيرة ورؤساء عشائر ووجهاء. كما ان أهم عشائر هذه الإمارة: جحيش الحلة، البوسلطان، السعيد، آل عجيل، المعامرة. العمار، آل حميد، البومحمد، السواعد، آل فتلة، آل بدير، الخزرج، بنو ركاب، جبور الواوي. وغالبيتها المطلقة هم شيعة، وتوزع على محافظات، الكوت، بغداد، ديالى، الحلة، كربلاء، النجف، الديوانية، السماوة، الناصرية، العمارة، البصرة. أما عشيرة الجبور وعشيرة الجحيش الساكتان في أنحاء محافظة نينوى فغالبتهم المطلقة من (السنة)، وهناك شريحة منهم سكنت بغداد/ الكرخ. وحين نقف على أهم العشائر في هذه الإمارة تشخص لنا عشيرة (آل فتلة) من عشائر الفرات الأوسط، التي كان لها دورا وطنيا مشرفا، ضد المحتلين البريطانيين، فكانوا حماة الضيم في كل صولة وجولة، وأباة النفوس في موقف الكرامة وعزة

(1) م . ن . ج 3، ص 32. نقلا عن: ابن الدريد.

(2) م . ن . ج 3، ص 32. نقلا عن: الحيدري في عنوان المجد، ص 155.

(3) م . ن . ج 3، ص 33. نقلا عن: البسام في درر المفاخر.

النفس، ونخوة الصناديد في النوازل والشدائد، وأسخياء العطاء في موقع الحاجة والمساعدة، وهم في السراء والضراء وحين البأس، أول المتقدمين. وكان من أبرز رجالها في هذا القرن هو (عبد الواحد الحاج سكر)، الذي لعب أدواراً بطولية رائعة، ضمن مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، خلال هذا القرن، والذي سيتجسد دوره الرائد في ثورة العشرين المجيدة، والأدوار الأخرى. إلا إننا حين نقف على عشيرة البو محمد التي تنتمي لهذه الإمارة، يبرز أمامنا الأتهام الظالم لهذه العشيرة على أنها لا تمت للعروبة بصلة، لكن العزاوي وهو من أبناء (السنة) ينبري لهذا الإتهام قبل ستة عقود ونيف من السنين، وهو يرد على لسان الماضين خلال القرنين الماضيين، وعلى لسان المتأخرين بما تضمنته المقالات الست التي نشرتها جريدة الثورة الناطقة الرسمية للنظام العراقي بين 3-14 نيسان من عام 1991م، والتي تنم عن الحقد المذهبي الأسود، ضد عشائر الجنوب.

يقول العزاوي بمعرض تعرية هذه التهمة عن عشيرة البو محمد:

«والبو محمد بمن يلحق بهم يتكون منهم أغلب عشائر لواء العمارة ولا نرى أثراً للهنود أو الإيرانيين والكل متفقون على أنهم عرب، وإن تربية الجاموس لا تحقق أصلاً غربياً وإنما تعين حاجة إقتضتها الحالة، ولا يبعد أن يكون الجاموس موجوداً من أول الفتح فأستمر والعراق يستقي نفوسه من جزيرة العرب ومن الغريب أن نستنطق السحنات والصور أو الأشكال، ونركن إليها كحقيقة، مما أوقع في اللبس. وكأننا في غفلة عن الشعوب العربية، أو كأننا إستقصينا الكل فحكمناً»⁽¹⁾.

ثانياً: إمارة طوى

تنتسب هذه الإمارة إلى قحطان ويقول العزاوي عنها:

«وهذه الإمارة في العراق قبل الإسلام في (بني هناء) ومن هؤلاء: إياس ابن أبي قبيصة أمير العرب في العراق. وفي عهد العرب المسلمين كانت إمارتهم في (بني جراح) أبي قبيصة، وكانت الرئاسة فيهم أيام الفاطميين لأميرهم (مفرج) بن دغفل في البادية».

ويؤكد العزاوي على أن «كثير من عشائر طوى إختارت السكنى في العراق، وإن لم تنقطع العلاقة بالأقطار الأخرى»⁽²⁾.

ويبدو أنه كانت لهذه الإمارة في فواصل زمنية من إمارة العراق شأن عظيم، حيث كانت

(1) م . ن ، ج 3، ص 67.

(2) م . ن ، ج 3، ص 201.

الدول تتقرب لها لمكانتها المتميزة. وينقل لنا العزاوي رأي البسام في نسب هذه الإمارة: «ومن قبائل الجزيرة طيء، وهم من ذرية حاتم طيء، الذي هو أشهر من بدر السماء، لم يعرضه أحد بالكرم ممن خلق الله من العرب والعجم»⁽¹⁾.. وأهم عشائر هذه الإمارة هم، شمر، وبني لام، ومعن. قبيلة شمر: وتتكون من العشائر التالية:

شمر طوكة، وشمر جربة، وزوبع، والمسعود، وبنو سعيد، والشامرة، والجعفر، والأكرع، والبوحسان، والخرصة، وسنجارة، والصائح، وعبد. ويتوزع الشيعة منهم على محافظات، ديالى، والكوت، وكربلاء، والنجف والديوانية، والسماعة، والعمارة. أما السنة منهم فوجودهم ينحصر بالدرجة الأولى في محافظتي الرمادي والموصل. وينقل لنا العزاوي رأي الحيدري فيهم: «ومن أجل عشائر العراق شمر، وهم عدة قبائل وتبلغ قبائل شمر مائة ألف نفس فأكثر، وحماتهم آل محمد من طيء، وجميع قبائلهم تعود إلى قحطان»⁽²⁾. وينقل العزاوي لنا رأي البسام في هذه القبيلة:

«شمر من ذرية حاتم * . . . من سكان الجزيرة، وهم أكرم العشائر، وأرفعهم عمادا * المقصود هو حاتم طيء، الذي يضرب المثل في كرمه بين العرب وأكرمهم أخوالا وأجدادا وأصحهم في ذكر المكارم إسنادا، وأقدم في الحرب»⁽³⁾..

قبيلة بني لام وعشايرها

آل نصيري، آل نصار، الحويفظ، الغزي، الجوارين، الجشعم. وقد امتدت سلطة بني لام قديما من القرنة ملتقى الرافدين، إلى الشاطئ الشرقي من نهر ديالى قرب بغداد، وغالبيتهم من الشيعة. ويتوزعون على محافظات، العمارة، الناصرية، الكوت، ديالى، النجف، ويعتبر وجودهم في العمارة أشمل. وينقل لنا العزاوي آراء بعض المؤرخين في هذه القبيلة، فعن البسام يورد لنا هذا النص: «بنو لام ذوالقدرة والتمام، والإكرام لنزيلهم والإنعام عندهم ثلاثة آلاف سقمان، وأما الخيل فألفان»⁽⁴⁾..

(1) م . ن ، ج 3، ص 200. نقلا عن : البسام في درر المفاخر.

(2) م . ن ، ج 1، ص 128. نقلا عن : الحيدري في عنوان المجد.

(3) م . ن ، ج 1، ص 128. نقلا عن : البسام في درره.

(4) م . ن ، ج 3، ص 214. نقلا عن : البسام في درره.

وعن الحيدري أورد النص التالي :

«هي كثيرة العدد والبطون، حمائلهم من أكبر الناس كرما ونجابة وبأسا، بطن من طي القحطانية وكانت منازل بني لام في الأصل في المدينة إلى الجبلين ثم أتوا إلى العراق»⁽¹⁾ . . .

وعن نهاية الأرب أورد هذا النص :

«قبيلة من قبائل طيء وهم بنو لام بن عمر بن علي بن مالك بن جدعان بن ذهل بن رومان ابن جندب بن خارجة بن سعد بن قطرة بن طيء»⁽²⁾ .

وعن السعدي، أورد النص التالي : «هم في غاية القوة والكثرة والشجاعة والكرم»⁽³⁾ . . .

وحين يتحدث العزاوي عنهم يقول : «ولا يوازيها عندنا من عشائر طي إلا شمر»⁽⁴⁾ . . .

أما عشائر قبيلة معن (سنبس) فهم سنبس، البوعامر، آل شبل، اليسار، البوجواري، المعين، الغرير، البوعيسى، بني سبعة، الموالي، البوفرج. ورغم أن العزاوي ينسب الخزاعل لهذه القبيلة، إلا أن هناك من يخالف هذا الرأي، وينسبهم لخزاعة، كما سيرد تفصيله. وتتوزع عشائر قبيلة معن الشيعة منهم على محافظات، ديالى، بغداد، بابل، النجف، كربلاء، السماوة، الناصرية، الديوانية. فعن عشيرة الخزاعل يورد العزاوي رأي البسام عنهم ونصه :

«نازلون غرب السماوة، والقول فيهم : أنهم السحاب إذا إنهالت، والأسود إذا صالت، كرامهم شجعان، وشجعانهم أكرم من كان، نفوسهم على الكرم محافظة وعددهم ستة آلاف سقماني، وأربعة آلاف من الفرسان»⁽⁵⁾ .

ويورد العزاوي رأي السعدي عنهم ونصه : «هم في غاية القوة والكثرة والشجاعة والكرم»⁽⁶⁾ .

أما العزاوي فيتحدث هو الآخر عن الخزاعل، فيقول :

«... وجودهم في العراق من القرن الثامن الهجري، بل من أيام الحمدانيين وقبل

(1) م . ن ، ج 3، ن . ص، نقلا عن : الحيدري في عنوان المجد.

(2) م . ن ، ج 3، ن . ص، نقلا عن : نهاية الإرب.

(3) م . ن ، ج 3، ص 242. نقلا عن . السعدي في غاية المراد في الخيل والجياد، ص 36.

(4) م . ن ، ج 3، ص 21، 31.

(5) م . ن ، ج 3، ص 246. نقلا عن : البسام في درره.

(6) م . ن ، ج 3، ص 242. نقلا عن السعدي في غاية المراد في الخيل والجياد ، ص 36.

ذلك، فهي من أقدم العشائر الطائفة المعروفة في العراق، وفي القرون الأخيرة كانت لها الإمارة في حوادث تاريخ العراق»⁽¹⁾ . .

أما عشائر قبيلة معن السنة منهم فتنوزع على محافظات نينوى، كركوك، صلاح الدين، الأنبار. أما الآراء التي تتعارض مع رأي العزاوي في تنسب (عشيرة الخزاعل)؛ فبالوقت الذي يستبعد العزاوي تنسبهم إلى (خزاعة)، وينسبهم إلى طي، كما تقدم ذكره، إلا أن هناك من الآراء، ما يؤكد أن عشيرة الخزاعل، هي نفسها عشيرة خزاعة وكلاهما إسم لعشيرة واحدة، كان الأصل (خزاعة) ولسهولة اللفظ حولت إلى (الخزاعل)، ومثل هذا الأمر جائز في اللغة، وفي إستعمالات العرب، ونحن أقرب للأعتقاد بأن الخزاعل، خزاعة، وهم في تقييم المكانة والحدث، في صميم بقية الإمارات. أما الآراء التي وردت بهذا الصدد، فعن كحالة في معجمه يقول:

«الخزاعل من عشائر الفرات الأوسط ذات شرف ورئاسة من أقدم الأزمنة، إن أصلها من خزاعة، وجدها رزين بن علي الخزاعي، وشقيقه دعبل بن علي الخزاعي الذي ينتهي نسبهما إلى سليمان بن صرد الخزاعي، أحد أشرف الكوفة القديمة، رحلت هذه العشيرة إلى الشام من اليمن، ومنها إلى الحيرة في العراق، ثم الكوفة ثم سكنت الديوانية، والتي سميت نسبة إلى مضيفهم المشرع ليل نهار لأستقبال الضيف (ديوانية حمد آل حمود)»⁽²⁾ . .

وإن عشائرهم كما يشير لذلك أحد الخزاعيين هي آل مغامس، آل شلال، آل بوحمد، آل بو صقر، آل بو محمد، آل بو شبيب، آل محيسن. أما أماكن وجودهم فهي الديوانية، وغماس، والشنافية، والحمزة، والرميثة، والنجف، والحلة، والسماوة، والناصرية، والكوت، وبغداد، والعمارة⁽³⁾ ومظلفهم من الشيعة العرب. أما كحالة فينقل لنا ما أشار إليه فارس عن طبيعة عمل الخزاعل، وإنتشارهم، وفحوى القول أن أفراد هذه العشيرة يشتغلون في الزراعة، وتربية الأبل. وقد إنتشر وتكاثر الخزاعل في الفرات بعد ان عينت الحكومة العثمانية جدهم حسن باشا، واليا على بغداد⁽⁴⁾. وحين يتحدث العامري في موسوعته عن الخزاعل، يقول:

(1) م . ن ، ج3، ص 245.

(2) كحالة، عمر رضا، معجم قبائل العرب، (ط7، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994م)، ج1، ص340.

(3) الخزاعي المقصود، هو : الأستاذ حازم الشعلان/ مقابلة معه في لندن، في 10 آذار عام 1999م.

(4) فارس، عبد الجبار، عامان في الفرات الأوسط، (النجف، 1353هـ)، ص 82.

«إن أصل عشيرة الخزاعل من (خزاعة) القحطانية، وإن نفرعاتها الواسعة تتألف من حمائل عديدة تشكل كل حمولة منها عشيرة بحد ذاتها. إن تاريخ تسمية خزاعة قد تحرف بمرور الزمن لتصبح (الخبزاعل) وذلك من اجل الاختصار وتسهيل التداول. إن تاريخ هذه العشيرة حافل بالكثير من المواقف العربية الأصيلة والأحداث التي لا حصر لها، وكلها تصب في بحر من المكارم، والفروسية، والمروءة العربية. وفي زمن مضى كانت لهذه العشيرة العريقة النفوذ المطلق على معظم الفرات الأوسط، بأريافه، وقراه، وأنهاره، وروافده، ولو رجعنا للتاريخ القديم لأدركنا بأن (مهنا بن علي) كان اول أمير لقبيلة الخزاعل، وفي زمنه وقعت الكثير من الاحداث مع إمارة السعدون في المنتفق، والدولة العثمانية، كما تشير بعض المصادر بأن الخزاعل هم أبناء (سيف بن ذي يزن) ونخوتهم (إخوة فاطمة) نسبة إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ وفي وقتنا الراهن نجد عشيرة الخزاعل تحتفظ بثقلها العشائري، وبسمعتها الرفيعة وتقاليدها العربية وقيمها الأصيلة. أما الرئاسة العمومية فهي للشيخ (أدريس شعلانسلطان الظاهر). وهنا لا بد لنا الأستئناس بقول الشاعر الذي إمتنح شيخها الكبير ظاهر آل محمد آل صقر، حيث يقول:

إذا إفتخرت يوماً خزاعة في الدلى فإن أبا سلمان أوحدها بفخر
وإبنة سلمان الماجد الأكرم الذي مناقبه في الناس مشهورة الذكر⁽¹⁾

ولعلنا هنا نستعيد كيف خاطب الشاعر المعروف السيد محمد الباقر، الخزاعل في عشرينات القرن العشرين؛ مذكراً في إجتماع حاشد رئيس الخزاعل، سليمان العبطان بموقف النبي محمد ﷺ وإطرائه على مواقف (قبيلة خزاعة) ونصرتهم له في صدر الإسلام الأول. وهو دليل تاريخي مضاف من السيد الباقر ليؤكد إنتساب الخزاعل لخزاعة.

ثالثاً: إمارة المنتفق

تنتسب قبائل وعشائر هذه الأمانة إلى عدنان، ويرجح قوة هذه الإمارة وتصاعدها بين عام 900 - 1000 هجري. وإن إسم «المنتفق» هو اللفظ الصحيح، وهو على ما تحققنا إسم جد، ومعناه، الداخل في النفق، لذا تسمت به العشائر المتفرعة عنه. والمنتفق الجد هو ابن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة⁽²⁾. وقد إستطاعت إمارة المنتفق في فاصل من الزمن حكم البصرة، ومن أشهر قبائلها هم (بنو مالك والأجود). أما أهم عشائرها

(1) العامري، ثامر عبد الحسين، موسوعة العشائر العراقية، (ط1، دائرة المعارف، بغداد 1992م)، ص 219.

(2) العزاوي، م. س، ج4، ص 28. نقلًا عن لسان العرب، ج12، ص 13. وإشتقاق الأنساب، ص 122، وتاج العروس، ج7، ص 80.

فهم البوصالح، العليات، آل إبراهيم، آل حسن، الحجام، كوت جار الله، كوت إلبو محينة، الشواليش، الحساوية، آل إسماعيل، الدجين، آل زياد، الجوير، بنو حطيظ، الحماحة، البوشعيرة، الكوام، المطيرات، بني أسند، عبادة، آل علي، العوابد، بنو تميم بنو معروف، بنو خيكان، الصيام، السعد، بنو منصور، الحلاف، أهل الشرش، أهالي الجلعة، أهالي الشهلة، السويب، مزيرعة، بنو سعيد، غزية، خفاجة، الشويفات، البدر، الزهيرية، الحسينات، عبودة، العصوم، آل بدران، الحيار، بنو حجيم، الأعاجيب، الظوالم، الصفران، آل توبة، الأعبس، البركات، الجوابر، بني زريج، آل زياد البوجباش، العوابد، الحميدات، بنو حسن، الجبش، آل عياش، بنو سلامة، بنو عارض الطفيل، الغزالات، عفج، آل غانم، آل شبية، البحاثنة، آل حمزة، المخاضرة، الراجع، البوناشي، جليحة. وتتوزع هذه العشائر على محافظات، البصرة، العمارة، الناصرية، السماوة، الكوت، الديوانية، الحلة، كربلاء، بغداد. وغالبيتهم المطلقة هم (شيعة). فرغم أننا سبق أن ثبتنا رأينا بدءاً بخصوص ضعف دقة بعض معلومات العزاوي، وليس كلها، ومن حيث أن دراستنا ليست دراسة متخصصة بالقبائل وإنساباتها، إنما الهدف من إستعراضها، هو تسليط الأضواء على الوجود الشيعي العربي.

ولكن هذا لا يعني أننا لم نكن متحفظين على هذه المعلومات، وإن لم يكن تحفظنا على الكل، فعلى أقل تقدير على بعضها، وهو ما سبق أن تلافيناه بخصوص تصحيح تنسب قبيلة الخزاعل، من طي إلى (خزاعة) حين توافرت بين أيادينا الأدلة التي تقطع بذلك. وهنا تقتضي منا الأمانة العلمية مرة ثانية تصحيح تنسب قبيلة بني حجيم، فبنو حجيم هم من القبائل العربية الكبيرة والمؤثرة، على الصعيدين العشائري والمناطقي، من جهة وعلى الصعيدين الجهادي والسياسي، من جهة ثانية، وهم بموقعهم الكمي والنوعي والحدوثي، يتمتعون عن جدارة وإستحقاق، مكانة الإمارات المتقدم ذكرها، فهم في ضوء ما سيرد من معلومات توفرت بين أيدينا، لن ينطبق عليهم تنسب العزاوي لهم كأحدى عشائر إمارة المنتفك، وبالخصوص من الناحية المنطقية. فحين نقف على عشائر هذه القبيلة ذات الأسهامات الجهادية والسياسية نجد حقائق رائعة عن مساهمات الكثير من عشائرها في صولة الجهاد ضد المحتلين البريطانيين ضمن مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، خلال هذا القرن، لكن يبقى الدور الريادي الأول والأخير لأحدى عشائرها وهم (عشيرة الظوالم)، التي يقف على رأسها شعلان أبو الجون، وكان لشعلان أبو الجون وعشيرته، أدواراً ومواقفاً بطولية تميزت بالجرأة والإقدام، وإقتحام الصعاب، ومواجهة الأخطار مواجهة ندية، لا تردد فيها ولا إستكانة، بل قوة ومضاء، وتحدي وإباء.

لذا تركت بصماتها على تاريخ العراق الحديث، وتاريخ مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، بشرف المواجهة، وبطولة الموقف، وكانت دروسها عبرة لمن يعتبر، وسوف نمر على تلك المواقف والأدوار البطولية، في المباحث اللاحقة. وحين يحدثنا العامري في موسوعته العشائرية عن بني حجيم يقول:

«هي مجموعة من عشائر عربية كبيرة وواسعة الأنتشار، في معظم الأراضي الكائنة على جانبي الفرات الواقعة بين السماوة والرميثة غيرها من المناطق. ويمكن القول أنها تشكل ثقلا عشائريا لا يمكن حصره بسهولة. أما تاريخها فحافل بأروع المآثر والمواقف الوطنية، والتقاليد العربية السامية. وقديما كان يرأس عشائر بني حجيم سعدون المحسن، الذي دامت رئاسته ما يزيد على الخمسة عشر سنة، وفي عهد رئاسته وقعت الكثير من الأحداث التي لسنا بصدددها. أما آراء المؤرخين في عائلية بني حجيم فتقول بعضها إن التسمية تخص واحدة من العشائر التارعة لهذه المجموعة، وبعضها تقول إنهم من بقايا بنو الحكم، وهم بطن من سعد العشيرة من (مذحج) أو من (بنو حكم) بطن من قضاة القحطانية»⁽¹⁾.

ووقفة على رئاسة هذه القبيلة، فرغم أن بعض الباحثين سمو سعدون المحسن للرئاسة، إلا أن ذلك لا يعني الرئاسة المطلقة، فقد وجد رؤساء آخرون لا يقلون شأنًا عن سعدون، ومن أبرزهم الشيخ شعلان أبو الجون، وعزارة المعجون، وهذا الدليل لا يقصد منه التقليل من شأن القبيلة، إنما يعظمها كونها تضم نخبة من الرجال من هم في منزلة الرئاسة بل في صميمها. وهو ما يقتضى منا التنويه. وللعامري في إستطراده عن هذه القبيلة إذ يقول:

«وفيما مضى من الزمن إنقسمت هذه المجموعة إلى قسمين، أطلق على القسم الأول (بني حجيم الشرقيين) أو (أهل العاقول) ذلك لأن الأراضي التي يسكنونها أرض جرداء لا نبت فيها (غير العاقول)، وأطلق على القسم الثاني (بني حجيم الغربيين) أو (أهل الدهلة)، لخصوبة أرضها، أما من حيث التحالف العشائري، فإن (عشائر بني حجيم) قد دخلوا تحت راية الأجداد الذين يشكلون ثلثا من اثلاث المنتفك. ومما تجدر الإشارة إليه هو ان بني حجيم لعبوا دورا مشهورا في ثورة العشرين الخالدة، وقاتلوا المحتلين الأنكليز قتال الأبطال الميامين، وتلك حقيقة يشهد لها التاريخ وكافة العشائر التي إشتراك في إندلاع تلك الثورة. واما نخوتهم فهي (عطوة) ولا بد من القول إن بعض العشائر التي تنطوي تحت راية بني حجيم، ليس كلها من أصل واحد»⁽²⁾...

(1) العامري، م . س، ص 263.

(2) أيضا.

ويبدو من الإشارة التي وردت في هذا النص، عن ان عشائر بني حجيم دخلوا تحت راية الأجدود، هو ما حدا بالعزاوي بتنسيب بني حجيم إلى إمارة المنتفك، حيث أن أهم عشائر المنتفك، هم: بنو مالك، والأجدود. وهو سبب غير قوي ليتجه العزاوي هذه الوجهة. وفيما يلي عشائر بني حجيم كما اوردها العامري:

«عشيرة آل محسن، عشيرة الصفران، عشيرة آل غانم، عشيرة الجوابر، عشيرة آل توبه، عشيرة آل زياد، عشيرة البركات، عشيرة آل جياش، عشيرة الأعاجيب، عشيرة آل فرطوس، عشيرة البوحسان، عشيرة الظوالم»⁽¹⁾.

ولم يقتصر هذا الفهم على قبائل الخزاعل وبني حجيم، بل يشمل هذا الفهم قبيلة بني تميم، فهي كسابقتها، من ناحية الكم والنوع والحدث، لذا فهي الأخرى تستحق الريادة كأخواتها من الإمارات. وحين يتحدث البسام في درره، عن بني تميم يقول عنهم إنهم: «ذوو غبطة ومال، وخيل ورجال ذات نعم وأرزاق، وكرم وأخلاق ومروهم في الحرب أدهى من ثمود، وأكرم من حاتم طي، وأحلم قبائل الحي، سقمانهم 2000 وفرسانهم سبعمائة»⁽²⁾.

وقال فيهم الفرزدق:

فإن تميما قبل أن يلد الحصى أقام زمانا وهو في الناس واحد
وأهم عشائره؛ المصالحة، الطجاج، الخضيرات، غيايشة، النصيف، العكابات،
الرباكات، السميلات، الشريفات، المراعيص، الطرشان، العطاطفة، البوحشمة،
الشديدة، العوينات، العتابة، البوناصر، المراعبة البوفرج، العبيدات. ويتشرون في
محافظات، بغداد، ديالى، الكوت، الناصرية، البصرة. وغالبيتهم المطلقة من (الشيعة).
وعلى حد علمنا كانت رئاسة هذه القبيلة محصورة في آل السلطان، إلا أنها تحولت إلى آل
السهيل وكان من أشهر رؤسائها خلال هذا القرن هو حسن السهيل، وحين توفي كان مشهد
جنازته غير عادي حيث شاركت فيها جماهير غفيرة تتقدمها رؤساء العشائر وساداتها، كما
شهدها مجموعة من نخبة المجتمع البغدادي. وقد تقلد السهيل عضوية مجلس الأعيان في
العهد الملكي، وكان على علاقة وثيقة بنوري السعيد (رئيس الوزراء الأسبق).

رابعا: إمارة ربيعة

تتنسب عشائر هذه الإمارة إلى عدنان، وكان أميرهم في الزمن المتأخر هو، محمد بن

(1) أيضا.

(2) العزاوي، م. س، ج 4، ص 17. نقلا عن: البسام في درر المفاجر.

حبيب بن مشكور بن كركوش بن علي بك. وينقل لنا العزاوي بعض آراء المؤرخين عن هذه الإمارة. ويورد العزاوي عن الحيدري ما نصه:

«هم من ولد ربيعة بطن من بكر بن وائل من العدنانية، وهم بنو ربيعة بن عجل بن نجم ابن صعب بن علي بن بكر بن وائل»⁽¹⁾.

كما يورد العزاوي عن البسام ما نصه:

«ربيعة كرام الطبيعة، ذو القباب الرفيعة، والأكف المنيعة، ومنازلهم من واسط إلى بغداد»⁽²⁾.

أما العزاوي نفسه فيقول عنهم:

«وتعد من أفضل الإمارات العربية في مقدرتها ومنعتها، وكفاءة أمرائها، كانت ولا تزال في ركون السلم والطمأنينة، لا لجبن فيها، أو خور في عزائمها، بل لأنها لا تميل إلى الشر، وتتوقى الفتنة بقدر الإمكان، فلا توازيها عشائر كثيرة»⁽³⁾.

وأهم عشائر هذه الإمارة هم؛ المياح، السراي (السراج)، الكريش (قريش)، المكاصيص (المقاصيص)، بنو عمير، البودراج، جناة (كنانة)، الدفاعة، الأنباريون، بجيلة. ويتشرون في محافظات الكوت، السماوة، الناصرية، العمارة، البصرة، ديالى، بغداد، الحلة، كربلاء، النجف، الديوانية. ومطلقهم (شيعة). إلا أن هناك أقلية سنية في الموصل وبغداد. وتشطر عن هذه الإمارة إمارة كعب التي عشائر عديدة، كانت مستقرة في أماكن وجودها ضمن التراب العراقي، وكانت محصورة في المنطقة المشهورة بعربستان وهي الأرض العراقية العربية التي تسلطت عليها إيران وضمت لها كما تقدم ذكره. إلا أنه ما زال هناك أجزاء من عشائرها مستقرة في العراق. ورغم توزع عشائرها بين إيران والعراق، إلا أننا رأينا ضرورة إستعراضها كي نسلط الضوء على هذه الإمارة العربية. وينقل لنا العزاوي رأي البسام عنهم وهذا نصه:

«وهم شجرة الكرم، وأساة العدم، وحماة الحرم، يولون جميلهم، ولا يهابون قليلهم، خصالهم أرف الخصال، وأفعالهم أكرم الفعال، ورثوا المكارم والمفاخر كابر عن كابر وما ونوا ولا أبو بصفقة الخاسر، هم سراة الفضل ونجمله، نزلوا بين الحويزة ودجلة

(1) م . ن ، ج 4 ، ص 164 . نقلا عن الحيدري في عنوان المجد ص 153 .

(2) م . ن ، ج 4 ، ص . نقلا عن البسام في درر المفاخر .

(3) م . ن ، ج 4 ، ص 165 .

سقمانهم ألفان وفرسانهم ألف ومائتان⁽¹⁾ . .

أما عشائرها فهم؛ المحيسن، آل حسن، آل عامر. وهناك عشائر متصلة بكعب منها، بنو طرف، الباوية، المطور، الكرطانة، بنو مالك، بنو صالح، البومحمد، النشوة، المياح، الزيد، الخميس، خزرج، آل ذجير، بنو سالة، الموالي، المشعشعون، جنانة، الثوامر، العابد، بنو علي، خفاجة، الشرفاء، البوبصيري، الحوافظ، البوجنجان، آل كثير. وينتشرون في، عربستان التي تضم الحويزة وعبادان، وفي محافظات البصرة، والعمارة، والكوت، وبغداد. وأماكن وجودهم تنقسم بين إيران والعراق. وغالبية هذه العشائر سواء في إيران أو العراق هم (شيعة). وهناك قبائل وعشائر حميرية، نحاول تسليط الضوء عليها بصورة مستقلة، كي يكتمل الحديث عن هذا الجانب المهم، بما يفني بالغرض:

بنو زيد (حميرية): يقول عنهم العزاوي: «ففي الغراف وحده يبلغون نحو أربعة آلاف عائلة»⁽²⁾. . ومن عشائرتهم؛ الرواجح، آل شمخي، الفنجان، آل جبارة، العظيميون، آل جدية، العساكرة. وينتشرون في محافظات، بغداد، بابل، ذي قار، ديالى، السماوة. إلا أن مركزهم هو في الغراف. وغالبيتهم المطلقة من الشيعة.

1 - الأزيج (حميرية): ويقول عنهم العزاوي: «وهم مشهورون في الشعر العامي، وفي الهوسات لا ينازعهم أحد، وتذيع الهوسة عن الواحد منهم وتنتشر في تلك الأنحاء، كأنها قول مأثور، أو كلمة نافذة، وعشيرتهم كبيرة جدا»⁽³⁾. . وفروعها هي، البوناصر، البوحميرة، البوحوالة، آل سهلان، البويوسف، البوسعد، البوعطوان، آل ربيع، الحريشيون، السواعد. وبصورة مطلقة يشكل (الشيعة) الأغلبية. وغالبيتهم في محافظة ذي قار، والعمارة.

2 - أما سادات العشائر العربية من الشيعة: الموالي (السادات)، آل ياسر، آل أبي طبيخ، آل السيد سلمان، آل زوين، آل بني حسن، آل مكوטר، آل البوزيد، آل العذاريون، المشعشعون وينتشرون في عربستان، والبصرة وميسان والكوت وذي قار والسماوة والقادسية والنجف وكربلاء وبابل وبغداد. وكان لبعض عشائر السادات المشار إليها، مواقف رائدة في دعم الحركة الشيعية الجهادية والسياسية، وقد قدموا الكثير في نصرة المجاهدين ضد الأحتلال البريطاني بمجرد أن وطئت أقدام المحتلين الجدد أرض العراق. وحين نقف على

(1) م . ن . ج 4، ص 195. نقلا عن: البسام في درر المفآخر.

(2) م . ن . ج 3، ص 72.

(3) م . ن . ج 4، ص 5

مواقف بعض سادات هذه العشائر تجاه ثورة العشرين، وبالخصوص من الناحيتين التموينية والتعبوية، يشخص لنا منها آل ياسر، وآل أبو طيبيخ، وآل زوين، وكان من أهم رموزهم على التوالي السادة: نور وعلوان الياسري، ومحسن أبو طيبيخ، وهادي زوين، وكانت لهم أدوار مؤثرة، فهم لم يبخلوا بغال أو نفيس إلا وقدموه عن قناعة وإيمان، وضمير ووجدان، ورضا نفس، وقبول تضحية، وهم عدا بذلهم وعطائهم، لعبوا أدوارا تعبوية واضحة في مسرى أحداث مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، لكن تبقى مساهماتهم المادية شاخصا رائدا، ومساعداً مؤثراً، وعاملاً مهماً، في إطالة أمد المواجهة مع المحتلين البريطانيين.

وهناك وقفة لا بد منها على ما أورده لونكريج Longrigg عن (التأثير المكاني) لتشيع الآخرين، يوعز إلى أن عملية تشيع بعض عشائر الفرات الأوسط كأنما حصل في فترة متأخرة. اذ يقول:

«وكان النموذج البارز لتلك العشائر يتمثل في عشائر بني حجيم وشبل وفتلة والخزاعل وبني حسن إضافة إلى عشائر عفك والدغارة وقد تحولت هذه العشائر مؤخراً إلى العقيدة الشيعية»⁽¹⁾.

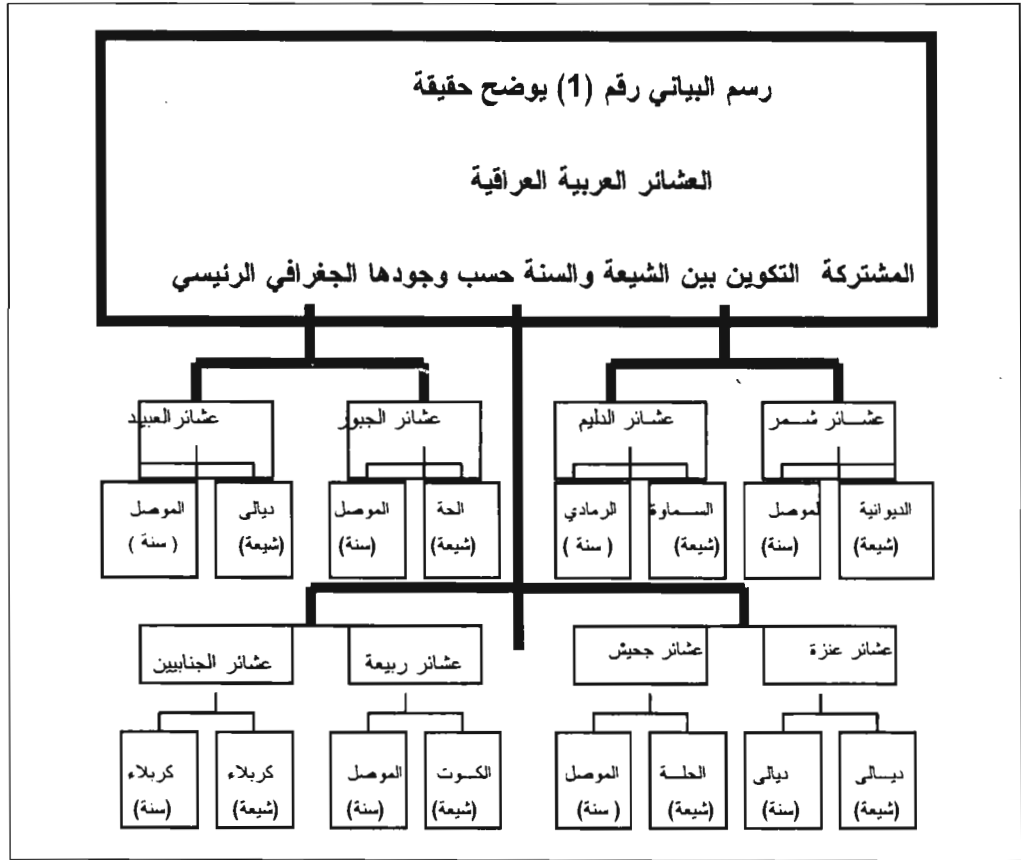
وهذا القول ليس دقيقاً وفق ما تؤكد الوقائع إذ ليس من الصواب أن نتحدث عن حالة تشيع العشائر المشار إليها، بالتأثير المكاني، وكأنها حالة مستحدثة. في حين سبق وأثبتنا في الفصل الأول من الباب الثاني أن التشيع عربي الهوية والجدور، وإن هناك جمهرة واسعة من العشائر العربية من بني أسد، وبني تميم، وخزاعة، ومذحج، وكندة، والأوس، والخزرج والأزد، وكعب وطى، وشيبان، (وهمدان)⁽²⁾ وبنو كلب، وحمير، والعبدي، والأصابع، وخولان، وبني سعد، وخثعم، وبنونهل، وخدام، وكنانة، وبجيلة وغيرها من القبائل والعشائر والفروع والبيوتات العربية، وكلها تنتمي لعدن وقحطان، قد تشيعت.

وهكذا يتضح لنا أن جمهرة واسعة من المنتمين للعشائر العربية المتقدم ذكرها، كانوا من شيعة الإمام علي، ومنهم من قاتل مع علي ومنهم من قاتل مع الحسين، ومنهم من قاتل بجانب الإثنين، لنصرة الإسلام في قتالهما «القاسطين والناكثين والمارقين» وإن الكوفة التي أعتبرت جمجمة العرب على لسان رسول الله وعمر وعلي، كانت الحصن العربي للتشيع، على عهد علي والأئمة الأطهار وما زالت حتى يومنا هذا.

(1) لونكريج، المصدر السابق، ج1، ص 67.

(2) قال فيهم الإمام علي عليه السلام، لتفانيهم في نصرته وقتالهم الشديد في صفوفه، للناكثين في معركة الجمل: ولو كنت (رضوانا) على باب جنة؛ لقلت (لهمدان) ادخلي بسلام.

ويظهر من النصوص التي إستعرضناها أن وجود العرب، إرتبط بأصل العراق وتكونه عبر التاريخ، إستنادا إلى هجرة العرب ونزوحهم من الجزيرة العربية وهناك حقيقة ديموغرافية هي أن بعض العشائر الكبيرة تتكون من الشيعة والسنة على حد سواء؛ إلا أن أماكن وجودها مختلف.



ثانياً: الحضر العرب سكان المدن، النموذج / بغداد (العاصمة)

حين نتحدث عن الحضريين، فإن غالبية سكان المدن والقصبات في المنطقة الوسطى والجنوبية هم من (الشيعة العرب). وسنأخذ بغداد العاصمة نموذجاً للمقارنة. ففي بغداد هناك إكتظاظ سكاني من الشيعة العرب، على مستوى محلات (عكود) بغداد القديمة وقصباتها، أو بغداد الحديثة وأحيائها. فبغداد القديمة في بدايات القرن العشرين تتكون من صوبين الكرخ والرصافة ويقع كل صوب منهما على أحد جانبي نهر دجلة الذي يشطر بغداد إلى قسمين، ويضم كل جانب عدداً من العكود تمتد على ضفتي دجلة لعمق لا يتجاوز كليو

متر واحد، ولطول لا يتجاوز خمسة كيلو مترات. محصوراً بين بابين هما؛ الباب الشرقي وباب المعظم، وتمثل بعض تلك العكود إمتداد لبغداد العباسية. لذا نحاول في هذا المقطع تسليط الأضواء على هذه العكود والأحياء والقصبات، ذات الوجود الشيعي العربي.

أولاً: صوب الكرخ⁽¹⁾

ومن أهم محلات هذا الصوب (الجرمة) ذات الأغلبية الشيعية العربية هي المطيرية، والشوكية، والكريمات، حسون أغا، باب السيف، والشواكة، ورأس الجسر، والسادة، وعلاوي الحلة، وسوق الدجاج، والبيكات، والعجمي، والشيخ بشار، والشيخ علي، والجعيفر، وجزء من محلات الفحامة والفلاحات والزريق والرحمانية. أما العوائل الشيعية العربية المعروفة التي سكنت هذه المحلات، فنشير لبعضها، وبعض رجالاتها، ادناه:

- أ - عائلة الظاهر ومن رجالاتها الشيخ أحمد وعبد الرزاق الظاهر وعبد الهادي الظاهر.
- ب - عائلة الرحيم ومن رجالاتها عباس، وعبد الهادي، ومهدي الرحيم.
- ت - عائلة اليوسف ومن رجالاتها حسن، وعبد علي، وكمال، وصاحب اليوسف.
- ث - عائلة المولى ومن رجالاتها سلمان، وعلاوي، وأحمد، ويوسف المولى⁽²⁾.
- ج - عائلة المختار ومن رجالاتها فيصل، وعبد المنعم، وجليل المختار.
- ح - عائلة الملا شكر ومن رجالاتها الشيخ شكر السلطان، وهو من المتفقهين بالدين، وقد تتلمذ على يديه مجموعة كبيرة من وجهاء بغداد. وكان مفتي الشيعة الجعفرية (الرسمي) في عشرينات القرن العشرين.
- خ - عائلة الجميلي ومن رجالاتها محمد، ونايف، وعبد الغني، وعبد الأمير، وتوفيق الجميلي.
- د - عائلة الجوهر ومن رجالاتها محمد حسن، وأنور، وحسين، وكاظم، وناجي الجوهر.

(1) إن المعلومات التالية عن عكود الكرخ وأحيائها وعوائلها، إنما هي معلومات خاصة بكاتب هذه الدراسة إستقاها من ذاكرة معلوماته، كونه أحد البغداديين من أبناء الكرخ القدماء، حيث أن عائلته سكنت هذا الصوب منذ مايقرب السبع قرون، كما تناقل ذلك الآباء عن الأجداد.

(2) منهم الحاج محمد جعفر أبو التمن، والحاج عبد الباقي عليان، والحاج عبد الرزاق الغبان، والحاج جواد الشكرجي، والسيد صادق آل عيسى، والحاج سعيد الشيخ عباس، والحاج إسماعيل عليان، والحاج داود سلمان الحيدر، والحاج طالب محمد علي (والد الأستاذ ناجي طالب) رئيس وزراء العراق الأسبق في العهد الجمهوري.

- ذ - عائلة الشوك ومن رجالها عبد الحسين، وأحمد، ومحمد مجيد، وماجد الشوك.
 ر - عائلة هويدي ومن رجالها حسون أغا، وهويدي أغا.
 ز - عائلة المسير ومن رجالها علوان المسير، وحسن المسير⁽¹⁾.
 س - عائلة البلداوي ومن رجالها عبد اللطيف، وعباس، وعبد الأمير البلداوي.
 ش - عائلة عليان ومن رجالها عبد الله، وعلي، ومحمد، وأحمد، وعباس، وعبد الباقي، وإسماعيل، وعبد الحسين، وكاظم، ومجيد عليان.

وهناك عوائل كثيرة أخرى منتشرة هنا وهناك نشير لأسمائها فقط للاختصار ومنها؛ عائلة السيد جعفر، عائلة حمودي الشهاب الجورانية، عائلة المؤمن، عائلة الطائي، عائلة الزبيدي، عائلة إبراهيم البلداوي، عائلة الحبيب الخزرجي⁽²⁾؛ عائلة الحسون، عائلة الحمامي، عائلة الجليل، عائلة السراج، عائلة حساني العبادي، عائلة الجيلاوي، عائلة النجار، عائلة عبد الباقي، عائلة الفكيكي، عائلة العبيدي، عائلة الصدر، عائلة المختار، عائلة الدجيلي، عائلة الصفار، عائلة الدروش الجوراني، عائلة أبو زلام الجبوري، عائلة الغرب، عائلة الحميري، عائلة الجركجي، عائلة الزبيدي، عائلة الحداد، عائلة الأعضب، عائلة الكاطع الخزرجي، عائلة الطوفي، عائلة الحجية العبادي، عائلة لجة. هذه شريحة من العوائل الشيعية المعروفة التي سكنت هذا الصوب منذ بدايات هذا القرن، ومن هذه العوائل من مضى على سكنه في هذه المناطق عدة قرون من الزمن، ربما تتواصل جذور وجودهم في هذه الأماكن مع بغداد العباسية. وهناك عشرات العوائل الشيعية العربية من عشيرة زبيد، سكنت محلة الفحامة في الكرخ، في القسم القريب من شارع الشيخ معروف، وغالبية هذه العوائل تهتم في تجارة الجاموس وتوريد ألبانها.

وحين توسعت العوائل وكثرت عددها، وعدد أفرادها، وتحسنت أوضاعها المعاشية بصورة ملموسة، كانت الحاجة كبيرة في التوسع في الانتقال نهاية الأربعينات وبعدها لأحياء جديدة في جانب الكرخ، سواء تلك التي أقامتها الحكومة للعسكريين والمدنيين، أو تلك التي أقامها القطاع الخاص. ومن تلك الأحياء حي العطيفية الأولى، حي العطيفية الثانية، حي الحارثية، حي

(1) علما بأن العوائل الثلاث؛ البلداوي وعليان والمولى، ينتمون إلى عشيرة (الموالي السادات العربية). ومنهم الشاعر المعروف عمر أبو ريشة، كما أشار هو إلى ذلك في مقابلة معه أجرتها صحيفة النهار البيروتية.

(2) وترتبط عوائل حمودي الشهاب الجورانية، والمؤمن، والطائي، والزبيدي، والبلداوي، والحبيب الخزرجي، بصلة رحم ومصاهرات مع عائلة آل عليان.

المنصور، حي دراغ، حي كراة مريم، حي المأمون، حي القادسية، حي البياع، حي الزوراء، حي اليرموك، حي الشرطة، حي الحكام والقضاة، حي المحامين، حي الأطباء، حي الجامعة، حي الخضراء، حي السيدية، حي الإقتصاديين، حي الورود، حي 14 رمضان، حي الشباب، حي المعلمين، حي الصحفيين، حي الإعلاميين، حي الوشاش، حي الطوبجي، حي الهادي (الحرية) لاحقاً، حي العامل، حي الشعلة. وقد إتصلت حدود هذه الأحياء السكنية مع حدود قصبات النواحي والأفضية العائدة لمدينة بغداد مثل، أبوغريب وعويريج والكاظمية والتاجي. وتفاوتت نسبة الإكتظاظ السكاني الشيعي في هذه الأحياء، بين العالية، والمتوسطة.

ثانياً: صوب الرصافة⁽¹⁾

ومن أهم عكود (أزقة) هذا الصوب ذات الأغلبية الشيعية هي محلات صبايغ الآل، وقشل، والعوينة، وسويدان، ورأس القرية، والهيثاويين، وبني سعيد، والكولات، والشورجة، والكسرة. ونحاول الإشارة لشريحة من العوائل التي سكنت أزقة هذا الصوب وهم: أ - عائلة كبة: (عشيرة رببعة)، ومن رجالاتها محمد صالح، ومحمد حسن، وعبد الغني، ومحمد مهدي، وصالح كبة.

ب - عائلة أبو التمن: (عشيرة رببعة)، ومن رجالاتها داود، وكاظم، ومحمد جعفر أبو التمن. عائلة الجرجفجي: ومن رجالاتها: أمين الجرجفجي.

ت - عائلة علاوي: (عشيرة رببعة)، ومن رجالاتها: عباس، وحسين، وسلمان، وعبد الأمير، وعبد المجيد، وتوفيق علاوي.

ث - عائلة البصام: ومن رجالاتها صادق البصام.

ج - عائلة التكمة جي: ومن رجالاتها شكر، وحافظ، وحمد، وحسين التكمة جي.

ح - عائلة البياع: ومن رجالاتها، علي البياع، صاحب البياع.

وبالنظر لكثرة العوائل المرموقة، التي برزت على مختلف المستويات الإجتماعية والسياسية والتجارية والوظيفية، التي سكنت أزقة الرصافة المشار إليها، لذا نشير لأسمائها فقط. ومن تلك العوائل عائلة شكارا، وعائلة الديك، وعائلة الكندي، وعائلة الطحان، وعائلة الفتال، وعائلة الشالجي، وعائلة الضايغ، وعائلة بجة، وعائلة عكرة، وعائلة

(1) إن المعلومات بخصوص عكود الرصافة وأحيائها وعوائلها، إنما هي معلومات مأخوذة من أبناء المحلات القديمة، من البغداديين القدماء، الذين سكنوا هذه المناطق، ومنهم: الأستاذ صالح كبة، والدكتور حمدي التكمة جي، والحاج رضا علوان. إضافة لمعلومات كاتب هذه السطور الخاصة.

حمرة، وعائلة حمندي، وعائلة مبارك، وعائلة الأعرجي، وعائلة الخطيب الموسوي، وعائلة تويج، وعائلة القريشي، وعائلة البغدادي، وعائلة تاج الدين، وعائلة القاموسي. وعائلة جواد وعائلة الخاصكي، وعائلة الحلاوي، وعائلة الكط، وعائلة الزنبوري، وعائلة الرجب، وعائلة قنبرأغا، وعائلة الخياط، وعائلة الشيخ عباس، وعائلة مكية، وعائلة الحداد، وعائلة القماجي، وعائلة رحمة الله، وعائلة الشعرباف، وعائلة آل عيسى، وعائلة الحسيني، وعائلة الفاطمي، وعائلة الحيدري، وعائلة الغبان. وكشأن العوائل الشيعية في صوب الكرخ، فإن شريحة من العوائل الشيعية العربية المشار إليها، والتي سكنت صوب الرصافة، منذ بدايات هذا القرن وقبله، قد توزعت نهايات الأربعينات وما بعدها، على الأحياء الحديثة التي قامت في تلك الفترة في صوب الرصافة. ومن تلك الأحياء البتاويين، والعلوية، والقصر الأبيض، والمسبح، إلا أن حي الكرادة الشرقية قد ضم المساحة الأكبر منهم. وهناك من هذه العوائل من إختار السكن في أحياء أخرى منها في أحياء الصليخ، والأعظمية، في صوب الرصافة، ومنها في أحياء: كرادة مريم، والحارثية، والمنصور، في صوب الكرخ. ويقتضي سياق الموضوع الذي نحن بصدده تسليط الأضواء على أماكن الأكتظاظ السكاني الشيعي في بغداد، ويمكن أن نحدد ذلك من خلال نوعين من الأماكن:

1 - الأحياء الشيعية داخل حدود بلدية بغداد.

وهذه الأحياء تتوزع على صوبي الكرخ والرصافة. فأحياء صوب الكرخ، هي:

أ - البياع والعامل: وهما متجاوران يقعان غربي بغداد.

ب - الوشاش والشالجية: وهما متقاربان يقعان شمال بغداد.

ت - الطويجي والحرية: وهما متقاربان يقعان شمال بغداد.

ث - الشعلة: وتقع شمال بغداد.

اما أحياء صوب الرصافة، هي:

أ - بغداد الجديدة والمشتل: وهما متقاربان يقعان جنوب شرق بغداد.

ب - الثورة: وموقعها في شرقي بغداد.

ت - القاهرة والصليخ: وموقعهما شمال بغداد. وللعلم فإن حي الثورة في صوب الرصافة، وحي الشعلة في صوب الكرخ، تسكنهما غالبية مطلقة من الشيعة العرب، ينتمون إلى العشائر العربية الجنوبية، وقد بدأ نزوحهم إلى بغداد في نهايات أربعينات هذا القرن وما بعدها، نتيجة للانفجار السكاني، وللظروف المعاشية القاسية في أماكنهم القديمة. وإن سكان هذين الحيين لوحدهما، يكونون اليوم ما يقارب نصف

سكان مدينة بغداد العاصمة، التي تقدر اليوم بأكثر من أربعة ملايين نسمة .

2 - القصبات التابعة لإدارة محافظة بغداد

هناك مجموعة من القصبات تعود إدارتها إلى محافظة بغداد، حتى ثمانينات هذا القرن، وإن غالبية ساكنيها المطلقة من الشيعة العرب، ومن هذه القصبات مدن مقدسة لدى الشيعة الإمامية الأثنا عشرية، لأنها تضم أضرحة أئمتهم من آل بيت رسول الله ﷺ . ويمكن تحديد القصبات موضوعة البحث ذات الإكتضاض السكاني الشيعي العربي بما يلي:

أ - قصبه الكاظمية: وهي مدينة عريقة في القدم، وتقع شمال بغداد، وتحيطها بساتين النخيل والحمضيات في أكثر من جهة، ويطوقها نهر دجلة من جنوبها الشرقي وحتى شمالها، وفيها مرقد الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد ﷺ ويسكن هذه القصبه ثلاث أنواع من الشرائح الشعبية، والأوساط، والوجهاء. والمتيسر بين يدينا للحديث عنهم هم الوجهاء، الذين ينقسمون إلى شريحتين. منهم على سبيل المثال الشريحة الأولى البيوتات الدينية والعلمائية؛ عائلة السادة الصدر ومن رجالاتها، حسن الصدر، وإسماعيل، والشهيد محمد باقر، والشهيد محمد صادق الصدر. عائلة السادة الحيدري ومن رجالاتها، مهدي الحيدري، وعلي نقي الحيدري. عائلة شيوخ آل ياسين ومن رجالاتها، عبد الحسين آل ياسين. عائلة شيوخ الخالصي ومن رجالاتها، مهدي الخالصي الكبير الأسدي، ومحمد، ومهدي (الحفيد)، وعبد الرسول الخالصي. أما شريحة الوجهاء منهم عائلة الجلبي ومن رجالاتها، عبد الحسين الجلبي، عبد الهادي الجلبي، رشدي الجلبي. عائلة الجمالي: ومن رجالاتها، محمد فاضل، وعبد الرسول الجمالي. عائلة الأزري ومن رجالاتها، عبد الحسين الأزري، وعبد الأمير الأزري، وعبد الكريم الأزري. عائلة عطيفة ومن رجالاتها، حسين عطيفة. عائلة البصام (السادة) ومن رجالاتها، مهدي، وهادي، وصالح البصام. عائلة المدامغة ومن رجالاتها، خليل، ومحمد علي المدامغة.

ب - قصبه كراة مريم: وتقع في وسط بغداد، وهي قصبه كان يكثر فيها بساتين الحمضيات والنخيل والتوت. ومن العوائل المعروفة التي سكنت هذه القصبه هي عائلة جبر: ومن رجالاتها، محمد صالح، وسعد جبر. عائلة العطية: ومن رجالاتها، رايح (عشيرة الحميدات)، وعبد الكاظم، ووداي العطية. عائلة جعفر (السادة) ومن رجالاتها، هادي، وضياء، وجواد جعفر. وعائلة البصام (من غير السادة) ومن رجالاتها، صادق البصام. وهناك الكثير من العوائل في هذا السياق نشير لأسمائها فقط عائلة العبيدي، عائلة الدامرجي، عائلة الجوراني، عائلة الشوك، عائلة الطحان، عائلة عليان، عائلة

المولى، عائلة ملا شكر، عائلة العلي، عائلة الأوسي، عائلة الصفار، عائلة الشكرجي، عائلة الحسن، عائلة الجسار، عائلة الجايحي، عائلة الحمود، عائلة الشماع، عائلة الحمداني، عائلة الياسين، عائلة الزبيدي، عائلة عليوي، عائلة العزيز، عائلة صدقي، عائلة الجسار، وعشرات العوائل الأخرى. إلا أن النظام البعثي أخذ في إستملاك هذه القصة بالتدريج، وحولها إلى شبه ثكنة عسكرية، إمتدت من الصالحية وحتى مدخل شارع الكندي.

ت - قصبة الكرادة الشرقية: وتقع في جنوب بغداد وتمتد من المفرق في ساحة علي بابا قرب نصب الجندي المجهول القديم، حيث ينقسم إلى قسمين داخل وخارج، وكلا القسمين داخل وخارج من هذه القصة يمتدان حتى الزوية، ويطوقها نهر دجلة من المفرق بإمتداد شارع أبو نؤاس، وحتى منطقة المسبح. وقد سكن هذه القصة بيوتات شيعية عربية مثل عائلة آل عيسى (السادة) ومن رجالاتها، صادق، وياقر، وهادي، وحسن آل السيد عيسى، وقد تفرع عنها عوائل أبو الحب، ومن رجالاتها، كاظم أبو الحب. والفاطمي ومن رجالاتها، محمد علي، ومهدي، وضياء الفاطمي. والحسني ومن رجالاتها، مكّي، وفخري وغازي الحسني. عائلة الغبان ومن رجالاتها، عبد الرزاق، وحسن، ومحمد حسين، وذبيان، وفرحان، وياقر الغبان. عائلة السعيدني ومن رجالاتها، حسن (عشيرة السعيدات)، وعلي، وصاحي، ومحمد يعقوب السعيدني⁽¹⁾. عائلة التميمي: ومن رجالاتها، خزعل، وعباس، وغني، وصادق التميمي. عائلة الشيببي ومن رجالاتها، محمد رضا، ومحمد باقر، ومحمد جعفر، وصبيح، وسان الشيببي. عائلة زلزلة (السادة) ومن رجالاتها، عبد، وعبد الأمير، وعبد الرزاق، ومحمد علي، وشاكر، وعبد الحسن زلزلة. عائلة ناجي ومن رجالاتها، يوسف الحاج ناجي، عائلة مباركة ومن رجالاتها، عبد الباري مباركة. عائلة عليان ومن رجالاتها، مجيد عليان، وكاتب هذه السطور. عائلة الجميلي ومن رجالاتها، محمد، وغني، ونايف، وعبد الأمير وتوفيق الجميلي. عائلة البحراني ومن رجالاتها، خليل، ورؤوف، ومحمد، وإسماعيل البحراني. عائلة الأسود ومن رجالاتها داود الأسود. وهناك عوائل أخرى نشير لها بالأسم للعلم فقط وهي عائلة حمرة العزاوي، عائلة الطيار، عائلة البير، عائلة هلبون، عائلة المختار، عائلة الضاييف، عائلة الخاصكي، عائلة الدباج، عائلة الوحيد، عائلة محسن، عائلة الجنابي، عائلة الحلبي،

(i) وتلتقي عوائل آل عيسى وآل الغبان وآل السعيدني بمصاهرات مع عائلة آل عليان.

عائلة أبوالشحاط، عائلة علوان، عائلة الواسطي، عائلة الموسوي، وهناك عوائل الربيعيون وهم كثر يتجاوزون العشرات، ومن بينهم عائلة عبد الكريم الربيعي، وعائلة الدكتور حسين الربيعي، وعائلة عبد الأمير الربيعي.

ث - **قصة كراة كريعات**: وتقع في شمال بغداد في صوب الرصافة، وغالبية ساكنيها ينتسبون لعشيرة الجبور الشيعة العرب، وهي منطقة غنية ببساتين الحمضيات والنخيل ومن العوائل المعروفة التي سكنت هذا الحي عائلة البونايلة⁽¹⁾.

ج - **قصة عكر كوف وقصة التاجي**: وتقعان في غرب وشمال بغداد، وتنتشر في هاتين القصبتين، عشائر بنو تميم، ويسكن فيها كذلك رؤسائها، من آل السهيل ويقف على رأسهم حسن السهيل. وآل السلطان، ويقف على رأسهم حاتم السلطان.

ح - **قصة الدجيل⁽²⁾ وقصة بلد**: وهما مدينتان عريقتان في القدم، وتقعان شمال بغداد بعد قصة التاجي بعدة كيلومترات، لذلك نلاحظ وجود الكثير من التميميين يمتدون على شواطئ نهر دجلة حتى قصة بلد التي تضم مرقد الإمام السيد محمد عليه السلام، ومن أهم العشائر العربية التي سكنت هذه القصبات عشائر الخزرج، و تميم، والعبيد، والمولى، ينتشرون في بقية العكود والأحياء القديمة والحديثة، وباقي القصبات الأخرى، في صوبي الكرخ والرصافة، ضمن بغداد العاصمة، ويشكلون فيها وجودا تختلف كثافته من مكان لآخر، ويتراوح بين 25٪ - 50٪. وحتى تستكمل الصورة فإن محافظات صلاح الدين والأنبار ونيوى فعالية الحضر المطلقة فيها من (السنة العرب). أما الحضريون في محافظة ديالى فينقسمون بين الشيعة والسنة العرب بالدرجة الأولى. وغالبية الشيعة العرب في هذه المحافظة، هم من عشيرتي: العبید، والعزة.

أما العراقيون من (غير العرب) فإن المنطقة الشمالية تزخر بهم، والأغلبية المطلقة سواء منهم العشائر أو الحضر فهم من (الکرد السنة). إلا أن التركمان الذين يسكنون الشمال أيضا، فينقسمون إلى قسمين شيعة وسنة، وهم متقاربون بالعدد. وهناك شريحتان. من الشيعة من غير العرب منهم شريحة الكرد الفيلية، للذين سكنوا بغداد، وبالتحديد في مدينة جميلة والعطفية الثانية وباب الشيخ، وقمير علي، وفي قصبات بدره وجصان وعلي الغربي.

(1) وترتبط عائلة البونايلة بمصاهرة مع عائلة آل عليان.

(2) وقد تعرضت قصة الدجيل، إلى عملية حرق وتدمير كاملين، بطائرات الهليكوبتر من قبل نظام بغداد، بسبب عملية محاولة إغتيال صدام حسين، أثناء زيارته لها في ثمانينات هذا القرن، وقد راح جراء هذا العدوان السافر مئات الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال.

وشريحة من أصول إيرانية، تمركز وجودهم في بغداد وكربلاء والنجف، وغالبية الشريحتان هم عراقيون إما بالانتساب وإما بالولادة، وقد إنغمسوا ضمن الواقع العراقي، وكانت لهم مساهمة ملحوظة في بناء العراق الحديث، عدا أنهم إنخرطوا في سلك الجيش كضباط إعتيادين، وكضباط إحتياط، وأن الآلاف منهم خدموا في سلك الجيش كجنود مكلفين إسوة بإخوتهم العراقيين، كما برز منهم شخصيات مرموقة في عالم السياسة، وتقلد البعض منهم مناصب غير عادية في الدولة، وكان لهم دورهم المهم في الحركة السياسية والجهادية، منذ بدايات هذا القرن، وكانوا في صميم الأحداث العراقية. وحين يتحدث د. بابا خان عن نفوس الكرد الفيلية، يستشهد بمعلومة للباحث الفرنسي فانلي VANLY، تقدر عدد نفوسهم:

«300 ألف كردي فيلي يعيشون في بغداد، و100 ألف في سائر المناطق العراقية، وبذلك فإن المجموع العام هو 400 ألفاً»⁽¹⁾..

ويعتقد بابا خان، أن هذه الأرقام قد تكون صحيحة، لأنها تزيد خمسة أضعاف عن الأحصاء الرسمي الذي قامت به الحكومة⁽²⁾. أما عدد نفوس الشريحة الثانية العراقيين من إيرانيين الأصول، فهم بحدود 150-200 ألف نسمة. وقد تم تفسير ما لا يقل عن 90٪ من الشريحتين، وخاصة من كبار السن والنساء والأطفال، بعد أن جردوا من اموالهم وممتلكاتهم، وتركوهم على الحدود العراقية-الإيرانية يواجهون مصيرا قاتما، وقد مات الكثير منهم. نتيجة الأرهاق الجسدي والنفسي، وقد إحتفظ النظام في بغداد بغالبية شبابهم كرهائن إلا أن مصيرهم أصبح مجهولا. ورغم ان الكثير منهم يحمل الجنسية العراقية إلا ان كل ذنبهم وجود عبارة التابعة (إيرانية) في جنسياتهم. علما بأن بعضهم عرب أقحاح أضطر آبائهم وأجدادهم دفع الأموال من أجل أن يحصلوا على الجنسية الإيرانية، تخلصا من الخدمة العسكرية في الجيش العثماني، الذي خاض حروبا لا ناقة ولا جمل للعرب ولغيرهم فيها. ورغم وجود الخصوصية الديموغرافية، وفي ضوء ما تقدم نلحظ:

1 - أن بصمات النسيج العراقي السكاني بكل مكوناته، سواء من الحضرة أو العشائر، نراها مطبوعة على الخارطة العراقية، فنحن نرى أن الأكراد السنة رغم وجودهم المكثف في شمال الوطن، وبالتحديد في محافظات السليمانية وأربيل ودهوك، إلا أن هناك شرائح منهم موجودة في الموصل وكركوك، ووسط العراق وجنوبه، كما أن الأكراد الشيعة رغم وجودهم المكثف في بغداد، فهناك شرائح منهم موجودة في الشمال والجنوب

(1) BABAKHAN, Ali. LES KURDES D, IRAK, LIBAN 1994

(2) أيضا.

والوسط. ونفس الشيء ينطبق على التركمان الشيعة والسنة، فرغم أنهم يتشاركون وسكان محافظة كركوك، إلا أن شرائح منهم موجودة في المناطق الأخرى.

2 - أما العرب السنة فإن وجودهم المكثف هو في محافظات: الموصل وصلاح الدين والرمادي، ووجودهم في محافظات، البصرة، والحلة، وبغداد، وديالى واضح، وهناك شرائح منهم موجودة في المناطق الشمالية والوسطية والجنوبية. وحين نرصد أماكن وجود الشيعة العرب المكثف نراه واضحا في محافظات بغداد وديالى والحلة وكربلاء والنجف والديوانية والسماوة والناصرية والكوت والعمارة والبصرة، وتوجد شرائح منهم في باقي المناطق الشمالية والوسطية.

3 - كما ونلاحظ أن بعض شرائح من الأكراد والتركمان والعرب سواء من الشيعة منهم أو السنة، منتشرون بين الوجودات المكثفة (وبصورة متداخلة تماما)، ومن خلال هذا الواقع السكاني المتداخل، حصلت المصاهرات⁽¹⁾ بين جميع المكونات مما جعل من النسيج العراقي نسيجاً فريداً، مكن من إقامة علاقات إجتماعية وإنسانية وإقتصادية وسياسية، بين كل مكوناته، وهو ما يشكل عناصر القوة والأثلاف. وعدا أننا قد أثبتنا مركزية التشيع في العراق إلا أن هناك أهدافاً أخرى منها أن نمهد للحديث عن تحديد مدى مساهمات نخب الشيعة وجماهيرها، في (قيام) الدولة العراقية الحديثة و (بنائها)، مؤكداً بنفس الوقت أن النهج الشيعي، كما هو دوره الريادي في قيام الدولة العراقية الحديثة وبنائها، خلال هذا القرن، لا بد أن يكون دوره الآن أكبر، بدفع العمل الجماعي وإخراجه من حيز الجمود والأنكفاء إلى آفاق التعاون الاستراتيجي. فهناك تاريخ عميق من العلاقات والمصالح المتشابكة بين كل مكونات الشعب العراقي، لا بد من تأجيحها. ونحن نعتقد أن الحالات المتقابلة لباقي المكونات، لا بد وإنها تعمل بنفس المستوى من الفهم وبذات الإتجاه من التعامل، لا سيما وأن نخبة الأمة من العراقيين أصبحوا اليوم يدركون الأخطار المحدقة بوجودهم وسيادتهم. ويمكن أن نخلص من إستعراض هذا الواقع بكل دلالاته ومضامينه، أن حجم مساحة الشيعة

(1) فعلى سبيل المثال لا الحصر فإن رؤساء الوزارات السابقين المرحوم صالح جبر والأستاذ ناجي طالب. والوزير السابق، الأستاذ عبد الغني الدلي. وكلهم شيعة عرب أصليين، قد تزوجوا من عوائل سنية عربية معروفة. أما الوزيران السابقان المرحوم رياض حسين، والدكتور هشام الشاوي، وهما سنة عرب أصليين فقد تزوجا من عوائل شيعية عربية معروفة، وهناك حالات كثيرة لا تحصى حصلت وتحصل كل يوم بين العرب. ولم يقتصر هذا الأمر على العرب فحسب، بل حصل بين العرب والكرد والتركمان والعكس بالعكس.

العرب إلى حجم مساحة بقية مكونات الشعب العراقي مجتمعة -هي الأغلب- وتبعاً لذلك فإن حقيقة واقع جغرافية الأرض والسكان، التي عليها الشعب العراقي، لا تقبل التأويل والإجتهاد، وأن الشيعة العرب يعتبرون (المكون الأساسي الأول) للشعب العراقي، دونما عواطف ومن غير حساسيات.

وفي ضوء سرد الوقائع المتقدم ذكرها، يتضح للقارئ الكريم أن إستعراض الحقائق السكانية والجغرافية، من خلال الدليل الواقعي المعاش، لتعزير مركزية التشيع في العراق، ليس هدفه خلق أية حالة إثارة مهما كان نوعها أو حجمها، بل العكس هو الصحيح، من حيث أن شيعة العراق وعلى مر التاريخ القديم والحديث، يدعون ويعملون بكل حرص وإصرار ضد أي حالة إستفراكية، بل إنهم يجتهدون بكل قوة وحزم أن تكون الحالة الشيعية، حالة جامعة وغير مفرقة، حالة متجاوبة وغير سلبية، حالة مشاركة وغير مستفردة، حالة معطاءة وغير منكفأة، وحالة متفاعلة غير جامدة، ولصالح كل مكونات الشعب العراقي، دون إستثناء. وفي ضوءه فإن أهم ما يمكن أن نستخلصه عن الشيعة والتشيع، هو أنه:

أولاً: إلهي التشريع، محمدي التمهيد، عربي المنبت والجذور، علوي المدرسة والفكر، حسيني التضحية والفداء، إمامي النهوض والعطاء، جعفري التطوير والتجسيد، إجتهداي الإستمرار والفتح، عراقي التمركز. عقيدته: التوحيد والعدل والنبوة والميعاد والإمامة.

ثانياً: أن الفكر الشيعي بكل مرتكزاته، هو كالظاهرة التقنية الديناميكية تستوعب تطور الفكر الإنساني الحضاري، بما لا يؤثر على أصلاته، فهو لهذا ليس حالة جامدة إنما حالة منفتحة على الأوضاع الحضارية المتطورة (لملئ منطقة الفراغ) بما لا يتعارض مع القرآن والسنة وبما ينسجم وأصالة مكارم الأخلاق التي عليها الأمة، ومثل هذا النهج التقدمي يمثل حالة رائدة في ترسيم معالم الدولة، في إطار الممارسة والتطبيق. إستناداً للقاعدتين الإلهية والمحمدية:

القاعدة الأولى: قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾

[النساء: 59].

القاعدة الثانية: قوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم

القيامة»⁽¹⁾.

(1) عليان، عدنان، معالجة ظاهرة التضخم المالي وتراكم الثروات عند الأفراد من منظور إسلامي (كتاب مخطوط).

وليس دقيقاً ما ذهب إليه مغنية من القول أن: «سبب التشيع ديني صرف، ولا صلة له بالسياسة»⁽¹⁾. . . ونحن نختلف مع مغنية في هذا الإتجاه، فليس من الصواب أن نحصر التشيع بالعامل الديني، في حين أن تاريخه المتواصل، كان في صميم القضايا العامة بكل أبعادها ومضامينها، الدينية، والوجدانية، والجهادية، والسياسية، ومنذ نشأته الأولى ولحد الآن، وعبر أحداث الأمة.

ثالثاً: وإن نهج «مدرسة الإمامة»، في موضع الثوابت الشرعية لا تحيد عن التمسك بالنصوص، ومع أنها في موضع المستجدات المتحركة عبر مسيرة الحياة، تجتهد ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ولكن هذا التحرك الإجتهادي يجري في إطار وأجواء النصوص والثوابت، وليس بمعزل عنها. ومثل هذا النهج يمثل حالة متقدمة، في إدارة وتلبية حاجات الناس، بما يتواءم وحالة الحضارة والتطور الأنسانيين.

رابعاً: والتشيع يعتز بالعروبة والأسلام بإعتبارهما صنوان يكمل أحدهما الآخر، حتى يتفقه الآخرون الآخرون بدينهم من منابعه العربية الأصيلة (القرآن والسنة) من غير أثره ودونما إستعلاء، وسبيله كما تقدم القاعدة القرآنية العظيمة: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: 13].

خامساً: أعتد التشيع العربي (التقوى) معياره الأول في المفاضلة، منذ صدر الإسلام الأول، فكان (سلمان منا أهل البيت) وهو من أمة عبدت النار وآمنت بتناسخ الأرواح. وكان (بلال الحبشي مؤذنا للرسول) وهو من أمة تحولت العبادة المسيحية عندهم إلى مجرد مراسيم وطقوس تؤدي بالمناسبات. وكان (صهيب الرومي من الصحابة المقربين لرسول الله) وهو من أمة كثر فيها الفسوق. وكان رافع القبطي صاحب رسول الله، وهو من قوم لهم ديانتهم المسيحية الخاصة بهم.

سادساً: أن التشيع العربي لا يرنو لإبراز حالة إستعلائية للعرب على الآخرين، بقدر تأكيده لدور الشيعة العرب وريادتهم في إقامة أسس صرح الإسلام العظيم، وإلا فالشيعة العرب هم أول من آمن بالنص القرآني الذي أشرنا إليه قبل قليل. وكإضفاء من الدليل الواقعي هو أن حواضر الحوزات والمنتديات الدينية في الكوفة والنجف وكربلاء والكاظمية وسامراء/ العراق، وجبل عامل/ لبنان، والقاهرة/ مصر، وعمان/ الأردن، وحلب/ الشام، والحسا والقطيف والمدينة المنورة/ المملكة العربية السعودية، واليمن، والبحرين، والكويت، ودبي/ الإمارات العربية المتحدة، وقطر، وعمان. كلها مراكز

(1) مغنية، محمد جواد، الشيعة والحاكمون، ص 15.

أصول وبيئات شيعية عربية، كان لها الدور الريادي المستمر في حفظ القرآن والسنة. وحتى تلك الحوزات والمنتديات الدينية في مدن قم ومشهد وأصفهان الإيرانية، كما في باكستان، والهند، كل جذورها من الشيعة الغرب، من العراق ولبنان والبحرين.

سابعاً: أن التشيع العربي كما هو حالة مبكرة منذ صدر الإسلام الأول، فهو بمحصلة الأمر حالة مستمرة، لصون بيضة الدين من الانحراف، وسبيله معينه الوحيدين (القرآن والسنة)، والتشيع العربي هو في كل قياسات العمل الجهادي سواء كان دينياً أو سياسياً أو تربوياً أو إنسانياً أو أخلاقياً أو مصيرياً وحتى إقتصادياً، هو حالة متصدية لأي إنحراف داخلي ولأي مواجهة خارجية كما أثبتته الأحداث.

ثامناً: وإن التشيع العربي ليس حالة حكرية على العرب، إنما هو إشعاع إنتشر أريجه، وتفرعت آفاقه، وتناثرت مكارمه، وتوزعت أبعاده ومضامينه، على كل الوجودات المسلمة، أينما وجد التشيع لذلك من سبيل.

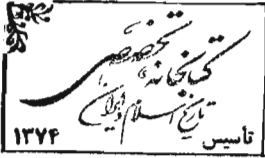
تاسعاً: هذا وغيره كثير ليؤكد تأكيداً واقعياً وعملياً فضل الشيعة العرب على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، من دون منة ولا تبعات، ولكن بدون الإعراض لهم، بل ضرورة الوفاء لهم والأعتراف بفضلهم، وبدورهم الريادي المتفرد، الذي خصهم به الله ورسوله، وهو ما يترتب عليه ضرورة إنصافهم على مستوى الحكم والسلطة، بما يعزز مكانة الأمة، وخير شعوبها.



الباب الثالث

البعد الشيعي السكاني والحضاري والاقتصادي

الفصل الأول: الشيعة ومكونات الشعب العراقي



- المبحث الأول: من الدليل التاريخي
- المبحث الثاني: من الدليل الأحصائي

الفصل الثاني: البعد الحضاري للشيعة

- المبحث الأول: التنوع الفكري والعلمي
- المبحث الثاني: الأهمية الدينية والتراثية
- المبحث الثالث: المعطيات لتكوينية

الفصل الأول

الشيعة ومكونات الشعب العراقي

قبل الخوض في مباحث هذا الفصل لا بد من الإشارة لحقيقتين مهمتين :

الحقيقة الأولى: إن أهمية الوجود السكاني الشيعي العربي في العراق لم تأت من عدم، بل اتت من كون هذا المكون يغطي بوجوده أكبر مساحة من الخارطة السكانية للعراق، إضافة لموقعهم الاستراتيجي وأهميتهم الحضارية والسياسية والإقتصادية. وهم عدا ذلك في صميم العروبة كإنتماء، وفي صميم الإسلام كهوية، لذا فإن الحديث عن الشيعة العرب يعني الحديث عن العراق العربي المسلم، والعكس، يعني الحديث عن الشيعة العرب. وحين يخص العلوي بحديثه الجانب العربي المحض، يقول:

«أن عروبة العراق شيعية، وإنه عربي بقدر ماهو شيعي. وإن «الجهود» ينبغي أن تنصرف ليس لأثبات عروبة الشيعة، وإنما لأثبات عروبة العراق بلا شيعة»⁽¹⁾.

الحقيقة الثانية: أنه ليس من المعقول او الواقع؛ أن نطلق على هذا المكون وصف (طائفة)، من حيث ان الطائفة لها سمات الأقلية، في حين أن شيعة العراق هم المكون الأساسي لشعب العراق، مقابل المكونات الأخرى. فهم بالوقت الذي يضيفون بوجودهم المكثف أهم مساحات الخارطة السكانية العراقية، نجد لهم وجودا مخففا في الأجزاء الأخرى، وفق وجود باقي الطوائف التي تشاركه الحياة، في هذه البقعة من الوطن العربي. ورغم أن عبارة (طائفة) أو (طائفية) قد تم التعارف على إستعمالاتها، في البحث العلمي، والتداول العام، إلا أن ما ذهبنا إليه يبقى من الحقائق الملموسة في الحسابات الاستراتيجية.

ونحن بهذا الصدد لا نهدف للنسب والتناسب، من أجل أهداف فتوية، إنما الهدف المركزي هو التعريف بحقيقة أهمية هذا المكون من أجل مستقبل العراق، كل العراق، ولكل مكوناته وطوائفه. وحتى نعطي هذا الجانب صدقيته وجدنا من الضروري تغطيته بأدلة برزت أمامنا للتدليل على ماتقدم، من خلال مبحثين سيتم التطرق لمضامينها بما يغني هذا الفصل من معلوماتية نتمنى ان تسهم في اعطاء الصورة الحقيقية للواقع الشيعي في العراق.

(1) العلوي، حسن؛ الشيعة والدولة القومية، ص 49.

المبحث الأول: الدليل التاريخي القديم

ويشتمل هذا الدليل على عدة مقاطع تاريخية نمر عليها وفق حدوثها الزمني، عبر مسيرة التشيع.

1 - المقطع التاريخي الأول:

لعله يمكننا ان نخلص من خلال الدليل التاريخي الأول الذي يستند الى بدء فترة مبايعة الخليفة الرابع الامام علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . حيث أن المبايعين لعلي إذا لم يكونوا جلهم من شيعته وأتباعه، فغالبيتهم لا بد أن يكونوا كذلك، وإلا لإنصرف المبايعون إلى غيره بطريقة وأخرى، كما حصل في إعتقاد الخلفاء الثلاثة الأوائل، رغم كل ما أحيط بهذا الإعتقاد. وقد أشرنا إلى نخبة من المتشيعين لعلي في عهد النبي ﷺ . وقد تضاعف أعدادهم مئات المرات في ربع القرن بعد وفاة النبي ﷺ ، إي أثناء خلافة ابي بكر وعمر وعثمان.

2 - المقطع التاريخي الثاني:

حين قام علي بنقل مقر خلافته من المدينة المنورة إلى (كوفة العراق) عام 36هـ، بعد إنتصاره على الناكثين في معركة الجمل في البصرة، فإن مثل هذا الإنتقال لا يمكن معه أن ينتقل بكل شيعته وأتباعه، إنما الذي حصل هو إنتقال خاصته من آل بيته وبعضاً من أتباعه. وهذا يدل لنا أن للإمام علي شيعه وأتباع في العراق قبل أن تطأ قدماه الكوفة. وقد إستطاع بهم بناء عاصمة جديدة للمسلمين كافة على أرضه. ناهيك عن أن الإمام قد ضم الكثير منهم لجيشه حين حارب الناكثين، كما تقدم ذكره. ويحدد الحسن وجود الشيعة في العراق في العقد الثاني الهجري فيقول: «وفي نفس الوقت هاجرت أعداد كبيرة من عبد قيس إلى العراق، في العقد الثاني الهجري في خلافة عمر بن الخطاب، خاصة إلى البصرة والكوفة، اللتين إبتنيتا حديثاً. ولعل هذا مايفسر الوجود الشيعي المكثف فيهما والذي بدأ واضحا في أواخر خلافة عثمان بن عفان»⁽¹⁾.

3 - المقطع التاريخي الثالث:

قيام أهل العراق وبالخصوص أهل الكوفة، بإعلان البيعة للإمام الحسين بن علي ابن ابي طالب ﷺ . بحضور ممثله مسلم بن عقيل رضي الله عنه وقدر جموع المبايعين

(1) الحسن، م . س، ص .

للحسين بين 25-40 ألف مبايع⁽¹⁾. وكلهم من العشائر العربية القاطنة في الكوفة وأطرافها. أما رسائل المبايعات التي وصلت للحسين من الكوفة إلى المدينة من شيعته وأتباعه، فقدرت بالآلاف، وكلها تستحثه إسراع المجيء إليهم لتولي أمرهم.

4 - المقطع التاريخي الرابع:

وهو قيام ثورة التوابين عام 64 هجري، وكانت قيادتها تتمثل بمجموعة من التوابين كان على رأسهم كل من سليمان بن صرد الخزاعي، وهو صحابي أدرك النبي ﷺ والمسيب بن نجية وهؤلاء ممن حاربوا بجانب علي وإشتركوا في محاربة القاسطين والناكثين والمارقين وقد حصلت واقعتهم هذه بعد واقعة الطف بثلاث سنوات، وقد قدر عدد المؤيدين لها بستة عشر ألف شخص إلا أن الذين شاركوا فعلاً فيها كانوا بين 5000 - 5500 شخصاً جلهم من عرب الكوفة وبعضهم من البصرة. وقد أدركوا عبيد الله بن زياد في موقع يقال له (عين الوردية) وألتحموا مع جيشه في معركة إنتحارية للتأثر لمقتل الأمام الحسين. وبعد معارك ضارية وإلتحامات شديدة، كانت الغلبة لجيش ابن زياد لكثرة عدده وعدته كما تقدم ذكره، وقد أفنى غالبية التوابين حياتهم لتأخرهم عن نصره الحسين⁽²⁾.

5 - المقطع التاريخي الخامس:

قيام ثورة المختار بن أبي عبيدة الثقفي في العراق، منطلقاً من الكوفة، بعد أن تمكن من قتل غالبية من ساهم فعلاً في قتال الحسين، وإلتحموا معه ومع أتباعه، وكان عددهم مئتان وثمانية وأربعون رجلاً. وتفرغ بعدها لملاحقة عبيد الله بن زياد وجيشه الذي شارك في ملحمة الطف في كربلاء، وأوكل المختار مهمة قيادة جيشه إلى إبراهيم الأشر، وقد خرج إليهم الأشر في جيش قوامه سبعة آلاف مقاتل، غالبيتهم من عرب الكوفة وقد إلتقاهم على ضفاف (نهر الخازر) في ضواحي مدينة الموصل، في مطلع عام 67 هجري، ومن المصادفات التي حصلت قبل إندلاع القتال، أن أحد أهم قادة عبيد الله بن زياد وهو عمر بن الحباب السلمي، الذي كان مسؤولاً عن ميمنة جيش بن زياد، قد تحول ومن معه لصف الأشر، وكانت ملحمة قتالية مروعة، كان النصر فيها هذه المرة لشيعة آل البيت، وحين قتل عبيد الله بن زياد، فر حينها من فر وغرق من غرق من جيش ابن زياد. ودخل الأشر بجيشه إلى مدينة الموصل التي إستقبلته إستقبال الفاتحين⁽³⁾.

(1) الحسن، هاشم معروف، الانتفاضات الشيعية في التاريخ، (ط2، قم، 1404هـ) ص 436-438.

(2) م . ن، ص 406. (3) م . ن، ص 460، 461.

6 - المقطع التاريخي السادس :

إن قيام العباسيين بإستثمار الحركة الشيعية ذات المساحة والتأثيرات الواسعة، وبالتحديد في العراق كان من أهم الأسباب التي مهدت لهم أمر القضاء على الدولة الأموية، وإقامة الدولة العباسية، لأن الفهم الذي قامت عليه الحركة الجهادية والسياسية الشيعية المناهضة للأمويين، كانت تدعو للرضا عليه السلام. من آل محمد، والمقصود في الرضا هنا هو رمز لأهل بيت النبوة، وهم آل علي الذين أصبحوا الثقل الأساسي، في تهيئة ظروف الخلاص من الحكم الأموي، فعدا ثورتا التوابين والمختار المتقدم ذكرهما، واللتين جاءتا في سياق الثأر من قتلة الحسين وأهل بيته وشيعته، فهناك مجموعة من الثورات والأنفاضات اللاحقة، قام بها أتباع أهل البيت، ضد الأمويين ولعل من أهمها ثورة عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وثورة يزيد بن المهلب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر عام 127هـ. وقد إستغل العباسيون هذا الكم الهائل من الرصيد الذي خلقتة هذه الثورات والأنفاضات، وما تركته من تأثيرات في مجريات الأحداث، ضد الدولة الأموية، لصالح نواياهم. وحتى ينال العباسيون مبتغاهم من دون أن تحصل ردة تكشف نواياهم، كانوا حذرين كل الحذر من الدعوة لأنفسهم، إنما كانوا يؤكدون هم ودعاتهم أن حركتهم إنما تدعو (للرضا من آل محمد)، ولكنهم حين تمكنوا من الأمر وتمت هزيمة الأمويين على جماجم الشيعة وأنصارهم من الموالي، راح العباسيون يمعنون القتل بدعاة الشيعة اللذين توجس منهم العباسيون خيفة على سلطانهم، وكان على رأسهم أبو سلمة الخلال، الذي قتله مزار بن أنس الضبي، بأمر من السفاح والمنصور. وحين تباينت المصالح والإتجاهات، عكف العباسيون يتعقبون العلويين وأئمتهم، فإستعملوا السيف فيهم فقتلوا منهم الكثيرين، وساموا الآخرين الذل والهوان. حتى قال فيهم الشاعر: (ياليت جور بني مروان عاد لنا ياليت عدل بني العباس في النار) وقد أشار لهذه المعلومات مجموعة من الباحثين والمؤرخين⁽¹⁾.

(1) الحسنی، م . س، ص 480 - 518 . راجع أيضاً:

مقاتل الطالبيين، ص 88، 97، 99، 146، 389.

إبن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 5، ص 85، 382

إبن البزاري، مناقب أبي حنيفة، ج 1، ص 55.

اليعقوبي، أحمد بن يعقوب، تاريخ اليعقوبي، (النجف، 1965م)، ج 1، ص 92، 93، وج 3، ص 66.

الطبري، تاريخ الطبري، ج 8، ص 219، ج 9، ص 73، 76.

إبن كثير، البداية والنهاية، ج 10، ص 45.

7 - المقطع التاريخي السابع:

ذكرت المصادر ان في عهد الإمام الصادق كان هناك أربعة آلاف محدث من الكوفة كل منهم يقول: حدثني جعفر بن محمد الصادق⁽¹⁾ وكان غالبية هؤلاء من الشيعة العرب في العراق.

8 - المقطع التاريخي الثامن:

حين قام العباسيون بقتل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالسّم وضعوا جثته على جسر بغداد، وحين علم الناس حقيقة عائدية هذه الجثة، خرج الآلاف من شيعة أهل البيت، وأقاموا له تشييعاً مهيباً، وكان تشييع جنازته في بغداد حدثاً بارزاً على كثرة من شارك في عملية التشييع، حتى مثواه الأخير في الكاظمية، الواقعة شمال بغداد.

9 - المقطع التاريخي التاسع:

قيام ثلاث دول شيعية عربية في العراق، وهي:

أ - دولة المشعشين قامت منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وأمتدت من محيط بغداد وحتى الخليج العربي.

ب - دولة الحمدانيين في (الموصل) وهي إمتداد لدولتهم في بلاد الشام وكان عمرها من عام 905م ولغاية 979م.

ت - دولة المزيديين في (الحلة) والتي توسع نفوذها ليشمل البصرة، وواسط، والكوفة، وهيت، وعنة، وحديثة. وكان عمرها من عام 1012م ولغاية 1150م⁽²⁾.

إن هذا الدليل لوحده يؤكد لنا بصورة قاطعة، على أن المتشيعين من العرب العراقيين، كانوا منذ أمد ليس بالقريب يحتلون مساحة غير عادية في تكوينة الشعب العراقي، وفي مواقع مختلفة من خارطة العراق، وإن قيام هذه الدول الثلاث بفواصلها الزمنية وأماكنها المختلفة، يقر هو الآخر أن الشيعة العرب قد عم وجودهم خارطة العراق، من شماله حتى جنوبه.

(1) كاشف الغطاء، المصدر السابق، ص52.

(2) الموسوي، علاء نجف، التطور السياسي للقيادة الشرعية في عصر الغيبة الكبرى، (ط1، طهران، 1980م)، ص3.

من هذه الدول: - الدولة الزيدية: قامت في طبرستان بين عام 250 - 316 هجري.

الدولة البويهية: قامت في العراق بين عام 320 - 447 هجري.

الدولة الفاطمية: قامت في مصر بين عام 297 - 567 هجري. وإمتدت هذه الدولة للمغرب.

الدولة التزارية: قامت في إيران، واقامها الحسن بن مصباح، وهي وليدة حركة إنشفاقية عن الفاطميين. وقد سقطت عام 654 هجري.

ولقد كانت هناك دولا شيعية، قامت في العراق وفي غيره من الدول، وإن لم تكن عربية في الصميم، إلا أنها قامت بتأثير الشيعة العرب ومنهم عراقيون. ورغم ان هذه الدول إستمر قيامها ما يزيد على الثلاثمائة سنة، إلا أن هذه الدول بما فيها الدول العربية الثلاث المشار إليها أعلاه، أنها لم تكن في صميم التشيع الإمامي الأثني عشري، ولكنها كانت في أجواء أبعاده ومضامينه السالفة الذكر⁽¹⁾.

ان وجود مجموعة واسعة من رموز الشيعة، كعلماء وفقهاء ومفكرين وفلاسفة وأدباء ونحويين ومحدثين وأطباء وفلكيين ورجال سياسة وحكم، على إمتداد التاريخين العربي والإسلامي، وغالبيتهم من العرب العراقيين له الاثر الكبير في التفسير التاريخي لوجودهم وسيادتهم. فقد أورد أحد الباحثين⁽²⁾، أكثر من خمسمائة ترجمة لهذه الرموز. وفي ضوء ماتقدم يتضح لنا أنه حين تكون نخب الشيعة العرب العراقيين بهذه السعة وهذا الأمتداد التاريخي وهذا الأنتشار وهذا التنوع المعرفي، يجعلنا نتسأل كيف يمكن أن يكون حجم وجودهم بالنسبة لشعب العراق؟ والجواب نتركه لإستكمال الأنماط الأخرى من الأدلة، التي يمكن أن تضع أمامنا الصورة بواقعها الحقيقي المجرد. إلا أن الشيء المهم الذي تجسد لنا من خلال إستعراض هذا الدليل التاريخي بكل مقاطعه، هو أن الشيعة العرب العراقيين أثبت الواقع أن لهم وجودا واضحا ومكثفا خلال كل فترات التاريخ العربي الإسلامي في العراق.

المبحث الثاني: الدليل الإحصائي الحديث:

يبلغ سكان العراق الحديث اليوم، في رقعته الجغرافية المتعارف عليها حديثا ما يقارب خمس وعشرون مليون نسمة، ويتكون قويا من:

1 - قومية أساسية هي القومية العربية وغالبية سكانها مسلمون يتكونون من (شيعة وستة عرب). وجغرافيتهم تمتد من الموصل وجزء من كركوك شمالا باتجاه الوسط إلى الجنوب حتى الخليج العربي. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ماهو أصل العرب في العراق؟ ومن أين جاؤوا؟ وعليه في ضوء ذلك هناك جملة آراء بهذا الخصوص منها من ذهب إلى أن العرب من الأقوام السامية، ومنهم من ذهب إلى أن العرب هم أصل الساميين، ومنهم من تجاوز بالقول أن أصل العرب من الحبشة، وهو على ما يبدو رأي

(1) الدولة الصفوية : قامت في إيران بين عام 905 - 1148 هجري، وأقامها إسماعيل الصفوي، وهو عربي الأصل من نسل الإمام موسى بن جعفر عليه السلام.

(2) حرز الدين، محمد، معارف الرجال، (ط1، مطبعة الولاية، قم، 1405هـ)، ثلاثة أجزاء.

ضعيف، لا يصمد أمام الحقيقة. ويحدثنا لونكريج Longrigg عن حقيقة العرب في العراق فيقول:

«ولقد كانت العناصر التي يتألف منها سكان العراق العرب ويؤلفون الأثرية الساحقة. لقد كان العرب في عراق سنة 1900 كما هو الأمر بالنسبة إلى الوقت الحاضر - يعني عام 1952 وهو عام تأليف هذا الكتاب - من العراقيين الذين يتكلمون اللغة العربية. حيث تمثلوا فيما بينهم ليؤلفوا بذلك المجتمع العراقي، الذي طغى عليه عرب الجزيرة العربية، في القرن السابع للميلاد»⁽¹⁾.

إلا أن العزاوي يحسم الموقف قائلاً:

«ومهما يكن من الآراء فإننا نرى الجزيرة منشأ العرب، وإن غالب العراقيين منهم»⁽²⁾ . . . ويعزز العزاوي رأيه بهذا النص حول قدم العرب في العراق حيث يقول:

«ولما صالح خالد بن الوليد أهل الأنبار رآهم يكتبون بالعربية ويتعلمونها، فسألهم ما أنتم؟ فقالوا: قوم من العرب نزلنا إلى قوم من العرب قبلنا، كانت أوائلم نزلوها أيام، حين أباح العرب، ثم لم نزل عنها ويفسر هذا القول بالمحفوظ لهم بختنصر. . . قال ممن تعلمتم الكتابة؟ قالوا: تعلمنا الخط من أياد وأنشده شعرا:

قومي أياد لو أنهم أمم أولو أقاموا فتهزل النعم
قوم لهم باحة العراق إذا ساروا جميعا والخط والقلم»⁽³⁾

ونحن نعتقد في ضوء ماتقدم بسداد رأي ومعلومة العزاوي، لأن واقع الوجود العربي العشائري في العراق يدلنا على ذلك، وهو ما سنثبت حشياته بعد قليل. إلا أننا يجب أن لانغفل الحقيقة التالية وهي، أن العراق الذي تقارب نسبة العرب فيه على الـ 80% من مجموع سكانه، هو ما اعطاه الحق أن يكون أحد البلدان العربية، وجزءاً من الأمة العربية، ووطنها المترامي من الخليج العربي حتى المحيط الأطلسي. لذا كان شيعة العراق حريصين على هذا الأنتماء، بل فخورين به، لأنهم يشكلون صميم عرب العراق.

(1) لونكريج، ستيفن هملي، العراق الحديث 1900-1950 (دار الفجر، بغداد، 1968)، تر: سليم طه التكريتي، ج1، ص21

(2) العزاوي، عباس، عشائر العراق، ج1، (منشورات الشريف الرضي، طبعة قم، 1411هـ)، ج1، ص29.

(3) العزاوي، م . س، ج1، ص63. نقلاً عن الطبري في تاريخه، ج4، ص20، 21.

2 - قومية شريكة هي، القومية الكردية، وغالبية سكانها كرد مسلمون من (سنة وشيعة). وجغرافيتهم تنحصر في شمال العراق وجزء من كركوك والموصل. وهناك مجاميع محدودة منهم سكنت الوسط والجنوب، وتوجد شريحة من الكرد يطلق عليهم (الفيلية) سكنت بغداد.

3 - قومية فرعية هي، القومية التركمانية، وغالبية سكانها تركمان مسلمون من (شيعة وسنة). وجغرافيتهم تنحصر في شمال العراق وبالخصوص في جزء من كركوك.

من هنا نرى؛ دينيا الغالبية العظمى لسكان العراق، كما هو موضح أعلاه هم (مسلمون). بالإضافة الى وجود فئات دينية أخرى متفاوتة بالعدد توزعت على خارطة العراق منهم المسيحيون الذين يتكونون من الكلدانيين والأرمن والآشوريين والنسطور والبروتستانت. وكذلك اليزيديون، والصابثيون، والشبكيون. وإن غالبية هذه الفئات هم من العرب. أما اليهود فقد أخذ عددهم بالتناقص التدريجي مع بداية هجرتهم عام 1948م، إلى ان أصبحوا اليوم أفرادا معدودين.

في الواقع لم تتمكن من الحصول على مصادر التاريخ المدون لإحصاء بعدد الشيعة في العراق؛ ولعل هذا الامر يعتبر طبيعي جدا في الحقب التاريخية الأولى، لعدم وجود هكذا نمط من الإهتمام في التدوين، في ذلك الوقت. ولكن لا ندري ما هو السبب المباشر لعدم وجود كذا احصاء في التاريخ الحديث؛ إلا أننا عثرنا على أربعة إحصاءات حديثة مدونة، جرت خلال هذا القرن بحقب تاريخية مختلفة، أشير فيها إلى المكونات بالأسم. ففي إحصاء بريطاني تقريبي جرى في عام 1919م، ظهر أن مجموع الشيعة هو 49,1 4000 نسمة، من أصل مجموع كل مكونات الشعب العراقي البالغ عددهم حينذاك 2,699,000 نسمة. وفي ضوء هذا التقسيم تكون نسبة الشيعة إلى نسبة مجموع الشعب العراقي وقتها 53٪. وقد ورد في نفس المصدر إحصاء عام 1932م، كان فيه عدد شيعة العراق 1,533,612 نسمة، من أصل مجموع الشعب العراقي البالغ عددهم 2,857,077 نسمة. وأوضح التقرير أن حجم المكون الشيعي إلى حجم مكونات مجموع الشعب العراقي هو 56٪ وقتذاك⁽¹⁾. كما أورد بطاوط إحصائية أصدرتها وزارة الشؤون الإجتماعية العراقية عام 1954م، في ضوء إحصاء العراق عام 1947م وعمل لها الجدول التالي:

(1) 1919 Censis by Religin, F.O. 371/4152/176918. Religins for Iraq. 1 August 1932,F.O.406-70.

للتكوين المذهبي والديني والأثني (العراقي) لسكان العراق عام 1947م⁽¹⁾

الطائفة	حضر	%	ريفيون	%	المجموع	% (المسلمون)
عرب شيعة	673	41,9	1671	56,5	2344	51,4
عرب سنة	428	26,7	472	16,0	900	19,7
أكراد سنة	176	10,9	662	22,4	840	18,4
فرس شيعة	49	3,1	3	0,1	52	1,2
ترکمان سنة	39	2,5	11	0,3	50	1,1
ترکمان شيعة	11	0,7	31	1,1	42	0,9
أكراد شيعة فيلية	14	0,9	16	5,0	30	0,6

غير المسلمين

مسيحيون	94	9,5	55	8,1	149	3,1
يهود	113	7,0	4	0,2	117	2,6
يزيديون وشبكيون	2	1,0	31	1,0	33	0,8
صابئة	5	3,0	2	0,1	7	0,2
المجموع	1604	100,0	2960	100,0	4564	1000,0

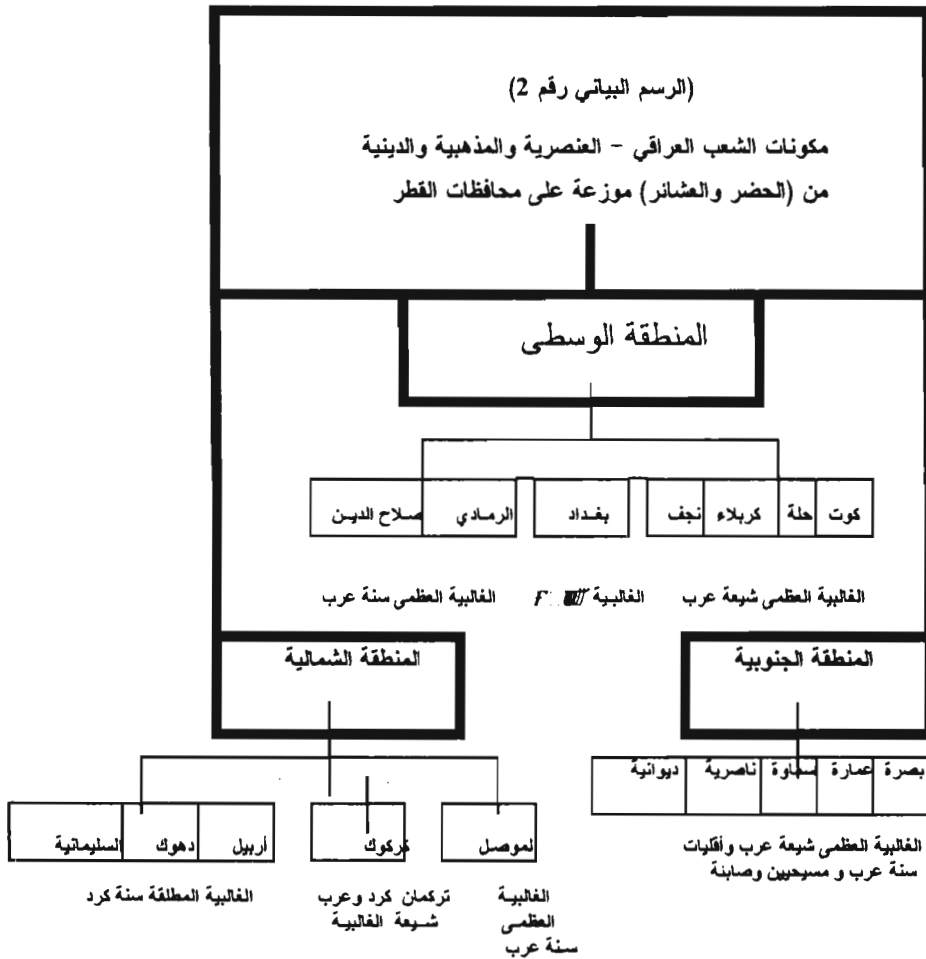
وفي أحدث إحصائية صدرت عن فريق أمريكي عام 1988م⁽²⁾، قام بها بالتعاون مع فريق عراقي، بمسح عينات للنفوس في حزيران عام 1987م، كانت النتائج تشير إلى أن مجموع نفوس العراق هو (18,644,000) نسمة، والرسم البياني باللغة الأنكليزية الذي يلي

(1) د. بطاطو، حنا، العراق الطبقات الإجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني وحتى قيام الجمهورية (ط1)، منشورات الأبحاث العربية، بيروت، 1990م)، تر: غيف الرزاز، ج1، ص60.

(2) Iraq - Demographic and Ethnic Distribution U. S Coverment Data. ME/OIL/223/099887.

هذه الصفحة، يجسد ما ورد في التقرير المشار إليه، ومع ذلك نشير أذناه باللغة العربية للنسب موضوعة البحث في التقرير المتقدم، وهي كما يلي: العرب الشيعة (72٪)، العرب السنة (8٪)، الكرد السنة (18٪)، التركمان مختلط أي شيعة وسنة أقل من (2٪)، البقية أقل من (1٪). ولكي ندعم ما قدمنا من معلومات، بصورة واقعية، لا إجتهد فيها، نشير إلى ما تقدم به الحديث في الباب الثاني عن الشيعة العرب، من العشائر العربية، المنتشرة في وسط وجنوب العراق، وما أشرنا إليه بخصوص الحضرة عن بغداد كنموذج.

والرسم البياني التالي صورة تقريبية لما إستعرضناه بخصوص التوزيع السكاني، لكل مكونات الشعب العراقي العنصرية والمذهبية والدينية، موزعة على محافظات القطر.



الفصل الثاني البعد الحضاري للشريعة

المبحث الأول: الأهمية العلمية

تنبع الأهمية العلمية للعراق من كونه بلد الحضارات منذ آلاف السنين، فقد تكونت فيه حضارات راقية مثل، حضارة آشور، وبابل، وسومر. ومن المعطيات الرائدة التي قدمتها هذه الحضارات للإنسانية هو فن الكتابة، وإقامة المدارس، وتطبيقات حقوق الإنسان، وممارسات الديمقراطية. وهناك من أشار إلى ان الكتابة بقوله:

«أخترت وتطورت طريقة الكتابة المسمارية. فما حل منتصف القرن الثالث قبل الميلاد، حتى ظهر عدد من المدارس في جميع بلاد سومر، حيث صارت الكتابة تدرس تدريسا منتظما»⁽¹⁾ . .

وفي العراق القديم شرعت أقدم الشرائع التي عرفتها البشرية كشرعية حمورابي المعروفة عالميا، وقد سبقتها شريعة لبث-عشتار. بل هناك شريعة ثالثة سبقت الشريعتين وهي شريعة أشنونا⁽²⁾. وإذا كان حمورابي قد بدأ حكمه عام 1750 ق.م، وإنه بعد نيف من السنين أصدر شريعته التي كتبت في مسلته المعروفة بإسمه؛ فإن هناك قوانين تجاوزت في قدم إصدارها تواريخ القوانين المشار إليها؛ فعلى سبيل المثال «قانون أورنامو» المنسوب للحاكم أورنامو الذي أصدره أثناء حكمه الذي إمتد بين عام 2094-2111 ق.م⁽³⁾. وما زالت هناك تحريات مستمرة ربما يكشف المستقبل عن شرائع وقوانين أكثر قدما، من كل ماتم العثور عليه لحد الآن في العراق؛ كان له الاثر الفعال في بناء الحضارة العالمية الكبرى. وفي هذا السياق ينقل لنا أحد الباحثين قائلاً:

«أن أول برلمان سياسي معروف في تاريخ الإنسان المدون، قد إنتم في جلسة خطيرة في حدود 3000 سنة ق.م ولقد كان مثل برلماننا مؤلفا من مجلسين الأعيان أي مجلس الشيوخ، ومن مجلس العموم (النواب). أجل إنه في تلك البلاد المعروفة قديما بإسم

(1) كريم، صموئيل، من ألواح سومر، تر: طه باقر، ص 42.

(2) ن. م، ص 115، 116.

(3) عن مقالة للسيدة بثينة أمين نشرت في جريدة المؤتمر اللندنية في عددها/ 172، السنة/ 1996.

سومر الواقعة بين نهري دجلة والفرات، تم إنعقاد أقدم مجلس سياسي معروف . فمتى اجتمع هذا البرلمان؟ إنه اجتمع في الألف الثالث قبل الميلاد، فلقد كان يقطن بلاد سومر شعب أنشأ ونمى ما يرجح أن تكون أرقى حضارة في العالم المعروف حينذاك . وعلى هذا فليس من المستغرب إذا كان السومريون قد أحرزوا في حقل السياسة أيضا تقدما مهما . وإنهم بوجه خاص ساروا في الخطوات الأولى نحو الحكومة الديمقراطية، بالهيمنة على سلطان الملوك، والاعتراف بحقوق المجالس السياسية»⁽¹⁾ . .

ولعل التاريخ يحدثنا عن حضارة اخرى قامت قبل الإسلام في العراق تدعى حضارة اللخمين؛ كانت عاصمتهم الحيرة، اذ اورد تاريخ العرب ما يلي:

«من الحيرة سارت إلى الجزيرة نفسها مؤثرات الحضارة، وقريش إنما أخذت الكتاب من الحيرة»⁽²⁾ . .

وهناك من يحدثنا عن أهمية العراق بعد إنبلاج صبح الإسلام فيقول:

«وعندما أشرق الإسلام على الجزيرة العربية، وامتد إلى العراق وبقية الأقطار، وكان دور العراق في بناء صرح الحضارة الإسلامية وتوطيدها ونشرها، دورا عظيما سجله التاريخ بالتقدير والاعتزاز»⁽³⁾ . .

وكان العراق من أوائل من تشرف بالإسلام بين الأقطار العربية، لذا لعب العراق أدوارا رئيسية في كل المفاصل الزمنية من عمر الدولة العربية الإسلامية . ومما تميز به العراق العربي المسلم وكان له تأثيره العلمي والحضاري، إنما حصل في فاصلين زمنيين أساسيين هما:

الأول: فترة الخلافة الراشدة الرابعة في الكوفة:

والتي إضطلع بمهامها الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في كوفة العراق . والإمام علي لوحده كما هو معروف مدرسة فكرية وعلمية وأخلاقية متكاملة، أضفت بظلالها الوارفة الشيء الكثير على الحضارات الإنسانية . ويحدثنا بهذا الصدد العقاد قائلا:

«في كل ناحية من نواحي النفوس الإنسانية، ملتقى بسيرة علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . لأن هذه السيرة تخاطب الإنسان حيثما إتجه إليه الخطاب البليغ في سير الأبطال

(1) كريم، م . س، ص 81 - 83 .

(2) د. فيليب حتي، د. أدوارد جرجي، د. جبور جبرائيل، تاريخ العرب، (ط1، بيروت، 1965)، ج1، ص113، 114 .

(3) جميل، حسين، الحياة النيابية في العراق (ط1، منشورات مكتبة المشنى، بغداد 1983م)، ص

والعظماء، وتثير في أقوى ما يثيره التاريخ البشري من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل»⁽¹⁾ . . .

فمما لا إشكال فيه أن العلم الإلهي يأتي على قمم العلوم، وكان الإمام علي على إطلاع عميق فيه .

ويحدثنا ابن أبي الحديد عن علي والعلم الإلهي فيقول:

«وعنه نقل وإليه إنتهى، ومنه إبتدأ، فإن المعتزلة - الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ومنهم تعلم الناس هذا الفن - تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم، وأصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه تلميذه عليه السلام. وأما الأشعرية فإنهم ينتمون إلى أبي الحسن علي بن إسماعيل، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بأخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلمهم، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام. وأما الإمامية والزيدية فإنتماؤهم إليه ظاهر»⁽²⁾ . . .

ويصف حسين جميل الإعتزال قائلاً:

«والأعتزال كان أهم التيارات الفكرية والسياسية والدينية في الإسلام»⁽³⁾ . . .

وهناك ملاحظة جديرة بالانتباه أشار إليها الإمام الأكبر محمد حسين كاشف الغطاء وهي

أن:

«التشيع بالمعنى الخاص ينافي الأعتزال، ويكفي في تحقيق المباينة أن الشيعة تقول: بالنص، والمعتزلة لا تقول به»⁽⁴⁾ . . .

أما علم الفقه فيعود تكوينه وأساس بنائه إلى الإمام علي، حتى أصبح فقهاء المذاهب، الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية، عيال على فقه علي. بل راح ابن أبي الحديد في

(1) العقاد، م . س، من المقدمة، ص 5.

(2) ابن أبي الحديد، م . س، ج 1، ص 17.

(3) جميل، م . س، ص 6.

(4) كاشف الغطاء، م . س، ص 33. ونحن من جانبنا نؤكد أن: إستشهادنا بإبن أبي الحديد- بخصوص ما أورده عن المعتزلة والأشاعرة- هو أن نوضح أن بعضاً من أئمة المعتزلة والأشاعرة قد تتلمذوا على أيدي تلامذة الإمام علي، وهم على ضوء القاعدة المرجعية يعودون ببعض علومهم إلى الإمام علي كما ونؤكد بوضوح أن حالي المعتزلة والأشاعرة، ليستا صورتان عن حالة التشيع بقدر ما هما صورتان مستقلتان، لكنهما قد تأثرتا بالتشيع في بعض المقاطع، ليس إلا، وهو ما إقتضى منا التنويه والأستدراك.

إشارته إلى أن بعض فقهاء الصحابة كعمر بن الخطاب، وعبد الله بن عباس، وكلاهما أخذ عن علي. وقد أخذ علم التفسير (تفسير القرآن) عن الإمام علي. ويشير ابن أبي الحديد إلى ذلك قائلاً:

«وإذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأن أكثره عنه، وعن عبد الله بن عباس، وقد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له، وإنقطاعه إليه، وإنه تلميذه وخريجه، وقيل له أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال كنسبة قطرة من المطر إلى المحيط»⁽¹⁾.

ويتنقل هذا العلامة في رحاب مدرسة الإمام علي عليه السلام. ويشير إلى عودة الكثيرين إليه، فيقول:

«ومن العلوم علم الطريقة والحقيقة وأحوال التصوف، وقد عرفت أن أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه يتتهون، وعنده يقفون، وقد صرح بذلك الشبلي، والجنيد، وسري، وأبو زيد البسطامي، وأبو محفوظ معروف الكرخي، وغيرهم»⁽²⁾.

ومن حيث أن لغة العرب هي قناة الفكر الحضاري والأنساني للعرب والمسلمين، كان لا بد لها من قواعد نحوية تضبطها، وكان الإمام علي، بجديتها وباني أسسها. ويوضح لنا ابن أبي الحديد هذه الحقيقة، فيقول:

«ومن العلوم علم النحو والعربية، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه، وأملى على أبي الأسود الدؤولي جوامعه وأصوله، ومن جملتها الكلام كله ثلاثة أشياء: إسم وفعل وحرف، ومن جملتها تقسيم الكلمة إلى معرفة ونكرة، وتقسيم وجوه الإعراب إلى: الرفع والنصب والجر والجزم وهذا يكاد يلحق بالمعجزات، لأن القوة البشرية لا تفي بهذا الحصر، ولا تنهض بهذا الاستنباط»⁽³⁾.

وإذا جئنا إلى علم الحديث، فلم يكن هناك أحداً أقرب إلى رسول الله من علي، الذي أخذ الحديث غصاً طرياً من مصدره ونبوعه، وعرف مكنونه ومدلوله مباشرة من نبيه الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم. يقول ابن أبي الحديد بهذا الصدد:

«ذهب أكثر أهل الحديث إلى أنه عليه السلام أول الناس إتباعاً لرسول الله صلى عليه وآله وإيماناً به، ولم يخالف في ذلك إلا الأقلون. وقد قال هو عليه السلام: أنا الصديق

(1) ابن أبي الحديد، م . س . ج 1، ص 20، 28.

(2) ن . م، ص 28 و 29 و 30 و 31.

(3) ن . م.

الأكبر، وأنا الفاروق الأول، أسلمت قبل إسلام الناس، وصليت قبل صلاتهم. ومن وقف على كتب الحديث تحقق ذلك، وعلمه واضحاً. وإليه ذهب الواقدي، وابن جرير الطبري، وهو القول الذي رجحه ونصره صاحب كتاب الإستيعاب⁽¹⁾.

أما عن علم القراءات فيقول ابن أبي الحديد عنها:

«وإذا رجعت إلى كتب القراءات وجدت أئمة القراء كلهم يرجعون إليه كأبي عمرو بن العلاء وعاصم بن أبي النجود وغيرهما، لأنهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه، وعنه أخذ القرآن، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً⁽²⁾».

وأما الفصاحة والبلاغة فيقول عنهما:

«فهو عليه السلام إمام الفصحاء، وسيد البلغاء، وفي كلامه قيل دون كلام الخالق، وفوق كلام المخلوق ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة⁽³⁾».

وفي هذا الصدد ينقل الشيخ بهاء الدين محمد العاملي، عن كتاب الجواهر ما أورده أبو عبيدة بن الجراح عن بلاغة الإمام علي، قوله:

«إرتجل علي بن أبي طالب تسع كلمات قطعت أطماع البلغاء، عن واحدة منها ثلث في المناجات، وثلث في العلم، وثلث في الأدب، فأما التي في المناجات، فقوله كفاني عزا أن تكون لي ربا، وكفاني فخرا أن أكون لك عبدا، انت لي كما احب فوقفني لما تحب».

وأما التي في العلم فقوله المرء مخبوء تحت لسانه، ما ضاع إمرؤ عرف قدره، وتكلموا تعرفوا. وأما التي في الأدب فقوله أنعم علي من شئت تكن أميره، وأستغن عن شئت تكن نظيره، وأحتج إلى من شئت تكن أسيره⁽⁴⁾.

وعن فكر وبيان وروح الإمام علي، فحين سئل المفكر والأديب الكبير ميخائيل نعيمة عن الإمام علي، خص ذلك قائلاً:

«ورأيت أنه - من بعد النبي - سيد العرب على الأطلاق، بلاغة وحكمة وتفهما للدين

(1) ن . م .

(2) ن . م .

(3) ن . م .

(4) العاملي، الشيخ بهاء الدين محمد، الكشكول، (مطبعة الحكمة، قم، لا . ت)، ج 3، ص 397.

وتحمسا للحق، وتساميا عن الدنيا. فأنا ما عرفت في كل من قرأت لهم من العرب، رجلا دانت له اللغة، مثلما دانت لأبن أبي طالب، سواء في عظاته الدينية، وخطبه الحماسية، ورسائله التوجيهية. أو تلك الشذور المقتضبة التي كان يطلقها من حين لحين، مشحونة بالحكم الزمنية والروحية، متوهجة ببوارق الأيمان الحي، ومدركة من الجمال في البيان حد الأعجاز. إن عليا لمن عمالقة الفكر والروح والبيان في كل زمان ومكان»⁽¹⁾ . .

أما حديث ابن أبي الحديد عن لمع من فضائله ومكارم أخلاقه والتي أغنى بها النفوس، والحضارات، فله دلالات ومعاني عميقة، إذ يقول:

«وما أقول في رجل تعزى إليه كل فضيلة وتنتهي إليه كل فرقة وتتجاذبه كل طائفة، فهو رئيس الفضائل وينوعها، وأبو عذرها، وسابق مضمارها، وجلي حليتها، كل من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، وله إقتضى، وعلى مثاله إحتذى»⁽²⁾ . .

وعن الرأي وسداده والتدبير ونفاذه فيقول فيه:

«وأما الرأي والتدبير فكان من أسد الناس رأيا، وأصحهم تدبيرا»⁽³⁾ . .

وعن السياسة وضلوعه المبدئي فيها يقول فيه:

«وأما في السياسة فإنه كان شديد السياسة، خشنا في ذات الله»⁽⁴⁾ . .

وعن علي والعدالة الاجتماعية، يقول جرداق:

«أما العدالة الاجتماعية التي تساوي بين الناس في كل حق وكل واجب، وتهدف إلى إقامة مجتمع يعيش أبناؤه كل أبنائه في نعيم، فهي أساس في كل بناء قومي سليم، وغاية من غايات كل قومية صحيحة. وقد عمل علي بقلبه الكبير على رعاية هذه العدالة، ففداها بدمه وأشهد التاريخ بأن العرب يستطيعون أن يكونوا في طليعة الناس، إيمانا بالعدالة، ودفاعا عنها، وموتا في سبيلها. وكان له في أيامه تلاميذ، وأنصار وأعوان، مشوا على خطاه وماتوا لما مات له، ليسمو الشخصية العربية بطابعها الإنساني السليم»⁽⁵⁾ . .

(1) جرداق، م . س، ص 28، 29.

(2) ابن أبي الحديد، م . س.

(3) المصدر السابق.

(4) ن . م.

(5) جرداق، م . س، ص 93، 94.

أما في الفلسفة فقد كان في صميمها، ومن نماذجه، حديث له مع حبر من احبار اليهود، ينقله العامل، حيث يقول الإمام علي:

«ما إعتدل طباعه، صفى مزاجه. ومن صفى مزاجه قوى أثر النفس فيه، وسمى إلى ما يرتقيه. ومن سمي إلى ما يرتقيه فقد تخلق بالأخلاق النفسانية. ومن تخق بالأخلاق النفسانية، فقد صار موجودا بما هو إنسان، دون ان يكون موجودا بما هو حيوان، ودخل في الباب الملكي، وليس له عن هذه العانة من مغير فقال اليهودي: الله اكبر يابن ابي طالب، لقد نطقت بالفلسفة جميعها»⁽¹⁾.

ولالإمام علي باع طويل في الحساب والرياضيات، ومن نماذجه أنه:

«دخل يهودي على علي عليه السلام وقال: إخبّرني عن عدد يكون له نصف وثلث وربع وخمس وسدس وسبع وثمان وتسع وعشر ولم يكن له كسر. فقال علي عليه السلام إن أخبرتك تسلم؟ قال نعم. فقال عليه السلام: إضرب أيام إسبوعك في ستك. فكان كما قال، فلما تحقّق المسألة وصحتها ولم يكن فيها كسر؛ فأسلم»⁽²⁾.

ويحدثنا العقاد عن عسكرية الإمام، فيقول:

«إن فن الإمام العسكري، هوفن البطل المغوار الذي يناضل الأفراد، وينفع الجيش، الذي هو فيه بقدوة الشجاعة، وإذكاء الحماسة، وتعزيز الثقة بين صفوفه، وإنه يعرف كيف يكون الهجوم، حيث يجب الهجوم، وكيف يحتال على عدوه بما يخلع قلبه ويفت فيعضده. إنّه كان يقسم جيشه إلى ميمنة وميسرة وقلب وطلية ومؤخرة، وأشباه ذلك من التقسيمات التي جرى عليها في وقعة صفين على التخصيص»⁽³⁾.

ويعزز العقاد رأيه، بوصايا الإمام عن طرق الحرب وأحاييلها، ومنها:

«إذا نزلتم بعدو أو نزل بكم، فليكن معسكركم من قبل الأشراف وسفاح الجبال، أو أثناء النهار، كيما يكون لكم رداء، ودونكم رداء، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو إثنين، وأجعلوا لكم رقباء في صياصي الجبال ومناكب الهضاب، لثلا يأتكم العدو من مكان مخافة أو امن، وأعلموا أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة كلايعهم،

(1) العامل، م . س، ج3، ص 415، 416.

(2) التستري، الشيخ محمد تقي، قضاء أمير المؤمنين (ط 5، منشورات الشريف الرضي، المطبعة

الحيدرية، النجف، 1408هـ)، 121، 122.

(3) العقاد، م . س، ص 205 - 208.

ولياكم والتفرق، فإذا نزلتم فأنزلوا جميعا، وإذا ارتحلتم فإرتحلوا جميعا، وإذا غشيتكم الليل، فأجعلوا الرماح كفة - أي محيطة بكم - ولا تذوقوا النوم إلا غراراً أو مضمضة»⁽¹⁾ . . .

ويختتم العقاد مقالته بالإشارة لما جمع به الإمام من أصدقاء، فيقول: «وخلصه ذلك كله، أن ثقافة الإمام هي ثقافة العلم المفرد، والقمة العالية بين الجماهير، في كل مقام. وإنها هي ثقافة الفارس المجاهد في سبيل الله، يداول بين القلم والسيف، ويتشابه في الجهاد بأسه وتقواه، لأنه بالبأس زاهد في الدنيا، مقبل على الله، وبالتقوى زاهد في الدنيا، مقبل على الله، فهو فارس يتلاقى في الشجاعة دينه ودنياه، وهو عالم يتلاقى في الدين والدنيا، بحثه ونجواه»⁽²⁾ . . .

وينقل العقاد بعض الآراء منهم للفيلسوف الأنكليزي كارليل، قوله في علي: «أما علي، فلا يسعنا إلا ان نحبه ونتعشقه، فإنه فنى شريف القدر، عالي النفس، يفيض وجدانه رحمة وبراً، ويتلظى فؤاده نجدة وحماسة. وكان أشجع من ليث، ولكنها شجاعة ممزوجة برقة ولطف، ورأفة وحنان»⁽³⁾ . . .

وللباحث الفرنسي البارون كاراديفو قوله في فروسية وجهادية علي: «وحارب علي بطلا مغواراً إلى جانب النبي وقام بمآثر معجزات، ففي موقعة بدر كان علي وهو في العشرين من عمره، يشطر الفارس القرشي، شطرين بضربة واحدة من سيفه. وفي أحد تسليح بسيف النبي ذي الفقار، فكان يشق المغافر بضربات سيفه، ويخرق الدروع»⁽⁴⁾ . . .

وللأديب الكبير جبران خليل جبران حديثاً عن كنه روح الإمام علي يقول: «في عقيدتي إن ابن أبي طالب كان أول عربي لازم الروح الكلية وجاورها وسامرها. وهو أول عربي تناولت شفتاه صدى أغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل، فتأهوا بين مناهج بلاغته، وظلمات ماضيهم، فمن أعجب بها كان إعجابه موثقاً بالفطرة، ومن خصمه كان من أبناء الجاهلية مات شأن الأنبياء الباصرين، الذين يأتون إلى بلد ليس ببلدهم، وإلى قوم ليس بقومهم وزمن ليس بزمنهم، ولكن لربك شأناً في ذلك، وهو أعلم»⁽⁵⁾ . . .

(1 - 3) العقاد، م . س، ص 205 - 208.

(4) ن . م، ص 236. نقل عن: «مفكر الإسلام» للبارون كارا ديفو - باللغة الفرنسية - ج5، ص 1، 2.

(5) ن . م، ص 236.

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب، بل كان للمبادئ الأخلاقية من حلم ومروءة وسخاء وزهد وإيثار شرعة في منهجية الإمام علي لا تقل عما سبقها في مختلف العلوم السالفة، وكان عليه السلام يجهد كثيرا في تجسيدها على نفسه أولا في إطار التطبيق والممارسة، مستهدفا تعميقها في وجدان وضمير الأمة، لأن مبادئ مكارم الأخلاق عنده ركن ملازم للعقيدة المحمدية، وتمام لأركان حضارة الأمة.

ولله در الشاعر الذي قال:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هموا ذهب أخلاقهم ذهبوا

أما إستشارته كرم الله وجهه، والأخذ منه والأستئناس برأيه فقد شملت القاضي والداني، منهم على وجه الخصوص: الخلفاء الراشدون الثلاثة رضوان الله عليهم، الذين سبقوه، وقد ضمت مدرسة الخلافة ثلاثة وعشرين من صحاحها ومصادرها، تناولت تلك الأستشارات. ولله در الشاعر الذي صور لنا مسيرة الإمام علي، على انها حضارة رجل في أمة، بما فيها من أصدقاء، أبرع تصوير، وأدق تحديد:

جمعت في صفاتك الأضداد	ولهذا عزت لك الأنداد
زاهد حاكم حليم شجاع	فاتك ناسك فقير جواد
شيم ما جمعن في بشر قط	ولا حاز مثلهن العباد
خلق يخجل النسيم من اللطف	وبأس يذوب منه الجماد
جل معنك أن يحيط به الشعر	ويحصي صفاتك النقاد

وهكذا شكلت هذه المسيرة الحضارية لما حوته من أصول فقهية، ومبادئ دينية، ومواقف علمية، وأبعاد عقائدية، ومضامين أخلاقية، وأساليب تربوية، ركنا أساسيا في حضارة الأمتين العربية والإسلامية، والتي إنعكست آثارها عبر مفاصل زمنية مختلفة على الحضارات الإنسانية. ونحن حين أفردنا هذا الفاصل من الحديث عما قدمه وخلفه إمام المتقين علي بن أبي طالب عليه السلام، من تراث علمي وفكري ومبدئي وجهادي وأخلاقي، إنما جاء من خلال حقائق الأمور كما أسلفنا، وليس من خلال العواطف أو الأتساب. وإن المدرسة الحضارية التي تركها الإمام وهي في حالة من الرقي والبعود، ما جعلها من أمهات المدارس الحضارية السالفة منها والشاخصة، على المستويين العربي والإسلامي. وإن هذه الحقائق لتؤكد لنا بما لا يقبل الشك والتأويل أن التراث الذي خلفته عبقرية الإمام علي كان وما زال وسيبقى يمثل بحق (حضارة أمة في رجل) إستطاع بها الإمام ترجمة وتجسيد المفاصل الأساسية التي وردت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وليس بمعزل عنهما، بل في صلبهما وعمقهما الإنساني والحضاري، التشريعي منه والفقهية، إضافة

للمجاهدي والأخلاقي والمبدئي. وهذا لعمرى يعتبر حالة متفردة⁽¹⁾. في كل المقاييس عبر التاريخين العربي والإسلامي. وإذا ما وقفنا مقيمين هذا الصرح نلاحظ ان عطاء هذه المدرسة وبهذا المستوى من التوهج وعلى مدى الاربعة عشر قرنا المنصرمة، قد شكلت دليل عمل مادي مستمر في الأمة اراد لها الله عز وجل الخلود برجالاتها. وإذا كان نهج البلاغة لوحده من أبرز أدلة العمل المادي المتفاعل والمتواصل في كيان الأمة العربية والإسلامية والأنسانية، فإن ماتركه الأئمة من ولد الإمام من تراث فكري رائد عبر تلك الحكم والمواعظ والأدعية الهادفة، حالة مضافة متكامل ونهج البلاغة. ووقفة إستدراك لا بد من إضافتها لتكتمل الصورة تتلخص بمقولة مفادها؛ إذا كانت عبقرية الإمام علي كرم الله وجهه تعد (حضارة أمة في رجل)، فإن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام. الملقب بالصادق. قد أطر هذه الحضارة بإضفاءات علمية إنعكست آثارها هي الأخرى، سواء على الحضارة العربية أو الإسلامية أو العالمية، وبالخصوص في علوم، الطب والكيمياء والنجوم والفلك ومختلف العلوم الأخرى والتي كان له فيها مناظرات مثبتة في بطون الكتب⁽²⁾. ولعل أبرز ما تمخض عن هذه المدرسة الرائدة من تأثيرات مباشرة هو قيام شيعة العراق العرب بتأسيس الحوزات العلمية الدينية منذ ألف عام، بدءا من مدينة بغداد فالنجف فالحلة فكريلاء فسامراء فالكاظمية، والتي تعتبر بحق إمتداد طبيعي لتلك المدرسة الرائدة. فهي بحق الوليد الطبيعي لمدرسة الإمامة، والتي أصبحت من منطلق العلم والمعرفة مشاعل نور وهداية لعشرات الآلاف من طلبة العلم والمعرفة، ومن مختلف الجنسيات، وهو ما عزز موقع العراق الثقافي والحضاري.

الثاني: عهد إزدهار الدولة العباسية في بغداد:

وهو الذي لعب فيه العراق دورا مؤثرا وواضحا، على حضارات الأمم، وحين نتعمق في دورة الزمن وتأثيراتها، نلاحظ بجلاء أن حالة الإزدهار تلك لم تكن بمعزل عن تأثيرات «الفاصل الزمني الأول»، على عهد خلافة علي في الكوفة، بإعتبار أن مدرسة الإمامة ضمت مختلف العلوم والمعارف ومكارم الأخلاق. وحتى حالة التنوع المعرفي التي حصلت في عهد الدولة العباسية ببغداد، فإن لوجود الإمام جعفر الصادق عليه السلام ردحا من عمره الشريف سواء في كوفة جده علي، أو في بغداد العباسية، قد ساهم مساهمة مؤثرة. في حالة التنوع التي حصلت على عهد الدولة العباسية. وقد أشرنا فيما تقدم كيف أن هناك أكثر من أربعة

(1) والمتفرد كما وجدناه في المنجد العربي هو : (الذي لا نظير له).

(2) المظفر، م. س، ج1، ص 135 - 220. الذي إستشهد بعشرات المصادر والمراجع.

آلاف عالم وفقه كلهم يقول: حدثني جعفر بن محمد، وبالتحديد حين كان الصادق في الكوفة. ويشير أحمد أمين إلى تلك الحقبة قائلاً:

«في الحق أن العراق في ذلك العصر كان أهم مراكز الحياة العقلية، في فروع العلم والفن، من تفسير وحديث وفقه، ومن لغة ونحو وصرف، ومن ترجمة كتب فلسفية، وجد في تفهمها والتعليق عليها، ومن مذاهب كلامية، ومن علوم طبية ورياضية، ومن غناء وموسيقى، ونقش وتصوير، ومن تأليف في كل هذه العلوم والفنون»⁽¹⁾ . . .
وقد تجاوزت أهمية العراق الحضارية للأمتين العربية والإسلامية، إلى العالم أجمع، وهو ما يشير إليه أيضاً أحمد أمين، بقوله:

«أصبحت بغداد بعد قليل من تأسيسها أهم مركز للحضارة والثقافة في المملكة الإسلامية، بل في العالم كله. وهكذا كان العراق من أسبق الأقاليم مدنية وعمرانا، وكانت مدنيته منارا يلقي أشعته على ما حوله من البلدان»⁽²⁾ . . .

ومهما يكن من أمر فإن تحليل الدولة العباسية وفتتها، أدى إلى موجات من الإحتلال الأجنبي للعراق، يصفها لنا حسين جميل فيقول:

«في سنة 656 هـ (1258م) إجتاحت العراق هجمة سوداء حين أطفأ هولاءكو وجيشه المغولي نور الحضارة، الذي أنار من بغداد أصقاعا عديدة من هذا العالم قرونا عديدة. وبعد المغول جاء فاتحون آخرون ومع كل فاتح ظلمه وظلامه وطالت ظلمات ليل الإحتلال الأجنبي للعراق قرونا»⁽³⁾ . . .

ولم يكن قيام الدولة العثمانية التي نعتت بالإسلامية، عامل خلاص للعرب المسلمين من معاناتهم، التي تعرضوا لها على أيدي التتار، لأن قيام الدولة العثمانية كان على أساس عنصري، حين حصر مبدأ السلطنة في العنصر التركي، دون إشراك العرب المسلمين بمثل هذا الحق، وهذا بالأساس مايشكل حالة خرق للقاعدة المعمول بها على مدى الحكم الإسلامي، منذ صدر الإسلام الأول، الذي مثله الخلفاء الراشدون، وفي الدولة الأموية سواء في دمشق أو الأندلس، وحتى زوال آخر سلاطين الدولة العباسية في بغداد. هذه القاعدة التي تؤكد أحقية حصر الخلافة بالعرب القريشيين، وفحوى القاعدة إنما جاء من قوله ﷺ: «الخلفاء من قريش»⁽⁴⁾ . . .

(1 - 2) أمين، م . س، ج 2، ص 77، 174، 179.

(3) جميل، م . س، ص 14.

(4) البخاري، كتاب الأحكام. فإذا ما نظرنا من زاوية إنتسابية كون أن الخلفاء من قريش، كما في =

ومن هذا المفهوم شكلت الحالة العثمانية منذ قيامها خروجاً على الناحية الحكيمية الصريحه، لقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: 7] . .

وهكذا ظل العراق ضمن ولايات وأمصار الدولة العثمانية، خاضعا لحكمها ما يقارب الأربع قرون من الزمن، منذ إحتلاله من قبل سليمان القانوني عام 1534م⁽¹⁾ وحتى نهاية الحرب العالمية الأولى وتسوياتها المعروفة. ورغم طول معاناة العراقيين، إلا أن أنتهاء الحرب العالمية الأولى، وما ترتب عليها من خسارة الدولة العثمانية الحرب، التي دخلتها بجانب الألمان ضد دول الحلفاء. جاءت تسويات الحرب لتزيد من معاناة العراق وشعبه، حين أحتلت ولاياته الثلاث، البصرة وبغداد والموصل، ما بين 1914-1918م، من قبل البريطانيين. وإستطاعت بريطانيا أن تنتزع حق الأنتداب على العراق من عصبة الأمم المتحدة في 25 نيسان عام 1920م. ورغم حصول العراق على إستقلاله عام 1932م، إلا أن البريطانيين ظلوا يتمتعون بإمتيازات غير عادية بموجب معاهدة 1930م الجائرة، حتى قيام ثورة 14 تموز عام 1958م.

بعد هذا الإستعراض الموجز عن تاريخ إزدهار العراق، في العهد العباسي، وما آل إليه من ضعف مما عرضه للأحتلال، بدءا الأحتلال المغولي عام 1254م، ومن ثم الإحتلال العثماني عام 1534م. وأخيرا الأحتلال البريطاني الذي بدأ عام 1914م، مرورا بقيام الدولة العراقي الحديثة عام 1921م. وسوف نقف على بعض هذه المحطات بما يتصل ببحثنا، كل في مكانه. ولعل من أهم الأدلة العلمية في القرن العشرين، والتي توضح حقيقة الأهمية العلمية التي فجرتها (مدرسة الإمامة) لخدمة الإنسانية، هو عقد (دورة عالمية) في جامعة (ستراسبورغ الفرنسية)، من قبل قسم الدراسات المتخصصة في الأديان، والتي شارك فيها نخبة من علماء الأستشراق وعلماء وأساتذة الجامعات العربية والإسلامية والأوربية والأمريكية. وقد عقدت هذه الدورة في شهر مايو عام 1986م، لدراسة التاريخ العلمي والحضاري للشيعة الإمامية، وكان عدد المشاركين خمسة وعشرون بين عالم ومستشرق وأكاديمي متخصص، وتناول هؤلاء الأعلام علوم الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، والتي تشكل بحقيقة الأمر علوم (مدرسة الإمامة). وندرج أدناه ترجمة لأسماء الذين شاركوا

= الحديث الشريف، فهذا يعني بما لا يقبل الشك والتأويل صيرورة (عروبة الخلافة)، وهو الأمر الذي أخذت به المذاهب الحنبلية والمالكية والشافعية والجعفرية، وإختلفت معه المعتزلة والخوارج والحنفية والأترك، بإعتقادهم بعدم شرطية عروبة الخلفاء، فهم بذلك خالفوا السنة والأجماع.

(1) د. الوردى، علي، لمحات إجتماعية، (ط2)، كوفان للنشر، لندن، (1993)، ج1، ص33.

في هذه الندوة لغرض بيان مستوى الباحثين العلمي من شرق وغرب في هذا المجال:

- 1 - البروفسور آرمان آبل Prof. Armand Abel، استاذ بجامعةتي بروكسل وكان ، في بلجيكا.
- 2 - البروفسور جان أوبان Prof. Jean Aubin، استاذ بجامعة السوربون في باريس .
- 3 - البروفسور روبرت برانشفي Prof. Robert Branschvie، استاذ بجامعة السوربون في باريس سابقاً.
- 4 - البروفسور كلود كاهن Prof. Claude Cahen، رئيس قسم الدراسات التاريخية، وأستاذ في جامعة السوربون في باريس .
- 5- البروفسور أنريكو جيرللي Prof. Enrico Gerulli، أستاذ الدراسات الشرقية، ونائب مدير المجمع العلمي الإيطالي في روما.
- 6 - البروفسور هنري كوران Prof. Henry Corain، رئيس كرسي الإسلاميات، وأستاذ الدراسات الإسلامية بمدرسة الدراسات العليا بجامعة باريس سابقاً.
- 7 - البروفسور توفيق فهد Prof. Tufic Fahd، أستاذ بجامعة ستراسبورغ، فرنسا .
- 8 - البروفسور فرانثيسكو غبريال Prof. Francisco Gabrielle، كبير أساتذة اللغة العربية وآدابها، في جامعة روما بإيطاليا.
- 9 - البروفسور ريشار غرامليون Prof. Richard Gramlion، أستاذ بجامعة هامبورج في ألمانيا.
- 10 - الأستاذة آن لامبتون Prof. Ann M.S. Lambton، مديرة معهد الدراسات الشرقية، والأستاذة فيه بجامعة لندن في إنجلترا.
- 11 - البروفسور جرار لو كنت Prof. Gerard Lecomte، الأستاذ بقسم الإسلاميات، ومعهد اللغات في باريس بفرنسا.
- 12 - البروفسورة إيفون لينان دي بيليفون Prof. Yvon Linatd De Bellefonds، مديرة معهد الأبحاث العلمية في باريس بفرنسا.
- 13 - البروفسور ويلفريد مدلونك Prof. Wilferd Madlung، استاذ في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الأمريكية.
- 14 - البروفسور هنري ماس Prof. He nry Masse، مدير قسم الدراسات الشرقية وأستاذ هذه الدراسات في جامعة ستراسبورغ في فرنسا.

- 15 - الدكتور سيد حسين نصر؛ استاذ بجامعة طهران ورئيس الجمعية الفلسفية في إيران سابقاً.
- 16 - البروفسور جورج ويدا, Prof. Georges Vadja, استاذ في جامعة ليون بفرنسا.
- 17 - البروفسور شارل بلا Prof. Charles Pella؛ استاذ في جامعة السوربون في باريس بفرنسا.
- 18 - الإمام السيد موسى الصدر؛ رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان.
- 19 - البروفسور روبرت أرنالديز, Prof. R. Arnaldez, استاذ في جامعة ليون في فرنسا.
- 20 - البروفسور ألياش Prof. Aliash, استاذ في جامعة كاليفورنيا بلوس أنجلوس في الولايات المتحدة الأمريكية.
- 21 - الأستاذة دورن هينج كليف, Prof. Dovn Hingkelif, استاذة في جامعة لندن في إنجلترا.
- 22 - البروفسور فريتزيمير Prof. Fraitzimie, استاذ في جامعة بال في سويسرا.
- 23 - البروفسور جوزيف مانوز, Prof. Joseph Manouse, استاذ في جامعة فريبورغ في ألمانيا الغربية.
- 24 - البروفسور هانس مولر, Prof. Hence Mouler, استاذ في جامعة فريبورغ في ألمانيا الغربية.
- 25 - البروفسور هانس رومر Prof. Hence Romer (1).
- تم خلال هذا المؤتمر طرح الموضوعات التالية وفق اختصاصات اساتذتها:
- 1 - الموضوعات الإلهية مثل: نشأة الكون، خلق الإنسان، الموت والفناء.
 - 2 - الموضوعات العلمية مثل: الطب، الكيمياء، الهيئة والنجوم، كروية الأرض، نظرية الضوء، البحث العلمي، التجديد والتطور، نسبة الزمن، البيئية، حركة الموجودات.
 - 3 - الموضوعات الأنسانية مثل: اللغات، الفلسفة، الحكمة، الشك واليقين، التدوين، التاريخ، الأدب، العلوم العرفانية.
 - 4 - الموضوعات السياسية مثل: السياسة، حرية التعبير، الرأي والرأي الآخر.

(1) مستقاة من كتاب عن الدورة بعنوان: الأمام الصادق كما عرفه علماء الغرب، (ط1، مؤسسة الوفاء، بيروت، 1986م)، ص 21 - 28، تر: نور الدين آل علي.

المبحث الثاني: الأهمية الدينية والتراثية:

إن الأهمية الدينية والتراثية للشيعة والسنة في العراق تنبع من مصدرين بارزين يمكن وضعهما وفق ما يلي:

المصدر الأول:

أن العراق كما تحدثنا عنه في الفصل الأول هو محيط التشيع، وزاد من أهمية حالة التشيع، أن مدنه الدينية المقدسة النجف، و كربلاء، والكاظمية، وسامراء، وكذلك بغداد، قد ضم ثراها مجموعة كبيرة من (مراقد) أئمة ورجالات الشيعة الإمامية. أن تلك المراقد تضم أحداث ستة من أئمة الشيعة الإمامية الأثنا عشرية، ومراقد لأضرحة مجموعة من الرواد الأوائل المتشيعين للإمام علي، وهم من أصحاب النبي محمد ﷺ، وكذلك مراقد لمجموعة من الشهداء، سواء منهم من آل علي أو أصحاب وأتباع وشيعة الإمام الحسين، الذين قتلوا معه في واقعة الطف في كربلاء، وقد دفنوا جميعاً في هذه المدينة المقدسة، وهناك مراقد أضرحة النواب الأربعة، وهم نواب خاتم الأئمة الأثنا عشرية «محمد بن الحسن العسكري (عليه السلام)». المعروف بالإمام المهدي المنتظر خروجه ليملاً الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت جوراً وظالماً، وهو ما تعتقده الشيعة الإمامية الأثنا عشرية به. وقد أشارت مجموعة من صحاح ومصادر مدرسة الخلافة لموضوع المهدي، تقدر بعشرين من صحاح ومصادر وبصور مختلفة ولكنها متقاربة. وفي ضوء ما ذلك ترسم معالم الحوزة العلمية وفق أسس يمكن طرحها لاحقاً. فمن حيث أن أصبحت النجف المحطة التي أختارها الشيخ الطوسي، محمد بن الحسن بعد عام من سيطرة السلاجقة على بغداد عام 449 هـ، وكانت مرتعاً خصباً لنشاطه العلمي، حيث قضى بقية حياته فيها، والتي إمتدت على مدى إثنتي عشرة سنة من العطاء الذي تركز على بناء المؤسسة الدينية الشيعية، وتربية جمهرة من الفقهاء زخرت بهم مؤسسة الطوسي العلمية. وظلت النجف تشكل في واقع الحال المظلة الروحية، للحوزات الدينية الشيعية في العراق وغيره رغم إنتقال الحوزة لفترات زمنية متفاوتة، إلى الحلة من أوائل القرن الثالث عشر إلى أوائل القرن الخامس عشر الميلادي، أي بين القرن الثامن إلى القرن الألف الهجري، وهو فاصل زمني مهم في عمر هذه المؤسسة. ثم إنتقلت إلى كربلاء من حوالي 1737 إلى 1797م ميلادي، وكما كان لبغداد البدايات الأولى وللحلة وكربلاء أدوار متممة، فإن سامراء هي الأخرى لم تكن بعيدة عن ذلك، لاسيما حين إنتقل إليها الإمام الأكبر محمد حسن الشيرازي، وإستقر فيها بين عام 1875م إلى 1895م ميلادي⁽¹⁾.

(1) د. الفضلي، عبد الهادي، دليل النجف الأشرف، (النجف، 1960. 1966)، ص 40. 45. =

وإضافة للمؤسسة الحوزوية الدينية العلمية الشيعية، كانت هناك في النجف عدة مدارس دينية، يشير لها أحد الباحثين فيقول:

ويشير من جانب آخر، أن النجف كانت مقرا للمجتهد الشيعي الأكبر فيقول؛ وكانت في أغلب الأحيان مقر المجتهد الشيعي الأكبر، الذي يتسلم تبرعات كبيرة⁽¹⁾ من الأتباع الشيعة في أنحاء العالم الإسلامي⁽²⁾ . . .

كما ويشير إلى النجف كونها مدينة جذب للزوار فيقول:

«ويوجد في النجف مرقد علي بن أبي طالب، مجتذبة به الكثير من الزوار الشيعة»⁽³⁾ . . .

ويتحدث هذا الباحث أيضا إلى قدسية الدفن في تربة هذه المدينة فيقول:

«وأعتبرت مقبرة المدينة الكبيرة (وادي السلام) أقدس وقمة ما يتمناه المرء من الأماكن للدفن فيها بين المؤمنين الشيعة»⁽⁴⁾ . . .

ووقفه تقييم لمدينة النجف في عيون الأجانب كما جاء في هذا تقرير:

«وكانت الأبرز بين مدن العتبات المقدسة هذه مدينة النجف، التي أخذت منذ أوائل القرن العشرين تمارس تأثيرا دينيا وسياسيا هائلا يتخطى حدود العراق بكثير، وإذ تقع النجف على بعد حوالي 120 ميلا جنوب بغداد، فإنها أفلتت من السيطرة الحكومية الفعالة طيلة شطر كبير من العهد العثماني، وتجسد وضعها شبه المستقل، وصورتها الذاتية، بوصفها العصب المركزي للعظيم للعالم في تصوير الشيعة والكتاب الغربيين لها، على أنها قلب العالم وأنها عالم في مدينة وملتقى كل أخبار العالم»⁽⁵⁾ . . .

وحين نقف على ريادة هذه المدينة المقدسة نرى أن ريادتها لم تقتصر على مدن العراق بل تعدتها لتشمل مدن العالم الإسلامي، حين آل إليها موقعها الديني والتراثي والعلمي من تأثيرات كبيرة على حضارة الأمم الأخرى، إضافة لما آل إليها موقعها التاريخي والسياسي من

= الشاهرودي، نورالدين، تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، (بيروت، 1990)، ص 134.122.
النجفي، محمد حسن؛ جواهرالكلام في شرح شرايع الإسلام، (ط6، بيروت، 1985)، المقدمة: ص 8، 9.

(1) المجتهد الأكبر لا يتسلم تبرعات، إنما يتسلم حقوق الخمس والزكاة والأنفاق الواجب، وهي فروض أمر الله بها أن تدفع من قبل كل مسلم ومسلمة، مستطيعين إلى ذلك سيلا.

(2 - 3) نقاش، المصدر السابق، ص

(4) ن . م .

Great Britain Administration Reports For 1918, Najif, Co 696-1. Thomas Lyell The Ins and Outo (5) Of Mesopotamia (London, 1923), 21 - 22.

أهمية وتأثير كبيرين على مجمل أحداث المنطقة محليا وإقليميا ودوليا، خلال هذا القرن. كي يتمتع الشيعة العرب في كنف هذه المدينة المقدسة، بالطمأنينة والأمان، بل وبالفخر والإعتزاز لكونها أصبحت هذه المدينة خلال القرنين الأخيرين، محط أنظارالعالم، فعدا ما يؤمها من ملايين الزوار والمدن المقدسة الأخرى فإن عشرات الآلاف أصبحوا يؤمون مدينة النجف لطلب العلوم العربية والأسلامية.

المصدر الثاني:

وهو يقابل المصدر الأول الذي تناولناه، ذلك أن العراق ضم هو الآخر أضرحة أئمة للسنة وبالخصوص ضريح، الفقيه أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضي الله عنه وهو صاحب المذهب (الحنفي) المشهور بإسمه، والذي يعتبر المذهب المعتمد الأول من بين المذاهب السنية الأربع، من قبل جمع كبير من المسلمين السنة المنتشرين في المعورة. إضافة لمرآد أربعة علماء دين آخرين هم كل من السيد عبد القادر الكيلاني، والسيد الرفاعي، والشيخ جنيد، والشيخ معروف الكرخي (رضوان الله عليهم). ولهذا كله نرى أن العراق أصبح ذو أهمية دينية وفكرية وتراثية لدى عامة الشعوب، وبالخصوص المسلمين من شيعة وسنة كما اصبه هذا النسبج الديني ذو التنوع المذهبي، والتميز التراثي الذي تمتع به العراق، حالة مهمة للإستقطاب والأهتمام الأممي، ونتمنى ان يصبح في حالة تألف وتآخي على المستوى القطري. في فترات الصراعات السياسية والمذهبية، نرى هناك حالة خصام وإقتتال على المستوى السلطوي وبالخصوص بين القطبين التركي المتسنن، والإيراني المتشيع، وقد جر هذا الصراع أفدح الأضرارعلى العراقيين، وبالخصوص الشيعة منهم وهو ما يقتضي الإشارة إليه بإختصار وفي مكانه المناسب.

المبحث الثالث: المعطيات التكوينية:

يمتلك شيعة العراق أهمية مركزية في الخارطة العراقية، تشكل معطيات وطنية على قدر كبير من الأهمية الأستراتيجية من الزوايا، الأقتصادية، والجغرافية، والسكانية، ويمكن ان نجمل هذه المعطيات بما يلي:

1 - إن جغرافية شيعة العراق تشمل مقطعا كبيرا من الخارطة العراقية المسكونة، ربما تجاوز ثلثها كما أسلفنا. فهي تبدأ من بغداد وتتجه بإتجاهين الأول يبدأ من جهة الغرب نحو الجنوب مرورا بمحافظات، بابل وكربلاء والنجف والديوانية والسماوة والناصرية فالبصرة. والثاني يبدأ من بغداد نحو الجنوب من جهة الشرق مرورا بمحافظات، ديالى والكوت والعمارة بالبصرة.

2 - إن مرور نهري دجلة والفرات عبر هذه المنطقة الجغرافية، مع تفرعاتهما، غطى سقي مساحة هائلة من الأراضي، تقدر بملايين الأفدنة، وهو ما حول ضفافهما وبعمق لا يستهان به إلى سهل مترامي الأطراف أصبح من أخصب الأراضي المعدة للزراعة، ومهيئ لمختلف المحاصيل الزراعية، وبالخصوص النخيل والقطن والحبوب. فبخصوص النخيل فإن العراق يعنبر من أغنى بلاد المعمورة، وكان العراق يمتلك ثلثي نخيل العالم، وإن منطقة زراعته تمتد حصراً بالرقعة الجغرافية التي أشرنا إليها، ولعل البصرة لوحدها تمتلك حصة الأسد منه أما زراعة القطن والحبوب وبالخصوص الرز فهي الأخرى موزعة على الرقعة الجغرافية، التي تقطنها شعبة العراق بالدرجة الأولى. حتى أن نسبة زراعته في منطقة الفرات الأوسط فقط تعادل الـ 40٪ من مجموع الإنتاج العام⁽¹⁾.

3 - وحين تتقدم الزراعة وتكثر المراعي في جزء ما من جغرافية البلد، تتقدم معها تربية المواشي والدواجن، ويتواكب معها سعة الإنتاج الحيواني، وكانت منطقة الوسط والجنوب، من أطراف بغداد حتى البصرة، زاخرة بالإنتاج الحيواني على إختلاف أنواعه ناهيكم ماتحويه الأنهار في هذه الرقعة الجغرافية الواسعة من ثروة سمكية لا تقدر بثمن. وقد كان العراق مصدر جيد للمنتجات الحيوانية كالجلود والأصواف إلى أوروبا. في وقت مبكر من هذا القرن.

4 - وإذا كانت في إيطاليا بلد السحر والعمارة، مدينة من صنع الإنسان الحضاري، يطلق عليها فينيسيا الغرب بنيت قنواتها المائية وعمائرهما من مواد البناء الحديثة، ففي جنوب العراق وبالخصوص في: البصرة والعمارة والناصرية، مجموعة من الأهوار التي أوجدتها الطبيعة الإلهية، فأستغلها الإنسان العراقي الجنوبي، وحولها كما أشار إلى ذلك د. مصطفى جمال الدين إلى فينيسيا العرب⁽²⁾. وفي رأينا أن تسميتها بفينيسيا الشرق تأتي في السياق المقابل لفينيسيا الغرب بتأثير أعمق إضافة لموسيقية لفظة الشرق وفينيسيا الشرق هذه تختلف من ناحية البنية التحتية في العمارة عن فينيسيا الغرب لأن الطبيعة ذاتها هي التي شكلت البنية التحتية في عمارة فينيسيا الشرق فمن حيث أن قصب البردي ينبت طبيعياً في مياهها وبكثرة، لذا جاءت البيوت المبنية من هذا القصب وهي

(1) الناهي؛ هيثم غالب؛ السياسة الدولية النووية واثرها على الشرق الأوسط؛ القدس العربي؛ 18 ديسمبر 1998.

(2) د. جمال الدين، مصطفى، كراس: محنة الأهوار والصمت العربي، (ط1، لندن، 1993).

تطفو على سطح مياه فينيسيا الشرق لتضفي بجمالها الطبيعي الخلاب جمالا أذا على طبيعتها الساحرة. ولم تكن فينيسيا الشرق كفينيسيا الغرب لها حدود ومساحة شبه ثابتة، بل هي أشبه ما تكون بالبحيرات المتناثرة، على أرض ربما تجاوزت عدة آلاف من الكيلو مترات المربعة، ووجودها لا يحده تاريخ فعمرها هو عمر العراق. وفينيسيا الشرق هذه كان من الممكن أن تكون أكبر مصدر سياحي، في المنطقة، زيادة على أنها كانت عبر تاريخها الطويل أكبر مصدر غذائي من الثروة السمكية والطيور الداجنة، التي كانت تسد حاجة الجنوب بأكمله، ويسوق الفائض منه إلى منطقة الوسط والشمال كما كانت واحدة من أكبر محطات الطيور المهاجرة والنادرة في العالم. وإن هذه المنطقة الأقتصادية الغنية بمواردها الطبيعية والسياحية، تعرضت وتعرض إلى عملية تجفيف منظمة، الهدف منها قتل الإنسان والطبيعة معا، بسبب الحقد المذهبي الأسود.

5 - إن وجود حواضر الأماكن المقدسة في كربلاء، والنجف، والكاظمية، وسامراء، وبغداد، قد أعطى هذه الأماكن أهمية كبيرة من الناحيتين، الروحية، والعلمية، فهناك مئات الآلاف من الزوار المسلمين، الوافدين على هذه الحواضر لغرض الزيارة، والتبرك. ولوجود الحوزات الدينية والمرجعيات والمنتديات، في هذه الحواضر، نلاحظ أن هناك عشرات الآلاف من طلبة العلم والمعرفة ومن العلماء والباحثين والآثاريين، يتقاطرون على هذه الحواضر، إما للدراسة فيها، أو للوقوف على معالم هذه الحواضر العلمية والثقافية والأثرية. وعدا ما يجلبه ذلك من التواصل الروحي والعلمي بما يعمق أهمية هذه الحواضر، على المستويين المذكورين، فهو يشكل دخلاً مالياً من العملات الصعبة، لا يستهان به، بالنسبة للدخل الوطني. ناهيك عما يدره من فوائد جمة لأصحاب المصالح المتنوعة من العراقيين الآلاف من الزوار المسلمين، الوافدين على هذه الحواضر لغرض الزيارة، والتبرك.

6 - إن العنصر البشري هو قيمة حضارية وإقتصادية كبرى، وإن الوجود الشيعي، الذي يشكل الكثافة السكانية الأكبر في العراق، كما تقدم الحديث فيه بشئ من التفصيل، يعتبر ركنا أساسيا في بناء البنى التحتية لكيان الدولة الحضارية، والإقتصادية، والتربوية، والعسكرية، والذي سنسلط الضوء عليها في مكانه من هذه الدراسة. وإذا كان لموقع الشيعة هذا الزخم من المعطيات السكانية والأقتصادية، إضافة للمعطيات الجهادية والسياسية التي سيأتي التفصيل فيها، فهناك أهمية تجمع الناحيتين الأقتصادية والأستراتيجية في آن واحد، من خلال المعطيات التالية:

أ - أهمية وجود الثروات الطبيعية في هذه الرقعة الجغرافية التي يعيش فيها شيعة

العراق، وبالخصوص النفط. ويبدو أن العراق يعتبر في الدراسات الأحداث، أكبر إستراتيجي نفطي في العالم، فإذا كان نفط الشمال ينضب خلال العقد الأول من القرن الحادي والعشرون، وإن نفط المملكة العربية السعودية، سينضب هو الآخر نهاية العقد الثاني من القرن القادم. إلا أن الأستراتيجي النفطي على المستوى المحلي وبخاصة في منطقة الوسط والجنوب ذات الكثافة السكانية الشيعية، كما تقدم الحديث عنها، سيتجاوز مدة النفاذ المخزون الأستراتيجي الأقليمي والدولي، فإنه سيمتد حتى النصف الثاني من القرن الواحد والعشرين. وهذا يؤكد أهمية الموقع الأستراتيجي لشيعة العراق على خارطة العراقية الأقتصادية.

ب - إن أهمية الموقع الذي يضم شيعة العراق، كما هو في تميزه في عمق خارطة العراق، فله تميز إستراتيجي آخر تميز به، كونه يشكل الأطلالة الوحيدة على البحر، وبالتحديد على الخليج العربي. والعراق لا يمتلك سوى هذه الإطلالة على البحر، ومما لا ريب فيه فإن لهذه الإطلالة أهمية كبرى من الناحيتين الأستراتيجية والأقتصادية، لبلد مثل العراق. وفي محصلة الأمر يشخص لنا: أن هذه المعطيات المتنوعة التي تمتع ويتمتع بها المكون الشيعي، وما صاحبها من مسيرة سياسية وجهادية عبر أحداث الأمة، خلال هذا القرن، والتي لعب فيها المكون الشيعي أدوارا ريادية كان من محصلتها قيام الدولة العراقية الحديثة. وأن دورهم الريادي هذا لم يقتصر على إقامة الدولة، إنما تجاوز ذلك إلى المساهمة المكثفة في تأسيس كل بناها التحتية، إلا أن هذا المكون رغم دوره الريادي في القيام والبناء، فقد حجب عنه التمتع بالنتائج التي أفرزتها هذه المعطيات، وبالخصوص في إطار الأضطلاع بأدوار رئيسية على مستوى إدارة الدولة السياسي، ولذلك أسباب ومسببات سنحاول تسليط الأضواء عليها من خلال فقرات البحث القادمة.



الباب الرابع العراق في دائرة الضوء الأجنبي

الفصل الأول: أهمية العراق الاستراتيجية والتغلغل الأجنبي

- المبحث الأول: أهمية العراق الاستراتيجية

- المبحث الثاني: محاولات التغلغل الأجنبي

الفصل الثاني: التنافس الدولي وتمرير المخططات الأجنبية

- المبحث الأول: التنافس بين الأجانب على المصالح

- المبحث الثاني: محاولات تمرير المخططات الاستعمارية

الفصل الأول

أهمية العراق الاستراتيجية، والتغلغل الأجنبي

المبحث الأول: أهمية العراق الاستراتيجية:

تحدث الكثير من الباحثين عن أهمية العراق الاستراتيجية، لذا نحاول المرور على بعض هذه الأحاديث، بما يعزز حديثنا عن أهمية الشيعة في هذه الاستراتيجية، وتأثيراتها السياسية والاقتصادية. وحين يكون الحديث عن مطلق العراق، فهو بحد ذاته حديث عن شيعة العراق، كون أن المكون الشيعي يشكل الثقل المركزي الأول بين مكونات الشعب العراقي، كما أثبتنا. وعليه فعن اهمية العراق الاستراتيجية في الربط بين الشرق والغرب من الناحيتين الإقتصادية والسياسية يقول لونكريج Longrigg:

«ولقد قدر الاستراتيجيون فيما بعد قيمته الاستراتيجية، بإعتباره الآن البلد الوحيد، الذي يتصل بالخليج العربي، بإعتباره بصفة عامة أكثر هو، الجسر التقليدي الذي يربط بين الشرق والغرب والطريق الاستراتيجي إلى الهند»⁽¹⁾.

ويورد لورد كيتشنر Lord Kitchanar حججه الإقتصادية بشأن السيطرة على العراق محاولاً أن يبرر المسألة الأقتصادية بما يؤدي إلى تحقيق مكسب سياسي لتوظيفه لخدمة المصالح الاستراتيجية للإمبراطورية البريطانية في الهند. اذ يقول بهذا الصدد:

«إن من الممكن إيراد حجة لضم بلاد الرافدين إلى الإمبراطورية، على أساس مواردها الزراعية الكامنة لا غير فالمعروف عموماً أن هذه المنطقة لا تحتاج سوى إلى الري والتطوير العلمي، لكي تصبح مرة أخرى واحدة من أخصب مناطق العالم وأكثرها إنتاجية بل الممكن حتى إيراد حجج أقوى على أساس أن هذه المنطقة وهي الآن قليلة السكان وغير منتجة إنما توفر مجالاً مثالياً للإستيطان الإستعماري لفائض السكان في الهند كما أن حيازتها ستساعد على حل مشكلة من أخطر المشاكل التي تواجهها حكومة الهند»⁽²⁾.

(1) لونكريج، م. س، ج 1، ص 21، 22.

(2) Cab. 42 - 2 No..10 March 16,1915.

ولم يقف المضطلعون البريطانيون على أهمية العراق الزراعية وحسب، فهناك من أثبت وجود ثروات نفطية، ربما تتجاوز أهميتها الاقتصادية أهمية الزراعة بمراحل عديدة، فقد ورد في تقرير لبعثة ألمانية من الخبراء بشؤون النفط، قامت في عام 1901م بمسح إستكشافي للنفط في العراق ما يشير إلى أن العراق ما هو إلا بحيرة من البترول⁽¹⁾. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق هو، أين موقع الشيعة العراقيين من هذه الأهمية الإستراتيجية التي يتمتع بها العراق؟ ونحن لانغالي إذا قلنا أن لشيعة العراق العرب ثقل مركزي في هذه الأهمية الإستراتيجية، وإن هذا القول ليس مجردا من الواقع، بل إنه يشكل الواقع بكل أبعاده ومضامينه، من حيث أن الرقعة الجغرافية للوجود الشيعي في العراق تعد ذات أهمية إستراتيجية كبرى، ليس للعراق فحسب بل للموقفين الإقليمي والدولي ولم تأت هذه الأهمية من فراغ إنما جاءت من كونها تمتلك مقومات البقاء والديمومة في داخلها، وهو ما سبق التفصيل فيه في الفصل الثاني من الباب الثاني، وبالتحديد ما تقدم أنحدث فيه في المبحثين، الأول والثاني.

المبحث الثاني: محاولات التغلغل الأجنبي:

حاول الأجانب وبطرق مختلفة، إيجاد منافذ وقنوات متعددة للتغلغل في العمق العراقي، وتثبيت مواقع متقدمة لهم تكون موطن قدم لوجودهم في العراق. فبخصوص الموقف الدولي فقد حاول إيجاد منافذ وقنوات متعددة إستغلها لهذا الشأن، منطلقا من زوايا عدة يمكن ادراج أهمها ادناه:

- 1 - الزاوية الدينية: وكانت هناك الحملات التبشيرية؛ ووقف أودي وهو وقف هندي لصالح المدن المقدسة الشيعية الكبرى المتمثلة بالنجف وكربلاء.
 - 2 - الزاوية الثقافية: وكانت هناك الحملات الأثرية وفتح المدارس والمؤسسات الثقافية وتعليم اللغات الأجنبية.
 - 3 - زاوية الخدمات الإجتماعية والإنسانية: كإنشاء المستشفيات والمستوصفات والكنائس وبعض المشاغل الحرفية.
 - 4 - الزاوية الاقتصادية: وكانت تتحدد بالسيطرة على المواصلات والنقل الداخلي والخارجي والحصول على إمتيازات التنقيب عن المعادن.
- نحاول هنا الوقوف على هذه المنافذ والقنوات التي إعتدتها الموقف الدولي، على

مستوى ولايات العراق الثلاث؛ البصرة وبغداد والموصل. فحين يستعرض لونكريج Longrigg ذلك يقول:

«أما بالنسبة إلى بريطانيا فإن العراق أو نصفه الجنوبي كان يؤلف جزءاً من مجال الاهتمام بالخليج العربي، الذي أنشأت فيه الدبلوماسية البريطانية طيلة قرنين من الزمن»⁽¹⁾. . . ويستطرد الباحث نفسه عن الأهتمامات البريطانية لتعزيز مواقعها في العراق، عن طريق المنافذ والقنوات التي حاولت إيجادها فيه فيقول:

«ولذلك كانت نسبة عالية من وسائل النقل في البصرة بأيدي البريطانيين بالإضافة إلى تسعة أعشار حمولة البواخر التي كانت تستعمل في ذلك الميناء»⁽²⁾. . .

وقد أعار البريطانيون أهمية كبيرة للحقوق الشرعية والتبرعات التي كانت ترد إلى العراق من الهند للعتبات المقدسة الشيعية ولمجتهداتها، وقد حرص البريطانيون على الإشراف عليها ووضعها بين أيديهم بصورة وأخرى كي يتمكنوا من إستغلالها للمساومات، لما يضمن لهم بعض المصالح، عن طريق شراء بعض الذمم المريضة. ويعقب على ذلك لونكريج Longrigg قائلاً:

«كان الحجاج⁽³⁾ الهنود يصلون بالآلاف لزيارة الأضرحة العراقية، وكانت الأموال التي تبرع بها مؤسسة الأودة يقوم بها المقيم البريطاني منذ عهد طويل»⁽⁴⁾. . .

وقد إهتم البريطانيون قبل غيرهم بالبحث والتنقيب عن الآثار، إضافة إلى إرسال البعثات التبشيرية، وإنشاء الكنائس. ويشير الباحث إلى ذلك قائلاً:

«البريطانيون هم طلائع الآثاريين الذين عملوا في العراق أمثال لايارد، ورولتسون، ولوفتس، وتايلر الذين جربوا العمل في أقدم فترة. ثم أعقبهم كل من، بدج، وكنغ في فترة متأخرة»⁽⁵⁾.

كما ويؤكد على قيام:

«جمعية التبشير الكنسية بإنشاء كنيسة الموصل فيما بعد»⁽⁶⁾. . .

(1) لونكريج، م . س، ص 21.

(2) ن . م، ص 21.

(3) إن الذين يقصدون الأماكن المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، ليسوا حجاجاً، إنما هم زواراً. وربما كان الباحث يقصد، أن الحجاج الهنود وهم في طريقهم للحج إلى بيت الله الحرام أو العودة منه يرجون على زيارة تلك الأضرحة المقدسة للترك.

(4 - 6) ن . م، ص 21.

علما بأن الأرساليات البريطانية، قد دعمت ماديا وسياسيا ومعنويا، من قبل القنصلية البريطانية في بغداد بصورة مباشرة. ويبين لويد جورج أهمية هذه الأرساليات التبشيرية كوسيلة في حفظ المصالح البريطانية في العراق بقوله:

«يجب أن ندرك بوضوح من وجهة النظر السياسية، أن وجود الإرسالية وعملها لهما أهمية عظيمة وبعيدة المدى»⁽¹⁾ . .

وفي تقرير يؤكد على ضرورة عدم التفريط بما تم تحقيقه، جاء فيه:

«ويبدو أن من غير المستحسن جدا التفريط بمثل هذه الوسيلة القوية من وسائل نشر الحضارة والنفوذ السياسي»⁽²⁾ . .

وعن أهمية هذه المنافذ للمصالح البريطانية، يقول لونكريج أن:

«المقيم البريطاني والقنصل البريطاني العام في بغداد، يراقبان كل هذه المشاريع، فإنهما كانا يرأسان هذه المؤسسات المهمة أكثر من أي من الممثلين الأجانب»⁽³⁾ . .

وحيث أن الغزو الفكري هو من أخطر المنافذ والقنوات التي تؤدي إلى تكريس المصالح الأجنبية، وحيث أن اللغة هي وسيلة التفاهم المثلى إضافة لكونها النافذة التي يطل منها الفكر الأجنبي، عمد البريطانيون إلى دعم إحدى المدارس اليهودية في بغداد لتدريس اللغة الأنكليزية عام 1906م. وهناك مدرسة كلدانية بدلت تدريس اللغة الفرنسية إلى اللغة الأنكليزية⁽⁴⁾. وقد إهتم البريطانيون إهتماما خاصا في نشر تعليم اللغة الإنكليزية، ويمكن أن نفهم ذلك بوضوح، من إشارة المقيم السياسي البريطاني في بغداد في يومياته، إلى هذا الأهتمام. إذ يقول:

«إنهم يفكرون بتحسين ما يقدمونه من تعليم الإنكليزية، وأظن أن أخبار تعاقد السر وليام ويلكوكس، قد جعلهم يبادرون إلى العمل فورا»⁽⁵⁾ . .

وفي نصيحة قدمها السير لاوثر Sir Lawther السفير البريطاني في تركيا لحكومته في رسالة مؤرخة في 25 حزيران عام 1913، يؤكد فيها على ضرورة الحفاظ على المصالح التي تحققت لبريطانيا في العراق؛ جاء فيه:

(1) لونكريج، م . س، ج1، ص21،7.

(2) F.O. 371/353/30070.

(3) لونكريج، م . س، ج1، ص 21، 22.

(4) د. العطية، المصدر السابق، ص 106، 107.

(5) F.O 371/561/44034.

«هل لي أن أبدي أن دوائر البريد في بغداد والبصرة التابعة للحكومة الهندية، يختل وضعها عن الدوائر الكائنة في تركيا والتابعة لحكومة صاحب الجلالة. وبالنظر لاحتمال إنحلال تركيا في نهاية الأمر، وتشكيل مناطق نفوذ أجنبية في أثناء ذلك يبدو أن من المرغوب فيه الاحتفاظ بمؤسساتنا، بل وحتى زيادة عددها في بلاد ما بين النهرين، وهي منطقة لنا فيها مصلحة كبيرة ومطامح أكبر. لهذا السبب أرى ألا يجري أي تعديل على دوائر البريد في بغداد، وأن يجري الاحتفاظ بكل حرص على جميع المؤسسات الأخرى التي هي عنوان مركزنا الرفيع هنا»⁽¹⁾.

ولم يقتصر الباحث تسليط الضوء على الموقف البريطاني فحسب، بل تجاوز إلى مواقف الدول الأخرى، ذات الإهتمامات المشابهة. وقد غطى تلك الإهتمامات، بما هو مطلوب، فبالنسبة لإهتمام الروس بالعراق الذي يبدو أنه جاء متأخرا نسبيا على الأهتمام البريطاني. يقول لونكريج Longrigg:

«ولقد جاء إهتمام روسيا بولايات العراق بعد إهتمام بريطانيا بوقت طويل، فالقنصلية التي أعيد إنشاؤها في بغداد سنة 1889، كانت تدرك على الأقل عن طريق جواسيس لها من الأرمن، إصرار روسيا على التغلغل في الأقسام الشمالية الغربية من فارس وحتى في الجبال الواقعة في أفضية ولاية الموصل ذاتها. أما بالنظر إلى المشروعات والآمال المتعلقة بمد نفوذ القيصر الروسي نحو أهداف أخرى، فإن الروس كانوا في العراق أقل نشاطا مما كانوا عليه في بلاد فارس»⁽²⁾.

ويستطرد لونكريج Longrigg بالحديث عن الحالة الفرنسية، فيقول:

«وشارك الفرنسيون جميع الآخرين في التعيينات القنصلية في العراق، وعلى الأخص تعيين قنصل لهم في البصرة، خلال القرن السابع عشر، وفي بغداد في القرن الثامن عشر. أما في سنة 1900 فلم يبق لديهم سوى نائب قنصل في بغداد، وكانت مصالحهم التجارية ضعيفة في الواقع، وأغراضه السياسية لا وجود لها إلا نادرا»⁽³⁾.

والملاحظ هنا أنه كان للفرنسيين أنشطة متنوعة في العراق، وهي وإن لم تظهر كونها منافذ للسيطرة، لكننا لا نستبعد كونها كانت متجهة لها، فالمستعمرون لا يمكن أن يقدموا

(1) G. Gooch and H. Temperley, British Documents. Vol.X. Part 11.PP.160 - 161 - 14.

(2) 15 و 16 - لونكريج، م . س، ص 20 - 22.

(3) ن . م، ص 20-22

شياً للشعوب المستضعفة، دون مقابل، وبالخصوص في حقبة الاستعباد الاستعماري منذ القرن السادس عشر الميلادي، وحتى منتصف القرن العشرين. وتجدر الإشارة إلى تلك النشاطات التي توزعت هي الأخرى على التنقيب عن الآثار، وإرسال البعثات التبشيرية، وبناء المدارس، وتأسيس مطبعة، وبناء ميتم، وإنشاء مستوصف، وإقامة كلية خاصة لتدريس القسيسة، وبناء كنيسة، وتأسيس معامل حياكة بدائية، ونشر اللغة الفرنسية. ويحدثنا عن ذلك لونكريج Longrigg، قائلاً:

«وكان لهم المجال في نوعين من النشاط الأول، هو التنقيب عن الآثار، ذلك الميدان الذي ولجّه المنقبون الفرنسيون في وقت مبكر. أما النوع الثاني، فهو في ميدان الكتلكة، إذ لعب الفرنسيون بصفة مطلقة دور الحماة لجميع الكاثوليك والموحدين المحليين. ولقد أصبح لهم عن طريق بعثاتهم التبشيرية وقسمهم، والمندوب البابوي الذي كان يقيم في الموصل، تأثير قوي على أكبر عدد من الهيئات المسيحية وأكثرها غنى. وكان الكرمليون الذين أقاموا طويلاً في العراق، يحتفظون لهم بمدريستين للبنين، وبمطبعة وميتم ومستوصف في بغداد. أما في الموصل فإن الآباء الدومنيكان وهم من الإيطاليين قبلاً، ثم أصبحوا من الفرنسيين منذ سنة 1859 كانوا هم الآخرون أيضاً يحتفظون بمدارسهم في المدن وفي القرى، وبمستوصفاتهم، وبكلية لتدريس القسس، وكنيسة خاصة بهم، وبمطبعة حجرية تجارية. هذا في الوقت الذي كانت فيه جمعية (أخوات عيد تجلي العذراء) وهي من نفس الطائفة تقوم بإدارة المدارس الابتدائية، ومعامل الحياكة بالإبرة للفتيات في الموصل منذ القرنين السابع والثامن عشر. وقد مدت هذه الجمعية نشاطها إلى بغداد في سنة 1881 وقطعت هذه الجهود شوطاً بعيداً في نشر اللغة الفرنسية، وأغنت ثقافة طائفة الموحدين وشاركت في إيجاد عنصر من التعليم الحقيقي للعالم المحلي».

ورغم أن الأمريكان لم تتضح لهم نواياهم بشأن العراق في تلك الفترة، إلا أنهم لم يكونوا بعيدين عن هذه البقعة الحساسة. ويشير لونكريج Longrigg لذلك قائلاً:

«استبدل منصب قنصل الولايات المتحدة الأمريكية في سنة 1894 بمنصب نائب قنصل كان يقيم بصفة متقطعة في بغداد. ذلك لأن الإهتمام الأمريكي في العراق كان طفيفاً. ولكن حدثت مطامع أمريكية في ميدان التنقيب عن الآثار في العراق، خلال سني الثمانينات من القرن الماضي، ومن ثم أعقبها موسم من التنقيبات، وإنشاء فرع لبعثة تبشيرية عربية تابعة للكنيسة الهولندية المجددة في أمريكا، بدأت في سني التسعينات بإنشاء مدرسة ومستوصف ومستشفى في البصرة، والإقدام فيما بعد على القيام بعمل

آخر مماثل في كل من العمارة والناصية»⁽¹⁾.

أما الأمبراطورية الألمانية فلم تكثرث بادئ ذي بدء لأهمية العراق، ولكن كان لها وجودا محدودا. وهو ما يشير إليه لونكريج Longrigg بهذا النص:

«وكانت الأمبراطورية الألمانية قد وطدت مصالحتها الطفيفة في العراق بالنسبة إلى بريطانيا حتى سنة 1894م، عندما عين المقيم الألماني في بغداد بصفة قنصل. وظهرت في أواخر القرن الماضي نشاطات الألمان في ميدان التنقيب عن الآثار. غير أن الألمان لم يبدو أي إهتمام آخر بالقطر»⁽²⁾.

وكما هو إهتمام الموقف الدولي في العراق، فقد كان هناك إهتمام آخر من الموقف الأقليمي، بل إن الأهتمام الأقليمي كان في حقيقة الأمر أسبق من الأهتمام الدولي، فهو يمتد إلى أربعة قرون خلت. فحين تحللت الدولة العباسية عام 1258م، أخذت بعدها الدولة العثمانية تتوسع أفقيا نحو الشرق والغرب، وفعلا إستطاع العثمانيون ضم العراق إليهم، حين إحتله السلطان سليمان القانوني عام 1534م. وقد أولت الدولة العثمانية بحكم الإنتساب المذهبي السني، إهتماما ملحوظا بالمؤسسات الدينية السنية في العراق، إلى جانب الأعتداد السياسي على رجالات معدودين من السنة، البعض منهم من أصول غير عربية. ولما كانت الأمبراطورية الإيرانية قد تشيخت عام 1501م على عهد الصفويين، وأعتبرت أن لأئمتها مراد في العراق، في النجف، وكربلاء، والكاظمية، وسامراء، فقد أولت هذا الأمر إهتماما كبيرا، بغرض سيطرتها على العراق. الأمر الذي مهد لصراعات ساخنة بين الإمبراطوريتين العثمانية السنية والإيرانية الشيعية. وهو ما سنعرض له. ولم يحض العراق طيلة عهد الحكم العثماني بالأهتمام العمراني والأستثماري المطلوب، بل نستطيع أن نؤكد هنا أن العراق كان من الأمصار المهملة، وإذا جاز لنا القول بأنه كان من أشد الأمصار العثمانية إهمالا، إلا ما خلا من بعض الفترات المحدودة جدا، وبالتحديد تلك الفترة التي تولى فيها مدحت باشا ولاية بغداد، والتي شهدت فترته إنفراج وتقدم ملحوظين في بعض المرافق. وربما كان الإهمال العام ناتجا بالأساس من تدمير الأتراك من الخدمة في العراق، لمناخه القاري وشعبه الصعب المراس. والنص التالي للونكريج Longrigg يشير إلى ذلك حيث جاء فيه:

«ولقد تقرر مكانة العراق في الأمبراطورية التركية بعوامل مختلفة، وذلك لأن بعدها ولأن سكانها من غير الأتراك وقسوة جوها، كل هذه كانت من الأعتبارات التي جعلت كل

الخدمة في العراق تمثل الفرع لمعظم الموظفين»⁽¹⁾ . .

وحين رأت الأمبراطورية العثمانية، وهي تترنح في أخريات أيامها إلى إهتمام العالم الغربي وبالخصوص الألمان والبريطانيين والروس بالعراق، راح بعض سلاطينها وولاتها يولونه بعض الإهتمام، ولكن بعد فوات الأوان فقد برزت قوى دولية إستطاعت أن تفرض إرادتها بصورة وأخرى على العراق. وهو ما أشار إليه لونكريج Longrigg بهذا النص:

«ومع كل ذلك فلم تحظ ولايات العراق إلا بالضئيل من الأهتمام، الذي كان حيويًا لمركز الخليفة، فما خلال شهرته في التاريخ والدين الإسلاميين، كان للعراق مطلب أو إدعاء آخر. ذلك لأنه من هذه الولايات المهملة، والبعيدة جدا، كانت تصل حكايات تتحدث عن ثروات محتملة هائلة وتوقع تطور مقبل عظيم الأهمية. ففي السنوات الأخيرة من القرن الماضي، لم يكن الرحالون والدبلوماسيون الأجانب وحدهم حسب. بل وحتى الأتراك أنفسهم والباب العالي والولاة المتطلعون إلى التقدم، كل هؤلاء كانوا يتحدثون عن إنشاء السكك، ومشاريع الري، وإستغلال المعادن، وتوسيع الملاحة في الأنهار، وبناء الجسور، وتخطيط المدن. ففي سنة 1900 لم تكن مثل هذه التصاميم لتتقدم فيما وراء رحلة الأنتظار الكسول، او المشاريع الوهمية، ذلك لأن أمراض الفقر المدقع، وجهل الحكومة، وإنعدام الأمن، كل ذلك قد حال دون تنفيذ أي جزء من هذه المشروعات. ولكن هذه المشروعات ظلت حية في الأحاديث التي تدور في الدواوين والمقاهي وحققت للعراق مدى من الأهتمام والأحترام»⁽²⁾ . .

وكما أوضحنا أعلاه، وفي ضوء النتائج المترتبة على طبيعة الأمور، فإن هذا الوضع لا يعني أن العراق لم يشهد بعض الأنفراج على أيدي الأتراك، فقد كانت هناك فترات رغم محدوديتها، إلا أنها شكلت نقطة تحول في حياة العراقيين، لا سيما تلك التي حصلت على عهد الوالي مدحت باشا. ورغم أننا لا نستبعد تماما العامل الطائفي ولكنه ليس الأساس، مثل ما هو عليه التغلغل من أجل المصالح الاقتصادية. فكما تداخلت وتغلغلت إهتمامات الإيرانيين في وسط العراق وجنوبه، وبالخصوص في الأجزاء التي كانت موضع أطماع الأيرانيين، كما حصل في منطقة «عربستان» وهي منطقة زراعية ونفطية، ترتبط جغرافيا وسكانيا وإداريا في العراق الجنوبي العربي، حيث أن الغالبية المطلقة من سكانها عشائر عربية معروفة، لهم إمتداداتهم في عمق تاريخ العراق. إلا أنها في ظروف الضعف والتدهور

(1) م . ن

(2) م . ن، ص 20 - 22

العراقي والعربي، ضمت هذه المنطقة الغنية بالزراعة والبتروك إلى إيران. وهوما سبق الحديث عنه. ولا يفوتنا الإشارة هنا إلى إهتمامات الإيرانيين بالمدن الشيعية المقدسة، منذ تشييعت إيران كما ذكرنا ولحد الآن، رغم إن هذا الأهتمام أخذ أشكال مختلفة، صعودا ونزولا وفق ظروف العلاقات السياسية، سواء بين: الدولة الإيرانية والدولة العثمانية بدءا، أو بين الدولة الإيرانية والدولة العراقية الحديثة لاحقا. وقد إنصب الأهتمام الإيراني بالدرجة الأولى على تقديم الهبات والأعطيات إلى مراد الأئمة الشيعية، والمساهمة في بنائها وتطويرها، ودعم رموز المؤسسة الدينية الشيعية من الإيرانيين بالدرجة الأولى.



الفصل الثاني

التنافس الأجنبي وتمير المخططات الأجنبية

المبحث الأول: التنافس بين الأجانب على المصالح في العراق:

كان صراع التنافس حاد بين الأجانب بخصوص تحقيق أكبر قدر من المصالح في العراق، ويبدو أن البريطانيين كانوا من أوائل من تنهوا لأهمية العراق. وإن بدايات تكريس النفوذ البريطاني في العراق كان قد بدأ عام 1808م، ولعل المستر ريج صاحب الرحلة المشهورة للعراق، هو أول من عمل على تمكين النفوذ البريطاني في العراق. ويمكن الوقوف على حقيقة ذلك في رحلة ريج⁽¹⁾. لذا كان لبريطانيا انحصرة الأولى بين الدول الأوروبية في مركز القرار العثماني في الإستانة، إلا أن الأمبراطورية الألمانية حين تنهت إلى أهمية العراق، أصبحت ندا قويا للأمبراطورية البريطانية. ويفسر لنا لونكريج Longrigg ذلك بقوله:

«بعد أن طرح شعار السياسة الألمانية القائل بالزحف نحو الشرق في نهاية القرن الماضي، وكانت المسألة الملتهبة فيه هي قضية سكة حديد بغداد. وفي الوقت ذاته تغلغل الألمان داخل تركيا عن طريق إرسال بعثة من الضباط العسكريين وقيامهم بمشروع مد سكة حديد الأناضول، وزيارات القيصرة الرسمية، وتخلي حكومته وحدها عن الدول التي إستنكرت المذابح التي أوقعها الأتراك في الأرمن. الأمر الذي وطد مكانة المانيا في المكان الخالي، الذي تشغله بريطانيا قبلا، بإعتبارها الدولة الغربية الرئيسية في الأمبراطورية العثمانية»⁽²⁾.

ويظهر لنا أن المانيا قد حكمت مصالحها دون الألتفات لما تعرض له الأرمن على يد الأتراك. والأرمن كما هو معروف (مسيحيون) وهو ما يدل على إهتمام الدول الغربية بقضيتهم كمسيحيين مثلهم. وبهذا إستطاعت المانيا أن تتبوأ المكانة المتقدمة في عاصمة الدولة

(1) ريج، كوديس جيمس، رحلة ريج في العراق عام 1820 (بغداد، 1951م) ص20، تر: بهاء الدين نوري.

(2) لونكريج، م. س، ج 1، ص.

العثمانية، في تلك الحقبة من الزمن. وعلى ضوء هذه التطورات في العلاقة بين الإمبراطوريتين العثمانية والألمانية، حصل الألمان على إمتيازات جديدة إضافة لماتحقق لهم. وفي إشارة لصحيفة التايمس TIMES اللندنية أنه حين تم في إتفاق 5 آذار عام 1903م، على تجديد الأمتياز لشركة سكة حديد الأناضول الممنوح سابقا من الدولة العثمانية للألمان، حقق الألمان في هذا التجديد إضافات مهمة على هذا الأمتياز منها: تشكيل شركة بديلة عن الشركة الأولى وهي شركة سكة حديد بغداد العثمانية الأبراطورية حيث أعطيت الأمتيازات التالية:

- 1 - حق مد خط سكة الحديد من قونية إلى الخليج العربي.
- 2 - حق إستغلال الغابات لمسافة عشرين كيلو متر على كلا جانبي الخط.
- 3 - حق الملاحة في مياه العراق.
- 4 - حق التعدين.
- 5 - حق بناء الموانئ في بغداد والبصرة والخليج⁽¹⁾.

ناهيك عن قيام مؤسسات المانية بفتح فروع لها في العراق، منها فونكهاوز التي فتحت لها فرعا في البصرة. وإن شركة هامبرغ-أمريكا للملاحة بدأت خطا منتظما عام 1906م بين أوروبا والخليج والبصرة⁽²⁾. ولا يفوتنا الإشارة هنا إلى تحسس بعض المراقبين البريطانيين الخطر الروسي قبل أي خطر آخر، بعد أن حققت روسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مشاريع مهمة في مد سكة حديد، أخذت تمس الخطوط الحمراء للمصالح الغربية وبالخصوص البريطانية، لذا كان خوف البريطانيين وتحسسهم من مطامع الروس للوصول إلى الهند والخليج عن طريق تلك المشاريع، مرورا بإيران والعراق، أصبح أمرا يؤرقهم، إلا أن ذلك لم يتحقق حين بدأ الأهتمام الألماني يأخذ الأمور بجدية، وراح يتزاحم بقوة بتقديم المغريات للباب العالي العثماني، لكسب تلك الأمتيازات. وقد أثارت هذه الأمتيازات التي حققها الألمان حفيظة كل من بريطانيا وفرنسا وروسيا ضد كل من الدولتين العثمانية والألمانية، ولم يهدأ لهذه الدول بال حتى إستطاعت تحقيق بعض مايعوضها عن ذلك من مصالح حيوية شتى، ولكن في مناطق غير العراق، وبالخصوص بالنسبة لروسيا وفرنسا. أما البريطانيون فقد وجدوا في تزاحم المصالح الألمانية الفجائية، خطرا داهما يهدد مصالحهم

(1) م . ن . ج 1، ص.

(2) د. العطية، المصدر السابق، ص 103.

وبالخصوص في منطقة الخليج والعراق بضمنه، وهو الأمر الذي لم تقف معه الأمبراطورية البريطانية مكتوفة الأيدي أمامه، بل راحت تضغط بقوة على الحكومة العثمانية لدعم المصالح البريطانية في المنطقة وفعلا تمكنت بواسطة هذه الضغوط من تسهيل مهمة حصول «شركة لينج البريطانية» ذات المصالح الكبيرة في العراق والخليج، على إمتيازات إضافية بخصوص الملاحة. ناهيك عن حصول إحدى الشركات البريطانية على مقابلة إنشاء مشروع ري كبير في العراق هو «سدة الهندية» رغم المنافسة الشديدة التي أبدتها الشركات الألمانية.

وحين رأت بريطانيا أن الألمان أخذوا يغزون المنطقة، وراحوا يوسعون مصالحهم فيها، عمدت بريطانيا بكل ما تستطيع على تسوية خلافاتها مع كل من فرنسا وروسيا القيصرية، ليخلو لها الجو وتمكن من مقاومة طموحات المانيا، لأن بريطانيا رأت في المانيا خطرا غير عادي، يهدد مصالحها في المنطقة بالصميم، لاسيما وإن العراق كان يشكل لبريطانيا «حلقة الربط الوسطية» بينها وبين مصالحها في الهند والخليج العربي، وهي مصالح استراتيجية لا يمكن التهاون فيها.

إلا أن بريطانيا رغم ذلك كله لم تستهن بالنفوذ الذي حققته المانيا لدى الباب العالي، ومن باب الحرص على مصالحها راحت تنسق مع الألمان في مجال الإستثمارات النفطية في العراق، وهكذا توصل المتنافسون الرئيسيون وهم الألمان والبريطانيون على تأسيس شركة مشتركة بهذا الصدد في آذار من عام 1914م. إلا أن قيام الحرب العالمية الأولى ودخول الإمبراطورية العثمانية الحرب لجانب الألمان ضد بريطانيا وحلفائها الغربيين، جمد هذا الأتفاق، وشل نشاطات الشركة المشتركة.

المبحث الثاني: محاولات تمرير المخططات الإستعمارية

مرت هذه المحاولات بظروف وتقلبات عديدة، ولم تكن هذه المحاولات وليدة الحرب العالمية الأولى، بل إنها كانت تدور في أذهان عقول الإستعماريين البريطانيين قبل ذلك بفترة ليست بالقصيرة، وربما بدأت حين بدا ترنح الدولة العثمانية وظهور ضعفها، في النصف الثاني من القرن التاسع عشر. ومن المؤكد أن الأهتمام البريطاني المبكر في العراق لم يكن ليقصر على الجانب الإقتصادي دون السياسي، بل إن من المسلم به أن الإهتمام بالمشاريع التجارية هو الطريق الأنفذ لتحقيق المكاسب السياسية. لذلك نلاحظ أن البريطانيين وضعوا كل ما في إستطاعتهم لعرقلة أية مشاريع أخرى منافسة تهدد مصالحهم، وهو ما تحقق فعلا في عرقلة إمتياز مد سكة حديد قونية إلى الخليج العربي، الذي سبق أن حصل عليه الألمان من العثمانيين كما أسلفنا، وإجتزاه ليتوقف عند البصرة فقط. ومن

الإشارات المبكرة التي وصلتنا حول تقييم الوضع العام في المنطقة، جاء في رسالة كيرزن كوج Gooch. G مؤرخة 21 أيلول عام 1899م، وبالتحديد فيما يخص العراق. إذ يقول كيرزن كوج:

«إن مصير بلاد ما بين النهرين هو خارج إدراكنا، وفي حالة سقوط الأباطورية العثمانية، فقد تحل دولة ما كبرى محلها لتمارس السيادة ذات يوم في بغداد، وقد تحتل البصرة، وقد تطالب بمنفذ لبواخرها في مياه الخليج المجاورة، وفي رأينا أن من مصلحة السياسة البريطانية تأجيل تحقيق ذلك ما أمكن»⁽¹⁾.

ويمكن أن نتلمس المحاولات السياسية البريطانية، لتميرير المخططات الإستعمارية بخصوص العراق، قبل وأثناء الحرب العالمية الأولى وحتى قيام الدولة العراقية الحديثة، من خلال حلقات عديدة يمكن تحديد أهمها بما يلي:

- 1 - حلقة الاتصالات التي أجراها طالب النقيب مع السلطات البريطانية في البصرة.
- 2 - حلقة الاتصالات التي أجرتها السلطات البريطانية مع الشريف حسين.
- 3 - حلقة الاتصالات التي أجراها محمد الفاروقي مع السلطات البريطانية في القاهرة.
- 4 - حلقة الاتصالات التي أجراها الشيخ خزعل مع السلطات البريطانية.
- 5 - حلقة الاتصالات بين البريطانيين والأمير فيصل.

وما يقابل حلقات الإتصال هذه، كانت هناك مواقف بريطانية أبدت تحفظاتها، بل وتضادها في بعض الأحيان، تجاه ما كان يعرض على العرب من وعود من قبل السلطات البريطانية، وإن كانت تلك الوعود مجرد وعود غير ملزمة، والهدف من هذا التضاد، حتى لا ترسخ في أذهان الناس وتصبح حقيقة، تهدد المصالح البريطانية في العراق. ويمكن تحديد تلك المواقف بما يلي:

- 1 - موقف نائب الملك في الهند.
- 2 - موقف البريطانيين في العراق.

ونحاول هنا المرور على تلك الحلقات والمواقف، بما يعطي فكرة عامة ولكن موجزة عن طريقة تميرير المخططات الإستعمارية البريطانية على العراق. كان الهم السياسي البريطاني يرنو لتحقيق هدف مركزي هو: التمكن من الحصول على الدعم العربي في حالة

(1) G.Cooch and H. Temperly, British Documents on Origin of the war 1898 - 1914 London.

دخول الأتراك الحرب لجانب الألمان، لذلك عمد البريطانيون على إطلاق وعود متداخلة وغير محددة للعرب كي يلتزموا بتحقيق الهدف المركزي المنوه عنه، وقبل أن تتجه بريطانيا كلية إلى الشريف حسين، جاءت إشارات من الخارجية البريطانية إلى طالب النقيب، الذي سبق له وخاطب الأنكليز عارضا عليهم خدماته. ومفاد الإشارة هو أن حكومة صاحب الجلالة لهي متعاطفة جدا مع العرب، وإنها كانت تأمل على الدوام أن ترى العرب وهم يؤلفون جزءا لا يتجزأ من الإمبراطورية التركية تحت حكومة مركزية متسامحة وواعية. بيد أنه إذا فرض الباب العالي حربا على حكومة صاحب الجلالة، وهي حرب ستكون بالنسبة لتركيا غير ضرورية ومدمرة وغير وطنية، فسيكون واضحا أنهم لا يبصرون مصالح السكان في الإمبراطورية العثمانية بمن فيهم العرب، وستتذكر حكومة صاحب الجلالة أنها في حرب مع الحكومة التركية وليس مع العرب⁽¹⁾. وإن بريطانيا من خلال خبرتها بالتعامل مع طالب النقيب، لم تكن لتأمن جانبه لتقلباته الكثيرة، إلا أنها كعادتها كانت تحاول الاستفادة بصورة وأخرى ليس من المتذمرين من السياسة العثمانية فحسب، بل وحتى من المتربصين من أصحاب المصالح والطموحات، والنقيب على ما يبدو من أبرزهم في تلك الحقبة من الزمن. إلا أن البريطانيين إتجهوا بمحصلة الأمر للأعتماد شبه الكلي على الشريف حسين، بإعتباره الشخصية العربية الأنفذ، والقادرة على القيام بلعب الدور العربي الأول، إذا ما دعت الحاجة لذلك. كما أن الإشارات التي وردت بخصوص محادثات محمد شريف الفاروقي مع البريطانيين في القاهرة، والتي تزامنت مع تاريخ محادثات السلطات البريطانية مع الأمير عبد الله ممثلا عن والده الشريف حسين في القاهرة، في تشرين الثاني من عام 1914م. حين قدم الفاروقي نفسه على أنه ممثل عن جمعية العهد، وما طرحه في تلك المحادثات من أفكار ومشاريع كان فيها الشيء الكثير من التنازلات لصالح الأنكليز.

إلا أن الشيء الملفت للنظر أنه لم يعتد بتلك التنازلات في محادثات الحسين-مكماهون، إلا أنها ربما فتحت المجال أمام تأثر الأفكار البريطانية ببعض مقاطعها لاحقا، حين أبرمت معاهدة سايكس-بيكو. ولكن هناك من شكك بالفاروقي كمثل لجمعية العهد، كونه لما يزل في مقتبل العمر، ولم تخبره الحياة ولم تصقله التجارب، عدا ذلك فمن غير المنطقي أن يوكل للفاروقي مثل هذه المهمة الخطيرة، وفي القاهرة عزيز علي المصري، وهو من كبار رموز وقادة حزب العهد⁽²⁾.

(1) F.O 371/2140/57090, Confidential, 7th October, 1914.

(2) د. العطية، المصدر السابق، ص 185 - 191.

ولا يشس هنا من تسليط الضوء على جمعية العهد: فهي جمعية عربية، تنادت بضرورة نيل الحقوق=

فإتصالات السلطات البريطانية بالشريف حسين، حول الوقوف على موقف الشريف في حال إنحياز الدولة العثمانية إلى جانب الألمان أبان الحرب العالمية الأولى، وكانت البداية بهذا الخصوص قيام وزارة الخارجية البريطانية عن طريق سلطتهم في القاهرة الأتصال بالأمير عبد الله، للوقوف على حقيقة موقف والده⁽¹⁾ ويبدو أن عبد الله كان على علم بموقف والده، الأمر الذي دفع بعبد الله توضيح الموقف بالتأييد مع التحفظ المشروط. وفحوى موقف عبد الله ورد في هذه الوثيقة البريطانية ومفادها:

«طالما حمت بريطانيا حقوق بلادنا وحقوق شخص صاحب السمو أميرنا وسيدنا الحالي وحقوق إمارته وإستقلالها من جميع الوجوه وبدون أية إستثناءات أو قيود، وطالما أيدتنا بريطانيا ضد أي إعتداء خارجي، وعلى الأخص ضد العثمانيين، لا سيما إذا رغبوا في تنصيب أي أحد آخر أميراً بنية إحداث شقاق داخلي»⁽²⁾ . .

بعد هذه الديباجة من المديح والتأييد يرد نص الشرط المطلوب كي يقف الشريف حسين لجانبهم، فيقول:

«وبشرط أن تضمن حكومة بريطانيا العظمى هذه المبادئ الأساسية بوضوح وتحريماً»⁽³⁾ . .

يبدو من هذا النص أن الهدف الرئيسي لأشراف مكة كان الأطمئنان على بقاء الإمارة في أيديهم بدعم وتأييد من البريطانيين. وعلى هذا النسق جاء رد البريطانيين، في إشارة صادرة من وزارة الخارجية البريطانية في 31 تشرين الأول عام 1914م، وكانت بريطانيا قد أعلنت

= العربية المشروعة بدأ تأسيسها في الإستانة في 28 تشرين الأول عام 1913، وكان على رأس المؤسسين عزيز علي المصري، وهو من أصل عراقي، وأقتصر الأنتماء إليها على الضباط العرب، وكان أكثرهم من العراقيين. ومن المؤرخين من ذكر أنه كان للعهد ثلاث فروع، في كل من البصرة وبغداد والموصل، ومنهم من ذكر فرعان في بغداد والموصل فقط وذكر أهم المؤسسين لهما، ففرع بغداد كان من أبرز مؤسسيه كل من الشيخ سعيد النقشبندي، نوري فتاح، بهاء الدين النقشبندي، سليمان فتاح، سامي القشلي، أحمد عزت الأعظمي، أنور النقشلي، حسن رضا. أما فرع الموصل فكان من أبرز أعضائه كل من إبراهيم عطار باشي، سعيد الحاج ثابت، مصطفى العمري، رؤوف الغلامي، حميد الدبوني. وقد تناول هذه الجمعية مجموعة من الباحثين والمؤرخين منهم: د. البصير م.س، ص 20-28. وتحسين العسكري في مذكراته عن الثورة العربية والثورة العراقية، (بغداد، 1936)، ص 37. د. العطية، م.س، ص 358، 359.

(1) الحسين، عبد الله بن، مذكرات الملك عبد الله بن الحسين، (بيروت، 1965م)، ص 73.

الحرب على تركيا التي دخلت الحرب لجانب الألمان. ومفاد الإشارة هو:

«إذا قامت الأمة العربية بمساعدة إنكلترا في هذه الحرب التي فرضتها علينا تركيا، فإن إنكلترا ستضمن عدم وقوع تدخل داخلي في بلاد العرب، كما ستقدم لهم كل مساعدة ضد العدوان الخارجي»⁽¹⁾.

وتطورت المفاوضات بين السلطات البريطانية والشريف حسين، حين تولى المهمة عن البريطانيين السير هنري مكماهون، وبعد أن حصلت تطورات مهمة بقيام الحركة الوطنية العربية، والتي تبوأ فيها جمعيه العهد السرية، مكان الصدارة في تلك الحقبة. كان الأتصال يتم بالشريف حسين عن طريق الأمير فيصل، الذي نقل بدوره مطالب الحركة الوطنية إلى والده، والظاهر أن فيصلا كان مقتنعا بها أو متأثرا بها إلى حد ما. وأنحصرت المراسلات بين: الحسين-مكماهون على مدى قارب العشرة أشهر بدءا من تموز عام 1914- آذار عام 1916م، وتوجت بمحصلة الأمر دخول الشريف حسين الحرب إلى جانب الحلفاء، وعلى رأسهم البريطانيين، وذلك في حزيران عام 1916م. ونحاول هنا تسليط الضوء على أهم ما تضمنته مراسلات ومفاوضات حسين-مكماهون، من أمور بين الأثنين، وبالخصوص فيما يخص العراق، مع تعقيباتنا المناسبة عليها، ومن تلك المراسلات هذه الرسالة صادرة من الشريف حسين. والتي ورد فيها أن تعترف إنكلترا بإستقلال البلاد العربية، التي تحدها من الشمال مرسين وأدنة، حتى خط عرض 37، الذي تقع عليه برجق (Birijk) وأورفة وماردين وميديه وجزيرة واماديه حتى حدود إيران. ومن الشرق حدود إيران حتى خليج البصرة، ومن الجنوب المحيط الهندي، بإستثناء مركز عدن الذي يظل كما هو عليه. ومن المغرب البحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط حتى مرسيينا. وتوافق إنكلترا على المناداة بخليفة عربي للإسلام⁽²⁾. وكانت هذه الرسالة وما تضمنتها من مطالب غير إعتيادية مدعاة لقيام مكماهون بالرد السريع عليها، والتي حاول فيها الرد بما أن لايلزم بلده بريطانيا بأمور تجعلها عاجزة عن التحرك والمناورة، ولكن جاء فيها ما يشبع طموح المقابل في الخلافة والحكم. ومما جاء في الرسالة مايلي:

«إننا نعلن مرة أخرى أن حكومة صاحب الجلالة ترحب بتولي الخلافة من قبل شخص عربي أصيل في عروبتة، أما بشأن مسائل التحديدات والحدود فيبدو أن من السابق لأوانه

(1) م. ن.

(2) Cmd. 5957. Correspondence between Sir Henry Mc Magon and Sharif Hsayn of Mecca, July

أن ننفق أوقاتنا في بحث مثل هذه التفاصيل في أتون الحرب، في الوقت الذي لا يزال الأتراك يحتلون إحتلالاً فعلياً عدداً من أجزاء تلك الحدود»⁽¹⁾ . .

لم يرق هذا الجواب كثيراً للشريف حسين، وأعتبره مدعاة لعدم إستعداد بريطانيا الخوض في الإلتزام بوعود محددة وواضحة، لا يكتنفها الغموض، وهو ما حدا بالمندوب السامي البريطاني بتاريخ 24 تشرين الأول عام 1915م، توضيح نوايا بلاده، حين حسم الأمر بتحديد وعود حكومته وتوضيح تحفظاتها بشأن الحقوق العربية. ففيما يخص العراق عالجته الفقرة الخامسة من التعهدات حالة العراق. ومما جاء فيها:

«أما بشأن ولايتي بغداد والبصرة فسيقر العرب بأن مركز بريطانيا الثابت ومصالحها القائمة تحتم وضع ترتيبات إدارية خاصة لغرض الحفاظ على تلك المناطق من العدوان الأجنبي، ولتحسين رفاة السكان المحليين ولصيانة مصالحنا الاقتصادية المتبادلة»⁽²⁾ . .

نلاحظ في هذا النص إستثناء ولاية الموصل، حيث أن أمر هذه الولاية لم يكن قد حسم بعد، وربما كان عدم الحسم سببه غاية في نفوس البريطانيين، لتحقيق مآرب آخر، وهو ما حصل فعلاً كما سيتضح في المكان المناسب. إلا أن الشيء الملفت للنظر والذي يدعو للأستغراب، هو قبول الشريف حسين بهذه الفقرة المطاطة، حين جعل القبول بتلك الوعود والتحفظات بما يخص العراق حصراً، طريقاً لتسهيل تنفيذ الأنفاق العام. ومما أورده الشريف حسين بهذا الصدد:

«لغرض تسهيل الأنفاق ومع الأخذ بنظر الإعتبار التأكيدات المذكورة في الفقرة الخامسة من رسالتكم الخاصة بالحفاظ والحرص على مصلحتنا المتبادلة في تلك البلاد على إعتبارها مصلحة واحدة، فلهذه الأسباب أننا لعلنا نوافق أن نترك تحت الإدارة البريطانية ولوقت قصير تلك المناطق المحتلة الآن من القوات البريطانية دون أن تضار بذلك حقوق أي من الطرفين (وخاصة حقوق الأمة العربية، وتلك المصالح هي بالنسبة لهذه الأمة مصالح إقتصادية وأساسية) وذلك لقاء مبلغ مناسب يدفع كتعويض للمملكة العربية لمدة الإحتلال»⁽³⁾ . .

ووقفه تقييم لموقف الشريف حسين بصدد وضع العراق حيث نلاحظ هنا أن الشريف حسين أوكل نفسه فيما على العراق بأخذ تعويض مالي من البريطانيين لموافقته على شروطهم بخصوص العراق. ومع ذلك نلاحظ أن مكماهون لم يبدي تجاوباً واضحاً وإلتزاماً محدداً

بخصوص التعويض المالي الذي طلبه الشريف، بل جاء رده في الخامس من تشرين الثاني عام 1915 فيه تعميم واضح، دون التحديد. ومما جاء فيه:

«إن حكومة بريطانيا العظمى مستعدة كما سبق أن أخبرتكم، لتقديم كافة الضمانات الخاصة بالمساعدة والتأييد للمملكة العربية ضمن إقتدارها، ولكن مصالحها تتطلب كما أقرتم بذلك أنتم أنفسكم، وجود إدارة صديقة ومستقرة في ولاية بغداد، كما أن الحرص اللازم على تلك المصالح يقتضي إمعان النظر بشكل أكثر سعة وتفصيلا مما تسمح به الحالة الحاضرة وطابع السرعة لهذه المفاوضات»⁽¹⁾.

ومن المفارقات العجيبة أن الشريف حسين إعتبر هذا الجواب بمثابة موافقه ضمنية على رسالته السابقة، بخصوص عملية التعويض المالي حصرا، وإن الشريف حسين إعتبر عدم الأصرار من قبله على تحديد التعويض بمثابة عربون صداقة وحسن نية تجاه بريطانيا العظمى، وكأن العراق بأرضه وسماؤه ومائه وشعبه وحضارته ضيعة من ضياع الشريف حسين، يتنازل عن قيمتها كيفما إتفق، أو يأخذ عنها الجزية حسب ما يرتأي، دون أن يلتفت لسيادة العراق وحقه في الإستقلال الناجز، وهذا ليس إتهاما نوجهه للشريف حسين بقدر ماهو تحليل لموقفه، والذي يعزز هذا التحليل جواب الشريف حسين لمكماهون الذي نختم فيه هذا الإستعراض لما دار بين الأثنين بنص الحوار:

«أما بشأن ما جاء في خطابكم الموقر بشأن العراق بصدد مسألة التعويض عن أمد الإحتلال، فإننا نترك لغرض تقوية ثقة بريطانيا العظمى بموقفنا أمر تحديد المبلغ لحصافة حكمتكم وعدالتكم»⁽²⁾.

وإن أهم ما يمكن أن نستنتجه من مراسلات الحسين- مكماهون هو ان بريطانيا التي لم تلزم نفسها بشئ ملموس ومحدد وواضح وبصورة تحريرية تجاه حقوق العرب، إلا أنها كانت قد حسمت الأمور بصورة قاطعة لضمان مصالحها غير المشروعة في المنطقة العربية، على حساب حقوق العرب المشروعة وبالخصوص في العراق. من حيث أنها كانت مصممة ضمن إستراتيجية مرسومة سلفا، أن لا تلزم أن بريطانيا نفسها بأي شئ محدد، لأنها تعتقد أنها إن كسبت الحرب وهو ما كانت تعتقده يقينا، فسوف تصيرف من موقع المنتصر، وللمنتصر حقوق وإلتزامات، كما هو معروف في القاموس السياسي والعسكري الإستعماريين. وخير ما يترجم ما ذهبنا إليه من آراء وتحليلات، هو ما أفصح عنه السير

هنري مكماهون في رسالته الموجهة لوزارة الخارجية البريطانية في 19 نيسان عام 1916م والتي جاء فيها:

«إننا إدراكنا بأن المرحلة الحاضرة من العمليات العسكرية في الإمبراطورية العثمانية هي مرحلة إنتقالية، وبيانها تتضح لصالحنا أكثر فأكثر يومياً، قد قمنا بكل المحاولات لتحاشي الإلتزامات المحددة للمستقبل. ولذا فكلما طال تأجيل المنهاج النهائي كلما إزداد مركزنا كمفاوضين قوة، وإزداد التعقل الذي سيكون عليه الطرفان الآخران، الأتراك والعرب معاً، في إحتمال الميل نحو آرائنا»⁽¹⁾ ..

بدأ التملل يدب بين صفوف العراقيين، وهو ما أدى إلى قيام حركة وطنية منظمة مضادة للمصالح البريطانية وأهدافها العدوانية، من خلال منظمات سياسية مثل: جمعية العهد، وحرس الأستقلال، والنهضة الإسلامية، والجهة الإسلامية، وكان الهدف المركزي لهذه المنظمات هو تحقيق إستقلال العراق، وإقامة دولة وحكم عربيين فيه. وحاولت كل من تركيا الأتاتوركية وروسيا الإشتراكية أن تلعبا، بحقبة متأخرة، أدوارا لمحاولة تمرير مخططاتها بجر بعض دول المنطقة لصفها، مستفيدين من عدم إيفاء بريطانيا بوعودها للعرب، لا سيما وإن العرب دخلوا الحرب بجانب الحلفاء الغربيين، ضد دول المحورالألماني الذي ضم الدولة العثمانية، على أمل أن يحقق العرب أمانهم المشروعة في الإستقلال والسيادة وإقامة دولتهم المنشودة. وهنا ظهرت في هذه الظروف الدقيقة والحساسة، تأثيرات الحركة القومية الإسلامية، التي كانت تجد صدى في بعض أوساط العرب، والعراقيين بخاصة، ممن تتلمذوا على الثقافة التركية، إضافة إلى مؤيدي الدولة العثمانية سابقا، الذين كانوا يميلون للتعاون مع الدولة التركية مثل عجمي السعدون، الذي كان يتمتع بتأثير لا يستهان به على بعض العشائر العراقية.

وحين تنبته بريطانيا إلى خطورة الموقف الذي يمكن أن ينتج من خلال تعميق العلاقة بين العهدين العراقيين والكماليين الأتراك، قام وزير الدولة البريطاني بإرسال برقية في تشرين الأول من عام 1920، إلى المندوب السامي البريطاني في بغداد. ويقول نص البرقية:

«إذا كنا نريد الأنتفاع من جمعية العهد فمن المرغوب فيه ألا نرجئ مبادرتنا لحين إنضمام أعضاء بارزين مثل نوري إلى أعدائنا»⁽²⁾ ..

الأمر الملفت للنظر أن الأتراك الكماليون، أبدوا نهجا سياسيا مختلفا تماما عن أسلافهم

(1) ن . م .

(2) F.O. 371/2768/80305. sceret.

من الأتراك، تجاه العرب، وبالخصوص العراقيين منهم، أمليين أن يحققوا لأنفسهم مرة ثانية موطنهم قدم لهم في العراق، لذا راح الكماليون في تطلعهم إلى العراق، بإظهار نهج مختلف تماما عن أسلافهم، حين أقروا بحق العرب في الإستقلال، والتوصل من المطالبة بأي حق في الوطن العربي. إلا أن علاقة الحركة الوطنية العراقية لم تتطور إيجابيا بالحركة الكمالية التركية، بما يعزز التحالف بينهما للتصدي للإحتلال البريطاني والمقصود بنوري كما وردت في نص البرقية، (نوري السعيد)، أما المقصود بأعدائنا، في ذات البرقية فهم الأتراك الكماليون. فإنهاء وجوده على أرض العراق، وإقامة حكم عراقي وطني صميم. وعدم قيام مثل هذا التحالف له أسبابه ومسبباته، فمن أسبابه أن ثقة الحركة الوطنية العراقية بالأتراك مازالت دون المستوى المطلوب، لما علق بالنفوس تجاه الأتراك عبر المواقف والأحداث السابقة، رغم الطرح والنهج الكمالي الجديدين. أما المسببات فلعل من أبرزها أن تركيا بلد مغلوب على أمره، والمغلوب لا يسمح له بلعب دور المنتصر، ناهيك عن أن بريطانيا العظمى التي تكبدت خسائر بشرية وأضرار مادية جسيمة، لا يمكن أن تتخلى عن المكتسبات التي حصلت عليها بهذه السهولة، وتسمح للكماليين لعب أدوار رئيسية في العراق والمنطقة. ونستشهد على ذلك بما أورده اللورد كيرزن Lord Gairzen حيث يقول:

«إن أحد الأخطار الرئيسية ليس فقط للسياسة البريطانية في العراق، بل للسياسة البريطانية في أمكنة أخرى أيضا، هو العلاقة بين مصطفى كمال وبين متطرفي العراق. فمصطفى كمال سيعد بالمساعدة في إقامة إستقلالهم، وهو ينوي بالتأكيد أن يبدل مثل هذا الإستقلال فيما بعد، إلى ضم في الدومنيونات العثمانية. لذا فإن من الضروري البدء بأسرع ما يمكن بالعمل على نوع من استقلال العرب، يؤدي إلى الفرقة بين الأتراك والعرب، وإلى الصداقة بين العرب والبريطاني»⁽¹⁾.

في خضم هذا التآمر الدولي والأقليمي يدخل عنصر جديد لهذه الحلبة وهم الروس، الذين كانوا يرنون لموطنهم قدم في المياه الدافئة، بعد نجاح ثورتهم الحمراء عام 1917م، لا سيما بعد أن إستطاعت القوات الروسية في نهاية نيسان عام 1920م، الدخول إلى باكو وميناء أنزلي، وهو ما أثبت ضعف إمكانات بريطانيا على المواجهة، مما عزز من قيام الروس بحملة إعلامية ودعائية واسعة ضد البريطانيين من جهة، ولصالح الروس من جهة ثانية، ومن أمثلة

(1) F.O.371/5229/10440. Foreign Office dated September 11. 1920, To the under Secretary of stat

India Office, Signed by J.A.C Tilley.

ذلك توزيعهم بيان باللغة العربية، في الكثير من مدن الشرق الأوسط، يحث العرب والمسلمين على الثورة. ومما جاء في البيان:

«إن روسيا ساعدت الشرق بكل مالديها من قوة على إستعادة تقاليد وحرته وأمكته الدينية، كما يشاء سكانه، والآن وكما ساعدتكم روسيا، فإن عليكم يا أيها المسلمون في الشرق، سواء منكم الأتراك أو العرب الهنود والإيرانيين، أن تساعدوها كذلك بكل مالديكم من وسائل، لعلها تستطيع أن تخرج حقوقكم إلى النور»⁽¹⁾.

ورغم أن نوايا الروس لم تكن خالصة لنصرة حق الشعوب، في تحقيق الإستقلال والسيادة الكاملين كما يدعون، لأن روسيا كغيرها من الدول لها مصالحها في المنطقة، إلا أنها حاولت إستغلال هذا الصراع بما يمكن أن يحقق لها ذلك، لكنها فشلت في تحقيقه، لأن التوازنات الدولية لم تكن لتسمح لها القيام بأكثر من ذلك في تلك الظروف الدقيقة. أما الأمريكان فرغم أنهم لم يكن لهم دور بارز في تلك المخططات الإستعمارية، التي سادت في تلك الحقبة، من حيث أن مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن الأربعة عشر لازالت تتفاعل في النفوس، إلا أنهم لم يكونوا بعيدين تماما عنها، ونقتبس هنا جزءا من نص رسالة الحاكم العام المستر ويلسون، الموجهة إلى وزارة الهند في 2 آب عام 1920م، حيث يبدي تدمره وتوجسه من تصرفات الأمريكان ويحذر من نواياهم. ويقول نص الرسالة:

«ثمة تأثيرات أجنبية أخرى بدأت بالظهور عند هذه النقطة، وخاصة قنصل الولايات المتحدة الأمريكية، وغيره من المواطنين الأمريكيين، الذين أخذوا على عاتقهم كما أعرف جيدا، أن ينقلوا للمتطرفين مفصلا كل مايرد في الصحافة الإنكليزية، من الأنباء التي ليست بصالح السياسة المحلية والسياسة الخارجية، لحكومة صاحب الجلالة، لا سيما مقالات جريدة التايمز، التي يتبسط المتطرفون في الإشارة إليها في خطبهم العامة، وفي أحاديثهم الخاصة»⁽²⁾.

إلا ان فرنسا التي إحتلت جيران العراق وهي بلاد الشام، فلم يكن لها دور ملحوظ في الصراع على العراق، لأن الفرنسيين والبريطانيين، كانوا متوافقين في تسوية أمور نفوذهما، بما لا يؤثر على علاقتهما التحالفية، لاسيما وإن معاهدة سايكس-بيكو الموقعة بينهما قد حسمت بينهما تقاسم مناطق النفوذ والمصالح، في الوطن العربي، بالصورة المعروفة. لذا كانا حريصين على عدم إثارة إي حالة قد تؤثر على هذا الإتفاق الإستراتيجي المعقود بينهما.

F.O.882/Vo1. Arab Bureau Papers, Document SY/20/17. (1)

F.O. 371/5228/E9849. From the civil Commissioner, Baghdad, August 5, 1920. (2)

ولذا نلاحظ أن هدف الأستعماريين لم يكن مقصوراً على تقاسم النفوذ فحسب، بل كان له إفرزات خطيرة على الأمة العربية، ولعل من أخطر تلك الإفرزات هو وعد بلفور هذا الوعد الذي أطلقه وزير خارجية بريطانيا العظمى عام 1917م، إرضاء للصهيونية العالمية، بإقامة وطن قومي لليهود في أرض فلسطين العربية، وراح الإستعماريون ومن ورائهم الصهيونية العالمية، يعملون بكل الإمكانيات المتاحة لتهيأة الظروف المناسبة لتنفيذ هذا القرار، وكان هدفهم المركزي الأول هو تكريس حالة التجزئة في الوطن العربي، لكنه الطريق الأقصر للوصول لتحقيق أهدافهم العدوانية. ورغم ماورد في الفقرة (الخامسة) التي أشرنا لها بخصوص تأمين المصالح البريطانية في العراق، وحتى تكتمل الصورة بخصوص ما كان يجري حول العراق في تلك الحقبة. نعرض هنا نماذج لمواقف مضادة لما كان يطلق من وعود، من خلال مراسلات الحسين - مكماهون، من قبل مراكز قوى بريطانية مثل حكومة الهند، والسلطات البريطانية في العراق. فهذا نائب الملك في الهند يوجه برقية شديدة إلى الخارجية البريطانية بتاريخ 4 تشرين الثاني عام 1915م، يقول فيها:

«أنه بإدخال إقليمي بغداد والبصرة في الدولة العربية المستقلة المقترحة، لم يحتفظ لحكومة صاحب الجلالة أو لحكومة الهند سوى بمقدار خاص من السيطرة الإدارية المتقدمة. إن إنشاء دولة عربية قوية تقع خارج نطاق مصالحننا في الشرق وفي الخليج، إنما هو من المصادر المحتملة للمتاعب في النهاية»⁽¹⁾.

ويتذرع أحد القادة البريطانيين العسكريين، بالوضع في الهند ويسوقه كمثل عما يحصل في العراق، فيقول:

«وكما جرى في الهند فإن أفكاراً أخرى قد تظهر على مر السنين، لكننا نرى بصدد العراق، أنه من غير الضروري جداً ومن غير النافع، أن نزرع في أذهان الشعب المتخلف في هذه البلاد ما يبدو لنا أنه تصورات وهمية وسابقة لأوانها عن تكوين دولة عربية»⁽²⁾.

أما الجنرال نيكسون قائد حملة العززية العسكرية، فقد أبرق رسالة إلى الهند بتاريخ 14 تشرين الثاني عام 1915م، يعقب فيها على تلك العهود التي وردت في مراسلات: الحسين - مكماهون، ويحذر من طرف خفي من الشيعة ومن الدروس التي أخذوها عنهم في معارك المزيرعة والروطة والشعبية في البصرة، التي سنمر على ذكر تفصيلاتها وأخواتها من معارك

F.O 371/2486/165415. (1)

F.O 371/2402/19455. (2)

الشيعة ضد المحتلين البريطانيين، في المكان المناسب. ونص ما يقوله نيكسون: «وإلى جانب كون مثل هذا الإلتزام يبدو سابقا لأوانه وسيضر بالمصالح البريطانية، في البصرة وبغداد، وبمستقبل هذه البلاد العظيمة، فإنه يبدو لي وكأنه ينطوي على سوء إدراك تام لموقف سكان الولاياتين، كما أنه يتغاضى عن الحقيقة الهامة والأساسية وهي أن أربعة أخماس سكان البصرة، وثلثي سكان ولاية بغداد هم من الشيعة»⁽¹⁾.

إلا أن السير هنري مكماهون حاول تطمين هؤلاء، بما لا يدع في نفوسهم من قلق على مصالح بريطانيا العظمى، ورغم أنهم لم يكونوا راضين بهذا التطمين، إلا أن ما حصل فعلا قد تجاوز كل الحسابات، بعقد إتفاقية سايكس-بيكو سألفة الذكر. وهكذا أخذ العرب على حين غرة حين وجدوا أنفسهم وأوطانهم بواسطة معاهدة سايكس-بيكو تحت الإنتداب الفرنسي والبريطاني، وكان العراق الذي أحتلت ولاياته الثلاث: البصرة وبغداد والموصل بين أعوام 1914 - 1918م، من نصيب الإمبراطورية البريطانية، حين أصبح تحت الإنتداب البريطاني. أما الشريف حسين الذي إنتهت أهميته للأنكليز، فقد نفى إلى جزيرة قبرص وهو في حالة مألومة، على ما آلت إليه الأمور، بفعل نكوث الأنكليز ولو للحدود الدنيا من الوعود والعهود، التي سبق وزينوها له. وظل في تلك الجزيرة إلى أن أصيب بجلطة دماغية نقل على إثرها إلى عمان، عاصمة دولة الشرق الأدنى، كما كان يطلق عليها آنذاك، وأسلم الروح إلى بارئها بعد حين قصير، وراح يشكو خيانة الأنكليز، ونكوث الأقربين وتداعي الأتباع من عرب الجنسية، الذين تسارعوا لترتيب أوضاعهم، منقادين إلى المحتلين الأنكليز تابعين لإرادتهم، رغم كل ما حصل من الأنكليز بحق شعوبهم وتجزئة أوطانهم.



الباب الخامس

شيعة العراق بين إحتلالين

الفصل الأول: الحالة العامة للشيعة أبان الإحتلال العثماني

- المبحث الأول: الحالة الأجتماعية وأهم مظاهرها
- المبحث الثاني: الحالة الأقتصادية وأهم سماتها
- المبحث الثالث: الحالة السياسية وأهم أبعادها

الفصل الثاني: الشيعة والموقف من الإحتلال البريطاني

- المبحث الأول: المرحلة الجهادية الأولى 1914-1915م
- المبحث الثاني: الدور السياسي الأول وإنتفاضة النجف
- المبحث الثالث: صيغة الحكم والموقف إتجاهه
- المبحث الرابع: الدور السياسي الثاني وتحرك كربلاء

الفصل الأول

الحالة العامة للشيعنة أبان الإحتلال العثماني

المبحث الأول: الحالة الإجتماعية وأهم مظاهرها:

حين آل حكم العراق بولاياته الثلاث بغداد والبصرة والموصل، إلى الأمبراطورية العثمانية، عندما إحتله السلطان سليمان القانوني عام 1534 م ظل العراق على مدى ما يقارب الأربعة قرون من الزمن محكوماً من قبل الدولة العثمانية، حكماً مباشراً، عن طريق ولاة ولاهم سلاطين آل عثمان أمر البلاد والعباد، فأذاق بعضهم الناس أصنافاً من الإضطهاد والتعسف. وقد حلل لونكريج Longrigg طبيعة السلطة العثمانية بقوله:

«كانت السلطة كلها في يد السلطان. ذلك لأن السلطان كان يقف على رأس سلطة وراثية متقنة، تتألف من وظائف متشابكة، وكان يمثلها فيها حكام مستبدون مثله تماماً. فقد كان الحكم كله لمنفعته وأبهته وليس هناك من قانون عدا الشرع الذي كان يطبق ولا يوجد حد أو إستيناف يقيد السلطات المحلية الممنوحة للوالي أو المتسلم، وكانت جميع الوظائف، بما في ذلك المناصب الرفيعة عرضة للبيع»⁽¹⁾.

كانت العلاقات العامة بين الولاة الأتراك والمواطنين العراقيين في الغالب الأعم، علاقات يشوبها الكثير من التوتر والإنزعاج، وبرغم ذلك كانت تتخلل تلك العلاقات أحياناً، ظروف إيجابية ومتوازنة. وسنحاول في هذا المقطع تسليط الأضواء على أهم ملامح الحالة موضوعة البحث، والتي يمكن حصرها بمسألتين هما:

الأولى: المسألة الطائفية:

رغم أن الجور والظلم الذي إتصف به غالبية الولاة العثمانيين، الذين تولوا ولاية حكم العراق، قد شمل غالبية مكونات الشعب، إلا أن التركيز على التمييز الطائفي ضد الشيعة كان أكثر إمعاناً، وليس معلوماً على وجه الدقة أن السبب المركزي لهذا التركيز هو الصراع التقليدي، الذي نشب بين سلطتي الحكم في إيران بعد تشيعها قبل أربعة قرون، وبين سلطة تركيا المتسنة أصلاً، إلا أن ذلك ربما كان مدعاة لتعميق هذا التركيز. وتعليلنا لهذا الأستنتاج

(1) لونكريج، م . س . ج 1، ص 67.

هو إن ملامح الممارسات الطائفية في المشروع التركي هي حالة مكتسبة من الممارسات الطائفية عبر التاريخ الإسلامي، وليس حالة مستحدثة، بل ناتجة أساساً من الأستحواذ السلطوي وذلك عن طريق عزل التابعين لمدرسة الإمامة وهي حقيقة تاريخية ظل معمولاً بها في الغالب الأعم عبر مسيرة الحكم الأموي والعباسي، وحتى يومنا هذا. ونتيجة لهذا الموقف الطائفي، فقد وصل الأمر بالسلطات العثمانية أن ذهبت إلى منع التبعية العثمانية من الزواج من التبعية الإيرانية، وحملت في ضوئه المأذون بعقد النكاح المسؤولية أمام القانون من مغبة قيامه بأية حركة إلتفاف على المنع المذكور، وإلا كان العقاب الصارم في إنتظاره. ولم تكتف الدولة بهذا الأمر كإجراء داخلي بل تمادت في تثبيته كمادة دستورية⁽¹⁾. وشملت بهذا القرار كل الأمصار التابعة لها. ومن الحقائق الساطعة التي ترسم أمامنا هي أن غالبية الشيعة العرب في العراق أثبتوا بما لا يقبل الشك والتأويل، أن لهم شخصيتهم الوطنية الصادقة، والقومية الإنسانية الأصيلة، والإسلامية المتفتحة، بإنتمائهم لمدرسة الإمامة؛ ولم يتأثروا في الغالب الأعم بالتعامل سواء بالمنحى الطائفي أو العنصري أو الولائي للأجنبي، عبر الأحداث الوطنية والقومية التي مروا بها خلال القرن المنصرم. ولو رصدنا أدوار غالبية نخب الشيعة لرأينا أنهم مازالوا على ثباتهم المبدئي والأخلاقي، في كل أنواع التعاملات العامة والخاصة، بما فيها تعاملهم الإنساني مع الكرد والتركمانيين وبقية الأقليات الأخرى؛ على عكس ما كانت عليه المدرسة العثمانية التي تأثرت بها أغلبية نخب الحكم التي إستأثرت بحكم الدولة العراقية الحديثة.

وفي ضوء ما تقدم فإن هذا الموقف من جانب غالبية النخب الشيعة يعد بحد ذاته دليل نهج إيجابي في التعامل والتفاعل الكاملين مع مجموع الشعب العراقي بكل مكوناته، دون أي موقف فتوي. ومن الخطأ الظن أن الشيعة العراقيين، لديهم مشروعهم الخاص بهم في الحكم. فإن مثل هذا الظن إن هو إلا محض إفتراء تتداوله بعض حلقات السلطات الحاكمة، متى ما أرادت تعكير الأجواء بين الفئتين، ولغايات أصبحت مرصودة ومشخصة لدى المتبصرين من الفئتين. وإذا ما وجد نفر قليل من الشيعة ممن يلمحون أو يصرحون بذلك، إنماهم إما أن يكونوا متأثرين بدوافع لا يدركون أبعادها ومضامينها الحقيقية، وإما أنهم غلبتهم عواطفهم دون أن يدركوا الآثار التي يمكن أن تترتب على وحدة العراق أرضاً وشعباً.

(1) من مقالة - للدكتور محمد الهاموندي في (مجلة العالم) أشار فيها الى أن الدولة العثمانية ضمنت في دستورها / الجزء الرابع من الترتيب الأول، المعلن في 25 شعبان عام 991 هجري، ص 614، المادتان هما: المادة الأولى: يمنع بصورة قطعية زواج التبعية الإيرانية بتبعية الدولة العثمانية السامية. المادة الثانية: إذا حاول المأذونون بعقد النكاح بحركة مخالفة للمنع سوف يعتبرون مسؤولين عنها.

ومما يؤسف له أن هناك من يذهب إلى أن غالبية علماء الشيعة هم من أصل فارسي . وهو رأي فيه تعميم يتطلب المناقشة من زاوية أن أعدادا كثيرة من علماء ومجتهدي الشيعة سواء من هم في العراق أو غيره، إذا ما نظر إلى أصولهم وجذورهم، عندها تشخص الحقيقة أمامهم واضحة جلية، وهي أن غالبيتهم ينتهون إلى جدهم الأول الرسول الأعظم محمد بن عبد الله ﷺ عن طريق بضعة فاطمة الزهراء عليها السلام كما ينتهون إلى جدهم الثاني الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن طريق إبنيه الحسن والحسين . وللعلم أن آباء وأجداد هؤلاء العلماء والمجتهدين وأمثالهم، المتهمون بالفارسية والهندية والباكستانية، إنما هاجروا أو هجروا إلى أصقاع المعمورة، نتيجة الأضطهاد والجور، الذي لحق بهم على عهد حكم الأمويين والعباسيين والعثمانيين، وأخيراً وليس آخراً على عهد الأنظمة التي توالى على حكم العراق .

إن مئات من كتب الرجال والتراجم والأعيان حوت على جمهرة كبيرة من علماء ومجتهدين ومفكرين عرب، وبالخصوص من العراق ولبنان والبحرين، وقد تم عن طريقهم نشر فكر وفقه مدرسة الإمامة وبالخصوص في البلد الجار إيران المسلمة . لذا جاءت صفة وسمهم بالإيرانيين من خلال وجودهم المكاني وليس الإنتسابي، والذي أملتة عليهم ظروفهم آنفة الذكر أمرا يضعف مصداقية من ذهبوا مذهب وصفهم بالفارسية أو أي وصف آخر لأن توصيفهم هذا كما أشرنا غير دقيق وفيه تعميم⁽¹⁾ . ونحن بهذا التحليل حاشا أن نبغي التعريض بالإيرانيين أو غيرهم من الجنسيات الأخرى، بقدر ما هو تحليل من قبل تصحيح المعلومات الخاطئة، التي وقع فيها البعض، إما بقصد أو بدون قصد . كما إننا لانعني هنا أحدا من الباحثين، رغم إنسياقهم بهذا التعميم . إلا أننا نقصد المروجين من أصحاب القصد الذين يرونون بذر الشقاق والنفاق بين عرب العراق شيعته وسنته من جهة، وبين المسلمين العراقيين شيعة وسنة مجتمعين، مع المسلمين الآخرين من جهة ثانية، وبالخصوص مع الإيرانيين المسلمين، الذين قبلوا الإسلام بقناعة تامة وإيمان راسخ، حين تفاعلوا مع الإسلام

(1) النفيسي، عبد الله فهد، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، (ط1، دارالنهار للنشر، بيروت، 1973)، ص 49.

د. فرهاد، المصدر نفسه، ص .

د. الوردی، المصدر نفسه ج1، ص 11.

تفاعلا عميقا وصادقا، وأصبحوا قوة لا يستهان بها في مواجهة أعداء الإسلام. وللمعلومات التاريخية فإن الدولة الإسلامية الكبرى تكونت بادئ ذي بدء من الأمتين العربية والفارسية، لأن من أوائل من شملهم الفتح الإسلامي من العرب كان العراق، وإن من أوائل من شملهم الفتح الإسلامي من الأجانب كان الأمة الفارسية.

ولعل هناك بعض الأنفار من عرب ومن غيرهم، ممن تقمصوا ثوب سياسة «فرق تسد» هذه القاعدة التي إلتبس على البعض عانديتها إلى الأنكليز، في حين أنها قاعدة درج عليها العثمانيون بدءا وكانت من معطياتهم السياسية، حين إتخذوا من الإضطهاد الديني، والطائفية المذهبية، والعنصرية الإستعلائية، أدوات ومرتكزات لتلك القاعدة، وهي القاعدة التي رصد المستعمرون البريطانيون فيها ضالتهم لاحقا، فجعلوا منها سياسة ثابتة يمارسونها في البلدان التي إستعمروها، وبالخصوص في الدول العربية والإسلامية. وإستدراكا لموقف هذا البعض ومن ذهب مذهبهم، بتوصيف غالبية علماء ومجتهدي الشيعة بأنهم إيرانيون، فإن الإيرانيين كما هو معروف أهل ملك وحضارة وتمدن وفيهم العلماء والفقهاء والمحدثين والوعاظ والأدباء والنحويين والمفكرين والفلاسفة. وهنا يفرض المقام هذا التساؤل فإذا كان علماء الشيعة أجنب فماذا يمكن أن يقول أصحاب هذا الرأي من مدرسة الخلافة بخصوص أبو حنيفة الإمام، والبخاري المحدث، وسيبويه النحوي، والترمذي الفقيه، والغزالي المفكر؟ وعشرات على شاكلتهم وكلهم من الفرس والأعاجم، ممن تعتمدهم وتعتد بهم مدرسة الخلافة.

وفي ضوء ذلك لا بد أن نحسم الموقف بالاستناد الى حقائق باتت من المسلمات. وسيلنا إلى ذلك في إعتقادنا هو رفض أية حالة تعريض أو مس مهما كان مصدرها ومنشؤها من الطرفين، سواء من الوسط العربي العام وبالخصوص المجاور، أو من المحيط المحلي، بشيعتهم وستتهم، إذا كان هذا النفر أو أي كان غيرهم، يدعون حرصهم على العروبة والإسلام. ويفرض هذا المقام تساؤلات مشروعة، تخص الشأن العراقي، يمكن أن توضع أمام كل مخلص متجرد، متفقه بالدين، مقر بحقائق الأمور، يمقت التزمت الطائفي، ويرفض التعصب المذهبي، ويؤمن بوحدة الموقف القائم على العدل.

ولعل من أبرز تلك التساؤلات: هل يلام الشيعة العرب العراقيون لأنهم ولدوا من رحم مدرسة الإمامة؟ وهي المدرسة الأم. وهل من مصلحة العروبة والإسلام أن يبقى النهج الإستحواذي والأستثنائي السياسي محصورا بيد مكون واحد؟ عن طريق عزل الآخرين، في ظروف تتكالب فيها قوى الضلال، على الأمتين العربية والإسلامية متربصة بهما الدوائر. وهل ثمة من يدرك حقيقة هذا الواقع المرالذي عليه الأمة؟ إن هذا الواقع يحتاج إلى وقفة

حقيقية من نخبة كل المكونات، وتكون في مستوى مسؤولياتها لصنع المستقبل الأفضل لأجيالها الطالعة. وفي كل الأحوال يبقى الساكت عن الحق شيطان أخرس.

بعد هذه المقدمة التي فرضت نفسها، نعود لتسليط الضوء على بعض المواقف والممارسات، التي إنتهجها العثمانيون بحق شيعة العراق، إن هذه المواقف والممارسات إنجرت على شيعة العراق في فاصل زمني، نتيجة الصراع الإيراني العثماني، ورغم أن هذه المواقف والممارسات سواء من قبل العثمانيين تجاه شيعة العراق، أو من قبل الإيرانيين تجاه سنة العراق، لاتمت بصلة للدين الحنيف، لأنها تجاوزت القاعدة الإلهية التي وضعها الله لخلقه والتي تقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [فاطر: 18]. . إلا أننا نلاحظ أن ما تعرض له شيعة العراق على أيدي العثمانيين، كان أكثر إيغالا وإستمراية، من حيث أن حكم العثمانيين المباشر للعراق كان أطول بكثير من فترات حكم الإيرانيين له، لأن الحكم أساسا كان للعثمانيين، مع جولات كر وفر من قبل الإيرانيين. وقد أخذت ممارسات التمييز الطائفي تجاه شيعة العراق، من قبل العثمانيين أشكالا متعددة، فعدا الإضطهاد والتعسف والجور، كان هناك العزل الإجتماعي والإضرار الإقتصادي. فمن الأجراءات التي أتخذت بحق شيعة العراق، هي إبعادهم عن أية وظائف سواء مرموقة أو متوسطة في جهاز الدولة، على المستويين المحلي والمركزي، وراحت السلطات العثمانية تمعن في محاربة شيعة العراق، متذرة بكل الوسائل المتاحة.

ورغم فشلها في إنهاء دور المحاكم الشرعية الشيعية، ونقل قضايها إلى المحاكم الرسمية، حاولت بنفس الوقت إغلاق المدارس الدينية الشيعية في أماكن تواجدها في المدن المقدسة مثل النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء. إلا أنهم إستطاعوا وبإحكام وتصميم، إستبعاد قبول أبناء الشيعة في المدارس العسكرية⁽¹⁾. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تم إستبعادهم عن البعثات الرسمية ذات الإختصاصات العلمية المتنوعة. ويخطئ خطأ جسيما من يظن أن الشيعة ترفعوا عن دخول المدارس والمؤسسات في الدولة العثمانية، سواء في مركز الحكم أو في الأمصار وبالخصوص العراق، والسبب لا يكمن في ترفع الشيعة، إنما السبب يكمن في عملية التمييز الطائفي الذي سلكته الدولة العثمانية تجاه الشيعة بسد كل الطرق عليهم. ولعل خير من سلط الضوء على هذا النهج، هو كامل الجادرجي حين تحدث في مذكراته عن الشيعة فقال:

«وكان من سياسة الدولة العثمانية تحريم إسناد المناصب الحكومية لأفراد طائفة الشيعة

(1) البزركان، علي، الوقائع الحقيقية للثورة العراقية، (بغداد، 1945م)، ص 47 - 50.

على الأغلب، ولا سيما في المناصب الخطيرة. كما كان من سياسة تلك الدولة الحيلولة دون وصول الشيعة إلى سلك ضباط الجيش وكانت الدولة في الوقت نفسه تعرقل قبول أولاد الشيعة في المدارس الحكومية. فلم تفسح لها مجالات التقدم في أية ناحية من نواحي الحياة. ومن الأمثلة البارزة لذلك أنها كانت لا تقبل لها تلميذ في المدرسة الحربية، ولا يقبل منها فرد في وظائف الدولة، إلا ماندر، وعند الضرورة القصوى، وحتى في مدارس الدولة الإعدادية القليلة كانت توضع العراقيين في طريق دخول أبناء هذه الطائفة فيها»⁽¹⁾.

أما على مستوى الريف العراقي؛ فإن جل سكانه كما هو معزوف من العشائر العربية. الذين يشكلون ثلاثة أرباع سكان العراق⁽²⁾. ولما كانت أكثرية العشائر العراقية العربية من الشيعة كما أسلفنا، كان موقف مركز القرار العثماني منها، هو الآخر، يقوم على المواجهة والقمع، بسبب الحالة التي جبلت عليها السلطة العثمانية، وذلك عن طريق إضعاف وإنهاء دور وموقع المؤسسة العشائرية، التي كانت مسيطرة إلى حد بعيد على أبنائها، الذين لا يدينون بالولاء إلا لمؤسساتهم العشائرية من جهة، ولخطورة موقع قيادة المؤسسة العشائرية، التي تتمثل بعمق ولاء رؤسائها للمرجعية الدينية الشيعية، في المدن المقدسة وبالخصوص كربلاء والنجف من جهة ثانية، وهو ما كان يعتبره العثمانيون تحدياً وتجاوزاً على سلطاتهم المدنية والشرعية وإضعافهما. لذا سلك العثمانيون سياسة إضعاف الوحدة العشائرية وذلك بمحابة شيخ على آخر⁽³⁾. وحتى يتمكنوا من تشتيت العشائر، أمعن الولاة الأتراك بنفي شيوخ القبائل؛ ومنهم شيوخ قبائل الخزاعل⁽⁴⁾. وعملوا جاهدين على تفتيت وحدة المؤسسة العشائرية، حين عمد الولاة الأتراك على دس الشقاق بين العشائر، وخلق الحزازات بينهم⁽⁵⁾. الأمر الذي أوصل العلاقة بين الطرفين في الكثير من مقاطعها حد الصدام المسلح، الذي ذهب من جرائه الكثير من الضحايا من الطرفين. حيث كان الولاة الأتراك يتورطون في أوقات مختلفة بحملات عسكرية ضد تلك العشائر⁽⁶⁾.

(1) الجادرجي، كامل، من أوراق كامل الجادرجي، (ط1، دارالطبعة بيروت، 1971م) ص 63-86.

(2) سلمان، حسن محمد، التطور الإقتصادي في العراق، (بيروت، 1965م)، ص 51، 58.

(3) العزاوي، عباس، العراق بين إحتلالين، (منشورات الشريف الرضي، قم، 1410هـ)، ج 8، ص 111.

(4) د. العظية، حسن وداي، تاريخ الديوانية قديماً وحديثاً، (النجف، 1954)، ص 50.

(5) د. فارس، عبد الجبار، سنتان في الفرات الأوسط، (النجف، 1353 هـ)، ص 75.

(6) د. الوردی، علي، لمحات إجتماعية من تاريخ العراق، (ط2، دار كوفان، لندن، 1991)، ج 4، ص

ورغم التركيز الواضح على شيعة العراق، إلا أن الموقف لم يخل من بعض الإيجابيات، وإن كانت تلك الأيجابيات نابعة من خلال لإنفراج وتطور العلاقات بين القطبين الإيراني والعثماني⁽¹⁾. ولم يقتصر الصراع بين العثمانيين والعراقيين على الجانب الطائفي بل تعداه للجانب الديني، مع الطوائف الدينية الأخرى التي سكنت العراق كاليزيديين والمسيحيين⁽²⁾. ورغم أن حالة الإضطهاد قد شملت غالبية مكونات الشعب العراقي، إلا أن التركيز كان واضحا كما أسلفنا تجاه الشيعة. وبهذا الصدد يحتم الواجب الوطني والديني على الجميع إنه إذا ما وجدنا اليوم حالة غلو وممارسات مرفوضة وحالة تعريض وتجريح ومس، لدى قلة من الشيعة والسنة على السواء ضد بعضهما البعض، والتي لا تمت للدين ومذاهبه بصلة، فإن الترويج لها والتأكيد عليها في إعتقادنا إنما هو ضد جوهر الدين ومذاهبه السمحاء، وهو لا يتعدى ان يكون نسجا من الإسرائيليات ومخلفات الصراعات الإقليمية والدولية وتآمر الصهيونية العالمية. ولحسن البناء رأي سديد في هذا الشأن حيث يقول:

«إعلموا أن أهل السنة والشيعة مسلمون، تجمعهم كلمة لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وهذا أصل العقيدة، والسنة والشيعة فيه سواء وعليه إلتقاؤهم، أما الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيما بينهما»⁽³⁾.

ومهما يكن من أمر فنحن نعتقد أن جود مدرستين فقهيتين سياسيتين، وهما مدرسة الخلافة التي تعتمدها السنة ومدرسة الإمامة التي تعتمدها الشيعة، بعيدتان عن اللغو والغلو، وعن وجود من يكفر هذا وينعت ذاك، وعن أطر الممارسات التي ليست من الدين بشيء، والتي يمارسها بعض أتباع المدرستين، نعتقد إنما وجودهما منزهان من تلك الظواهر، هو بحد ذاته ضرورة قدسية للدين والدنيا لا ضرر ولا ضرار من وجودهما على هذا المستوى، طالما أن جوهر الدين وأصالته محافظ عليه من حيث أن أصولهما العقيدية الأساسية واحدة، وإن اختلفت ببعض الفروع وليس كلها، فهو أمر مطلوب كي ينجلي ماقد يشوش به على روح الدين. هذا من الناحية الفقهية والعقيدية.

الثانية: المسألة العنصرية

وعدا الممارسات الطائفية، الذي تعرضت لها شيعة العراق على أيدي العثمانيين. فقد

(1) أيضا، ج 3، ص 79.

(2) أيضا، ج 3، ص 51 - 55.

(3) التلمساني، الشيخ عمر، من مقالة عنوانها التقريب بين الشيعة والسنة واجب الفقهاء الآن. نشرت في مجلة المختار الإسلامي، العدد/37، السنة/السابعة، أيلول وتشرين أول عام 1985.

أخذ الصراع طوراً آخر وهو الصراع العنصري العام، الذي عم كل الجنسيات، وبالخصوص العرب وبكل طوائفهم، حين أخذت الحركة القومية التركية، والتي عرفت فيما بعد بالحركة الطورانية تتوسع رقعتها بعد الانقلاب العثماني على السلطان عبد الحميد في 31 آذار عام 1908م، وبذا عانى الشيعة العرب آثار ممارستين الطائفية والعنصرية. وترجم لنا أحد المؤرخ العربي محمد لطفي جمعة ما شاهده بأمر عينيه فيقول:

«إنه عندما زار إسطنبول في شتاء عام 1910 وأوائل عام 1911م لاحظ بوادر التذمر بين العرب، وقد روى له العرب أخباراً كثيرة عن إضطهاد الترك لهم»⁽¹⁾.

وتصاعد موقف الأتراك إلى عزل مجموعة من المتصرفين العرب، وإخراج أحد عشر موظفاً عربياً من وزارة الخارجية، وإبقاء موظف واحد فقط⁽²⁾. وإن هذا التصعيد لم يكن مألوفاً على عهد السلطان عبد الحميد، من حيث أن حالة من التوازن كانت قائمة إلى حد ما في الوظائف بين العرب والأتراك، حين جعل الباب العالي ومناصب الوزارة بيد الأتراك، أما قصره وشؤونه الخاصة فجعلها بيد العرب⁽³⁾.

ومما لا شك فيه إن اللغة الحية الأصيلة، تعتبر أهم وسيلة ورابطة إجتماعية وإنسانية وفكرية، تشد الأواصر بين متحدثيها، وحيث أن العربية هي من اللغات الحية والأصيلة التي كرمها الله، بأن جعلها كلامه الذي سيسود الأمم يوم البعث المشهود، ومن حيث أن دستور المسلمين القرآن الكريم نزل بلغة العرب، وبدل أن يدفع ذلك العثمانيين الأتراك التمسك بهذه اللغة، نلاحظ أن الدولة العثمانية كانت تتجنب ذلك. وينقل العلوي عن الدكتور فهمي جدعان قوله:

«أنها تجنبت عن عمد جعل العربية لغة رسمية، خشية إنبعاث عربي جديد، يمكن أن يؤثر على المدى البعيد خطراً حقيقياً على الإمبراطورية»⁽⁴⁾.

ويبدو أن هذا الإستنتاج قريب للواقع، لا سيما بعد أن أصبح العرب يشكلون الأكثرية في البنية السكانية للدولة العثمانية، بعد أن إنسلخت عنها دول البلقان. ولم تكتف الدولة العثمانية بمنع العربية في مدارسها في مركز الحكم، بل عممت هذا المنع على الأمصار

(1) جمعة، محمد لطفي، حياة الشرق، ص 225.

(2) برو، توفيق علي، العرب والأتراك، (بالقاهرة، 1960م) ص 95، 96.

(3) أنطونيوس، جورج، قضية العرب، (بيروت، 1962م) تر: ناصر الأسد وإحسان عباس، ص 149.

(4) د. نوار، عبد العزيز، في كتابه: تاريخ العراق الحديث، ص 46.

العربية المحتلة، حتى تصاعدت حمى العداة للعربية بالدعوة إلى ترجمة القرآن الكريم إلى التركية، لقطع الطريق على الأعاجم، تعلم كلام الله عز شأنه. لذلك نلاحظ أن الأفغاني راح يخاطب السلطان عبد الحميد قائلاً:

«إن في دولة الإسلام اليوم جنسيتين عرب بأكثرية مطلقة وأتراك. فإذا اجتمعت قوة الدين وقوة الجنس (القومية) تحقق للإسلام مجده الغابر ولما كان العرب مادة الإسلام، فنبني توحيد الأمتين وجعلهما في أمة واحدة، بكل ما في لسان العرب من معنى، وفي الدين الإسلامي من عدل، وفي مسيرة العرب، من أخلاق ومكارم وعادات»⁽¹⁾.

وقد ذهب محمد عبدة، وعبد الرحمن الكواكبي على مذهب الأفغاني، بوقوفهم ضد سياسة التتريك. وقد كان من أبرز سمات وأهداف الحركة الطورانية، هو تغليب العنصر التركي على بقية العناصر الأخرى، التي تتشكل منها الدولة العثمانية، التي أصبح العرب فيها يشكلون نصف الوجود العثماني، وربما يزيد على ذلك في فترات متأخرة. وحين سنحت الفرصة لشكري العسلي مبعوث دمشق في مجلس المبعوثين عام 1911م فرصة الحديث في المجلس، وقف العسلي موقفاً فاضحاً لتلك الممارسات، وأشار إلى عملية إبعاد العرب بطريقة موجهة ومقصودة، عن مناصب الدولة. مستشهداً بـ (نظارة المالية) كمثال على ذلك وبالأرقام، وأكد وجود مائة وأحد عشر تركيا، وثلاثة عشر يهودياً وعشرة من الأرمن. في حين لم يكن في تلك النظارة عربي واحد. وكانت إشارته هذه مدعاة للسخط عليه من قبل النواب الأتراك⁽²⁾.

وكانت إشارات العسلي هذه وما سبقها ولحقها من تدمير وسخط عربي، على ممارسات ومواقف الأتراك تجاه العرب، مدعاة لقيام العتاة من الأتراك القيام بتصفيات جسدية شملت المثأت من أحرار العرب ومفكريهم ونبلائهم، حتى إن بعضهم قد علقت أجسادهم الطاهرة في ساحات بيروت ودمشق كما حصل عام 1916م. وقد ولد ذلك ردة فعل سريعة في أرجاء الوطن العربي، وبالخصوص في العراق، الذي راح أبناؤه البررة في مدينة الكوت يدفعهم حسهم العربي والإسلامي، بالانتفاض على الأتراك إنتصاراً لحقوق العرب، وإستنكاراً لما جرى من تصفيات جسدية بحق إخوانهم عرب بيروت ودمشق وهو ما أدى بمحصلة الأمر إلى قيام السلطات التركية بإعدام كوكبة من العراقيين العرب في هذه المدينة الباسلة. إضافة للتصفيات الجسدية الأخرى التي حصلت في مدينة الحلة رداً على إنتفاضة أهلها ضد الجور

(1) جدعان، فهمي، أسس التقدم عند مفكري الإسلام، ص 101، 159.

(2) العلوي، م. س، ص 60.

والظلم التركي وضد التصفيات الجسدية في مدينتي بيروت ودمشق. وكان جل ضحايا المدينتين الكوت والحلة من الشيعة العرب⁽¹⁾. وكنتيجة طبيعية لما آلت إليه الأوضاع نلاحظ أن العرب إندفعوا بحسهم القومي العروبي والإسلامي الوطني، بتشكيل تنظيمات سرية سياسية، راحت تعمل من أجل إثارة الحس القومي والإسلامي بين العرب، ودفعهم للنضال والتصدي ضد الأطماع الأجنبية، وصولاً لتحقيق أهدافهم المشروعة في الحياة الحرة الكريمة. إلا أننا يجب أن لا ننسى حصول اختراقات لبعض تلك التنظيمات الأمر الذي أدى إلى إنسلاخ البعض من المنضمين إليها وإندماجهم في محصلة الأمر في خدمة المحتلين الجدد من بريطانيين وفرنسيين. وحتى تكون الصورة مكتملة فهناك من إلتفت إلى أهمية اللغة العربية، كلغة للقرآن والسنة. كأمثال السلطان سليم الأول الذي كان من أولئك الذين إهتموا إهتماماً مباشراً باللغة العربية، فقد أصدر فرماناً جعل اللغة العربية لغة التدريس والتدوين والأفتاء في كل ربوع الأمبراطورية العثمانية⁽²⁾. وإن الهجمة على العرب والعروبة، فتواكبت مع الهجمة على الإسلام والمسلمين، وإن إستهداف العربية كقناة عالمية للفكر الإسلامي، هو إستهداف لصميم الشريعة والأحكام، وقد تصاعدت هذه الهجمة، في عهد جمال أتاتورك، الذي حول الدولة العثمانية من دولة متشبثة بالإسلام، إلى دولة عنصرية علمانية، فعطل من أجل ذلك أهم المنافذ والقنوات، ذات الصلة في الإسلام، بل وألغى مؤسساتها، ومصادر إشعاعها.

وحتى نتواصل مع الأحداث نلاحظ أن من تقلد السلطة من الأحزاب التي جاءت بعد عهد أتاتورك، رغم علمانيتها المتطرفة، راحت تداعب أحاسيس الأتراك المسلمين، ليكونوا الجسر إلى السلطة، وفعلاً حاولت تلك الأحزاب، كحزب الشعب الجمهوري، والحزب الديمقراطي، إعادة الروح لبعض تلك المنافذ والقنوات. وهنا نلاحظ تدخل الجيش الذي بني على أساس علماني متطرف، يحاول عبر الانقلابات العسكرية، الحد من التملل والتمرد على الأتاتورية. فأخذ الصراع يتعمق بصورة وأخرى بين المتشددين، من العسكريين، وبين الذين يحاولون الاعتدال، فنى من خلال هذا التشدد وهذا الاعتدال، تيار شعبي ثالث هو في صميم التيار الإسلامي منه إلى العلماني، إلا ان هذا التيار يعيش اليوم على مفترق طريق يكون أولاً يكون، فحين سنحت له أول فرصة في هذا القرن، كي يقف

(1) د. الوردى، م. س، ج، ص.

(2) مجلة شؤون إسلامية، العدد/2، الصادرة في لندن في شهر جمادى الأولى عام 1419هـجري، والتي يصدرها المركز الإسلامي في إنكلترا.

على قدميه، في تسعينات القرن العشرين، أنتفضت العسكرية التركية العلمانية، وإعتبرته تجاوزاً غير مسموح به، فعطلت مسيرته، لكنها لم تستطع أن تخمد جذوته.

ورغم أن العسكرية التركية متغلغلة ومتنفذة، في صميم صنع القرار السياسي، بفعل إرتباطاتها المنظورة وغير المنظورة، بالأمبريالية والصهيونية العالميتين، وخاضعة لمأربهما العدوانية ضد الإسلام والمسلمين، مما مكنها هذا الوضع بأن تصبح صاحبة الحل والعقد. الأمر الذي وضع أصحاب التيار الثالث بين فكي العلمانيين، المتشدد منهم وتمثلهم العسكرية التركية، والمعتدل فيهم وتمثلهم أصحاب المصالح السنياسية. لذا نلاحظ أن أشد المناورات خبائثة بين الفصيلين، قد إلتقت مصالحهما في تفتيت الفصيل الثالث. ولكن مع ذلك فإن هذا الفصيل يتنامى ويتعمق يوماً بعد يوم ولا بد أن تكون الدورة القادمة لصالحه في جولة يصعب أن يقف حياها أصحاب المصالح؛ ﴿وَيَمَكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ [الأنفال: 30]..

المبحث الثاني: الحالة الاقتصادية وأهم سماتها:

لم تكن الحالة الاقتصادية التي كان عليها العراق، بأحسن من الحالة الإجتماعية، لما شملها هي الأخرى من الإجراءات والقوانين التعسفية، من قبل الدولة العثمانية وولاتها، تجاه المواطنين عامة والعشائر بخاصة، لاسيما فيما يخص الضرائب والرسوم وتوزيع الأراضي. وكانت سمات الإقتصاد العراقي مندمجة ومتأثرة بسمات الإقتصاد الرأسمالي العالمي. وبهذا الصدد يقول الكاتب الروسي ميرسكي:

«إن إندماج العراق بالسوق الرأسمالية العالمية قد تم نهاية القرن التاسع عشر»⁽¹⁾.

وحيث أن أهم مرتكزات النظام الرأسمالي أنه يقوم على أساس الملكية الخاصة، لذا نلاحظ أن المجتمعات الرأسمالية تزخر بالأنانية وحب الذات والإستغلال، وهو ما يؤدي بالمحصلة إلى بروز الطبقة، وتعميق التفاوت الطبقي، الذي ينتج عنه الصراع بين الطبقات، ومن خلال ما تتمتع به الطبقة الرأسمالية من وضع خاص في النظم الرأسمالية، نراها تمعن في إستعمال الحرية الواسعة الممنوحة لها، لتبقى محتفظة بالتمايز على الطبقات الأخرى، وربما كان لها شأن في صنع القرارات ليس الاقتصادية فحسب، بل حتى السياسية، وبما يخدم مصالحها الضيقة على حساب مصالح طبقات الشعب الأخرى. وكان الإقتصاد العراقي قبل إكتشاف النفط يقوم على مرتكزات ثلاثة:

(1) ميرسكي، ك. ي، العراق في العهد المضطرب، (موسكو، 1961)، بالروسية، ص 15.

أ - الزراعة البدائية .

ب - الصناعة اليدوية .

ت - التجارة المحدودة .

أ - الزراعة البدائية:

رغم أن العراق كما هو معروف منذ القدم أنه بلد زراعي بالدرجة الأولى ، وكان يطلق عليه في عصور إزدهاره (أرض السواد) لسعة مساحة الغطاء الزراعي الذي كان يشمل أراضي شاسعة ، وكان يسكنه ما يقارب 45-50 مليون نسمة ، إلا أن حالة من التردّي والتأخر أصاب الزراعة أبان العصور المتأخرة ، ومع ذلك ظلت الزراعة أهم مقومات إقتصاد البلد، حتى أكتشف النفط وتم إستخراجه تجاريا في بدايات الربع الأول من هذا القرن . لذا نلاحظ أن الحالة الإقتصادية والمعاشية لأكثر الناس مساحة وهم العشائر ، والتي تتجاوز نسبة كثافتهم السكانية إلى عموم سكان العراق ، كما أسلفنا ما يقارب 75٪، ظلت حالة إكتفاء ذاتي ، من الأساسيات المعاشية، المتأتية أصلا من المنتجات الزراعية والحيوانية، وكانت غالبية العشائر بالكاد تسد حاجاتها من السلع الأخرى، ببيع الفائض من المنتجات الزراعية والحيوانية، ومقايضتها بالشاي والسكر والتون والقهوة والأقمشة، والأدوات الزراعية البسيطة للحرث والبذار، إضافة للخيم، وهو أقصى ما يحتاجه أفراد العشيرة، وكثيرا ما كانوا يحصلون على هذه المواد من السوق العراقي بالآجل، لحين ظهور الناتج الزراعي وبيعه، فإن كان الناتج رديئا تأجل الدفع إلى الموسم التالي . وحيث أن إقتصاد العراق كما أسلفنا يقوم بالدرجة الأولى حينذاك على الإنتاج الزراعي يتبعه الإنتاج الحيواني، كان للأرض الزراعية أهمية إقتصادية كبرى في حياة الناس ومعاشهم لا سيما العشائر، لذا نلاحظ أن الدولة العثمانية وهي تسلك نهج تفكيك أوامر المؤسسة العشائرية، وتدمير مقوماتها، أخذت بسن قوانين خاصة بالأرض الزراعية، بما يشدد من قبضتها في التحكم في حالة الولاء والتابعة، والفرز الطائفي . يقول العلوي بصدد ذلك :

«أرسى عبد الحميد قواعد للأستغلال بمنح الإقطاعات الكبرى لعدد من العوائل التي نفذت سياسته، وأوقف لبعض الأشراف مقاطعات خاصة ظلت تدر على عدد من العوائل، عوائد كبرى، قبل أن تقرر ثورة 14 تموز عام / 1958 تصفيتها»⁽¹⁾ . .

ويشير العلوي إلى إصدار لائحة رسمية عثمانية حول توزيع الإقطاعات فيقول:

(1) العلوي، م . س . ص 42 .

«وقد إعترفت السلطنة بخمسة أسر فقط من الأشراف، في لائحة رسمية نشرت سنة 1894م، بلغ عدد الشخصيات البارزة فيها 21 شخصية. بينما حرص السلاطين العثمانيون على جعل الأراضي الواقعة في المناطق الشيعية ذات صفة أميرية مؤقتة، وذلك بإعادة توزيعها أغلب الأحيان وتشتيت الحيازات وتخصيصها لمناطق يكون الحائزون غرباء عنها»⁽¹⁾.

وقفة إستدراك لما ذكره العلوي بخصوص تصفية الأقطاعات من قبل ثورة تموز، من حيث أن ما ذكره العلوي يوحى بالمطلق، في حين إن ثورة تموز قامت بتحديد سقف أعلى للملكيات، لذا ظلت غالبية تلك العوائل تمتلك بالتحديدات الجديدة الأفضل من الأراضي التي كانت في حيازتها أصلاً، وقد إستطاعت تحويل بعضها إلى أراضي سكنية، درت على أصحابها الملايين، على حساب حقوق الشعب، من حيث أن كل الأراضي أصلاً هي ملك عام للشعب العراقي، إلا أنها إستعملت لإرشاء التابعين. وينقل لنا العلوي ما ذهب إليه الدكتور سنان سعيد بخصوص طائفية التوزيع للأراضي الزراعية، من قبل العثمانيين حيث يقول:

«إن عزوف الأتراك عن تملك الأراضي في الجنوب كان منبعثاً من نزعة طائفية. وكان الشيوخ الوحيدون في الفرات الأوسط الذين حصلوا على حصص كبيرة من الأرض هم آل السعدون (من أهل السنة). أما العشائر والشيوخ في الجنوب فقد خرجوا صفر اليدين من نظام الطابولأنهم من أهل الشيعة»⁽²⁾.

ناهيك عن تحميل الحائزين عليها أصلاً وهم من الشيعة، ضرائب ورسوم لا قبل لهم بها، إلا أن هذه السياسة إصطدمت بعقبات كثيرة وولدت للدولة العثمانية مشاكل متعددة، لا سيما العشائر ذات القوة والسطوة، فلم تستطع تلك القوانين والإجراءات، من تحقيق الأهداف المرجوة بصورة دائمة، إلا في نطاق وحيز محدودين جداً.

ب - الصناعات اليدوية:

لم يشهد العراق على عهد العثمانيين أية حالة تطور صناعي ملموس، إلا ان هناك صناعات جداً بسيطة، لا دخل للمكنة الحديثة فيها، لأن غالبيتها صناعات يدوية تعتمد على الجهد العضلي. ولعل من أهم تلك الصناعات هو دباغة الجلود، كبس التمر، تنظيف

(1) العلوي، المصدر السابق، ص 42.

(2) ن . م ، ص 42.

الصوف وحزمه، تجفيف عرق السوس، الآلات الزراعية وغالبا تصنع من الخشب والحديد، الأدوات النحاسية للإستعمالات البيئية، فخر الطين لعمل طابوق البناء والأواني المنزلية، السيكاير المحلية، حياكة الخيم والبسط، صناعة النسيج اليدوي. وكانت بعض هذه الصناعات على بدايتها تصدر إلى الخارج. لا سيما الجلود والمصارين والصوف والتمور المكننة الحديثة بدأت تأخذ طريقها بداية متواضعة، وأخذت تظهر هنا وهناك، حيث وعرق السوس، حيث يعاد تصنيعها صناعة حديثة في الدول التي تصدر إليها، وغالبا كانت تقايض بمواد ومصنوعات يحتاجها السوق للإستهلاك المحلي، وكان جزءا منها يدر بعض العملات الصعبة. إلا أن الحاجة المحلية القصوى لصناعات دائمة الإستهلاك، فتم تأسيس معمل حديث للنسيج، ومطاحن حجرية للحبوب، ومعامل للتليج، وهباشات للرز. وأخذ الإهتمام يتزايد لدى الشركات الأجنبية بالتصنيع في العراق، لا سيما للمواد المعدة للتصدير، لأن تصنيعها أو تهيتها للصناعة داخل العراق، هو أقل كلفة لوفرة الأيدي العاملة العراقية ورخص أجورها. لذا نلاحظ أن بعض الشركات بادرت فعلا بإقامة معامل حديثة مثل: تعبئة التمور وكبسها، تنظيف الصوف وتنقيته، تجفيف عرق السوس وحزمه. ورغم أن سوق الجلود الخارجي كان جيدا، إلا أن الشركات الأجنبية لم تقدم على تأسيس معامل حديثة للتعامل مع الجلود الخام وتحويلها لجلود جاهزة للصناعات الجلدية، ويمكن أن يعزى سبب هذا العزوف إلى ندرة الأيدي الفنية، ولإنخفاض أسعار الجلود العراقية الخام أصلا، وهو ما يمكن أن يغطي كلفة إعادة تجهيز الجلود للصناعة بالخارج، وبهامش ربحي جيد.

ج - التجارة البدائية:

لم يكن العراق في عصر تأخره، وهو تحت الحكم العثماني، له نشاط تجاري مرموق، كما كان في عصر إزدهاره، إلا أنه لم يخل من هذا النشاط رغم محدوديته، حيث تركزت التجارة بالدرجة الأولى على التصدير الفائض من المحاصيل الزراعية: كالحنطة والشعير والرز والتمور وعرق السوس. والمنتجات الحيوانية: كالجلود والأصواف والمصارين. وربما جرى تصدير بعض المصنوعات الفخارية والبسط والخيم بنطاق ضيق إلى الدول المجاورة. ومقابل ذلك كان العراق يستورد مواد رئيسية: كالشاي والسكر والقهوة وورق السيكاير والكتابة والأقمشة والأدوية وبعض المواد الأولية. والشئ الملفت للنظر أن النشاط التجاري كان يخضع إلى عدة عوامل، البعض منها لا يمت للمصالح الوطنية بصلة، بقدر ما يمت للمصالح الأجنبية. وأهم تلك العوامل:

1 - كانت عملية التجارة الخارجية والداخلية بما فيها من عمليات الإستيراد والتصدير

والسوق المحلي، مسيطر عليه من قبل الأجانب، لا سيما البريطانيين والألمان بالتعاون مع اليهود المحليين، الذين أصبحوا لاحقاً موضع سخط وإرتياب، وربما الحسد من قبل المسلمون، لتزايد ثرواتهم وتوسع سلطانتهم في البلد، على حساب الأكثرية المسلمة. ويورد العطية جزءاً من تقرير رفعه السفير البريطاني لبلده عام 1909م. ومما جاء في التقرير هو:

«إن تنامي ثروة اليهود ونفوذهم في بلاد ما بين النهرين، قد ساهم كذلك في حالة التذمر، لقد إحتكروا كل التجارة في أيديهم، كما أنهم بتكالبهم على أحسن أحياء المدينة ورفعهم بذلك جميع الأسعار، إنما جلبوا على أنفسهم كراهية السكان المسلمين، وهذا شعور يقابلونه بالمثل من الصميم»⁽¹⁾.

وفي تقديرنا أن بعض ما ورد في هذا التقرير لا يمثل المشاعر ضد اليهود وحسب، رغم إنهم مواطنون عراقيون، بل وضد البريطانيين والألمان أنفسهم، لأن أبعاد العملية التجارية وآلياتها كانوا يتوزعونها ثلاثتهم مجتمعين، فهم لذلك سواسية في هذا الموقف. وقد مكن المركز الإحتكاري الذي تمتع به هؤلاء من التحكم في الأسعار⁽²⁾. وهو ما كان يجر آثاراً بالغة الضرر على المصالح الوطنية العليا، ويؤثر سلبي على القدرة الشرائية لعموم المستهلكين من الشعب، لذا نلاحظ أن التذمر أخذ مأخذه في نفوس المواطنين. ففي مقالة تحذيرية لصحيفة المصباح عن النفوذ الأجنبي، جاء فيها إشارة لشركة بيت لنج البريطانية المعروفة أنها كانت:

«تمسك زمام التجارة بيدها الحديدية، وإن التجار من أهالي البلد ما هم إلا تابعين ووسطاء، ليس لهم نفوذ»⁽³⁾.

2 - كانت الحركة المصرفية بالكامل حكراً أجنبياً، فقد كان للبنك الإمبراطوري الإيراني فرعا في بغداد، أسس عام 1890م، إلا أنه في عام 1908م، تم فتح البنك العثماني في بغداد، بعد أن تم تسوية غلق فرع البنك الإمبراطوري الإيراني، بالتوافق بين العثمانيين والإيرانيين⁽⁴⁾. كما بادرت ألمانيا في تأسيس البنك الشرقي الألماني في بغداد عام 1908م، وقبل وأثناء فتح هذه الفروع كان الصيارفة اليهود لهم باع في هذا النمط من

(1) العطية، م س، ص 63.

(2) سلمان، محمد حسن، المصدر السابق، ص 144، 145.

(3) صحيفة المصباح، لصاحبها المرحوم عبد الحسين الأزري، العدد الصادر في 3 آذار عام 1914م.

(4) غنيمة، يوسف رزق الله، تجارة العراق في الماضي والحاضر، (بغداد، 1922م)، ص 110، 111.

العمل، فهم يريدو الفائدة الربوية منذ القدم، ومنهم تعلم الآخرون هذا الفن. والإسلام كما هو معروف لا يقر العمل بالربا، لأن نماء المال الربوي، يقوم على حساب مال الغير وكده وعرقه، لذا حرمه الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة: 275]. . . والمذهب الإقتصادي في مفهوم الشيعة الإمامية ينظر للعملية الربوية على أنها تعطيل لعملية الإستثمار، وتقليص لفرص العمل، وتضاد للتوازن والتعادل الإجتماعي. يقول الإمام الصادق عليه السلام: «بهذا الخصوص «إن الله إنما أعطاكم هذا الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله، ولم يعطكموها لتكنزوها»⁽¹⁾ . . .

3 - كانت وسائل النقل المتداولة في العراق على عهد الدولة العثمانية، بادئ الأمر بدائية للغاية، وكانت تعتمد على قوافل الجمال والعربات التي تجرها الخيول، إضافة للنقل النهري البدائي بواسطة الكلك والزوارق التي تعتمد على الجهد العضلي، لنقل البضائع والأفراد، إلا أن الحالة بدأت بالتغير الملحوظ على مرحلتين الأولى؛ حين تم إدخال النقل النهري البخاري إلى العراق، عن طريق الشركة الإنكليزية بيت لنج بفتح خط نهري بين بغداد والبصرة. كما كان للألمان، دورا كبيرا في مد سكة حديد من حيدر باشا قونية إلى بغداد والبصرة، إضافة لفتح خط نهري وهو ما سبق الإشارة إليه وحين يتحدث الفون بسلوف Alvon Biselof عن أهمية الإمتيازات التي حصلت عليها المانيا من الباب العالي العثماني يقول:

«إن هذا فتح أمام النفوذ والشركات الألمانية، ميدانا من النشاط يمتد بين البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسي، على نهري دجلة والفرات»⁽²⁾ . . .

رغم أن العراقيين لم يكن لهم أي دور مشاركة في كل أو بعض تلك الإستثمارات، إلا أن هذه النقلة النوعية في عملية النقل البري والنهري، تعتبر نقلة حضارية متقدمة، إذا ما قيست بما كان عليه العراق قبل حصولها، حيث كانت هذه النقلة سببا مباشرا في تسهيل عمليات نقل البضائع والأفراد عبر الخطوط النهرية من وإلى بغداد مرورا بالمدن الواقعة على ضفتي النهر، إضافة لخطوط السكك الحديدية التي لعبت هي الأخرى دورا منافسا للخطوط النهرية.

(1) الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، (ط3)، منشورات الأعلمي، بيروت، 1393 هـ،

(1973م)، ج1، ص 43، 431.

(2) العطية، م. س، ص 103.

4 - كانت لآلية الإتصالات الحديثة البريدية والسلكية واللاسلكية سواء منها الخارجية أو الداخلية، أهمية كبيرة في حياة الناس، ولعل فائدتها في تسهيل المهمات التجارية من أستيراد وتصدير، أمر مفروغ منه. وقد كانت الفرصة أمام البريطانيين متاحة لإبرام إتفاق مع الدولة العثمانية، بقيام المهندسين البريطانيين، بمد خطوط التلغراف، الذي إقتصر بادئ الأمر بين تركيا والعراق. إلا أن القرن التاسع عشر لم يكن ليشرق على الإنتهاء، إلا وكان التلغراف قد تم تعميمه على غالبية المدن العراقية. ناهيك عن تعميم البريد المنظم الذي إضطلعت به الحكومة الهندية البريطانية وقد تناول بعض المؤرخين والباحثين الكثير من التفصيلات عن هذا الموضوع⁽¹⁾. وكما في الآليات الأخرى نلاحظ أن المستفيد الأول من هذه الآلية هم الأجانب، لأن كل هذه الآليات لها فوائد جمة في تسهيل التجارة بشقيها الأستيراد والتصدير، والتي إضطلع فيها الأجانب واليهود المحليين كما أسلفنا. لكن هذا لا يعني أن ذلك لم يعكس فوائد ولو متأخرة، بصورة وأخرى، على العراقيين كافة. وهكذا بدأت الحالة التجارية ترى شيئاً من التطور والإنفراج الملموس، ورغم أن جل الفوائد كانت لصالح المستثمرين الأجانب كما تقدم ذكره، إلا أن حالة من النمو أخذت تسري في إقتصاد البلد، لا سيما من زاوية تسهيل عمليات التصدير، وهو ما شكل بدايات لتحسن الحالتين المعاشية والإجتماعية للسكان.

المبحث الثالث: الحالة السياسية وأهم أبعادها:

إتسمت الحالة السياسية التي كان عليها العراق على عهد الحكم العثماني، بموجة من الأستياء والإستنكار الشديدين، لما كانت عليه من التحيز الواضح التشخيص لجانب السنة على حساب الشيعة. ويشير أحد الكتاب إلى ذلك قائلاً:

«وأهم من ذلك الفرقة بين الأغلبية الشيعية من السكان وبين السنة، الذين ينعمون بالمزايا السياسية، بسبب دعمهم من الحكومة العثمانية السنية»⁽²⁾.

(1) الوردى، م. س، ج 3، ص 235.

عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، (بيروت، 1962م)، ص 85.

حامد البازي، البصرة في الفترة المظلمة، (بغداد، 1969م)، ص 96.

سليمان البستاني، عبرة وذكرى، (القاهرة، 1908م)، ص 49.

عبد الكريم العلاف، بغداد القديمة، (بغداد، 1960)، ص 156.

(2) د. العطية، غسان، العراق نشأة الدولة، (ط1، دار اللام، لندن، 1988م)، ص 36.

وبالرغم من هذه المواقف نشاهد أن الكثيرين من الشيعة، وبالخصوص النخبة، من علماء وساسة ووجهاء ورؤساء عشائر كانوا يميلون إلى إسناد العثمانيين، طالما كان هناك عدو أجنبي يتربص للكيّد بالمسلمين، وهنا يظهر التأثير الديني الحقيقي واضحاً في مواقف الشيعة رغم إبتلاء اتهم مع العثمانيين. وهذا في تقديرنا موقف ديني وسياسي مسؤول. ومن الإستجابات الملموسة لنداءات شيوخ الإسلام في مركز الحكم العثماني، فقد لبى نداءهم شيعة العراق وعلمائهم، للتصدي للمحتلين الطليان الذين وطئت أقدامهم أرض طرابلس الغرب (ليبيا حالياً)، والمحتلين البريطانيين الذين وطئت أقدامهم أرض الرافدين⁽¹⁾. والذي نريد أن نخلص إليه أن الأتراك لم يحسنوا إستغلال هذه المواقف الإستغلال الأمثل، لأن عقولهم ونفوسهم مشبعة بالحس الطائفي المقيت ضد الشيعة، وهو ما كان يؤثر في بعض الأحيان على موقف شيعة العراق، تجاه الأتراك بين المد والجزر.

لقد كان الشيعة العرب العراقيين يتشبثون بالوسائل المختلفة لينالوا حقوقهم المشروعة أسوة بغيرهم. فحين أعلن الدستور في البلاد العثمانية 23 تموز عام 1908م، عد ثورة على الأوضاع التي كانت سائدة، لا سيما وأنه تضمن مبدأ المساواة بين رعايا الدولة العثمانية. لذا راح البعض من نخبة الشيعة بادروا بالترحيب بهذه الخطوة، وكان من أبرزهم محمد رضا الشيببي، وعبد الحسين الأزري، وكاظم الدجيلي، وحسون الناهي وبقاقر الشيببي، وإبراهيم صالح شكر⁽²⁾. وللتدليل على نهج العزل السياسي الذي مارسته الدولة العثمانية، على طول خط مسيرتها، تجاه شيعة العراق، نورد بعض الأدلة. فحين تم تأليف لجنة إعداد الدستور العثماني في 7 تشرين الأول من عام 1876م وقوامها ثمانية وعشرين عضواً كان جلهم من السنة إضافة لرئيسها مدحت باشا. الذي كان يعتبر الصدر الأعظم في حقبة حكم السلطان عبد الحميد، وقد مثل العراق في هذه اللجنة شخص واحد فقط هو محمد أمين وهو سني⁽³⁾.

ولو رجعنا إلى إنتخابات مجلس النواب، او ما كان يطلق عليه (مجلس المبعوثان) لدورات 1876، 1908، 1912م، لرأينا أن مجموع المنتخبين من العراقيين لكل هذه الدورات كانوا سبعة وثلاثين عضواً، جلهم من السنة واليهود، وللأطلاع والتوثيق من أسمائهم راجع

(1) الخاقاني، علي، البابليات، (دار البيان، النجف، 1951-1953)، ج5، ص 196-230. - مجلة النجف، العدد / 3، السنة / 4، عام 1960م.

(2) الوردی، م. س، ج3، ص118.

(3) الحسني، عبد الرزاق، العراق خلال الإحتلال والإنتداب، (صيدا، 1935)، ج1، ص47.

المقدسي، أنيس الخوري، التيارات الأدبية في العالم العربي المعاصر، (بيروت، 1967)، ص 45-48.

العزاوي⁽¹⁾. والمرة الوحيدة التي سمحت فيها السلطات العثمانية أن ينتخب من الشيعة عضوا واحدا في مجلس المبعوثان كان عام 1908، وكان المنتخب هو عبد المهدي الحافظ⁽²⁾. ويبدو أن الحالة العامة التي كان يعيشها العرب على عهد العثمانيين، قد دفعتهم إلى تشكيل جمعيات وأحزاب سياسية السرية منها والعلنية بين عام 1908-1912م، مثل الإخاء العربي العثماني، جمعية العلم الأخضر، والجمعية القحطانية، وحزب اللامركزية، جمعية اليد السوداء، جمعية العربية الفتاة⁽³⁾. وكانت الثورة الدستورية عام 1908 في مركز السلطة، عاملا مساعدا في تحريك الحالة السياسية في الولايات التابعة للحكم العثماني، وكان أول فرع لتنظيم سياسي وجد في بغداد هو فرع جمعية الإتحاد والترقي⁽⁴⁾.

ورغم أن غالبية المتتمين لهذه الفروع هم من موظفين سلطويين، مع مشاركة محدودة من التابعين من تجار وملاك، إلا أن ذلك كان فاتحة لفروع أخرى، وتنظيمات أساسية قامت في داخل العراق. ومن فروع الأحزاب التركية التي كان لها نصيب العمل في العراق هي الحزب الحر المعتدل⁽⁵⁾ وحزب الحرية والإئتلاف⁽⁶⁾. وهناك تنظيمان سياسيان أساسا أصلا في العراق وهما جمعية النادي الوطني في بغداد⁽⁷⁾، وجمعية الإصلاح

(1) العزاوي، عباس، العراق بين إحتلالين، ج3، ص33.

(2) الوردي، المصدر السابق، ج3، ص168.

(3) الأعظمي، عزت، القضية العربية، (بغداد، 1932)، ج3، ص35.

د. نظمي، المصدر السابق، ص92.

سعيد، أمين، الثورة العربية، (بيروت، 1965)، ص29.

قدوري، أحمد، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى، (دمشق، 1956)، ص6-12.

(4) تم فتح هذا الفرع في بغداد/ آب من عام 1908م. وكانت لجنته مؤلفة من السنة من غير العرب إضافة

لمسيحيين ويهود. راجع وثيقة بريطانية. F.O. 371/546/3561. Enclosur 4 in No.1, Year 190.

(5) تم فتح أول فرع له في البصرة/ آب من عام 1911م. كما تم فتح فرع ثاني له في بغداد/ أيلول من

نفس العام. وكان رؤساء الحزب من السنة العرب من رجال الدين وأصحاب الأراضي، وكان على

رأسهم، محمود نجل عبد الرحمن النقيب. راجع غسان العطية، المصدر السابق، ص81، 82.

ونظمي، المصدر السابق، ص91.

(6) تم فتح أول فرع له في بغداد؛ كانون الثاني من عام 1912م، وكان من أبرز أعضائه: حمدي الباجه

جي، ومحمود نديم الطبقجلي، وهما من السنة العرب. وقد ضم هذا الفرع جل اعضاء الحزب الحر

المعتدل. راجع أيضا العطية، ص82. نقلا عن جريدة صدى بابل، العدد/ 119، الصادرة في تاريخ

28 كانون الثاني من عام 1912م. والوثيقة البريطانية: F.O. 371/1490/12865.

(7) تأسست هذه الجمعية في بغداد عام 1912 من مزاحم الباجه جي، ثابت السويدي، تحسين =

البصرية⁽¹⁾. والشئ الملفت للنظر أن غالبية المؤسسين، سواء لفروع الأحزاب أو الجمعيات السياسية التي أسست أصلاً في تركيا، أو لتلك التي أسست أصلاً في داخل العراق في تلك الحقبة، كان غالبيتهم من السنة العرب. إلا أن فيضي أشار إلى إجتماع عقد في مكتبه حضره بعض أعيان الشيعة في البصرة، وهم عبد الوهاب وعبد العزيز وعبد المحسن الطباطبائيون، وتداولوا في فتح فرع لحزب الحرية والأئتلاف في البصرة، وأقره برئاسة طالب النقيب⁽²⁾. وأشار التميمي إلى أن محمد جعفر أبو التمن تحمس لفرع الحزب في بغداد، لكنه لم يؤكد إنتساب أبو التمن لهذا الحزب⁽³⁾.

أما من الأحزاب التي أقتصرت الإنتساب إليها على الضباط العرب، وجلهم من العراقيين، فقد أسس عزيز علي المصري (عراقي الأصل)، وضباط عرب جلهم من العراقيين، في الإستانة حزبا سريا أطلقوا عليه (حزب جمعية العهد)، وذلك في 28 تشرين الأول عام 1913م. ومن أهدافه الدفاع عن مصالح الأمة العربية، وهو ما يترجم وحدة الأهداف العربية، بل ويجسد البذرة الأولى في وحدة العمل العربي في إتجاه تحقيق الحقوق المشروعة للشعب العربي. وأصبح له فروعاً في بغداد⁽⁴⁾ والموصل⁽⁵⁾؛ وقد سبق الإشارة

= العسكري، حمدي الباجه جي، عبد المجيد كنة، بهجت زينل، عبد اللطيف الفلاح، رزوق غنام، عبد الحميد الشالجي، يوسف عز الدين، صبيح نجيب، إبراهيم حلمي العمر. وكلهم عرب سنة مسلمون، بإستثناء رزوق غنام فهو عربي مسيحي. وكان على رأس الداعمين مالياً لهذه الجمعية عبد الرحمن النقيب. راجع سليمان فيضي، غمرة النضال، (بغداد، 1952م)، ص 132. ومحمد أمين العمري، مقدرات العراق السياسية، (بغداد، 1935م)، ج 3، ص 45. وتحسين العسكري، ذكرياتي، (بغداد، 1936م)، ج 1، ص 31، 40.

(1) تأسست هذه الجمعية في البصرة عام 1912، وكان من أبرز القائمين عليها هو طالب النقيب، وحسون محمد الناهي وقد تبنت هذه الجمعية شأنها شأن جمعية النادي الوطني، البرنامج السياسي لحزب اللامركزية المؤسس أصلاً في مصر. راجع د. محمد مهدي البصير، نهضة العراق الأدبية، (بغداد، 1947) ص 37-41. وسلمان فيضي، المصدر السابق، ص 98، 132. والبصير أيضاً، تاريخ القضية العراقية، ص 40.

(2) فيضي، المصدر السابق، ص 99، 104.

(3) د. التميمي، خالد، محمد جعفر أبو التمن، (ط1، مطبعة الإخاء، دمشق، 1996)، ص 36 - 38.

(4) ومن أهم المنتميين لفرع بغداد هم كل من: تحسين علي، عبد الغفور الشالجي، طه الهاشمي، عبد الحميد الشالجي، حمدي الباجه جي، إبراهيم حلمي العمر.

(5) ومن أهم المنتميين لفرع الموصل هم كل من مولود مخلص، علي جودت الأيوبي، عبد الرحمن شريف، شريف الفاروقي، عبد الله الدليمي، وجميعهم من الضباط العرب السنة. راجع بخصوص =

إلى أعضاء كل من الفرعين . وفي ضوء الإنفتاح في تأسيس الأحزاب والجمعيات السياسية، التي خلفتها ثورة 1908م الدستورية، كان للصحافة والإعلام نصيب لا يستهان به، وقد أصبح بين عامي 1908-1914م في العراق تسعة وستون صحيفة وسبع عشرة مجلة⁽¹⁾ تدار من قبل أصحابها، بعد أن كان عدد الصحف قبل هذا التاريخ ثلاث صحف وثلاث مجلات فقط، وكانت تدار من قبل السلطات التركية آنذاك. وكما هو التأثير الطائفي كان ظاهرا في تأليف الأحزاب السياسية نلاحظ نفس الحالة تم التعامل بها مع الشيعة، في مجال منح إمتيازات إصدار الصحف والمجلات، ففي حين كان نصيب السنة من هذه الصحف والمجلات أربعا وخمسين، كان نصيب الشيعة ثمان فقط. أما الباقي فوزع على المسيحيين واليهود والسلطة التركية في العراق. ولا بأس بإعطاء لمحة موجزة عن الجولات الشيعية ضد الأتراك، خلال بدايات هذا القرن، والتي مثلتها خمس إنتفاضات هي إنتفاضة النجف عام 1915م؛ إنتفاضة كربلاء عام 1916م؛ إنتفاضة الكوت عام 1916؛ إنتفاضتي الحلة عام 1915، 1916م. وقد أشار المؤرخون إلى ما صاحب هذه الإنتفاضات من ممارسات تأباها أبسط القواعد الدينية والإنسانية ففي إنتفاضة النجف، قام الأتراك بتفتيش النساء النجفيات ونزع عباآتهن، خوفا من وجود جنود هارين بزي النساء، وهو ما أثار حفيظة أهل النجف، ودفعهم للهجوم على الحامية التركية وإنهزامها، وقيام إدارة شعبية للمدينة. أما في إنتفاضة كربلاء فكادت تحصل كارثة على الكربلايين، رغم ما حققته الإنتفاضة من سيطرة تامة على المدينة، لولا تدخل رجال الدين في النجف والكاظمية، الذي حال دون إقتحامها وإقتحام مدينة النجف، من قبل الجيش التركي، الذي كان قد حقق لتوه إنتصارات حاسمة على إنتفاضة مدينة الكوت. وكانت مدينة الكوت قد ثارت منتصرة للدماء الزكية العربية التي أزهدها الأتراك، في كل من دمشق وبيروت، ضد المنتفضين العرب، الذين كانوا يطالبون بالأستقلال عن الدولة العثمانية، وهو ما أدى إلى قيام الأتراك إقتحام مدينة الكوت، وإعدام أحد عشر منتفضا من العراقيين العرب الأحرار.

أما إنتفاضة الحلة الأولى فكان موقف الأتراك في قمع المنتفضين الحليين قد تعدى كل الحدود، فعدا قيام القائد التركي عاكف بقصف عشوائي للمدينة، بالطائرات والمدفعية، قام بإعدام سبعة عشر منتفضا، ولم يتورع من القيام بأخس عمل يصدر عن قائد عسكري يدعي الإسلام، وذلك بإرسال مجموعة من النساء سبايا إلى الأناضول، وهو ما أدى إلى إنسحاب

= التنظيم د. غسان العطية، المصدر السابق، ص 86، 87. نقلا عن العسكري، ذكرياتي، ص 41

(1) الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الصحافة العراقية، (بغداد، 1957م)، ص 51.

المجاهدين العراقيين الفراتيين الأوسطيين من المشاركة بالحرب التي كانت قائمة آنذاك. ولم يكن تعرض المنتفضين في إنتفاضة الحلة الثانية أقل بشاعة من الأولى، إنما كان أشجع من ذلك بكثير، فقد تم في هذه الإنتفاضة إستشهاد مايقارب الألف وخمسمائة شخص، بين مشنوق وقتيل، وصدورت أموال المئات منهم، عدا الذين نفوا إلى الأناضول مشيا على الأقدام، وكان من بينهم نساء وأطفال وشيوخ، ومات الكثير منهم وهم في الطريق، وكمثال على ذلك كانت هناك عائلة مكونة من واحد وعشرين شخصا، مات منهم سبعة قبل أن يصلوا إلى منفاهم. وقد تطرق مجموعة من الباحثين والمؤرخين لتفصيلات وافية⁽¹⁾.

ولعلنا نختم هذا الجانب بما ذكره لونكريج Longgrig عن الأتراك حيث يقول:

«إن العثمانيين بعد أن فتحوا ممتلكات الدولة الكلدانية والآشورية، التي إشتهرت خصوبتها في التاريخ مرة ثانية، وبعد أن تمسكوا بها مدة قرون أربعة بإسم السلطان، قد تركوها وهي ما تزال متأخرة جاهلة، فقيرة، غير مستثمرة، تعمها الفوضى، ويخالجها السخط على حكامها، ومن دون أن توجه إلى أي طريق من طرق التقدم. ولم يكن بوسع السياح أن يجدوا في أي ولاية تركية قابليات كامنة أعظم مما وجدوه في الولايات العراقية ولا ثروات مهملة أكثر من هذا الإهمال، كما لم يجدوا في غيرها مثل ما وجدوا فيها من سوء الحكم الأشد جمودا»⁽²⁾.

وهكذا توضحت لنا أهم ملامح الحالة العامة التي كان عليها العراق، أبان الحكم

(1) د. الوردى، المصدر السابق، ج4، ص 187 - 314.

العمري، محمد أمين، تاريخ حرب العراق، (بغداد، 1935)، ج 1.

الواعظ، نور الدين، الروض الأزهر، (الموصل، 1948).

الموسوي، مجيد، الحاج عطية أبو كلل الطائي، (بغداد، لا. ت).

مس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، (بيروت، 1971م)، تر: جعفر خياط.

جريدة صدى الإسلام / العدد الصادر في 16 ذي القعدة 1333هجرى .

مجلة الأسرار البيروتية، الأعداد / 30 - 34 لعام 1938م.

الجادرجي، م . س .

الفرعون، مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة، (بغداد، 1952م)، ج 1.

الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، (صيدا، 1931م).

الياسري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين، (النجف، 1966م).

(2) لونكريج، م . س . ص 390.

العثماني، وطبيعة التعامل العثماني مع مكونات الشعب العراقي، وبالخصوص الشيعة. ومن حيث أن طبيعة هذا البحث لا يستوعب أكثر مما تطرقنا إليه، فيمكن العودة إلى المكتبة العربية التي حوت على إصدارات لدراسات وبحوث معززة بالوثائق حول هذه الفترة⁽¹⁾.



(1) العطية، غسان، م . س .
 د . بطاطو، حنا، م . س، ثلاثة أجزاء .
 جميل، حسين، شهادة سياسية، (ط1، دار اللام، لندن، 1987م).
 لونكريج، م . س .
 آيرلند، فيليب ويلارد، العراق، (بيروت، 1949م).

الفصل الثاني

الشيعة والإحتلال البريطاني والأدوار الجهادية

السياسية المنظمة

المبحث الأول: المرحلة الجهادية الأولى 1914-1915م:

قبل الخوض في مسيرة الشيعة سواء الجهادية أو السياسية، لا بد من إعطاء لمحة موجزة عن المؤسسة الدينية الشيعية، والوقوف على طبيعة إمكاناتها وسر إستقلاليتها وديمومتها. فقد كان للدور الذي قام به الشريف المرتضى قبل ما يقرب من ألف عام، كما تقدم ذكره، من دعم للمؤسسة الدينية وتطويرها، وتمكينها الوقوف على أرضية صلبة، وقاعدة ذات نهج خاص بها سارت عليه في كل الحقب، مما أضفى على مسيرة هذه المؤسسة وجعلها محصنة ضد المخاطر، وأهلها إمتلاك ناصيتها وتمتعها بحرية إتخاذ القرارات المناسبة في ضوء الظروف والمستجدات عبر أحداث الأمة.

وإن هذا النهج أخذ يتعمق في أوصال الأمة، وهو ما عزز المؤسسة الدينية العلمائية والحوزوية، مما مكن مراجع الأمة في أشواطهم المترامية عبر كل الفواصل الزمنية، أن يلعبوا أدوارا ريادية في خدمة الأمة وصيانة حقوقها المشروعة، في العيش الحر الكريم. وبالنظر لأهمية المؤسسة الدينية في العراق، وموقف المدرستين، مدرسة الخلافة، ومدرسة الإمامة، رأينا إعطاء لمحة موجزة في المقارنة بين المدرستين، في هذا السياق فقد ظلت المؤسسة الدينية لمدرسة الخلافة في العراق مرتبطة بالمؤسسة السلطوية الحاكمة بحكم الأنتساب وهو ما جعلها خاضعة لتحكم وتأثير السلطات الحاكمة المتعاقبة على مر العصور والأزمان، وقد تمتعت هذه المؤسسة ولا زالت بالتأييد والدعم المادي والمعنوي وحتى السياسي من قبل السلطات الحاكمة، وفي ضوء هذا الارتباط فقدت هذه المؤسسة قرارها المستقل بالغالب الأعم، وهو ما جعلها منقادة في مواقف كثيرة لصالح السلطات الحاكمة عبر أحداث الأمة، إستثناء من مواقف فردية شكلت مواقف مضادة غير عادية لسلطة الحكم كانت تحصل عبر أحداث الأمة، وقدمت دمها الزكي قربانا لعقيديتها، وما تؤمن به. ولعل من المفيد إعطاء بعض المعلومات المتيسرة بين أيدينا، حول إعدام كواكب من علماء المدرستين، مدرسة الخلافة ومدرسة الإمامة في القرن العشرين، نشير بالهامش لأسماء

المتيسر من شهداء المدرستين⁽¹⁾. وحتى تكتمل هذه الوقفة نلاحظ في هذا الصدد أن هناك شريحتان من الشيعة والسنة، إرتبطتا بسلطات الحكم والأنظمة المتعاقبة، ففي حين كان ولا يزال تعيين أئمة جوامع وأفتاء مدرسة الخلافة مناطة بالسلطة الحاكمة، فإن سدنة الأماكن المقدسة (الكليدارية) التابعة لمدرستي الإمامة والخلافة، هي الأخرى مرتبطة بصورة وأخرى بسلطة الحكم، رغم أنها أخذت شكل الوراثة، إلا أن نهجها لا يخرج في إطار العمل والمواقف عن مراعاة أجواء السلطة. ومع ذلك تعرض البعض منهم للعزل والتنكيل، في العهود المتأخرة. في حين أن الحوزات الدينية العلمائية لمدرسة الإمامة ظلت تتمتع بكامل إستقلاليتها، كونها نابعة من صميم إرادة الأمة، معتمدة على التمويل الذاتي من الناحيتين المادية والمعنوية لهذه المؤسسة، من خلال إنقطاع الجماهير الشيعية الملتزمة بخط مدرسة الإمامة لها، وهو ما مكناها من التمتع بالقرار المستقل دون التأثير بسلطة الحكم، وقد جعلها هذا الوضع في مكانة متقدمة ومتميزة من زاوية إستقلال القرار، مقارنة بشقيقتها المؤسسة الدينية لمدرسة الخلافة «الفاقدة لهذا اللون من الأستقلالية»⁽²⁾. وهو ما أضفى على الحوزة

(1) زدونا ببعض هذه المعلومات الدكتور عبد الصاحب الحكيم رئيس منظمة حقوق الإنسان في العراق. (أ) المستشهدون من مدرسة الخلافة، كل من لشهيد عبد العزيز البدري، (العلامة)، الذي يعتبر أول شهيد إسلامي، في عهد الدكتاتورية البعثية، حيث تم تصفيته جسدياً عام 1969م. وكان لكاتب هذه السطور علاقة مودة وإحترام معه، إضافة لزمانة التعليم، في مدرسة التربية الإسلامية، في بغداد. أما الآخرين فهم كل من (العلامة)؛ الشهيد شفيق البدري. (العلامة)؛ الشهيد محمد فرج؛ (العلامة)؛ الشهيد عبد الغني شندالة؛ (العلامة). الشهيد عبد الستار العبودي؛ (العلامة) الشهيد ناظم العاصي. (ب) المستشهدون من مدرسة الإمامة (المفكر الإسلامي المعروف) الشهيد محمد باقر الصدر؛ (المجتهد) الشهيد محمد محمد صادق الصدر.

(2) وكمثال على تأثر مؤسسا دينية على مستوى الوطن العربي، كان لها دور ريادي في صميم الأحداث، نلاحظ ان الأزهر الشريف في مصر الكنانة، وهو يعيش في ظل التصدي للصهيونية والأمبريالية العالميين، على عهد الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، يترجم الأزهر موقفه بما ينسجم والموقف السياسي للنظام الذي يعيش بين ظهرانیه، بإصدار (فتوى تحريم الصلح مع إسرائيل). لكنه بنفس الوقت نراه في حقبة متأخرة وهو يعيش في ظل مراعاة الصهيونية والأمبريالية العالميين، على عهد الراحل أنور السادات وخليفته حسني مبارك، يترجم الأزهر موقفا مغايرا تماما لموقفه الأول، وبما ينسجم والموقف السياسي الذي يعيش بين ظهرانیه بإصدار الأزهر (فتوى جواز الصلح مع إسرائيل) وهو ما أشارت اليه مجلة شؤون إسلامية، العدد/ 12، جمادى الأولى، 1420هـ، والتي يصدرها المركز الإسلامي في لندن. وتعييننا على ذلك: «ما حدا مما بدا» غرر الحكم، لإمام المتقين الإمام المبين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. فالصهيونية هي الصهيونية، والأمبريالية هي الأمبريالية =

الدينية العلمائية لمدرسة الإمامة حالة من التمتع بمساحة كبيرة من حرية التحرك والمواجهة، في إتخاذ القرارات المناسبة عبر أحداث الأمة. إلا أننا يجب أن لا نغفل أن السلطات الحاكمة حتى تواجه هذا الصرح المنيع عمدت إلى خلق الموالين من (وعاظ السلاطين) من نفس المدرسة، إلا أنهم فئة قليلة ومكشوفة. نعود بالحديث عن موقف الشيعة الجهادي الأول المتمثل ضد المحتلين البريطانيين، ورغم أن مساحة المواجهة والتصدي، لم تكن ذات شمولية واسعة، إلا أنها تركت آثاراً عميقة في العلاقات بين الطرفين. كانت البداية منذ وطئت أقدام المحتلين البريطانيين، أرض الرافدين لأول مرة، في السادس من تشرين الثاني عام 1914م، بإحتلالهم الفاو، حيث حصلت صدمات مسلحة محدودة، بعدها تمركز المحتلون البريطانيون في منطقة المزيرعة، إلا أن الصدام أخذ شكلاً آخر، حين تحركت نخب الشيعة من المدن المقدسة الشيعية لمواجهة العدو الغازي وكانت تحركاتهم وفق ما يلي:

1 - تحرك الكاظمية

وكان بقيادة المجاهدين الإمام السيد مهدي الحيدري، والإمام الشيخ مهدي الخالصي الكبير؛ وقد أبرق السيد الحيدري إلى علماء النجف وكربلاء وسامراء يخبرهم بأنه عازم على محاربة العدو الكافر مهما كلف الأمر⁽¹⁾. وحين خرجا من الكاظمية في 30 تشرين الثاني عام 1914م، كان معهما ما يقارب المائتين من المجاهدين وكانت الأزواج والهوسات العربية تنطلق ملئ الحناجر، ومنها ما كانت تحي خروج الحيدري:

حجة الإسلام طالع للجهاد محصن بموسى بن جعفر والجواد⁽²⁾

خاض المجاهدون غمار معركة الروطة في البصرة وذلك في يوم 20 كانون الثاني من عام 1915م، وقد بذل الحيدري كل جهد مادي ومعنوي لدعم المجاهدين في قتالهم المحتلين البريطانيين، وقد تكفل موقفهما بالصمود والانتصار في هذه الجولة. ونستشهد بما رواه الحسيني عن هذا الموقف الإيماني للسيد الحيدري على لسان أحد العسكريين الأتراك الذي يقول:

«إننا لما إشتد الضغط علينا من العدو هممنا بالإنسحاب، ولكننا كنا كلما ننظر إلى خيام

= ولكن! ولكن تبقى حالة التأثير السلطوي شاخصة شاخصة في أي خطوة طالما أن المتأثر لا يمتلك

إرادته الحرة المستقلة، لأنه محكوم بإرادة الحاكم..

(1) الوردي، م. س، ج4، ص131.

(2) الحسيني، أحمد، الإمام الثائر، (النجف، 1386هـ)، ص33.

السيد قائمة بمكانها تقوى عزيمتنا، ويشند بأسنا. ونستحي من الأنسحاب ونقول في أنفسنا كيف ينسحب الجيش والسيد وأصحابه المجاهدون في الميدان»⁽¹⁾.

وكان القائد العسكري التركي في هذه المعارك قد أصيب بشظية مما استدعى الأمر نقله إلى بغداد للعلاج، وحين زاره أحد رجال الدين متفقداً، هز القائد التركي يده أسفاً وهو يقول لرجل الدين هذا:

«أنت ها هنا ترفل بالراحة والطمأنينة والنعيم مع إنك تتقاضى راتباً ضخماً من الدولة طيلة عمرك وإن الإمام السيد مهدي حيدر يحارب بنفسه الأنكليز على شيخوخته وعظمته وهو الآن في الصفوف الأولى، مع أنه لم يقبل من أموال الدولة قليلاً أو كثيراً طيلة عمره»⁽²⁾.

2 - تحرك النجف

وكان بقيادة المجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي، وكان للحبوبي الدور المركزي الأول في هذا التحرك، وقد قام بأدوار كبيرة ومشرفة، وهو يعد لجهاد المحتلين الأنكليز، حين راح يختار المرافقين والعاملين معه، ويوزع الأدوار المناسبة على كل واحد منهم. وكان على رأس هؤلاء المرافقين والعاملين كل من الإمام محسن الحكيم، والشيخ محمد رضا ومحمد باقر الشيبلي، وعلي الشرقي. وإنطلق الركب نحو البصرة صباح يوم السابع عشر من محرم عام 1333 هـ، وكان الحبوبي في طريق مسيرته هذه يصلح ذات البين بين العشائر المتخاصمة، ويوحد كلمتهم وهو يمر في مدنهم ومواقعهم، ويضمهم لسراياه من المجاهدين، وقد لعب الحبوبي في هذا الشأن دوراً مبرزاً ورائداً في تأجيج العشائر العراقية، سواء التي في الفرات الأوسط أو تلك التي في طريق سيره الجنوبي إلى البصرة. وأشار أحد المؤرخين أن المصادر التركية قدرت عدد المجاهدين بعشرين ألفاً وهناك من قدرهم بخمسين ألفاً⁽³⁾. فإذا كان لنخبة الشيعة من العلماء دور المبادرة والقيادة والتوجيه، إضافة للمشاركة المباشرة، فقد كان لدور العشائر العربية الشيعية، وفصائل المجاهدين من بغداد، الدور الميداني في إقتحام المعارك في منطقتي المزيرعة والروطة والشعبية، وتكبيد العدو. الغازي خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. ويحدثنا الخاقاني عن فتوى الجهاد، فيقول:

«في الليلة السادسة عشر من المحرم 1333 هجري/ 26 تشرين الثاني 1914م، أعلن

(1) الحسيني، م. س، ص 39.

(2) ن. م، ص 43.

(3) الوردي، المصدر السابق، ج4، ص 145

الجبوبي دعوته للجهاد⁽¹⁾ ..

وحين علم السيد محمد القزويني وهو أحد وجهاء شيعة الحلة وعلمائها المبرزين، بأن الجبوبي أعلن الجهاد، أبرق له هذان البيتان مؤيدا وناصرًا⁽²⁾، وقد تجسد في البيتين روح العروبة والإسلام:

نحن بني يعرب ليوث الوغى دين الهدى فينا قوي عزيز
لا بد أن نزحف في جحفل نبيد فيه جحفل الأنكليز

وقد وفق الزعيم الجبوبي في مهمته، لما كان له من مكانة وتأثير في النفوس، وبما بذل من مال وحلال مما أدى به إلى ضيق الحال، لكنه كان عفيف النفس كما هو كريم اليد، فلم يقبل معونة أحد بإعتزاز الأوفياء، كما لم يقبل التمييز بينه وبين أي مجاهد، في مأكّل ومشرب ومنام، بتواضع الكرماء. وكادت الغلبة تتم للمجاهدين في معركة الشعيية، والتي دارت إبتداءً من 12 نيسان عام 1915م، إلا أن سوء تصرف القيادة التركية وتحاذلها بهروب الكثير من جنودها وضباطها وقادتها الميدانيين، من سوح القتال، مما أدى إلى قلب ميزان القوى لصالح القوات البريطانية الغازية، وكانت محصلته إنسحاب المجاهدين رغم موافقهم البطولية وتضحياتهم الجسيمة فقد سقط منهم في معركة الشعيية، ثلاثة آلاف شهيد⁽³⁾. وهو الأمر الذي ظل يتألم من أجله الجبوبي، إلا أنه ظل متماسكا وكاتما ألمه في طيات نفسه لحين إطمئنانه على إنسحاب المجاهدين وتأمين سلامتهم، الأمر الذي أدى بإشتداد المرض وآواه الفراش، دون أن يجدي معه طب ودواء، ففاضت روحه الطاهرة لتستقر في رحاب الله وذلك في منتصف حزيران من عام 1915م. وأرخ وفاته الشيخ جواد الشيببي بقوله:

فقيد المسلمين غداة أودى حسبت الدين بينهم فقيدا
لئن وجدوه للداعي مجيبا لقد فقدوه قرآنا مجيدا
وإن شهدته أعينهم سعيدا فقد حملته رؤسهم شهيدا
تقدم للجهاد أمير دين وساق المسلمين له جنودا
ومذ لاقي المنية أرخوه (سعيد) في الجهاد قضى سعيدا⁽⁴⁾

وحين يثمن الباحث السيد عبد الغفار هذه الجولة من حياة الجبوبي يقول:

- (1) الخاقاني، علي، شعراء الغري، ج9، 149.
- (2) كركوش، يوسف، تاريخ الحلة، القسم الثاني / الحياة الفكرية، ص 188
- (3) نديم، شكري محمود، حرب العراق 1914 - 1918م، (ط 8، بغداد، لا. ت)، ص 33 ..
- (4) آغابزرک، طبقات أعلام الشيعة / القسم الثاني من الجزء الأول، (1375هـ-1956م)، ص 819.

«ولئن قدر لحملة جهاده البطولي أن تنتهي تلك النهاية المفجعة، لقد كتب لها أن تبقى حكاية النضال الديني والقومي، تلهب النفوس، وتربي الأرواح»⁽¹⁾ . .

حتى قيل عن مسيرته الظافرة هذه:

«فكانت حملته (بحق) البذرة الأولى لثورة العشرين الخالدة لحرب المستعمر الدخيل والدفاع عن تربة الوطن المقدس»⁽²⁾ . .

ووقفه عرفان وتقدير لهذه الشخصية الفذة التي جمعت المجد من أصوله فنحن حين نقيم شخصية الحبوبي المتفردة في عصره، إنما نقيمها من خلال هذا العطاء الثري ولمختلف صنوف الحياة، الدينية، والأجتماعية، والعلمية، والأدبية، والمادية، متوجة بعطاء لا يقدر عليه أيا كان من الناس وهو: الجهاد من أجل الوطن والعروبة والإسلام، وكان الحبوبي في طليعة مريديه، قولاً وفعلاً، ومن خلال مساهمته الفاعلة فيه، دفع من صحته الشئ الكثير وهو في سوح الوغى، وحين تدهورت صحته، أبت روحه الطاهرة إلا ان تلمي نداء ربها وهو في أوج عطائه الجهادي. والجود بالنفس أغلى غاية الجود، وكان الحبوبي وسيبقى رمزا للجهاد التضحيوي، من أجل الوطن والعروبة والإسلام.

3 - تحرك بغداد

ومثلما كان للكاظمية والنجف مشاركة فاعلة في التصدي للمحتلين البريطانيين، كان لأهالي بغداد نفس الدور. وكان على رأسهم المجاهد الحاج داود أبو التمن⁽³⁾. وقبل أن يتوجه بهم أبو التمن لساحات الأستشهاد في منطقة المزيربية، في 7 شباط عام 1914م، أبقى هذا المجاهد أن تترك عوائل المجاهدين من البغداديين، ولا سيما المحتاجين منهم، بدون عون، إذ كان أبو التمن على جانب كبير من الغنى وسعة اليد، حيث جلس أبو التمن في مسجده الخاص وقام بنفسه توزيع المعونات المادية لعوائل المتطوعين آخذاً بنظر الإعتبار عدد أفراد كل متطوع⁽⁴⁾. وكان موقفه هذا مضرراً للأمثال وحتى لا نغمط حق المشاركين

(1) الحبوبي، عبد الغفار، ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي، (ط1)، دار الرشيد للنشر، بغداد، 1980م)، ص 61.

(2) مجلة النجف، العدد / 3 / السنة 4 / 1960م.

(3) وهو أحد وجهاء الشيعة المعروفين من المتفهمين في الدين، وهو جد الزعيم الوطني المعروف: محمد جعفر أبو التمن.

(4) البزركان، علي، الوقائع الحقيقية، (بغداد، 1954م)، ص50، 51.

د. التميمي، م. س، ص71.

الآخرين فلا بد من الإشارة إلى انه لم يتوان الكثيرون من العلماء والمجتهدين والمراجع في النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء من الإلتحاق بركب المجاهدين، حتى إن الإمامين كاظم اليزدي، ومحمد تقي الشيرازي، قد أرسلوا إبنيهما بصحبة جمع من المجاهدين، إلى سوح الشهادة، للتصدي للمحتلين في مدينة البصرة. ورغم أن المحتلين البريطانيين قد حققوا النصر على المجاهدين بسبب تخاذل الجنود والضباط الأتراك، إلا أن هذا النصر كان نصرا حذرا، ونقول حذرا لأنه فتح عليهم باب التصدي والمواجهة حامية الوطيس، كما سنرى.

المبحث الثاني: الدور السياسي الأول وانتفاضة النجف 1918م:

كما كانت الأنطلاقة الأولى لمعركة الشيعية في البصرة، من مدينة النجف، كانت الإنطلاقة في الجولة الثانية في مدينة النجف نفسها، وقد لعبت جمعية النهضة الإسلامية⁽¹⁾، في النجف دورا سياسيا وتعبويا مبرزاً في التصدي للمحتلين الأنكليز، وقد كان لكل من بحر العلوم والجزائري وهما من علماء النجف العرب المعروفين، تأثير كبير في هذه الجمعية. وكان الشيخ عبد الكريم الجزائري الشخصية العلمانية العربية المعروفة، يرمى الجمعية ويؤيدها من طرف خفي. كما كان الكثير من رؤساء ووجهاء النجف قد إنضموا إليها وعلى رأسهم عطية أبو كلل رئيس محلة العمارة. ولم يتخلف عنهم سوى مهدي السلطان رئيس محلة الحويش وعائلته⁽²⁾. لأنه كان بدرجة وأخرى متعاوناً مع المحتلين البريطانيين. وإن مجموعة من رؤساء العشائر قد إنضموا لهذه الجمعية مثل مرزوق العواد رئيس عشيرة العوابد، ورايح العطية رئيس عشيرة الحميدات، ووداي العلي رئيس عشيرة آل علي، وسلمان الفاضل رئيس عشيرة الحواتم وآخرون⁽³⁾. وقد صاغت الجمعية منهاجاً لها مؤلفاً

(1) تأسست الجمعية في مدينة النجف أواخر عام 1917م، وكان في مقدمة المؤسسين أربعة من المجتهدين هم كل من محمد علي بحر العلوم، محمد جواد الجزائري، والشيخ محمد علي الدنشقي، وإبراهيم البهبهي. أما الآخرين فمنهم نجم البقال، وأحمد ومحسن وكريم أولاد الحاج راضي، وعباس علي الرماحي، وهؤلاء من الزعماء الشيعيين، وعبد الرزاق وتومان ولدا عدوة وهما من الخريجين. وكان من أهم أهدافها تحقيق التضامن والشرع الإسلامي، وتأكيد الاستقلال المطلق، التأييد المادي والروحي للمجتمع العربي، حماية حقوق كل الملل غير المسلمة. راجع: الحسن، العراق في دوري الإحتلال والانتداب، ص 36. ود. نظمي، م، س، ص 346، 347. ومحبوبة، ماضي النجف وحاضرها، ص 344-348. راجع أيضا الوثيقة الإنكليزية: March 15 to April 1, 1918 F.O.371/3397/16597. Fortnightly Report No.10.

(2) د. الورد، م. س، ج 5، القسم / الثاني، ص 214.

(3) الخليلي، جعفر، هكذا عرفتهم، (بيروت، 1972م)، ج 4، ص 92.

من إحدى وعشرين مادة⁽¹⁾. المهم أن هدف الجمعية كان منصبا على إخراج المحتلين البريطانيين من أرض الوطن، وإقامة دولة عربية يحكمها المسلمون، فكيف السبيل إلى ذلك؟ والعدو رابض على أرض المقدسات، فلم يكن هناك من بد غير التوجه للقوة المسلحة، مع عدو لا يعرف غير لغة القوة. لذا كلف الحاج نجم البقال وهو من الرجال الفدائيين في الجمعية، بمهمة إخراج القوة البريطانية من النجف، فتم له ولمجموعته ذلك في 19 آذار من عام 1918م، وقتل في الهجوم الضابط السياسي البريطاني في النجف المدعو (مارشال)، وتحولت مدينة النجف إثر هذا الحادث إلى مدينة منتفضة، أدت إلى إخراج القوة البريطانية ونفر من الموظفين البريطانيين من هذه المدينة المقدسة. إلا أن السلطات السياسية والعسكرية البريطانية أدركت خطورة الموقف وحساسيته، فتجنبت القيام بحملة عسكرية للإنتقام من المنتفضين، لما يمكن أن يجره ذلك عليهم من سخط وإستنكار شديدين، ربما يؤدي بجعل المواجهة عامة وشاملة، وهو ما كان يتأمله المنتفضون وتقول مس بيل بهذا الصدد:

«ليس هناك شك بأن العشائر كلها ترمق النجف بإهتمام، وإن أي تدابير فعالة كانت ستخذ ضد البلدة المقدسة كما كان يأمل الترك، كانت ستثير شيئا لا يستهان به من الشعور بالتعصب. لكن الخطر الرئيسي ينطوي على عكس ذلك، لأن التقصير في الأقتصاص من قتلة ضابط بريطاني، كان سيضع أرواح جميع زملائه تحت رحمة الأراذل»⁽²⁾.

وكانت السلطات البريطانية ذكية حين إستعاضت عن ذلك بفرض حصار محكم على المدينة من كل الجهات، لأجبار المنتفضين والسكان النجفيين الرضوخ لمطالب المحتلين، إلا أن المنتفضين ومعهم السكان قرروا مقاومة الحصار، على أمل قيام العشائر العربية القريبة من المدينة كسر طوق الحصار. لذا جرى تهريب رسائل إلى عشائر الشامية من قيادة المنتفضين لهذا الغرض⁽³⁾. وكان الموقف مخيبا للآمال عدا مساندة مادية محدودة. وحين تأزمت أمور الناس وطال أمد الحصار، وعلت الإستغاثات، تصدى علماء النجف ومن ثم علماء كربلاء برئاسة المجتهد محمد تقي الشيرازي، بمطالبة القائد الأنكليزي وثنيه من

(1) د. الوردی، م. س، ج5، القسم / الثاني، ص214

(2) مس بيل، م. س، ص125.

(3) كمال الدين، المصدر السابق، ص39. - محبوبة، جعفر الشيخ باقر، ماضي النجف وحاضره،

(النجف، 1958)، ص346، 347.

الإستمرار في الحصار، أو على أقل تقدير السماح بإسعاف السكان الأبرياء، ولا سيما سد غائلة الحاجة والجوع لدى النساء والأطفال وكبار السن، فلم تجد تلك المحاولات هي الأخرى نفعا يذكر لدى القائد البريطاني المتغطرس. وكانت شروط البريطانيين قاسية، ورغم صمود المنتفضين ورفضهم الحاسم لها، إلا أن حصول خيانة من أحد الشخصيات النجفية تم على إثرها فتح أحد أبواب المدينة من جهة محلة (الحويش)؛ مما مكن المحتلون البريطانيون مفاجئة المنتفضين. وكان حصيلة هذه الإنتفاضة الباسلة، أن أعدم المحتلون البريطانيون أحد عشر منتفضا، كما حكم بالسجن والإبعاد إلى الهند على أكثر من مئة آخرين، وغالبيتهم من أعضاء جمعية النهضة الإسلامية، وكان من المبعدين العالمان المجاهدان بحر العلوم والجزائري.

إن الشيء الملفت للنظر هو في يوم إعدام كوكبة الثوار في الثلاثين من أيار عام 1918م، عقد إجتماع ضم الضابط السياسي البريطاني، وبعضا من الوجهاء والتجار ورجال الدين النجفيين، من المتهافتين على فئات المصالح الخاصة، وكان الأجتماع في دار الكليدار الموالي للأنكليز. ولم ينته الأجتماع هذا دون إعلان المحاباة للأنكليز، والتعريض بالثوار المنتفضين، الذين قدموا دمائهم الزكية من أجل الأستقلال الوطني، فبعد أن قدم سيف كهديّة للكابتن بلفور الذي حاصر المدينة المقدسة، ونال من ثوارها. ألقى محسن شلاش كلمة على الحاضرين جاء فيها:

«إن الفعلة الأثمين قد قاموا بتمثيل المأساة الحزينة في النجف، وأزهقوا روح الكابتن مارشال، ذلك الرفيق المهذب، المستقيم في كل منصب أشغله، ولا يمكن لذي عقل شريـر وملتو أن يبلغ إثما أعظم من هذا. وإنما على أشد ما نكون رغبة اليوم في التعبير عن إمتناننا لحكومتنا البريطانية ولموظفيها لما أظهروه من تحل للكياسة وتجميل بالصبر خلال هذا الإضطراب الرهيب»⁽¹⁾.

هنا نقف لبرهة لنقارن بين مواقف أصحاب المصالح الخاصة، وبين موقف السيد محمد علي بحر العلوم، حين كان في البصرة في آذار عام 1916م، كان هذا العالم يدعو لمجاهدة المحتلين الأنكليز، وقد عرض عليه الأنكليز مبلغ خمسمائة باون إذا أوقف نشاطه ضدهم، وغادر العراق إلى إيران، عندها سيدفعون له بمجرد وصوله إيران، مبلغا آخر يماثل الذي سيدفع له مقدما، لكنه رفض بإباء وعزة نفس، هذا العرض المغربي في تلك الظروف

(1) F.O.371/3397/161752. Collection of Fortnightly Reports. Report No.14-76 May 15 to June

الشديدة⁽¹⁾. وبقي يجاهد الأنكليز ويحث على جهادهم، إلى أن كان ما كان له ولجمعيته المجاهدة في إنتفاضة النجف عام 1918م، كما تقدم. وحتى نكون منصفين فإن صحوة محسن شلاش في ثورة العشرين اللاحقة، قد دفعته لدعم الثورة ماليا، وهو ما يعد تكفيرا عما تقدم ذكره، وقد بذل الرجل من ماله الكثير في دعم الثورة. ومهما يكن من أمر فقد: «كان للأعدام وقع عميق في كافة أرجاء ما بين النهرين»⁽²⁾.

ورغم أن الكثير من الباحثين نعتوا ما حصل في النجف بالثورة، إلا أننا نميل إلى تقييمها كإنتفاضة من حيث أن أبعاد ومضامين الثورة من ناحية العمق والشمولية والعملية التغييرية غير متوفرة فيها. ومهما يكن من أمر فإن إعدام المنتفضين، وإبعاد أكثر من مئة منهم إلى خارج القطر، عمق الأستياء من المحتلين. وقد تناول هذه الإنتفاضة مجموعة من الباحثين والمؤرخين⁽³⁾. ووقفة تقييم لمكنون الإنتفاضة النجفية من زاوية التوقي وذلك من خلال طرح السؤال التالي؛ كيف تقوم مدينة واحدة مثل النجف بإمكانياتها العسكرية البسيطة المتواضعة، في مواجهة قوات المحتلين البريطانيين النظامية، ذات القدرات العسكرية الضاربة المتنوعة، وبهذا التوقيت؟ والجواب على ذلك في تقديرنا الخاص، أن حدث

(1) د. العطية، المصدر السابق، ص 300. بالهامش نقلا عن الوثيقة الإنكليزية : F.O.371/3049/ 126993. Confidential, Personalities-Iraq, ArabBurean.

(2) Mesopotamia 1917-1920 a clash of Loyalties: A Personal and Wilson Historical Record PP. 74- 76. Basrah Branch.

(3) الموسوي، مجيد، الحاج عطية أبوكلل الطائي، (بغداد، لا. ت)، ص 126، 131، 132. - بيل، م. س، ص، 122، 125. - كمال الدين، المصدر السابق، صفحات: 34، 39، 40، 43، 61، 62، 66. - الشرقي، علي، الأحلام، (بغداد، 1963)، ص 106. = - الشيببي، محمد رضا، ثورة النجف، بحث منشور في مجلة (الثقافة الجديدة)، عدد خاص، صادر في تموز عام 1969، صفحات: 202، 204، 287، 288، 294، 296 - 302، 308 - 311، 313 - 315، 317 - 319، 321، 325، 328، 329، 333، 339. - الحسن، عبدالرزاق، ثورة النجف، (صيدا، 1972)، صفحات: 35، 71، 78، 91، 92 - محبوبة، جعفر، ماضي النجف وحاضرها، (النجف، 1958) ج 1، ص 349. - الأسدي، المصدر السابق، صفحات: 213، 230، 244 - 253، 256، 258، 272، 273، 321 - 323، 325، 329، 330، 339، 347، 348، 388 - 399. الخليلي، جعفر، المصدر السابق، ج 4، صفحات: 92، 95، 96 - 146. العمري، محمد أمين، حرب العراق، (بغداد، 1935)، ج 3، ص 146. فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى، (بغداد - 1952)، ص 101. د. الورد، المصدر السابق، ج 5، القسم / الثاني، صفحات: 205 - 269.

الانتفاضة ربما يتبادر للمتبع أنه غير مناسب، لا في التوقيت ولا في الأعداد، ولكنه في حقيقة الأمر عكس ذلك، فإن ما جال في أذهان القائمين عليها أكبر من ذلك بكثير، فقد كان في علم قادة الانتفاضة استثمار موقع مدينة النجف المقدس في النفوس، وإن جر المحتلين البريطانيين لتصعيد الموقف ضد هذه المدينة، يمكن أن يشكل سببا مباشرا لقيام ثورة شاملة ضد المحتلين البريطانيين، في أكثر من منطقة في العراق، ومثل هذا الإستنتاج أمر مقبول من الناحيتين المنطقية والواقعية، ضمن ما جبلت عليه طبيعة الحالة العراقية بإعتزازها بمقدساتها. إلا أنه رغم فشلها في تحقيق ذلك الأستقطاب، سنلمس لاحقا أنها أضافت رصيда آخر لما سبق من أحداث الأمة، وهو ما أدى بمجموعه لاحقا، إلى خلق ذلك الأستقطاب الذي فجر ثورة العشرين.

إلا أن هناك من الأمور التي تجلب الإنتباه، وهي أن بعض الباحثين، والكتاب يغفلون بعض الحقائق، أو يتجاوزون في تحليلاتهم حقيقة طبيعة بعض الأحداث سواء عن هذه الإنتفاضة، أو عما سبقها من أحداث، كما في معارك البصرة 1914 - 1915م، بما تؤدي بهم إعطاء صورة مغايرة للحقيقة والواقع.

فحين يحدثنا د. نظمي بخصوص الحركة السياسية يقول:

«منذ عام 1914 وحتى أواخر 1918م، مرت الحركة الاستقلالية العراقية بفترة سكون سياسي»⁽¹⁾ . .

ويستشهد نظمي في ذلك برأي أجنبي، يقول:

«إن السواد الأعظم من شعب ما بين النهرين، قد رضخ للإدارة البريطانية ورضي بها، وإنه . أي صاحب الرأي . يعتقد أن الله وحده هو القادر على زحزحة البريطانيين»⁽²⁾ . .

ولا ندري بهذا الصدد كيف اعطى هذا الكاتب؛ هذين الرأيين مثل هذه الأحكام، في حين أن ما حصل من معارك وإنتفاضات ومناوشات عديدة خلال هذه الفترة، بين أعوام 1914-1918م، سواء بين العراقيين والأتراك، أو بين العراقيين والأنكليز، والتي سبق الإشارة إليها، إضافة لشواهد كواكب الشهداء الذين خضبوا ثرى العراق بدمائهم الزكية، أثناء تلك المعارك والإنتفاضات، خير شواهد على التفاعل السياسي لجماهير الأمة. إذن كيف نوصف هذا الفاصل الزمني بالسكون السياسي؟ . أو كيف نؤكد على رضوخ ما بين النهرين للمحتلين

(1) د. نظمي، المصدر السابق، ص 321

(2) Ettram Thomas, Alarms and E Excursions in Arabia (New York; Indianapolis; Bobbs-Merill, 1931). PP.68-69.

البريطانيين في هذا الفاصل الزمني؟ رغم كل هذه الأدوار السياسية المتحركة عبر المعارك والأنفاضات المشار إليها، ألم يكن الجهاد والتضحية في هذا الفاصل الإلتحامي هما قمة الوسائل في العمل السياسي من أجل التحرر والإستقلال من المحتلين الأجانب وعدم الرضوخ لمشيئتهم؟. فإذا كانت هذه الجولات التحررية، قد إنطلقت في بعض المفاصل من الواجب الإسلامي المقدس - وهو ما حدا بتلك الآراء بتجاوزها - فإن حقيقة الحركة السياسية الإستقلالية العراقية في صميم الواجب المشترك الوطني والقومي والإسلامي، من حيث أن كل هذه الحلقات متصلة ببعضها، تمثل النسيج الذي يمثل الواقع العراقي. وإن إجتماع الواجب الإسلامي المتمثل بتلك الجولات بين أعوام 1914-1918م، مع الواجب القومي المتمثل بتحريك جمعية العهد القومية الأنجاه العروبية الهوية بين أعوام 1913-1919م، مع الموقف العروبي الإسلامي المتشدد ضد المحتلين البريطانيين والمتمثل بنهج حزب حرس الأستقلال 1919-1920م⁽¹⁾. ونجد تناغم التيار الإسلامي الوطني والقومي العروبي، قد طبعا بأصابعهما على مسيرة الشعب العراقي، عبر أحداث هذا الفاصل الزمني، بل والفواصل القريبة اللاحقة، حتى ظهور الإتجاهات الأديولوجية الفكرية الجديدة في العراق منتصف الثلاثينات.

(1) والمؤسسون لحزب حرس الأستقلال هم السادة شاكر محمود، حسين شلاش، علي البزركان، محمود رامز، عارف حكمت، جلال بابان، محي الدين السهوردي، عبدالمطلب الناهي؛ عبد اللطيف حميد، سعيد حقي، عبد المجيد يوسف. وإنضم إليهم لاحقا كل من محمد جعفر أبو التمن، حمدي الباججي، ناجي شوكت، محمد مهدي البصير، سامي شوكت، بهجت زينل، حسين شلاش، عبد الغفور البدري، عبد المجيد كنة. وقد عزز قوة هذا الحزب إنضمام. جمعية الشبيبة العراقية (غالبية من المثقفين الشيعة)، وأستكملت هذه القوة بإنضمام كل من الشخصيتين العراقيتين المرموقتين محمد الصدر، ويوسف السويدي. وفي ضوء هذه المعطيات الجديدة أخذ عمله يتطور تطورا ملحوظا، حين إستطاع هذا الحزب توحيد الجهود والطاقات للطائفتين الشيعية والسنية. أخذت حركة الأستقلال طورا متميزا، لصالح الدور السياسي السلمي الذي إضطلع به شيعة العراق، وتساعد الموقف أكثر حين أصبح السيد محمد الصدر رئيسا لحزب حرس الإستقلال، وهو كما معروف من الرموز الشيعية المرموقة. وفي ضوء ذلك تم فتح فروع له في النجف، والحلة، والبصرة والشامية، وهي مدن شيعية معروفة. وكان من اهم اهداف هذا الحزب الأستقلال المطلق للعراق وإقامة مملكة ديمقراطية دستورية برئاسة أحد أنجال الملك حسين وتوحيد العراقيين بكل طوائفهم ونحلهم وإنهاء الخلافات الدينية والطائفية وإدخال العراق ضمن الوحدة العربية. راجع د. البصير، المصدر السابق، ص 136؛ الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص 57، 58. العطية، المصدر السابق، ص 359، 360. نظمي، المصدر السابق، ص 334-337.

المبحث الثالث: صيغة الحكم والموقف إتجاهه:

في خضم ظروف معقدة وشائكة بعد الحرب العالمية الأولى، والتي ترتب من جرائها قيام بريطانيا، إحتلال العراق خلال أعوام 1914, 1917, 1918م، كانت المواقف والآراء بخصوص مصير العراق وصيغة الحكم فيه، متباينة، بل أحيانا متقلبة لدى الجانبين، العراقي والبريطاني، ولم تستقر الأمور ويتبلور عنها موقف نهائي، إلا بعد صراع حامي الوطيس بينهما. لذا كان من الضروري إستعراض بعض المحطات في هذه المسيرة، بما يعطي صورة تقريبية عما كان يدور في أذهان المحتلين البريطانيين وأبناء الوطن، وهو ما سيرز الدورالسياسي الشيعي الأول، عن مواقف الآخرين، والذي إمتاز بخصوصية ترتب عليه وضع خاص كان محصلته ثورة العشرين المجيدة، ضد المحتلين البريطانيين. وحتى تكون الصورة أكثر وضوحا، وقبل الدخول في شرح مواقف العراقيين والتركيز على مواقف الشيعة على وجه الخصوص، كان لا بد من أن نقف بدءا على بعض ما كان يجول في أدمغة المحتلين البريطانيين، من آراء حول صيغة الحكم للعراق، لأن ذلك يقرب الفهم الحقيقي عن المحتلين البريطانيين حول طريقة إدارة دفة الحكم في العراق. يقول اللورد كيتشنر Lord Kitchanar المندوب السامي البريطاني في مصر:

«إذا لم نأخذ بلاد ما بين النهرين، فسيأخذها الروس دون شك إن عاجلا أو آجلا. وإذا تجزأت الأمبراطورية العثمانية كليا أو جزئيا، فسيستحتم أن تصبح بلاد ما بين النهرين بريطانية»⁽¹⁾ . .

أما الممثل العام البريطاني ويلسون Willson فقد راح إلى أبعد مما ذهب إليه كيتشنر، عندما كتب في 28 تشرين الثاني من عام 1914 قائلاً:

«أود أن أعلن أنه من الضروري ضم ما بين النهرين إلى الهند، مستعمرة للهند والهنود، بحيث تقوم حكومة الهند بإدارتها وزراعة سهولها الواسعة بالتدرج، وتوطين أجناس البنجاب المحاربة فيها»⁽²⁾ . .

ومن تقرير لبرسي كوكس مرسل إلى حكومته يثبت فيه رأيه الخاص بخصوص صيغة الحكم في العراق فيقول:

(1) د. العطية، غسان، المصدر نفسه، ص177.

(2) جميل، حسين، العراق شهادة سياسية، (ط1، دار اللام، لندن، 1988)، ص40.

«ورأيي الخاص أنه إذا كان لا بد من رئيس للدولة، فإن الدولة يجب أن تؤسس جمهورية، برئيس منتخب»⁽¹⁾ . .

ورغم هذا التباين والإختلاف في وجهات النظر والذي لم يبق هو الآخر مستمرا، فإن رئيس الوزراء البريطاني لويد جورج قفز على الحقوق القومية للعرب كما جاء في خطاب له في 5 كانون الثاني عام 1918م. فهو بالوقت الذي يقول فيه:

«إن جزيرة العرب وأرمينيا وبلاد الرافدين وسورية وفلسطين، تستحق في تقديرنا الاعتراف بظروفها القومية المنفصلة»

إلا أنه من جانب آخر يستدرك الموقف فيقول:

«أنه سيكون من المستحيل أن تعاد الأراضي التي أشرت إليها آنفا إلى سيادتها السابقة»⁽²⁾ .

إلا أن المحصلة النهائية على ما سيتضح، هي أن سياسة البريطانيين من حيث المبدأ إتجهت إلى إقامة واجهة من الحكم الوطني النسبي، يقفون هم من ورائه وفق ما رسموه لوضع العراق، وبما ينسجم وأهدافهم. أما بخصوص موقف العراقيين، فقد شخصت أمامنا أربعة مواقف رئيسية مثلها أربعة شرائح من نخب العراقيين. وقد إعتدنا في ذلك على الموقف من الإستفتاء الذي أقدم عليه الممثل البريطاني الكولونيل ويلسون Willson بين كانون أول عام 1918م - وكانون ثاني عام 1919م. وقبل الخوض في ذلك، كان لا بد من وقفة على طبيعة هذا الإستفتاء.

كانت الفرصة الأولى لشيعة العراق كي يعربوا عن موقفهم السياسي لأول مرة، أبان الأحتلال البريطاني، مرده الأستفتاء المطروح لأختيار صيغة لحكم العراق. وإن الأستفتاء الذي إقترحه ويلسون وأقره أصحاب الشأن في دولة صاحب الجلالة. لم يكن إستفتاء حقيقيا، من حيث أنه أختصر على الوجهاء ورؤساء العشائر، ولم يكن نزيها لأنه كان مشوها، وليس دقيقا حيث وصف بأنه إستفتاء عام⁽³⁾. ونحن نميل بتوصيفه (إستفتاء مجتزأ) على ضوء مجرياته، والسبب أن الإستفتاء على كونه خطوة حضارية إذا ما سار بصورة نزيهة من زاوية التطبيق، وعلى كونه خطوة ديمقراطية إذا ما مورس بصورة شمولية، أو أقرب

(1) أيضا، ص 88 .

(2) د. العطية، غسان، المصدر السابق، ص 213.

(3) د. البصير، المصدر السابق، ص 81. - د. نظمي، المصدر السابق، ص 289، 299.

للمسؤولية، إذن هو في هذا الإتجاه حالة متقدمة نحو تحقيق الإرادة الحرة المستقلة لجماهير الأمة. إلا أن الأستفتاء الذي عمدت إليه سلطات بريطانيا في العراق كان بعيدا كل البعد عن هذا التوجه، لذا جاء الأستفتاء مشوها في الأسلوب والنتائج. ولو كانت الحكومة البريطانية جادة في إجراء إستفتاء عام ونزيه، لما وضعت اللجنة المشتركة البريطانية تلك الأسئلة الثلاثة في الأستفتاء، وأبرقتها لويلسون، والتي جاءت صياغتها بحكم الإقرار المسبق بالأشرف البريطاني على حكم العراق. ونصوص الأسئلة كالآتي:

الأول: هل يحبذون قيام دولة عربية واحدة تحت الوصاية البريطانية، تمتد من الحدود الشمالية لولاية الموصل إلى الخليج؟

الثاني: وفي هذه الحالة هل يرون من اللازم تصيب رئيس عربي إسمي على هذه الدولة؟
الثالث: وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي يختارونه كرئيس على هذه الدولة؟⁽¹⁾

أن الحالة الواقعية للإستفتاء قد أفرزت أربعة إتجاهات إلا أن أهمها هما:

الأول: مع إقامة حكم عربي مسلم بإشراف ووصاية بريطانية.

الثاني: مع قيام حكم عربي مسلم مقيد بمجلس تأسيسي، دون إستشارة ووصاية أحد.

ولضرورات البحث العلمي، سنتحدث عن طبيعة الإتجاهات الأربع بهذا الصدد كي تكون الصورة متكاملة:

الإتجاه الأول: ويدعو إلى حكم البريطانيين المباشر للعراق:

فلو بدأنا من المنطقة الجنوبية فإن عميدها (طالب النقيب)، الذي كثيرا ماتباينت آراؤه ومواقفه، تجاه الأنكليز والأتراك والحركة الوطنية والقومية، ولكنه في رسالته إلى اللورد فورد نائب الملك في الهند في أوائل آب عام 1916، يعلن فيها ولاؤه وإستعداده لخدمة المصالح البريطانية والتي جاء منها:

«سأكون على أتم الإستعداد لوضع نفسي تحت تصرف الحكومة البريطانية، وتقديم كل ما أستطيع من مساعدة لها، كنت صديقا للإنكليز لكنني لم أستطع تقديم أية مساعدة لهم. أما الآن فإنني لست صديقا فحسب بل وحليف مستعد لوضع نفسه وموارده، لأي خدمة في صالح قضية بريطانيا»⁽²⁾ . .

(1) F.O. 882/23/3133. Telegram from Secreary of Statefor India to Polieical Baghdad.

(2) F.O. 371.2783/220355.

ووقفه تقييم لهذا المنحى الذي إرتضاه طالب النقيب لنفسه فقد كان الأحرى به في هذا الموقف، أن يكون هو صاحب القضية، وهو أمر له حيثياته من الواقع، كونه أحد أبناء العراق ومن أبرز وجهائه وزعاماته، في تلك الحقبة، والذي تعرض للكثير من المواقف الساخنة سواء مع العثمانيين أو البريطانيين. إلا أنه في موقفه هذا إرتضى لنفسه أن يجعل من قضية بريطانيا ومصالحها في العراق قضيته التي يقدم من أجلها لغالي والنفيس، إلا أن ما يجلب الإبتباه موقف البريطانيين غير الودي إتجاهه، رغم إنه كان في مواقف عديدة من المؤيدين لهم. ومن مقولات السفير البريطاني في إسطنبول عن النقيب «قد لعب على الحيلين كثيرا، الأمر الذي لا يبرر الثقة به». لذا نلاحظ أن بريطانيا أقدمت على إجراء غاية في الغرابة، وهو إعتقال طالب النقيب وإبعاده، وهو وزير لداخلية أول وزارة عراقية جاء بها الأنكليز عام 1920، والتي كانت برئاسة عبد الرحمن النقيب، الذي لم يحرك ساكنا تجاه هذا الإجراء المستهجن بكل الأعراف الوطنية والدولية. ويبدو أن الأنكليز تعاملوا مع النقيب هذا التعامل لمواقفه المتباينة والمتردة، وهي من الأمور المرفوضة في الإستراتيجية الولائية للإنكليز، فالمطلوب الولاء الكامل. يقول أحمد العبد الواحد من وجهاء البصرة حول الأستفتاء:

«إن العرب لا يمكنهم في الوقت الحاضر أن يحكموا أنفسهم. ويجب أن تكون حكومتهم من الخارج. إن تعيين أمير علينا حتى ولو كان تحت الإشراف البريطاني المقنع سيؤدنا إلى الإنتحار. لقد ذقنا حكم المستبدين العرب من أمثال طالب النقيب وآل السعدون»⁽¹⁾.

وقد ذهب كل من أحمد الصانع ومحمود العبد الواحد، وهما من وجهاء البصرة وأعيانها، نفس مذهب زميلهم. علما بأن الصانع أصبح وزيرا تحت ظل المحتلين البريطانيين. ولم يقتصر هذا الموقف على السنة العرب فحسب، بل هناك من الشيعة العرب من كان يؤمن بهذا الأتجاه أيضا. فقد قدم أربعة عشر شيخا من لواء العمارة بيانا يدعون فيه إلى: تأسيس عراق متحد تحت إدارة بريطانية، يكون الحاكم فيها السير برسي كوكس. ثم أعقبتها مواقف مماثلة من بعض شيوخ القرنة والكوت والناصرية⁽²⁾. أما في المنطقة الوسطى فقد لعب عبد الرحمن النقيب، بما تمتع به من نفوذ إجتماعي وتأثير ديني، بإعتباره نقيب السادة الكيلانية، دورا مبرزا في دعم الإدارة البريطانية، وتأييدها بكل قوة ومن مقولاته الشهيرة:

Self Determination in Iraq Office of the civil Commissioer. no.1 Basra. (1)

Self Determination in Iraq - Section 1. (2)

«إن الأنكليز قد فتحوا هذه البلاد، فأنفقوا ثروتهم وسقوا تربتها بدمائهم أفلا يتمتعون بما كسبوا؟ لقد غلب فاتحون آخرون هذه البلاد، وكما سقطت في أيديهم فقد سقطت في أيدي الأنكليز. أنتم الحاكمون وأنا المحكوم فإذا ما سئلت عن رأيي بشأن إستمرار الحكم البريطاني فجوابي هو أنني من رعايا المنتصر»⁽¹⁾ . .

نرى أنه من المناسب نقد هذا التصريح فالمعلوم أن الأمم تمر عبر التاريخ بأدوار نهوض وإنكفاء، فمثلما مرت الأمة العربية بأدوا عز وسؤدد، حين كان رموزها وقادتها على مستوى عالي من الإستعداد للتضحية دونها، والجهاد في سبيلها، كانت شعوبها تندفع بكل قوة وتصميم بالذود عنها متأثرة بتلك النخبة المقدمة في الأمة وحين بدت حالة أنحدار تلك النخبة في فترات متأخرة، حصل الإنقطاع بينهما، بين نخبة الأمة وشعوبها. فبدأت حالة التداعي والإنحدار في كل مفاصلها، فتمكن منها الأجنبي، وبدأت تتعرض إلى سلسلة من المحتلين كل له ظلمه وظلامه. وما الأنكليز إلا أحد تلك المجاميع المحتلة، الذين وجدوا في مستكيني النفوس وضعاف المقاومة من العراقيين، ضالتهم، فراحوا ينسقون معهم، ويغدقون عليهم الوجاهة والمال والسلطة، فأصبحوا له تابعين مطيعين صاغرين، ينفذون سياستهم، على حساب حقوق شعب، ومصير وطن. فنالوا منهم الحظوة التي رنت لها نفوسهم. وعلى ضوء ذلك نلاحظ أن الثلاثي المتكون من: عبد الرحمن النقيب، وعبد المجيد الشاوي، وعبدالرحمن جميل زادة، كانوا يتجهون في تأييدهم إلى إقامة حكومة مؤلفة من موظفين بريطانيين يعاونهم مستشارين عرب. كما كان هذا الثلاثي يقف ضد فكرة جلب البغداديين الموجودين آنذاك في سوريا، لما عرف عن تمسكهم بالإستقلال وإقامة حكم وطني، وهو الأمر الذي لا يتفق مع توجيهات الثلاثي المشار إليهم. وفي هذا السياق قدم سبعة عشر تاجرا وملاكا ووجيها وعلى رأسهم إضافة للزهاوي وزادة كلا من قاسم الخضير، وإبراهيم السويدي، وعبد المجيد الشاوي، وآخرين، يؤكدون ميلهم وتأييدهم للإدارة البريطانية. وحين يحدثنا د. نظمي عن عبد الرحمن النقيب يقول عنه:

«وكان النقيب يرغب أن يرى العراق تحت حكم إدارة بريطانية قوية؛ يسندها جيش إحتلال لا يقل عدد أفراده عن الأربعين ألفا»⁽²⁾ .

كما أن الرفيعي سادن الحضرة العلوية في النجف، قد وقع هو مع واحد وعشرون شخصا من تجار ووجهاء النجف، على بيان يدعون فيه للحكم البريطاني⁽³⁾ . ويقال أن السيد

(1) 371/5228/E8448.

(2) د. نظمي، م. س، ص311.

(3) F.O. 882/23/MES /19/7. "Telegram no. 11669. Dated 29 Dec1918.

كاظم اليزدي مع بقاء الحكم البريطاني⁽¹⁾. وجاء في بيان بطريك الكلدان وثلاثين من طائفته في بغداد ما يلي:

«بريطانيا العظمى التي حررتنا من نير الأتراك، وخلصتنا من المحن التي كنا نرزح تحتها. إننا نتوسل لسيادتكم راجين السعي لضمان بقائنا في ظل الإمبراطورية البريطانية»⁽²⁾.

ولم يقتصر أمر التأييد هذا من غير المسلمين على المسيحيين فحسب، بل إن الجالية اليهودية أعربت هي الأخرى عن تضامنها وتأييدها للإدارة البريطانية. حيث أعلن ثمانية عشر يهوديا رفضهم في تنصيب أمير على بلاد ما بين النهرين، في حين أيدوا بقوة قيام حكم بريطاني مباشر⁽³⁾. وحين نقف على مواقف التأييد للحكم البريطاني المباشر هذه، تشخص لنا حقائق جمة. فمن المعروف أن الأقليات وبالخصوص المسيحيين واليهود، تميل في أغلب الظروف، إلى من يعيشوا في كنفهم آمنين، ويطمثونوا لحمايتهم أكثر من الآخرين، حتى ولو لم يكونوا معرضين لأي شي من الآخرين، إنه عنصر الخوف المبني على الترقب بالدرجة الأولى من القادم المجهول. ولا ننسى أن المحتلين البريطانيين هم من المسيحيين المترمتين لإنتمائاتهم الدينية، إضافة لتأثرهم العميق بالصهيونية العالمية، وهو ما تثبتنا منه سابقا هذان العاملان لا بد وإنهما يساعدان على خلق جملة مكاسب للطائفتين المسيحية، واليهودية، منها مكاسب معنوية، وأخرى مكاسب مادية، لذلك نلاحظ إندفاع الطائفتين، في تأييد الحكم المباشر من قبل المحتلين البريطانيين. وقد يرد في ذهن البعض عن إمكانية تعاون الطائفتين سياسيا، أو المسيحيين منفردين لتحقيق أهداف سياسية مركزية، ربما تتطابق مع ما عليه طائفة الموارنة في لبنان مثلا، في تقديري إن مثل هذا الرأي بعيد عن الواقع، لأن لبنان غير العراق، فالعراق مسكون بأغلبية شعب عربي متمسك في دينه الإسلامي، وحين نقف بعد قليل على طبيعة وقفه التحدي والمواجهة من قبل الشيعة بالدرجة الأولى، وبمشاركة المسلمين الآخرين بصورة مقطعية، سنجد ان نوع التحدي والمواجهة، قد إتسم بطابع مواجهة المحتلين البريطانيين على أنهم من الكفار. وإن شعبا يدفعه هذا العامل الروحي، سوف لن يعطي فرصة ولو ضئيلة للمحتلين البريطانيين للتفكير بخلق حالة مشابهة لحالة الموارنة في لبنان التي ساعد على خلقها الإستعمار الفرنسي، عدا ذلك فالتاريخ

Self Determination Iraq Section 7. (1)

Self Determination in "iraq Section 14. (2)

(3) د . نظمي، المصدر السابق، ص 315.

القريب لتلك الفترة الزمنية، لم يسجل ما يشير إلى أية طموحات للمسيحيين العراقيين بهذا الاتجاه لأنهم يدركون سلفاً إستحالتها. ولعل ما حصل لاحقاً للمسيحيين واليهود في الدولة العراقية الحديثة من مكاسب وضمنان للحقوق، ما جعلهم حريصين كل الحرص على هذا الكيان، بل و متمسكين به.

إلا أن الأمر الذي يثير الأستغراب هو موقف بعض أقطاب الأقلية السنية العربية، فإن هاجسهم من الطيف الشيعي العربي، ليس له ما يبرره من الواقع المعاش، وحين يقف الإنسان المنصف على مقولة من مقولاتهم، يصاب بالأسى والأشفاق، فهذا أحد أبرز أقطاب نخبة السنة عبد الرحمن النقيب، يقف محذراً ولية النعمة مس بيل من الشيعة، وكأنهم أناس من كوكب آخر، لكنه الملك والسلطة والحكم. ومن المضحك المبكي، أن نخبة الأقلية حين تقلدوا السلطة والحكم، وبمبادرة منهم قربوا المسيحيين واليهود، ومنحهم فرصة المشاركة في الحكم والسلطة، في أول حكومة ألفها عبد الرحمن النقيب، إرضاء للأسياذ المحتلين، في حين بخلوا على الشيعة في حقبة واحدة، إلا بعد تدخل ذوو الحل والربط الأنكليز، فأضطر النقيب للإستجابة لرغبتهم، فمنحوا المساحة الأكبر من الشعب العراقي، حقبة وزارية واحدة، أسوة بالأقليات المسيحية واليهودية.

الإتجاه الثاني: وهو الذي يدعو إلى حكم وطني (نسبي) بتوجيه بريطاني.

فقد عبر ياسين الهاشمي العضو البارز في جمعية العهد في تشرين الأول من عام 1919م، عن قناعة ضمنية بالتوجيه والإستشارة البريطانية حين قال:

«الواضح أن بلاد الرافدين لا يمكن تركها بدون توجيه أجنبي للسنين العشر القادمة، ومن الواضح كذلك إنه ليس هناك أية أمة أجنبية عدا إنكلترا تطالب بأن تقوم بدور المستشار»⁽¹⁾.

وكان نوري السعيد وجعفر العسكري من الرموز المهمة في جمعية العهد، هذه الجمعية التي إلتزمت إلى حد كبير مواجهة السياسة البريطانية في المنطقة العربية وبخاصة العراق، إلا أن السعيد والعسكري، تحولوا عن سياسة المواجهة التي إعتدتها جمعية العهد، إلى سياسة المهادنة فسياسة التبعية. وكانت أول إشارة على بدء شوط التعاون والتنسيق بين السعيد والبريطانيين، الرسالة التي أبرقها في أيار عام 1920م، من لندن إلى أصدقائه ومقربيه في بغداد، والتي يقول فيها:

«أصبحت مقتنعا أثناء إقامتي في لندن أن بريطانيا التي حررت البلاد العربية، باقية على تعاطفها مع القضية العراقية وإن المسألة سوف تحسم خلال بضعة أسابيع في مؤتمر الصلح وفق رغبات الشعب بتأسيس حكومة وطنية. في كل الأحوال يمكننا إطلاع الناس، وذلك للحصول على إمتنانهم للحكومة البريطانية»⁽¹⁾.

ووقفة نقدية لما أورده السعيد في برقيته سألته الذكر فإن السعيد نصب من نفسه حكما لشرح النوايا البريطانية، والتي إعتبرها نوايا حسنة من وجهة نظره، وهو بهذا غفل وتغافل كثيرا عن حقائق مواقف بريطانيا من العرب، لا سيما وعودهم للعرب بالإستقلال. عدا ذلك أنه جعل من الإحتلال تحرير وهو نفس منطق القائد البريطاني الجنرال مود، الذي إحتل بغداد وألقى خطابه بتاريخ 17 آذار 1917، والذي جاء فيه: «إلى أهالي ولاية بغداد إن جيوشنا لم تدخل مدنكم وأراضيكم كفاتحين أو أعداء بل كمحررين». كما أن السعيد قد جعل من قضية العرب الكبرى قضية قطرية عندما راح يتحدث عن العراق فقط وهو ما يعزز مفهوم التجزئة، التي عمدت إليها الدوائر الإستعمارية الغربية آنذاك، بدعم وتأثير صهيونيين. ولم يكتف السعيد بذلك بل راح يطالب الشعب العراقي، توجيه الإمتنان لحكومة صاحب الجلالة البريطانية، ولا ندرى على ماذا يمتن الشعب العراقي لبريطانيا؟ ألمعاهدة سايكس-بيكو التي وزعت مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا. أم لوعده بلفور المشؤوم بإقامة وطن لليهود في فلسطين العربية؟ أم لأحتلالها العراق؟ أم لعدم إيفائها بوعودها تجاه الأمة العربية بمنحها الأستقلال الحقيقي الناجز وإقامة دولتها الموحدة؟ بعد أن وفي العرب بالتزاماتهم وتعهداتهم بدخول الحرب بجانب الحلفاء، ضد الألمان وحلفائهم، وقدموا آلاف الضحايا وتكبذوا الكثير من الأضرار المادية والمعنوية، أم لصك الأنتداب سيئ الصيت. وكان جعفر العسكري صهر السعيد لا يخفي موقفه هو الآخر، بل ذهب بصراحته حدا بعيدا، حين راح يؤكد أمام المس كيرترود بيل السكرتيرة الشرقية للمعتمد البريطاني في بغداد قائلاً: «إن العراقيين غير مؤهلين للإستقلال التام». وهو الوتر الذي ينسجم ورغبات الأنكليز، ويعزز من حكم الأنكليز للعراق. ويبدو أن قناعات نوري السعيد ومجموعة من مقريه مثل: جعفر العسكري، قد حسمت لموالة السياسة البريطانيين في العراق، والمنطقة منذ ذلك التاريخ. وهو ما أهله ومن على نهجه كي يلعبوا أدوارا خطيرة في سياسة العراق، والأمة العربية، بل والمنطقة برمتها، بدعم وتنسيق بريطانيين. في حين كانت هناك مجموعة من الضباط والموظفين العراقيين العاملين في سوزيا والحجاز، وعلى رأسهم مولود مخلص وناجي

(1) F.O.371/5226/E4539. From civil commissioner, Baghdad, May 5,1920.

السويدي وثابت عبد النور وناجي الأصيل، قد قدموا نيابة عن 385 ضابطا وموظفا يعملون معهم بالكتابة إلى البريطانيين في كانون الثاني عام 1919م، يطالبون جعل العراق دولة ملكية برئاسة أحد أنجال الشريف حسين، وتأكيد اعتماد الدولة على بريطانيا ومبادئها السامية⁽¹⁾.

الإتجاه الثالث: ويدعو إلى حكم وطني عراقي حر مستقل

وقد مثل هذا الإتجاه غالبية شيعة العراق، على مستوى المدن المقدسة كربلاء والنجف والكاظمية، ومستوى الكثير من العشائر العربية الشيعية، وبالخصوص في منطقة الفرات الأوسط، إضافة للحركة السياسية الإستقلالية في بغداد والكاظمية، التي كان للشيعة فيها دورا مبرزا. وكان عددا من الشخصيات الوطنية والإجتماعية في كربلاء، قد قدمت مذكرة تدعو إلى تأسيس دولة عربية إسلامية، يكون فيها أحد أنجال شريف مكة أميرا، ويصار لها مجلس منتخب. وقد ضمنوا ذلك في ردهم على الإستفتاء ومما ورد في ردهم:

«تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية، فإنتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف، ليكون ملكا علينا، مقيدا بمجلس منتخب من أهالي العراق، لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة، وما تقتضيه شؤونها»⁽²⁾.

أما مدينة النجف فقد ترجم موقفها العشائر العربية في منطقة الشامية، حين قدموا مذكرتهم التي أكدوا فيها:

«إن العراق يقطنه العرب أساسا، وكل فرد منهم ميال بطبعه لمحبة أمته، لذا نفضل أن تكون هذه البلاد الجديدة برئاسة أمير عربي»⁽³⁾.

وفي الكاظمية إنبرى جمع من الكاظميين، بإصدار بيان موقع من قبل مئة وثلاثة وأربعين شخصا، وكان أهم ما أكدوا عليه هو:

«إننا باعتبارنا من الأمة العراقية العربية، نختار حكومة عربية مسلمة، يرأسها ملك مسلم هو أحد أنجال سيدنا الشريف، تكون مقيدة بمجلس محلي، أما مسألة الحماية فسينظر فيها بعد إنتهاء مؤتمر الصلح»⁽⁴⁾.

وكان السيدان إسماعيل الصدر وحسن الصدر قد أبديا في الأستفتاء معارضة شديدة

(1) العطية، غسان، المصدر السابق، ص 379.

(2) الوهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، (بغداد، 1935)، ص 35.

(3) د. العطية، غسان، المصدر السابق، ص 355.

(4) Self Determination in "iraq, Section 13, No.8.

للإدارة البريطانية⁽¹⁾. وقد لعب دعاة الاستقلال من حزب حرس الاستقلال، سواء الشيعة منهم أو السنة، دورا كبيرا في الإجتماع الموسع الذي دعى إليه الحاكم البريطاني ويلسون في 9 كانون الثاني عام 1919م، وقد توصلوا إلى موقف موحد يدعو إلى إنشاء عراق متحد، له حكومة عربية يرأسها ملك عربي مسلم، هو أحد أنجال شريف مكة، مقيدة بمجلس تأسيسي. وقد أيد هذا الإتجاه سبع وأربعون شخصية من رجالات بغداد من الشيعة والسنة. ومما جاء في مذكرة بغداد:

● أن العراق من شمال الموصل إلى الخليج أهل تماما لحكم نفسه.

● يطالب العراقيون بحكومة عربية خالصة.

● إن أعظم نصير ومجاهد لأجل الكرامة العربية هو الشريف حسين، ولذلك ينبغي أن يكون أحد أنجاله، ولا أحد سواه أميرا على العراق، على أن يكون مقيدا بمجلس تشريعي، كما هو الحال في جميع الحكومات المتمدنة⁽²⁾.

الإتجاه الرابع: وهو الذي يدعو إلى قيام حكم جمهوري في العراق

يبدو أن لصيغة النظام الجمهوري في تلك الحقبة مؤيدون، فقد جاء في رسالة لمس بيل إلى أبيها مؤرخة في 30 حزيران عام 1921م تقول فيها:

«إن الرسائل تتوارد إلينا بأن قبائل الفرات الأدنى يحضرون العرائض المسهبة يطلبون فيها الحكم الجمهوري»⁽³⁾

وكتبت جريدة الأستقلال تقول:

«إن الجمهورية أحسن بكثير من الملكية الوراثية، لأن الأمة لا تنتخب إلا الذي تعتقد فيه الأهلية»⁽⁴⁾

ونقل حسين جميل عن حسين الرحال أن توفيق الخالدي كان من دعاة الجمهورية ومن المحبذين لها⁽⁵⁾. لكن حين سنحت الفرصة للخالدي في العهد الملكي، لم يتأخر أن يصبح وزيرا للداخلية في وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية، في 1 نيسان عام 1922م، ووزيرا للعدلية

(1) د. نظمي، المصدر السابق، ص 309.

(2) ن . م ، ص 312.

(3) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، (بيروت، 1971م)، تر: جعفر خياط، ص 604.

(4) جريدة الأستقلال لسان حال الحركة الوطنية العراقية / الصادرة في 17 تشرين أول عام 1920م.

(5) جميل، حسين، شهادة سياسية 1908-1930م، (ط1، داراللام، لندن، 1987م)، ص 86، 90.

في وزارة النقيب الثالثة في 28 أيلول عام 1922م. وكان داود السعدي من أشد المطالبين بإقامة النظام الجمهوري، حتى بعد تسلّم فيصل الأول عرش العراق، ولشدة إيمانه بالنظام الجمهوري أصدر صحيفة سماها الجمهورية ليعكس عن طريقها رغبة المؤيدين لهذا النظام. وقد أشارت مجموعة من المراجع إلى إهتمام بعض العراقيين من عشائر ووجهاء بضرورة إختيار صيغة الحكم الجمهوري⁽¹⁾. وقبل أن نختم هذا الفصل لا بد من الإشارة إلى أن هناك من أيد قيام نظام ملكي، لكنه عزاه لنفسه حين راح كل من الشيخ خزعل (أمير المحمرة)، وطالب النقيب (نقيب البصرة)، العمل كل على حدة في إستمالة السلطات الأنكليزية، إلى جانب ترشيحه لمليّ المركز الأول في حكم العراق. ولقد إدعى كل منهما أنه يمتلك تأييد الوجهاء ورؤساء العشائر من العراقيين، لكنهما لم يلقوا أذانا صاغية من صانعي القرار البريطاني، بل نصحوا من بعض المسؤولين البريطانيين بالكف عن ذلك. وفي حين لاذ الأول بالصمت وآثر ترك الموضوع، إلا أن طالب النقيب راح يلح في الأمر كلما سنحت له الفرصة بذلك، وكان كثير المناورة والتكتيك، وهو ما أوصله بمحصلة الأمر، أن تقوم السلطات البريطانية بنفيه خارج العراق في 16 نيسان عام 1921م، رغم كونه كان وزيرا للدخالية في وزارة عبد الرحمن النقيب الأولى⁽²⁾. وعن حالة تجاوز السلطات البريطانية الحدود السياسية والدبلوماسية نلحظ مدى التجاوز حتى على الأطر المصنعة من قبل المحتلين البريطانيين، وهو ما يعكس أصلا إستخفافهم بمن أوكلوا لهم مناصب مرموقة. بحيث أن رئيس الوزراء عبد الرحمن النقيب لم يستطع أن يعمل شيئا يذكر تجاه الأجراء البريطاني بحق طالب النقيب والذي يتنافى وأبسط القواعد السياسية والدبلوماسية، بل نلاحظ أن عبد الرحمن النقيب وهو في هذا المنصب الرفيع، كرئيس للوزراء، كان مضطرا للركون للأمر الواقع. ونحن لا نستبعد أن يكون لعبد الرحمن النقيب الطموح ذاته في تولي المركز الأول، ونستدل على ذلك كونه كان من المعارضين في إستقدام أحد انجال الشريف حسين، لتولي عرش العراق، وتشبته الشديد في رئاسة الوزارة، ورفضه حتى السماح لعودة الضباط العراقيين سواء الموجودين في الحجاز أو سوريا. رغم ان هناك من يستبعد هذا الأمر وهو ما أشار إليه محمود شبيب، في كتابه أسرار عراقية في وثائق إنكليزية وعربية وألمانية 1918 - 1941م، (مطبعة سلمى، بغداد، 1397هـ)، ص 42. إلا أننا نميل إلى أن عبد الرحمن النقيب وزن هذا الموضوع من وجوه عدة فوجده صعب التحقيق، فأثر على حفظ

(1) فيضي، سليمان، في غمرة النضال، (بغداد، 1952م)، ص 89، 90. - الفرعون، فريق مزهر، الحقائق الناصعة في الثورة العراقية 1920، (بغداد، 1952م)، ص 77.

(2) F.O. 371/5230/E12461 Gertrude Bel, p149, 160, 170; F.O. 371/3421/212092-110

ماء وجهه، وأكتفى برئاسة ثلاث وزارات متوالية ودلينا على ذلك انه حين طلب إليه التخلي عن الوزارة الثالثة، تلكاً في ذلك، حتى قالت فيه مس بيل ما قالت بهذا الصدد، والذي سبق الإشارة إليه.

المبحث الرابع: الدور السياسي المنظم الثاني، وتحرك كربلاء 1919م:

كان لأنتقال الإمام محمد تقي الشيرازي إلى كربلاء من سامراء، في 23 شباط عام 1918م، يوماً مشهوداً، وقد تعزز موقع الشيرازي بوفاة كاظم اليزدي في الثلاثين من حزيران عام 1919م، حيث آل للشيرازي الزعامة المرجعية الأولى. وحين يحدثنا البصير عنه يقول: «أكبر مجتهد ترجع إليه الشيعة في العراق وإيران، والقفقاس، والهند. فكان يستخدم هذه السلطة الدينية كلها في تأييد المسألة العراقية من جهة، وفي نقض المعاهدة الفارسية الأنكليزية من جهة ثانية»⁽¹⁾.

وحين زار الحاكم العام البريطاني ولسون كربلاء في أيار عام 1919م، قام ولسون بزيارة الشيرازي في داره، وعرض عليه جملة أمور عامة ومهمة تخص العراق وإيران، لكن ولسون أصيب بخيبة أمل مريرة لعدم إستجابة الشيرازي، الذي سد عليه الطريق تماماً. وحين تأكد للأنكليز إستحالة إستمالة الشيرازي لفصهم، راح ولسون يهاجمه ويصفه بما لا يليق وهو ما سبق الإشارة إليه. وهكذا إنعكست مواقف الشيرازي هذه على الساحة العراقية، فأنشد الكثير من العراقيين للأمام لمواقفه المبدئية تجاه المحتلين الأنكليز. ويحدثنا البصير عن ذلك قائلاً:

«وعرف المفكرون السنيون ما للرجل من المنزلة العظمى فصاروا يتقربون منه، ليستعينوا بنفوذه الديني الواسع، على تحقيق مقاصدهم السياسية، وكان رحمه الله يؤيد الصلات الودية المتبادلة بين الشيعيين والسنيين بكل قوة»⁽²⁾

دخلت كربلاء العمل السياسي الجهادي الوطني المنظم، بعد مجئ الشيرازي بفترة قصيرة، وكان ذلك عام 1919م، حين أسست فيها جمعية سرية سميت الجمعية الإسلامية⁽³⁾. وكان على رأس المنضمين محمد رضا، النجل الأكبر للإمام الشيرازي. وكان من أهدافها؛ رفض الحكم البريطاني؛ إنهاء الإحتلال؛ تحقيق الإستقلال؛ وإقامة الحكم

(1) البصير، م . س، ص 104.

(2) م . ن، ص .

(3) الوهاب، م . س، ص 25.

الوطني . وحين عقد الميجر بوفل إجتماعا في سراي مدينة كربلاء حول الإستفتاء، لعبت فيه الجمعية الإسلامية دورا مبرزاً فيه، فقد حضرته النخبة من رجالات المدينة، وإنبرى عضو الجمعية الإسلامية عبد الوهاب الوهاب بالكلام، فطلب مهلة ثلاثة أيام للرد على ما عرضه بوفل، وعلى إثر ذلك عقدت النخبة إجتماعين الأول في دار السيد محمد علي الطباطبائي، والثاني في دار الإمام الشيرازي، للخروج بموقف نهائي، وضمنوا ردهم في مضبطة أصولية، كان أهم ما تضمنته:

«تقرر رأينا على أن نستظل بظل راية عربية إسلامية، فإنتخبنا أحد أنجال سيدنا الشريف ليكون ملكا علينا، مقيدا بمجلس منتخب من أهالي العراق، لتسنين القواعد الموافقة لروحيات هذه الأمة، وما تقتضيه شؤونها»⁽¹⁾.

لم تغفل الجمعية أي نشاط يمكن أن يخدم أهداف القضية، إلا وشاركت فيه مشاركة جادة، ومن أهم تلك النشاطات إجتماعي الصحن الحسيني والعباسي، اللذان عقدا في رمضان عام 1919م، على مدى يومين متتاليين، شارك في الأول الشيخ أبو محسن أبو الحب بقصيدة من نظم الشاعر محمد حسن أبو المحاسن، وأعقبه عمر العلوان بخطاب حماسي شديد⁽²⁾. وحين جاء إجتماع اليوم التالي في الصحن العباسي، إنبرى الشيخ محمد الخالصي بإلقاء خطاب مثير للغاية كان بمثابة تحدي عنيف للمحتلين الأنكليز، وللأهمية إليكم أهم مقاطع وكان على رأس المنضمين للجمعية محمد رضا النجل الكبر للإمام الشيرازي، وهبة الدين الشهرستاني، وحسن القزويني، وعبد الوهاب الوهاب، وعبد الكريم عواد، وعمر العلوان، وعثمان العلوان، وطليفح الحسون، وعبد المهدي القنبر، ومحمد علي أبو الحب.

(الخطاب الذي ألقاه الخالصي في تاريخ ٢٥ رمضان عام ١٣٣٨ هجري)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَلَا تَهْتُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: 139]

أيها السادة:

إن الله قد وصفكم بكتابه بصفتين بأنكم الأعلون وحكم على من هذه صفته أن لا يهن

(1) مجلة الشرق الكربلائية، الصادرة في 15 شعبان عام 1373هـ.

(2) مجلة الشرق الكربلائية، الصادرة في 15 شعبان عام 1373هـ.

ولا يحزن، كذلك أنتم في كتاب الله، وقد جاءكم بريطانيا بخيلها ورجلها وعزمها وشكيمتها تقول أنتم الأذنون ونحن الأعلون لذلك يجب أن نكون قيمين على شؤونكم وإدارتكم وأموالكم وأنفسكم هكذا أرادت بكم تلك الدولة القاسية التي لا ترى غيرها في العالم، وتحسب صنوف البشر عبيداً مذللين وأنتم واقفون بين بريطانيا وبين خالقها خالقها يصفكم بصفة الأعلين، والمخلوق يصفكم بصفة الأذنين، فإن قبلتم صفة المخلوقين ذلكم وخزيتم وأصابتكم الدناءة، وإشترتكم مرضاة المخلوق بسخط الخالق تنصب بريطانيا عليكم قيما دوليا وهي الولي وهي القيم، فهل أنتم مجانين حتى تفتقروا إلى الولي وإلى القيم؟! (هتافات وصراخات عالية لا، لا، لسنا مجانين، لا نريد بريطانيا قيما ولا وليا). الموت أدنى لك يا بريطانيا من أن نذل لك ونخزي فالله الله، مصارعنا أهون علينا من ذلنا وخضوعنا لسلطان القاهر الملك الجبار. إن صاحب القبر - يقصد قبر الحسين - هو سيد أهل الإباء الذي علم شيعته ومواليه كيف يموتون تحت ظلال السيوف في سبيل العز والشرف. نحن لا نريد حربا مع بريطانيا ولا مع أحد غيرها من الناس، ولكن الدولة التي تعتدي علينا نقاومها بأرواحنا ونفوسنا. وإذا كانت بريطانيا وخيلها وخيلاؤها بلغت من القوة ما لا نستطيع إخضاعها، فإن لنا من الشيمة وثبات الجأش وطلب الشرف والسؤدد عز ما يسوقنا إلى إزهاق نفوسنا والتخلص من سلكان الطغاة. إذا لم نغلب بريطانيا فسوف لا تغلبنا ونحن أحياء بل ستدوس على أجدائنا ونحن مستشهدون في سبيل الله والعز والشرف (هتافات: الله أكبر إلى ساحات العز والجهاد أيها المسلمون والموت للأنكليز). فتمسكوا يا إخواني بعري الإيمان وأنصروا الله ينصركم، فأنتم بين اثنين، بين أن تعيشوا عبيداً أذلاء أو تموتوا أحرارا أعزاء، فأَي الحالين تختارون؟ (هتافات لا نختار إلا العز والموت!).

سادتي مهلا مهلا، ثبتكم الله وقوى عزمكم وأخضع لكم عدوكم الجبار، أن أماننا عقبات لا يدللها إلا العزم الصادق والإيمان الصريح فهل أنتم على ذلك؟ (أصوات: نعم، نعم). إن أضعفكم جسما وأكبركم سنا وأقواكم عزما وأصرحكم إيمانا هما الإمامان المتبعان المرزا وأبي- يعني بهما الإمام الشيرازي، والإمام الخالصي - وهما قد بذلا أنفسهما بعزم راسخ وإيمان صادق، فهل تبخلون بأنفسكم بعدهما؟! (هتافات متتالية نفيديهما بأنفسنا، نفيديهما بأنفسنا وأموالنا وأولادنا).

«جزاكم الله عن أنفسكم خيرا وثبت عزمكم وأبقى بأيديكم بلادكم ودفع عنكم عدوكم الذي يريد بكم سوء. وإنني من فوق هذا المنبر أصرخ بوجه بريطانيا قائلاً: أحسنى ولا تبغى بنا سوءاً وأياسي من أن نذل لك، وإرجمي من حيث أتيت، فإن لم يكن لنا سلاح فصدورنا ورؤوسنا تستقبل جميع ما لديك من معدات. أدام الله حياة الأمة العراقية

وقادتها وعلماءها العاملين والأيتين الشيرازي والخالصي . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»⁽¹⁾ .

ورغم تحفظ البعض على شدة خطاب الخالصي، إلا أن الإمام الشيرازي لم يبدي تحفظاً عليه لأنه يعتقد أن مثل هذا الموقف مطلوب في العمل السياسي . وإن النجل الأكبر للشيرازي لم يقل تحديداً من الخالصي تجاه المحتلين الأنكليز . ولكن بنمط آخر حيث تتكامل الأدوار . وعن ذلك يقول البصير:

«فعمل ميرزا محمد رضا كبير أنجال الشيرازي، على توسيع نطاق الحركة بكل وسعه، وكانت كتبه الشديدة في لهجتها الحماسية، تصل إلى كل مكان، فقد إطلع الحكام السياسيين على هذه الكتب . وزاد الميرزا محمد رضا على عمله هذا، أنه أمر بإقامة المظاهرات الكبيرة في كربلاء، فبدأ بإقامتها، وألقيت فيها الخطب الحماسية الهائلة، فأحست الحكومة بحراجة الموقف هناك، وأخذت تعد للأمر عدته»⁽²⁾ .

وتساعد الموقف في كربلاء ليصل ذروته من نشاطات الجمعية الإسلامية، ضد المحتلين، حين قام محمد رضا عضو الجمعية الإسلامية الفعال، توجيه رسالة إلى الأمير علي بن الشريف حسين، يشرح فيها حالة العراقيين، ويستحثه لدعمهم لنيل حقوقهم المشروعة، ورفع المظالم عنهم . ومما جاء في تلك الرسالة:

«إن القطر العراقي كسائر الأقطار العربية التي بايعت جلالة الملك أبيكم، وأزيدكم أنه أكثر تحمسا في سبيل الاستقلال التام، وأشد نغمة قومية، وأقرب إلى الوحدة العربية، وذلك لأنه مسكون بشعب عربي بحت ، ليس فيه دخيل يخشى شره ، وهاهو اليوم ينتظر بفروغ الصبر أن يسمع صدى دفاعكم عنه ، فقد أكله الظلم ، ونخر عظامه الإستبداد»⁽³⁾ .

إن وقفة فاحصة لمفردات هذا النص تدل على عمق الفهم الذي كان عليه نجل الإمام الشيرازي، وهو ما يؤكد إيمانه الراسخ بتناغم التيارين العروبي والإسلامي، وهو ما يجسد حقيقة مراعات واقعية لطبيعة أحاسيس العراقيين، لخدمة الدين والشعب والوطن . لذا كان ويلسون على حذر شديد من هذه التحركات، وحين لم يجد وسيلة للحد منها، أصبحت

(1) الوردی، المصدر السابق، ج 5 / القسم الأول، ص 205، 207. خطاب الخالصي .

(2) البصير، م . س، ج 1، ص 105 .

(3) الفرعون، م . س، ص 92 .

لديه المبررات الكاملة والقناعة التامة، بضرورة إيقاف هذه النشاطات بصورة حاسمة، بتوجيه إنذار للإمام الشيرازي، عن طريق إعتقال الشيرازي الأبْن محمد رضا ومجموعة من نخبة كربلاء وغالبهم من الجمعية الإسلامية، والإصرار على إبعادهم إلى جزيرة هنجام. وحين لم يرق أمر التحركات الكربلائية هذه للسلطات المحتلة، لذا راحت تلقي القبض على نخبة من الكربلائين، لغرض نفيهم إلى الهند، إلا أن الإمام الشيرازي وجه احتجاج شديد للحاكم العام ويلسون، بضرورة إطلاق سراحهم، لكن رد ويلسون كان أكثر صلافة من خطوة الإعتقال. وتعلق هنا المس بيل:

«ولكن أولئك المشبوهين أطلق سراحهم بكفالة المرزا محمد تقي نفسه، فعادوا في الحال إلى سيرتهم الأولى، وبذا فقد شجع الحادث حيك الدسائس بدلا من إيقافها عند حدها»⁽¹⁾.

وفي ضوء هذه التطورات عقد الإمام الشيرازي إجتماعا طارئا مع حاشيته، إنتهى بتوجيه خطاب شديد إلى المستر بولي المكلف بمهمة الإعتقال. نذكر منه هذه الفقرات:

«وأدعوكم عجلة لأبلغكم أن توسلكم بالقوة في قبال مطالب البلاد وإستدعاءاتها، مخالف للعدل ولأدارة هذه البلاد، وإذا إمتنعتم عن المجرى في هذه المرة أيضا، فتصبح وصيتي للأمة بخصوص مراعاة السلم ملغاة من ذاتها، وأترك الأمة وشأنها، وبهذه الصورة تقع مسؤولية كل نتائج السوء عليك وعلى أصحابك. وفي الختام لا تكونوا سبباً لأرارة دماء الأبرياء»⁽²⁾.

وحين وردت للإمام الشيرازي أوراق الإستدعاء، دون الإكتراث بموقفه، أصبح الأمر لا مناص منه بعد أن طوقت كربلاء بالقوة العسكرية البريطانية، فكان نجله محمد رضا أول المستسلمين لهم، وتم فعلا إبعاده ومجموعته إلى جزيرة هنجام. إلا أن الشيخ محمد الخالصي أبي أن يسلم نفسه للمحتلين البريطانيين، مختفيا عن متناولهم، وتجنب الوقوع في قبضتهم. ومع ذلك نحن نعتقد أن حسم الإمام الشيرازي للموقف بهذه الصورة له أبعاد وإنعكاسات غير عادية، يمكن أن نجملها بما يلي:

البعد الأول: دفع الأذى عن مركز القيادة العلمائية والسياسية في كربلاء.

(1) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، (بغداد، 1971م)، ص 441، تر: جعفر خياط.

(2) د. الوردي، م. س، ج 5 / القسم الأول، ص 210. نقل عن: كتاب الشيخ محمد الخالصي، (المخطوط).

البعد الثاني: إن رسالته لبولي وحسمه أمر التسليم رفع عنه المسؤولية لأي إجراء قد يتخذه لاحقاً.

البعد الثالث: جعل رسالته وأمر التسليم، حالة متقدمة أجمع فيها مشاعر العراقيين.

وهكذا أسدل الستار على نشاطات الجمعية الإسلامية، كإطار سياسي لعب دورا مهما في شحذ الهمم، ضد المحتلين البريطانيين، في فترة إنعقادها، ولكن ما حصل لأعضائها كان مدعاة لدفع العراقيين لتعميق التصدي للمحتلين البريطانيين. وكردة فعل قوية مساوية لما آلت إليها الأمور نتيجة إبعاد بن الشيرازي، حصلت جملة قضايا كان لها تأثيراتها على مجريات الأمور. فقد إتخذ العلماء وعلى رأسهم شيخ الشريعة مواقف إستنكار وتذمر جراء الإبعاد القسري، وكان لشيخ الشريعة مراسلات عديدة بهذا الخصوص مع السلطة البريطانية؛ ولكن دون جدوى تذكر. ودعي إلى إجتماع عاجل في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر في المشخاب، في يوم 28 حزيران عام 1920م، حضره عدد من رؤساء عشائر الفرات الأوسط، وساداتها ووجهائها، وممثل عن النجف والحلة وبغداد والكاظمية. وإفتتح الإجتماع ممثل بغداد عبد الرحمن الخضير. أعقبه ممثل الحلة السيد محمد الباقر بقصيدة جاء في مطلعها:

بني يعرب لا تأمنوا للعدا مكررا خذوا حذرکم منهم فقد أخذوا الحذرا

وفاجئ محمد الباقر الحضور مفاجئة لها معانيها، في المفهومين العروبي والإسلامي، حين راح يخاطب رؤساء خزاعة:

«يا معشر خزاعة إن لمحمد عليكم دينا يوم قال ﷺ: لا نصرني ربي إن لم أنصر خزاعة؛ فهل أنتم تفون اليوم دينه؟ فقام إليه أحد رؤساء خزاعة وهو، سلمان العبطان، ووجد سيفه وهزه قائلاً: عند وجهك أنا أخو فاطمة. وسرت مثلاً عند العرب»⁽¹⁾.

لم يكن الإمام الشيرازي في معزل عن المشاعر العروبية، بل كان في صميم مراعاتها، ويحدثنا عن ذلك البصير قائلاً:

«وولع زعماء أواسط الفرات بخدمة العنصر العربي، حسبما فطروا عليه من حس الجنسية الصادقة، ورضي الشيرازي أن يشد أزر الحركة القومية، ليتقوى بها الإسلام وعلى هذا أمكن أن تجتمع الأيدي العاملة، فتقوم بعمل سياسي مشترك»⁽²⁾.

(1) د. البصير، م. س، ج1، ص 47.

(2) د. البصير، م. س، ج1، ص 35.

وهو ما يؤكد حقيقة أن الأسلام والعروبة صنوان يكمل أحدهما الآخر. وهناك مواقف ثابتة من أحداث عروبية كان للعلماء وللمجتهدين فيها مواقف رائدة خلال القرن العشرين. ويمكننا من خلالها ان نعتبر مسار الفكر الشيعي يصب في منحى الحرص على الوطن من التمزق وذلك من خلال الحرص على القومية العربية. فلذا تعتبر ممارسات العلماء في المرجعية الدينية الشيعية اساسا لارساء معالم اسناد الفكر القومي العروبي ليكون ابنا القبايل العربية بين التزامين اساسيين في الحفاظ على الدين هما الالتزام الانتمائي العربي والالزام الشرعي الديني. وعليه يمكن اعتبار ما حدث في ثورة العشرين الجبارة تجسيد حي لما اسندناه اعلاه من علاقة فذة فطرية ما بين القبيلة العربية وابنائها وبين تعاليم واوامر المرجعية الدينية الشيعية.

وقبل ان نختم الحديث في هذا المبحث، نورد أهم تلك المواقف التي إنتصروا فيها للعروبة والإسلام، ولم يكن هذا الإهتمام بالجانب العروبي، حالة مقتصرة على تلك الحقبة، إنما هو نهج طالما عمل به السابقون واللاحقون، من العلماء والمجتهدين والمراجع، في مواقف مختلفة، وبأوقات مختلفة هي الأخرى:

- 1 - موقف المرجع الديني الإمام السيد حيدر الحلبي، الذي أظهر حماسا عربيا وقوميا عندما غزا الإيطاليون ليبيا بداية القرن العشرين⁽¹⁾.
- 2 - موقف المرجع الديني الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في ثلاثينات القرن العشرين من القضية الفلسطينية، بإصدار فتوى الجهاد والدعم المادي لها، حين زاره وفد من نادي المثني بن حارثة الشيباني، برأسة الشيخ محمد مهدي كبة، نائب رئيس النادي⁽²⁾.
- 3 - موقف المرجع الديني الإمام أبو الحسن الأصفهاني، الداعم لحركة مايس العروبية عام 1941م، ضد تسلط المحتلين البريطانيين وإصداره فتوى بذلك⁽³⁾.
- 4 - مواقف المرجع الديني الإمام السيد محسن الحكيم، في خمسينات وستينات القرن العشرين، منها إستنكاره للعدوان الثلاثي الغادر على مصر العروبية عام 1956م، والأنتصار للقضية الفلسطينية، بإصدار فتوى دفع الخمس والزكاة، لنصرة قضيتهم

(1) الخاقاني، علي، شعراء الحلة «البابليات»، ج5، ص 196 - 230. حيث النماذج من الشعر العربي والحث على نصرة الليبيين العرب.

(2) بسم الله الرحمن الرحيمكبة، م . س، ص .

(3) د. الموسوي، م . س، ص 90.

العادلة. كما أن الإمام الحكيم وقف ضد إعدام الكوكبة القومية العروبية (الطبقجلي ومجموعته) على عهد عبد الكريم قاسم، في رسالة بعثها الإمام الحكيم إلى رئيس مجلس السيادة في عام 1959م. ومما جاء في الرسالة: «كما إنني أحس وألمس في كثير من الناس من ذوي الشعور الحي وتقدير المواقف مزيد من القلق، وعدم الأرتياح من الموقف الذي يواجهه ناظم الطبقجلي ورفعت الحاج سري ورفاقهما، مما لهم من مكانة في النفوس وقدم في البلاد، وماض حميد. فقد يكون من الخير والإنسانية المحافظة على وجودهم»⁽¹⁾.

5 - ولم يقتصر الأمر في هذا الاتجاه على العلماء الشيعة العرب، بل شمل هذا النهج العلماء من غير الجنسيات العربية، وهم يدركون ذلك بعمق، ولعل موقف المرجع الديني الإمام السيد علي خامنئي، مرشد الثورة الإسلامية في إيران حالياً، في سبعينات القرن العشرين، خير معبر عن مدى إعزاز العلماء بالعروبة، كإعتزازهم بالإسلام.

فمن المعروف أن الخامنئي كان له إهتمام خاص بمؤلفات سيد قطب⁽²⁾، إلا أنه حين وفاة الزعيم الخالد جمال عبد الناصر عام 1970م، لم يتمالك الخامنئي نفسه من البكاء بحرقة عليه، وحين سئل كيف ذاك وأنت من المهتمين بتراث سيد قطب، كان لجوابه دلالات ومعاني عميقة لا يدركها إلا أولي الألباب، حيث قال: «إن وفاة عبد الناصر يعني أفول العزة العربية، التي هي عزة الإسلام»⁽³⁾. والخامنئي بهذا الموقف الأعتزازي بالعروبة، إنما يجسد حديث رسول الله ﷺ القائل: «إذا عز العرب عز الإسلام، وإذا ذل العرب ذل الإسلام»⁽⁴⁾. إلى ما تقدم من حديث الخامنئي. وفي ضوء ما تقدم ترسم أمامنا الحقيقة ناصعة لا لبس فيها، وهي أن الشيعة ليسوا بمنتسبين للعروبة بفعل المكان والمعاشة، شأنهم شأن من هم من جذور شتى، إن الشيعة العراقيون، إنما يتمسكون بالعروبة لأنهم من صميمها، وهم ليسوا دخلاء عليها لما يعتمل في ضمائرهم ووجدانهم من (إنتماء أصيل)

(1) هادي، محمد، الإمام الحكيم «لمحة موجزة عن مرجعيته وجهاده» (دار تبليغات الشهيد الصدر، طهران، 1408 هـ)، ص 35 - 37.

(2) وسيد قطب هو مفكر إسلامي مصري، تم إعدامه في عهد عبد الناصر، بعد محاكمته وإدائته في التهم الموجه إليه. وهناك من يعتقد دون اثبات؛ أن تلك التهم كانت مدسوسة عليه، من أيادي خفية.

(3) د. أذرشب، محمد علي، رئيس مركز الدراسات الثقافية العربية والإيرانية، أثناء ندوة برنامج الاتجاه المعاكس، الذي قدمته قناة الجزيرة الفضائية من قطر، في 16 شباط 1999م. أشار

(4) ياسين، الشيخ أحمد، مرشد حركة حماس الإسلامية (الفلسطينية)، في مقابلة أجرتها معه محطة أم بي سي الفضائية أثناء زيارته للرياض عام 1998م، وقد أشار لهذا الحديث..

لأمتهم العربية، وهم لذلك يشكلون جزءاً مهماً من مادة العروبة، بما يختزنونه من مشاعر الود والإخاء إتجاه إختوتهم من أبناء الوطن العربي، وهم في مواقف الأحداث والمسؤولية العروبية الجادة، في خندق الإستعداد للتضحية والفداء. وهم كمسلمون يتفاعل الإسلام في نفوسهم، إيماناً بوحدة الله، وصدق الرسالة المحمدية، وعمق حركة الإمامة. فهم بين أصالة الأنتماء العروبي، وصدق الأيمان بالله والعمل بالسنة النبوية، والتسك بنهج الإمامة، كونوا قنطرة التواصل الذي لا إنفكاك منه. وهم كغيرهم من العرب المسلمين، فلا العروبة يمكنها ان تعيش بين ظهرانيهم بغير الإسلام، ولا الإسلام يمكنه النطق في مجمل تفاصيل الحياة بغير العروبة، وإلا عادت الأمة جاهلية، وهيئات ان تعود، بعد ان تكاملت الصورة، وتلاقحت الأفكار، وتشذبت الأخلاق، وتناغمت الأهداف، وتلازم المصير الواحد، ولا يعوزهما إلا وحدة الكلمة وأسلوب العمل، بعد أن جمعوا وحدة الهدف. عندها يمكن أن يسودوا الأمم على طريق الحق والعدل والأنسانية، كما ساد الأمجاد الأول. وإن أية محاولة لأضعاف هذا الترابط سواء جاءت المحاولة من شيعيين أو سنيين، من عروبيين تجاه إسلاميين، أو إسلاميين تجاه عروبيين، إنما مرده سببان لا ثالث لهما:

الأول: عدم إستيعاب حقيقة الترابط العروبي الإسلامي، والتمعن بأبعاده ومضامينه.

الثاني: إندساس الأفكار الشوفينية والظلامية بواسطة الحاقدين على العروبة والإسلام.

وخلاصة القول أن هذا التلازم والترابط بين العروبة والإسلام، إنما هو قدر الأمة، ولا تبغيض، ولا تجزيء فيه، وتبعاً لذلك لا تنصل للأمة من قدرها. لهذا نرى أن الشيعة، متمسكون بهذا الترابط والتلازم، ومسؤولون عن الدفاع عنه، بالقول والفعل، ما أستطاعوا لذلك من سبل، وفاء لما يحملونه بين أضلاعهم من إنتساب أصيل للعروبة، وإنقطاع حقيقي لروح الإسلام، بما جسده في مسيرة نهجهم الفكري والسياسي، منطلقين من أن الإسلام هو روح العروبة، وأن العروبة هي رثة الإسلام.



الباب السادس

الشيعة وقيام الدولة الجديدة

الفصل الأول: دور الشيعة في قيام الدولة الجديدة

- المبحث الأول: الدور السياسي وثورة العشرين

- المبحث الثاني: المرحلة الجهادية الثانية

الفصل الثاني: لماذا أصبح الشيعة معزولين عن الحكم؟

- المبحث الأول: عناصر وممهدات وتأثيرات المسيرة

- المبحث الثاني: أسباب إنكفاء مسيرة الشيعة

- المبحث الثالث: النتيجة الكبرى لمسيرة الشيعة

- المبحث الرابع: قيام نظام الدولة الجديد

الفصل الأول

دور الشيعة في قيام الدولة الجديدة

المبحث الأول: الأدوار السياسية المتداخلة، والتمهيد لثورة العشرين:

بدءاً لا بد من الإشارة إلى أن هناك باحثين جعلوا الطابع العام للمواجهة السياسية مع المحتلين البريطانيين قومياً عربياً⁽¹⁾. لكن حقيقة الأمر ترسم صورة أخرى تماماً، وهو ما جسده كل أحداث المواجهة السياسية والجهادية، التي تؤكد أن طبيعة المواجهة مع المحتلين البريطانيين، كانت تحكمها حزمة عوامل منها؛ الوطنية والقومية والإسلامية، وهو ما يمثل نسيج الواقع العراقي على حقيقته. مع الأخذ بنظر الإعتبار خصوصية التناغم بين العروبة والإسلام. ففي رسالة الشيخ باقر الشيبلي موجهة لويلسون تقول:

«فيا أيها الحاكم أن الأمة قد إعتمدت في دفاعها على ثلاثة أركان: القومية والوطنية والشريعة الإسلامية»⁽²⁾.

وهو ما رأيناه مجسداً في عملية الأدوار السياسية الثلاثة التي سبق الإشارة إليها، وما سنلمسه من خلال الأحداث الجهادية والسياسية التالية. ولم يكن إنتقال الإمام محمد تقي الشيرازي من سامراء إلى كربلاء، في 23 شباط عام 1918م، بدون مبررات، إنما كان إنتقاله في صميم الأجواء التي خلفتها الأحداث السياسية والجهادية عامي 1914-1918م. وهناك من أشار إلى أن إنتقاله قد تم بالاتفاق مع الإمام محمد مهدي الخالصي الكبير، إضافة للتنسيق

(1) وهو ما طغى مثلاً على كتاب د. وميض نظمي فرغم تأكيده على دور المجتهدين إلا أنه يوعزه إلى العامل الديني لا السياسي في حين أننا نرى أن دور المجتهدين السياسي لا يقل عن دورهم الديني إنما يتناغم معه في صميم الأحداث الوطنية والقومية فعدا مواقف الحويبي والحيدري والخالصي والشيرازي في العقدين الأولين من القرن العشرين، هناك مواقف لكل من الإمام محمد حسين كاشف الغطاء في الثلاثينات، والسيد أبو الحسن الأصفهاني في الأربعينات ومواقف الإمام محسن الحكيم في الخمسينات والستينات، وموقف الإمام محمد باقر الصدر في السبعينات. وحتى هناك مواقف لدى المؤسسة الدينية السنية، مثل موقف الشيخ عبد العزيز البدر في ستينات وسبعينات القرن العشرين. وكل مواقف المتقدم ذكرهم هو في صميم الدين والسياسة.

(2) د. الوردي، م. س، ج 5 / القسم الأول، ص 340.

مع الحركة الإستقلالية في بغداد⁽¹⁾. كي يكون الشيرازي في وضع يؤهله القيام بدوره المطلوب وعلى مقربة من صميم الأحداث التي يمكن أن تنفجر في أية لحظة. وكان وصول الشيرازي يوماً مشهوداً في تاريخ كربلاء الحديث⁽²⁾. وقد تعزز موقع الشيرازي بوفاة الإمام كاظم اليزدي في الثلاثين من حزيران عام 1919م، حيث آل للشيرازي زعامة المرجعية الأولى في العراق والعالم الإسلامي. وحين نقف على إسم مدينة كربلاء المقدسة، تشخص أمامنا صورة الأنبياء، بكل معانيه الإنسانية، وأبعاده الجهادية، ومضامينه الروحية، وحين نتصفح التاريخ الأممي، فهناك مدن أفاضت على الإنسانية معاني مختلفة، فتركت بصمات أصابعها على مقاطع كثيرة من الحياة الإنسانية، كمدينة أكسفورد في مؤسساتها العلمية ومدينة روما في عمارها، ومدينة باريس في جمالها، وإن جذور هذه المدن تكونت من تراكمات عطاء الإنسان عبر التاريخ، وإن الأجيال المتأثرة بهذه الحضارات هي جزء متحرك ومؤثر في الحياة الإنسانية المتواصلة. ويقدر شهرة هذه المدن، هناك مدن في السياق تمتلك بعض ما تمتلكه المدن الشهيرة، وليس كل ما تمتلك، لهذا تميزت المدن الشهيرة على غيرها، فذاع صيتها وأخبارها في العالمين.

أما في تاريخنا العربي والإسلامي، فهناك مدن سبقت أكسفورد بعلومها كمدينة بغداد، وتجاوزت روما بعمارها كمدينة الأندلس، وتميزت على باريس بجمالها كمدينة دمشق، لكن هذا التفرد وتلك الحضارة وذاك التقدم، خبي وأصبح من التاريخ، ولذلك أسباب ومسببات لسنا بصدد بحثها، إذ لها موضع آخر.

فكربلاء المدينة الخالدة خلود الدهر، الملتصق معدنها الأصيل على مدى الدهور توهجا، الراسخة جذورها في ضمير الأمة رسوخ الجبل الأشم، الممتد شعاعها الروحي والجهادي في الوجود العربي والإسلامي والإنساني، إمتداد أشعة شمس الأصيل على المعمورة. هذه المدينة التي ليس لها من أكسفورد مؤسساتها العلمية، ولا من روما عمارها، ولا من باريس جمالها، إلا أنها واحدة من أشهر المدن على مدى التاريخين القديم والحديث، ليس على المستوى العربي والإسلامي فحسب، إنما على المستوى العالمي. فكيف ياترى نالت هذه المدينة مكانتها المرموقة؟

إن إسم كربلاء المدينة، أصبح في عالم أسماء المدن حالة متفردة في الشهرة، إسماً

(1) عن الشيخ مهدي الخالصي (الحفيد) مقابلة خاصة معه في 23 تموز عام 1998 في لندن وعن كتاب (سيرة حياة والد) للشيخ محمد الخالصي، الكاظمية، 1939، ص144، (كتاب مخطوط).

(2) الوهاب، عبد الرزاق، كربلاء في التاريخ، (بغداد، 1935م)، ج3، ص24.

مميزا له نكهته الخاصة، لأنه إرتبط بمعنى يختلف عن كل المعاني المصنوعة من تراكم النتائج الإنساني في شهرة تلك المدن المتقدم ذكرها، والسبب المباشر هو، ان كربلاء إقترن وجودها بمعنى سامي نبيل، بمعنى ليس من صنع الانسان، وإن كان الإنسان غايته، لأنه معنى ذو دلالات تضحية، له ابعاد ومضامين غير عادية، لا تمتلكها كل المعاني المصنوعة، إنه الجهاد الذي جسده واقعة الطف بأروع صورته. وقد لعب الغرائق من أهل البيت، وعلى رأسهم الثائر العربي المسلم الأول الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام، أدوارا إستشهادية رائدة، وقدموا دمايهم الزاكية إنتصارا للحق والعدل، وضد الظلم والظالمين. وحين يقرن الجهاد بالأصرار على الشهادة، فهو أعلى ما تقدمه النفس البشرية. لقوله تعالى شأنه: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: 78].

ولحديث الرسول ﷺ: «إن لكل أمة سياحة، وسياحة امتي، الجهاد في سبيل الله»⁽¹⁾.

ولحكمة إمام المتقين علي (ك) والتي تقول:

«إن الجهاد باب من أبواب الجنة، فتحه الله لخاصة أوليائه. وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة»⁽²⁾.

وهكذا يعيد التاريخ نفسه، فمثلما شهدت كربلاء أول ولادة جديدة، مخضبة بالدم، في عهد ثورة الحسين ضد الظلم والظالمين، كما تقدم الإشارة إليها، شهدت كربلاء ولادة ثانية على طريق الحسين في مجيء الإمام الشيرازي إليها لتصبح مرة أخرى عاصمة للثورة العشرينية. فكربلاء عدا أنها إحتلت مكانة مرموقة ومقدمة بين المدن الإسلامية، فإنها إحتضنت مواقف نادرة، وتضحيات فريدة ضد الظلم والظالمين، وبذا ضربت بإباء وشمم حواجز الخوف والإستكانة، تجاه الحكام الجورة، فتحولت إلى نبراس لا تبهت ألوانه في عيون المتطلعين، لكرامة العرب والمسلمين، نحو صنع الغد المشرق لأجيال الأمة. هكذا كان ومازال وسيبقى أسم كربلاء شوكة في عيون التاريخ العدواني المنحرف عن الحق والعدل. وحين يحدثنا البصير عن الإمام الشيرازي، يقول:

«أكبر مجتهد ترجع إليه الشيعة في العراق وإيران، والقفقاس، والهند. فكان يستخدم هذه السلطة الدينية كلها في تأييد المسألة العراقية من جهة، وفي نقض المعاهدة الفارسية الأنكليزية من جهة ثانية»⁽³⁾.

(1) المتقي الهندي، كنز العمال، حديث / 10527

(2) المجلسي، بحار الأنوار، ج 199، ص 8.

(3) البصير، م . س، ج 1، ص 108، 109.

وقد سبق الحديث عن أهم الأدوار السياسية التي إضطلع فيها شيعة العراق، مع المحتلين البريطانيين، من أجل تحقيق الاستقلال للعراق الوطن والسيادة لشعبه، وكان لعلمائهم ومجتهداتهم أدواراً مباشرة وغير مباشرة في تلك التحركات السياسية، ولربط الأدوار، نشير للأدوار السياسية المتقدم ذكرها إشارة خاطفة من أجل عملية الربط بالأدوار اللاحقة:

الدور الأول: وهو التحرك السياسي الذي أججه حزب النهضة الإسلامية المؤسس في مدينة النجف عام 1917م، الذي أدى إلى إنتفاضة هذه المدينة عام 1918م.

الدور الثاني: وهو التحرك السياسي الثاني الذي جسده نخبة الشيعة في عملية الأستفتاء التي طرحها الحاكم السياسي العام آرنولد ويلسون بين عام 1918-1919م، وكان لعلماء الشيعة ومجتهداتهم، أدواراً مؤثرة في ذلك.

الدور الثالث: وقد جسده نخبة الشيعة في كربلاء، من خلال العمل السياسي المنظم، عن طريق تأسيس الجمعية الإسلامية عام 1919م، التي مارست نشاطاتها ضد المحتلين البريطانيين.

الدور الرابع: مثله الإمام محمد تقي الشيرازي فحين وفد الحاكم العام البريطاني بالوكالة آرنولد

ويلسون كربلاء في أيار عام 1919م، وزار الشيرازي في داره، وعرض عليه جملة أمور تخص العراق وإيران، إلى أنه أصيب بخيبة أمل مريرة لعدم إستجابة الشيرازي لعروضه. ومن تلك الأمور التي عرضها ويلسون على الشيرازي:

1 - حاول يلسون الضرب على أوتار حساسة حين طلب من الشيرازي ترشيح رجل من الشيعة ليحل محل الكليدار السني في سامراء، فحسم الشيرازي برده القاطع هذا الأمر حين قال لويلسون: «لا فرق عندي بين السني والشيعة، وإن الكليدار الموجود رجل طيب ولا أوافق على عزله»⁽¹⁾.

2 - راح ويلسون يذكر فوائد عقد إتفاقية بين إيران وبريطانيا، والتي يسعى لعقدها برسي كوكس في طهران، وطلب ويلسون من الشيرازي أن يساعد على تصديقها، فرد الشيرازي قائلاً: «نحن الآن في العراق ونتكلم عن العراق وإن حكومة إيران وشعبها أعرف بشؤونهم منا فلا يحق لنا والحالة هذه التدخل في أمور لا تعنيننا، ولا نعرف عنها شيئاً»⁽²⁾.

3 - وختم ويلسون عروضه الطلب إلى الشيرازي إستعمال نفوذه والأفتاء بإيقاف القتال بين القوات المحتلة البريطانية وبين القبائل الإيرانية فرد الشيرازي على هذا الطلب قائلاً: «لا يسوغ لي الأفتاء بشئ لا علم لي به سيما وأن لتلك القبائل حكومة فحكومتهم أعرف بذلك المحيط وما تقتضيه»⁽¹⁾ . .

وهكذا أسقط الشيرازي بيد ويلسون من أن ينال ما يبتغي، على حساب حقوق الشعوب. وحين تأكد للأنكليز إستحالة إستمالة الشيرازي لصفهم، راح ويلسون يهاجمه ويصفه بما لا يليق. لذا نلاحظ إن صورة الشيرازي على ضوء هذه المواقف، إنعكست إيجابياً على العراقيين فأنشدوا له، وراحوا يتقربون إليهم ويخطبون وده. ويحدثنا البصير عن ذلك قائلاً:

«وعرف المفكرون السنيون ما للرجل من المنزلة العظمى، فصاروا يتقربون منه ليستعينوا بنفوذه الديني الواسع على تحقيق مقاصدهم السياسية، وكان رحمه الله يؤيد الصلات الودية المتبادلة بين الشيعيين والسنيين بكل قوة»⁽²⁾ . .

ولم يمض وقت طويل على مجئ الشيرازي إلى كربلاء، إلا وبدأت أدوار مكثفة جديدة من العمل السياسي الشيعي السلمي، لتحقيق جلاء المحتلين وإقامة الحكم الوطني العراقي دون وصاية من أحد. وقد جسدت هذه الأدوار السياسية جملة تحركات، كان لها أهميتها الخاصة، كونها تأتي على مشارف المواجهة الكبرى التي حصلت مع المحتلين لاحقاً، بعد أن عجز أولو الأمر، عن طريق الحل السلمي في تحقيق أهدافهم المشروعة.

ولعلنا نستطرد هنا باكورة فتاوى الامام الشيرازي السياسية الشهيرة؛ فحين اصدرها في 22 كانون الثاني عام 1919م؛ ردا على إستفتائه من قبل مجموعة من العلماء ورؤساء العشائر⁽³⁾؛ والتي جاءت تحذيراً شديداً لكل من تسول له نفسه تأييد المحتلين الأنكليز. وكان نص الفتوى هو:

«ليس لأحد من المسلمين أن ينتخب ويختار غير المسلم للإمارة والسلطنة على المسلمين»⁽⁴⁾ . .

(1) الوهاب، م . س، ص 59، 60.

(2) د. البصير، م . س، ج 1، ص .

(3) الرهيمي، عبد الحلیم، تأريخ الحركة الإسلامية في العراق، (ط1)، الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1985م)، ص 203.

(4) د. الوردي، م . س، ج 5، القسم الأول، ص 103.

- ويلاحظ في هذه الفتوى أمور غاية في الأهمية يمكن إجمالها بما يلي:
- 1 - أن الشيرازي كان على علم حين ترك موضوع إختيار الرمز وصيغة الحكم للأمة، إلا أنه وضع المبدأ وهو الأساس، وهو بعد نظر وعمق دراية ثابقتين، حيث قطع بها الطريق على المتصدين، كما جاءت صياغتها كقاعدة عامة للمسلمين كافة وإنما كانوا في دولهم المسلمة. وهكذا هو شأن المراجع العظام.
 - 2 - جاء نص الفتوى بمثابة تأكيد واضح وقاطع، للأهداف التي رفعتها الجمعية الإسلامية في حينها، كي يتسنى للجمعية القيام بواجباتها المناطة بها، وهو ما يدل لنا بما لا يقبل الشك أن للإمام الشيرازي اليد الطولى في إقامة هذه الجمعية، وهو ما يعد حالة متقدمة يضطلع بها مجتهد ومرجع كبير مثل الإمام الشيرازي، في تلك الحقبة.
 - 3 - أيد هذه الفتوى مجموعة من علماء كربلاء قدروا بسبعة عشر عالما، حين وضعوا أختامهم بجانب ختم الإمام الشيرازي، لتكون الدستور الذي تسيير عليه الأمة. وقد أرسلت نسخ منها إلى مدن وعشائر الجنوب والفرات الأوسط، كما تم نشرها بنطاق واسع لأطلاع الأمة عليها.
 - 4 - كانت هذه الفتوى كالسيف القاطع الطريق، على من سولت له نفسه أو تسول له نفسه تأييد الحكم الأجنبي، ودفعة نوعية متقدمة للنفوس كي تبادر بالإصرار على التصدي لحكم المحتلين البريطانيين وضرورة تحقيق الاستقلال الناجز.
 - 5 - أكدت هذه الفتوى عمق إهتمام المرجعية الدينية الشيعية، بالمسألة السياسية، التي تخص مصير الأمة، وأن الدين لا يمكن أن يكون بمعزل عن السياسة والحكم، إنطلاقا من رسالة الإسلام الخالدة التي كان الجانب السياسي فيها لا يفصل عن الجانب الروحي، إنما كان متما أساسيا له، وإن إقامة الدولة الإسلامية الكبرى في عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين، خير شاهد ودليل.
 - 6 - ولم يكن هذا الإهتمام، إهتماما عشوائيا أو هامشيا، لما أعقبه من خطوات جادة ومسؤولة على طريق التحرك السياسي، حيث تعامل الإمام الشيرازي مع هذا الإتجاه وعلى كل المستويات. فهو بالوقت الذي جند كل إمكانياته لتحريك الموقف السياسي والروحي الداخلي، ليكون على أهبة الاستعداد لأي طارئ، لم يهمل الجانب السياسي العربي، ومن غير أن يسقط من حساباته وإهتماماته التحرك السياسي على العامل الدولي، حيث حاول توظيف كل هذه الحلقات والتحركات السياسية، لخدمة الحل السياسي السلمي للقضية العراقية، وهو ما يفهم من النظريات السياسي بأنها أعلى درجات المسؤولية والحصافة في القاموس السياسي.

وبهذا النهج وهذا الفهم السياسي الإستراتيجي بدأ الشيرازي مهمته من أجل رفع المظلومية عن الشعب، فبادر في الكتابة إلى الوزير المفوض الأمريكي في طهران، مستفيداً من إعلان حقوق الإنسان التي تبناها الرئيس الأمريكي نلسن. وأعقبها برسالة مباشرة إلى الرئيس الأمريكي للغرض نفسه، وأشرك في التوقيع عليها من المجتهدين المبرزين (شيخ الشريعة). وقد رأينا من المناسب ذكرها لأهميتها لأولي الأمر من المهتمين بالشأن العراقي، لأنها تظهر الإهتمام المتواصل والثابت للمؤسسة الدينية الشيعية العلمائية، بالجانب السياسي، دون التنازل عن تأكيد حق العراقيين (كافة) في ضرورة إقامة (دولة عربية إسلامية) لهم على أرض العراق. أما نص الرسالة، فهو إلى حضرة رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية

«إبتهجت الشعوب جميعها بالغاية المقصودة من الإشتراك في هذه الحروب الأوربية، من منح الأمم المظلومة حقوقها وإفساح المجال لأستمتاعها بالأستقلال، حسب الشروط المذاعة عنكم. وبما أنكم كنتم صاحب المبدأ في هذا المشروع، مشروع السعادة والسلام العام، فلا بد أن تكونوا الملجأ في رفع الموانع عنه وحيث وجد مانع قوي يمنع من إظهار رغائب كثير من العراقيين على حقيقتها، بالرغم مما أظهرته الدولة البريطانية من رغبتها في إبداء آرائهم، فرغبة العراقيين جميعهم والرأي السائد بما أنهم أمة مسلمة أن تكون حرية قانونية وإختيار (دولة جديدة عربية إسلامية) وملك مسلم مقيد بمجلس وطني. وأما الكلام في أمر الحماية فإن رفضها أو الموافقة عليها يعود إلى رأي المجلس الوطني، بعد الإنتهاء من مؤتمر الصلح. فالأمل منا حيث أننا مسؤولون عن العراقيين في بث آمالهم، وإزالة الموانع عن إظهار رغائبهم بما يكون كافياً ليطلع الرأي العام على حقيقة الغاية التي طلبتموها في الحرية التامة، ويكون لكم الذكر الخالد في التاريخ ومدنيته الحديثة».

ختم/ شيخ الشريعة الأصفهاني ختم/ محمد تقي الحائري الشيرازي⁽¹⁾.

ولم يقتصر تحرك الشيرازي السياسي على الموقف الدولي فحسب، وحيث أنه لم يكن هناك كيانات عربية في تلك الحقبة، فقد رأى الشيرازي بالشريف حسين ضالته، فهو خير شخصية عربية يمكن أن يخاطبه بهذا الصدد، هو واولاده ويطلب إليهم إستعمال معرفتهم ونفوذهم السياسي على المستوى الدولي، لدعم قضية الشعب العراقي، في المحافل الدولية السياسية. وحين عقد إجتماع في دار محسن شلاش في تموز عام 1919م، حضره كل من

(1) د. الوردى، م. س، ج5، القسم الأول، ص105.

علوان الياصري، ونور الياصري، وعبد الواحد الحاج سكر، وقرروا إرسال مضابط إلى الشريف حسين في الحجاز، يبلغونه أنهم إختاروا أحد أنجاله لعرش العراق، لكن السلطات البريطانية تعرقل ذلك متعمدة، لذا فهم يطلبون مساعدته على تحقيق هذا الأمر. وقد أودعت تلك المضابط لدى الشيخ محمد رضا الشبيبي، ليقوم هو بإيصالها للشريف. فأغتم الشيرازي هذه الفرصة السانحة، وحرر رسالة موجهة للشريف، شارحا فيها أوضاعا لعراقيين، ومستحثا إياه نصره إخوانه في العراق. وسلمت الرسالة إلى المرحوم الشيخ محمد رضا الشبيبي، وأوصلها بدوره للشريف، وبادر الشريف تو تسلمه الرسالة والمضابط، وأرسلها إلى ابنه فيصل، الذي كان يومها في باريس يحضر مؤتمر الصلح، وطلب إليه الدفاع عن حقوق القضية العراقية. وقد أجاب الشريف الحسين على هذه الرسالة، برسالة إستحسان وتقدير، واعد الشيرازي على العمل لرفع المظالمات عن الشعب العربي المسلم في العراق⁽¹⁾. وإليك نص رسالة الشريف

ختم / الحسين بن علي

الديوان الهاشمي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من الحسين بن علي إلى الجهيد الأفضل والحبر الأكمل مولانا الشيخ محمد تقي الشيرازي وإنه من أننا الساعات تلقينا محرركم الكريم وطيه صور إفاداتكم للجنة وعلم مآل الجميع. وإني بعنايته تعالى سأبذل كل ما في الجهد لحصول رضائكم، وكيف لا أقول ذلك وإنها هي إحدى أساسات الأعمال التي إرتكبنا من جهتها التهلكة فكونوا مطمئنين بالله سبحانه وتعالى بأننا على ما تأملون. أما الفوز برغائبكم بل رغائبي فيكم التي هي قرة عيني أو ترك الدنيا وما فيها. والله يتولانا بتوفيقه فإنه يخلق ما يشاء ويختار. وسلامي عليكم كافة ورحمة الله وبركاته.

24 ذي الحجة الحرام 1337 هجري⁽²⁾.

ولم يكتف الشيرازي بالكتابة إلى الشريف حسين، بل توسع في ذلك بتوجيه رسالة إلى الأمير فيصل في سوريا، كونه كان يمثل والده في المحافل والإجتماعات الدولية، التي كانت تعقد للبحث بمصير الأمة العربية وبالخصوص العراق. وقد أعرب الإمام الشيرازي في رسالته ليفصل عن تأييده لإقامة الجامعة العربية التي هي جوهر المجد الإسلامي⁽³⁾. وكان

(1) مجلة العربي الكويتية الصادرة في شباط عام 1972م.

(2) د. الوردى، م. س، ج5، القسم الأول، ص124، 125.

(3) د. نظمي، وميض، م. س، ص351، 352.

لهذا التحرك السياسي المتنوع من قبل الشيرازي، ومراعاته للأهتمامات العربية والإسلامية، أهميته التي أملت عليها عليه طبيعة المسؤوليات الروحية والسياسية التي تبوءها تجاه الأمة، وأضعا أمامه كل الإحتمالات المستقبلية، بما يجعل الرأي العام العربي والدولي مسؤولين مسؤولية أدبية وأخلاقية تجاه نصره أي عمل يمكن أن يقوم به العراقيون مستقبلا. والشيرازي لم ينحصر في زاوية معينة بخصوص تحركاته السياسية، بل جعلها شاملة ومؤثرة، فهو عدا تحركه الدولي والأقليمي والعربي، وعدا إتصاله الدائم مع علماء النجف والكاظمية، وكذلك سادات ورؤساء العشائر في الجنوب والفرات الأوسط، فإنه أضاف إليها إتصاله برموز وقادة الحركة الوطنية الإستقلالية في بغداد والكاظمية، لتتكامل تحركاته السياسية في صميم أحداث الأمة. وفي ضوء المسيرة السياسية هذه بوجود المرجعية الأولى في كربلاء، والتي إستعرضنا مقدماتها، إشرأبت أعناق الحركة الوطنية والعشائرية والعلمائية، وتوجهت أنظارها صوب مدينة كربلاء. ويحدثنا البصير عن بعض صور هذا التوجه، وبالخصوص عند رؤساء القبائل والعشائر فيقول:

«كانت رابطة رؤساء القبائل الدينية بمقام الشيرازي قوية جدا، إلا أنه رحمه الله جعلها ذات صبغة سياسية واضحة، فبث الدعوة بينهم إلى المطالبة بإستقلال العراق بكل ما يمكنه. وفي ليلة منتصف شعبان سنة 1338هـ زار عدد كبير من مشايخ الشامية وغيرها دار الإمام الشيرازي بكربلاء فعقدوا هناك إجتماعا بعد منتصف الليل وكان ذلك الأجتماع طبعاً تحت رئاسة رب المنزل، فدارت بين المجتمعين مداولة ترمي إلى إصلاح الحالة العامة، وكان القيام بالثورة آخر ما قر عليه قرار المجتمعين، فأقسموا أمام الأمام بالقرآن العظيم أنهم لا يتأخرون عن تلبية نداء دينهم ووطنهم، وإنهم يجازفون بكل مرتخص وغال، في سبيل إنقاذ بلدهم من الحكم الأجنبي، وإنهم يلفظون آخر نفس وهم تحت طاعة أوامر إمامهم الميرزا محمد تقي الشيرازي، الذي يقودهم إلى ما فيه صلاح دينهم وديارهم»⁽¹⁾.

ووقفه تقييم لما أورده البصير بهذا الصدد لأهميته، لاسيما والبصير أحد رجالات ثورة العشرين، فهو لذلك لم يأت بهذه المعلومة من فراغ إن ما ذكره البصير بخصوص جعل العلاقة مع رؤساء القبائل والعشائر ذات صبغة سياسية، إضافة لأصل العلاقة الدينية، يأتي متناغماً مع المقدمات السياسية التي إتخذها الشيرازي تحسباً لأي أمر غير عادي، وإن هذا التوافق بين الجانبين مرده إخراج السلطات البريطانية، محلياً وإقليمياً ودولياً، للرضوخ للحل

(1) الفرعون، م . س، ص 92.

السلمي الذي إنتهجه شيعة العراق، وهذا هو منطق العمل الهادئ والهادف. وكانت الحركة الأستقلالية في بغداد والكاظمية قد نظمت وفدا قام بمقابلة ويلسون في 2 حزيران عام 1920م، وكان لنخبة الشيعة مثل: محمد الصدر، ومحمد جعفر أبو التمن، ومحمد رضا الشبيبي، ومحمد مهدي البصير، ومحمد باقر الشبيبي، دور مبرز في هذا التحرك. وقدموا لويلسون مذكرة بمطالبهم في الإستقلال وإقامة الحكم الوطني العراقي الصميم. وقد دفعت هذه الخطوة قيام النخبة من وجهاء وعلماء كربلاء بعقد إجتماع بتاريخ 3 حزيران عام 1920م، وقرروا إختيار مندوبين عنهم لمقابلة السلطات البريطانية، وهم كل من عبد الحسين الشيرازي، ومحمد الخالصي، ومحمد علي الطباطبائي، وصدر الدين كتب عليها الإمام الشيرازي هذه العبارة: «صحيح نافع مفيد إن شاء الله تعالى»⁽¹⁾.

ولم يقتصر هذا التحرك على مدن بغداد والكاظمية وكربلاء، بل عقد إجتماع مماثل في النجف 5 حزيران عام 1920م، حضره علمائها ووجهائها ورؤساء العشائر القريبة منها. وبعد تبادل الآراء، تم إختيار مندوبين عن المجتمعين، وهم كل من: جواد الجواهري، وعبدالكريم الجزائري، وعبدالرضا الشيخ راضي، ونورالياسري، وعلوان الياسري، ومحسن شلاش وقد نظم المجتمعون مذكرة أسوة بالمذكرتين سالفتي الذكر. ولما علم الإمام الشيرازي بهذا التحرك، أرسل لكل واحد من المندوبين رسالة، يشجعه فيها على المطالبة بالحقوق المشروعة، بإخراج المحتلين والمطالبة بالإستقلال والحكم الوطني، وبارك لهم خطوتهم هذه⁽²⁾. ولم يترك الإمام الشيرازي أية سانحة إلا وإستغلها لصالح القضية العراقية، فقد بادر في شهر رمضان المبارك، توجيه رسالة لأهالي الحلة تدعوهم لتأكيد حقوقهم المشروعة وبالطرق السلمية، وبعد أن تم إلقاء نص الرسالة على الأهالي في الجامع الكبير، أمر الميجر بولي قواته بإلقاء القبض على المشاركين الفعلين، وهم كل من: رؤوف الأمين، وعبد السلام الحافظ، وأحمد السالم، وجبار علي حساني، وعلي حمادي. ولم يسلم علي الهنداوي مندوب الميجر بولي من الإعتقال لتعاطفه مع المجتمعين، وقد أرسلوا لجزيرة هنجام فمات في هذا الأسر المرحوم أحمد السالم⁽³⁾. وللأهمية العلمية والتاريخية لا بد من الحديث عن التحرك السياسي المتداخل مع بعض الأدوار السياسية المتقدمة، وبالتحديد الدورين الأول والثاني، والذي مثله نشاط حركة الإستقلال في بغداد والكاظمية والذي يمكن ان نطلق عليه الدور السياسي الخامس والذي مثله حزب حرس

(1) د. البصير، م. س، ج1، ص105.

(2) الياصري، عبد الشهيد، البطولة في ثورة العشرين، (النجف، 1966م)، ص14 - 146.

(3) الحسيني، عبد الرزاق، ثورة العشرين الكبرى، ص57.

الاستقلال. وقبل الخوض في طبيعة هذا التحرك يجدر الإشارة هنا إلى الحقائق التالية:

1 - أن حزب حرس الاستقلال أصبح يمثل الحركة السياسية الوطنية الإستقلالية الأوحده، على الساحة العراقية، بعد أن إستقطب هذا الحزب مجموعة كبيرة من نخب الأمة من شيعة وسنة، من رموز وقادة الحركة الوطنية الإستقلالية، في النجف وكربلاء والكاظمية والحلة وبغداد والبصرة. أن حزب الحرس الذي إمتلك برنامج وطني متشدد، إضافة لكونه حزب ضد الطائفية بكل أشكالها وفي صميم الوحدة الوطنية والعروبية، قد شجع جمعية الشبيبة العراقية، التي كان غالبية أعضائها ورموزها من الشيعة، من أبرزهم سعد صالح، جعفر حمندي، عباس مهدي، صادق حبة، والتي عرفت هي الأخرى بالتشدد على تلك الأهداف، الأمر الذي دفعها على الاندماج بحزب حرس الاستقلال. ولشدة تمسك جمعية الشبيبة العراقية بالأهداف الوطنية والعروبية، ورد عن المخابرات البريطانية تقرير يتهمها بالتطرف. ومما جاء في هذا التقرير: هناك جمعية سرية يظهر أنها فرع للشبيبة القومية ولها فروع في البصرة، وبغداد، والموصل، وغيرها من المدن الكبيرة، غايتها التخلص من الأشخاص الذين يفترض أنهم معادون لأهدافها في الاستقلال والوحدة العربية»⁽¹⁾.

«كان لجمعية العهد أدوار مهمة لنصرة القضايا العربية، منذ تأسيسها في الإستانة عام 1913م، وكان لنشاطات جمعية العهد، وحزب حرس الاستقلال، عوامل مساعدة لدعم العمل الوطني في مفاصل زمنية محدودة، إلا أن الشيء الملفت للنظر أن جمعية العهد التي بدأت بداية حسنة، تباينت مواقفها حين تعاملت مع القضية العراقية، مع مواقف حزب حرس الاستقلال، فقد تبنت جمعية العهد المطالبة بالإستقلال الخاضع للإستشارة البريطانية، دون المطالبة بالإستقلال الكامل المتبنى من قبل حزب حرس الاستقلال ورفض قبول أية إستشارة أو وصاية أجنبية. لأن حزب حرس الاستقلال يعتقد أن ذلك يجعل العراق تحت رحمة مآرب المحتلين البريطانيين. وكان لهذا الموقف تأثيره المباشر على وضع جمعية العهد، حيث أخذ الضعف والوهن يدب في أوصالها، حتى أصبحت عاجزة عن مواكبة الأحداث. المهم هنا هو إنضمام شريحة من جمعية العهد إلى حزب حرس الاستقلال، ممن إقتنعوا بأن حزب الحرس هو الذي يمكن أن يحقق طموحاتهم بعدم التنازل عن الأهداف الوطنية والقومية. وقد أمست جمعية العهد في بغداد بمحصلة الأمر مشلولة الحركة، وبالخصوص

(1) نظمي، م . س، ص335. نقلا عن الوثيقة البريطانية: "Mesopotamia: O. 371/6352/8635,

أبان أحداث الثورة العشرينية، ولم يسجل لها أي دور ملموس في ذلك. وحين يتحدث العطية بهذا الصدد يقول:

«بيد أن جمعية العهد في بغداد خابت في توطيد نفسها، ولم تلبث أن أضحت عاجزة بحلول 1920 كما انها لم تلعب أي دور في إنتفاضة ذلك العام . وعلى النقيض من ذلك إزدهر حزب الحرس وساهم في نجاحه عاملان، الأول، تزايد عدد القوميين من الشباب المتعلم بين أعضاء الحزب، وهم الذين تشربوا الأفكار القومية، ونشطوا في نشر دعاية الحزب، والثاني، محاولة الحزب في توحيد الطائفتين السنية والشيعة. وذلك في الكفاح الوطني ضد الإدارة البريطانية»⁽¹⁾.

2 - كان لرموز وقادة حزب حرس الأستقلال منهم: محمد الصدر، ومحمد جعفر أبو التمن، ومحمد رضا الشيببي، ومحمد مهدي، وعبد الحسن كبة، ومحمد باقر الشيببي، وحسين شلاش، وكلهم من الشيعة العرب. إضافة لنخبة من السنة العرب منهم: يوسف السويدي، وعلي البزركان. مواقف رائدة في التصدي للسياسة والنهج البريطاني تجاه العراق، وكانوا جميعا في صميم المواجهة ضدهم، من أجل إستقلال العراق، وإقامة الحكم الوطني العراقي المستقل، المقيد بدستور ومجلس تأسيسي، وكان لهذه المواقف الشجاعة أثره الكبير على قيام ثورة العشرين.

3 - إن الخط اللطائفي الذي تبناه حزب حرس الأستقلال، جعل من الشعب العراقي بطائفتيه الرئيسييتين الشيعة والسنة على أعلى مستوى من تحمل المسؤوليات، وإنهما متفاعلان في السراء والضراء وحين البأس. لذا يمكن إعتبار تجربة حزب حرس الإستقلال بداية هذا القرن، من التجارب الريادية الأولى بين الطائفتين. ولم يقتصر عمل الحزب على بغداد والكاظمية، فحسب، بل تم فتح فروع له في كل من النجف والحلة والشامية، لتصبح هذه الفروع قنوات إضافية للتحرك الجماهيري ضد المحتلين البريطانيين، في عمق المناطق انشيعية. وهكذا أصبحت بغداد والكاظمية والنجف والحلة والشامية، وما أحدثته من تأثيرات مقطعية على باقي المدن العراقية، وبالخصوص في منطقة الفرات الأوسط، بوجود حزب حرس الإستقلال في بداية عام 1920م، مراكز مهمة تركت بصماتها على مجمل العملية الإستقلالية ذات الصبغة العروبية والإسلامية، المعادية للمحتلين البريطانيين. ولذلك نلاحظ أن الإتصالات على مستوى العمل السياسي السلمي، في بعض المفاصل الزمنية كانت تجري على قدم

(1) د. العطية، غسان، م. س، ص 361.

وساق، بين عشائر الفرات الأوسط، والمدن المقدسة في النجف و كربلاء من جهة، وبينهما وبين الكاظمية وبغداد من جهة أخرى، ومن أهم تلك الاتصالات التي تمت هي: زيارة محمد رضا نجل الشيرازي لبغداد والكاظمية في حينه، بتكليف من والده. وزيارة محمد جعفر أبو التمن، لمدينتي النجف و كربلاء، بتكليف من الحركة الوطنية الإستقلالية في بغداد والكاظمية، للوقوف على الوضع العام والتنسيق بينهم، بما يعزز العمل السياسي السلمي لتحقيق الأهداف. ومهما يكن من أمر فإن فتوى الإمام الشيرازي الأولى قد أعطت دفعا ثوريا في الاتجاه الصحيح شمل أرجاء العراق، ولأهميتها قام القوميون المسلمون الأستقلاليون في بغداد بإستنساخها وتعميمها في أنحاء العراق كافة⁽¹⁾. ويعد هذا العمل من بواكير أعمال الحركة الإستقلالية في بغداد والكاظمية. وبدأت المواجهة السياسية تتصاعد بصورة أكثر حدة حين أعلن قرار الإنتداب البريطاني على العراق المتخذ في المؤتمر الذي عقد في سان ريمو في إيطاليا بتاريخ 25 حزيران 1920م. وكان أن عقد إجتماع عاجل في بغداد في 3 أيار عام 1920م، حضره محمد جعفر أبو التمن، العائد من زيارته لمدينتي النجف و كربلاء، فبين طبيعة الأوضاع الساخنة في المدينتين. إلا أنه لم يتخذ أي خطوة إيجابية بإستثناء الاتفاق على تأليب المعارضة ضد الإنتداب ودفعها للعمل ضده. بعدها إرتأت الحركة القومية الإسلامية الأستقلالية في بغداد والكاظمية، المتمثلة في حزب الحرس، دفع الجماهير وتعبئتها بإسلوب يخدم الحل السياسي السلمي فلم يجدوا إلى ذلك سبيلا إلا عن طريق الشعائر الدينية ومناسباتها، وهما المولد النبوي الشريف، وإستشهاد الإمام الحسين، فهما الشعيرتان النافذتان إلى قلوب ونفوس كل الجماهير الشيعية والسنية. وهكذا تم إختيار المساجد البغدادية العريقة والحسينيات المعروفة، لعقد المناقب النبوية الشريفة والشعائر الحسينية. وكانت هاتان الشعيرتان تعقدان في بغداد والكاظمية، بصورة إسبوعية منتظمة، تلقى فيهما الخطب السياسية الساخنة، والقصائد الحماسية، وهي تحث الأمة على طلب الإستقلال ورفض الإنتداب. وحين تتحدث مس بيل عن هذا التوجه الجديد تقول:

«إن المتطرفين إتخذوا خطة من الصعب مقاومتها، وهي الإتحاد بين الشيعة والسنة، أي وحدة المسلمين، وهم يستغلون ذلك إلا أقصى الحدود. فهناك إجتماعان أو ثلاثة إجتماعات تقام في كل إسبوع. فهي تقام في مساجد الشيعة أحيانا وفي مساجد السنة أحيانا أخرى، ويحضرها أناس من الطائفتين معا، إنها في الواقع سياسية وليست

(1) الحسيني، عبد الرزاق، ثورة العشرين الكبرى، ص35.

دينية. إنها زاخرة بالقاء القصائد والخطب التي تمزج بين الدين والسياسة»⁽¹⁾ . .

ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل كانت هناك إتصالات مستمرة، من خلال تبادل إرسال الوفود بين المدن المقدسة النجف و كربلاء، وبين عشائر الفرات الأوسط، وبين بغداد والكاظمية، وكانت كل الإتصالات تصب في تنسيق المواقف، والعمل الجاد، لتحقيق الأستقلال الناجز، وإقامة حكم عربي مسلم، ينسجم وتطلعات العراقيين آنذاك. ويبدو أن السلطات البريطانية لم تكن تعي بعد معنى طبيعة التلاحم، العروبي والإسلامي، الذي أخذ طريقه بسرعة كبيرة بين صفوف غالبية العراقيين. ونلاحظ ذلك مجسداً في ما صرح به ويلسون نفسه حيث يقول:

«إنني لم أقدر نفوذ القوميين حق قدره، ولم أعر أهمية كافية لمدى تقبل جمهرة الناس في الفرات الأوسط لدعاياتهم ودعايات العلماء المعارضين»⁽²⁾ . .

كان لهذه التحركات بهذا الأسلوب المثير، ردة فعل في الإتجاه المضاد. وحين قررت الحركة الإستقلالية في بغداد إرسال وفد للإجتماع بويلسون، يبدو أن ويلسون إغتمها فرصة سانحة، فدعى مايقارب الأربعين شخصية من مختلف الأطياف، بما فيهم المسيحيين واليهود ليحضروا هذا الإجتماع، وحين تبادر لسمع الحركة ذلك، تم عقد إجتماع عاجل مع من دعاهم ويلسون، وأنفقوا على جملة أمور تهمة الشعب والوطن. وحين عقد الأجتتماع مع ويلسون، في سراي الحكومة في 2 حزيران عام 1920م، لم يحضر من مدعوي ويلسون سوى تسعة فقط، في حين حضر وفد الحركة المتكون من خمسة عشر شخصية وطنية⁽³⁾. المهم في هذا الإجتماع أن ويلسون الذي خذله موقف عدم حضور مدعويه، إغتم هذه الفرصة وراح يتوعد الإستقلاليين من مغبة الأستمرار في نهجهم المعادي. ومن خطاب له في الحاضرين قال هذه الفقرة التي تنم عن إنزعاجه من تحركات الحركة:

«أحذركم أن أي تحريض آخر على العنف، وأية إهابة بالأهواء، سيرد عليها بقوة من قبل السلطات العسكرية، والإدارة المدنية»⁽⁴⁾.

وكانت السلطات البريطانية بالأساس قد صعدت من حملتها، على الحركة الإستقلالية، في بغداد والكاظمية، حين راح فورد يهددهم بالسجن والإبعاد، في مقابلة سابقة بناء على طلبه في 24 أيار عام 1920م. لذا لم تر الحركة بدا وهي تتعرض لما تعرضت

(1) Burgoye (OP. CIT) - VOL.2,P.137.

(2) Wilson, A. Clash of Loyalties, PP.254

(3) جريدة الأوقات البغدادية، الصادرة في حزيران عام 1920م.

(4) Wilson, A. Clash of Loyalties, PP 255-256.

إليه، من ضرورة الإستغاثة بالإمام الشيرازي، وذلك عن طريق تكليف محمد جعفر أبو التمن تحرير رسالة بهذا المعنى للشيرازي، وقد أرسل الرسالة بمعية الشيخ محمد باقر الشيبلي. وقد ضمنها أبو التمن ما يتعرض له رموز الحركة من مضايقات وتهديد، طالبا من الشيرازي الإنتصار لهم. وكان موقف الشيرازي من طلب الإستغاثة سريعا، فهو بالوقت الذي وجه فيه رسالة جوابية لأبي التمن، ثمنا فيها دور حركتهم في بغداد والكاظمية، باديا سروره بإتحاد كلمة الأمة البغدادية، وإندفاع علمائها ووجوهها وأعيانها من الشيعة والسنة، بالأصرار على المطالبة بحقوق الأمة المشروعة ومقاصدها المقدسة. وقام الشيرازي بمسؤوليته تجاه الأمة، حيث وجه لها خطابا عاما مؤكدا على ضرورة التعاون والتآزر، وحثهم على إرسال وفود إلى مركز القرار في بغداد، للمطالبة بنفس الحقوق والأهداف التي يسعى لها البغداديون والكاظميون، وهو ما أشرنا إليه قبل قليل. لأن مثل هذه الخطوة لا بد وأن تؤدي بالمحصلة إلى تعزيز موقف البغداديين والكاظميين، ويشد من أزهرهم، ويدعم نهجهم، ويقوي عزائمهم، وربما يخفف عنهم الضغط. ولم ينس الإمام محمد تقي الشيرازي واجبه الديني والأنساني تجاه الأقليات، وبالخصوص الأقليات الدينية، بل راح يؤكد تأكيدا شديدا على المحافظة على نفوسهم وأعراضهم وممتلكاتهم. وإليك النص الكامل لرسالة الإمام الشيرازي الموجهة للأمة:

إلى إخواني العراقيين السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«أما بعد فإن إخوانكم في بغداد والكاظمية قد أنفقوا فيما بينهم على الأجماع والقيام بمظاهرات سلمية، وقد قامت جماعة كبيرة بتلك المظاهرات مع المحافظة على الأمن طالبين حقوقهم المشروعة المنتجة لأستقلال العراق إن شاء الله بحكومة إسلامية، وذلك بأن يرسل كل قطر وناحية إلى عاصمة العراق بغداد وفدا للمطالبة بحقه متفقا مع الذين يتوجهون من أنحاء العراق عن قريب إلى بغداد. فالواجب عليكم بل على جميع المسلمين الإتفاق مع إخوانكم في هذا المبدأ الشريف وإياكم بالأخلال بالأمن والتحالف والتشاجر بعضكم مع بعض، فإن ذلك مضر بمقاصدكم ومضيع لحقوقكم، التي صار الآن أوان حصولها بأيديكم. وأوصيكم بالمحافظة على جميع الملل والنحل التي في بلادكم في نفوسهم وأموالهم وأعراضهم، ولا تنالوا أحدا منهم بسوء أبدا. وفقكم الله جميعا لما يرضيه والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

الأحقر محمد تقي الحائري الشيرازي⁽¹⁾

10 رمضان 1338 هـ

وبعدها حاولت السلطات البريطانية في بغداد، عن طريق عراقيين موالين لهم وبالتنسيق معهم، القيام بمناورات سياسية الهدف منها تفتيت الحركة القومية الإسلامية الإستقلالية. ومن جملة تلك المحاولات، قيام ويلسون بمحاولة إلهاء الحركة عن واجباتها، ومحاولة إمتصاص زخمها، عن طريق تأليف لجنة إعداد في تموز من عام 1920م، حيث أوكل ويلسون هذه المهمة إلى طالب النقيب الذي عاد لتوه من منفاه في الهند، وهو المنفى الذي أبعده إليه الإنكليز أنفسهم. إلا أن النقيب لم ينجح في مسعاه هذا، حيث إعتذر السادة محمد الصدر، ويوسف السويدي، ومحمد جعفر أبو التمن، ومحمد رضا الشيبلي، من الإنضمام الى اللجنة المذكورة، لأنهم على ما يبدو أدركوا اللعبة التي أقدم عليها ويلسون عن طريق النقيب. ويتجسد أمامنا خطل السياسة البريطانية هنا حين إعتقد ويلسون أن تفتيت الحركة الإستقلالية في بغداد، ستساهم في إطفاء الشرارة التي إنطلقت في الرميثة، وبعد فشل النقيب بمهمته أعلاه، أصدر ويلسون أوامره بتوقيف مجموعة من رموز وقادة الحركة القومية والأسلامية الأستقلالية في بغداد. فهرب من هرب إلى المناطق العشائرية مثل: الصدر وأبو التمن والسويدي والبرزكان. ونفي من نفي ممن تم إلقاء القبض عليه، إلى جزيرة هنجام ورغم ان المرجعية الدينية المتمثلة في الإمام الشيرازي، لم تألو جهدا في تحركها السياسي كما تقدم، ورغم ان المؤسسة العشائرية في الفرات الأوسط، كانت على إتصال وثيق بهذه المرجعية، إلا أن المؤسسة العشائرية لم تخلو من التحرك السياسي السلمي، المستقل، كتحرك مكمل للتحركات السياسية السلمية التي تم التحدث عنها.

التحرك السياسي السادس:

مثلته المؤسسة العشائرية في الفرات الأوسط رغم أن تلك الإجراءات التعسفية قد وضعت حدا للنشاط السياسي السلمي لحركة الإستقلال في بغداد والكاظمية، والمتمثلة في حزب حرس الأستقلال، في تلك الفترة، إلا أن هذا المنحى لم يؤثر على طبيعة مستلزمات التصعيد، بل ساعد إيجابيا على تعاظم أواره بين عشائر منطقة الفرات الأوسط، فتلاحمت تلك العشائر العربية تحت راية «العروبة والإسلام» لتشكل وحدة مواجهة صلبة ضد المحتلين الأنكليز. وقبل كل شئ لماذا تركيز الحديث عن دور عشائر الفرات الأوسط في أحداث الأمة السياسية وبعدها الجهادية؟ نرد على هذا التسائل، هو أن هذا التركيز لم يأت من فراغ، إنما له أسبابه ومسبباته. وقد حصرناها فيما يأتي:

السبب الأول: من حيث أن حديثنا منصب بالدرجة الأولى عن شيعة العراق، الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ودورهم في قيام الدولة العراقية الحديثة، فإن المناطق التي تسكنها عشائر الفرات الأوسط العربية، كانت المركز الأول للتشيع في العراق والعالم

الإسلامي، منذ صدر الإسلام الأول ولا زال، ومنها مد التشيع العربي المنبت والجدور، أشرعته إلى باقي أجزاء العراق والعالم الإسلامي، وقد أصبحت الكوفة وهي مركز الفرات الأوسط، الحضن الذي نمت وترعرع فيه التشيع، منذ كان يعني في المفهوم اللغوي الأتباع والأصحاب للإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه. وتحوله من المفهوم اللغوي إلى المفهوم الإصطلاحي، حيث توضحت أبعاده ومضامينه الفكرية والسياسية، عبر مسيرة الأئمة الأثنا عشر، آخذين بنظر الاعتبار تطور الفكر الشيعي السياسي، في فاصله الزمني على عهد الإمام الصادق عليه السلام، وهو ما سبق الحديث عنه بشئ من التفصيل في الفصل الأول من هذه الدراسة.

السبب الثاني: إن حالة إلتصاق رموز ووجهاء ورؤساء عشائر الجنوب وبالخصوص عشائر الفرات الأوسط، بالمؤسسة العلمائية الدينية الشيعية، التي تكونت منذ ألف عام في المدن المقدسة وبالخصوص النجف الأشرف، ما مهد لوجود شريحة كبيرة من وكلاء علماء الشيعة من المجتهدين المراجع منتشرين بين بقاع تلك المناطق، الأمر الذي جعل من هؤلاء الوكلاء صلة تواصل مستمر وفاعل، بين المؤسسة المرجعية الدينية الشيعية، وبين المؤسسة العشائرية الشيعية، وهو ما عزز العلائق بينهما وعمق أبعادها ومضامينها، وجعل النخبة من المؤسسة العشائرية في وضع مكنهم من الوقوف على مجريات الأمور، الداخلية والخارجية، عبر أحداث الأمة، الأمر الذي ساعد في إتجاه قيام هذه النخبة بالتحرك السياسي السلمي.

السبب الثالث: إن الحالة الإقتصادية المتقدمة، التي عاشتها بعض مناطق الفرات الأوسط، وبالتحديد في المجال الزراعي، قد جعلها في وضع مادي أفضل مكنها من أن تلعب دورا متميزا في المساهمة في الحركة الإستقلالية. وعن هذا التقدم ورد مافحواه أن بعض هذه المناطق قد إختص بزراعة الحبوب وبالتحديد الرز، حتى أصبحت من أغنى المناطق الزراعية في الدولة العثمانية، وقد وصفت هذه المناطق بحديقة العراق، من حيث وفرة المحصول الزراعي وجودته، وبالخصوص الرز الذي وصل إنتاجه إلى ما يقارب 40% من إنتاج الرز في العراق، مما خلق طبقة على جانب من الثراء وهو ما مكنها من أن تلعب دورا سياسيا وميدانيا كبيرا، في خضم أحداث الأمة⁽¹⁾.

السبب الرابع: إن حالة التلاحم بين عناصر القوة في الأمة، والذي شكلته حزمة من

(1) آيرلاندا، العراق، (بيروت، 1949م)، تر: جعفر الخياط، ص 184. - الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، (بغداد، 1974م)، 307. - الفرعون، م. س، ص 557، 558.

الإيجابيات، ومنها: إنقطاع سادات ووجهاء ورؤساء عشائر الفرات الأوسط، لمراجعهم الدينيين في المدن المقدسة في النجف وكربلاء، وولاء أفراد العشائر لأرادة المشايخ وكلمتهم، وإستعدادهم للتضحية والفداء، والبذل والعطاء، من أجل الأمة، مما جعل من هذه الحزمة نسيجاً إيجابياً، مد العمل السياسي السلمي بأسباب التصميم على نيل الحقوق المشروعة لشعب العراق في الإستقلال. لذلك نلاحظ أن رموز المؤسسة العشائرية لم يكونوا في بمعزل عن التحرك السياسي السلمي مع المحتلين البريطانيين، وصولاً لتحقيق أهداف الأمة المشروعة. لذا نحاول هنا المرور على أهم تلك المحاولات، والتي باءت هي الأخرى بالفشل كما سنرى. جاء التحرك السياسي الأول لنخبة الأمة من سادات ورؤساء عشائر الفرات الأوسط إرسال مضابط صحبة الشيخ محمد رضا الشبيبي إلى الشريف حسين في الحجاز لمبايعة أحد انجاله ملكاً على العراق، وهو ما أشرنا له سابقاً. كما قامت هذه النخبة بتحريك سياسي آخر بعد عملية إبعاد النخبة من أحرار كربلاء، وعلى رأسهم محمد رضا النجل الأكبر لآية الله الشيخ محمد تقي الشيرازي، حين عقد إجتماع في مضيف عبد الكاظم الحاج سكر في المشخاب، في تاريخ 28 حزيران عام 1920م. وقد حضر الإجتماع كل من علوان الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر، ومحسن أبو طبيخ، وعبد زيد، ومحمد العبطان، وهنين الحنون، وهادي المكوטר، وعلوان الحاج سعدون، وشعلان الجبر، وهادي زوين، ومرزوق العواد، ووداي العطية، وسلمان الظاهر، ولفته الشمخي، ومجبل الفرعون، وجري المربع. وحضرها عن بغداد عبد الرحمن حضر، وعن الحلة محمد الباقر. بدءاً تحدث ممثل بغداد. وبعده ألقى ممثل الحلة قصيدة حماسية ترجم فيها المشاعر العروبية منها:

بني يعرب لا تأمنوا للعدى مكرًا خذوا حذرکم منهم فقد أخذوا الحذرا

وفاجئ الباقر الحضور مفاجئة لها معانيها في المفهومين العروبي والإسلامي، حين راح يخاطب رؤساء خزاعة؛ يامعشر خزاعة إن لمحمد عليكم ديناً يوم قال ﷺ

«لا نصرني ربي إن لم أنصر خزاعة» فهل أنتم تفون اليوم دينه؟ فقام إليه أحد رؤساء خزاعة وهو سلمان العبطان، وجرّد سيفه وهزه قائلاً: «عند وجهك أنا أخو فاطمة»⁽¹⁾.

وسرت مثلاً عند العرب. وقد وجه سادات العشائر ورؤسائها المثبته أسماؤهم أعلاه رسالتين⁽²⁾ هي في مضمونهما رسالتين سياسيتين الأولى تحذيرية، والثانية تهويوية. الأولى

(1) الياسري، م . س، ص 171.

(2) البصير، م . س، ص 106، 107.

تحذيرية من مغبة الاستمرار في حالة التجاوز على حقوق العراقيين، وتعريضهم للسجن والأبعاد التعسفيين، وما ينطوي ذلك عليه من مخاطر لا تحمد عواقبها، موجهة إلى الميجر نوريري. وهذا نص الرسالة الأولى:

إلى حضرة حاكم لواء النجف والشامية:

«لقد بلغ عشائرتنا خبر فظيع ونبا عظيم ذلك هو نبا تحامل الحكومة على الشعب بقبض نجل سيدنا آية الله الشيرازي دام ظلّه وجماعة من إخواننا الكربلايين، ولا يخفى أن قصد الحكومة إرغام الشعب العراقي على ترك المطالبة بحقوقه، وحيث أن مطالبة الشعب بحقه الصريح كانت وما زالت مطالبة سلمية قانونية فإننا نرى أن هذا التحامل من الحكومة مخالف للقوانين والنظم العادلة، ولروح السياسة التي ما فتئت تصرح على رؤوس الأشهاد، أنها متمسكة بها و متمشية عليها فإذا أرادت الحكومة أن تحترم عواطف العراقيين وتهدئ خواطرهم الهائجة، فلتعجل قبل كل شيء بإطلاق سراح نجل آية الله الشيرازي والأفراج عن إخوانه المعتقلين معه، ولترع نواميس العدل وحقوق الشعب ولا تلجئه إلى الخروج من دور المطالبة السلمية إلى غيره، وأقبلوا منا فائق الاحترام».

11 شوال سنة 1338 هـ

الموافق 28 حزيران 1920م

أما الرسالة الثانية فهي رسالة تهيبية موجهة للنخبة البغدادية والكاظمية من دعاة الاستقلال، وللأمة جمعاء، لتهيأة الأذهان إلى أن السيل قد وصل الزبي، ولا مندوحة من مواجهة مسلحة تحصل في أية لحظة، مع المحتلين البريطانيين، إذا ما إستمروا في غيهم. وهذا نص الرسالة الثانية:

إلى حضرات الأفاضل مندوبي الأمة دامت مساعيهم:

«بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وردتنا كتبكم التي صورت لنا الحالة السياسية الحاضرة، ولا سيما خطة سيد الأمة وشيخ الأئمة آية الله الشيرازي، تلك الخطة التي أعلنها في خطابه الذي وجهه إلى أهالي بغداد، وقال فيه إنه لم يتأثر قط لقبض الحكومة المحتملة نجله الأكبر ونفيه إلى حيث رغبت، لأن كل ذلك إنما جرى في سبيل الغاية المقدسة، وإنه يطلب إلى العراقيين كلهم، ولا سيما البغداديين منهم أن يثابروا على العمل ويستمروا في مطالبتهم السلمية الأدبية، محتفظين بالأمن وبحقوقهم معاً. وفي الحقيقة إن حجة الأسلام الشيرازي لا يفرق بين ولده وبين أي فرد من أفراد الأمة، غير أننا لا نتمالك أبداً عن القيام بالواجب ما دام نجل الإمام ورفقاؤه معتقلين تحت رحمة السلطة، وقد طالبنا ممثلي الحكومة بالأفراج عنه وعن إخوانه المعتقلين معه فلم يلبوا هذا الطلب إلى الآن، وحيث أنكم نواب الأمة وممثلوها وأن سياستكم تقتضي المواظبة على العمل السلمي، والمطالبة الأدبية البحتة، فقد رأينا أن

نخبركم بأن صبرنا قد عيل وأنا مستعدون للقيام بوجه السلطة ولأكتساح العقبات، التي تحول دون الاستقلال التام، هذا ما لم تبادر الحكومة حالا إلى تنفيذ مطالبنا الحققة وتحقيق أمانينا القومية، وإلى إطلاق سراح نجل آية الله الشيرازي ومن معه، بأقصى ما يمكن من السرعة ودمتم لخير الأمة وسعادة الوطن. 12 شوال سنة 1338 هـ الموافق 29 حزيران 1920م وبعد أيام قلائل وبالتحديد في 1 تموز عام 1920م، بادر الميجر نوريري، وبحضور ثلاثة حكام سياسيين معه هم كل من الميجر نيچول والكابتن هوينكز والكابتن مان، بالإجتماع برؤساء آل فتلة. نحاول هنا أن نغطي عرض المحاوراة التي تمت بين نوريري والفرعون من جهة، ونوريري وسكر من جهة أخرى، حيث سببرز أمامنا حقيقة ما كان عليه السلف الصالح من مواقف مبدئية رائدة، خلدها التاريخ بأحرف من نور. أما نص المحاوراة فهو حاول نوريري الضرب على أوتار الإغواء فحاول إستمالة مجبل الفرعون أحد أبرز رؤساء آل فتلة، خارج الإجتماع. إلا أن الفرعون أبى ذلك بعدها عاد نوريري إلى المجتمعين محاولا نفس المحاولة فجرى هذا الحوار، حين رد عليه عبد الواحد الحاج سكر بإسم رؤساء آل فتلة قائلاً:

«إن لنا غاية نسعى إليها وهي الإستقلال التام. رد عليه نوريري إن هذا سيتم بعد أن تتدربوا على الحكم الذاتي تدريجياً. فرد عليه عبد الواحد هل التدريب هو نفي العلماء والزعماء، فإذا كنتم صادقين في قولكم فأطلقوا سراح محمد رضا نجل آية الله الشيرازي والآخرين من أحرار كربلاء، وثانياً أجلوا الحكام السياسيين عن الفرات وإجمعوهم في بغداد ونحن نرسل مندوبين عنا للمفاوضة معكم، وعند ذلك نصدق بوعودكم، أما الأقوال وحدها بالجمل المعسولة والوعود الخلابة فهي ليست سوى هواء في شبك. فكان جواب نوريري له: طيب سنتنظر وحاول نوريري مرة ثانية الإلتفاف على مجبل الفرعون محاولاً أخذه معه في زورقه البخاري، ولكن أبى»⁽¹⁾.

وبدل من أن يتفهم أولي السلطة البريطانية، المحاولات السلمية المطروحة من قبل رؤساء العشائر. راح الميجر ديلي بإرسال إستدعاء إلى الحاج مخيف كبير رؤساء عفاك، وحين حضر أمر بإبعاده إلى البصرة، وحصل نفس الشيء لشعلان عطية كبير رؤساء عشيرة شمر (الأكرع) حيث أودعه السجن، ولم يكتف بذلك بل أمر بفرض الإقامة الجبرية على بعض رؤساء وسادات العشائر، ومنهم محسن أبو طيخ. وحين حضر شعلان أبو الجون إلى السراي، بناء على إستدعاء من قبل الحاكم السياسي هيات، تعرض للإهانة والتويخ، فقابله أبو الجون بالمثل. ومما قاله لهيات:

(1) الفرعون، م. س، ص 163، 164.

«إن هذه السياسة التي تسير عليها أنت وحكومتك ستجر الدولة البريطانية إلى عاقبة سيئة لا سيما وأن العراقيين تغلغل النيران في قلوبهم وتنبه عواطفهم، فأعلم بأنك في العراق لا في هندستان، وإن العراقيين غيرالهنود»⁽¹⁾ . .

وبعد هذا الموقف الوطني الرجولي، أمر هيات بإعتقال أبو الجون. إلا أن مس بيل تصور الموقف بصورة أخرى، بما فحواه أن أبو الجون هو الذي بادر هيات بشراسة الموقف مما إستدعى توقيفه⁽²⁾. ومهما يكن من أمر فإن تعريض العراقيين بصورة عامة والفراتيين الأوسطيين بصورة خاصة، من قبل المحتلين البريطانيين، إلى الأضطهاد الأنساني، والإستغلال الأقتصادي، والكبت السياسي، والأصرارعلى التجاوزعلى حقوق الأمة في الإستقلال، والحيلولة دون قيام حكم عراقي صميم حر مستقل نابع من إرادة العراقيين، وعدم الرضوخ لصوت الحق والعدل، وتجاوز المحاولات السلمية التي حاولتها نخبة الأمة في أكثر من مناسبة كما تقدم. وقد وردت فحاوى هذه المعاني والتحليلات في نصوص تداولتها رجالات من نخبة الشيعة⁽³⁾. كل ذلك جعل الأعتقاد بالمواجهة المسلحة مع المحتلين، هو الطريق الأوحد، الذي يمكن أن يحقق من خلاله العراقيون أهدافهم المشروعة، بعد أن تعذرت كل السبل، وبعد أن ترسخ الأعتقاد بقاعدة أن ما أخذ بالقوة لا يمكن أن يسترد إلا بالقوة. عند ذلك كانت إنتفاضة الرميثة الأولى، هي الجولة الأولى على طريق الثورة الشاملة. وهكذا أصبحت عشائر الفرات الأوسط، مركز الثقل الأول في تحرك مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، في إتجاه مواجهة المحتلين البريطانيين. وإن تركيز الحديث عنها، في مواجهة المحتلين البريطانيين، لم يأت من فراغ كما تقدم. وحين يقارن العطية بين عشائر الفرات الأوسط وبين عشائر دجلة، يقول: «كان البريطانيون بعد 1915 هم الحكام الفعليين لأغلب عشائر دجلة، في حين ظلت عشائر الفرات في حالة عزلة وإستقلال لما يقارب من ثلاث سنين أخرى»⁽⁴⁾ . .

وحين يقيم الدكتور الوردي أهمية مساهمة منطقة الفرات الأوسط، يقول:

(1) أيضا، ص 457، 458.

(2) المس بيل، م . س، ص 447، 448.

(3) الفياض، عبد الله، الثورة العراقية الكبرى، ص 6، 7.

الحسني، عبد الرزاق، الثورة العراقية الكبرى، ص 87.

المظفر، كاظم، ثورة العراق التحررية، (النجف، 1972م)، ج1، ص 1-3.

الياسري، م . س، ص 11، 12.

(4) العطية، غسان، م . س، ص 309.

«تعد الثورة في منطقة الفرات الأوسط بمثابة العمود الفقري لثورة العشرين»⁽¹⁾ . .

وهذا ما يعزز الأدوار السياسية المتقدمة لعشائر الفرات الأوسط، والجهادية عبر الأحداث، التي سنحاول تسليط الضوء عليها في المبحث الثاني من هذا الفصل.

المبحث الثاني: المرحلة الجهادية الثانية:

قبل الولوج في صلب هذا المبحث لا بد من الحديث عن أولويات هذه المرحلة ومقدماتها، لما لها من أهمية موضوعية، حيث تشخص من خلالها أهمية الأدوار الريادية التي قام بها سادات ورؤساء عشائر الفرات الأوسط. ويبدو أن من أوائل المتحمسين إلى تحويل المواجهة مع المحتلين البريطانيين، من إطارها السلمي، إلى إطارها المسلح، والعمل على توسيع رقعة المؤيدين لهذا التحول هو السيد علوان الياسري، وذلك بعد أن أعييت الجميع كل السبل السلمية. وهو ما يتكامل والأدوار التي قام بها الإمام الشيرازي. ومما لا ريب فيه أن النفوس كانت تواقّة لهذا التحول، لذا كانت الإستجابة سريعة لهذه المبادرة من قبل: المجتهد الشيخ عبد الكريم الجزائري، ومحمد رضا الصافي النجفي، والسيد قاطع العوادي، والشيخ شعلان الجبر، والعلامة الشيخ جواد الجواهري، والعلامة السيد سعيد كمال الدين، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والسيد نور الياسري، والسيد محسن أبو طيخ. وقد حاول صاحب الفكرة الأول السيد علوان الياسري، إغتنام زيارة المبعث النبوي الشريف في 27 رجب الموافق في 16 نيسان عام 1920م، فدعا إلى إجتماع موسع نسبياً، في داره في النجف، ضم مجموعة من العلماء ورجال الدين ورؤساء العشائر، وحين طرح الياسري فكرة الثورة كان هناك بين مؤيد ومعارض لها.

وبعد مناقشات وتبادل للرأي وتحليل للأوضاع العامة، أثرت تلك الأجواء في نفوس الحاضرين، مما ولد حالة من التردد مبعثها ضرورة التريث والأنتظار، ورغم ما تم الإتفاق عليه بين المجتمعين، على تأجيل أمر البت في إعلان الثورة في ذلك الوقت، إلا أنهم أكدوا على ضرورة العمل في التمهد لها عن طريق التوعية آخذين بنظرالإعتبار أنه إذا تهيأت المستلزمات والظروف النفسية والمعنوية والمادية قامت الثورة⁽²⁾.

(1) د. الوردى، م. س، ج 5، القسم الأول، ص 341.

(2) فراتي، على هامش الثورة العراقية الكبرى، (بغداد، 1952م)، ص 101، 102، 103.

الفرعون، م. س، ص 558، 559.

الياسري، م. س، ص 168، 169.

العطية، وداي، تاريخ الديوانية، (النجف، 1945م)، ص 166.

ولم يترك العاملون للثورة أية فرصة سانحة إلا واستغلوها لصالح الترويج للثورة. لذا كانت المدينتان النجف وكربلاء كخلفية النحل، تعج برسل العشائر العربية للتداول بشؤون الأمة، وكانت تعقد الاجتماعات السرية هنا وهناك في المدينتين، ولعل من أهم تلك الاجتماعات التي عقدت هو إجتماع كربلاء في 4 أيار عام 1920، حيث تصادف زيارة منتصف شعبان، حيث عقد الإجتماع في دار المجاهد السيد أبو القاسم الكاشاني. ويعتبر هذا الإجتماع في قياس المشاركة الجماعية الأول من نوعه، بحضور ممثلين عن الحركة الاستقلالية من وطنيين وقوميين وإسلاميين، من علماء أعلام، وسادات ورؤساء عشائر ووجهاء، في كل من النجف وكربلاء والكاظمية والحلة وبغداد وكان عددهم أربعة وعشرين شخصية من الشيعة. وبعد مناقشات مستفيضة قرر المجتمعون العودة إلى ولي الأمر الإمام الشيرازي لحسم المواقف العالقة، فإختاروا من بينهم وفدا مكونا من: عبد الكريم الجزائري، ونور الياسري، ومحمد جعفر أبو التمن، وعلوان الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر. وذهبوا إلى الإمام الشيرازي. وحين يحدثنا الحسني عن ذلك يقول:

«إجتمع الوفد مع الشيرازي في داره، وفتحوه بأمر الثورة، فكان رده: إن الحمل ثقيل وأخشى أن لا تكون للعشائر قابلية المحاربة مع الجيوش المحتملة؛ فأكدوا له إن العشائر لها القدرة التامة على القيام بالثورة. فقال لهم: أخشى أن يختل النظام ويفقد الأمن فتكون البلاد في فوضى وأنتم تعلمون أن حفظ الأمن أهم من الثورة بل أوجب منها؛ فأجابوه بأنهم قادرون على حفظ الأمن والنظام، وإن الثورة لا بد منها، وسوف يبذلون ما في وسعهم لحفظ النظام وتوفير راحة العموم. فرد إذا كانت هذه نياتكم وهذه تعهداتكم فالله في عونكم»⁽¹⁾.

وفي تقديرنا أن رد الشيرازي للوفد، لم يكن ردا عفويا، أو تهربا من مسؤولية، أو تشييط للعزائم، إنما كان يبغى برده هذا أن يصيب عدة أهداف في آن واحد لصالح الإقدام على هذا العمل غير العادي. ولعل تلك الأهداف هي:

- الوقوف على قدرات العشائر المسلحة على مواجهة المحتلين الأنكليز.
- معرفة إمكان التصدي لحفظ الأمن والنظام وصون الممتلكات والأرواح.
- وضع المتصدين والثوار أمام مسؤولياتهم المادية والمعنوية والتضحية.

ومما لا شك فيه أن مثل هذا الموقف يعتبر موقف على مستوى عال من المسؤولية، فإذا

(1) الحسني، العراق خلال الإحتلال والإنتداب، ص 99، 100.

كان أولي الأمر يحذرون أي إجراء يمكن أن يلحق الأذى بالفرد المسلم الواحد، فكيف بمقام ولي الأمر الشيرازي، والمتضرر أمامه أمة بكاملها. وفي ضوء هذا الاجتماع عقد اجتماع لاحق في دار السيد نورالياسري في كربلاء، وإلتأم المجتمعون الأربعة والعشرون مرة ثانية، وإستكملوا دراسة الوضع من كل جوانبه، على ضوء ملاحظات وإرشادات الإمام الشيرازي، وقرروا جملة أمور. وحتى يجعلوا قراراتهم موثقة أمام⁽¹⁾ الله وأمام الأمة، ذهبوا إلى ضريح الحسين وأقسموا على القرآن، على إنجاز ما إتفقوا عليه، ومن يحنث في يمينه فهو ضال آثم. وكان لأعلان صك الأنتداب البريطاني على العراق في 25 حزيران عام 1920م، الشرارة التي أدت إلى الأنتقال من الدور السلمي إلى الدور المسلح، ولم يترك العاملون للثورة أية فرصة سانحة إلا وإستغلوها لصالح الترويج للثورة. لذا كانت المدينتان النجف وكربلاء كخلفية النحل، تعج برسائل العشائر العربية للتداول بشؤون الأمة، وكانت تعقد الاجتماعات السرية هنا وهناك في المدينتين.

ولكن تستطيع نخبة الشيعة من إلغاء صك الأنتداب، رغم إستنكاراتها وتصديها له. لذا نلاحظ أن المرحلة الجهادية الثانية لشيعة العراق مرت بجملة وقفات من أهمها:

الوقفة الأولى: إنتفاضة الرميثة

حين قامت السلطات البريطانية بإعتقال الشيخ شعلان أبو الجون، رئيس عشيرة الظوالم، بعد تلك المواجهة التي سبق التطرق إليها، والتي جرت بينه وبين الحاكم السياسي هيات، وقد ترتب على هذا الأعتقال قيام مجموعة من رجالات الظوالم، بفك أسر شيخهم أبو الجون في الثلاثين من حزيران عام 1920م. ويحدثنا الفياض عن ذلك قائلاً:

«حين عاد أبو الجون جمع أفراد عشيرته، وقال لهم: هل إنكم تقبلون خدمة العدو الكافر، الذي يبغض العرب والإسلام، فأجابوه، الله أكبر! أبدا لا نرضى! تلك هي الخطوة الحقيقية على طريق الثورة، وقد قال أحد الشعراء الشعبيين في الفرات الأوسط، مفاخرًا بتلك الجولة:

الدولة تعرف عندهم خوش رسميات ما تدري العراك شبيهه زلم آفات
من راحن فجر يمشن سبع تفكات فكوه وتمدد ناطورة»⁽²⁾ . .

وبعد رصاصات البذرة الأولى في إنتفاضة مدينة الرميثة ظلت هذه المدينة صامدة تقارع المحتلين الأنكليز بكل ضراوة، وعلى مدى إسبوعين، وهو الأمر الذي كان يحز في نفس

(1) المصدر السابق.

(2) الفياض، م. س، ص 291 - 299.

الإمام الشيرازي، الذي إستنكر عزوف الآخرين عن نصره إخوانهم. لذا قال لبعض رؤساء العشائر:

«إن مثلكم مثل جماعة وقفوا على الساحل، فألقى أحدهم بنفسه في اليم، أفلا يجب على أصحابه إلقاء أنفسهم معه لأخراجه وإنقاذه؟ يجب إنقاذ الغريق قبل أن يبتلعه. وبما أن الذين تصادموا مع القوة غرقوا فيلزم إنقاذهم أو تغرقوا معهم»⁽¹⁾.

وحتى يوقع الإمام الشيرازي الحجة النهائية على الأنكليز، حاول هو وشيخ الشريعة جاهدين، إيقاف القتال في الرميثة، ولكن دون أدنى إستجابة تذكر من قبل المحتلين البريطانيين، وهو ما أدى إلى إصرار الثوار على مواصلة القتال حتى شوطه الأخير، وقد أبلت مدينة الرميثة في إنتفاضتها المسلحة بلاء حسنا، وكبدت المحتلين خسائر جسيمة بالأرواح والمعدات. ونحن حين نعتنا هذه الوقفة بالإنتفاضة، كان هناك مايرر هذا التقييم من قبلنا والسبب كونها ظلت وحيدة في الميدان على مدى إسبوعين. فإستحقت تقييما مستقلا، من حيث أنها شكلت المقدمة الحقيقية للثورة العشرينية، حتى أن ثورة العشرين أرخت بتاريخ قيام هذه الإنتفاضة، وهو الثلاثين من حزيران عام 1920م، وهو ما يميزها في صميم الأحداث.

الوقفة الثانية: ثورة العشرين ومقدماتها

أرخت ثورة العشرين بتاريخ إنتفاضة الرميثة، فإذا كانت هذه الإنتفاضة بحجمها المحدود، هي المقدمة الأولى لثورة العشرين، فإن فتوى الإمام الشيرازي كانت المقدمة الثانية التي أدت إلى توسيع رقعتها لتشمل العراق بصورة عامة ومنطقة الفرات الأوسط بعمق مشاركتها بصورة خاصة فحين وجد الشيرازي أن الوقت قد أزف، بعد أن تجمعت بين يديه المبررات الشرعية والسياسية والقانونية أعلن فتوى في مضمونها الأصيل تعني الجهاد ضد المحتلين البريطانيين، وإن لم يسمه بالنص، حتى إنها سميت بالفتوى الدفاعية؛ ونص الفتوى الدفاعية هو:

«مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم، رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية، إذا إمتنع الأنكليز عن قبول مطالبهم»⁽²⁾.

كانت النفوس ظمأى للخلاص من المحتلين الأنكليز، وكان رؤساء عفاك والدغارة قد تعاقدوا مع الإمام الشيرازي، على أن يشاركوا متى أعلنت الثورة في البلاد. لذا نلاحظ أنه ما

(1) الياسري، م . س، ص 192 .

(2) الورددي، م . س، ج 5، القسم الأول، ص 235.

أن حانت الفرصة لعلوان الياسري وعبد الواحد الحاج سكر وأصحابهما، إلا وبادروا بالأشتراك في الثورة. وكانت إستجابة النجف وكربلاء للثورة سريعة للغاية، لما كان لدورهما المؤثر في تأجيح جماهير الأمة على الثورة، ولم تكد تصل أخبار الإنتصارات في معركة الرانجية إلى المدينتين المقدستين، في الخامس والعشرين من تموز عام 1920م، حتى قامتا بطرد القوات البريطانية منهما. وحصل نفس الشيء في أبي صخير، وتمت محاصرة حامية الكوفة، كما أسقطت الكفل والهندية بيد العشائريين، ونتيجة لهذه الإنتصارات المتلاحقة، إنسحبت الحامية البريطانية من الديوانية إلى الحلة، ورغم أن هذا الموقف أضاف قوة إلى قوة الحلة البريطانية، إلا أن العشائر هاجمت الحلة وكادت أن تحقق النصر، لولا المساعدة التي تلقاها البريطانيون من الموالي لهم الشيخ عداي الجريان، رئيس عشيرة البوسلطان⁽¹⁾. لكن العشائريين الثائرين فرضوا الحصار على الحامية البريطانية في السماوة، كما تركت قلعة سكر وسوق الشيوخ والشرطة بيد العشائر. وحين يحدثنا الوردي عن مدينة كربلاء، بوجود الإمام الشيرازي، يقول:

«أصبحت كربلاء في عهد الثورة ذات أهمية خاصة لسببين، أولهما وجود المرزا محمد تقي الشيرازي فيها، وهو الذي كان يتولى المرجعية الدينية الكبرى لديالشيعة انذاك. والثاني قربها من جبهة القتال في الوند وطويريج، ولهذا كان رؤساء العشائر المشاركون في الثورة يعقدون إجتماعاتهم فيها، في كثير من الأوقات. ومن الممكن القول إن كربلاء أصبحت خلال فترة من الزمن بمثابة العاصمة لحكومة الثورة، وهي الحكومة التي كانت سلطاتها المعنوية تشمل جميع المدن والأرياف التي دخلت الثورة، والتي تمتد من كربلاء شمالاً إلى الخضر جنوباً»⁽²⁾.

لذا نلاحظ أن هذه المدينة أصبحت بمرجعيتها ملاذا لرموز الحركة الإستقلالية، المطلوبين من قبل السلطات البريطانية منهم يوسف السويدي، ومحمد الصدر، وضاري الضاهر المحمود، ومحمد جعفر أبو التمن، وعلي البزركان، ومحمود رامز، وجميل قبطان، وعارف حكمت، وطه البدري.

وكانت العيون مشرأة نحو هذه المدينة، لذا نلاحظ إقدام العراقيين من ضباط وغيرهم في دير الزور للكتابة للإمام الشيرازي، بادين إستعدادهم للإنضمام للثورة، وقد أوفدوا كلا

(1) الناهي؛ هيثم غالب الناهي؛ الكويت ومستقبل العراق؛ القدس العربي؛ ج3 ص 13-14؛ 7 ديسمبر 1998.

(2) الوردي، م. س، ج5، القسم الأول، ص 292.

من سلمان الجنابي وفهد البطيخ إلى كربلاء، وقابلا فور وصولهما الإمام الشيرازي وسلماه الرسالة. وإنضم أحد عشر ضابطا عراقيا فعلا للثوار، وكانوا جميعا موضع رعاية وإحترام، من قبل رؤساء العشائر والثوار، وبرز منهم ضابطان المعيان هما حسين علوان الدوري، وسامي النقشلي، لما قاما به من أعمال بطولية نادرة، كانت مثار إعجاب الثوار وقياداتهم. وقد أولى الإمام الشيرازي الثورة جل إهتمامه، ومدّها بأسباب القوة من مال وعدة وغذاء. يقول الوردی عن هذا الموضوع:

«كان الشيرازي برغم شيخوخته يولي الثورة إهتماما بالغا، وكان يرسل إليها كل ما يصله من الحقوق الشرعية ولا يبقى له منها شيئا. حدثني أحد المطلعين إنه في بعض الأحيان كانت تتوافر لديه أكوام من النقود، مما يرسله إليه المقلدون من مختلف الجهات، وكان أهل بيته يطلبون منه أن يبقي شيئا لحاجات البيت، فكان هو يرفض ذلك رفضا باتا ويصر على حمل النقود كلها إلى جبهات القتال»⁽¹⁾.

كانت معارك الفرات الأوسط من أبرز المعالم التي خلدها التاريخ الحديث، رغم إمكاناتها المحدودة، قياسا بقوة دولة عظمى مثل بريطانيا، لكنها مع ذلك حوت على الكثير من فنون القتال الحديثة آنذاك. ولو لم يعاجل البريطانيون في طلب العون العسكري، والذي تم تلبسته فورا وكان عبارة عن فرقتين عسكريتين، وهي قوة ضاربة في قاموس الإستمكان العسكري، لكان إستمرار مجرى الحرب لصالح الثوار. ولعل معركة العارضيات من المعارك التي يشار لها في قاموس العسكري، لما تخللها من خطط محكمة وتقديرات صائبة، إعترف فيها العدو الغازي وهو خير دليل حين يكون من فم العدو. ودليلنا على ذلك ما أشار إليه أحد القادة العسكريين الذين قادوا صولات من القتال ضد عشائر الفرات الأوسط، وهو يصف لنا تلك المعالم التي سطرته تلك العشائر في سوح القتال. فقد أشار القائد الجنرال السير أيلمر هالدين Sir A Haldon. إلى:

«إنهم كانوا سريعى الحركة وواسعى الحيلة وخططهم المرسومة للدفاع مطوية عليهمارة حربية تامة، وإنهم كانوا يظهرون كل الحدق، بإختيار الزمان والمكان للقيام بحركاتهم الحربية، وإنهم كانوا أولي براعة فائقة بإقتلاع السكك الحديدية، وبقطع طرق سير الجنود، ومنعها من الماء، وإنهم كانوا عارفين بمواضع الضعف والخلل، في الوحدات العسكرية البريطانية، وحيث أن ذخائرهم الحربية كانت قليلة، فإنهم لم يكونوا ليطلقوا

(1) الوردی، م . س، ج 5 / القسم الخامس، ص .

رصاصه واحدة إلا وهم واثقون من إصابة المرمى، وقد أظهروا كل الحزم والعزم في تعقب القوة المتراجعة»⁽¹⁾ . . .

كما كانت معركة الرارنجية واحدة من أعظم المعارك، التي خاضتها عشائر الفرات الأوسط في التاريخ الحديث، لكونها تشكل نقطة تحول في مسار ثورة العشرين نحو التماسك، وكان يمكن لها أن تشكل إنعطافاً خطيراً في حياة الأمة نحو تحقيق الإستقلال الناجز، لو تفاعلت معها عشائر المنتفك، والكوت، والعمارة، والبصرة، والدليم، والموصل، وأمنت غدر أعوان الأنكليز، ولما استطاعت الإمدادات العسكرية البريطانية أن تصل لأرض لقد ظلت هذه الأماكن بعشائرها إما محايدة، أو كان لبعضها مشاركات محدودة جداً، وفي صور أخرى متحيزة لصالح المحتل الأنكليزي، وبذا أصبح المحاييد والمنحاز، على بني جلدتهم أسود، بفعل المال والإقطاعيات والسلطة، متجاوزين بذلك على حقوق شعب، ومصير وطن. وقد أشاد الكثير من المؤرخين والمهتمين بالشؤون العسكرية بهذه المعركة، وأوردوا عنها آراء وتحليلات كثيرة لا يسع المجال لأستعراضها⁽²⁾. وعدا الوصف الذي أطلقه هالدين على هذه المعركة حين نعتها بالكارثة؛ نشير هنا لأعمق تقييم لهذه المعركة من الناحية السياسية، ورد في رسالة مس بيل في الثاني من آب عام 1920م، لما فيها من مرارة وترقب وخوف، من مستقبل وجود المحتلين البريطانيين في العراق. تقول مس بيل:

«لا أستطيع التكهّن بما سوف يحدث فإن واقعة أخرى كواقعة رجال مانجستر - تعني معركة الرارنجية - ستجلب عشائر دجلة إلى مشارف بغداد الجنوبية مباشرة. نحن الآن نعيش من اليد إلى الفم، أنا أعرف إن الوضع خطير وربما صار أكثر خطورة إذا حدث أقل تمرجح في الكفة»⁽³⁾ . . .

أما الحاكم السياسي في الحلة الميجر بولي، فقد إلتفت إلى موضوع لا يقل أهمية عما أشير إليه قبل قليل على لسان زملائه، ذهب بولي في تقريره المؤرخ في 6 آب عام 1920م، في الحديث عن القوة الخفية التي كان لها تأثيراتها حتى على العشائر الموالية للإنكليز. فيقول:

(1) د. البصير، م. س، ج 1، ص 113.

(2) هالدين، السير أيلمر، ثورة العراق، (بغداد، 1965م)، ص، تر: فؤاد جميل. - الورد، م. س، ج 5، القسم الأول، ص. نقلا عن مجموعة من المراجع.

(3) م. ن، ج 5، القسم الأول، ص 262.

«إن وحدة الهدف وإنعدام الشقاق بين كبار الشيوخ والسراكيل، هما من الأمور التي تلفت النظر، وتشير إلى وجود شخصية ما قوية ومسيطرة وراء الحركة. إن كافة شيوحننا تقريباً قد تم جرهم إليها»⁽¹⁾ . .

ومهما يكن من أمر فإن سيطرة القوات الغازية على الموقف، قد جعلها تتخذ بعض الأعمال المستهجنة، والتي أقل ما يقال عنها أنها لا تمت لأبسط حقوق الإنسان التي تتمسك بها دولتهم العظمى بصلة. فحين وقفت قوات المحتلين مرة ثانية على أبواب مدينة كربلاء من جهة طويريج، بدأت صور الإنتقام من هذه المدينة الرائدة، في غياب الإمام الشيرازي في رحاب الله. وتأتي الإدانة من فم العدو ذاته. وحين يحدثنا القائد الأنكليزي هالدين عما إتخذه بنفسه من إجراءات بحق هذه المدينة المقدسة، يترجم لنا مدى الغطرسة والعنجهية من جهة، ومدى الإستهانة بالنفي البشرية، وحقوق الإنسان العراقي. ولم يدرك هذا الحاكم إن القوة الخفية التي وردت في النص والتي سماها بولي؛ شخصية قوية؛ ومسيطرة، إن هذه الشخصية هي المؤسسة الدينية العلمائية الشيعية، التي تتمتع بتأثير ونفوذ واسعين في صفوف الشيعة وبالخصوص لدى سادات ورؤساء وجماهير العشائر. لذلك يقول:

«لما كانت كربلاء مسؤولة إلى حد غير قليل عن قيام الثورة، فإنني رغبت في الإستيلاء على ناظم الحسينية، الذي كان يبعد عن الفرات بمائتي ياردة، لكي أجعل سكان البلدة يشعرون بعذاب الحرمان من الماء»⁽²⁾ . .

وفي هذا السياق فلا ندري هنا هل أن القائد البريطاني هالدين، كان قد قرأ تاريخ معركة الطف في كربلاء حتى يعمد إلى نفس الأسلوب الذي إعتمده الأمويون مع الإمام الحسين وأهل بيته وأتباعه، الذين قتلوهم ظمأً قبل أن يقتلوهم أجساداً؟ نرد على هذا التساؤل ونقول: أنه سواء قرأ هالدين أو لم يقرأ التاريخ، أن الظالمين عبر التاريخ، يشتركون دائماً في مواصفات واحدة ولو إختلفت الأزمان، وتنوعت المناسبات.

الوقف الثالث: محاولات عقد الهدنة

وقد جرت خلال إحتدام المعارك، ومحاولتان لأيقاف القتال وإعلان الهدنة، قام بهما شيخ الشريعة. الأولى كانت في 8 تموز عام 1920 م، في عهد الإمام الشيرازي، ولكنها لم تثمر، لأمتناع ويلسون حتى على الإجابة على رسالة شيخ الشريعة. والثانية والتي أثمرت

(1) F.O. 371/5228/E9848. From civil Commissioner, Baghdad, dated. August 6, 1920.

(2) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) Edinbargh 1922.PP.147.

بإطلاع شيخ الشريعة حين أولت له المرجعية الأولى بعد موت الشيرازي، حيث أوفد من يمثله لهذه المهمة وهما كل من: الشيخ عبد الكريم الجزائري، والشيخ جواد الجواهري، وشاركهم من سادة ورؤساء العشائر كل من علوان الياسري، وعبد الواحد الحاج سكر، وعلوان الحاج سعدون. أما من الجانب الأنكليزي فكان الحاكم السياسيان نوريري، ومان، وقد تم فعلا الاتفاق على الهدنة في 17 تموز عام 1920م. وكانت مطالب الثوار التي تعهد نوريري مراجعة الحاكم العام ويلسون حول تنفيذها، تنحصر بما يلي:

- العفو العام عن جميع العراقيين بمن فيهم أهل الرميثة والشامية والدغارة.
- توقف جميع الحركات العسكرية وإصلاح سكة الحديد ونقل القوات العسكرية من مكان لآخر.
- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمنفيين خصوصا ابن الشيرازي.
- تشكيل المؤتمر العراقي.

أما الثوار فقد تعهدوا بعدم التعرض لحامية أبو صخير حين تنسحب إلى الكوفة، خلال فترة الهدنة والتي كان أمدها أربعة أيام تبدأ من يوم 17 تموز عام 1920م⁽¹⁾. وقد وفى الثوار بعهدهم بإيصال الحامية إلى الكوفة بسلام، لكن المحتلين الأنكليز لم يوفوا بعهدهم بل نقضوه في ثالث يوم الهدنة. فما كان من الثوار إلى أن يحفظوا مواقعهم، ويدافعوا عن أنفسهم، بالتصدي للتحركات والتعزيزات العسكرية التي أقدم عليها المحتلون مخالفين فيها أحد بنود الهدنة. فعاد الصدام المسلح على أشده، في كافة جبهات القتال.

الوقفة الرابعة: إستمرار الثورة

لم تتوقف الثورة في 17 آب عام 1920م، وهو يوم إنتقال الإمام الشيرازي إلى رحاب الله، بل تحولت قيادتها الدينية من كربلاء إلى النجف، وهو يؤكد ما ذهبنا إليه من أن مسيرة الشيعة السياسية والجهادية تحكمها حزمة من المعطيات أهمها المرجعية الدينية. فحين إستقر الرأي بمبايعة شيخ الشريعة، خلفا للشيرازي. كان من باكورة خطابه تأكيد إستمرارية فتوى الإمام الراحل في مناهضة المحتلين، حين أورد في مقدمتها مقولة الخليفة أبو بكر رضي الله عنه عند موت النبي محمد صلى الله عليه وآله: «أيها الناس من كان يعبد منكم محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت»⁽²⁾.

(1) كمال الدين، محمد علي، معلومات ومشاهدات، (بغداد، 1971م)، ص 109.

(2) الحسنی، م. س، ص 121.

وأردف شيخ الشريعة قائلاً:

«إن الشيرازي إنتقل إلى رحمة الله، ولكن فتواه بقتال المشركين باقية، فجاهدوا وأجتهدوا في حفظ وطنكم العزيز وأخذ إستقلالكم»⁽¹⁾ . .

والنص الأخير يؤكد بما لا يقبل الشك والتأويل، إصرار الإمام شيخ الشريعة على مواصلة الطريق، الذي بدأه الإمام الراحل، وإن شيخ الشريعة لم يكن بعيداً بالأساس عن هذا النهج في حياة الشيرازي، بل كان في صميمه، حين تعاون بجهد وتفاعل مع الإمام الراحل، عبر مسيرته الجهادية والسياسية المتقدم ذكرها. إذن ليس دقيقاً من يذهب إلى أن شيخ الشريعة تنصل من جميع قرارات شيرازي، بخصوص تشريع المقاومة المسلحة⁽²⁾. لذا سنحاول هنا المرور على أهم الخطوات والأعمال التي إضطلع بها شيخ الشريعة، في مواصلة مسيرة الثورة. فعن التعامل حول قضية الأسرى، نورد هنا حالة أسرى معركة الرارنجية كنموذج لهذا التعامل. كان عدد أسرى هذه المعركة عبارة عن 144 أسيراً، منهم 80 أسيراً بريطانيا فيهم ضابطان، و66 هندياً بين مسلم وهندوسي وسيكي، ورغم ما بولغ في معاملتهم الحسنة، بإشراف ودفع من محسن شلاش، إلا أن هناك من حاول التعريض بهذا الإهتمام، وهو ما أثار شلاش، فتوقف عن دعمه وإشرافه، فتحول وضع الأسرى إلى حالة يرثى لها. الأمر الذي دفع بالإمام شيخ الشريعة الكتابة لشلاش بضرورة العودة عن قراره، فلبى شلاش الطلب⁽³⁾. ومثل هذا الأمر يدل على الألتزام الأنساني الذي أكدّه الإسلام تجاه الأسير. وقد خص الله تعالى الأسير بإهتمام واضح في أربع سور في كتابه الكريم⁽⁴⁾. ويبدو أن ويلسون رأى في موت الإمام الشيرازي، وإضطلاع شيخ الشريعة بالمرجعية الدينية، فرصة مناسبة كي يلعب على أوتار عدة، بطرح مشروع الصلح على الإمام شيخ الشريعة، فإذا لم يصب هذا المشروع في الأهداف المرجوة مباشرة، فهو لا بد أن يؤدي بالمحصلة إلى إضعاف تحالف الثوار ويوقع الشقاق بين صفوفهم. وفعلاً كان الشق الثاني هو هدف ويلسون المركزي، لأنه عمد على تكثير وإلقاء نص رسالة الصلح المؤرخة في 27 آب عام 1920م، المرسلة لشيخ الشريعة، بالطائرات وعلى نطاق واسع، على مناطق الثورة، ونشرت الرسالة

(1) أيضاً، ص 234.

(2) د. إبراهيم، فرهاد، الطائفية السياسية في العالم العربي / نموذج الشيعة في العراق، (ط1)، منشورات

مكتبة المدبولي، القاهرة، 1996م)، تر: مركز دراسات التفاعل الثقافي، ص 87

(3) كمال الدين، م . س، ص 213. - البزركان، م . س، ص 154.

(4) الأنفال: 70. الأنسان: 8. الأحزاب: 26. البقرة: 85.

في الصحف التابعة للحكومة في بغداد والموصل والبصرة. وعلى نطاق واسع، على مناطق الثورة، ونشرت الرسالة في الصحف التابعة للحكومة في بغداد والموصل والبصرة. وقد حوت الرسالة على تعال وعطرسة من موقع القوة والأستمكان البريطانيين، التي لوح بهما- ويلسون لشيخ الشريعة، وصدر ويلسون الرسالة بتحميل الإمام الراحل مغبة ما حل في العراق. وكشأن المراجع في المشاورة في القضايا الكبرى، عقد شيخ الشريعة إجتماعا لمحيطيه، فإنقسم الجمع على رأيين:

الأول: يرى ضرورة التفاوض على الصلح، وعذره قلة العتاد وإنحسار الأموال وتعيب الناس ومعاناتهم.

الثاني: يرى أن لا فائدة ترجى من التفاوض بل يرى أنه حتى ولو إنتهت مواجهة الثوار للمحتلينبالفشل، فيمكن أن يوظف هذا الفشل إعلاميا على المستويين المحلي والدولي، بقلعة العتاد، ونفاذ الأموال، وهو في كل الأحوال خير من الأستسلام المذل والمشروط⁽¹⁾.

ورغم الظروف الصعبة والدقيقة التي كانت تمر بها الثورة، وقف الإمام شيخ الشريعة بصف الرافضين. وأتفق المجتمعون على أن يقوم شيخ الشريعة بتوجيه رسالة معتدلة لويلسون برفض الصلح، وأستغل شيخ الشريعة هذا الرد وضمن فيه أنتصاره للإمام الراحل الشيرازي ولمواقفه السلمية التي طالما حاول عن طريقها معالجة الأمور. إلا أن السلطات البريطانية لطالما عرقلت تلك الجهود الخيرة، وحتى تكون الأمة على علم وإطلاع بهذا الأمر، تم إصدار بيان عام ذو لهجة حماسية عنيفة، شرح فيه السناورات الخبيثة للمحتلين البريطانيين، ورفض الصلح.

وحين وصلت أخبار هذه التطورات إلى قادة الجبهات من الثوار، إنقسموا عليها بين مؤيد لخطوات شيخ الشريعة، وبين متحفظ لها، إلا أن إصرار المحتلين البريطانيين على إبقاء الأنتداب على العراق، دون منحه الأستقلال الكامل، وهو ما أكدته خطاب ويلسون حين زيارته لأربيل في 8 أيلول عام 1920م، حيث ألقى خطابا في الأكراد شدد على بقاء الأنتداب. ومما قاله ويلسون في خطابه هذا:

«إن الحكومة البريطانية سوف لا تتخلى عن الأنتداب على العراق، وإن قوة ستصل إلى أربيل، ولكني لا أستطيع أن أقول متى تصل، فأرجو منكم أن لا تسمعوا لرجال قبائلكم

(1) الناهي؛ غالب عبدالمطلب؛ ذاكرة ثورة العشرين؛ الهدف الموصلية؛ ص12-16؛ 22 مارس 1962.

بأن يقموا فريسة لموجة الجنون التي تأثر بها العرب الشيعة في الفرات الأوسط ومناطق ديالى»⁽¹⁾ . .

مما دفع برؤساء وسادات العشائر في جبهات القتال، القيام بخطوة سياسية أخيرة، فأرتأوا عمل مضبطة يوقع جميع الرؤساء عليها، ويوجهونها لبعض قادة دول العالم، يشرحون فيها ظروفهم القاهرة، التي أجبرهم عليها المحتلون مؤكدين فيها مطالبهم المشروعة في الحرية والأستقلال التي تقرها كل الأعراف الأنسانية والدولية، طالبين منهم الدعم والمساعدة لنيلها. كتبت المضبطة في 15 أيلول عام 1920م، ووقعت من قبل ثلاثة وسبعون رئيسا، ونص المضبطة هو:

«إلى بتوسط سفارتها في طهران.

نحن الأمة العراقية كنا قبل الحرب العامة ننتظر الفرصة لأن ننال حريتنا وإستقلالنا التام، وحكمنا الذاتي، بطريق سلمي، وإحتجاجات أدبية، حتى إحتلت العراق جيوش الدولة البريطانية، فإطمئنا إليهم بكمال السلم والمودة، آملين بنجاح مقاصدنا، كما أعلن بذلك أمراء الجيش، ولما سكنت الحرب أعلنت الدول بعزمهم على تعزية الأنسانية وجبران كسرهما، وتمهيد السلم العام بمبدأ حرية الشعوب وعصبة الأمم، إبتدأتنا بالبشرى في المنشورات دولتا بريطانية وفرناسة، وبتصميمهما على مساعدتنا في نيلنا إستقلالنا التام، وحكمنا الذاتي، والحرية التامة النهائية، فبقينا منتظرين ذلك حافظين لنظام السلم والأمن، وإن أجهت بنا الأضرار المالية وغيرها، بما لم نعهده من قبل. وإذ طال علينا الأنتظار وشاهدنا من أمراء الجيش سعيهم ضد إستقلالنا وحریتنا، توجهنا إلى المطالبة بحقوقنا الطبيعية المشروعة، ومواعيد الدولتين، مطالبة أدبية قانونية، فإستقبلتنا الأضطهادات المغلظة من ضباط الأحتلال، بلا سبب سوى إبطال مساعينا في طلب الحقوق المشروعة، وصاروا يسعون في تضييع حقوقنا وحریتنا بأنواع السعي، ومن ذلك أنهم أبرزوا لجماعة من الأعراب أوراقا بالخط الأنكليزي زعموا أنها أورااق مالية زراعية، وطلبوا توقيع الأعراب فيها، فظهر بعد ذلك أنها إعتراف بالوصاية للأنكليز على العراق، وضايقوا جماعة منا بالصراحة على هذا الاعتراف وإنتشرت إضطهادات الضباط فينا فحبست جماعة في الحبس القاسي، وسوقوا جماعات من ساداتنا وعلماؤنا وأشرافنا ورؤساء قبائلنا تسويقا قاسيا لا يعرف فيه أثرهم، وهجموا على منازل بعض مشائخ قبائلنا وأحرقوها وما فيها، فقتلوا بعض الرجال والخيول

(1) د. الوردی، م . س، ج5، القسم الثاني، ص 64.

وحيوانات كثيرة، مع أن أصحاب المنازل كانوا غائبين عنها، وما السبب في ذلك سوى فكرتنا في المطالبة بحقوقنا، والبلاد والوجدان يشهدان بأن هؤلاء المنكوبين هم من ألزم الناس لخطة السكون والمحافظة على الأمن. ثم التفت الضباط إلى كل من أحسوا منه المطالبة بحقوق الأمة فهددوه بأشد أنواع التهديد، وقاموا في تعقيب ذلك بسوق القوة العسكرية، فلم يكن لنا ملجأ في حفظ دمائنا وشرفنا ونواميسنا، إلا أن نكون يدا واحدة في دفع الأضطهاد العسكري، مع محافظتنا على السلم والتباعد عنهم مهما أمكن، ولكنهم لا يتركوننا، فها نحن نبعد عنهم فيتبعوننا، تجول في أترنا جيوشهم ومدافعهم وطياراتهم، نطلب منهم تجديد السلم وعموم الأمن وتخلية سبيلنا في المطالبة الأدبية فلا يجيبون، نجيبهم إلى الهدنة وشروطها لعلهم يهتدون فيغدرون، نخلي سبيلهم مع أسلحتهم وقواهم فيأخذوننا على غفلة، وقد جرى في خلال ذلك من كثرة القتل في نساءنا وأطفالنا وقذف القنابل في معابدنا ما يبكي الأنسانية والمدنية والنواميس الدينية، كل ذلك مع سدهم علينا باب المخابرات والشكايات إلى الحكومات حتى حكومة لندن. وقد بلغنا قريبا أنه يمكن وصول شكاياتنا وتظلمنا إلى الدول وعصبة الأمم، فها نحن نهتف بالشكاية والتظلم إلى جمعية عصبة الأمم وكل الدول التي نهضت لفك الأنسانية من أسر الأستبداد القاسي، وإنقاذها من عداء الظلم الوحشي، والتي صممت على تعميم العدل في البشر، وتمهيد السلم والأمن العام، وضمنت دفع الخطر عن الأمم المطالبة بحقوقها، فإن الأمل أكيد بأن مبادئ العدل الحميدة التي تكفلت بها الدول المتمدنة لا تسمح أن تهضم حقوق الأمة العراقية مع كفايتها في الوقوف بنفسها في معترك هذه الحياة بما لديها من الثروة التجارية والزراعية والأستعداد للعمران، وما لديها من المنعة والشعور الأدبي والتهيؤ لزيادة الرقي ومع حيازتها لما فوق كفايتها في الإدارة ومن الرجال الذين جربهم الأمتحان القانوني من الأطباء والضباط والكتاب والمأمورين والمهندسين. ويشهد على ذلك أن الإدارات الملكية الحالية كلها تدار إدارة كافية ببعض رجال العراقيين، وفيمن لم يدخل الوظائف أضعاف ممن هم أحسن من الموظفين. فالأمل تداركنا عاجلا بالأمن من الأضطهاد العسكري وتخلية سبيلنا ونيلنا إستقلالنا الحر وتنظيمنا لأمرنا تنظيميا سالما من الدسائس».

وقد ختم الإمام شيخ الشريعة هذه المضبطة اعلاه والتي كما اشرنا اعلاه قد وقعت من قبل ثلاثة وسبعون رئيسا؛ بالعارة التالية:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه الورقة كتبت بإملاء زعماء العراق ومشائخ عشائره وهم الموقعون عليها بأسمائهم

في 1 محرم سنة 1339»⁽¹⁾.

وقدمت هذه المضبطة إلى كل من سفارات دول: الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا، فرنسا، هولندا، تركيا، ألمانيا الموجودة في إيران. وبعد يومين من كتابة هذه المضبطة، وبالتحديد في 17 آب عام 1920م، كتب الشيخ محمد باقر الشيبلي رسالة مفتوحة إلى ويلسون، نشرها في جريدة «الفرات»، وكانت ذات لهجة احتجاجية شديدة، وذات تصميم على عدم التنازل عن نيل الاستقلال الكامل. وقد إختارنا منها مقدمتها ومؤخرتها لما فيهما من التغطية المناسبة:

«هون عليك يا ممثل الحكومة الأنكليزية، إن الأمة التي ناصبناها العدا، وحكمت فيها السيف، فأرقت دماءها وأزهقت أرواحها، عداها محضاً، وتحكما صرفاً، بلا خوف من الحق، ولا وجل من العدل، ستقف وأياك أمام محكمة التاريخ، ليعلم من هو المجرم، الذي أثلف النفوس وجنى على البشرية، بلا رحمة، ولا عطف. فالويل لمن صبغ الأرض بدماء الأبرياء... فيا أيها الحاكم إن الأمة عملاً بقواعدها الأنسانية، وإعتماداً على أصول المدنية، لا تمتنع عن المفاوضات الدولية، لكنها لا تدخل في المفاوضات معكم، إلا على الشروط التالية:

1 - سحب الجيش من البلاد.

2 - إرجاع المنفيين.

3 - حضور قناصل الدول في مجلس المفاوضات.

وخلاصة القول أن الأمة لا تريد إلا الإستقلال التام للعراق بحدوده المعروفة، وهي لا تدخل في المفاوضات إلا على تلك الشروط»⁽²⁾.

الوقفه الخامسة: عشائر المنتفق بين المشاركة والممانعة

وعلى صميم نهج الإمام الراحل الشيرازي، راح الإمام شيخ الشريعة كسلفه يكتب لعشائر المنتفق، حاثاً إياهم على الإتحاد ودافعاً لهم للتصدي للمحتلين البريطانيين ومؤكداً عليهم ضرورة تشديد المطالبة في حقوقهم المشروعة في الإستقلال والحكم الوطني. فهو

(1) الوردي، م. س، ج 5، القسم الأول، ص 331 - 340. - جريدة العراق / العدد الصادر في 31 آب عام 1920. - فراتي، م. س، ص 123. - الحسيني، م. س، ص 131. - الفرعون، م. س، ص 362 - 374.

(2) صحيفة الفرات الصادرة بتاريخ 17/8/1920.

بالوقت الذي كتب فيه لوكيله الشيخ عبد الحسين مطر، في 10 ذي الحجة عام 1338هـ، طالبا إليه العمل بكل ما يستطيع لتجميع كلمة رؤساء العشائر هناك، وموجها له بإلقاء خطاب مرفق مع الرسالة على رؤساء العشائر ووجهاء المنتفق، محذرا إياهم من التخاذل والقعود عن نصرة أبناء جلدتهم من الثوار، وضرورة دعمهم والمشاركة معهم، بفتح جبهات جديدة لأشغال القوات الغازية⁽¹⁾. ولا بد هنا من وقفة على طبيعة الوضع في لواء المنتفق، حتى لا نظلم بعض وقفاته الجهادية، فرغم أن الشيخ خيون العبيد رئيس عشيرة العبودة، قد لعب أدوارا مختلفة للحيلولة دون مشاركة عشائر المنتفق في الثورة ضد الإنكليز، وبالخصوص تلك التي في منطقة الشطرة، أسوة بما عمل عداي السلطان في الحلة، وفهد الهذال وعلي السليمان في الدليم. ورغم أن أهمية مشاركة الشطرة كانت أهمية غير عادية، لأن مشاركتها في الثورة سيؤدي إلى قطع طريق المواصلات بين البصرة وبغداد، وهو طريق إستراتيجي في ذلك الوقت لمرور الأمدادات من الهند لصالح المحتلين البريطانيين.

ورغم أن المنتفق لم تشهد مشاركة محسوسة في الثورة بفعل موقف خيون العبيد الموالي للإنكليز، إلا أن هناك بعض بوادر للثورة ظهرت في قلعة سكر وسوق الشيوخ. وقد حققت طلائع العشائر الموجودة في قلعة سكر إنتصارات واضحة على الوجود البريطاني هناك، وهو ما دفع مشايخها ورؤسائها وساداتها وعلي رأسهم السيد عبد المهدي المنتفجي والشيخ موحان الخير الله رئيس عشائر الشويلات، التوجه إلى الشطرة لغرض التنسيق مع رؤسائها لتوحيد جهودهم في التصدي للمحتلين البريطانيين، إلا أن خيون العبيد وقف في طريقهم، وإستطاع كسر شوكة إندفاعهم. ويروي الفياض في صدد ذلك ما قاله موحان الخير الله:

«لم نستطع أن نتعدى الشطرة؛ مركز خيون العبيد؛ ونهاجم الإنكليز خوفا على مؤخرتنا من جهة، ومن جهة أخرى فإن مراكز تمويننا بعيدة ولا نعرف بالضبط موقف عشائر العبودة في حالة إنكسارنا أمام الإنكليز»⁽²⁾.

وحين ننظر لهذا التبرير لأول وهلة نراه منطقيا ومقبولا، ولكن لماذا نفترض حالة الإنكسار قبل وقوعها؟ في حين أن النفوس كلها كانت ضمناً للقاء المستعمر الغازي، ومشبعة بالنيل منه، وإن أي تحرك محسوس في إتجاه مواجهة المحتل في تلك المناطق، كان سيؤدي حتما إلى تحريك نفوس كل العشائر الأخرى، وحتى عشائر العبودة نفسها

(1) د. الوردی، م. س، ج5، القسم الأول، ص 76 - 79.

(2) الناهي؛ غالب عبدالمطلب؛ ذاكرة ثورة العشرين؛ الهدف الموصلية؛ ص 12-16؛ 22 نيسان 1964.

لصالح المشاركة وليس العكس، وكان المهم في هذه الظروف الخطوة الأولى ولكن! ولكن الإيرادات لم تكن في مستوى واحد من الشعور بالمسؤولية. ومع ذلك نلاحظ أن سوق الشيوخ استطاعت هي الأخرى أن تكسر طوق السلبية تجاه المشاركة في الثورة، وكان لها ما أرادت. حتى أن عشائر بني ركاب كان لها دور مشرف في الثورة رغم محاصرتها وتحديد تحركاتها من قبل خيون العبيد وعشائره وبالخصوص في منطقة الشطرة، وبالتالي في منطقة الناصرية، حيث لم تشاركهم عشائر الأزيج والحسينيات. ومع ذلك نلاحظ أن الإيرادات القوية لا يثنيها القاعدون عن الجهاد، وأفصح دليل على ذلك، أن ثلاثة من رؤساء بني ركاب وهم كل من: مرزوق الرويح، ومحمد صالح، وعبيد الخنفر، كانوا وعشائرتهم في صميم أتون المشاركة في الجهاد، حتى إستشهد مرزوق وعبيد في إحدى الألتحامات مع المحتلين البريطانيين.

وخلاصة القول إن عدم مشاركة الشطرة كمركز ثقل في منطقة المنتفق بتأثير خيون العبيد، قد حرم الثورة العشرينية من مؤازرة حقيقية كانت ستؤثر إلى حد كبير على موازين القوى، لأنها كانت ستضعف المحتلين البريطانيين من جهة، وتؤثر سلباً على إمداداتهم العسكرية والتموينية والبشرية من الهند كما تقدم. ووقفه على أهمية موقف خيون العبيد، فقد راح القائد البريطاني العام هالدين يشير في كتابه إلى الخدمات التي قدمها خيون العبيد بالثناء والتقدير⁽¹⁾. وقد تناول الكثير من الباحثين والكتاب هذا الجانب وسلطوا الأضواء عليه⁽²⁾.

وحين أخذت مسيرة الشيعة الجهادية بالإنحسار، وبدأت أنتصاراتها تتحول إلى هزائم وراح الكثير من المدن تتساقط بيد القوات الغازية، إلا أن الشيء الملفت للنظر أنه رغم سقوط مدينة السماوة في 14 تشرين الأول عام 1920م، كان شمالها صامدا صمود الأبطال للحيلولة دون وصول قوات الإحتلال إلى مدينة البصرة الأولى للثورة؛ الرميثة.

الوقفة السادسة: محاولات الصلح

حاول الجنرال البريطاني كوننغهام المعين من قبل القائد العام هالدين، للتعامل مع هذه المنطقة المتأججة بالثورة، عن طريق عرض الصلح، مكلفاً لهذه المهمة أحد السادة من

(1) Haldane (Insurrection In Mesopotamia) - Edinburgh 1922 P,290.

(2) الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، (صيدا، 1972م)، ص 189، 190.

فراطي، المصدر السابق، ص 22، 23، 31.

الفياض، المصدر السابق، ص 339، 340.

آل مطر، ذكرى علمين من آل مطر، (النجف، 1957)، ص 26 - 28.

جريدة الاستقلال النجفية، الصادرة في الثالث من تشرين الأول عام 1920م.

وجهاء الرميثة وهو السيد محمد السيد محمود، الذي إستدعي من الرميثة لهذا الغرض، وبعد مناقشة الأمر معه، طلب إليه كوننغهام الرجوع إلى رؤساء ثوار الرميثة لمعرفة شروطهم للصلح، وقام السيد بهذه المهمة وعاد بشروط الثوار، التي لم يرق بعضها على أقل تقدير للجنرال كوننغهام. لكن عزم وإستعداد ثوار الرميثة لم يفتر لخوض جولة قتال جديدة ضد القوات البريطانية المحتلة، رغم هذه المفاوضات لعدم إئتمانهم جانب العدو المتربص بهم الدوائر، وكان على رأس الثوار مرة ثانية الشيخ شعلان أبو الجون، الذي أعد وإخوانه الرؤساء الآخرين لكل إحتمال صولته، وذلك بأن إختاروا من بينهم رجلا مقداما إسمه برجس الجياد، أوكلوا له مهمة المواجهة الأولى مع المحتلين إذا ما تقربوا من المدينة، وقد إختار هذا المقدم سبعون رجلا من عشائر شتى من قبيلة بني حجين، ممن عرفوا بالشجاعة والرمية، وتوجه بهم نحو؛ جسر السوير، وأخذوا مكائهم، لمراقبة تحرك القوات البريطانية. وفعلا صدق ظن الثوار فقد بدأت تلك القوات بالتحرك بإتجاههم، وبصورة مبكرة من صباح يوم الثاني عشر من تشرين الثاني عام 1920م، كانت المفاجئة غير المتوقعة لدى قوات العدو حين إنهمرت عليهم زخات رصاص الثوار، والتي أصابتهم في مقتل أدى بهم للإرتباك الشديد، وسببت هذه الجولة صدى سريعا لدى العشائر التي إنضمت للثوار لتزيد من الضغط على القوات الغازية. وكان حصيلة هذه المعركة بما يزيد على ألف قتيل من الأنكليز، وخمسائة من الثوار⁽¹⁾؛ وقد سميت هذه المعركة بمعركة السوير.

الوقفه السابعة: الصلح بشروط ثوار الرميثة

وعلى إثر هذه المعركة التي تعد واحدة من أكبر المعارك التي خاضها الثوار وإنصروا فيها، في ظروف نفسية صعبة كانت فيها الجبهات الأخرى قد تساقطت الواحدة تلو الأخرى، بيد القوات المحتلة، وهو ما جعل منها أهم معارك التحدي والمواجهة التي خاضها الثوار، خلال مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، خلال هذا القرن، لأنها جاءت بنتائج مختلفة تماما عن بقية الأماكن.

ففي حين تساقطت المدن الأخرى دون شروط، نلاحظ أن هذه المعركة قد أجبرت الأنكليز على الرضوخ لشروط الثوار، كما أجبر الجنرال كوننغهام على العودة مرة ثانية للإستعانة بالسيد محمد السيد محمود، وبعد جولات مكوكية من المباحثات تم الاتفاق على الصلح بالشروط التالية:

1 - أن يكون للعراق حكومة عربية مستقلة.

(1) الفرعون، م . س، ص 476.

- 2 - أن لا يطالب عرب قبائل بني حجاج بكل شئ خسرتة الحكومة أثناء الثورة، عدا ما تراه أعين رجال الحكومة باقيا في أيديهم.
- 3 - أن لا تؤدي عرب القبائل المذكورة شيئا من الضرائب الأميرية لسنة 1920م، لأنهم لا يستطيعون أن يدفعوا هذه الضرائب، بسبب ما لحقهم من الأضرار الفادحة من جراء القيام بالثورة.
- 4 - أن يأخذوا على عهدتهم محافظة السكة الحديدية التي تربيهم على طول منطقتهم.
- 5 - أن يتعهدوا بتوطيد الأمن وحماية السلم في جميع أراضيهم.
- 6 - أن يسلموا إلى الحكومة 2400 بندقية⁽¹⁾.

ويبدو أن الشرط السادس كان إعلاميا أكثر منه واقعيا، فلم تسلم أية بندقية بهذا السياق⁽²⁾. ومهما يكن من أمر فقد أثبتت الوقائع كما هو مشاهد وملموس أنه مثلما كان بني حجاج سادة الموقف في اللحظات الأولى للثورة العشرينية، فقد كانوا هم أيضا سادة الموقف مرة ثانية في لحظاتها الأخيرة، حين ختموا هذه الجولة التي ثاروا من أجلها بعقد الصلح في العشرين من تشرين الثاني من عام 1920م. وفي ضوء هذه الحقيقة فقد سجل بنو حجاج للتاريخ أنهم أول من بدأ ولم يفترو عزمهم، وآخر من فرض الصلح لا الأستسلام وبشروطهم، وهم في أوج تألقهم في آخر معاركهم الخالدة التي عرفت بمعركة السوير. الذي كان من أبرز أبطالها برجس الجياد ومجموعته. لذا نلاحظ أن المصادر والوثائق الأجنبية تجنبت عن عمد عدم الإشارة لذلك، وإن هي أشارت، فإنها تحاول التقليل من أهميتها لأن ذلك يصيب كبريائها.

لكن عطاء بني حجاج لا يقلل من أهمية عطاء عشائر الفرات الأوسط الأخرى، فقد كان لهذه العشائر صولات خالدة هي الأخرى ذات تأثيرات كبيرة في حركة التحرر، الوطني، وقيام الدولة العراقية الحديثة. ومهما يكن من أمر فإن مساهمة هذه العشائر في حركة التحرر الوطني، حين يأتي تقييمها من باحث أجنبي محايد، فهو الحكم الفيصل. ويقول كوتولوف وهو مؤرخ روسي بهذا الصدد:

«شاركت قبائل الفرات الأوسط بقسط وافر في الحركة التحررية»⁽³⁾.

- (1) د. البصير، م. س، ص 320.
- (2) مقابلة مع الشيخ سامي عزارة المعجوز أحد رؤساء عشائر بني حجاج في لندن بتاريخ 16 ميس عام 1998، والذي أكد عدم تسليم أية بندقية.
- (3) كوتولوف، ل. ن، ثورة العشرين، (ط1، بغداد، 1971م)، تر: د. عبد الواحد كرم، ص 83.

وهكذا تشتت الثوار من سادات العشائر ورؤسائها ورجالاتها، بعد أن فشلت ثورتهم، فمنهم من هرب، ومنهم من سجن، ومنهم من أبعدهم إلى خارج العراق، ومنهم من تعرض للموت بسبب الظروف غير الطبيعية التي واجهوها. ومهما يكن من أمر فقد برز في مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية وفي ساحة المنازلة الكبرى، وبكل إصرار وإقدام، وتضحية ونكران ذات، وفروسية وفدائية، مجموعة من الرجال الأفاضل خلد مواقفهم تاريخ الأمة بعز وسؤدد، كرموز وطنية شامخة، في تاريخ العمل الجهادي والسياسي، من خلال صور المواقف المبدئية، والمواقف الجهادية، والبذل والعطاء.

ووقفه عرفان نسجلها عن مجموعة الرجال الأفاضل، الذين خاضوا معركة الكرامة العروبية، والعقيدة الإسلامية، بشخص المرحوم عبد الواحد الحاج سكر، كرمز خالد لهم، من خلال موقف الإباء والشمم الذي وقفه هذا الرجل المقدم أثناء محاكمته، وهو يواجه قضاة المحكمة العسكرية الأنكليز، هذه المحكمة التي إنعقدت في مدينة النجف خصيصاً لمحاكمة مجموعة ثوار المسيرة السياسية والجهادية لشيعة العراق. وكان عبد الواحد في موقف الدفاع هذا، على شموخه العربي، ثابت الجنان، يواجه الأسئلة التي إنهالت عليه من هيئة المحكمة بكل جرأة وتحدي، فهو بعد أن عرى مواقف المحتلين البريطانيين، وحملهم مسؤولية الأوضاع المتردية التي سببها قادتهم في العراق، وبعد أن تحدى العنجهيات البريطانية، حمل نفسه وحدها مسؤولية الثورة وما ترتب عليها من تبعات، وكأنه يقول ياسيوف خذوني، إقتداءً بموقف أبي الثوار الحسين بن علي عليه السلام. وإليك خلاصة فحوى ما دار بين هيئة المحكمة وبين الحاج سكر:

«وجه رئيس المحكمة إلى عبد الواحد عدة اسئلة كان من بينها؛ لماذا أعلنتم الثورة؟ ومن هم شركاؤكم فيها؟ ومن أين جئتم بالأسلحة؟ والواقع أن موقف عبد الواحد أثناء المحاكمة كان صلباً وشجاعاً، وقد إعترف بأنه هو المسؤول وحده عن قيام الثورة. إذ لم يقم بها أحد غيره؛ وليس لأحد غيره ذنب. أما الأسلحة فقد إشتروها من الجزيرة العربية. وحين سأله رئيس المحكمة عن مصدر الأموال التي إشتروا بها تلك الأسلحة. أجاب قائلاً؛ إنها من أموال الضرائب التي لم يدفعونها إلى الحكومة فهم قد إحتفظوا بتلك الأموال وأشتروا بها الأسلحة. وقد أفاض عبد الواحد خلال المحاكمة في شرح الدوافع التي دفعتهم إلى الثورة، حيث وضع اللوم كله على الموظفين البريطانيين، ووصفهم بأنهم عاملوا العراقيين بقسوة، مع العلم أن الحكومة البريطانية كانت قد وعدتهم مراراً بالاستقلال التام ثم قال؛ بدلا من إنجاز الوعود جرى نفي العلماء والرؤساء إلى خارج العراق. وأصبح كل عراقي غير آمن على نفسه وماله. ولما أخذ

العراقيون يطالبون الحكومة بإنجاز الوعود مطالبة سلمية، وجه الموظفون إليهم الحملات العسكرية. وصاروا يقتلون فيهم ويحرقون ويحبسون وينفون. فإضطر العراقيون إلى الدفاع بسلاحهم عن حياتهم وشرفهم⁽¹⁾..

ورغم كل هذه المواقف المشرفة لعبد الواحد الحاج سكر، نلاحظ إصرار طالب النقيب الذي كان وزيراً للدخالية آنذاك، على نفي، الثائر الحر عبد الواحد الحاج سكر إلى البصرة⁽²⁾، بعد أن أصبحت الأجواء البريطانية التي تلت المحاكمة بفترة تميل إلى مسالمتها، بإعتباره ثائر وطني يستحق التقدير⁽³⁾. فشتان بين موقف العدو الغازي وإبن البلد. وإذا كان التاريخ يغفل الهفوات، إلا أنه لا يغفل المواقف، فلكل من الموقفين المذكورين معياره في التاريخ العراقي والعربي والأنساني. وهكذا ختمت مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، هذه الجولة الجهادية التي إمتدت من عام 1914م-1920م، والتي كان للشيعة فيها الدور المباشر والتأثير الريادي الأول في (قيام الدولة العراقية الحديثة)، بعد أشهر قليلة، بتولي المرحوم فيصل الأول عرش العراق، وبالتحديد في 23 آب عام 1921م.



(1) الوردى، ج5، القسم الثاني ص154، 155.

الياسري، م . س، ص300.

الفرحون، م . س، ص442.

(2) الفرعون، م . س، ص446.

(3) الياسري، م . س، ص302، 303.

الفرعون، م . س، ص447.

الفصل الثاني

لماذا أصبح شيعة العراق معزولين في نظام الدولة؟

المبحث الأول: عناصر وممهدات وتأثيرات المسيرة الشيعية السياسية والجهادية:

تأتي الأهمية المستخلصة للمسيرة الشيعية الجهادية والسياسية، في صنع الدور الريادي لشيعة العراق في تأسيس الدولة العراقية الحديثة، ضمن الفاصل الزمني 1914م-1921م، من خلال المعطيات الجهادية، والمواقف الوطنية السياسية. وما الثورة العشرينية إلا قمة تلك المعطيات والمواقف. وحتى نصل إلى أسباب إنكفاء هذه المسيرة ونتائجها، لا بد من أن نفهم العناصر الذاتية، والممهدات التعبوية، والتأثيرات المباشرة، ذات العلاقة بهذه المسيرة، كي نتوصل بالتالي إلى أسباب الإنكفاء ونتائجها:

أولاً: العناصر الذاتية لمسيرة الشيعة السياسية والجهادية: ويمكن ترجمتها بما يلي:

- 1 - النخبة الدينية: وتتكون من المراجع والعلماء ورجال الدين.
- 2 - النخبة العشائرية: وتتكون من سادات العشائر العربية ورؤسائها.
- 3 - النخبة المدنية: وتتكون من المثقفين ووجهاء المدن رواد الإستقلال.
- 4 - مادة المسيرة: غالبية عشائر الفرات الأوسط.
- 5 - نهج المسيرة: إعتقاد خطاب تناغم التيارين القومي والإسلامي.
- 6 - مالية المسيرة: عراقية 100 %.
- 7 - المشاركة الأدبية: من شعر عمودي وشعبي وهوسات حماسية.

والملاحظ أن لكل عنصر من هذه العناصر التعبوية، أهميته في دعم هذه المسيرة وقيامها، وكل عنصر على حدة غطى المهام المناطة به ضمناً. لذا شكلت هذه العناصر النسيج الذي مثل طبقات الشيعة، وفرض معطياته على مسرح الأحداث. ويمكن مناقشة بعض الآراء من زاوية واقعية فليس دقيقاً وفق الحالة التركيبية لعناصر الثورة العشرينية، وهي أهم معطيات المسيرة الشيعية السياسية والجهادية في هذا القرن، أن تكون هذه الثورة هي

ثورة الفلاحين كما ذهب إلى ذلك المؤرخ كوتولوف⁽¹⁾. نعم كان الفلاحون عنصراً من عناصرها المهمة، ويشكلون مادتها القتالية الأولى. إلا أن العناصر الأخرى هي عناصر أساسية لتحريك مادة المسيرة وتقويمها وإدامتها وقيادتها، بل ومدّها بأسباب القوة والصمود المادي والمعنوي والروحي، في مواجهة المحتلين البريطانيين، كما تقدم.

ثانياً: الممهّدات التعبوية لمسيرة الشيعة السياسية والجهادية: ويدخل من ضمنها ما يلي:

1 - كانت أولى الممهّدات تلك الوقفات المضيئة في التاريخ الجهادي والسياسي الشيعي، ضد المحتلين البريطانيين، بدءاً معارك المزيرعة والروطة والشعبية، بين أعوام 1914-1915م، في مدينة البصرة، إضافة لقيام التنظيم السياسي الأول في مدينة النجف عام 1917م، تحت إسم جمعية النهضة الإسلامية حيث كانت أنتفاضة النجف عام 1918م، من أهم نتائجها. وقيام التنظيم السياسي الثاني في مدينة كربلاء عام 1919م، تحت إسم الحزب الإسلامي، الذي مهد لثورة العشرين.

2 - يخطأ من يظن أن الممهّدات التي أدت إلى قيام مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، كان إقتصادياً، كأن يكون بسبب الضرائب، والرسوم، وتوزيع الأراضي الزراعية، أو إستلابها من أهلها وضمها للآخرين من الموالين، أو التعسف والأضطهاد الممارس ضدّهم من قبل المحتلين، ورغم ما لهذه الأسباب من أهمية تذكر، إلا أن الممهّدات الأعمق أثراً في مسيرتهم، هو شعورهم بالمسؤولية الوطنية المتكاملة تجاه وطنهم وعروبته ودينهم، الذي يتعرض لغزو محتل أجنبي غاصب جديد، يبغى شراً في العراق وأهله.

3 - رغم أن العوامل الخارجية لم تكن من الممهّدات المباشرة لمسيرة الشيعة السياسية والجهادية، إلا أنها كانت من العوامل المساعدة، في تنوير النخبة الشيعية عما يحيط بالأمة، وما يخطط لها.

4 - كان لتأثير المؤسسة الدينية العلمانية الشيعية شأن كبير، على غالبية طبقات الشيعة، إلى حد يصعب معه الخروج عليها لأن في ذلك تجاوز قد يكون له آثاره السلبية، سواء على مستوى العشيرة أو مستوى المجتمع، لا سيما وأن العدو المحتل إعتبر بصورة وأخرى من الكفار. ومن الملاحظ أن المؤسسة الدينية وهي تخوض في غمار مسؤوليات غير عادية، أدركت أهمية التواصل مع المؤسسة العشائرية، ولم تغفل بنفس الوقت التنسيق

(1) كوتولوف، م . س، ص 120.

مع الحركة الإستقلالية بتوحيد المواقف للتصدي للأخطار المحدقة بالعراقيين . فكان هذا التأثير الديني على الطائفة، وهذا التواصل مع العشائر العربية، وهذا التنسيق الوطني مع الحركة الإستقلالية، المظلة التي شكلت ممهدا تعبويا مهما في ترسيخ مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، رغم إن ذلك لم يتحول إلى قيادات مؤسساتية، تنضوي تحت مظلة قيادة سياسية وروحية عليا موحدة، على أن يكون لكل من القيادات المؤسساتية مهامات وواجبات وضلاحيات محددة.

5 - كان لفشل ثورة الشريف حسين، وعدم إيفاء الأنكليز بوعودهم، في منح الأستقلال وإقامة دولة عربية واحدة موحدة لكل العرب، ممهدا مهما في إثارة المشاعر والأحاسيس القومية في نفوس غالبية الشيعة العرب العراقيين، مما إنعكس ذلك إيجابيا في مسيرتهم، ضد المحتلين البريطانيين .

6 - كان لألتحامات الضباط العراقيين بالتنسيق مع بعض العشائر العربية غرب البلاد، في دير الزور وتلعفر، مع القوات البريطانية المحتلة، وتكيد العدو الغاصب خسائر غير قليلة، ممهدا تعبويا آخر دفع بالمسيرة الشيعية السياسية والجهادية إلى أمام .

7 - كان لنشاطات جمعية العهد بدءا، وحزب حرس الأستقلال لاحقا، في تهيئة الأجواء السياسية، أدوارا ممهدة وعوامل مساعدة، صبت في محصلة الأمر في تعميق مسيرة الشيعة السياسية والجهادية وإنطلاقتها .

ثالثاً: التأثيرات المباشرة لمسيرة الشيعة السياسية والجهادية:

قيام مشاركات جهادية من قبل عرب وكرد وتركمان من السنة، كما حصل في المعارك بين عام 1914م-1920م . ففي ضوء النتائج الباهرة التي حققتها إنتفاضة الرميثة الأولى في الثلاثين من حزيران عام 1920م، والتي تحولت بالمحصلة للثورة العشرينية بعد حين قصير، برزت التأثيرات المباشرة لمسيرة الشيعة السياسية والجهادية بصورة واضحة، حين تفاعلت عشائر غرب بغداد وديالى العربية والمنطقة المحيطة والقريبة من سامراء، وفي منطقة المحمودية، ومنطقة ما بين أبي غريب والفلوجة غرب بغداد، تلقت العشائر العربية، أنباء الأنتصارات العظيمة التي حققها ثوار عشائر الفرات الأوسط، في معركة الرارنجية في 24 تموز عام 1920م، بمشاعر الفخر والأعتزاز . ونفس الشيء حصل في بعض مناطق الشمال . وأعلنوا تلاحمهم وتجاوبهم مع العشائر العربية الثائرة في الفرات الأوسط . لذا نلاحظ أن تلك العشائر إحتضنت السيد جدوع أبو زيد، موفد الأمام الشيخ محمد تقي الشيرازي الذي يحمل فتوى الإمام، كما يحمل رسالة العلامة السيد هبة الدين الشهرستاني، بدعوى تلك العشائر للجهاد، فكانت الأستجابة سريعة من بعض تلك العشائر منها: إستجابة الشيخ

خضير الحاج عاصي، رئيس عشائر الجنابيين. والشيخ علوان الشلال رئيس عشائر البومحي. وللشيخ علوان الشلال وقفة رجال تعد من نوادر الزمن في تلك الظروف القاهرة، كان قد وقفها قبل هذه الاستجابة حين لجأ عنده مجموعة من المطلوبين من دعاة الاستقلال البغداديين وعلى رأسهم: يوسف السويدي، فما كان من الكابتن الأنكليزي آستن، إلا مساومة الشيخ علوان الشلال، بإعطائه خمسين ألف روبية عن كل بغدادى يسلمه له، إلا أنه رفض ذلك بكل أمانة ورجولة⁽¹⁾. بل أمن لهم طريق الهرب لمدينة كربلاء ليحفظهم من أي مكروه. وكانت التأثيرات الأهم على الساحة الوطنية منحصرة في:

1 - قيام عشائر زوبع بشخص رئيسها الشيخ ضاري الظاهر المحمود، وكانت باكورة أعمالهم قتل الضابط السياسي الأنكليزي في لواء الدليم الكولونيل لجمن. ولقد كانت للشيخ ضاري مواقف شرف وإباء، فرغم تأمر باقي رؤساء عشائر الدليم بالتعاون مع الأنكليز، وبالتحديد الشيخان فهد الهذال، وعلي السليمان، ضد أبناء جلدتهم، وبالخصوص تأمرهم على عشائر زوبع بقيادة الشيخ ضاري، إلا أن هذا الرجل الأنسان، وقف صامدا صمود الأبطال بوجه الأنكليز، فعرض نفسه وعشيرته للأخطار، في سبيل تحرير الأرض من براثن المحتلين البريطانيين. ومن أقوال الشيخ ضاري المأثورة وهو يرد على الموفد الذي حمل الفتوى والرسالة المتقدم ذكرهما. ومن مقولته الشهيرة:

«إنني عربي ووطني عراقي، وها اني أبذل كل مالدي من نفس ونفيس، في سبيل مصلحة بلادى ضد الظالمين، ولينعم العلماء وإخواني الزعماء عينا. وها أني بإسم الله سأعمل، وستسمعون أعمالى وترونها، تلك الأعمال التي سوف يرضاها الله وترضونها أنتم إنشاء الله»⁽²⁾.

ويصف لنا علي البزركان وهو أحد دعاة الاستقلال البغداديين تأثر العشائر العربية بفتوى الإمام الشيرازي فيقول:

«وقد تأثرت العشائر التي تقطن أطراف بغداد بفتوى الإمام الشيرازي، فأخذت تشن الهجوم تلو الهجوم على ضواحي بغداد الأمر الذي جعل الأنكليز ينشئون الحصون والموانع للمحافظة على المدينة، وكنت أشاهد بنفسى قنابل التنوير يطلقها الأنكليز ليلا في أطراف المدينة للكشف عن أماكن الثوار أينما وجدوا»⁽³⁾.

(1) د. الوردى، م . س، ج5، القسم الثاني، ص 15، 16.

(2) الفرعون، م . س، ص 306، 303.

(3) البزركان، م . س، ص 198.

وحين يتحدث نجل الشيخ ضاري الشيخ سليمان عن موقف تأثر والده بفتاوي المرجعية الدينية، التي كان يصدرها الإمام الشيرازي، وهو ما ينم عن تفقه والده في الدين، حيث ضرب والده أروع الأمثال في تفنيد اللعب على أوتار الطائفية البغيضة، يروي الشيخ سليمان ما خلاصته، أن ليجمن أقام في تلك الأيام وليمة دعا إليها شيوخ المنطقة، وبعد الانتهاء من تناول الطعام تكلم ليجمن يخاطب الشيوخ، ضاربا على أوتار الطائفية. ومما قاله ليجمن:

«إنه يود الوقوف على رأيهم بإعتبارهم من أهل السنة فيما يطالب به الثوار الشيعة من إقامة حكومة مستقلة. فإنبرى ضاري يرد عليه قائلا ليس في الإسلام سنة وشيعة، بل هو دين واحد، وعرق واحد وكلمة واحدة. فقال ليجمن إن الحكومة البريطانية حائرة في أمركم لا تدري هل تشكل حكومة شيعية أو سنية فرد عليه ضاري بأن العراق ليس فيه شيعة أو سنة، بل فيه علماء أعلام نرجع إليهم في أمور ديننا. فقال ليجمن أنتم عشائر والأجدر بكم أن تكونوا مستقلين. فرد عليه ضاري: «إن علماءنا حكومتنا وقد أمرنا القرآن بإطاعة الله والرسول وأولي الأمر منا، فإن إعتديتم عليهم فإننا سنتنصر لهم ونحاربكم بجانبهم»⁽¹⁾..

هكذا كانت مواقف الرجال الأفاضل، فحين يجد الجد نراهم في مواقف الدفاع عن العروبة والإسلام، على مستوى عالي من تقدير المسؤولية والفداء، في السراء والضراء وحين البأس. وكان الشيخ ضاري الظاهر المحمود في هذا السياق من المبرزين، الذي دانت له الرقاب في هذا الإتجاه. فأستحق عن جدارة مواقف، وصدق فعال، ونكران ذات، أن تخلده صحائف التاريخ الجهادي بأحرف من نور. عكس المتخاذلين التي ظلت صحائفهم سوداء.

2 - ولما كنا في صميم الحديث عن مشاركة عشائر أطراف بغداد، فلا بد من الحديث عن الهجوم على القوات البريطانية المرابطة في سامراء. ويشير آيرلند لذلك، أنه في 28 آب عام 1920م، تعرضت مدينة سامراء المقدسة لهجوم شامل شارك فيه الكثير من العشائر المحيطة والقريبة. وكان للسيد محمد الصدر شخصيا، شرف قيادة هذا الهجوم⁽²⁾.

3 - أما العشائر العربية في لواء ديالى، فكان للأمام الشيخ مهدي الخالصي دور كبير في دفعهم للثورة، وقد أرسل لوكيله هناك الشيخ حبيب الخالصي رسائل موجهة لرؤساء العشائر في تلك المنطقة يستحثهم على الثورة، وكانت الإستجابة سريعة، حيث أن

(1) د. الوردى، م. س، ج5، القسم / الثاني، ص 68.

(2) آيرلند، م. س، ص 208، 210.

للإمام الخالصي مقلدين هناك. إضافة لما قام به السيد محمد الصدر من مشاركة محسوسة مع الثوار في منطقة ديالى. وكان إلتحام العشائر مع العدو الأنكليزي واضحاً حين سقطت بين أياديهم كل من بعقوبة وديلتاوة وشهربان. وكان لعشائر العزة برئاسة الشيخ حبيب الخيزران، دور كبير في التصدي للمحتلين البريطانيين في تلك المنطقة وللشيخ حبيب الخيزران، رئيس عشيرة العزة، موقف رائد في نكران الذات، والأعتزاز بالوطن وبأبنائه، وبشرف الكلمة، يحدثنا عنه محمد مهدي البصير أحد دعاة الأستقلال البارزين. يقول البصير

«وإستسلم الكبتن «لويد» حاكم ديلتاوة وموظفان إنكليزيان آخران للشيخ حبيب الخيزران، فأنزلهم هذا في قرية «دلي عباس» وهياً لهم وسائل الراحة التامة. وقد أخبرني هذا الشيخ أن الكبتن «لويد» عرض عليه رشوة قدرها 40 ألف ربية على أن ينفق بعضها في سبيل إخماد الثورة، فأجابه الشيخ المذكور، بأن الأربعين ألف ربية مبلغ لا بأس به، ولكنه لا يود أن يتاجر بكرامة الوطن وأبنائه»⁽¹⁾.

2 - وكما قامت حركات تصدي في الجنوب والوسط، فقد قامت حركات مماثلة في بعض أجزاء من الشمال، وبالأخص في كفري وكركوك وراوندوز وعقرة، وهي مدن غالبية ساكنيها من الأكراد والتركمان، حيث قتلوا الكابتن جي سالمون، معاون الحاكم العسكري البريطاني في كفري، وسيطروا لفترة من الزمن على تلك المناطق.

المبحث الثاني: أسباب إنكفاء مسيرة الشيعة السياسية والجهادية:

هناك نوعان من الأسباب التي أدتا إلى إنكفاء مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، وهما: أولاً: العوامل المباشرة داخل المسيرة الشيعية الجهادية والسياسية. ويمكن حصر العوامل بما يلي:

● هو عدم وجود مرجعية مؤسسية سياسية وروحية عليا، ذات خطاب سياسي موحد، وذات خطط عسكرية وتعبوية وقيادية موحدة، ومالية موجهة، تضطلع بها هيئات فرعية متخصصة تكمل بعضها الآخر. فقد ظلت المؤسسات الثلاث: الدينية والعشائرية والسياسية، رغم التواصل الذي كان بينها، إذا لم نقل إن كلا منها يحكمها نهجها الخاص بها، فيمكن أن نقول إنها في بعض المواقف أقرب للتأثر بخصوصياتها منها من العمل الجماعي.

- لم تخل المسيرة من مواقف متباينة وربما متقاطعة داخل كل مؤسسة على حدة، أو بين مؤسسة وأخرى، وهو ما كان يؤدي إلى ضعف واضح في الموقف العام لمسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، عبر أحداث الأمة.
- لقد حكم الشيعة في نهج مسيرتهم السياسية والجهادية، الموقف المبدئي والأخلاقي، دون اللعبة السياسية، والسبب في اعتقادنا ليس غياب إستراتيجية واضحة لأطروحة المواجهة مع المحتلين البريطانيين، بما يؤدي فعلا لتحقيق أهداف الأمة فحسب، إنما بما جبلت عليه الشيعة الإمامية الأثني عشرية، بعدم التعامل التكتيكي المحسوب ضمن المناورة السياسية تمكن، وخذ؛ وطالب.
- وحين نستعرض هذه المسيرة في وقفاتها الثلاث، نجد في الوقفة الأولى أن دورها في معارك المزيرعة والروطة والشعبية بين عامي 1914م-1915م، وإن كانت مسحته دينية، إلا أنه كان في صميم الموقف إنتفاضة الوطني لقوله عنه : «حب الوطن من الإيمان»، أما الوقفة الثانية في إنتفاضة النجف 1918م، والثالثة في الرميثة في 30 حزيران 1920م وثورة العشرين، فهي الأخرى تشكل أحداث وطنية أصيلة، ضمن الفاصل الزمني الذي حصلت فيه. إلا أننا نلاحظ أنه لم نجد لهذه الوقفات الثلاث إستراتيجية عمل متكاملة، لدى كل أطرافها، على أساس التكوينات المؤسسية، ورغم ما تصدرها من مقدمات، ورغم مواقفها البطولية الأستشهادية، كانت بعض دوافعها عفوية، والعفوية كما لا يخفى تتحكم فيها العواطف، أكثر مما تتحكم فيها العقول، وكما للعقول سننها الثابتة غالبا، فإن للعواطف سننها المتغيرة دائما. بدليل أنها لم تعاود نشاطها بنفس المستوى، بعد كبوتها، عبر أحداث الأمة اللاحقة، وهو ما يفسر أن دوافعها كانت بصورة وأخرى عفوية، رغم ما تخللها من مقدمات ومستلزمات.
- لا نستطيع أن نجزم أن كل المشاركين في هذه المسيرة، هم منقطعون لمبادئها وأهدافها المعلنة، بل هناك البعض منهم من تحكمه سواء أهدافه المستقبلية للظفر بموقع سياسي، أو تحكمه أهداف مادية خاصة لتحقيق مكاسب لاحقة، أو إنه «مجبر أخاك لا بطل» نتيجة الظروف المحيطة به، ومثل هؤلاء يكون عطاؤهم متذبذبا، وهو ما ساهم في إضعاف المسيرة وإنكفائها.
- لم تستمر المشاركات المقطعية لعشائر غرب بغداد وشمالها، وديالى، وما تخللها من مناوشات في بعض المناطق الشمالية، والتي سبق الإشارة إليها، لم تستمر إلا مددا زمنية متقاربة ومحدودة، قياسا بما كانت عليه مسيرة الشيعة الجهادية التي مثلتها بالدرجة الأولى عشائر الفرات الأوسط، حيث إستمرت الألتحامات العسكرية أربعة

أشهر ونيف من الأيام من 30 حزيران عام 1920م وحتى عقد الصلح في 20 تشرين الثاني عام 1920م. وهو ما ساهم في إنهاك القوى الذاتية لهذه العشائر، حين استطاعت قوات المحتلين البريطانيين التفرغ لها والتركيز على مواجهتها.

● رغم سعة التمثيل الجغرافي لمسيرة الشيعة، إلا أن مساحتها العشائرية لم تكتمل لتشمل كل العشائر، كما أن المشاركة المدنية فيها لم تكن لتتسجم مع حجم النخبة الشيعية، ونفس الشيء ينطبق على النخبة العلمائية، لذا كان التمثيل مجتزءاً، لم ينسجم وأهمية المسيرة، لتحرير الوطن من الإحتلال. فلو قيض الله عز شأنه، لعشائر العمارة والبصرة والمنتفق، أن يلتحموا بصفوف المسيرة، وبالخصوص في الثورة العشرينية، لكان الحديث غير هذا الحديث، ولكانت النتائج غير هذه النتائج.

● إن التناقص الحاد في الأموال والمعدات والمد البشري في المسيرة الشيعية، وعكسه تصاعد الإمدادات البشرية والمالية والعسكرية للمحتلين البريطانيين، لا سيما إذا عرفنا أن بريطانيا قد صرفت ما يقارب ربع ميزانيتها لتلك السنة، والبالغة أربعمئة مليون باون، على عملياتها ووجودها في العراق. الأمر الذي أدى إلى أحسار المسيرة الشيعية حين بدأت الأمور تضغط عليها من كل جانب. وكانت عاملاً من عوامل إنكفائها.

● حين عمدت السلطات البريطانية في بغداد وبالخصوص بعد وفاة الإمام الشيرازي، وتولي الإمام شيخ الشريعة زمام المرجعية، إلى طرح الصلح كمنورة خبيثة لشق صفوف المسيرة الجهادية للشيعة، فقد تركت هذه المناورات أثرها في بعض النفوس التي أتعبت المواجهة، حين راحت تطالب بضرورة الإستفادة من هذا العرض، وهو ما جعل اليأس يدب في الصفوف، ويكون واحداً من أسباب أنكفاء هذه المسيرة.

● كان هناك خلل غير قليل في مستلزمات المسيرة لكن الانتصارات التي حققتها هذه المسيرة، قد غطت على ذلك مرحلياً، وكان من أخطر أوجه ذلك الخلل، العمليات الاستخباراتية، التي لم تعرها المسيرة الأهتمام المطلوب، وربما لم تلتفت إليها أصلاً. على عكس قوات العدو التي أولت الجانب الاستخباراتي إهتماماً غير عادي، وهو ما ساعدهم على كشف الكثير من أوجه إستعدادات المسيرة الجهادية، ومكامن قوتها وضعفها، وهو ما أدى إلى توجيه ضربات موجعة لها سبب بالمحصلة إنكفائها.

● أن نتائج التلاحم العسكري عبر هذه المسيرة منوط بمعرفة حجم المعارك التي خاضتها الجماهير المجاهدة، ضد المحتلين البريطانيين، وهي واحدة من العوامل النفسية المهمة في إنكفاء المسيرة الجهادية للشيعة. فحسائرها البشرية من الطرفين تنبأ بحقيقة حجمها. فخلال معارك المزيرعة والروطة والشعيبة 1914م-1915م، وثورة العشرين،

بين المجاهدين العراقيين الذين كانت نسبة المساهمين فيها من الشيعة هي الطاغية، وبين المحتلين البريطانيين، كآآتي:

1 - معارك المزيربة والروطة والشمعية 1914-1915م:

كانت خسائر الأتراك أضعاف خسائر الإنكليز، في معركة الروطة، وقد عثرنا على تقديرات بخصوص خسائر المحتلين البريطانيين في هذه المعركة فقط، تشير إلى أنها ألف أو الفين قتيل وأكثر من ذلك جرحى، أما الشهداء من المجاهدين العراقيين، فكانوا أربعة عشرة شهيدا، وحوالي الخمسين جريحا⁽¹⁾. وأظن أن رقم ألف هو أقرب للصواب، من الألفين، إذ ليس من المعقول عدم التمكن من التفريق بين رقم الألف والألفين. أما في معركة الشمعية فكانت خسائر المجاهدين العراقيين ثلاثة آلاف شهيد، وعدد الأسرى يزيد عن السبعمائة أسير⁽²⁾. وإذا أردنا إن نعرف أسباب هذا العدد الكبير من المستشهدين في هذه المعركة، فهو منوط بمعرفة حجم المشاركين فيها من المجاهدين. فعن المصادر التركية أشار الباحث نديم، إلى أن عددهم كان عشرين ألف مجاهد غالبيتهم من العشائر، لكن قدرهم آخرون بخمسين ألفاً من المجاهدين⁽³⁾. وفي هذه المعلومة يبدو الفرق مرة ثانية كبيراً، لكننا نعتبر أن رقم العشرين ألف مقاتل كانت خسائر الأتراك أضعاف خسائر الإنكليز، في معركة الروطة، وقد عثرنا على تقديرات بخصوص خسائر المحتلين البريطانيين في هذه المعركة فقط، تشير إلى أنها ألف أو الفين قتيل وأكثر من ذلك جرحى، أما الشهداء من المجاهدين العراقيين، فكانوا أربعة عشرة شهيدا، وحوالي الخمسين جريحاً. وأظن أن رقم ألف هو أقرب للصواب، من الألفين، إذ ليس من المعقول عدم التمكن من التفريق بين رقم ألف والألفين. أما في معركة الشمعية فكانت خسائر المجاهدين العراقيين ثلاثة آلاف شهيد، وعدد الأسرى يزيد عن السبعمائة أسير. وإذا أردنا إن نعرف أسباب هذا العدد الكبير من المستشهدين في هذه المعركة، فهو منوط بمعرفة حجم المشاركين فيها من المجاهدين. فعن المصادر التركية أشار الباحث نديم، إلى أن عددهم كان عشرين ألف مجاهد غالبيتهم من العشائر، لكن قدرهم آخرون بخمسين ألفاً من المجاهدين. وفي هذه المعلومة يبدو الفرق مرة ثانية كبيراً، لكننا نعتبر أن رقم العشرين ألف مقاتل من المجاهدين ليس قليلاً، إذا ما أخذنا بنظر الاعتبار حجم نفوس العراق في تلك الحقبة.

(1) الحسيني، م . س، ص 39.

(2) الوردى، م . س، ج4، ص 148 ..

(3) نديم، م . س، ص 30.

2 - معارك ثورة العشرين :

تكبد المحتلون البريطانيون خسائر بشرية إجمالية بين قتيل وجريح ومفقود حوالي 4053 شخصاً خلال فترة الأقتال⁽¹⁾. أما خسائر العراقيين ولنفس الفترة فقد كانوا 8200 بين شهيد وجريح ومفقود⁽²⁾. وهذه الأرقام أكثر قبولا من حيث أن مشاركة المجاهدين كانت أكبر بكثير من المعارك السابقة، كما ان تعزيزات المحتلين البريطانيين هي الأخرى قد تضاعفت. وهناك معلومة خطيرة للغاية تشير إلى أن القوات العسكرية للمحتلين البريطانيين، قد إستعملت الأسلحة الكيماوية، أثناء جولات الألتحامات العسكرية المحرجة مع المجاهدين العراقيين، في المنطقة الجنوبية. ورغم ان بعض الوفيات جراء إستعمال تلك الأسلحة، لم يعرف أسبابها ومسبباتها، إلا ان عدد المستشهدين في ثورة العشرين، وغالبيتهم من عشائر الفرات الأوسط، يدل على صحة هذه المعلومة. التي صرح بها شخصية بريطانية سياسية مسؤولة من خلال برنامج تلفزيوني في لندن⁽³⁾. و يقول الوردى بصدد طبيعة تلك الخسائر «لا حاجة لنا بنا! إلى القول أن معظم هذه الخسائر كانت من نصيب الفرات الأوسط، ومن نصيب عشائره بوجه خاص. وهي في الواقع تمثل نسبة عالية من مجموع أفراد العشائر»⁽⁴⁾. من هذا يتضح أن التركيز على عشائر الفرات، كان سببا مهما في إنكفاء هذه المسيرة.

ثانياً: المجسات المضادة للمسيرة الشيعية السياسية والجهادية:

- هناك شرائح لم تشارك في هذه المسيرة، ويمكن أن نقسمهم إلى أربعة أقسام هم:
 - 1 - القسم الذي لم تواته الظروف والإمكانات كي يستطيع المشاركة. أو كانوا لتوهم قد خرجوا من إلتحامات مسلحة ضد القوات البريطانية، وهي أعدار لا تصمد أمام المبادرات الجهادية.
 - 2 - التمسك بالمصلحة الخاصة دون الوطنية، وهو ما أدى بهذا القسم إما مواجهة المسيرة والعمل بالضد أو الإعراض عن أي لون من المشاركة فيها.

(1) نظمي، وميض جمال عمر، م.س، ص 399. عن وثيقة بريطانية مرقمة ومؤرخة: /F.O371/5231/ E13302-25-10-1920.

(2) أيضاً، ص 399. عن وثيقة بريطانية مرقمة ومؤرخة: /F.O.371/508.16-11-1920.

(3) الناهي؛ هيثم غالب؛ الحدث والدلالة التاريخية في استعمال الاسلحة الكيماوية؛ القدس العربي؛ لندن الحلقة الرابعة؛ 11 نوفمبر 1998م.

(4) مقابلة في محطة تلفزيون (BBC 2) مع توني بين Tony Baen عضو البرلمان البريطاني، وأحد السياسيين البريطانيين المخضرمين. وتمت المقابلة بتاريخ 2 شباط عام 1999م.

- 3 - القسم الذي كان يترقب التطورات وإنتظار إنجلاء الموقف، ليصبح مع الكفة الراجحة، وهو ما يمكن أن يطلق على مواقفهم بالحياديين المصلحين.
- 4 - القسم الذي كانت له قناعات بضرورة القبول بإستقلال وحكم مجتازين، عن طريق مهادنة الأنكليز، على حساب الزمن والسيادة ومصالح الوطن المشروعة، متذرعين بعدم وجود الأهلية والأرضية والظروف الموضوعية لقيام حكم وإستقلال تامين للعراق، وهو الإتجاه السياسي الذي كان يجسد صميم الرغبة البريطانية، والذي تبنته مجموعة من نخبة الحكم، التي كان لها مواقف مضادة لهذه المسيرة.
- موقف بعض المتمزتين ضد المسيرة الشيعية الجهادية والسياسية، فلم تنأ المسيرة الشيعية الجهادية والسياسية، من مواقف مضادة، فقد راح بعض المتمزتين وصف رموزها وقياداتها بأوصاف لا تليق، كما راح البعض الآخر منهم يصف القائمين على هذه المسيرة بالأجانب، في حين أن الصفة الغالبة على أكثر القائمين عليها، هي الصفة العروبية الأصيلة بكل المقاسات. فعلى سبيل المثال لا الحصر نورد بعض تلك المواقف:

- 1 - فبعد الرحمن النقيب من الذين ناهضوا مسيرة الشيعة، وكان من أشد الماقتين لهم ولعلمائهم ومجتهداتهم عبر مسيرتهم السياسية والجهادية، نراه يقف ناصحا ولية النعمة المس بيل فيقول لها؛ «حذار حذار من الشيعة»⁽¹⁾. . وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على ما كان يعتمر في قلبه من غل طائفي وكره مقيت ضد الشيعة، لكنه وهو الرجل المتفقه في الدين والرئيس لطائفة مسلمة، نراه في موقع آخر يعشق الأنكليز ويذوب في خدمتهم حين أعلن إنه من أتباع المنتصر. فكيف والحالة هذه لا ينال رضاهم ويصبح رئيسا للوزراء ثلاث مرات متوالية.
- 2 - مزاحم الباجه جي يقف متحدنا، في حفل توديع أقيم على شرف توديع ويلسون، هذا العدو المحتل الذي أجهزت قواته على إنتفاضات وثورات المسيرة المجاهدة، ينبري متبرعا دون أن يطلب منه أحد، بالتعريض بثورة العشرين متهما إياها إختلاطها بعناصر أجنبية⁽²⁾. وهو بذلك يغمز المجتهدين الشيعة من التبعة الإيرانية، ونسي وتناسى الباجه جي أن أولئك المجتهدين الأذاذ، من أمثال الإمام محمد تقي الشيرازي، حين أيدوا تلك الإنتفاضات وتلك الثورات، لم يؤيدوها من أجل إيران وشعبها، إنما أيدوها

(1) الوردى، المصدر السابق، ج 5، القسم الأول، ص 349.

(2) F.O. 371/4150/129679.

ودعموها من أجل العراق وشعبه . وكان الأحرى بالباجه جي ومن هم على شاكلته من العراقيين، أن يكبروا هذا الموقف المشرف ولكن! ولكن لا ضير في ذلك طالما هناك نوبة تقرب من المحتلين الأنكليز، فلتكن الوسيلة ما تكون. على قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، المهم أن يتحقق الهدف، رئاسة وزارة أو حقيبة وزارية، وقد نالهما المتحدث لاحقا، شأنه شأن الذين نالوا من قبله أو من بعده. المهم عند هؤلاء أن يجدوا حيزا من الأصطفاف لينالوا ما يبتغون.

3 - وينبري ثالث هو سليمان فيضي⁽¹⁾ أحد المقربين من طالب النقيب والمعين من قبل إدارة المحتلين الأنكليز قاضيا في محكمة الأستئناف، بتقديم النصح للإدارة البريطانية، من خلال مقابله لغرترود بيل في حزيران عام 1920م، ينبري بالتعريض بهذه المسيرة لدمجها الدين في الدولة، ويصفها بالشغب، ويتخيل في ذهنه هيمنة شيعة تكون بمثابة كارثة فيقول؛ "إنكم لا يمكنكم أن تدعو الأمور تمضي على ما هي عليها الآن، فالشغب يأخذ أبعادا خطيرة، وإني أخشى جدا وقوع إضطراب علني، ربما ليس في بغداد بل في الألوية، ذلك لأن جميع العشائر متأثرة بما يجري. إني راغب أن يت تجنب ذلك لصالحكم وصالحنا معا". ووقفه لا بد منها على نهاية هذا النص فإذا كانت عبارة (لصالحكم) تعني المحتلين البريطانيين، فالعبارة اللاحقة (وصالحنا)، سواء يعني فيها المتحدث الحالة الفتوية؟ أم يعني فيها السائرين في ركاب المحتلين؟، ففي الحالين بشس الاختيار إختياره. ويستمر فيضي في نصحه حين يعتبر مزج الدين في الحكم من المخاطر، فيقول؛ «أنا أمقت الأجتتماعات الجارية في المساجد، وأنظر إلى مزج الدين بالسياسة على أنه من أخطر الأمور، ذلك لأن من المستحيل علي وعلى غيري معارضته». ويزيد على ذلك مقتته للشعائر الدينية، فيقول؛ «مع إني أكره المواليذ كراهية شديدة لكن أضطر للذهاب إليها». ويرى ضرورة تأسيس نوادي تعل لفصل الدين عن السياسة، فيقول؛ «سيكون من الأفضل لو أن الناس يعقدون إجتماعات مشابهة غيرها، أو يؤسسون النوادي للنقاش، وذلك لفصل الدين عن السياسة جهد الإمكان». ولا يخالفني منصف في أن هذا النوع من الحديث لو حصل لاحقا في ثلاثينيات القرن العشرين مثلا، حين بدأت الأديولوجيات الوضعية تغزو الساحة العراقية، لوسم صاحبه بالألحاد، كون أن النظرية الشيوعية لا تؤمن بوجود الأديان، والأديان عندها عبارة عن (أفيون الشعوب). وإذا نزهنا نية المتحدث عن ذلك، فهو من منطلق آخر إنما يعرض

(1) العلوي، المصدر السابق، ص 87.

بتجربة الرسول الأعظم محمد ﷺ والخلفاء الراشدين، الذين بنوا في الإسلام السياسي والإسلام الروحي دولة كبرى، إمتدت من أقصى المغرب وحتى الصين في المشرق. وينتقل فيضي إلى نوع آخر من التعريض لأروع تحالف حصل في هذا القرن وهو التحالف (الشيوعي السني) الذي ظهر بأروع صورته قبل وفي أثناء الثورة العشرينية، وشمل هذا التحالف أهم المكونات العراقية وبالخصوص العربية، من دينية وعشائرية ومدنية وعسكرية، بل راح المتحدث إلى أكثر من ذلك بتحذيره من الهيمنة الشيوعية. حيث يقول: «وإسمحوا لي أن أقول عرضاً أن الوفاق الذي يفاخرون به بين السنة والشيعة، هو ما إشمئزنا منه كثيراً، فأنا أعتبر الهيمنة الشيوعية بمثابة كارثة لا يمكن تصورها».

4 - وهناك من نسب شيعة العراق في رسالة عنوانها (العروبة في الميزان) إلى بقايا الساسانيين، وكان هذا الشخص هو عبد الرزاق الحصان، وقد إتضح أنه كان مدفوعاً من قبل ياسين الهاشمي، حتى أن شقيقه طه الهاشمي قد تبنى الحصان طيلة حياته، والحصان بموقفه هذا ومن هو ورائه، إنما يلغي عروبة مليوني شيعي، من أصل ثلاثة ملايين كان عليها العراق في تلك الحقبة كما أشار إليها ساطع الحصري في مذكراته⁽¹⁾. ولا ندري هنا؛ كيف أصبح شيعة العراق ساسانيين؟ وغاليتهم المطلقة عشائرية معروفة، كما تقدم ذكره، حتى أن قسماً من تلك العشائر تضم الشيعة والسنة معاً. ولا ندري أيضاً هل نسي وتناسى من هم وراء الحصان، كيف أنهم في فاصل زمني حاولوا الاستفادة من العشائر الشيعة، لتحقيق مآربهم السياسية الخاصة، في الثلاثينات؟، وحين تحقق لهم ذلك، تنكروا لتلك العشائر، وراح صنائعهم يوصفونهم بالساسانيين، «ألا ساء ما يصفون».

5 - حتى الشعر العربي تم التجني عليه حين إستعمل للتعريض بهذه المسيرة، للتقرب من المحتلين، ففي حفل الأستقبال المقام من قبل التابعين، على شرف قدوم بيرس كوكس إلى بغداد، راح جميل صدقي الزهاوي، يعرض بثورة العشرين وقادتها ويصفهم ببغاة الشر. كما في قصيد المديح الذي كالمها لبرسي كوكس. والتي جاء فيها:

عد للعراق وأصلح منه ما فسدا	وأثبت به العدل وأمنح أهله الرغدا
إن العراق لمسعود برؤيته	أباله من بلاد العدل قد وردا
إرأف بشعب بغاة الشر قد قصدوا	إثارة الشر فيه وهو ما قصدوا

ونجد في شعر الزهاوي هذا التبذل والضعفة لبعده عن الرجولة والشهامة العربييتين . وليس من المستغرب أن يقف الزهاوي هذا الموقف من ثورة العشرين لصالح الأنكليز ، فقد سبق له الوقوف لجانب العثمانيين حينما كان في خدمتهم ، ومدحهم بقصائد شعرية رنانة ، منها قصيدة جاءت بمئة بيت رحب فيها بوزير الحرية التركي أنور باشا ، وتغنى بمناقبه ، مضافا إليها مناقب الأتراك ، الالذين ساموا العراقيين الذل والهوان ، وبالخصوص الشيعة منهم . وقد إختارنا من هذه القصيدة بعض الأبيات نوردها هنا بما يناسب المقام :

أ أنور أنت اليوم درع لأمة	يحاربها ثلثا الأنام وأكثر
وأنتك سيف الله يمحو بك العدى	ويخذلهم حتى يموت التجبر
قدمت على رحب لبغداد أنها	لفضلك في هذي الزيارة تشكر
ليهنك أن الفوز في الكوت شامل	وإن فريق البغفي أصبح يؤسر
وما هذه في الدهر أول مرة	رأى الحق فيها الأنكليز فأنكروا ⁽¹⁾

وللرد على هؤلاء المتقولين نقول لم نجد أنطق من التقييم التالي ، الذي يمثل الرد الأنسب على أولئك المتزلفين المتقلبين بين المواقف الإقليمية والدولية ، بين الأتراك وبين الأنكليز ، ومن المصادفات العجيبة أن هذا التقييم جاء من أسياذ المتزلفين ، من الأنكليز أنفسهم ، حين راحوا يؤكدون على عمق التأثيرات التي أحدثتها مسيرة الشيعة السياسية والجهادية ، بقمتها الممثلة بثورة العشرين المعطاءة . ويعترفون صراحة بما فرضته عليهم هذه الثورة ، من التسليم بمنح العراق حريته وإستقلاله الوطني ، وإقامة دولته الحديثة . تقول المس بيل فيما قل ودل في رسالتها المؤرخة في 19 أيلول 1920م :

«لم يكن يدر بخلد أحد ، ولا حكومة صاحبة الجلالة ، أن يمنح الراق الحرية التي ستمنحهم إياها ، نتيجة الثورة» - ثورة 1920 -⁽²⁾ .

وعن تأثيرات هذه المسيرة على صانعي السياسة البريطانية ، ينقل لنا نظمي عن أ . س . كلايتن قوله :

«يمكن القول بأن الأنفاضة كانت ثورة حقا ، وذلك نظرا لتأثيرها على الجهاز الصانع للسياسة البريطانية»⁽³⁾ . .

(1) العلوي ، م . س ، ص 12 .

(2) د . الوردى ، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 288 . نقلا عن : جريدة صدى الإسلام ، في عددها الصادر في 19 رجب من عام 1334 هجري .

(3) نظمي ، المصدر سابق ، ص 399 .

وحيث أن من الأسباب المباشرة لقيام مسيرة الشيعة الجهادية، هو التصدي للمحتلين البريطانيين الذين إحتلوا العراق على ثلاث مراحل بين 1914، 1917، 1918م⁽¹⁾. وتثبيتاً لمبدأ التأثير الذي أحدثته هذه المسيرة على صانعي السياسة البريطانيين، كما ذهب إليه كلايتن أعلاه، فقد ورد في مذكرة لوزارة الحربية البريطانية ما يجسد ذلك. فمما جاء في المذكرة نورد منها هذا النص:

«إن فكرة الاحتفاظ بقوات في ما بين النهرين أو فارس لأجل الدفاع عن الهند هي خاطئة بصورة جذرية، ولم يدر أبداً بخلد - حكومة صاحب الجلالة -»⁽²⁾.

حتى الصحافة الملقبة في الغرب بصاحبة الجلالة، لم تكن في منأ عن الاعتراف بأن مسيرة المجاهدين، ليست مسيرة متمردين، حيث تقول:

«مهما حاولنا إعتصار الكلمات، فلا يمكننا تسمية المشاركين في الثورة بالمتهمين»⁽³⁾.

المبحث الثالث: (النتيجة الكبرى) وتأثيراتها على طبيعة قيام الدولة العراقية الحديثة:

إن النتيجة الكبرى التي ترتبت جراء المسيرة السياسية والجهادية لشيعة العراق، وتأثيراتها على طبيعة قيام الدولة العراقية الحديثة، يمكن تلخيصها حسب توالي الأحداث. وتنحصر هذه الأحداث بما يلي:

1 - بعد أن فشلت ثورة الشريف الحسين في تحقيق مشروع الإستقلال الناجز للأمة العربية، وإقامة دولتها العربية الواحدة الموحدة، وبعد المسيرة العراقية الطويلة من الصراع المتداخل مع كل من الأتراك والأنكليز، وبعد إنكفاء المشروع التركي بإنتصار دول الحلفاء وخروج تركيا مهزومة في الحرب العالمية الأولى، بتوقيعها هدنة عام 1918م، أصبح العراق ضمن نفوذ المشروع البريطاني الإستعماري، بموجب صك الأنتداب الذي أقر في سان ريمو في 25 نيسان عام 1920م.

2 - ظل الأمل يراود غالبية العراقيين ذوي النسب الأصيل، ومنهم شيعة العراق، بناء المشروع العراقي، بتأسيس دولة عراقية دستورية برلمانية ديمقراطية حديثة، يشارك

(1) نظمي، المصدر السابق، ص 399.

(2) F.O.371/5232/E.15721.

(3) صحيفة التايمز اللندنية الصادرة في 16 آب عام 1920م.

الجميع في بنائها وقيادتها، كل من موقعه وإختصاصه، دون الالتفات إلى المسألتين العنصرية والطائفية، بل التمسك بالولاء إلى الوطن لا إلى الأجنبي ولا إلى المسألة الفئوية، لأن الهاجس الوطني كان الدافع الحقيقي الأقوى في نفوس الغالبية المطلقة من العراقيين، من أجل التحرر والإنعتاق، في ظروف وأجواء حساسة ودقيقة كان يعيشها العراقيون. إلا أن إصرار المشروع البريطاني بالسيطرة على العراق، عرقل حتى المشروع القطري، بعد أن عرقل المشروع القومي من الأساس.

3 - إعتد المشروع البريطاني في نهجه الإستعماري، إضافة لقاعدة سياسة فرق تسد كما أسلفنا، على قاعدة ثانية لا تقل خطورة عن الأولى وهي قاعدة (الغاية تبرر الوسيلة)، وهي قاعدة عامة طالما عمل بها كل أنماط المستعمرين. لذا نلاحظ أن المشروع البريطاني ضمن فاصل نتائج المواجهة، لم يتورع في سلوك أية وسيلة للوصول إلى تحقيق أهدافه. وبناء على القنوات التي تجمعت عند الأنكليز، وبالخصوص بعد ثورة العشرين، التي توجت مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، والتي أضمرت الحقد والكراهية في نفوس البريطانيين ضد شيعة العراق، فقد عمل المشروع البريطاني على إقامة حكم يقوم على أساس حكم نخبة الأقلية. وبهذا الصدد يقول د. فرهاد إبراهيم «ولو أن السلطة السياسية بعد تأسيس الدولة، لم تمثل في الأقلية العربية السنية، لكان لهذا الشعب أهمية سياسية عظيمة»⁽¹⁾.

4 - وهكذا تم لنخبة الأقلية التي تحولت إلى آلية للتنفيذ في يد المشروع البريطاني، إرساء بناء الدولة العراقية الحديثة بالتعاقب، على مرتكزات تخدم مصالحهم الذاتية والفئوية إضافة إلى خدمة مصالح أسيادهم الأنكليز.

5 - وإذا أخذنا الحكم الملكي كمثال لما يدعى بالحكم الوطني، كما وصف من قبل المريردين، ولتجاوزنا مسألة رئاسة الدولة من قبل الراحلين فيصل الأول وغازي الأول وفيصل الثاني، من حيث أن سلطتهم مصنونة وغير مسؤولة، كون أن إدارة دفة الحكم الحقيقية في العراق في تلك الحقبة، تتجاذبها عدة قنوات. إلا إننا نرى أن حالة العزل السياسي لنخبة الأكثرية شاخصة ودالة على العزل شبه الكامل، في حين تمتعت نخبة الحكم الموالية للمحتلين الأنكليز، بكل الامتيازات السياسية الحساسة بالدولة.

أن المحتلين البريطانيين، أقاموا الدولة العراقية الحديثة، منذ اللحظة الأولى، على أساس الفهم الفئوي الموالي للأنكليز. ولقد عمق الأنكليز بوجود آلية التنفيذ من نخبة

(1) د. إبراهيم، فرهاد، م. س، ص 455.

الحكم، الحالتين الطائفية والعنصرية في نهج الدولة العراقية الحديثة. وقد أدى فرضوفي ضوء هذا الأستعراض الإجتماعي والسياسي، الذي إستوعبته هذه الواقع، أن ظلت الفئات الأخرى وبالخصوص الشيعة لكثرة مساحتها، عماد الدولة ورافدها الرئيسي في المناصب الدنيا والوسطية غير الحساسة، من أجهزة ومؤسسات الدولة والجيش، وإن كان هناك وظيفة ومركز حساس فهو النزر اليسير. وأما المناصب القيادية الحساسة السياسية منها أو العسكرية، فقد بقيت غالبا محصورة في أيدي نخبة الحكم والسلطة، والذي جرى سنة في إمتداداتهم عبر الأجيال. لذا كانت ظاهرة هذا الفهم من أبرز سمات البنية التحتية للنظام الجديد التي ظلت آثارها تتعمق جيلا بعد جيل. ونحن بهذا لا نتجنى في أحكامنا على أحد، كون أن ما نطرحه هو وقائع معاشة، وحتى لا نتهم بالتجاوز، نحاجج المهتمين بهذا الشأن، بإدلة قاطعة لعل من أبرزها، عرض حالتين مختلفتين بعض الشيء من زاوية الثقافة العلمية والبنية الإجتماعية كنموذج لتحليلاتنا:

2 - تكليف عبد الرحمن النقيب برئاسة ثلاث وزارات متتالية، بداية مايسمى بالعهد الوطني من 27 تشرين الأول 1920 - 9 أيلول 1921م، ومن 10 أيلول - 19 آب 1922م، ومن 30 أيلول 1922 - 15 تشرين الثاني 1922م⁽¹⁾. والمعروف عن النقيب أنه من النخبة الدينية، بإعتباره سادن الحضرة الكيلانية، وممثل القادرين في العراق، أما دراسته فهي لا تتعدى دراسة العلوم الدينية والعربية. وعندما يتحدث البصير عن ترجمة لحياة النقيب يقول: «ولد السيد عبد الرحمن أفندي النقيب من ابوين قادرين ببغداد في أول رجب سنة 1262هـ، وقد ترعرع في هذه الحاضرة»⁽²⁾. . . ومن الجدير بالإشارة إليه أن النقيب بالوقت الذي كان فيه من المؤيدين والمقربين للعثمانيين، ونال الحضوة لديهم حيث كان عضوا في محكمة التمييز وعضوا في مجلس إدارة ولاية بغداد. حتى أن النقيب وإستجابة لطلب الوالي ناظم باشا، أصدر ومجموعة من خاصته من العلماء؛ فتوى تدعو العشائر للأنصياع للسلطة العثمانية⁽³⁾. إلا أنه تحول عنهم تحولا كبيرا نحو الأنكليز، منذ بدايات إحتلالهم للعراق، وأصبح من المندفعين بكل قوة في تأييدهم وتنفيذ أوامره، خصوصا حين أظهر مقنا شديدا للثورة والثوار العشرينيين، منتصرا للإنكليز على أبناء جلدته، ومعارضاً إقامة حكومة عربية. حتى

(1) بصري، مير، أعلام العراق خلال القرن العشرين، (ط1)، رياض الريس للكتب والنشر، لندن،

1985م)، ص 61.

(2) د. البصير، م. س، ص 155 - 156.

(3) بصري، م. س، ص 59.

إن النقيب راح إلى أبعد من ذلك حين طالب بإبقاء العراق تحت الحكم الأنكليزي المباشر، وهو ما دفعه بالوقوف بوجه التنظيمات والجمعيات السياسية العربية، التي كانت تطالب بالإستقلال والسيادة العربية للعراق، ووقف حائلا حتى ضد السماح للضباط العراقيين الموجودين في سوريا المجيء إلى بغداد كونهم من دعاة الإستقلال، كما تقدم ذكره. وقد منحه ملك الأمبرطورية البريطانية وساما رفيعا، تقديرا لخدماته، ويشير د. البصير لذلك قائلا: «بأن جلالة الملك جورج الخامس ملك بريطانيا قد قدر خدمته الجليلة حق قدرها؛ فأنعم عليه بوسام الإمبراطورية البريطانية السامي من الدرجة الأولى»⁽¹⁾. ورغم أن الأنكليز منحوه ثلاث فرص لتشكيل ثلاث وزارات متتالية، إلا أننا عثرنا على نص يقيم لنا مكانة النقيب الإجتماعية دون السياسية، كما يراها أحد المصطلعين في الشأن العراقي، وهي مس بيل، إذ تقول عنه؛ «إنني متأكدة أن النقيب لن يكون مقبولا هنا . . . وهو قلما حسب له حساب هنا أبدا، إلا كعامل ديني، وهو ليس شخصية سياسية»⁽²⁾. وعلى ما يبدو أن حكومة مس بيل كانت لها قناعات مختلفة، بدليل تعيين النقيب رئيسا لثلاث وزارات متتالية. والسؤال الذي يفرض نفسه هنا هو كيف يحق للنقيب ذلك؟، ولا يحق للشخصيتين العربيتين عبد الكريم الجزائري، ومهدي الخالصي؟، على سبيل المثال لا الحصر، أن يتبوأ مناصب مثلما تبوأ النقيب. في حين انهما عالمان مجتهدان، وإن مرحلة الأجتهد درجة علمية لا ينالها إلى ذو حظ عظيم، وقد سبق أن أشرنا لأهمية الأجتهد في الأمة في الباب الأول من هذه الدراسة، والمجتهد ربما إستهلك أكثر من نصف قرن من عمره، حتى نال هذه الدرجة العلمية المتقدمة. أن السبب في ذلك هو أن الجزائري والخالصي ومن هم في سياقهم من المجاهدين، في حين أنهم ناصبوا المحتلين البريطانيين التصدي والمواجهة، من أجل إستقلال العراق، وإقامة دولته. جبل الآخرون على التبعية والمهادنة فنالوا الحظوة والسلطة.

3 - وضع هذه المقارنة في ميزان العدالة، فإن هناك أربعة من نخبة الأقلية تقمصوا رئاسة سبعة وعشرون وزارة، وهم كل من عبد الرحمن النقيب «ثلاث وزارات»، وعبد المحسن السعدون «أربع وزارات» ونوري السعيد «أربعة عشر وزارة» وجميل المدفعي «ست وزارات»⁽³⁾. أي نصف الوزارات التي تقمصتها نخبة الأقلية، البالغة أربعة وخمسين وزارة.

(1) د. البصير، المصدر نفسه، ص

- كما أشار مير بصري لذلك أيضا في كتابه المتقدم ص 61، بمنح النقيب وسام الأمبراطورية البريطانية برتبة فارس عام 1920 م .

(2) مس بيل،

(3) بصري، مير، م .س، ص 126، 146، 154، 158.

في حين تقلد أربعة من نخبة الأكثرية رئاسة خمسة وزارات فقط، وهم كل من محمد الصدر «وزارة واحدة»، ومحمد فاضل الجمالي «وزارتان»، وصالح جبر «وزارة واحدة»، وعبد الوهاب مرجان «وزارة واحدة»⁽¹⁾، من المجموع العام للوزارات الملكية، البالغ تسعة وخمسون وزارة. وهناك جملة تساؤلات تفرض نفسها في هذه المقارنة وهي هل ياترى أن هؤلاء الأربعة من نخبة الأكثرية الذين كلفوا بتأليف خمسة وزارات، كانوا غير مؤهلين لهذه الرئاسة؟ أم كانوا عازفين عنها؟ فإذا كانوا مؤهلين بتقييم المكلف (بكسر اللام)، وغير عازفين عنها بدليل قبولهم التكليف، فالأ يكفي ذلك أن يتم تكليف بعضهم وليس كلهم، بما كلف به الأربعة من نخبة الأقلية بالترار المشار إليه أعلاه، لتكون المعادلة قريبة للواقع؟ علما بأن جل الذين تقلدوا رئاسات الوزارات من الفئتين كانوا ضمن حلقات المتعاونين مع الأنكليز أو محسوبين على البلاط، سواء في عهد إستيزارهم، أو خلال مسؤولياتهم اللاحقة وهل أن أرحام حرائر الشيعة قد عقت عن إنجاب من هم أهل لمثل هذا التكليف وهذه المسؤولية؟ والجواب هو أن هذه الفئة لو إفترضنا مجرد إفتراض أنها كانت تفتقد للمؤهلين في فترة جيل الدولة الأول ممن تثقفوا ونهلوا من معاهد الثقافة التركية، إلا أن تأريخ الفئة المعزولة، قد عرف بأنه ضم نخبة كبيرة من المؤهلين ممن تمكنوا الحصول على شهادات عليا، في مختلف العلوم من معاهد عربية وأوربية وأمريكية، خلال فترة الثلاثينات⁽²⁾. وإذا كانت نخبة الحكم قد كلفت بأربعة وخمسين تكليفا لرئاسات الوزارات أفلم يكن من العدل إشراك عدد من نخبة الأكثرية في تكليف رئاسات الوزارات، وفيهم نخبة مارست مسؤوليات رفيعة، وتقلدوا وزارات مختلفة، سواء بصورة مفردة أو مكررة، وأثبتوا جدارة وأمكانية في مجال مسؤولياتهم؟ ولو مررنا على طبيعة توزيع الحقايب الوزارية لغالبية الوزارات، التي تشكلت أبان العهد الملكي، لوجدنا أن غالبية الوزارات الحساسة والمهمة، ورئاسة الأركان

(1) ن . م، ص 110، 209، 234، 285.

(2) ومنهم على سبيل المثال لا الحصر السادة: محمد فاضل الجمالي (دكتوراه / أمريكا)، طه باقر (دكتوراه / أمريكا)، محمد مهدي البصير (دكتوراه / فرنسا). مصطفى جواد (دكتوراه)، صالح حيدر (دكتوراه / إنكلترا)، حسن حسين (دكتوراه)، فخري كبة (بكلوريوس / أمريكا)، صالح كبة (بكلوريوس / أمريكا)، محمود حسن جمعة (بكلوريوس / أمريكا)، علي الحاج محمد (بكلوريوس / أمريكا)، يوسف الأزري (بكلوريوس / أمريكا)، عبد الرسول الجمالي (بكلوريوس / أمريكا)، حميد بلال (بكلوريوس / أمريكا)، ناظم الجلي (بكلوريوس / بيروت)، كامل طه السعيد (بكلوريوس / أمريكا)، عزيز مهدي (بكلوريوس / بيروت)، محمد طه السعيد (بكلوريوس / أمريكا). عبد المجيد عباس (دكتوراه / أمريكا).

والقوة الجوية والكلية العسكرية وكلية الشرطة وكلية الأركان والأستخبارات العامة، كانت محصورة في رجالات بقايا ذلك الجيل من نخبة الأقلية وإمتداداته⁽¹⁾. أما في السياق الآخر فإذا ما أغفلنا الجانب الفتوي، وأخذنا الجانب الوطني المعارض لرأينا، بأنه لم يكن لرجالات المعارضة الوطنية من فتى الشيعة والسنة على السواء أي نصيب يذكر في ترأس أية وزارة، نعم كانت هناك مشاركات محدودة جدا، في بعض المناصب الوزارية، وفي فترات متباعدة، وظروف دقيقة وحساسة. ولكن كان هناك ثمة نصيب وافر لكل رجالات المعارضة الوطنية، على إختلاف توجهاتها السياسية والفكرية وإنتماءاتها السذھبية والدينية، من أنواع المضايقات والأعتقال والسجن والإبعاد وإسقاط الجنسية والأعدام، بل وحتى المحاربة في الأزواق⁽²⁾. ومما لا ريب فيه أن هناك سبب ومسبب قويان كانا وراء هذه الحالة، وإن السبب والمسبب لهذا الوضع الشاذ لا يحتاجان إلى عناء كبير. فالسبب هو الفهم والنهج الطائفي والولائي الذي أنشأت عليه الدولة العراقية الحديثة. أما المسبب فهم أهل الحل والعقد المستعمرون البريطانيون. وعليه يمكن التحقق عن النتيجة الكبرى التي توصلنا إليها بخصوص الفهم والنهج الذي أقيمت بموجبه الدولة العراقية، من خلال الحديثين التاليين:

أ - الحديث الأول: من ذاكرة الراحل صلاح الدين الصباغ، وهو في رحاب الله، بعد أن حكم عليه بالإعدام من قبل المواليين الأنكليز وبتوجيههم، بسبب حركته العربية المناهضة للأنكليز عام 1941م، وقد كان قبل إعدامه يتنقل بين فيافي وقفار أرض الغربية، في هروبه الذي قارب الخمس سنوات عانى فيها الأمرين، قبل أن يسلم لجلاديه، بمؤامرة حاكتها أطراف عديدة من المواليين للأنكليز في تركيا وإيران. إلا أن وفائه لبني جلدته وهو يستعرض الذكريات في كتابة مذكراته، لم يغفل وقفة عرفان لثوار سبقوه إلى الثورة وقد أشار الصباغ لمواقف خوالد من الثورة العشرينية، إذ يقول: «تذكرت تلك البدوية المتواضعة من أطراف

(1) ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الأساتذة: (محمد جعفر أبو التمن ومحمد مهدي كبة وصادق البصام وعبد المهدي المنتفجي وعبد الكريم الأزري وسعد صالح) وعبد الغني كبة ورايح العطية وعبد الهادي الجلي وعبد المحسن شلاش وعبد الأمير الأزري وعبد المجيد محمود ورشدي الجلي وعبد الأمير علاوي ورؤوف البحراني وعبد الرسول الخالصي وصالح البصام وعبد الغني الدلي، وعبد المجيد علاوي.

(2) ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: من قادة حزب الاستقلال كل من الأساتذة؛ محمد صديق شنشل، فائق السامرائي، غالب الناهي وعبد الرزاق شبيب. ومن قادة الحزب الوطني الديمقراطي كل من الأساتذة؛ كامل الجادريجي، محمد حديد، حسين جميل. إضافة لذلك الأسماء الستة الأوائل المذكورين في هامش / 77.

العرب، التي أثارت النخوة في العشائر العربية أيام الثورة العراقية - يقصد ثورة العشرين - إذ صرخت ونساء الحي من خلفها يصرخن: ويلاه يا عرب ويلاه... أيتها كوكس حرمتنا؟ فحثت أبناء عموماتها من العشائر العربية في الديوانية على الإقبال بعد أن أدبرت أمام الجيوش الأنكليزية بقيادة كوكس طاغية الاستعمار، فكان للبدوية ما تمت، وجابهت العشائر الحديد والنار في موقعتي العارضيات والرارنجية، وكان النصر فيهما حليف العرب بدلا من الذل والعار. لم يكن نوري يومذاك حامي بيضة العراق، ولا جعفر، ولا جميل، ولا جودت، ولا بابان، لكي يتقلدوا فيما بعد الزعامة، ويستمتعوا بالقصور ويملكوا الأطيان، ولكن شاءت مقادير الأله منذ عهد العباسيين أن يغرس العرب ليجني غيرهم ثمار غرسهم، لذلك كان مصير الأحرار العرب وشيوخها في العراق الإنزواء أو السجن أو القبور؛ هذا مصير شعلان أبو الجون وعبد الواحد سكر⁽¹⁾.

ب - الحديث الثاني: من قناعة البرفسور الفرنسي المعروف بيير جون لويوارد عن هذه النتيجة، التي يقدم لها قائلاً: «كنت مهتما بالعراق لكونه مهد التشيع، بيد أن الغش الكبير الناتج عن نظام الهيمنة الطائفية في البلد، هو بالتحديد الذي حفز أبحاثي». ويستطرد لويوارد في تحليله لهذه النتيجة، فيقول: «عندما عرف العراق العربي تمردات عسكرية، هي الأكثر كثافة وأتساعاً لأي تاريخاً في المنطقة، أبان مرحلة الجهاد ضد الغزو البريطاني (1914م - 1918م) وكذلك أثناء ثورة العشرين ضد الانتداب. وقد إستجاب عموم الشيعة وبكثافة ملحوظة لنداءات قادتهم الدينيين، ونظراً لهزيمتهم من قبل القوات البريطانية فقد باتوا يشغلون مكان المهزوم في النظام السياسي الجديد، الذي أسس عام 1920، وخصص للنخب السنية إحتكار السلطة، حتى إن هذه النخب قد إعتبرت فيما بعد، أن السلطة حق من حقوقها، بحكم ماضيها في خدمة الدولة العثمانية. إن الدولة العربية الجديدة قد وعدت هذه النخب بالبقاء في السلطة مقابل ولائها للبريطانيين. إن النظام السياسي العراقي الذي ولد مع تأسيس الدولة العراقية عام 1920، قد أعاد إنتاج عددا من سمات النظام العثماني»⁽²⁾.

(1) الصباغ، صلاح الدين، فرسان العروبة، (ط1)، تانيت للنشر والتوزيع، 1994م، ص 281، 282.

(2) مقتبس من مقابلة أجراها معه في باريس السيد أحمد جواد، ممثل جريدة (نداء الرافدين الدمشقية)، والمنشورة في عددها / 118 الصادر في دمشق، بتاريخ 15 كانون أول عام 1995 م.

المبحث الرابع: الشيعة وقيام الدولة العراقية الحديثة وسلطة الحكم:

في ضوء النتائج التي أفرزتها الحرب العالمية الأولى، أعلن الرئيس الأمريكي ويلسن Wilson في 8 كانون الثاني من عام 1918م، لائحته المشهورة بإسمه (لائحة ويلسن) التي تضمنت أربعة عشرة مادة، وكانت المادة الثانية عشرة من هذه المبادئ تؤكد على ضرورة منح حق تقرير المصير لسكان الأقاليم التي كانت خاضعة للأتراك. وقد رأينا أن العراقيين جهدوا أنفسهم لنيل الإستقلال التام لكنه رغم صدور التصريح (الأنكلو- فرنسي) في الثامن من تشرين الثاني عام 1918م. والذي جاء فيه:

«إقامة حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من ممارسة السكان المحليين لمبادرتهم وإختيارهم بحرية. وإن فرنسا وبريطانيا العظمى توافقان على تشجيع ودعم إقامة حكومات وإدارات وطنية في سوريا وفيما بين النهرين»⁽¹⁾.

إلا أن المحتلين لم يمكنوا سكان العراق القيام بإختياراتهم بحرية حقيقية، وإرادة مستقلة، كما شاهدنا ذلك في عملية الأستفتاء المشوه الذي جرى عام 1918-1919م. وبعد مخاض طويل من مواجهة العراقيين وتصديهم للمحتلين، والتي ختمت بثورة العشرين المجيدة، اضطرت السلطات البريطانية في إقامة إدارة حكم وطني نسبي ولكن بشروطهم ومواصفاتهم. ولا يخفى أن شكلا من أشكال الدولة الحديثة كان قد بدأ فعلا عند قيام أول إدارة عراقية عام 1920م، وذلك بقيام أول حكومة عراقية رأسها عبد الرحمن النقيب، رغم صورية هذه الحكومة لأنها لم تمتلك ناصية أمرها، كونها كانت مسيرة من قبل مستشارين بريطانيين، حيث كان لكل وزير عراقي من أصحاب الحقب الوزارية، مستشاره البريطاني الخاص.

وحين يكون المستشار للإستشارة وربما يكون الأمر مقبولا، لكن حين يكون الحل والعقد كله بيد المستشارين فهو أمر مرفوض تماما. ولم يكن بين وزراء النقيب سوى وزير شيعي واحد، أسوة باليهود والمسيحيين. من هنا كانت البذرة الأولى بعزل الشيعة سياسيا، ولم يكن هذا العزل مرده النقيب، بل كان بتوجيه بريطاني، والذي جاء عرضا بما يتناغم وطبيعة موقف النقيب من الشيعة. كما صاحب ذلك بروز إهتمامات غير عادية بين بعض الرموز العراقية مثل؛ عبد الرحمن النقيب نقيب بغداد، وطالب النقيب نقيب البصرة، والشيخ خزعل شيخ المحمرة حول نيل المركز القيادي الأول في الدولة الحديثة. إلا أن عدم

وجود الشخصية الجامعة للشرائط والمؤهلات المطلوبة لسد هذا الفراغ، بما يمكن أن يستوعب الحالة العراقية، مما دفع بنخب العراقيين الإهتمام الملحوظ بصيغة الحكم ورمزيته لحكم العراق، ورغم وجود تباين في الآراء بهذا الصدد بين هذه النخب، إلا أنها أجمعت بمحصول الأمر على صيغة حكم عربي يقف على رأسه أحد الأمراء من أبناء الشريف حسين، ومع ذلك نجد أن هذا الإجماع جاء بصورتين مختلفتين سبق الإشارة إليهما بالتفصيل:

الصورة الأولى:

أن تكون هذه الصيغة مقيدة بمجلس تأسيسي، ودون الإلتزام بإستشارة أو وصاية أجنبية، بل يترك الأمر للأمة تقرره بما يتلائم ومصحتها عبر المجلس التأسيسي. وقد أيد هذه الصورة المدن المقدسة الشيعية ومنطقة الفرات الأوسط، بغالبية نخبها العلمائية والعشائرية والسياسية، إضافة لحركة الأستقلال البغدادية الممثلة في حزب الحرس من شيعة وسنة.

الصورة الثانية:

أن تكون هذه الصيغة مقيدة في إستشارة أو وصاية أجنبية وبالتحديد بريطانية، وقد أيد هذه الصورة بالدرجة الأولى نخب من السنة من رجال دين ووجهاء في بغداد والبصرة، ومجموعة من الضباط المنتهين إلى جمعية العهد، إضافة لبعض وجهاء ورؤساء عشائر من الشيعة والسنة، مع تأييد من اليهود والمسيحيين، وبما ينسجم ومصالح البريطانيين.

من هذا نخلص إلى أن الطريق كان ممهدا للصيغة الملكية، المحصورة في أحد أبناء الشريف حسين. ومع ذلك فإن تنصيب فيصل الأول ملكا على الدولة العراقية الحديثة، في 23 آب 1921م، قد مر بمسار فيه بعض التعقيدات إضافة للهواجس التي صاحبته. فمثلا أن المس بيل حين سألت عبد الرحمن النقيب ذات يوم عن رأيه في إسناد عرش العراق إلى احد انجال الشريف حسين رد عليها النقيب قائلاً:

«أما بالنظر إلى الحكومة العراقية فإن مقتي للإدارة التركية الحالية، معروف لديكم، إلا اني أفضل عودة الترك ألف مرة، على ان ارى الشريف أو أحد أنجاله يحكمون هذه البلاد»⁽¹⁾.

وعلى اية حال لم يكن أمر إجماع غالبية نخب العراقيين على فيصل في محصلة الأمر هو الأساس، إنما الأساس الأول مر عبر إرادة بريطانية، ومن ثم إرادة عراقية لكنها إرادة مجتزأة، كونها حصرت بطبقات الوجهاء، عبر مضابط خاصة. لذا لم يكن إختيار فيصل

(1) الحسيني، الوزارات، ج 1، ص 48. نقلا عن: السير أي. تي ولسون، في مذكراته، ص 340.

لعرش العراق محض صدفة، بل لذلك مقدمات عدا ما ذكرنا، فحين خسر فيصل عرش سوريا، كانت بريطانيا على موعد لتعويضه بعرش آخر، وبالخصوص بعد أن تيقن لها استحالة حكم العراق بصورة مباشرة من قبلهم، وهو الأمر الذي فرضته عليهم مسيرة الشيعة السياسية والجهادية المخضبة بالدم، كما أسلفنا الحديث حولها. وهناك من ذهب بالرأي حول الشيعة نه من الواضح أن الشيعة بالتمرد الذي قادوه، ومطالبتهم بالاستقلال التام، لم يتركوا للإنجليز أية احتمالات لإشراكهم في السلطة في الدولة الجديدة. ويستطرد الباحث في إبداء رأيه بهذا الخصوص فيقول:

«وبالتأكيد لم يكن إستبعاد الشيعة سببه الأنكليز، في تحريك الصفوة الشيعية للتعاون معهم، ولكن سببه في الغالب أن المقاومة الشديدة لكل من الأقلية الكردية، والأغلبية الشيعية، حتمت على الأنجليز تسليم السلطة السياسية للأقلية السنية العربية»⁽¹⁾.

نحن نعتقد أن هذا الرأي ليس دقيقا تماما ويمكن مناقشته من عدة جوانب؛ فرغم أن ماورد فيه حول تمرد الشيعة ومقاومتهم الشديدة للمحتلين البريطانيين، هو واقع الحال، وهو الذي فرض على الأنكليز قيام الدولة العراقية الحديثة، إلا أن هناك شرائح مختلفة من الشيعة سبق الإشارة إليهم، لم يكن لهم دور يذكر في هذا التمرد، وتلك المقاومة الشديدة، بل كان لهم دور مؤيد لحكم بريطاني مباشر، أو على أكثر تقدير حكم عربي بإشراف ووصاية بريطانية. والسؤال الذي يطرح نفسه بهذا الصدد، ألم يكن لمثل هؤلاء الشيعة حضوة لدى الأنكليز، كي يعتمدوا عليهم، أو يشاركوهم مشاركة محسوسة على أقل تقدير في السلطة والحكم، أسوة بالآخرين من نخبة الحكم المؤيدين للمحتلين الأنكليز؟ والجواب على هذا التساؤل يندرج في طريقة حسابات الأنكليز بين الربح والخسارة، أيهما يحقق لهم نتائج أفضل. ونحن بذلك نذهب إلى أن الرأي الأكثر تصويبا في هذا الصدد هو أن الأنكليز، نتيجة للمواجهة الضارية التي واجهتهم بها الأغلبية الشيعية، بنوا قناعاتهم الواقعية، بالاعتماد المباشر على قاعدة حكم الأقلية، لأنها الطريق الأسلم والأنجع لضمان مصالحهم وإستمرارها. وإن من أدلتنا الواقعية الملموسة لهذا التحليل، هو قيام السلطات البريطانية في العراق بمد الجسور حتى مع من ناصبهم العدا من نخبة الأقلية بدءا، سواء أثناء صراع البريطانيين مع العثمانيين، حين حارب بعض العراقيين لجانب العثمانيين ضد البريطانيين، أو أثناء الصراع الوطني مع المحتلين البريطانيين، وذلك عن طريق السماح لهم لاحقا عندما

(1) المصدر السابق.

إقتضت الضرورة بالموافقة على عودة من كان منهم في خارج العراق، حتى من كان محكوماً منهم، بأحكام مختلفة، إضافة للذين في الداخل، ويمكننا غالبيتهم من تقلد مراكز مرموقة ووظائف مختلفة أثناء تأسيس أول حكومة إدارية، عام 1920 م، أو خلال الفترات اللاحقة، بعد قيام الدولة العراقية الملكية، عام 1921 م. وإن تلبية هؤلاء وإستجابتهم لرغبات السلطات البريطانية سواء التلبية المباشرة أو عن طريق الملك فيصل، دليل يؤكد الحالة المصلحية الفئوية التي دفعتهم لهذه الإستجابة، وإلا ما الذي إستجد في الأمر، والمحتل هو المحتل، والإحتلال هو الإحتلال. ولعل أبرز من تم إستقطابهم بالصورتين آنفتي الذكر، ليكونوا قاعدة للحكم الموالي للأتكليز، هم ثلاث مجموعات، نحاول هنا تسليط الضوء وبصورة مختصرة على تراجم حياتهم بخصوص ما تبوءوه من مناصب رفيعة ووظائف مرموقة على عهدي العثمانيين بدءاً، والمحتلين البريطانيين لاحقاً، وهو الأمر الذي يؤكد إزدواجية المواقف والولاءات.

1 - المجموعة الأولى: طبقة الأشراف والوجهاء، مثل:

أ - عبد الرحمن النقيب: عين عضواً بمحكمة التمييز، ومجلس إدارة ولاية بغداد في عهد العثمانيين. وتقلد منصب نقابة الأشراف في حزيران عام 1898م، وتحول عن العثمانيين حين أصبح في محيط الضد، ففي عهد الإحتلال البريطاني، كلفه المندوب السامي البريطاني برسي كوكس تأليف أول وزارة، ولم يكن النقيب راغباً بتصيب فيصل ملكاً على العراق، إلا أنه رضخ لرغبة المحتلين البريطانيين، وبعد أن تم تنويع فيصل ملكاً على العراق، تم تكليفه بتأليف وزارتين على التوالي. وفي عهد وزارته الثالثة تم توقيع أول معاهدة عراقية - بريطانية، كبلت العراق بشروط ليس لها صلة بالسيادة والإستقلال والمحافظة على الثروات الوطنية.

ب - طالب النقيب: إنتحل النقيب لنفسه لقب (عميد العراق)، وفي عام 1912م، عين طالب من قبل العثمانيين متصرفاً للواء الأحساء، وعضواً في القسم الملكي في ديوان شوري الدولة، وأصبح نائبا عن البصرة لعدة دورات لمجلس المبعوثان العثماني. وحين وجد أن كفة البريطانيين هي التي سترجح، إنحاز لهم، وكان اول تكليف له جاء من قبل الحاكم السياسي البريطاني ولسون في آب من عام 1920م، بتأليف لجنة إعداد قانون الانتخاب وأنتخب طالب رئيساً لها، وكان هدف الحاكم السياسي من تأليف هذه اللجنة إلهاء الحركة الوطنية الأستقلالية عن مهامها، لا سيما وأن الثوار العراقيين في الفرات الأوسط بدأوا أول مشوارهم، بالألتحام بالقوات البريطانية، إلا أن قادة الحركة الأستقلالية أدركوا اللعبة التي أقدم عليها الحاكم العسكري عن طريق طالب النقيب،

ففوتوا عليهما الفرصة بعدم الأشتراك في اللجنة المذكورة، بعدها عين طالب أول وزير للداخلية في أول وزارة شكلها عبد الرحمن النقيب عام 1920م.

ت - رشيد عالي الكيلاني: عين في عهد العثمانيين معاوناً لرئيس كتاب مجلس الولاية، فربيساً لكتاب دائرة الأوقاف عام 1914م، ثم مديراً لأوقاف الموصل خلال الحرب العالمية الأولى. وبعد إنتهاء الحرب وفي عهد المحتلين البريطانيين، عين عضواً في محكمة الإستئناف عام 1921م، وتولى تدريس الحقوق الجزائية في مدرسة الحقوق، وحين كان الكيلاني متجاوباً مع نهج المسيرة البريطانية، تقلد مناصب رفيعة منها رئاسته لثلاث وزارات، ووزيراً للداخلية ثلاث مرات أصالة، وواحدة وكالة، ووزيراً للعدل أصالة وأخرى وكالة، إنتخب عضواً في مجلس النواب أربع مرات، ورأس المجلس النيابي مرتان، وعين مرتان عضواً في مجلس الأعيان، ورئيساً للديوان الملكي مرتان. إلا أنه إنحاز إلى حركة الضباط الأحرار الأربعة في مايس عام 1941م ضد الأنكليز، و رأس وزارتها، وهي الوزارة الرابعة له، وأحتفظ مع رئاسته للوزارة بوزارة الداخلية.

ث - عبد المحسن السعدون: قضى بعض طفولته وجل صباه وشبابه في تركيا، وحين تخرج وأخاه ضباطاً، عينهما السلطان عبد الحميد مرافقين له، ومنحهما رتبة بكباشي (مقدم) عام 1905م، وإنتخب بعد ذلك نائباً ثلاث مرات عن العمارة والمنتفق في مجلس المبعوثان. وإنتقل للمعسكر المضاد بإنحلال الدولة العثمانية، وزيراً أصيلاً للعدلية، ومن ثمة للداخلية في وزارتي النقيب الأولى والثانية عام 1922م، ووكيلاً لوزارات الداخلية والعدلية والمالية والخارجية والدفاع، إضافة لرئاسة ثلاث وزارات، كما إنتخب عضواً في مجلس النواب مرتان، ورئيساً له ثلاث مرات.

وفي ضوء ذلك يظهر واضحاً تقلد طبقة الأشراف والوجهاء رئاسة (عشرة وزارات)، بفترات مختلفة، بين أعوام 1920 - 1941م.

2 - المجموعة الثانية: شريحة العسكريين وجلهم من الطبقة الوسطى، مثل:

أ - نوري السعيد: تخرج من المدارس العسكرية العثمانية، وألحق كملازم ثاني في الجيش التركي السادس المرابط في العراق عام 1906م، وحين أصبح ملازماً أول دخل مدرسة الأركان، وخاض معركة البلقان في صفوف الجيش التركي عام 1912م. وحين بدأت محاكمة عزيز علي المصري من قبل الأتراك، فر نوري السعيد إلى مصر عام 1914م، وتحول بعدها لمعسكر الضد بإنضمامه لجيش الشريف حسين، ولم يكن ذلك ليحصل بغير موافقة السلطات البريطانية، فعين رئيساً لأركان حرب الجيش الحجازي، فربيساً لأركان الجيش الشمالي بقيادة الأمير فيصل، ولبلائه الحسن في المعارك ضد الأتراك،

رقي إلى رتبة أمير لواء، وحين عاد السعيد إلى بغداد عام 1921م لعب أدوارا غير عادية ضمن الخط الأنكليزي، حتى أصبح رجلهم الأول ليس في العراق فحسب بل في المنطقة، فبدأ أصبح عضوا في المجلس التأسيسي العراقي، وتقلد رئاسة أربعة عشر وزارة، وأصبح في الخامسة عشر رئيسا لوزراء الأتحاد العربي الهاشمي. وقد تقلد وزارة الدفاع أصالة مرة واحدة، وخمسة عشر مرة وكالة. ووزيرا للخارجية أصالة مرة واحدة، ووكالة عشرة مرات. ووكيلا لوزارة الداخلية خمسة مرات. ووكيلا لوزارة الأقتصاد والمواصلات مرة واحدة. وانتخب عضوا في مجلس النواب أربع مرات، وعين عضوا في مجلس الأعيان ثلاث مرات، ورئيسا له مرتان. ورئيسا للأركان العامة مرة واحدة، ومديرا عاما للأمن العام، وتقلد القيادة العامة للقوات العراقية وكالة مرتان، وعين مندوبا للعراق في عصبة الأمم، وأضيف لعهدته منصب الوزير المفوض في روما، ورفع إلى رتبة فريق، وعين مندوبا فوق العادة ووزيرا مفوضا في مصر. وفي عهد وزارته الأولى تم توقيع معاهدة 1930م مع البريطانيين، والتي جاءت أكثر وطأة من صك الأنتداب، كما تم في عهد وزارته الثالثة عشر ربط العراق بحلف عسكري عام 1955م، سمي بحلف بغداد مع كل من تركيا وإيران وباكستان وبريطانيا، كأعضاء، أما الولايات المتحدة الأمريكية فكانت بصفة مراقب وممول لهذا الحلف.

ب - جعفر العسكري: تدرج في المدارس التركية العسكرية، وتخرج ضابطا عام 1904م، خدم في الجيش التركي السادس المرابط في العراق، وتم إيفاده إلى ألمانيا للتدريب عام 1910م، وقد منح وسام الصليب الحديدي الألماني عام 1915م، وإشترك في حرب البلقان، ثم عين معلما في المدرسة العسكرية في حلب، وألتحق بمدرسة الأركان في تركيا، وعين ضابط ركن في قوات تحكيم المضائق، وكان له دور في القتال بصفوف الجيش التركي في طرابلس الغرب، وقاد هجوما على القوات البريطانية. بعدها إنتقل العسكري في الخدمة إلى المعسكر المضاد، فإنضم للثورة العربية في الحجاز عام 1917م، ولم يكن ذلك ليحصل إلا بموافقة الأنكليز، فأصبح قائدا للجيش النظامي بإمرة الأمير فيصل، وقد منحه الجنرال البريطاني اللنبي وسام القديسين ميخائيل وجورج، وعين حاكما عسكريا في عمان ثم في حلب، فكبيراً لأنماء الملك فيصل ملك سوريا، وعين أول وزير للدفاع ثلاث مرات متوالية، في الوزارات التي رأسها عبد الرحمن النقيب، وأصبح عضوا في المجلس التأسيسي العراقي، وممثلا للعراق في مؤتمر لوزان، كما عين بعدها وزيرا للخارجية مرتان، ووكيلا لوزارة المعارف مرتان، ورئيسا لمجلس الأعيان مرة واحدة، ومن ثم عين متصرفا وقائدا للقوات العسكرية في

الموصل، وتقلد رئاسة تشكيلتين وزاريتين، وعين ممثلاً سياسياً للعراق في لندن، ،
فنائبا منتخباً في مجلس النواب أربع مرات، فريسا له مرتان، وعين عضواً في مجلس
الأعيان.

ت - ناجي شوكت: تخرج من مدرسة الحقوق التركية، وعين معاوناً للمدعي العام في
محكمة بدءاً الحلة عام 1914م، وحين قامت الحرب العالمية الأولى إلتحق بدورة
ضباط الاحتياط التركية، فعين مرافقاً لقائد الطيران في الجيش التركي السادس برتبة
ملازم ثاني عام 1916م، تحول بعد ذلك للمعسكر المضاد، وبموافقة الأنكليز إلتحق
بجيش الشريف حسين، فعين مرافقاً لمولود مخلص قائد الفرقة الأولى في العقبة،
وحين جاء إلى دمشق عين مستشاراً حقوقياً في ديوان الشورى برئاسة ياسين الهاشمي،
وحين عاد إلى بغداد عام 1919م، عين لاحقاً عضواً في لجنة إعداد قانون الانتخاب،
كما عين معاوناً لمتصرف بغداد فوكيلا له، ومن ثم عين وكيلاً لمتصرف الكوت
فمتصرفاً أصيلاً، بعدها نقل كمتصرف أصيل للواء الحلة، فبغداد، فالموصل، إلى ان
عين وزيراً مفوضاً في أنقرة مرتان، وأنتخب نائباً مرتان، وأصبح وزيراً للداخلية ثلاث
مرات أصالة ومرة واحدة وكالة، وأصبح وزيراً للعدلية فوزيراً للدفاع، وكلف بتأليف
وزارته الوحيدة عام 1932م.

ث - جميل المدفعي: بعد تخرجه من المدرسة العسكرية في بغداد، إنتظم في مدرسة
الهندسة العسكرية في إسطنبول، وتخرج منها ضابطاً في المدفعية عام 1911م، شارك
في حرب البلقان بصفوف الجيش التركي، وحين عاد إلى بغداد عين مدرساً للمدفعية
في المدرسة العسكرية في بغداد، فالموصل، وحين قامت الحرب العالمية الأولى عام
1914م، إشتراك في معارك القفقاس، وبعدها قاد فوج المدفعية، وإلتحم بمعارك ضد
الجيش البريطاني في غزة بفلسطين. وتحول بعدها لجانب الضد ضمن الثورة
الشريفية، وبموافقة الأنكليز، وتولى قيادة المدفعية في جيش الحجاز الشمالي عام
1917م، وإنتهى به المطاف إلى الشام، فعين أمراً لموقع دمشق، فمستشاراً عسكرياً
للأمير فيصل، ورغم أنه قاد حركة عسكرية في تلعفر ضد المحتلين البريطانيين، وهرب
على أثر فشلها إلى شرقي الأردن، عينه الأمير عبد الله متصرفاً للواء الكرك، فمديراً
للأمن العام، فمتصرفاً للواء السلط. إلا أنه حين عاد إلى بغداد على عهد المحتلين
البريطانيين بعد أن عفوا عنه، عام 1923م، عين متصرفاً للواء المنتفق، فالعمارة،
فديالى، فبغداد، على التوالي، وكلف بتشكيل سبعة وزارات، إلا أنه شكل ستة وأعتذر
عن واحدة لظروف غير مواتية، أصبح وزيراً للداخلية أصالة مرتان ووكالة مرتان،

أصبح وزيرا للمالية مرة واحدة، كما أصبح وزيرا للدفاع مرة أصالة وأخرى وكالة، أصبح رئيسا لمجلس النواب ومجلس الأعيان لكل منهما ثلاث مرات.

ج - علي جودت الأيوبي: تخرج ضابطا من المدارس العسكرية التركية عام 1906م، عين مباشرة في الشعبة الأولى من دائرة الأركان في جيش بغداد، وعين معلما في مدرسة صغار الضباط في بغداد عام 1910م، وعند نشوب الحرب العالمية الأولى نقل كيوزباشي (رائد) مع فرقته إلى حلب، وحين أحتلت البصرة من قبل الأنكليز عام 1914م، أرسل إلى البصرة صحبة الفرقة الخامسة والثلاثون التركية، وإلتحموا مع المحتلين البريطانيين، في معركة الشعبية عام 1915م، وحين أعلن الشريف حسين ثورته في الحجاز، إنتقل الأيوبي إلى معسكر الضد في الحجاز، وبعدها عهد إليه بقيادة المفزة الشمالية، فدخل دمشق في عام 1918م، ومنها إلى حمص فحماة فحلب. عين مديرا عاما للأمن فمعمدا لبيروت عام 1920م، شارك والمدفعي في المناوشات التي حصلت مع المحتلين البريطانيين في دير الزور، إلا انه حين جاء فيصل ملكا على العراق عام 1921م، صحبه معه، فعين الأيوبي متصرفا للواء الحلة، فكربلاء، فالمنتفق، فديالى، إنتخب عضوا في المجلس التأسيسي عام 1924م، أصبح رئيسا للوزراء ثلاث مرات، ونائبا لرئيس الوزارة مرة واحدة، ووزيرا للخارجية مرتان، ولوزارتي لداخلية والمالية مرة أصالة وأخرى وكالة كل على حدة، وتقلد منصب مدير الداخلية العام مرة واحدة. أصبح نائبا في مجلس النواب عام 1930م، ورأس مجلس النواب مرة واحدة، كما رأس الديوان الملكي مرة واحدة.

ح - مولود مخلص: تخرج من المدرسة العسكرية في تركيا ضابطا عام 1911م، وحين نشبت الحرب العالمية الأولى أرسل مع فيلقه إلى حلب، ثم إلى العراق حيث شهد معركة الشعبية عام 1915م. تحول مولود إلى معسكر الضد بمجرد نشوب ثورة الشريف حسين عام 1916م، فعين مرافقا للأمر فيصل، ويبدو ان مخلص كان اول ضابط نظامي ينتظم في صفوف الثورة العربية، فأشترك في تأسيس الجيش النظامي في الحجاز، عين متصرفا لدير الزور عام 1920م، وكان عوننا للثوار على المحتلين البريطانيين في تلك المنطقة. وحين عاد مخلص إلى العراق عام 1922م، عين متصرفا للواء كربلاء عام 1923م، فعضوا في مجلس الأعيان عام 1925م، فثابا لرئيس مجلس الأعيان عام 1930م، إنتخب نائبا عن بغداد ثلاث مرات، وأصبح رئيسا لمجلس النواب حتى عام 1941م، وأعيد تعيينه عضوا في مجلس الأعيان عام 1944م.

خ - ياسين الهاشمي: تخرج ضابطا من المدرسة العسكرية في إسطنبول عام 1902م،

وواصل دراسته في الأركان التركية فتخرج منها عام 1905م، فالتحق بالجيش التركي السادس المرابط في العراق، إشتراك في حرب البلقان، عين رئيساً لأركان حرب الفيلق الثاني عشر في الموصل عام 1913م، ترأس تشكيل وزارتين، وأصبح وزيراً للدفاع ومن ثمة وزيراً للمواصلات مرة واحدة لكل منهما، أصبح وزيراً للمالية خمسة مرات، ووكيلاً لوزارة الأوقاف والمعارف كل على حدة، كما أصبح متصرفاً مرة واحدة. وكان الهاشمي من المقربين لمس بيل، وقد وضب هذه العلاقة لأغراضه السياسية، فنال حضوة الأنكليز. وفي عهده سن قانون الجنسية سئ الصيت، وتم عقد إتفاقية النفط الجائرة بحقوق الشعب، وتعرض لأنتفاضة الرميثة وقاومها بالنار والحديد، على سنة المحتلين البريطانيين.

د - طه الهاشمي: تخرج من المدرسة العسكرية في أسطنبول برتبة ملازم ثاني عام 1906م، وواصل دراسته في كلية الأركان التركية، فتخرج منها رئيس ركن عام 1909م، شارك في حرب البلقان عام 1912م، إنضم إلى جمعية العهد السرية عام 1913م، ورفع عدة مرات إلى أن وصل رتبة فريق ركن. إلتحق بالحكومة العربية عام 1919م، وعين عام 1920م، مديراً للأمن العام. وحين عاد إلى بغداد عام 1922م، عين أمراً لمنطقة الموصل، فرئيساً لأركان الجيش العراقي عام 1923م، وعين مديراً عاماً للنفوس عام 1926م، فمديراً عاماً للمعارف عام 1927م، وعين مرة ثانية رئيساً للأركان العراقية عام 1929م، إنتخب نائباً عن بغداد عامي 1937م و1939م، عين وزيراً للدفاع أربعة مرات بين أعوام 1938، 1939، 1940م، عهد إليه تأليف الوزارة عام 1941م، إشتراك في تأليف الجبهة الشعبية المتحدة، وأختير رئيساً لها عام 1951م، وعين نائباً لرئيس مجلس الأعمار عام 1953م.

ذ - نوري الدين محمود: كان محمود رئيساً لأركان الجيش العراقي، وحين حصلت إنتفاضة الشعب في تشرين الثاني من عام 1952م، تأزمت الأمور على عهد وزارة مصطفى العمري، مما حدا بالبلاط بشخص الأمير عبد الأله تكليف نوري الدين محمود بتأليف الوزارة 23 تشرين 1952 - 28 كانون الثاني 1953م.

وقد إستقيت المعلومات المتقدم ذكرها من مراجع مختلفة⁽¹⁾. ووقفه تقييم لهذه الزمرة

(1) د. نظمي، م. س، ص 100-106. ود. البصير، م. س، ص 28، 32. ود. العطية، م. س، ص 82-84 و92-95 و460. وبصري، م. س، الصفحات: 57-66 و67-75 و85-93 و94-103 و114-117 و118-125 و126-140 و141-145 و146-153 و154-157 و158-161 و162-166 و172-175 و181-186 و187-192 و202-204 و205-208 و215-220 و229-231 و232-233 و236-237.

من العسكريين من زاوية إزدواجية الانتماءات؛ فجميعهم من رموز وقادة جمعية العهد عدا الأخير. وقد تقلدوا رئاسة (إثنان وثلاثين وزارة)، من اصل (تسع وخمسين وزارة) إستوعبتها فترة الحكم الملكي في العراق. وكلهم من العسكريين كما رأينا. وليس غريبا أن نرى هذا الكم من العسكريين وقد بدأوا تقلد مراكز خطيرة وحساسة منذ بدايات قيام الدولة العراقية الحديثة، إذا ما علمنا أن الأقدام على المدارس العسكرية. قد بدأ مبكرا منذ عام 1870م، حين أسس مدحت باشا أول مدرسة عسكرية في بغداد، حتى وصل أمر المدارس ذروته عام 1914م لما أصبح عددها خمسة مدارس عسكرية في ولايتي بغداد والموصل، وزاد عدد طلابها في كلا الولايتين ليصبح 1338 طالباً⁽¹⁾. وكما أثبتنا في مكانه أن القبول في تلك المدارس كان مقتصرًا على قبول العراقيين من السنين حصرا.

3 - المجموعة الثالثة: طبقات مدنية متباينة في المستوى الإجتماعي، نشير لأسماهم فقط وهم كل من؛ حكمت سليمان، توفيق السويدي، ناجي السويدي، حمدي الباجه جي، أرشد العمري، مزاحم الباجه جي، مصطفى العمري، أحمد مختار بابان⁽²⁾. وقد تبوأ المتقدم ذكرهم رئاسة أحد عشرة وزارة عراقية.

وحتى تحكّم هذه المؤسسة الموالية للأنكليز سيطرتها، راحت تعمل على خلق مؤسسات يغلب عليها طابع الطائفية السياسية، كي تضمن تمرير ما تريد تمريره، من إتفاقيات ومعاهدات وإجراءات منافية لحقوق شعب، وسيادة وطن. فإذا وقفنا على طبيعة تشكيلة رئاسات المجلس التأسيسي ومجلسي النواب والأعيان، الذي تم ترأسهما من قبل خمسين رئيسا، لأتضح لنا أن المجلس التأسيسي ومجلس النواب الذي إستوعب سبعا وثلاثون رئيسا، كان ستا وعشرون رئيسا منهم هم من السنة، في حين كان الباقي وهم أحد عشر رئيسا هم من الشيعة. ونفس الوضع ينطبق على مجلس الأعيان فقد ترأسه ثلاثة عشر رئيسا، كان السنة منهم ثمانية رؤساء، في حين كان من الشيعة خمسة وهو ما يترجم حالة السيطرة الطائفية.

وإن هذا الأمر لم يتوقف عن رئاسة هذه المؤسسات، فرئاستها تأتي من خلال تركيبتها الطائفية، وهو ما كان يحصل على مستوى مجلس النواب، فلو أخذنا مدينة بغداد ذات الاكتضاض الشيعي، كمثال على ذلك، لأتضح لنا حقيقة السيطرة الطائفية واضحة كل الوضوح، ومن المعلوم أن هناك ستة عشر دورة نيابية قامت خلال فترة هذه الدراسة. ومن المفيد أن نستعرض طبيعة تلك الدورات، للتدليل على ما تقدم:

(1) الهلالي، عبد الرزاق، تاريخ التعليم في العراق في زمن العثمانيين، (بغداد، 1959)، ص 248-252.

(2) بصري، م. س، ص 282 - 285.

- الدورة الأولى: المنعقدة في 16 تموز عام 1925م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ من اليهود، 3 من الشيعة، 8 من السنة.
- الدورة الثانية: المنعقدة في 19 أيار عام 1928م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 3 من اليهود، 3 من الشيعة، 7 من السنة.
- الدورة الثالثة: المنعقدة في 1 تشرين الثاني عام 1930م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من المسيحيين، 2 من اليهود، 1 من الشيعة، 9 من السنة.
- الدورة الرابعة: المنعقدة في 8 آذار عام 1933م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ من اليهود، 2 من الشيعة، 9 من السنة.
- الدورة الخامسة: المنعقدة في 29 كانون الأول عام 1934م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 2 من اليهود، 3 من الشيعة، 9 من السنة.
- الدورة السادسة: المنعقدة في 8 آب عام 1935م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من اليهود، 3 من الشيعة، 12 من السنة.
- الدورة السابعة: المنعقدة في 27 شباط عام 1937م، فاز فيها النواب بالنسب التالية: 3 من اليهود، 2 من الشيعة، 11 من السنة.
- الدورة الثامنة: المنعقدة في 23 كانون الأول عام 1937م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 2 من اليهود، 3 من الشيعة، 11 من السنة.
- الدورة التاسعة: المنعقدة في 12 حزيران عام 1939م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من المسيحيين، 1 اليهود، 3 من الشيعة، 11 من السنة.
- الدورة العاشرة: المنعقدة في 9 تشرين أول عام 1943، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من المسيحيين، 2 من اليهود، 3 من الشيعة، 11 من السنة.
- الدورة الحادية عشر: المنعقدة في 17 آذار عام 1947م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من المسيحيين، 3 من اليهود، 7 من الشيعة، 12 من السنة.
- الدورة الثانية عشر: المنعقدة في 21 حزيران عام 1948م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من اليهود، 3 من المسيحيين، 6 من الشيعة، 12 من السنة.
- الدورة الثالثة عشر: المنعقدة في 24 كانون ثاني عام 1953م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من اليهود، 1 من المسيحيين، 6 من الشيعة، 12 من السنة.
- الدورة الرابعة عشر: المنعقدة في 9 حزيران عام 1954م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من اليهود، 1 من المسيحيين، 7 من الشيعة، 11 من السنة.

الدورة الخامسة عشر: المنعقدة في 16 أيلول عام 1954م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 1 من اليهود، 1 من المسيحيين، 7 من الشيعة، 11 من السنة.

الدورة السادسة عشر: المنعقدة في 14 شباط عام 1958م، فاز فيها النواب بالنسب التالية؛ 2 من اليهود، 1 من المسيحيين، 7 من الشيعة، 16 من السنة.

وهكذا ترجم المحتلون البريطانيون إعتمادهم على حكم الأقلية. وإن النهج المتقدم ذكره لم يأت من فراغ، بل له أسبابه ومسبباته؛ فإن مثل هذا النهج لطالما عمل به المستعمرون في أكثر من بلد إستعمروه، أو وضعوه تحت وصايتهم أو إنتدابهم، إذا ما تيسر لهم ذلك، ولعل من أهم أسباب هذا الأعتماذ هو أن نخبة الأقلية تكون أكثر إلتصاقا بمن يحقق لها مصالحها، رغم ما يحتمه عليهم ذلك بنفس الوقت، أن يكونوا أكثر رضوخا وعطاءا لمن يمكنهم من الأمر، فلكل موقف ثمن ولو كان ذلك الثمن هو مصلحة الأمة. ولعل من أهم الشواهد على ذلك تمرير الأتفاقيات والمعاهدات والأجراءات من قبل الحكومات والبرلمانات المتقدم ذكرها، والتي كثيرا ما كانت لصالح المحتلين البريطانيين، على حساب حقوق شعب وسيادة وطن. هكذا هو النهج الذي بنيت عليه مرتكزات الدولة العراقية الحديثة.

أما المسببات فقد أشير إليها أكثر من مرة، فهي تنحصر في صميم المواجهة التي تصدى فيها الشيعة للمحتلين البريطانيين، بمجرد ان وطئت أقدامهم أرض الرافدين، وكبدوهم خسائر فادحة في الأرواح والمعدات. إلا ان الأمة لم تكن بعيدة عن هذه الحقائق، بل أن الأمة وعت ذلك بعمق، لذا كان لحركتها السياسية المتصاعدة ومنظماتها بمختلف توجهاتها، وأطيافها الشيعية والسنية، وعبر الفواصل الزمنية المتلاحقة، مواقف رائدة ضد هذا النهج وممارساته، عبر مسيرة الأحداث.

والذي يحز في النفس أن لا يكون لدى نخبة الأقلية من سلطة الحكم، موقفا مهما ينصفوا فيه أبناء جلدتهم، ممن كان لهم سبق والختام في غمار جولة التصدي والمواجهة المسلحة ضد المحتلين البريطانيين، بين أعوام 1914 - 1920م، وكانوا سببا مباشرا في قيام الدولة العراقية الحديثة، هذه الدولة التي راح نخبة الأقلية يتمتعون في فياها بكل المراكز الحساسة، على حساب جماجم نخبة الأكثرية، نخبة التصدي والمواجهة الحقيقيين. وهكذا تثبت التجارب، أن الملك عقيم، حتى ولو كان على حساب مصلحة الأمة، وهو ما كان وما يكون بوجود من هم طوع الأمر والتبعية، ومن تحكمهم مصالحهم الذاتية والفئوية. في كل زمان ومكان. ويبقى الشعب كل الشعب هو دافع ضريبة تلك الممارسات.

نعود ونؤكد أن قرار تنصيب فيصل ملكا على العراق الحديث، كان قد تم في مؤتمر

القاهرة الذي إنعقد برئاسة تشرشل بين 12-24 مارس عام 1921م، وكان لطبيعة مؤتمر القاهرة وما آل إليه، صدى غير حسن في نفوس دعاة الأستقلال التام، من حيث أن المؤتمرين فيه إنطلقوا في إختيار فيصل من حيثيات مصالحهم وتنفيذها. لا سيما وأن السلطات البريطانية كانت عازمة على التخلّص من الأعباء المالية الكبيرة، التي كان سببها التكاليف العسكرية الباهضة التي تتكبدها في العراق⁽¹⁾. ويقول تشرشل بهذا الصدد أن: «فيصل يقدم إلى حد كبير جداً، أفضل فرصة لتوفير أموالنا»⁽²⁾. ويزيد تشرشل على ذلك قوله:

«إن تنصيب فيصل ملكاً على عرش العراق سيزيد من تسلط الحكومة البريطانية عليه وعلى أبيه شريف مكة، الذي كان ولا يزال ساخطاً وجموحاً في علاقاته مع بريطانيا العظمى»⁽³⁾.

وكانت وزارة الحربية البريطانية قد برزت أهم المزايا التي يمكن أن تتحقق في تعيين فيصل ملكاً على العراق، ومن تلك المزايا:

- 1 - تعزيز سمعة بريطانيا العظمى.
- 2 - كونه مقبولاً دينياً لدى كافة الطوائف الإسلامية على السواء.
- 3 - تعوده على الأساليب البريطانية في الإدارة.
- 4 - عداؤه للبلاشفة.
- 5 - وضع حد على الأرجح لدسائس حسين مع مصطفى كمال.
- 6 - دعم الأستقرار في الشرق الأوسط⁽⁴⁾.

ولم يخف فيصل ما كان يدين به للأنكليز، فقبل أن يتم تتويجه بأيام، صرح: «فإني أداة للسياسة البريطانية، وكلانا، حكومة جلالته وأنا، في نفس القارب ويجب أن نعوام معاً أو نغرق معاً».

لكنه فيصل يستدرك تصريحه فيقول:

«إنني أتعهد بأن أسترشد بمشورتكم في كل الأمور الهامة»⁽⁵⁾.

(1) د. نظمي، م. س، ص 420.

(2) أيضاً، ص 420.

(3) آيرلند، فيليب وويلارد، العراق، تر: جعفر الخياط، ص 246.

(4) د. نظمي، المصدر السابق، ص 421، نقلاً عن: F.O. 331/988. Datad 17 Feb.

(5) F.O. 371/6352/E9854/100/93. Dated August 17, 1921.

وهكذا سارت عملية تنصيب فيصل الأول ملكا على العراق، فبعد وصول فيصل ببغداد في التاسع والعشرون من حزيران عام 1921م، بأيام، عقد مجلس الوزراء العراقي جلسته في 11 تموز عام 1921، وأصدر قرارا بالإجماع ينادي بفيصل ملكا على العراق. وقد حاولت السلطات المحلية ويتوجه من السلطات البريطانية، إضفاء الطابع الشرعي على مبايعة فيصل وذلك عن طريق إعداد مضابط شكلية. وللدلالة على ذلك كتب آيرلند يقول:

«أن مضبطة واحدة وقع عليها عشرون من المسلمين فقط إعتبرت ممثلة لمائة وستين ألف عربي مسلم في ولاية الموصل»⁽¹⁾.

ورغم محاولات السلطات المحلية والبريطانية إبقاء نص المبايعة الموضوع من قبلهم كما هو، إلا أن دعاة الاستقلال في بغداد والكاظمية، استطاعوا إضافة شرطين مهمين للغاية إلى نص المبايعة هما:

1 - التحرر من السيطرة الأجنبية.

2 - إنعقاد مجلس تأسيسي خلال ثلاثة أشهر⁽²⁾.

إلا أن عدم إيفاء فيصل بالشرطين أنفي الذكر رغم مرور أكثر من سنة على مبايعة الأمر الذي أدى إلى قيام الإمام مهدي الخالصي الكبير، بخلع بيعته. وأصدر فتواه المشهورة ونصها:

«بايعنا فيصلا ليكون ملكا على العراق بشروط، وقد أخل بتلك الشروط، فلم تكن له في أعناقنا وأعناق الشعب العراقي أية بيعة»⁽³⁾.

وقد أدى هذا الموقف بمحصلة الأمر، إلى قيام حكومة السعدون، في 17 حزيران 1923م، إبعاد الخالصي وأولاده ومجموعة من علماء الشيعة ووجهائها، مع ثلة من المؤيدين إلى خارج العراق، ولم يتم هذا الأبعاد بمعزل عن التنسيق مع فيصل والسلطات البريطانية. وحتى يبرر السعدون فعلته هذه، راحت حكومته تصف المبعدين بالدخلاء والغرباء والمتهوسين في بيان صادر في 25 حزيران عام 1923م. ومما جاء في البيان:

«قام نفر من الدخلاء الذين ليس لهم علاقة بالقضية العربية، ولا تهمهم مصالح الشعب والبلاد الحقيقي. وإن ما اظهرته الحكومة من الحلم والأناة تجاه هذه الأعمال، يقدر شجع

(1) آيرلند، المصدر السابق، ص 129.

(2) الحسيني، الوزارات، ج 1، ص 59.

(3) كبة، محمد مهدي، في صميم الأحداث، (ط1، منشورات دارالطليلة، بيروت، 1965)، ص 26.

هؤلاء الغرباء المتهوسين على التمادي في التضليل . وبهدذه المناسبة يجب أن يعلم أن الحكومة لا يمكنها أن تتهاون في مثل هذه الأعمال، وستعاقب كل من يتصدى للعبث بحقوق الشعب المشروعة»⁽¹⁾.

ويقتضي البحث العلمي مناقشة هذا الرأي ومحااجته من زاويتين:

الزاوية الأولى:

إن جل المبعدين هم من العراقيين العرب الأصليين، فآل الخالصي مشهود بعروبتهم، وانتسابهم إلى عشيرة بني أسد العربية حقيقة لا لبس فيها. أما آل الصدر فهم عراقيون عرب عدا كونهم سادة علويون. وآل أبو التمن فهم عراقيون عرب ينتسبون إلى أشهر القبائل العربية وهي ربيعة. وقد عملوا بكل إخلاص للعروبة والإسلام، وقدموا الغالي والتفيس لقضية شعبهم وأمتهم، عبر أحداث الأمة، وكانوا وبقية إخوانهم من الرموز الشيعية الدينية والعشائرية والحركة السياسية، السبب المباشر في قيام الدولة العراقية الحديثة، بإعتراف الأنكليز أنفسهم.

الزاوية الثانية:

فإذا لم يكن مثل هؤلاء عراقيون أصليون، ولا صلة لهم بالعراق، فلا ندري كيف ينطبق مقياس العراقية لو وضعنا فيصّل الأول ومحسن السعدون في إطار المقارنة، ومن نفس المنطلق؟ الجواب يدركه أولو الألباب.

وهكذا شاءت الأمور، فقد عززت الإدارة العراقية التي قامت عام 1920م، بأهم المستلزمات المطلوبة لقيام الدولة العراقية الحديثة، فكان بدءاً تأسيس الجيش العراقي في 6 كانون الثاني عام 1921م، ومن ثمة تنصيب فيصّل ملكا على الدولة العراقية الحديثة في 23 آب عام 1921م، وتوالي أستكمال مستلزمات قيام الدولة الحديثة، بإنتخاب المجلس التأسيسي في 25 شباط عام 1924م، وتشريع دستور للبلاد في 23 تشرين أول عام 1924م⁽²⁾.

ويعقب نظمي على إنتخاب فيصّل دون أن يغفل تقييم ثورة العشرين فيقول:

«فلقد تم تتويج ملك عربي هاشمي. ولكن ذلك جرى بنصف إنتخاب شعبي، وبنصفتين بريطاني على أن ذلك كله لا يعني. ولا للحظة واحدة. بأن ثورة العشرين قد فشلت، أو أن كفاح أبنائها قد أهدر، أو أن دماء شهدائها قد تبخرت. فالتاريخ يجب أن

(1) الحسيني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات العراقية، (بغداد، 1988م)، ج 1، ص 175.

(2) الحسيني، وزارات، ج 10، ص 289 - 315. وجميل، شهادة سياسية، ص 112 - 113 و 133 -

لا يفسر بمعايير براغماتية أو نفعية فحسب. إن التاريخ هو العظة والعبرة والمعنى والذكريات، التي تضيء طريق الأجيال والمستقبل»⁽¹⁾.
ومهما يكن من أمر فإن أصابع المشروع البريطاني ظلت مطبوعة، على جبين الدولة العراقية الحديثة، فترة ليست بالقليلة⁽²⁾.



- (1) د. نظمي، المصدر السابق، ص 422.
- (2) ولو أخذنا الدليلين التاليين لوجدناهما ترجمة لما تقدم فيه القول. فمن حديث للمندوب السامي البريطاني هنري دوبس H.DOBBS مع جعفر العسكري حين جاءه وأعضاء وزارته الأولى، لتقديم فروض الشكر والطاعة، قال دوبس: «كانت عادة الأنكليز أن يحكموا مستعمراتهم بواسطة رجالهم مباشرة، أما الآن فصاروا يحكمونها، بواسطة أبنائها» وهو ما نقله الحسني في تاريخ الوزارات العراقية، ج1، ص 192. وحين تتحدث مس بيل MIS BIL عن طبيعة الحكم في العراق، توصفه بدقة وعمق بكلمات محددة، تدل على مدى عمق تأثيرات السياسة البريطانية، على طبيعة الحكم في العراق، إذ تقول إن الحكم في العراق قام: «بعقول بريطانية، وأيد عراقية» وهو ما أشار إليه الحسني أيضاً، ن.م، ص 80. وفي ذلك دلالات تؤكد أن المشروع البريطاني في العراق، لم يتوقف بتتويج فيصل ملكاً على العراق، إنما هو بدأ (فعلياً) من حيث بدأ التتويج، بعد أن مهد البريطانيون له الطريق بتشكيل أول حكومة إحتلال أقاموها في العراق، برأسة عبد الرحمن النقيب، وأعطوا لنفسهم المشروعية الأومية بانتزاع الأنتداب عام 1920م، من عصبة الأمم المتحدة، هذا الأنتداب الذي منحهم إمتيازات غير عادية، وجعل العراق ومستقبله رهينة للمحتلين البريطانيين. الأمر الذي أوجع أوار ثورة العشرين المجيدة. إلا ان فشل الثورة عسكرياً، أدى بالبريطانيين جني الثمار. على حساب حقوق شعب ووطن.

الباب السابع

الملامح العامة للدولة الجديدة،

ومحاولة الشيعة تقويم نظام الدولة وممارسات الحكم،

والأسهام في البنى التحتية (1920 - 1958)

الفصل الأول: الملامح العامة لطبيعة نظام الدولة وممارسات الحكم

- المبحث الأول: الملامح الاجتماعية والاقتصادية لنظام الدولة وممارسات الحكم

- المبحث الثاني: الملامح السياسية والديمقراطية لنظام الدولة وممارسات الحكم

الفصل الثاني: الشيعة ومحاولة تقويم الدولة وبناء متركزاتها

- المبحث الأول: الشيعة ومحاولة تقويم نظام الدولة وممارسات الحكم

- المبحث الثاني: الشيعة وأدوار أسهاماتهم في البنى التحتية للدولة

الفصل الأول

الملامح العامة لطبيعة نظام الدولة وممارسات الحكم

المبحث الأول:

الملامح الاجتماعية والاقتصادية لنظام الدولة وممارسات الحكم

قبل أن نسلط الأضواء على الملامح العامة لنظام الدولة عبر عقودها الأربعة، بدءاً بالحكومة الانتقالية التي رأسها النقيب، وتواصلت الحكم الملكي الذي رأسه ثلاث ملوك هم، فيصل الأول وغازي الأول وفيصل الثاني، بين عام 1920-1958م. لا بد من الرد على من يصف الفهم الذي أنشأت عليه الدولة العراقية الحديثة، بالفهم القومي العروبي⁽¹⁾. لأنه رأي غير دقيق، وبعيد عن الواقع، والرأي الأصوب هو أن نخبة الحكم استخدمت الأيديولوجية القومية كغطاء لنظام الحكم⁽²⁾. دون الألتزام بالمرتكزات. وأما الكتاب والباحثين الذين إنزلقوا في الاتجاه الأول، فهم على شاكلتين:

الشاكلة الأولى: الذين لم يكونوا مسلحين بالمعلومات الحقيقية، عن نخبة الحكم الأولى، ولم يمحسوا النهج والفهم اللذان كانت عليه تلك النخبة، ولم يلتفتوا لطبيعة الواقع العراقي، ويتمعنوا بالظروف الدقيقة التي أحاطت بتشكيل هيكلية الدولة العراقية الحديثة، على أساس لا يتعدى العلاقة بين تابع ومتبوع.

الشاكلة الثانية: الذين تأثروا بنفس النهج الذي عليه الرواد الذين أقاموا بموجبه تشكيل هيكلية الدولة العراقية الحديثة، البعيد عن أصالة التيار القومي العروبي الوحدوي، وممن عملوا في صفوف المدرسة الحديثة، المتأثرة بنهج وفهم المدرسة العثمانية. لتحقيق غايات ومآرب بعيدة عن روح العروبة والقومية، بما يصب لخدمة الأهداف الذاتية والفئوية، وخدمة أهداف المحتلين البريطانيين.

وكان الأصوب للباحثين والكتاب، أن يكونون أكثر مصداقية، ويعترفوا بأن الدولة العراقية الحديثة، أنشأت على أساس الفهم الطائفي العنصري الولائي للأنكليز، بتأثيرات

(1) وهو ما غلب على كتاب: د. وميض جمال عمر نظمي، م. س وكتابي: حسن العلوي، م. س.

(2) شبيب، محمود، أسرار عراقية، ص 100 - 117.

الخلفية التركية التي حكمت العراق ردحا طويلا من الزمن. هذه الخلفية التي ظل يحمل تأثيراتها الطائفية والعنصرية، بقايا جيل عراقي، بعضه ذو جذور غير عربية⁽¹⁾. وقد تربى هذا الجيل وتثقف في صومعة الأتراك، وخدم في صفوفهم ونال الحضوة عندهم أيام عزهم، وكان جل هذا الجيل من العسكريين، وهو نفسه من مد الجسور مع المحتلين الأنكليز مع بداية ملامح هزيمة الأتراك، أبان الحرب العالمية الأولى وبعدها، وإستطاع بهذه الإزدواجية من الارتباط، تبوأ الدور الفاعل في حكم الدولة الجديدة، على أساس الفهم الذي أشرنا إليه. ويشير الحصري بهذا الصدد إلى حقيقة طبيعة النخبة التي تبوأ الحكم في العراق الملكي. فمن يستعرض أسماء رؤساء الوزارات الذين تولوا الحكم، يجد أن معظمهم كانوا ممن درسوا في المدارس العسكرية⁽²⁾. والمعروف عن هذه المدارس سواء التي في العراق أو في الأستانه، كانت بإشراف تركي، ولا يقبل فيها غير السنة كما أسلفنا. وهناك من الباحثين من يشير إلى أن النظامين الملكي والجمهوري، قد إستخدما الأديولوجية القومية العربية، كوسيلة لأضفاء الشرعية على حكمهما، للتغطية على الفهم الطائفي التي أنشأت عليه الدولة العراقية الحديثة. ويحدثنا بهذا الصدد البروفيسور لوزيرارد فيقول:

«كنت مهتما بالعراق لكونه مهد الشيعة، بيد أن الغش الكبير الناتج عن نظام الهيمنة الطائفية في هذا البلد، هو بالتحديد الذي حفز أبحاثي»⁽³⁾.

ويستطرد لوزيرارد في حديثه قائلاً:

«نادرة هي الأنظمة السياسية في المنطقة، التي نجحت في إخفاء أدوارها الحقيقية كالنظام الذي أسسه البريطانيون في العراق عام 1920م، فالنظامان الملكي الهاشمي والجمهوري العراقي، هما من نتاج النظام البريطاني، كلاهما إستخدم الأديولوجية القومية العربية، كوسيلة لأضفاء الشرعية. لقد تم إخفاء الطبيعة الطائفية للسلطة في العراق لفترة طويلة جدا، ولكن المعطى الجديد الذي نتج عن الثورة الإسلامية في إيران، قد سمح ببداية رؤية الجانب الخفي من الحقيقة»⁽⁴⁾.

وليس مصادفة أن نغير هذا المقطع الإهتمام الكبير حيث؛ أن أهمية ذلك تنبع من أن

(1) الصباغ، صلاح الدين، فرسان العروبة، (ط1، الرباط، 1994م)، ص 27، 28، 86.

(2) الحصري، ساطع، البلاد العربية والعثمانية، (بيروت، 1960م)، ص 86.

(3) لوزيرارد، م، س.

(4) لوزيرارد، م، س.

العراق بلد عربي أصيل، والمفهوم القومي العروبي الأصيل هو ترجمة وتعبير حقيقيين لوجوده، اللغوي، والفكري، والديني، والتاريخي، والجغرافي، والحضاري، والمصري، وهو بقدر رفضه للتعامل بمعايير مذهبية أو طائفية أو عنصرية أو دينية أو لونية أو ولائية، بقدر ما يتمسك ويعتز بالعروبة والإسلام. وهو يرنو بكل أمانة وإخلاص إلى تجسيد تطلعاته الأنسانية، نحو الأديان والمذاهب والقوميات الأخرى، لتتمتع بحقوقها المشروعة، ضمن الوطن الواحد الموحد، دونما أثره ومن غير إستعلاء. فالتقص إذن ليس في المفهوم القومي العروبي الأصيل إنما النقص في التراث الذي خلفته ممارسات بقايا ذلك الجيل، ومن سار على هديهم، ممن نعتوا أنفسهم أو نعتهم مدرستهم بالقوميين العروبيين، سواء كانوا عربا صرحاء أو منتسبين من جذور شتى، الذين جعلوا من الشعارات القومية العروبية الوحودية، مظلة يستترون خلفها، ليرجموا أوارا ويجسدوا مواقف، ويعمقوا ممارسات، إنما جاءت غالبية نتائجها لصالح المطاعم الأجنبية والصهيونية. والسبب المركزي الذي حدا بهؤلاء لهذا الموقف التجاوزي، هو المطاعم الذاتية والمصالح الفئوية، وخدمة أولياء النعمة، حتى ولو حصل ذلك بالتضحية بالجزء الأكبر من حقوق شعب ومصالح وطن وأمة. فهم في مضمار المفاهيم المبدئية والأخلاقية أناس خانوا الأمانة، أمانة الشعب والأمة والدين. نلاحظ في النص أعلاه؛ أن لويزارد إستعمل تعميم مطلق عن النظام الجمهوري، دون أن يستثني فترة الحكم الجمهوري الأولى بزعامة عبد الكريم قاسم، والذي إستمرت حوالي الخمس سنوات، والتي كانت ذات صبغة وطنية، وليست صفة قومية كما عممها لويزارد، بل العكس أنها ناصبت العداء للتيار القومي العروبي الوحودي الأصيل كما اثبتته الأحداث. وللحقيقة والتاريخ فإن مقاسات العروبة والقومية في الفهم العراقي العربي الأصيل، هي؛ الإنتماء والولاء الحقيقيين لأمة العرب ولدينها الإسلام، عبر ممارسات الذود عنها، بالدفاع عن وجودها، والعمل من أجل وحدتها، والتمسك بدينها، والحفاظ على سيادتها، وإجلاء غبار السنين عن تراثها وحضارتها، والحفاظ على ثرواتها من الطامعين، والعمل الجاد من أجل نهضتها، في كل مفاصل الحياة. لا كما حصل من ممارسات وأجراءت طائفية وعنصرية وولائية، وإستهانة بالمحافظة على ثروات الشعب، من قبل نخبة الحكم الأولى وإمتداداتهم، الذين راحوا يتمشدون بالعروبة والإسلام، بالأسم دون المحتوى الحقيقي في إطار التطبيق والممارسة. وبهذا الصدد توجه خطابنا هذا لمن يهمه حقيقة الأمر ونقول؛ إن من يدعو لتجديد الفكر القومي العروبي اليوم ومن المدرستين القديمة والحديثة، كمن يحجب حقيقة ضوء الشمس بغربال، فالتجديد المطلوب، ليس في الفكر القومي العروبي الأصيل، لأنه في الأساس فكر إنساني حضاري متفتح، بما يتناسب مع التطورات الإنسانية الحديثة، دون الإنسلاخ من المبادئ والمثل والقيم العليا لأمة

العرب، هذه الأمة التي كرمها الله وجعلها خير الأمم. فالتجديد المطلوب حقيقة لا بد أن يكون في نفوس رموز المدرستين المتداخلتين، من أتباع المدرسة العثمانية، ومن المدرسة الحديثة، المتأثرة والموالية، اللتان تأمرتا على الفكر القومي العربي الأصيل، حين مارس أتباعهما التركيز على التمييز المذهبي، والعزل السياسي تجاه شيعة العراق العرب، والأضطهاد العنصري مع الأكراد والأقليات الأخرى في العراق، والإنغماس في المشاريع الأجنبية والصهيونية، والتأمر على حركات التحرر العربية، وإضاعة الحق العربي، في فلسطين، وإلهاء الأمة بشن حروب ظالمة إقليمية، وتعرض الأمن القومي العربي للخطر القاتل بإجتياح دولة عربية، مما سبب ذلك هدر الطاقات والثروات الوطنية والقومية، ورمي مصير الأجيال الطالعة للمجهول. وإذا ما وقفنا على نتائج وإفرازات هذه الحالة نجد. أن كل ذلك تم على حساب مصير الأمة العربية، حيث تم تفتيت حالة التضامن العربي النسبي، الذي كان قائما قبل تلك الأحداث، فصب ذلك كله بمحصلة الأمر في خدمة الأستعمار والصهيونية العالميين. وإن ما تقدم من حديث بخصوص ما آلت إليه إزدواجية المواقف والولاءات لنخبة الحكم، كما إستعرضناها قبل قليل، نجد أنها تعتبر في مقياس التقدير المنصف، خير دليل وشاهد موثق لما ذهبنا إليه، أضف إلى ذلك دليلا مهما آخر، في الأتجاه المضاد لذلك، وهو الموقف الذي إتخذته الحركة السياسية المعارضة بكل إتجاهاتها الوطنية والقومية والإسلامية، عبر مسيرتها السياسية التي إمتدت منذ بدايات القرن العشرين، وتواصلت نشأة الدولة العراقية الحديثة عام 1921م، وحتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م. في العمل ضد النهج الطائفي والأثني لتلك الحكومات، وحين عادت الحالة مبكرة على ما كانت عليه من ذات النهج والممارسة، كما هي قبل الثورة، لم تتردد الحركة السياسية الوطنية، من التصدي لها مرة ثانية، وهي اليوم تعمل في صميم قيام نظام وطني، بعيد عن الطائفية السياسية، والأضطهاد العنصري، والتعسف الديني، ترفل كل مكونات الشعب العراقي بظله، بالطمأنينة لمستقبلها، والأمان لمستقبل أجيالها الطالعة.

بعد هذه المقدمة التي فرضت نفسها، في الحديث عن حقيقة النهج الذي قامت عليه الدولة العراقية الحديثة، وعطفا على ما إستعرضناه في مباحث سابقة، عن نهج الدولة وممارساتها، في أن نخبة الشيعة لم يكن لها مواقع مؤثرة، في هيكلية الدولة العراقية الحديثة، بل كانت أدوارها ثانوية لا تأثير لها، والسبب هو عزلها عن الأضطلاع بمهام الدولة كلها أو على أقل تقدير أكثرها. لذا نتقل إلى صلب هذا المبحث، بالحديث عن السمات والملامح العامة لنظام الحكم 1920-1958م، مستعرضين من خلال ذلك نهج وممارسات هذه الفترة الزمنية من حكم العراق الحديث، من زاويتين:

الزاوية الأولى: الحالة السياسية الأبعاد والمضامين

إتسمت هذه الحالة بسمات ظاهرة أخذت طريقها في إطار التطبيق والممارسة، وسنحاول تسليط الضوء في فهم ونهج هذه السمات الاجتماعية:

1 - السمة الأولى: وقفة إستدكار لا بد منها ونحن في صميم الحديث الإجتماعي، فالفهم الذي جرى بموجبه تأسيس نظام الدولة العراقية الحديثة ونهجه، كما تقدم الحديث عنه، أدى بمحصلة الأمر إلى عزل باقي الفئات، وبخاصة الشيعة العرب، اللذين يشكلون الأكثرية في طبيعة تركيبة الشعب العراقي، عن المشاركة المنصفة في كيان وهيكلية الدولة الحديثة، وهو ما كان يتطابق مع ما كان معمولا به أيام الحكم العثماني تماما. والسبب هو أن البيئة مازالت نفس البيئة، والمعطيات هي نفس المعطيات. ولو كان الفهم الذي تأسست عليه الدولة العراقية ونهجها، غير هذا الفهم والنهج، كأن يكون وطنيا حقيقيا، لكانت مرتكزات الحكم، تتمحور ضمن الواقع الوطني بكل أبعاده ومضامينه. ولكانت المسؤولية تكافلية، تضطلع بها كل مكونات الشعب، بإدارة أجهزة ومؤسسات الدولة ومناصبها المختلفة، وبما ينسجم ومعايير الكفاءة والتخصص والإستحقاق. ويعقب أحد الباحثين على ذلك قائلا:

«ولو أن السلطة السياسية بعد تأسيس الدولة لم تمثل في الأقلية العربية السنية، لكان لهذا الشعب أهمية سياسية عظيمة»⁽¹⁾.

إلا أننا نلاحظ أن العزل الطائفي السياسي والإجتماعي، قد أدى أن تكون غالبية تلك المكونات، وبالخصوص الشيعة، معزولين عن تبوء المكانة المناسبة في الدولة، في حين كان الشيعة عماد الدولة ورافدها البشري، في المناصب الدنيا دون المناصب العليا، في هيكلية الدولة ونظامها، الذي قام على جماجمهم، وإن وجدت بعض المناصب العليا، فهي النزر.

2 - السمة الثانية: ومن السمات التي تميزت بها الدولة، هو عدد الوزارات وأنماطها، فبالوقت الذي إستوعبت فترة الحكم الملكي تسع وخمسون وزارة، لم ينل الشيعة من رئاستها سوى خمسة وزارات لذر الرماد في العيون. ويرتكب خطأ فادحا من يبرر عدم إنصاف مشاركة الشيعة بقلّة الكوادر والرموز الشيعية المؤهلة للرئاسة أو العزوف عنها، فهذه في محصلات الواقع مقولات مردودة من الأساس إفتعلتها نخبة الحكم، وأخذ يرددها للأسف الشديد البعض ممن ظلموا بها، من اللذين إنساقوا بفعل الارتباط مع الأقلية

(1) لوزيرادوم . س.

الحاكمة، حين تقلدوا عن طريقهم بعض المناصب، وقد أثبتنا ضعف هذه الحجة الواهية، كما تقدم الحديث عنها. والشئ الملفت للنظر في عملية بناء مؤسسات الدولة، هو أن الذين يتم إختيارهم لملئ المراكز الحساسة والمهمة في تلك المؤسسات، ليس بالضرورة أن يكونوا طائفيين أصلاً لكن طريقة إعتمادهم تتم على الأساس الطائفي، ويشعرون (بضم الياء) بصورة وأخرى بهذا الفهم والنهج، وبمرور الزمن من خلال الممارسة والتطبيق، يتنامى في دواخل نفوس الكثير منهم الحس الطائفي والولاء لسلطة الحكم، ويتعمق ذلك متأثراً بالمسار والنهج المتقدم، فيصل في ضوء التدرج الوظيفي، لنفس مستوى الحالة التي عليها بقايا ذلك الجيل، الذي أسس كيان الدولة الحديثة، وهكذا تتحول الأجيال. إن هذا التحليل ليس إستنتاجاً عابراً، او إثارة عاطفية، إنما هو تحليل نابع من معاناة واقعية، تتحاكى مع صور لا حصر لها في هذا المقام، فلو أخذنا على سبيل المثال لا الحصر مسألة القبول في الكليات العسكرية والشرطة والقوة الجوية والأركان والأستخبارات العسكرية والمدنية، فإن سياسة القبول في هذه الكليات، كان إلى حد كبير يتم عن طريق الأنتقاء الطائفي. وإن قبول البعض من طائفة الأكثرية لا يحصل إلا في نواذر الدهر⁽¹⁾. ونحن هنا لا نريد أن نعمن في هذا اللون من الحديث حتى لا نوصف بالإثارة، إلا بالقدر الذي يؤدي إلى إلفات النظر لسماوات وممارسات هذا العهد⁽²⁾.

3 - السمة الثالثة: ذكرنا في سياق الكلام عن سياسة المحتلين البريطانيين، أن المسألة الطائفية والعنصرية والولائية كانت من مرتكزات سياسة فرق تسد المعتمدة من قبل المحتلين البريطانيين، وحتى يتم تكريس هذه السياسة المقيتة في إطار التطبيق والممارسة، إنبرت بعض الوزارات في سن قوانين وإجراءات تجسد تلك المرتكزات، ولعل من أخطر تلك القوانين هو قانون الجنسية العراقية، الذي سن عام 1924م، في عهد وزارة ياسين الهاشمي،

(1) العلوي، المصدر نفسه، ص 60. نقلاً عن: عبد الكريم الأزري.

(2) في الندوة الفكرية التي أقامتها، الرابطة الفكرية الديمقراطية، عام 1993م، على قاعة الكوفة في لندن، بمناسبة ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م، وعلى مدى يومين، شارك مجموعة من رموز وقادة التيارات السياسية المعارضة، وكان كاتب هذه السطور أحد المشاركين عن التيار القومي العربي، وحين أعطيت الكلمة للراحل الأستاذ ثابت حبيب العاني، من أقطاب الشيوعيين، تعرض للمسألة الطائفية وأكد وجودها في إطار التطبيق والممارسة، بكل مرافق الدولة وبالخصوص القبول في الكليات العسكرية، وأورد حادثة حصلت له، حين تقدم للكلية العسكرية هو وزميل له، فقبل هو فوراً، ورفض صاحبه، والسبب أن إسمه العاني، وأسم زميله عبد الحسين في حين أكد العاني أن زميله أفضل منه من ناحيتين، اللياقة البدنية، والناحية العلمية.

التي شكلت في 4 آب 1924. 20 حزيران 1925م⁽¹⁾. وبحيثيات تؤدي إلى بذر الفرقة بين أبناء الشعب الواحد. فقد وضعت التابعية العثمانية أساسا لتكريس حالة تمييز طائفية وعنصرية غير منصفة تجاه التبعيات الأخرى، من أبناء الشعب الواحد، رغم أن العراق أصبح يعيش حالة الحكم الوطني النسبي إذا صح التوصيف له، حيث أصبح المسلمون التخلّص من مخلفات الدولة العثمانية، وذلك عن طريق التعامل مع المواطنين الذين وجدوا في العراق قبل الأنتداب البريطاني، على عراقيتهم وليس على عرقيتهم أو مذهبيتهم أو موالاتهم، وكان يمكن أن يكون لنا في مصر العربية، أسوة حسنة حين إعتمدت الهوية المدنية المصرية دون الجنسية المصرية لكل المواطنين المصريين اللذين وجدوا على أرضها قبل الأنتداب، أو لنقل للذين وجدوا في العراق قبل اليوم السادس من آب عام 1924م، على أكثر تقدير، وهو اليوم الذي نفذت فيه معاهدة لوزان بخصوص الجنسية. ولكن أنى يكون لنا ذلك وسلطة الحكم في العراق تتبارى في تجسيد سياسة فرق تسد بين صفوف المواطنين. وفي ضوء ذلك نلاحظ؛ أن هذا القانون إستعمل سيفا ذا حدين وحسب الضرورات، كما حصل عبر الأحداث، فحين يتم التعامل معه من زاوية العروبة، يصبح العرب العراقيين سنة وشيعة هم القوة الكاسحة، وحين يتم التعامل معه من الزاوية المذهبية، يصبح العرب والكرد السنة، في خندق المعادلة أمام الشيعة العرب، لتعزيز موقعهم. ولعل أصدق شاهد على فصول وآثار هذا القانون المحزنة، ما شهدناه ولمسناه بصورة مكثفة، خلال العقود الثلاث الأخيرة من القرن العشرين، من تهجير جماعي لمن وجد في جنسيته عبارة التابعية الإيرانية وجلهم من الشيعة الذين ولدوا وأبائهم وأجدادهم في العراق. وقد ساهموا في بناء البلد وخدموا في جيشه، كما شاركوا مشاركة فاعلة في حركته الوطنية وفي صميم أحداثه الوطنية والقومية والإسلامية. والواقع أن البعض منهم من أصول عربية صريحة لا يرقى لها الشك، إلا أنهم ولظروف الحروب العثمانية التي لم تنقطع، قدموا الغالي والنفيس، ليحصلوا على التابعية الإيرانية، كي يتجنبوا المشاركة في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل، عدا إرضاء نزعات الأتراك في الإحتلال والسيطرة⁽²⁾. علما بأن المشرع الذي شرع قانون الجنسية العراقية سئ الصيت، قد خضع لتأثير سياسي، وهو تأثير غير عادي كونه جاء من نخبة سلطة الحكم

(1) بصري، المصدر نفسه، ص 95

(2) من المسامع التي بقت عالقة في ذهن كاتب هذه السطور، منذ صباه، أن هناك من حاول أن يدفع بأبيه وأعمامه للحصول على الجنسية الإيرانية، كي يتخلصوا من الخدمة العسكرية، وكان ذلك يتم عن طريق دفع مبالغ من المال، إلا أن الأب والأعمام، رفضوا ذلك رفضا قاطعا، رغم تمكنهم المالي، ولذلك أسباب ومسببات منها النفسية، ومنها الأعتزاز بالإنتماء.

الأولى، والتي كان بعضها من جذور تركية، فمن أجل إقرار ضمانات أكيدة لبقايا ذلك الجيل ذي الجذور التركية، عمد القانون اعلى تثبيت تابعيتهم العراقية العثمانية، دون الإشارة لتابعيتهم التركية، ليجنبهم حالة المسائلة إذا ما حدث ما يستوجب ذلك، وإن مثل هذا الإجراء يعد بحد ذاته خرقاً وتجاوزاً للقانون في إطار التطبيق والممارسة. إلا أنه في سياق الواقع جسد الحالة الطائفية والعنصرية والولائية، وهو المطلوب.

4 - السمة الرابعة: في حين أن المحتلين الأنكليز إستبدلوا عام 1915م، قانون العقوبات العثماني،

وقانون أصول المحاكمات الجزائية العثمانية، بقانون المناطق المحتلة، والذي إستمد من القانونين المدني والجنائي الهنديين. ورغم أن جل الشعب العراقي هم عشائريون يتسبون إلى عشائر معروفة، عربية كانت أو كردية، إلا أن الأنكليز إعتمدوا عام 1916م، قانوناً خاصاً للدعوى العشائر، الذي وضعه هنري دويس وهو شبيه بقانون أنشأه وطبقه السير روبرت ساندمان في منطقة بلوجستان عام 1875م⁽¹⁾. والملفت للنظر أن الحكومات المتعاقبة، التي إستوعبتها فترة الحكم الملكي، حتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م، إعتمدت هذا القانون، والشئ الملفت للنظر أيضاً إن هذا القانون طبق على البدو والريف دون الحضر، وأستبعد تطبيقه على الحضريين رغم إنتماؤهم العشائري، والمحصلة من هذا القانون أنه كرس سياسة فرق تسد المعتمدة في إدارة الدولة، من قبل المحتلين الأنكليز، وكان الأخرى بالحكومات المحلية أبان العهد الملكي إلغاء هذا القانون، من حيث أنه كان يتنافى مع الدستور العراقي، الذي نصت عليه المادة الرابعة التي أكدت على المساواة بين العراقيين كافة أمام القوانين، وكونه من مخلفات السلطات البريطانية في العراق. ولعل من إفرزات تطبيق هذا القانون هو خلق هوة سحيقة بين رؤساء العشائر وبين رعيتهم، وهو ما أدى ببعض صوره إلى بروز الطبقية والصراع الطبقي بمرور الزمن، حيث الحرمان والفقر والجهل للرعية، يقابله المال والحلال للمشايخ. هنا أصبح هذا القانون المظلة التي تحمي مصالح الأقطاعات الممنوحة من قبل الدولة، للموالين لها من رؤساء العشائر، على حساب مصالح الرعية، هذه الرعية التي كانت تكذب وتكدرح ولن تطال غير اللمم الذي لا يسمن ولا يغني من غائلة الجوع، وهو إجراء يتطابق مع ما عمل به الأتراك سابقاً. وقد وصل التجاوز لدى بعض المشايخ بناء سجون خاصة لهم، لحجز المناوئين والدارجين على طاعتهم من الرعية، مستفيدين من تهاون الدولة معهم في ظل هذا القانون. وفي كل الأحوال أصبح

(1) صالح، زكي، مقدمة في دراسة العراق المعاصر، (مطبعة الرابطة، بغداد، 1953م)، ص 14، 15.

الأقطاع هو الصفة الغالبة على المجتمع الريفي، وقد شكل ذلك مع غيره من الظواهر المشابهة، أخطر السمات التي إتصف بها النظام الملكي

5 - السمة الخامسة: وهي ممارسات متفرقة، ويمكن اجمالها كما يلي:

أ - أن القضاء الذي كان يجب أن يكون في منأ عن التدخل، إلا أنه كان يتعرض في أحيان كثيرة إلى ضغوط المتنفعين، لصالح جلاوزة هذا النائب أو ذاك المسؤول أو هذا الوزير، من المرتزقة أو ما كان يطلق عليهم بالعرف الشعبي بالشقاوات، الذين كانوا يرهبون الناس بالأتاوات، ويمارسون الإرهاب ضدهم أثناء الانتخابات النيابية، لصالح مرشحي الحكومة. كل ذلك كان يحصل على حساب مشروعية القانون وسيادته على الجميع، وحقوق المواطنين الخاصة والعامة بالتجاوز عليها، وهو ما كان يشكل خرقاً فاضحاً لاستقلال القضاء ونزاهته.

ب - كانت المحسوبيات والمنسوبيات والواسطات، بمثابة إنعكاسات لطبيعة النظام وممارساته، وكانت هذه الظواهر مستشرية في مؤسسات الدولة، على حساب صون حقوق المجتمع العراقي، وفق الكفاءة والأستحقاق والأختصاص، والشئ الملفت للنظر إن الكثير من المسؤولين هم الذين ساعدوا على إستفحال هذه الظواهر، فالتوظيف والترفيغ والنقل والبعثات والقبول، نراه غالباً يحتاج إلى دفعة من متنفذ سلطوي، او محسوب عليه، وقد وصل الأمر إلى قيام بؤر من المرتزقة، محسوبين على الوزير الفلاني، أو النائب الفلاني، مهمتهم المتاجرة بقضايا المحتاجين، لقاء مبالغ نقدية يتفق عليها. وفي ضوء ذلك إستشرت ظاهرة الرشوة وإستغلال النفوذ وإنتشار الفساد المالي والإداري والأخلاقي، في مفاصل مختلفة من الدولة.

ت - حتى التمييز بين الطلاب على أساس الوجاهة والمال والسلطة، لم يسلم من تلك الممارسات، فبالوقت الذي يؤدي هذا النهج إلى خلق نزعة إستعلائية عند طلاب أبناء الذوات، تجاه طلاب عامة الشعب، فإنه بنفس الوقت يغذي حالة الكره بين الطرفين، فتنشأ تبعاً لذلك حالة من الصراع الطبقي، بين شريحتين ناهضتين، كان يجب أن تكون في منأ عن هذه الممارسات الممقوتة، بإعتبارهم رجال المستقبل.

ونخلص من هذا كله أن هذا النهج وهذه السمات التي إتصفت بها الحالة الإجتماعية العراقية، أبان العهد الملكي، والتي موزست في إطار التطبيق والممارسة، من قبل السلطات الحاكمة وأجهزتها المختلفة، بصورة وأخرى، لا تنسجم بأي حال من الأحوال وطبيعة النظام الدستوري الديمقراطي الحضاري، المفروض فيه إحترام القوانين والمساواة بين المواطنين كافة أمامه، في الحقوق والواجبات، من دون تمييز أو إستثناء. والملاحظ أن هذه

الظواهر عدا أنها تخالف نصوص الدستور فهي في بعض أوجهها تصب في محيط سياسة «فرق تسد» المعتمدة من قبل المحتلين الأنكليز، والمطبقة من قبل المواليين.

الزاوية الثانية: الحالة الاقتصادية الأبعاد والمضامين

نقتصر الحديث هنا عن أهم سمات وملامح التنمية الاقتصادية الأبعاد والمضامين بوجهيها المكتمل والمجتزأ، ولعل من أهم الأمور التي يجب الإشارة إليها مسبقاً بهذا الصدد، هو أن جل حكومات العهد الملكي لم تحاول جادة تحرير الثروات الوطنية وبخاصة النفط، من ربة الإستغلال الأجنبي وبالصورة التي تضمن حقوق الشعب في ثرواته المشروعة، وذلك بسبب تلك الاتفاقيات الجائرة التي تم الإشارة إليها، والتي كبلت العراق بحقوق وواجبات غير منصفة. ورغم ذلك كانت هناك محاولات ولكنها محاولات ضعيفة وغير مجدية، ونحن هنا لا نريد أن نحمل الحكومات العراقية أكثر من طاقاتها، كأن تؤمم الثروة النفطية مثلاً، من حيث أن الظروف الموضوعية والواقعية التي كانت سائدة آنذاك لم تكن مشجعة على هذه الخطوة، ولنا في تأميم النفط في إيران أيام الزعيم الوطني الإيراني الدكتور محمد مصدق، خير شاهد ودليل على ذلك، حين عجز الثوريون الإيرانيون عن تصدير نفطهم، نتيجة الحصار الذي فرض على عملية التسويق، من قبل الشركات الغربية الإحتكارية، التي كانت مسيطرة سيطرة شبه تامة على أسواق النفط العالمية.

وإضافة لذلك تلكؤ الأتحاد السوفيتي آنذاك، من إستغلال هذه الفرصة السانحة، بسبب وجود توازنات دولية وإقليمية لا يمكن تجاوزها، وبالخصوص بين أقطاب المعسكرين الشرقي والغربي، اللذان سادا العالم حتى نهاية الثمانينات من هذا القرن. ورغم أن تحرير الثروات الوطنية يعتبر من أهم مرتكزات السيادة الوطنية، لكن الذي يمكن أخذه على مسيرة حكومات العهد الملكي بهذا الصدد، هو عدم إستغلال إمكانياتها السياسية بالتفاهم والضغط المستمرين مع الدول المستثمرة وبصورة مبرمجة، من أجل تعديل الأسعار وشروط الإستثمار بين كل 5 - 10 سنوات على أكثر تقدير، وصولاً إلى التحرير الكامل للثروة النفطية. ومع ذلك هناك من يعتقد أن العراق الملكي إستطاع تحقيق قفزة في هذا المضمار، عن طريق ماتم التوصل إليه في تعديل إتفاقية النفط القديمة، بعقد إتفاقية جديدة في عام 1951، على عهد وزارة نوري السعيد الحادية عشر المشكلة في 16 أيلول 1950 - 10 تموز 1952م. وقد ضمن هذا التعديل حقوقاً جديدة وملموسة، حين حققت الإتفاقية الجديدة حق المناصفة في الأرباح بين الجانبين العراقي والأجنبي، وهو ما يعد قفزة حقيقية مهمة، إنعكست آثارها الإيجابية على خطط الدولة التنموية. لكن الشيء الملفت للنظر؛ أن هذه القفزة لم تتحقق إلى بعد مرور أكثر من ربع قرن من الزمن، على عقد أصل الإتفاقية عام

1925م، وهي فترة ليست بالقليلة بعرف عقد مثل هذه الاتفاقيات، التي لا بد أن يتوخى فيها المتعاقد العراقي، إمكانية زيادة الأسعار العالمية، وزيادة الطلب على هذه المادة الحيوية. وحتى في أسوأ ظروف عقد مثل هذه الاتفاقيات، كان لا بد للمتعاقد العراقي من مراعاة توازن المصالح المشتركة بين الطرفين، بما يحفظ حقوق الشعب العراقي المشروعة في ثرواته، وبما يساعد على تنفيذ خطط التنمية والإستثمار من جهة، ويعزز إستقلال العراق وسيادته الوطنية من جهة أخرى.

وكنتيجة طبيعية لأندماج الأقتصاد العراقي بالإقتصاد الرأسمالي وتطور العلاقات مع الغرب، وبالخصوص عن طريق الاتفاقات المعقودة بين العراق وبريطانيا، فإن الشركات الأمريكية منها والغربية وبخاصة الأنكليزية، إضافة للشركات المتعددة الجنسيات، فقد نالت هذه الشركات الحظوة من لدن هذا العهد، في تنفيذ الخطط التنموية، العمرانية والزراعية والصناعية وإستصلاح الأراضي ومشاريع الري، إضافة للتجهيزات التجارية والصناعية والخدمية والصحية والتربوية والمواد الأولية. ووقفة لا بد منها عند الأخطبوط الصهيوني؛ فالملفت للنظر أن جل وكالات تمثيل تلك الشركات، كان محصورا في الدرجة الأولى باليهود العراقيين، وكان لليهود سيطرة واضحة على أسواق الذهب والمال والتجارة والصيرفة في البلد، وهو نتيجة طبيعية لما تمتعوا به من دعم خارجي أجنبي وصهيوني، وتسهيلات محلية سلطوية، وقد سبق أن نوهنا عن أول حالة دعم خارجي ومحلي لليهود العراقيين، بالتنسيق بين رغبة الصهيونية العالمية ودعم المحتلين الأنكليز وإستجابة الحكم المحلي المتمثل آنذاك في حكومة عبد الرحمن النقيب الأولى، عن طريق إجازة (الجمعية الصهيونية لبلاد ما بين النهرين) سيأتي الحديث عنها. عدا ما مهدت له بريطانيا قبل ذلك كما ورد في تقرير موجه إلى مكتب الهند يقول:

«إنني نظرت دائما الى التأييد الفعلي للجالية التجارية اليهودية، بإعتباره ميزة كانت ذات قيمة سياسية كبيرة، وقد قمت ما في وسعي لأبين لهم أن ثمره نوايانا في هذه البلاد ستكون مستساغة لهم ونافعة، وبشكل لعله يفوق ما يصيب أية طبقة أخرى»⁽¹⁾.

ورغم وجود قلة من التجار العراقيين الكبار من غير اليهود، إلا أن غالبيتهم كانوا المظلة لنشاطات اليهود من زاوية الأرتباط معهم بمشاركات منظورة وغير منظورة. ولم يكن للبرجوازية الوطنية الصغيرة إلا دورا هامشيا غير ذي أهمية، وهو ما ساعد على بروز الطبقة والصراع الطبقي، في المجتمع العراقي، وهي من سمات النظام الرأسمالي. ورب تساؤل قد

(1) د. العطية، غسان، م. س. ص 366.

يرد في صدد حق اليهود؛ في العمل والتملك كعراقيين، وهو تساؤل مشروع إذا كان متجردا، وفي كل الأحوال يمكن أن يرد عليه من زاوية تاريخية بالعودة إلى برتوكولات حكماء صهيون، التي خطت في مؤتمر بازل في سويسرا عام 1897م، والتي تضمنت من جملة ما تضمنته إقامة وكالات صهيونية في كافة أنحاء العالم وبأسماء مختلفة، والتي من أبرز مهماتها هو دعم وتسهيل أمور الجاليات اليهودية أين ما كانوا وكيفما إتفق، وفي مختلف الأمور، ولعل من أبرزها القضايا التجارية على اختلافها. وإن لكتاب هذه السطور تجربة غنية لمس من خلالها مدى الدعم المقدم لليهود العراقيين، من قبل تلك الوكالات الصهيونية بطرق مختلفة، وذلك بحكم احتكاكه بشركات ومؤسسات تجارية وصناعية أوربية وشرقية، سواء كان ذلك عن طريق منحهم الوكالات التجارية، أو عقد الصفقات التصديرية، أو الأستيرادية، أو الإستثمارية، بفعل التأثيرات الصهيونية الأخطبوطية على تلك الشركات والمؤسسات المنتشرة في أنحاء العالم. وحتى نكون موضوعيين فلا بد من إستعراض الجوانب الإيجابية للحكم الملكي في مضمار التنمية الإقتصادية، وبالخصوص دوره الرائد في مجال التنمية والإستثمار الوطنيين للثروات المتأتية من النفط المصدر، حيث المشاريع العملاقة التي أنجزها مجلس الأعمار لا سيما: مشاريع النفط، والري والسدود، وإستصلاح الأراضي الزراعية البور، وبناء الجسور، ومد سكك الحديد، وشق وتعبيد الطرق الداخلية والخارجية. ورغم وجود حالة من التكامل في تلك المشاريع لما لها من أهمية إستراتيجية كبرى، على نهوض البلد وتقدمه ولو بعد فاصل زمني قد يطول ويقصر، حسب نوع المشاريع، إلا أننا نلمس حالة ضعف بل إجتزاء في خطط مشاريع التنمية الخدمية والإنسانية والصحية والتربوية والأستثمارية، والتي لها أهمية وفائدة مباشرة وسريعة في حياة الجماهير، وفي الخصوص في المناطق الجنوبية، المسكونة بالشيعة العرب، والشمالية المسكونة بالسنة الكرد. حيث بقت هاتان المنطقتان شبه مهملة، في الكثير من المرافق المتقدم ذكرها.

المبحث الثاني:

الملامح السياسية والديمقراطية لنظام الدولة وممارسات الحكم:

بدءاً لا بد أن نقف على حقيقة تأثر السياسة الداخلية والخارجية لنظام الحكم في العراق بمؤثرات السياسة البريطانية وتأثيرات سلطاتها في العراق. وكتيجة طبيعية للنهج الولائي التي كانت عليه نخبة الحكم، نلاحظ أن المسيرة السياسية للحكم إنما جاءت متأثرة بنهج السياسة الغربية وبالخصوص الأنكليزية، وهو ما أدى إلى ميلها للتنسيق مع الدوائر الغربية، في السياسة الخارجية، من ميلها في التنسيق مع الدوائر العربية، التي كان المفترض أن تعار

الإهتمام الأكبر، كون العراق جزءاً من الوطن العربي ومن أهم دوله. ولذا كانت مواقف العراق السياسية، إذا لم تكن متطابقة فمتقاربة مع المواقف الغربية، وبالخصوص البريطانية التي غالباً ما تكون متأثرة بالصهيونية العالمية، لا سيما في المواقف ذات العلاقة بالمنطقة، وكثيراً ما كان هذا النهج البريطاني المتأثر بالصهيونية، يجز الكثير من الآثار السلبية والخطيرة، على المصالح الوطنية والقومية للعراق، والأمة العربية.

وتتجسد أمامنا تأثيرات وتدخلات الأنكليز وسياستهم السافرة في شؤون العراق الداخلية والخارجية، من خلال الحكومات التي قامت، سواء أبان ما يسمى الحكومة الانتقالية منذ عام 1920م، أو حكومات العهد الملكي، التي أعقبتها، سواء قبل أو بعد نيل الاستقلال المزعوم عند دخول العراق عصبة الأمم المتحدة عام 1932م، وهو ما جعل من الحكم الوطني منذ البداية مجرد مقاسمة بين تابع ومتبوع. أما الاستقلال المزعوم فمجرد محتوى خالي من أهم عناصره وهو السيادة والإرادة الحرة المستقلة. ولنا في هذا الصدد على مستوى أحداث الأمة الوطنية والقومية المتلاحقة ما يؤيد ما ذهبنا إليه من مقاسمة بين تابع ومتبوع، فإذا تجاوزنا ما حصل من ممارسات وتجاوزات المحتلين الأنكليز قبل قيام الدولة، تجاه إنتفاضات شعبنا المشروعة وبالخصوص ثورة العشرين الرائدة، فلنا بعد قيام أول حكومة إنتقالية عام 1920م، وقيام الدولة العراقية الحديثة عام 1921م، من جهة، ونيل الإستقلال عام 1932م، من جهة أخرى، ممارسات وتجاوزات وتدخلات من قبل الأنكليز، ربما فاق ما حصل قبلهما، لأن ما حصل بعد ذلك كان يمس السيادة والاستقلال المزعومين بالصميم.

وهكذا خضعت مسألة السياسة الداخلية منها والخارجية، في العراق لمؤثرات السياسة البريطانية، بتأثيرات مباشرة من قبل السلطات البريطانية، الموجودة في العراق، وقد إنجر آثار ذلك حتى على الممارسات الديمقراطية وحقوق الإنسان، والإدارة العامة. وقد إختارنا لتأييد ما ذهبنا إليه، مواقف مختارة للتأثيرات البريطانية على سياسة الحكومات المتعاقبة، بما يعطي فكرة واضحة عن تلك التأثيرات. نعرض تلك المواقف حسب وقوعها الزمني:

الموقف الأول:

بدءاً كان قبول عبد الرحمن النقيب تأليف أول حكومة عراقية في 27 تشرين أول عام 1920م، في ظل الإنتداب البريطاني المقيت، الذي أعتمد على العراق في 25 نيسان عام 1920م، في إجتماع سان ريمو من قبل بريطانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية. حيث تم تأليف تلك الوزارة بالصورة المهزوزة، التي إرتضى النقيب التسليم فيها بالشروط البريطانية التي من أتعسها، أن يكون لكل وزارة من وزارته مستشاراً بريطانياً. ولو

كان المستشار للإستشارة فقط لهان الأمر؛ إنما تمتع المستشار بسلطة شبه مطلقة، تجاوزت سلطة الوزير العراقي نفسه، فالمستشار البريطاني في أي وزارة أصبح في يده الحل والعقد في السياستين الداخلية والخارجية، وهو الأمر الذي جعل من الوزارة النقيية الأولى وزارة هامشية؛ لا تمتلك أدنى شروط الإرادة الحرة المستقلة. مما مهد بالمحصلة أن يكون الحكم الوطني المزعوم تبعاً لذلك حكماً شكلياً، لأنه ظل خاضعاً لأرادة الأنكليز، فعرض سيادة البلد وإستقلاله للإنتهاك. ومن هنا كانت البذرة الأولى في مسلسل الإنتهاكات. ولله در الأديب والشاعر المعروف محمد باقر الشيببي الذي سخر من ذلك قائلاً:

قالوا إستقلت في البلاد حكومة فأجبت إذ قالوا فلم يتأكدوا
أ حكومة والإستشارة ربها أحكومة فيها المشاور يعبد
المستشار هو الذي شرب الطلى فعلام ياهذا الوزير تعربد

الموقف الثاني:

إنقياد حكومة عبد الرحمن النقيب، لإرادة وتوجيه المحتلين البريطانيين، وذلك بإجازة الجمعية الصهيونية ما بين النهرين، عام 1921م، ومثل هذه الخطوة الخطيرة والمبكرة، تعد دليل مبكر والوليد في طور الأنشاء، هذا الوليد الذي حوصر في المشروع البريطاني المتأثر بالصهيونية العالمية، وبفعل خنوع الموالين له من العراقيين، وهو ما يعد إهانة وإستهانة كبيرة بمشاعر العراقيين والأمة العربية جمعاء، وهو بنفس الوقت مؤشر غاية في الخطورة، ينم عنه مآرب وأهداف إستعمارية وصهيونية بعيدة المدى، بما يؤدي إلى الهيمنة على مقدرات العراق والأمة العربية، لا سيما وقد سبقته مهادت غاية في الخطورة. والتي سبق وأستعرضناها في مباحث متقدمة. ولم يتورع الأنكليز عن خدمة الصهيونية العالمية، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، لذا لم يعيروا أي إهتمام لحرمة البلد المحتل، حين أقدموا على إجازة النشاط الصهيوني، ومكنوه من العمل في العراق، في ظل حكومة النقيب. يقول عبد الرزاق الحسني في تاريخ وزاراته؛ «في 22 شباط 1921 أُلّف اليهود في بغداد الجمعية الصهيونية لبلاد ما بين النهرين فأجازتها حكومة الإحتلال في الخامس من آذار من هذه السنة على أن لا تمارس أعمالها بصورة علنية، لثلا تستفز شعور الأهلين، وقد شرعت هذه الجمعيه في جمع التبرعات للمؤسسات الصهيونية في الخارج، وتفسير المظللين إلى فلسطين. ولهذا فقد إمتعت حكومة الملك فيصل عن تجديد رخصة هذه المنظمة الصهيونية، في تموز عام 1922، فأخذت تعمل في الخفاء»⁽¹⁾. . . ومهما يكن من أمر فإن

(1) الحسني، عبد الرزاق، تاريخ الوزارات، ج، ص

عمل هذه الجمعية لا يمكن أن يأخذ طريقه بالخفاء أو العلن بدون مساعدة متصهينيين محليين، لا سيما واليهود في العراق غير قادرين على المواجهة بدون تلك المساعدة، وهي حتما ليست مساعدة هامشية. فلا يستبعد أن تكون مساعدة سلطوية سرية، لأنها السبيل الأقدر على الحماية، هذه الحماية التي ظلت مستمرة ما دامت هناك مصالح إستعمارية وصهيونية.

الموقف الثالث:

أعلن الدستور العراقي في عهد حكومة ياسين الهاشمي، في الجريدة الرسمية في يوم 21 آذار من عام 1925م، ودون التعليق عليالدستور، نترك الحديث عنه إلى حسين جميل وإستشهاداته. يقول حسين جميل؛ «بدأ في أواخر سنة 1921 بوضع مشروع للقانون الأساسي وهو ما يصطلح عليه بالدستور من قبل لجنة تألفت في دار المندوب السامي البريطاني في بغداد من المقدم هـ. يانغ من دائرة الشرق الأوسط في وزارة المستعمرات، و المستر دراوير مستشار وزارة العدلية، والمستر ناجيل دافيدسن السكرتير القانوني للمندوب السامي»⁽¹⁾. . . من هذا نستخلص أن المحتلين البريطانيين لم يكلفوا أنفسهم، حتى إشراك بعض المتخصصين من العراقيين في وضع دستور بلدهم، كي يتجنب البريطانيون أية إخراجات، رغم أن الإدارة البريطانية قد عرضت مسودة الدستور على حكومة العراق، وأن حكومة العراق قد عرضته بدورها على المجلس التأسيسي، وأجريت عليه بعض التعديلات، إلا أن ما أرادته حكومة صاحب الجلالة من نصوص بما تنسجم وتميرير مصالحها، قد أخذ طريقه بين نصوص الدستور. وعن هذه الحقائق يستشهد جميل بما قاله فيليب ويلارد آيرلند، حين يحدثنا عن النصوص التي حاولت حكومة صاحب الجلالة فرضها على تلك اللجنة، لتثبيتها في الدستور بما يؤدي إلى ضمان مصالح الأمبراطورية البريطانية، على حساب حقوق الشعب. يقول آيرلند؛ «فقد كان مفروضاً عليهم، بمقتضى رغبات حكومة صاحب الجلالة، أن يضمنوا بهذا القانون الأساسي، وضع تدابير إضافية من شأنها أن تعزز مركز بريطانيا العظمى في العراق»⁽²⁾. . . ويؤكد آيرلند أنه لتحقيق هذا الغرض إتجهوا إلى؛ «وضع أكثر مايمكن من الصلاحيات، ومنها صلاحيات التشريع بيد الملك، وبصورة غير مباشرة بيد المندوب السامي بصفته الإستشارية، وعلى قدرالإمكان إبعاد الفرص التي قد تتخذها

(1) جميل، م . س، ص 134. نقلا عن: فليب ويلارد آيرلند، في كتابه: العراق، دراسة في تطوره السياسي.

(2) المصدر السابق.

المجالس المنتخبة، وسيلة لمرقلة مساعي الحكومة»⁽¹⁾. . . وهناك من أشار إلى تضمين القانون الأساسي الدستور بنود المعاهدة العراقية البريطانية، المبرمة في العاشر من تشرين الأول عام 1922م⁽²⁾. وللرصافي أبيات شعرية بالمناسبة، يقول فيها:

علم ودستور ومجلس أمة كل عن المعنى الصحيح محرف
أسماء ليس لنا سوى ألفاظها أما معانيها فليست تعرف
من يقرأ الدستور يعلم انه وفقاً لصك الأنتداب مصنف

الموقف الرابع:

نلاحظ انه خلال فترة حكم فيصل الأول 1921 - 1933م، والذي إستوعب خمسة عشر وزارة، لم تسقط وزارة منها بسبب عدم ثقة البرلمان بها عدا الوزارة السعدونية الثانية عام 1926م⁽³⁾. وقد تم التعامل بهذا النهج على إمتداد الوزارات الأخرى، فلم نجد أثراً آخر لمجلس النواب حجب فيها الثقة عن أية وزارة من وزارات العهد الملكي، سوى ما تقدم. حتى أن مستر كيرك يضيف معززا طبيعة هذا النهج، فيقول: «كانت الحكومة على العكس من ذلك هي التي تصنع مجلس النواب»⁽⁴⁾. . .

الموقف الخامس:

يأتي هذا الموقف بعد نيل الأستقلال المزعوم، بدخول العراق إلى عصبة الأمم المتحدة عام 1932م، حين قامت حركة مائس العربية عام 1941م، والتي عرفت بحركة العقداء الأربعة، لتصحيح المسار الوطني والقومي الذي آلت إليه الأمور في تلك الحقبة الحساسة والخطيرة، أبان الحرب العالمية الثانية، فتصدت الحكومة البريطانية لهذه الحركة التصحيحية، سواء بواسطة القوات البريطانية الموجودة في الشعيبة والحبانية، أو تلك القوات التي جلبت خصيصا لهذا الشأن، من الخارج، لتعزيز القوات الموجودة أصلا، وهو ما مكنها من القضاء على هذه الحركة، رغم كونها شأنا داخليا محضا، إلا أن مواد الأنفاقيات البريطانية - العراقية هي التي مكنت البريطانيين من التدخل. وقد ترتب على إجهاض هذه

(1) جميل، م. س، ص 134. عن آيرلند أيضا.

(2) فورستر، هنري. أ، تكوين العراق الحديث، (مطبعة السريان، بغداد، 1945م)، ص 337.

(3) د. خدوري، مجيد، نظام الحكم في العراق، منشورات مجلة المعلم الجديد، مطبعة المعارف، بغداد، 1946م، ص 75.

(4) أسعد، فائز سعيد، إنحراف النظام البرلماني في العراق، منشورات وزارة الأعلام العراقية، سلسلة الكتب الحديثة/ 82، 1975م، ص 31، 32.

الحركة العروبية، من قبل المحتلين البريطانيين، إمتيازات إضافية لصالح البريطانيين، كانت غاية في الخطورة، على سيادة العراق، وذلك عن طريق فتح المكاتب السرية في الكثير من المدن العراقية، لتكون العين الساهرة على المصالح البريطانية، عن طريق رصد أية تحركات للحركة الوطنية المعارضة لوجودهم، ومصالحهم غير المشروعة. ففي مقالة لأحد رموز الشيعة المرموقين الشيخ محمد رضا الشبيبي، في جريدة الزمان، حول هذا الموضوع. ومما جاء في مقالة الشبيبي؛ «أذعنّت الحكومة العراقية لمشينة بريطانية بعد سنة 1941، فكان لها ما أرادت، ووافق المسؤولون العراقيون على إنشاء المكاتب السرية، في طول البلاد وعرضها، وذلك بحجة صيانة المجهود الحربي أو تأمين طرق المواصلات لمرور القوات البريطانية، وكان عدد المكاتب أكثر من اللازم، لضمان الغاية المطلوبة التي أنشئت من أجلها، إذ أصبح في مركز كل لواء من الألوية العراقية، فضلاً عن بعض الأفضية، مكتب يديره ضابط سياسي بريطاني يسمى ضابط الأرتباط، وذلك إلى جانب مكتب متصرف اللواء. ولا حاجة إلى القول بأن هؤلاء الضباط السياسيين قد إحتكروا اللطة الإدارية على الأكتثار، وإنتزعوها إنتزاعاً، من رجال الإدارة العراقيين»⁽¹⁾. . . ويضيف الشبيبي إلى ذلك قائلاً: «وقد إستخدم الضباط المذكورين من إستخدامه، للقيام بمختلف العمال، ومن جعلتها موافاتهم بالأخبار، والحوادث على انواعها، وغير ذلك من ضروب الخدمات السرية، حتى خرجت هذه المؤسسات أو المكاتب البريطانية عن الغاية التي أنشئت من أجلها، وأصبح الحكم في الواقع، مزدوجاً، أو، محتكراً في كثير من الأحيان»⁽²⁾. . . ويبدو أن السلطات البريطانية أرأت أن تجمل صورة هذه المكاتب فعمدت إلى تغيير إسمها، لتصبح مكتب العلاقات العامة، دون ان يتم تغيير نهج عملها. وتعقب جريدة الأهالي على ذلك قائلة: «بعد ان ضج الشعب من نشاط مكاتب الأرشاد في بث سموم إنتزاع ثقة الشعب بوطنه وتوجيهها نحو بريطانيا، وترويج التجسس ضد الوطنيين الحرار، وبعد أن حملت الصحف الحرة على مكاتب الأرشاد حملات قاسية، إرتوئي أن تبدل عناوين مكاتب الأرشاد بمكتب العلاقات العامة، مع مواصلة نفس وظفتف مكاتب الأرشاد - المكاتب السرية وممارسة نفس الحريات المطلقة، التي يتمتع بها القائمون بشؤونها»⁽³⁾. . .

(1) جريدة الزمان البغدادية، العدد / 2655، الصادرة بتاريخ 22 حزيران عام 1946م.

(2) ن . م .

(3) جريدة الأهالي البغدادية، الصادرة بتاريخ 9 مايس عام 1947م.

الموقف السادس :

ووقفة إستدلال بنفس السياق المتقدم، جاءت على لسان سلطة الحكم المركزية، الممثلة في نوري السعيد، حين وقف تحت قبة مجلس النواب، مستخفاً بالنواب الذين راحوا يتحدثون عن تزيف الانتخابات النيابية. ومما قاله نوري السعيد؛ "فأنا أراهن كل شخص يدعي بمركزه ووطنيته فليستقل الآن ويخرج ونعيد الانتخاب ولا ندخله في قائمة الحكومة، ونرى هل هذا النائب الرفيع المنزلة، الذي وراءه ما وراءه من المؤيدين، يستطيع أن يخرج نائباً"⁽¹⁾. . . وإن ما كان مؤملاً في إنقلاب بكر صدقي عام 1936م، بخصوص إجراء إنتخابات حرة نزيهة، قد تم التجاوز عليها بنفس النهج، وشوهت فيها أهم ما كان يدعيه المشاركين فيحكومة الأنقلاب، حين كانوا خارج السلطة والحكم، وإن ما حصل كان في الضد تماماً. وينقل لنا جميل عن ذلك قائلاً: «بأن نواب المجلس في عهد وزارة الأنقلاب، قد تم إختيارهم بالأنفاق بين، حكمت سليمان؛ رئيس حكومة الأنقلاب؛ وجعفر أبو التمن، وكامل الجادرجي؛ وزراء في الحكومة وبكر صدقي؛ رئيس أركان الجيش وقائد الأنقلاب العسكري»⁽²⁾. . .

الموقف السابع :

وهو ما حصل من تطورات خطيرة، جراء توقيع معاهدة بورتسموث، بين حكومتي العراق برئاسة صالح جبر المشكلة في 29 آذار 1947. 27 كانون الثاني 1948م⁽³⁾، والحكومة البريطانية برئاسة بيفن عام 1947م. فبمجرد نشر المعاهدة بنصوصها العلنية، حتى تصاعد الأستنكار من قبل الشعب وحركته الوطنية، من زاوية أن المعاهدة تجاوزت الحقوق الفلسطينية، وتضمنت بنوداً تمس السيادة العراقية بالصميم. وكانت وثبة كانون المشهودة، التي ذهب فيها العشرات من الشهداء على طريق، الحرية والأستقلال.

الموقف الثامن :

إن تخاذل الأنظمة العربية، خلال جولتي الحرب التي ساهمت فيها الجيوش العربية، ضد العصابات الصهيونية عام 1948م، والتي كاد النصر فيهما يتحقق لصالح العرب، لولا المواقف السياسية الخيانية التي إتخذتها غالبية الأنظمة العربية، بالقبول بقراري الهدنتين

(1) محضر مجلس النواب جلسة 5 كانون ثاني عام 1944م، ص 21.

(2) مجلة الثقافة الجديدة، العدد /8، السنة /8، الصادرة في آب عام 1978م.

(3) بصري، مير، ص 210.

الأولى والثانية، الصادرتين من مجلس الأمن الدولي، بضغط وتأثير مباشرين من قبل الدول الكبرى، وبالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا، الأمر الذي أدى إلى ضياع فلسطين العربية وتشريد أهلها الشرعيين، وقيام دولة إسرائيل، صنيعه السياسة الغربية الصهيونية، في 14 مايس عام 1948م. والشئ الخطير إنه رغم ما تضمنته المعاهدة العراقية - البريطانية، من بنود تحكم الطرفين بالمراجعة والمشاورة أن بريطانيا ضربت ذلك عرض الحائط، حين قامت حول الأمور غير العادية التي تهما أحد الطرفين، نلاحظ بالأعتراف بإسرائيل، دون أية مراعاة وإحترام لبنود المعاهدة.

الموقف التاسع:

إستجابة حكومة نوري سعيد الثانية عشر، المشكلة في 3 آب عام 1954 - 17 كانون الأول 1955م⁽¹⁾. لرغبة الدول الغربية الإستعمارية، وبالخصوص بريطانيا، لأقامة حلف عسكري إستعماري في المنطقة، أما التنفيذ فقد تم في فترة حكومة نوري السعيد الثالثة عشر المشكلة في 17 كانون الأول 1955. 19 حزيران 1957م⁽²⁾. بدءا ضم الحلف كل من تركيا والعراق حين تم التوقيع على إتفاقيته في بغداد في 24 شباط عام 1955م، وإلتأم الحلف في تشرين الثاني من نفس العام، بإنضمام كل من إيران وباكستان وبريطانيا، كأعضاء فعليين فيه. أما الولايات المتحدة الأمريكية فدخلته بصفة مراقب، وسمي الحلف بحلف بغداد.

الموقف العاشر:

إنحياز حكومة نوري السعيد الثالثة عشر 17 كانون الأول عام 1955 - 19 حزيران عام 1957م⁽³⁾، للعدوان الثلاثي العالمي، الذي شاركت فيه كل من بريطانيا وفرنسا وربيتها إسرائيل، على مصر عبد الناصر في 30 تشرين الأول عام 1956م، بسبب قيام قائد ثورة يوليو الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، بتأميم قناة السويس المصرية، ولم تكثرث حكومة السعيد لا للمصير العربي الواحد، ولا لمشاعر جماهير العراق والأمة العربية.

الموقف الحادي عشر:

تصدي حكومة نوري السعيد الرابعة عشر، التي شكلت في 3 آذار عام 1958 - 19 مايس 1958م⁽⁴⁾، لوحدة مصر وسوريا المعلنة عام 1958م، هذه الوحدة. التي أثار حفيظة الغرب وربيتهم إسرائيل، لأنها تجاوزت الخطوط الحمراء لسياساتهم في المنطقة العربية، مما أدى بحكومة السعيد إلى إقامة الإتحاد الهاشمي بين النظامين العراقي والأردني في 19

أيار عام 1958م، وأصبح نوري سعيد في هذا اليوم رئيساً لوزراء دولة الإتحاد العربي الهاشمي⁽¹⁾. وإن هذا الموقف إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الهوس من وحدة مصر وسوريا، سواء لدى الغرب وإسرائيل من جهة، أو لدى الأنظمة السائرة في ركبهم في المنطقة من جهة أخرى.

الموقف الثاني عشر:

ومن الأمور اللافتة للانتباه حالة الأزواجية في المواقف السياسية، التي عليها مؤسسو الدولة العراقية الحديثة الأول، أو الذين تتابعوا بعدهم. ويمكن رصد الأزواجيات من خلال نماذج كثيرة. إختارنا خمسة نماذج، هي:

1 - كانت إزدواجية نخبة الأقلية محصورة بين العثمانيين والبريطانيين، ففي حين تقلدت مناصب مختلفة في العهد العثماني، إلا أن توقع إنهزام العثمانيين في الحرب العالمية الأولى، دفع بنخبة الأقلية، لتأخذ مكانها في المشروع البريطاني. ولم يقف الأمر على هذه المجموعة بل تحول مرض الأزواجية ضمن المشروع الولائي البريطاني، حتى لبعض أولئك الذين سبق وعملوا ضمن المشروع الوطني، وتحولوا للمشروع البريطاني، وأندمجوا في خدمته، بفعل المصالح الذاتية، فشملتهم عدوى الأزواجية. ففي الوقت الذي يبدي الكثير منهم ضمن الحالة الوطنية إمتعاضهم من الأنكليز، إلا أنهم في موقف حالة الولاء للأنكليز، يظهرون العكس تماماً، بل يتسارعون بتقديم فروض الطاعة والولاء لأولي الأمر من الأنكليز أو لأحد أعمدتهم الموالين لهم من العراقيين، بمجرد ما تسنح لهم فرصة، وهذا بحد ذاته يشكل لون من الوان الأزواجية.

2 - وقد تجاوزت ممارسات حالة الأزواجية هذه الحدود، حين أستعملت حتى مع الاتفاقيات الجائرة التي فرضت على العراقيين من قبل الأنكليز، كما حصل في صك الانتداب عام 1920م، ومعاهدة عام 1922م، وإتفاقية النفط عام 1925م، وسن الدستور عام 1925م، ومعاهدة عام 1930م، حين كان يبدي البعض منهم أمتعاضهم أو تحفظهم، على سنها أو عقدها، في حين هم ساهموا بصورة وأخرى في ذلك⁽²⁾. ويقول التميمي مستوحياً كلامه من وصف الزعيم الوطني أبو التمن، لتصريحات بعض قادة المعارضة، حول تحقيق الاستقلال الكامل، والأعتاق من الإنتداب، والأنضمام

(1) بصري، المصدر نفسه، ص 130.

(2) مس بيل، الرسائل، ج2، ص 643.

جريدة المفيد، الصادرة في تاريخ 26 حزيران عام 1922م.

إلى عصبة الأمم، إلخ، بكونها شعارات وتبريرات للفوز بالمناصب⁽¹⁾.

3 - ولم يسلم متقمصي الأزواجية حتى من اللعب على أكثر من توجه، للوصول إلى تحقيق أغراض خاصة، أو مشبوهة، وهو ما كان عليه أغلب نخب الأقلية، مثل: نوري السعيد وياسين الهاشمي وجميل المدفعي وعلي جودت الأيوبي وحكمت سليمان، ومن هم على شاكلتهم، فكل منهم كان يشتغل في القضية القومية من زاويته الخاصة، وفهمه الخاص. إلا أنه رغم الدهاء الذي إستعمه بعضهم في الضرب على الأوتار القومية، إلا أن الحركة القومية العروبية الأصيلة، كانت على تناقض شديد مع توجهاتهم المتأثرة بالنهج البريطاني، لذا كان النهج القومي العروبي، أقوى من ان يحتويه هؤلاء ومن هم وراءهم، ورغم المكر الذي مارسوه في إقناع الكتلة القومية العسكرية، وخداعهم، في فواصل زمنية معينة، إلا أن ذلك لم ينطلي طويلا، لا على الكتلة القومية العسكرية، ولا على الكتلة المدنية القومية العروبيتان، وكانت محصلة الأمر الأنقسام ومن ثم التصدي والمواجهة مع أصحاب التوجهات الأزواجية⁽²⁾.

4 - بينما كان الحزب الوطني العراقي برئاسة محمد جعفر ابو التمن، يقود حملة في إنحاء العراق، كان مزاحم الباجه جي، وهو أحد أركان هذا الحزب، ينسلخ من الحزب بمجرد تكليفه بحقيبة وزارية، في وزارة نوري سعيد الثانية، 19 تشرين الأول عام 1931 - 2 تشرين الثاني عام 1932م⁽³⁾. وما حصل لاحقا في إنسلاخ كل من خليل كنة، وفاضل معة عام 1946م، وشاكر ماهر الكنعاني عام 1953م، وكل من عبد المحسن الدوري وإسماعيل الغانم عام 1954م، من الحركة الوطنية المعارضة، حيث كانوا أعضاء قياديين في حزب الأستقلال العراقي برئاسة الشيخ محمد مهدي كبة، وإنتقالهم إلى معسكر الضد⁽⁴⁾. وكان من ابرز من وقف على رأس هذا المعسكر هو: نوري

(1) د. التميمي، م. س، ص 332.

(2) الحسيني، م. س، ج 3، ص 121.

(3) بصري، م. س، ص 128.

(4) العكام، م. س، راجع الأنشاقات في حزب الأستقلال، 71 - 79.

الحسيني، م. س، ج 9، ص 102، 262، 258، 261، وج 10، ص 127.

جريدة الجريدة، العدد / 25، الصادرة في تاريخ 22 تشرين الثاني عام 1953م.

الجزيري، عبد الله، حزب الأستقلال العراقي 1946 - 1958م، (ط 1، 1994م)، ص 92.

جريدة اليقظة، العدد 1997، الصادرة في تاريخ 17 أيلول عام 1954م.

السعيد، فنالوا في ضوء هذا الأنتقال، النيابة والوزارة، ومثل هذه المواقف لا تفصل عن صميم حالة الأزدواجية.

5 - كان الحزب الوطني العراقي برئاسة محمد جعفر أبو التمن، وحزب الإخاء الوطني برئاسة ياسين الهاشمي، قد عقدا تأخيا بينهما عام 1933م، لمواجهة مخططات المحتلين البريطانيين وأعدائهم، وما أن لاحت بوادر تكليف رشيد عالي الكيلاني بتأليف وزارته الأولى 20 آذار عام 1933. 9 أيلول عام 1933م⁽¹⁾. وهو من حزب الإخاء الوطني، إلا وإنضم لوزارته من حزبه أيضا، كلا من ياسين الهاشمي وحكمت سليمان وعبد المهدي، ضاربين عرض الحائط ميثاق الأخاء الذي كان قائما بين حزبهما والحزب الوطني العراقي، ومن المفارقات العجيبة ان هذه الوزارة ضمت نوري سعيد مهندس معاهدة 1930م، التي حاربها رموز الحزبان المتأخيان حين تم عقدها. بل تعاهدا حين عقدا تأخيها، على مواصلة التصدي لهذه المعاهدة، وضرورة تعطيلها وتعديلها، إلا أن الملاحظ أن الكيلاني المكلف بتأليف الوزارة، قد جعل منهاج وزارته مرتبطا بالعمل وفق فقرات معاهدة 1930م نفسها⁽²⁾.

وهكذا جسد الكيلاني وصحبه إزدواجية المواقف، بتفضيل الأنتقال لجانب السلطة والحكم، المتأثرة بالمدرسة الغربية، على الموقف الوطني المعارض الصميم. وهو الأمر الذي أدى إلى دفع جعفر أبو التمن بتعرية مواقف المتأخين معه، بعد ان أعطاهم فاصلا زمنيا مناسباً عليهم يرعون، وحين لم يجد بدا من ذلك، بدأ حملة توجيه إنتقاداته بشدة لمواقفهم المتساهلة مع بنود المعاهدة سيئة الصيت. تلك المعاهدة التي جعلت من العراق قاعدة عسكرية للمحتلين البريطانيين، إضافة لما قدمته من تسهيلات غير عادية للمصالح الأجنبية، وعلى حساب حقوق شعب ومصير أمة، ومن الأمور التي أكد عليها أبو التمن مناشدة الشعب الوقوف بوجه سياسة هذه الحكومة⁽³⁾. وهكذا أدى هذا الموقف الأزدواجي للكيلاني وصحبه إلى إنفراط التأخي بين الحزبين، هذا التأخي الذي لو إستمرار بإخلاص، لكان يمكن أن يحدث أوضاعا محرجة، للسلطات البريطانية، ومن ورائها، لكنهم عجلوا بإنفراطه قبل أن يبلغ السيل الزبي. لذا فقد غالبية هؤلاء، ومن هم على شاكلتهم، من سلطة الحكم

(1) بصري، م . س، ص 146، 147.

(2) د. التميمي، م . س، ص 319.

(3) صحيفة العالم العربي، العدد/ 2837، الصادرة في 10 حزيران عام 1933م.

صحيفة الأستقلال، العديدين الصادرين في: 16، 18 حزيران عام 1933.

صحيفة الأهالي، العدد / 10، الصادرة في 10 حزيران عام 1933م.

والسلطة، مصداقيتهم، ففقدوا في ضوء ذلك إحترام الشعب، وحركته الوطنية الحرة المستقلة، مما أدى عبر أحداث الأمة الوطنية والقومية، إلى قيام الحركة الوطنية الحقيقية، التصدي لهم وكشف زيفهم، والأزدراء من أفعالهم وأقوالهم. وهكذا تتجسد أمامنا مقولة تأثر النهج السياسي للنظام الملكي عبر الكثير من وزاراته، بالنهج السياسي الغربي، المتأثر غالبا بالنهج الصهيوني العالمي.

إلا أن هذا التأثير والتأثر من الملقي والمتلقي، لم يأخذ كل أبعاد ومضامين النهج السياسي الغربي. وبالخصوص ما يتعلق بمقطع الممارسات والتطبيقات الديمقراطية وحقوق الإنسان، المعمول بها في الغرب، لأنه من الأمور المحظورة على الشعوب المستعمرة، والشعب العراقي واحدا من أهمها، كون أن ذلك يشكل أخطارا حقيقية على مصالح الغرب، ومصالح سلطة الحكم الموالية لهم، إذا ما قامت حياة ديمقراطية برلمانية حقيقية وضمن حقيقي لحقوق الإنسان، بما يعزز مجيء النخبة الوطنية الحقيقية من العراقيين، لذا كانت الممارسات والتطبيقات الديمقراطية وحقوق الإنسان مستثناة من التأثر بالنهج الغربي. كما ونلاحظ هنا أنه رغم مانص عليه الدستور العراقي الملكي من، حرية الرأي والتعبير والتأليف والتعددية والحريات الشخصية والعامة والانتخابات البرلمانية الحرة والتنظيمات العمالية والمهنية، إلا أن ذلك ظل في نطاق التطبيق والممارسة خاضعا لرغبات الحكومات التي توالى على حكم العراق، أكثر منها أحكام وتشريعات دستورية واجبة التطبيق من قبل تلك الحكومات وأجهزتها، ولم يأت هذا الأمر من فراغ، إنما جاء بناء على مقدمات أخذت طريقها في إطار التطبيق والممارسة، قبل إصدار الدستور. ومن تلك المقدمات:

1 - قيام بريطانيا العظمى بفرض مستشار بريطاني لكل وزير من وزارة عبد الرحمن النقيب الأولى، تتجاوز صلاحياته الوزير العراقي نفسه، والذي أصبح مقدمة للتجاوزات، التي أصبحت لاحقا حالة مرضية مستشرية، في إطار التطبيق، على مستوى الحكم الملكي، وهو ما ينسجم مع طموحات المستعمرين الأنكليز وأتباعهم من سلطة الحكم، لتمير ما يرغبونه بيسر وسهولة. كما تقدم الحديث فيه.

2 - كانت الطريقة التي تم بها إنتخاب الملك فيصل الأول ملكا على العراق، المقدمة الثانية على هذا الطريق، وبالتحديد بخصوص إعداد المضابط التي وضعت نصوصها من قبل المحتلين البريطانيين، والتي أختضرت على الأشراف والوجهاء دون عموم الشعب. ويتضح لنا في ضوء ذلك أن هاتين المقدمتين إضافة للنهج المتأثر بالغرب، تعتبر تجاوزا على حقوق الشعب، وإغفالا لأرادته الحرة المستقلة، في نهج الحكم الذي يرغبون، وطريقة إختيار الحاكم الذي يريدون. لذا توالى الممارسات اللاديمقراطية

عبر مسيرة الحكم الملكي، إضافة للتجاوزات على حقوق الإنسان الأخرى. ويمكن أن نستعرض بعض المفردات من تلك الممارسات اللاديمقراطية، والمخالفة لنصوص الدستور، ولحقوق الإنسان المشروعة. فعلى سبيل المثال لا الحصر نمر على هذه الممارسات:

أ - الممارسة الأولى:

نكوص الملك فيصل الأول رغم مرور سنة كاملة على تتويجه، من انتخاب المجلس التأسيسي، الذي تعهد بقيامه بعد ثلاثة أشهر من انتخابه، والذي كان شرطا من شروط العراقيين الأستقاليين كما تقدم الإشارة إليه، لمبايعته ملكا على العراق، فكان هذا النكوص أول بذرة للاديمقراطية، تسجل لغير صالح الملك فيصل. لذا إتصف الحكم الملكي عبر حكوماته المتوالية بحالة عدم إكتراث للتطبيقات الديمقراطية وحقوق الإنسان، وهو ما أصبح تجاوزا على نصوص مواد الدستور، الذي أصبح نافذا بعد نشره في الجريدة الرسمية في 21 آذار عام 1925م. وهكذا ظلت إرادة الشعب وحريرتهم المشروعة عرضة للتزوير والتطاول من قبل أجهزة الدولة المختلفة.

ب - الممارسة الثانية:

وصل أمر التدخلات في الإنتخابات النيابية، وعلى مدى كل الدورات البرلمانية، حدا لا يوصف في التزوير وتزييف إرادة الشعب، حتى أصبحت حالة الفوز بالتزكية لمن كان يطلق عليهم المثل العراقي المشهور موافج حدا لا يوصف، وأصبح حالة متلازمة وغالبية الدورات البرلمانية، ولعل من أبرز تلك الممارسات فوز 121 نائبا بالتزكية من أصل 135 نائبا، في الدورة ما قبل الأخيرة وبالتحديد عام 1954م، والتي جرت في عهد وزارة نوري السعيد الثانية عشر، المشار لتاريخها أعلاه. هذه الدورة التي مهدت لعقد حلف بغداد الإستعماري، وصادقت على إتفاقيته المشؤومة عام 1955م. وحين يكون الأعتراف حول تشويه الأنتخابات عن طريق التدخل في مساراتها لصالح مرشحي الحكومة، من نوري السعيد الذي يمثل قمة سلطة الحكم، كما تقدم الإشارة إليه، فهو دليل لا يعلو عليه دليل آخر. ولعل خير ما ينطبق على هذا الإعتراف هو المثل المعروف (من فمك أدينك) ولكن! ولكن هل يعني هذا أنه لا يوجد وطنيا معارضا يستطيع أن ينال تأييد الجماهير الذي يمكن أن توصله إلى كرسي النيابة؟ الجواب قطعاً يوجد الكثير منهم، وعن جدارة وإستحقاق ولكن! ولكن أنى يكون ذلك والحالة كلها تزييف في تزييف لأرادة الشعب. حتى أن

المؤرخين الأجانب حين يكتبون عن ذلك، يؤكدون هذه الحقائق الدامغة. ولعل ما ذهب إليه آيرلند Ayirland الذي أرخ هذه الفترة، بالقول أن الملك فيصل الأول كان يدعو الحكومة إلى ضرورة وضع النواب المعارضين ضمن من يجب أن يكونوا نواباً⁽¹⁾. وفلسفة الملك في ذلك ليس حالة وطنية، إنما محاولة لتحجيم إثارة المشاكل من قبلهم كما كان يظن

ت - الممارسة الثالثة :

في سلسلة الندوات التي عقدتها الهيئة المشرفة على قاعة كلري الكوفة في لندن، عن السير الذاتية لبعض الشخصيات العراقية المرموقة، تم إستضافة الراحل الدكتور عبد الأمير علاوي. ليتحدث عن سيرته الذاتية، عبر مسيرة حياته الاجتماعية والسياسية، لا سيما وصاحب السيرة تقلد مناصب رسمية رفيعة⁽²⁾. وقد كان الرمز الملكي شجاعاً بصراحته، ونقده الهادف، حين أعلن أنه كان يشعر بالحرج والضيق الشديدين، لأنه كان يخرج نائباً في مجلس النواب، عن أماكن في مدن لا يمت لها بأية صلة تذكر، رغم أنه معروفًا وعائلته ببغداديته الأصيلة، حتى راح هذا النائب يعاتب نوري السعيد بإعتباره من حزبه ويثبه حرجه بكل بساطة من هذا الأمر، لكنه لم يجد الجواب الشافي. ومثل هذا الأمر إن دل على شيء، فإنما يدل على مدى الإستخفاف بإرادة وحقوق الشعب في حرية الإنتخاب وحرية الترشيح.

ث - الممارسة الرابعة :

أما المجالس النيابية الستة عشر، التي إستوعبتها حقبة الحكم الملكي فلم تكتمل فيها المدة القانونية، عدا دورتين فقط، أما الأربعة عشر دورة فقد حلت مجالسها قبل إنقضاء المدة القانونية من قبل البلاط الملكي، لغايات غالباً بعيدة عن المصالح الوطنية والقومية، وهو ما يعد إنتهاكاً صارخاً لأرادة الشعب ومواد الدستور. وللعلم بالشئ فإن مجالس النواب الستة عشر هذه لم تقرر مرة واحدة ممارسة حقها الطبيعي، الذي ضمنه الدستور، وذلك بحجب الثقة عن أي وزارة من الوزارات التسع والخمسين، التي إستوعبتها فترة الحكم الملكي، سوى مرة واحدة أشرنا إليها قبل قليل، لا بل ولا حتى عن أي وزير رغم إرتكابه مخالفات كبرى، كل الذي كان يحصل، أن البلاط الملكي وعبر الأحداث والظروف

(1) آيرلند، المصدر نفسه، ص 340.

(2) تقلد الراحل د. عبد الأمير علاوي، عدة حقائب وزارية منها: وزارة الصحة أربعة مرات، مرة في وزارة الجمالي عام 1954م. ووزارة السعيد عام 1955م. ووزارة الأيوبي عام 1957م. ووزارة بابان عام 1958م. كما تقلد وزارة المواصلات في وزارة مرجان عام 1958م.

الحرجة، كان يطلب من الوزارة أن تستقيل، فستقيل، أو ان يطلب رئيس الوزراء من أي وزير إرتكب مخالفة كبرى تقديم الإستقالة، فيستقيل، «وكفى الله المؤمنين شر القتال» [فاطر: 32]. . وطالما نحن ضمن الحديث عن مجلس النواب ودوراته، هناك واقعة لا تخلو من طرافة رأينا الإشارة إليها. فحين أقدمت لجنة صياغة الدستور العراقي على تقديم مقترح بخصوص ضرورة توفر شرطاً القراءة والكتابة في عضوي مجلسي النواب والأعيان، وبعد أخذ ورد طويلين سحب المقترح⁽¹⁾. وتعقبنا على ذلك أننا مع ضرورة توفر مثل هذين الشرطين المهمين والأساسيين على أقل تقدير ولكن! ولكن هل أن توفر هذان الشرطان سيمنعان الحكومات التي تعاقبت على حكم العراق الملكي، من عقد المعاهدات والاتفاقيات المنقوصة بحقوق الشعب المشروعة؟. نرد على ذلك ونقول: لا يمكن أن يؤثر ذلك بأي حال من الأحوال، والسبب كامن فيه، من حيث أن نهج الحكومات متأثر أساساً بإرادة الآخرين.

ج - الممارسة الخامسة:

كانت إجراءات تعطيل وإغلاق الصحف وتجميد الأحزاب الوطنية أو حلها، بإختلاق الأسباب والمسببات من الأمور الإعتيادية التي جبلت عليها بعض الحكومات، التي توالى على حكم البلاد، وكثيراً ما كانت تلك الحكومات تمارس إشاعة أجواء الرعب والخوف في نفوس أبناء الشعب بمختلف الأساليب، منها إعلان الأحكام العرفية، والتوقيف الكيفي، والنفي إلى خارج الوطن، والإبعاد إلى مناطق محلية نائية، والفصل من الوظيفة أو الدراسة لأسباب سياسية، والوقوف بوجه الأضرابات السلمية المشروعة للعمال والطلبة. وكانت ممارسات وزارات محسن السعدون، وياسين الهاشمي، ونوري السعيد، وأرشد العمري، وصالح جبر⁽²⁾.

أكثر وطأة وتعسفاً من بقية ممارسات الوزارات الأخرى. وصعدت بعض الحكومات من ممارساتها التعسفية، ضد أبناء البلد من الوطنيين والقوميين، ولعل ما أقدمت عليه حكومة نوري السعيد الرابعة عشر من سن ستة مراسيم هي على التوالي رقم 16، 17، 18، 19، 24، 25 لعام 1954⁽³⁾. بمثابة ممارسات خرق فاضح للمسألة الديمقراطية، وحقوق

(1) محضري مجلس النواب في جلستي 23، 30 حزيران عام 1924.

(2) بصري، م . س، ص 68. 69 و 95. 96 و 127. 130 و 206، 210.

الحسني، الوزارات، ج 10، ص 288.

(3) د. العكام، م . س، ص 191. 200 و ص 291. 298 و ص 299. 301.

الإنسان، ومواد الدستور وقد كان من أخطر هذه القرارات وأكثرها إيغالا في التعسف مرسوم رقم 17، الذي أعطى لمجلس الوزراء حق إسقاط الجنسية العراقية عن العراقيين المحكومين لأسباب سياسية، ويعد هذا القانون بادرة خطيرة على حقوق المواطنة، التي كفلها الدستور العراقي لكافة العراقيين دونما إستثناء، بموجب المادة الخامسة. وقد نفذ هذا المرسوم بحق الكثير من الوطنيين العراقيين، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر، عدنان الراوي من القوميين العروبيين، وتوفيق منير من الشيوعيين، وعشرات غيرهم.

ح - الممارسة السادسة:

رغم أن حرية الفكر والرأي قد ضمنهما الدستور العراقي، إلا أن الأجهزة الأمنية راحت تتفنن في ممارساتها لمحاربة تلك الحرية، حين أخذت تستعمل تهمة إعتناق المبادئ الهدامة، وبالتحديد الشيوعية، سلاحا ماضيا زجت به الآلاف من الوطنيين على أساس هذه التهمة، حتى وإن كان أولئك المواطنين من تيارات أخرى، كالتيار القومي العروبي أو الإسلامي أو الديمقراطي. كما راحت تلك السلطات إلى أبعد من ذلك حين إستعملت حق منح شهادة حسن السلوك أسلوبا آخر لمحاصرة المناضلين، وبطريقة مستهجنة تأبأها أبسط قواعد حقوق الإنسان المشروعة، والطريقة هي الطلب من راغب الحصول على شهادة حسن السلوك، لغرض التوظيف أو الدخول للكليات والمعاهد الدراسية، أن يعلن برأئته من المبادئ الشيوعية الهدامة، في الصحف المحلية حتى وإن لم يكن طالب الشهادة شيوعيا، ووفق نص موضوع لدى مديرية الأمن العامة المانحة لهذه الشهادة. والنص الموضوع يقارب هذا المعنى على ما يتذكره كاتب هذه السطور⁽¹⁾، وهو «إني فلان الفلاني أعلن برأئي من المبادئ الشيوعية الهدامة، وأعلن أنني أعتز بملكي المفدى ونظامه الملكي، وإني مستعد للدفاع عنهما وعن الوطن ضد الطامعين والأعداء». ورغم أن هناك الكثير من المناضلين على إختلاف توجهاتهم الفكرية والسياسية، رفضوا إعطاء مثل هذه البراءة، رغم حاجتهم القصوى للشهادة، إلا أن البعض منهم أعطوها إما صاغرين تحت التعذيب، أو مخيرين لضعف حصانتهم.

(1) لأنه تعرض لمثل هذا الموقف عام 1956م، رغم إنه يعتقد فكر سياسي مغاير تماما للشيوعية، إلا أنه رفض إعطاء مثل هذه البراءة، رغم حاجته الماسة للشهادة آنذاك، لغرض التوظيف بعد ان تم فصله من الدراسة لأسباب سياسية، للسنة الدراسية 1956 - 1957م، بسبب موقفه النضالي ضد موقف الحكومة غير الودي من العدوان الثلاثي الغادر.

خ - الممارسة السابعة:

لم يسلم أي مناضل وطني غيور على مصلحة وطنه وشعبه، أينما كان وكيفما إتفق، من الممارسات التعسفية للسلطات المحلية، ولعل ما حصل لمجموعة كبيرة من الوطنيين والقوميين، من خريجي كلية ضباط الاحتياط خير شاهد على ذلك، حين تم إستبعادهم من الخدمة الفعلية، رغم أنهم أكملوا تدريباتهم ودراساتهم العسكرية، الأصولية والتأهيلية في كليتهم، كي يكونوا ضباطا إحتياط في صفوف الجيش العراقي. وإن سبب إستبعادهم من الخدمة هو ميولهم السياسية والفكرية المناهضة للنظام، لأن النظام كان يحذر نشاطاتهم السياسية من جهة، ويخاف من أن يؤثروا على الضباط والمراتب والجنود، من جهة ثانية. ويذكر كاتب هذه السطور أن مسؤوله الحزبي⁽¹⁾. كان واحدا من مئات تعرضوا لهذا الموقف عام 1956م، حيث تم إعفائهم من خدمة ضباط الاحتياط لأتجاهاتهم السياسية المختلفة.

د - الممارسة الثامنة:

وتجاوزت بعض الممارسات التعسفية حدودها، ولكن هذه المرة بدون مراسيم، حين راحت الأجهزة البوليسية تتجاوز صلاحياتها بتوقيف الأب أو الأبن أو الأخ بدل المتهم السياسي الهارب، للضغط عليه وعليهم بالتسليم، وقد طبق هذا التجاوز على سبيل المثال لا الحصر على: إبن الشهيد صلاح الدين الصباغ، قائد حركة مايس العربية عام 1941م، بعد فشل الحركة وهروب قائدها. وقد بقي إبنه سجيناً ما يقارب الأربع سنوات، حتى حصلت عملية متداخلة شاركت فيها عدة أطراف إقليمية، أدت إلى تسليم الصباغ إلى السلطات العراقية. وبعد أن تم إعدام الصباغ بتلك الصورة البشعة، وذلك بالتمثيل بجثته بتعليقها أمام وزارة الدفاع لمدة من الزمن، تم بعدها إسقاط الجنسية العراقية عن عائلته، وأبعدت إلى الخارج. علما بأن عملية التجاوز على الآخرين بجريرة غيرهم مهما كانت صلة القرابة بينهما، إضافة لعملية التمثيل بالميت، هي من الأمور التي لا تقرها شريعة الله في خلقه. لقوله عز من قائل: «ولا تزر وازرة وزر أخرى» [فاطر: 35]. كما إنها تخالف نصوص مواد الدستور العراقي، المشرع من قبل سلطة الحكم نفسها، والمعمول به طيلة العهد الملكي ومما جاء في المادة الخامسة منه مانصه أما التعذيب ونفي العراقيين إلى خارج المملكة العراقية فممنوع بتاتا⁽²⁾. وإذا وجد من يبرر هذا العمل ويسببه بقيام حركة الصباغ المسلحة

(1) وهو: الراحل الأستاذ جعفر عبد الحسين الكوازي، إبن شقيقة الشخصية الديمقراطية المعروفة الراحل

عواد علي النجم.

(2) محضر مجلس النواب في جلسة 16 حزيران عام 1924م.

ضد السلطة، رغم أن هذا التبرير والتسبيب مرفوضان من ناحية المبدئين الشرعي والوضعي، وحتى تكون الصورة أكثر قرباً للتصديق، أثبت بالهامش صورة لهذا التجاوز حصلت فعلاً لكاتب هذه السطور، ولكن بسبب لا يمكن مقارنته بكل المقاييس مع سبب حركة الصباغ⁽¹⁾.

ذ - الممارسة التاسعة:

وحين نريد للحديث أن يكتمل في هذا المقطع، فلا بد من الإشارة إلى سجن نقرة السلطان، الذي شيد في العهد الملكي، في منطقة نائية من الجزيرة في جنوب العراق، فقد أصبح هذا السجن الشبح المرعب الذي يرتاب منه أبناء الشعب العراقي لمجرد ذكر اسمه. وليس من المصادفة أن يبنى هذا السجن في هذه المنطقة النائية والمقفرة، فقد سبق للوالي الأموي على العراق وهو الحجاج بن يوسف الثقفي أن بنى سجنه قبل ما يزيد على الثلاثة عشر قرناً من الزمن، وبدون سقف في نفس الجزيرة، وكان القادم إليه إما يهلك أو يعمى أو ينسلخ جلده من شدة الرمضاء. ولا عجب فقد مر على سجن نقرة السلطان الآلاف من المناضلين العراقيين، بسبب جور الحكومات التي توالى على حكم العراق الملكي، فمنهم من هلك ومنهم من مرض ووهن جسمه ومنهم من سلم. وكان من أوائل المتضمرين به هم رموز ومناضلي ومؤيدي حركة مائيس القومية العربية عام 1941م⁽²⁾. وهكذا كانت الممارسات الديمقراطية وحقوق الإنسان معطلة، وإن هي مورست فتمارس بصور مشوهة لا تمت بصلة لذلك، بفعل الإجراءات التعسفية التي لازمت سلطة الحكم الملكي. لذا نلاحظ أن الحركة الوطنية المعارضة جابهت تلك الحكومات اللاديمقراطية واللاإنسانية مجابهة لا تلين. وفي ضوءه يشخص لنا إن ما عرضنا له في مختلف النواحي، وما شخص أمامنا من ظواهر سلبية وممارسات مرفوضة، إتسمت بها مسيرة النظام الملكي، قد عكس آثاراً سلبية

(1) فالسبب هنا بسيط للغاية، وهو لا يتعدى وقوف كاتب هذه السطور موقف الاستنكار للعدوان الثلاثي على مصر عبد الناصر عام 1956م فبعد فصله من الدراسة أخذت السلطات الأمنية تطارده للقبض عليه، إلا أنه أفت منهم وأثر على الهروب داخل العراق، فما كان من تلك الأجهزة بعد أن عجزت عن العثور عليه، إلا إلقاء القبض على المرحوم والده وهو شيخ كبير، بحجة أنه يعرف مكان إختباء ولده، ويجب أن يدلهم عليه، إلا أن حالة إستنكار لهذا العمل أدى إلى إطلاق سراحه.

(2) منهم المرحوم السيد مهدي هاشم الموسوي، أحد المعتقلين بعد حركة 1941م، والمسجون في نقرة السلطان، وقد أفادنا شقيقه السيد عبد الله، بهذه المعلومة، في مقابلة معه في لندن 30 حزيران عام 1998م، وقد أشار الشقيق بجانب ذلك إلى معاناتهم العائلية الشديدة أثناء زيارتهم له في موقع السجن موضوع الإشارة، وكانت والدته على الخصوص تعاني من ذلك شديد المعاناة.

اجتماعية وسياسية واقتصادية ولاديمقراطية، مما ولدت حالة من الأستياء والتذمر الشديدين، لدى الحركة الوطنية المعارضة وجماهيرها من الشعب، وقد ظل أوارها يتصاعد عبر الأحداث، الأمر الذي نتج عنه تفاعل عميق إنعكس بمعطياته المشروعة، ليستثمر في تحديد يوم الخلاص الوطني من الحكم الملكي، الذي كلكل على صدور العراقيين حوالي أربعة عقود من الزمن. وحين يشير أحد أعمدة النظام الملكي، وهو خليل كنة، الرجل الذي تقلد مناصب رفيعة، من أبرزها تقلده لوزارات مهمة، كوزارة المعارف، والمالية، والذي إستقطب أهتمام الدستوريين نسبة للحزب الدستوري الذي رأسه نوري سعيد) على أنه خليفة الداهية العجوز نوري السعيد، وحدي ثرجالات النظام هو أقرب للواقع من حديث الخصوم رغم صدقيتهم لذا يأتي حديث خليل كنة في صميم الواقع كونه لم ينسلخ عن النظام حتى لحظاته الأخيرة، فهو حين يتحدث في مذكراته عن السياسات الداخلية والخارجية، التي أدت لسقوط النظام الملكي، يشير إلى أن ديمقراطيته النظام كانت ديمقراطية زائفة، وإن تسيير دفة السلطة والحكم كانت إمتداد لأسلوب الحكم العثماني الأوتوقراطي. كما ويشير إلى أن النفوذ البريطاني كانت له تأثيراته الطاغية على مسيرة النظام الملكي وحكوماته، ومن جانب آخر يحمل الساسة الذين ركضوا وراء مصالحهم الذاتية، وتعاملوا مع الوعي الجديد وحاربوه بدون رحمة، لأنهم إعتبروه مزاحما خطيرا لوجودهم، وإن مثل هذه المواقف أدت إلى تحجيم دور مساهمة الشباب الطالع في تطوير العراق وتقدمه⁽¹⁾. والذين يعرفون خليل كنة يدركون أنه لم يكن بعيدا عن هذا النهج وتلك الممارسات، بل كان في صميمها، رغم بداياته الوطنية التي إنسلخ عنها بانضمامه للضد من الحركة الوطنية المعارضة، وعمله في محيط الضد هذا، منذ عام 1946م وحتى قيام ثورة تموز في عام 1958م. وعدا ذلك كان كنة متورطا في الكثير من الممارسات الطائفية، وبالخصوص ضد الشيعة.



(1) كنة، خليل، مذكرات خليل كنة، ص

الفصل الثاني

الشيعة ومحاولة تقويم الدولة، وبناء مرتكزاتها

المبحث الأول: الشيعة ومحاولة تقويم نظام الدولة وممارسات الحكم:

كان لنخبة الأمة من الشيعة العرب إهتمام وحرص شديدين، على الوليد الجديد، هذا الوليد الذي قدمت له الشيعة خيرة أبنائها البررة على طريق التحرير والأستقلال، وهو ما تم التطرق إليه بشئ من التفصيل، في مباحث سابقة من هذه الدراسة. وهو بنفس الوقت ما دفعها للتصدي والمواجهة، سواء عن الطريق السلمي أو الأنتفاضي أو الثوروي، لمحاولة تقويم ممارسات ونهج الدولة الحديثة. نقول أنه من باب الحرص والأمانة ولكي لا يبقى هذا الوليد يتوغل في مسيرة الممارسات المضادة، والأستفراد بالحكم والسلطة، كانت نخبة الشيعة ترقب مجريات الأمور عن كثب، سواء بخصوص السياسة الداخلية، أو الخارجية، كما كانت ترصد الكثير من الممارسات التي أوجت الطائفية السياسية، والعنصرية الأحتوائية، أو تلك التي كبلت العراق بمعاهدات ومواثيق جائرة، عبر مسيرة الحكومات الواحدة والعشرون وزارة، التي توالى على حكم العراق، خلال الخمسة عشر سنة الأولى، من عمر هذا الوليد، أي من عام 1920 - 1935م. وللواقع والحقيقة تعتبر هذه الفترة من الفترات المهمة والدقيقة في عمر تكريس أسس ونهج الوليد وتكامل هيكلية. هذا الوليد الذي أراد الشعب أن يكون وليدا وطنيا شموليا، تشارك في إدارته كل نخب الأمة، وتضطلع بمسؤولياته على المستويين الداخلي والخارجي، إلا أن نخبة الأقلية وبفعل الداعمين لهم، أرادوه وليدا فثويا ماليا ومنفذا لرغباتهم ومصالحهم من جانب، ونحققا على الطريق مصالح ذاتية وفتوية لنخبة الحكم من الأقلية، حتى وإن كان ذلك على حساب الحقوق الوطنية والقومية. لكن هذا الوضع لم يعني وقوف الآخرين متفرجين، وبالخصوص نخبة الأمة من الشيعة؛ من مؤسسات دينية وعشائرية ومدنية. وكى ندعم وجهة النظر هذه، نستعرض نماذج من مواقفهم الوطنية الصميمة في هذا الأتجاه، لمحاولة تقييم نهج وممارسات نظام الدولة والسائرين في ركابه، البعيدة عن مصلحة الشعب.

أولاً: محاولة نخب الأمة من الشيعة تقييم موقف الملك فيصل الأول من موضوع إنتخاب المجلس التأسيسي: فبعد أن تم تنصيب الملك فيصل الأول ملكا للعراق، عن طريق المضابط المعروفة، التي أختصرت على الأشراف والوجهاء دون عامة الشعب. نعيدكم إلى

مقولة تشرشل وزير المستعمرات البريطاني المتقدم نصها، عن ان تنصيب فيصل على العراق سيزيد من سلطة بريطانيا عليه، كما نشيركم لما تقدم من نصوص أشار إليها نظمي وأيرلند، سواء بخصوص وصف طبيعة إنتخاب فيصل ملكا على العراق، أو طريقة إنتخابه. هكذا كانت البدايات وهكذا بدأت مهمة بناء المؤسسات، والتي إكتملت بتأسيس الجيش العراقي، وقيام المجلس التأسيسي، وسن الدستور، وإقامة مجلس للنواب وآخر للأعيان. ووقفة إستدراك بخصوص طبيعة إنتخاب الأمير فيصل ملكا على العراق عبر المضابط المعروفة، فقد سبق أن إستعرضنا رغبات أكثرية المكونات العراقية، بخصوص صيغة الحكم، عبر عملية الأستفتاء التي طرحها ويلسون في نهاية عام 1918 وبداية عام 1919، حين أيدت شرائح كبيرة من المدن المقدسة، النجف وكربلاء والكاظمية، إضافة للعشائر العربية، والحركة الوطنية في بغداد، قيام حكم يرأسه أمير عربي مسلم من أنجال الشريف حسين، على أن يكون التنصيب مقيدا بمجلس تأسيسي وطني منتخب. وقد تكرر نفس الموقف بخصوص مضابط إنتخاب فيصل ملكا على العراق، وبالخصوص من قبل الحركة الوطنية، والتي لعب فيها محمد جعفر أبو التمن ومهدي الخالصي وآخرين دورا كبيرا في التأكيد على شرطين أساسيين هما، إنهاء الإحتلال، وإتمام إنتخاب المجلس التأسيسي، في مدة أقصاها ثلاثة أشهر. وكان لهذه الإضافة ردة فعل وإمتعاض شديدين لدى الملك فيصل والمحتلين البريطانيين. علما بأن هناك من رفض أصلا تنصيب الملك فيصل ملكا على العراق، قبل أن يجري إنتخاب المجلس التأسيسي، وعقد مؤتمر خاص يقرر فيه إختيار فيصل وتنصيبه. وبعد مرور ما يقارب العام الواحد على تنصيب فيصل الأول ملكا على العراق، أجازت وزارة داخلية عبد الرحمن النقيب، تأليف حزبين سياسيين في الثاني من آب عام 1922م، وهما كل من، الحزب الوطني العراقي⁽¹⁾، الذي أصبح برئاسة محمد جعفر أبو التمن، وحزب النهضة العراقي⁽²⁾، الذي أصبح برئاسة أمين الجرجفجي. وأبو التمن والجرجفجي من رموز الشيعة المعروفين. وكان هذان الحزبان أول حزبين معارضين في العهد الملكي، وقد ضم كل منهما نخبة من رجالات العراق، وقد ركز الحزبان بصورة ملفتة للنظر على

(1) وكان من مؤسسيه كما أوردتهم د. البصير في مصدره المتقدم ص 226-230، هم السادة أحمد الداود، محمد جعفر أبو التمن، حمدي الباجه جي، محمد مهدي البصير، بهجت زينل، مولود مخلص عبد الغفور البدري.

(2) وكان من مؤسسيه كما أوردتهم د. البصير في مصدره المتقدم ص 230-231، هم السادة أمين الجرجفجي، آصف قاسم أغا، عبد الرسول كبة، عبد الرزاق الأزري، مهدي البير، محمد حسن كبة. وغالبية أعضائه من الشيعة.

أهمية قيام المجلس التأسيسي، لما له من أهمية إستراتيجية للمحافظة على سيادة وإستقلال القرار العراقي، وهي إلتفاتة ذكية تأتي أهميتها لمعالجة أمور باتت ملحة، لعلاقتها الوثيقة للحد من الهيمنة البريطانية، والوقوف بوجه فرض عقد إتفاقيات غير متكافئة، مع حكومة موالية للمحتلين البريطانيين، هي في الصميم ضد الأستقلال الناجز، والحكم الوطني الحر المستقل. وفي إجتماع عال مشترك للحزبين المذكورين، ضم اللجنتين التنفيذيتين، صاغ الحزبان مذكرة سياسية مشتركة، وجهت إلى الملك فيصل الأول، وقد نشرت المذكرة في جريدتي المفيد والرافدان. ومما جاء في المذكرة:

«إن الأمة كانت تنتظر بعد تتويج جلالتم وإعلان إستقلال العراق، وتشكيل الحكومة المقرر شكلها في نص البيعة، وهو حكومة دستورية نيابية ديمقراطية، وإنتخاب المجلس التأسيسي لسن الدستور، وتأليف المجلس التشريعي، لتكون الوزارة مسؤولة أمامه حسب القواعد الجارية في الحكومات الدستورية وحيث أن جميع ما ذكر قد بقي في عالم المواعيد ولم يخرج من القول إلى حيز الفعل، فقد بقيت الأمة تكابد أنواع الأضرار الناتجة عن سوء الإدارة المتغلب عليها نفوذ البريطانيين، المنافي لروح الإستقلال»⁽¹⁾.

كما وقف الحزب الوطني العراقي من خلال خطاب ألقاه محمد مهدي البصير، وهو من الرموز الشيعية المعروفة وعضو اللجنة التنفيذية، في ساحة البلاط الملكي، وبحضور جماهير حاشدة بمناسبة الذكرى الأولى لأعتلاء فيصل الأول عرش العراق، وكان الخطاب عدا كونه إثارة للهواجس، كان بمثابة تذكير للملك فيصل الأول، بما تعهد به قبل عام. ومما جاء في الخطاب:

«تذكرون إيها السادة، ويتذكر صاحب الجلالة، إننا رفعنا أصواتنا قبل هذا اليوم من العام المنصرم وقت إبرام البيعة، فطلبنا جمع المجلس التأسيسي وتأليفه خلال ثلاثة أشهر، تبتدئ من نظير هذا اليوم من العام الماضي، وقد إنقضت السنة كلها ولم يلب ذلك الطلب»⁽²⁾.

وقد كان للمؤسسة الدينية بشخص المجاهد الإمام الشيخ مهدي الخالصي الكبير، موقفاً أمضى وأفصح بهذا الصدد، حين خلع بيعة الملك من رقبة العراقيين في تلك السنة، كما أبدى محمد جعفر أبو التمن نفس الإهتمام في إجتماع خاص في داره. أما حزب النهضة

(1) جميل، حسين، شهادة سياسية، (ط 1، دار اللام، لندن، 1987)، ص 76.

(2) د. البصير، م. س، ص 215.

العراقية فقد أصدر هو الآخر، بيانا خاصا به في نفس اليوم، وهو ما كان يتطابق كثيرا مع ما كان يهدف إليه ثوار العشرين من تحقيق الثالث والعشرون من شهر آب عام 1922م، ونشرته الصحف المحلية لاحقا. ومما جاء في البيان:

«إن الشعب يقف اليوم بعد مرور سنة كاملة لم ير خلالها فرقا بين سياسة الحكومة الحاضرة وبين سياسة الحكومة الإحتلالية»⁽¹⁾.

ونقف هنا على مدى إصرار المحتلين البريطانيين التعريض بسيادة وإستقلال العراق، وذلك من خلال التدخل السافر في شؤون العراق الداخلية، فحين شاءت الأقدار أن يصاب الملك فيصل الأول، بداء الزائدة الدودية التي إستدعى معها الأمر، إجراء عملية جراحية سريعة. وقد تزامن مع إجراء العملية إستقالة الوزارة النقيبية، الأمر الذي دفع المندوب السامي البريطاني، تولي جميع سلطات الدولة، بالوقت الذي كان يمكن أن يملأ الفراغ الحاصل، عن طريق تكليف الوزارة المستقلة تمشية الأمور، لحين إستدراك الموقف الناشئ عن مرض الملك وإستقالة الوزارة، وهو من الأعراف السائدة في إدارة دفة الحكم في كل الدول إلا أن الصلف والجور والهيمنة الأنكليزية لم تعط هذه الفرصة حتى لمواليها، بل رأت في ذلك فرصتها السانحة كي تتخذ ما يحلو لها من إجراءات صارمة، كيفما إتفق مع مصالحها. وكان أول إجراء إتخذه المندوب السامي البريطاني بحق الحزبين، هو إغلاقهما، ولم يمضي على إجازتهما سوى أسابيع، كما قام بنفي قادة الحزبين إلى جزيرة هنجام، وكان على رأس المنفيين محمد جعفر أبو التمن، ومحمد أمين الجرجفجي رئيسا الحزبين المذكورين أعلاه، إضافة لبعض المؤيدين ومنهم الشيخ حبيب الخيزران رئيس عشيرة العزة، كما تم إغلاق جريدتا المفيد والرافدان لنشرهما المذكورة السياسية المشتركة للحزبين المذكورين، ناهيك عن إبعاد نخبة من الشيعة من بينهم: كل من السيد محمد الصدر ومحمد الخالصي، النجل الأكبر للأمام الخالصي، إلى إيران⁽²⁾. وتحسسا مشوبا بالحدز والترقب من تحرك العشائر الشيعية، لم يكتف المندوب السامي البريطاني بكل تلك الإجراءات، بل صعد الموقف تصعيدا خطيرا، عن طريق توجيه سرب من الطائرات القاذفة البريطانية لقصف عشائر آل قتلة في المهناوية، وعشيرة الأكرع في عفك، وعشيرة خفاجة في الشطرة. وقام بفصل مجموعة من الموظفين الإداريين من المؤيدين للحركة الوطنية⁽³⁾. والملاحظ هنا أن غالبية هذه العشائر سبق لها المشاركة في ثورة العشرين ضد المحتلين البريطانيين، الأمر

(1) جريدة المفيد، الصادرة في تاريخ، 23 آب عام 1922م.

(2) د. البصير، المصدر نفسه، ص 79.

(3) الحسني، تاريخ الوزارات العراقية / ط 3، ج 1، ص 119

الذي يعزز الاعتقاد أن المندوب السامي البريطاني قد تجاوز كل الحدود بإتخاذه سياسة الردع من جهة، وإغتنام الفرصة للثأر من بعض العشائر التي أوجعتهم أبان ثورة العشرين من جهة أخرى. وحين نتبع عمق مدلولات تلك الإجراءات التي إتخذت بحق رموز وقادة ومؤيدي الحزبين المذكورين، وضد العشائر الشيعية نلاحظ أنها تتناغم مع تلك التي إتخذت بحق ثوار العشرين، رغم الفارق الكبير بين طبيعة المواجهة ذات الصبغة المسلحة التي كان عليها ثوار العشرين، وبين المواجهة ذات الصبغة السياسية السلمية، التي كان عليها الحزبين ومؤيديهما. وهذا إن دل على أمر فإنما يدل بما لا يقبل الشك، على مدى الخوف والجزع الذي أصاب المحتلين البريطانيين، من أن تنقلب هذه المواجهة السياسية المسالمة، إلى ثورة عشرينية مسلحة ثانية. ولا أدل على هذا الاستنتاج من تقرير كتبه بيرسي كوكس، ونشر ضمن رسائل مس بيل، وهو يصف الظروف التي تكالبت في تلك الحقبة فيقول:

«وإن اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة 1922، كان يوماً صاخباً بالإضطرابات والمظاهرات. وإن ولاية بغداد وعشائر الفرات كانا على شفا ثورة، كانت معالمها تدل على أنها لن تكون أقل خطورة عن تلك التي قامت في العشرين، منظمة من العناصر نفسها»⁽¹⁾.

ثانياً: محاولة نخب الأمة من الشيعة تقييم الإقدام على توقيع معاهدة 1922م وتصديقها، بدلا عن الأنتداب، وضرورة إلغائها: فحين عزمت حكومة عبد الرحمن النقيب الثالثة، التي ألفت في 30 أيلول عام 1922م - 17 تشرين الثاني عام 1922م⁽²⁾ على تصديق الإتفاقية العراقية البريطانية الأولى بين البلدين، في العاشر من تشرين الأول من عام 1922م، وهي الإتفاقية المفروضة من جانب واحد هو بريطانيا، والتي جاءت صياغتها في صميم مواد صك الإنتداب سعى الصيت، إن لم تكن أكثر وطأة منه، وهو ما أشار إليه الكثيرون⁽³⁾. الأمر الذي إنبرت له نخبة الشيعة من المؤسسة الدينية والعشائرية والمدنية، محاولة تقويم هذه الخطوة، برفض الاتفاقية موضوعة البحث، وإنهاء الأنتداب، كانت الخطوة الأولى عشائرية، حين رفع الفراتيون الشيعة، برقيتان. البرقية الأولى كان نصها:

(1) مسز بيل، كيرتود، رسائل مس بيل، ج 2، ص 537.

(2) بصري، م. س، ص 61.

(3) آيرلند، م. س، ص 268، 269.

العمر، فاروق صالح، م. س، ص 45.

مذكرات المجلس التأسيسي، 289 - 309.

بغداد - لجلالة ملكنا المفدى فيصل الأول دامت سلطته .

نطلب من جلالتم تنفيذ المواد الآتية :

- 1 - رفض الأنتداب، وإعتراف حكومة بريطانيا العظمى بإلغائه رسمياً .
 - 2 - إسقاط أية وزارة تصدق معاهدة غير مرضية بنظر الأمة، وتعيين وزارة وطنية تطمئن الأمة بأعمالها .
 - 3 - إزالة أية سلطة أجنبية على الحكومة العراقية .
 - 4 - إطلاق حرية الصحافة
- هذه رغائب الأمة، وبما أن الأحوال الحاضرة مخالفة لرغائبها، بادرنا لعرضها لجلالتم، لتكون الأمة معذورة بنظر جلالتم . والامر لوليه أدام الله شوكتكم⁽¹⁾ .

التواقيع

أما البرقية الثانية فقد وجهت إلى :

بغداد / المعتمد السامي البريطاني لحكومة بريطانيا العظمى المفخّم .

نعرض لفخامتكم، حسبما وعدت حكومة بريطانيا العرايين لحكومة دستورية، ديمقراطية، يرأسها ملك عربي، وبذلك بايعت الأمة العراقية على إختلاف طبقاتها، جلاله الملك فيصل ملكا عليها . وقد أكد ذلك جلاله ملك بريطانيا في برقيته التاريخية، بمناسبة تتويج ملك العراق فيصل الأول . إنا لا ننكر صداقة حكومة بريطانيا العظمى، صداقة خالية من المحاباة، وبما أن فخامتكم يمثل حكومة بريطانيا العظمى، نود ان نوقفكم على رغائب الأمة التي لا يمكنها التزلزل عنها مهما كلفها الأمر، وهذه المواد هي الآتية :

- 1 - رفض الأنتداب رفضا باتا وأعلان حكومة بريطانيا العظمى بإلغائه رسمياً .
- 2 - مراجعة حكومة جلاله ملك العراق لوزارة الخارجية الأنكليزية لأن مراجعتها لوزير المستعمرات مخالف للأستقلال التام .
- 3 - رفع تدخل أية سلطة أجنبية، لأن أعمالهم ر يمكن أن تطابق سياسة بريطانيا العظمى، وللأمة في نفسها الكفاءة لإدارة شؤونها . بهذا تطمئن الأمة . ولكم مزيد الأحرّام⁽²⁾ .

التواقيع

(1) الحسيني، م . س، ج 1، ص 110 . نقلا عن: جريدة المفيد البغداديّة، العدد / 114 .

(2) ن . م . ج 1، ص 111 .

كما وجه رؤساء عشائر عفك رسالة إلى عبد الرحمن النقيب رئيس الوزراء، جاء فيها: «إننا الموقعين أدناه أهالي عفك، مع من أنابنا، نرفض الأنتداب البريطاني، ونرفض كل من يتمسك به، ونطلب لبلادنا الأستقلال التام، متمسكين بعرش جلاله ملكنا المفدى فيصّل»⁽¹⁾.

ففي حين نجد أن عرض المطالبين أعلاه من قبل العشائريين، كانت في صميم العرض السلمي والعقلاني، إلا أن تحسس العشائريين، بأن الحكومة ترتب إجراءات أمنية ضدهم، لذا نلاحظ أن المذكرة التالية جاءت بصيغة التحذير، من مغبة الأصرار على الأعراض عن تلبية مطالب العراقيين المشروعة. ونص المذكرة هو:

بغداد / إلى أعتاب جلاله ملك العراق المفدى أدام الله شوكته.

كنا في النجف الأشرف منتظرين إنجاز الوعود التي أوعدها مستشار الداخلية. وأمس مساء فهمنا من فحوى كلمات فاه بها متصرف كربلاء: أن الحكومة امرت بحبسنا فأجابها بسوء العاقبة، وهو ينتظر الجواب لينفذ فينا ما يؤمر به، وعليه فقد بارحنا النجف إلى ديارنا، عن طريق أبي صخير مصممين الدفاع عن أنفسنا، وحقوقنا المهضومة، مهما كلفنا الأمر لأن ثقتنا، قد زالت تماما من هذه الحكومة الحاضرة، ولم نعد نأتمنها على شيء. فنحن نحتاج على هذه الفعال ونترضع إلى جلالكم بإسقاط الوزارة، وإبدالها بوزارة نأتمنها، ونثق بأعمالها لأجل ان يمكننا التفاهم معها، حيث أننا صممنا منذ الآن ان لا ندخل مراكز الحكومة قبل سقوط الوزارة الحاضرة، وانجاز مطالبينا المحقة، التي طالما صرخنا بها إلى المقامات العالية. وكل تبعة تصدر في المستقبل هي ملقاة على عاتقها، وعلى من يعضدها من رجال الانكليز. أدام الله ظلكم.

أبو صخير 17 آب 1922م

التواقيع

شعلان أبو الجون، رايح العطية، سيد محسن أبو طبيخ، سيد كاظم العوادي، محمد العبطان، سيد علوان الياسري، عبد الواحد الحاج سكر، مرزوك العواد، عبادي الحسين، مزهر الفرعون⁽²⁾.

وكان للمؤسسة الدينية الشيعية، ممثلة ببعض المراجع العظام، مشاركة واضحة في

(1) ن . م . ج 1 ، 106

(2) ن . م . ج 1 ، هامش / ص 112 ، 113 .

محاولة تقويم الحالة بما يمكن أن يؤدي إلى رفض الاتفاقية، والتخلص من الأنتداب، وذلك عن طريق مضبطة خاصة، وجهت إلى رئيس الوزراء، وقد أعتمدت في سجلات ديوان مجلس الوزراء برقم 1037 / 2 / 6 بتاريخ 21 تموز عام 1922م. ولكم نص المضبطة:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حضرة فخامة رئيس الوزراء دام تأييده.

سلام ودعاء وإحترام وبعد:

غير خفي على فخامتكم، ان غاية الأمة التي ترمي إليها من إبتداء تشكيل الحكومة العراقية إلى الان، وإلى ما بعد، هي إستقلال حكومتها التام، وعدم وجود سلطة أجنبية عليها من جميع الجهات، ولا تحول عن ذلك ما دام لها الأختيار. وقد صرحت بذلك جميع طبقاتها، ورفضت كلما يمس بإستقلالها وكرامتها.

فبناء على ذلك، كل قرار أو معاهدة أو قانون إنتخاب يقع بدون أن ينشر فيقع موقع القبول عند الأمة، فذلك ينافي مبدئها وإستقلالها، وهي مجبورة عليه، لا ينفذ عليها، وتستعين بالله على رفضه.

حرر يوم 17 ذو القعدة سنة 1340هـ⁽¹⁾.

التواقيع:

محمد تقي الحسيني، مشكور الحولاني، مهدي الخراساتي، عبد الكريم الجزائري، موسى تقي، صالح كمال الدين، جواد بن صاحب الجواهر.

ولم يتوقف الأمر على المؤسستين الدينية والعشائرية، بل شملت المؤسسة المدنية، فحين لم يستطع محمد جعفر أبو التمن تقويم محاولة عقد هذه الإتفاقية بالصورة المعروضة والتمكن من رفضها، إستقال من منصبه كوزير للتجارة في حكومة النقيب، إحتجاجاً على عقدها، حتى أن المس بيل أيدت وجهة نظر أبو التمن، ولحقه بنفس الأتجاه هبة الدين الشهرستاني وزير المعارف، الذي سارع في تقديم إستقالته هو الآخر. وقد اشار الحسيني لنصوص الأستقالتين⁽²⁾. ولم ينتهي الموقف عند هذا الحد، بل قام مجموعة من رموز الشيعة من بينهم كل من: محمد جعفر أبو التمن، ومحمد الصدر، ومحمد الخالصي،

(1) الحسيني، الوزارات، ج 1، ص 112.

(2) ن . م . ج 1، ص 109، 114، 115.

جميل، حسين، شهادة سياسية، (ط1، داراللام، لندن، 1988م)، ص 94. نقلا عن مس بيل.

ومهدي البصير وآخرين، لمقابلة الملك فيصل الأول، حول نفس الموضوع⁽¹⁾. وهناك من أشار إلى حقيقة الأنتداب قائلاً:

«ليس إحلال المعاهدة محل الأنتداب، بل تحديد الأنتداب وصياغته في شكل معاهدة»⁽²⁾.

إلا أن كل الجهود السلمية التي بذلت لم تثمر، فقد وقعت الاتفاقية، التي كرست الوجود والأحتلال البريطانيين في العراق، وأعطته الشرعية المطلوبة، التي جعلت من العراق تابعا لمتبوع، ولعل أبرز ما في هذه المعاهدة، الإمعان في التجاوز على سيادة العراق، من ذلك أن المعاهدة قد قيدت العراق بعدم التمتع بالتمثيل السياسي، في غير بريطانيا. وإذا أراد العراق أن يكون له تمثيل سياسي مع أي دولة أخرى، فإن ذلك غير مسموح به للعراق، إلا بموافقة الحكومة البريطانية. كما أن المعاهدة هذه لا تبيح للحكومة العراقية خلال مدة المعاهدة، أن تعين أحدا من غير العراقيين، لمن يقتضي تعيينه بإرادة ملكية، إلا بموافقة الحكومة البريطانية أيضا. ولم تسلم حتى المسائل العسكرية التي وضعت المعاهدة حتى الفيتو عليها، فالعراق يمكنه أن يقوم بأي عمل عسكري داخلي أو خارجي، ولا حتى إعلان الأحكام العرفية، إلا بموافقة وإشراف الإدارة البريطانية. ولم يسلم حتى الدستور العراقي الذي أعد لاحقا، حيث تم تقييده بأحكام هذه الإتفاقية. وهو الأمر الذي وقفت الشيعة بكل مؤسساتها لتقويمه والحوؤل ضد إبرامه وتصديقه. وحين عاد عبد المحسن السعدون إلى بغداد عام 1922م، عين وزيرا للعدل في 24 نيسان عام 1922م، في وزارة النقيب الثانية فوزيرا للداخلية في 24 نيسان عام 1922م، في وزارة النقيب الثالثة⁽³⁾.

وقد أثبت السعدون جدارة خاصة، فقد كان من المتحمسين لرفض طلبات تخفيف الأحكام، وعدم تأجيل أحكام الإعدام، كما أظهر ميلا شديدا في مواجهة الحركة الوطنية ورجالها، مما عزز ذلك من موقفه ومكانته عند الأنكليز، اللذين رأوا فيه ضالتهم.

وحين تعذر على وزارة النقيب الثالثة، إجراء إنتخابات المجلس التأسيسي حتى يمكن تصديق معاهدة 1922م، الموقعة من قبل وزارة النقيب لأعطائها شرعيتها. لذا نلاحظ أن المحتلين البريطانيين لم يروا بدا من تكليف السعدون تأليف وزارة جديدة، قادرة على مهمة إجراء إنتخاب المجلس التأسيسي، بعد أن أدركوا ضعف عبد الرحمن النقيب على مواجهة

(1) ن . م . ج 1، ص 106، 107.

(2) الحسيني، تاريخ الوزارات، ج 1، ص 80.

(3) بصري، م . س، ص 68.

الشعب وحركته الوطنية. فكان لهم ما أرادوا رغم إمتناع النقيب عن تقديم الإستقالة. وتعقب المس بيل ساخرة من موقف النقيب هذا، دون إكتراث لما قدمه من خدمات للتاج البريطاني، ودون أن تراعي حرمة ومكانة وكبر سنه. تقول مس بيل:

«إن هناك أمرا واحدا هو أن النقيب لن يتخلى عن رئاسة الوزارة، إلا إذا حمل ورجلاه إلى الأمام»⁽¹⁾.

ونلاحظ في هذا الموقف مدى إستهانة المحتلين البريطانيين بأعوانهم، فحين تقتضي مصالحهم لا يتورعون عن عزلهم وبدون أدنى إحترام، فالغاية عندهم تبرر الوسيلة، والخلل هنا ليس في نهج المحتلين الأنكليز، إنما فيمنارتضوا التعاون معهم، بدون قيد ولا شرط، وقبلوا الرضوخ لهيمنتهم، وهو ما ساعد المحتلين البريطانيين ومهد لهم الطريق لتكريس وجودهم ومصالحهم، على حساب السيادة، وحقوق الأمة.

وهكذا شكل السعدون وزارته الأولى بين 18 تشرين الثاني 1922 - 15 تشرين الثاني 1923م⁽²⁾. ولتسهيل مهمة السعدون في إجراء إنتخاب المجلس التأسيسي والتصديق على المعاهدة، حاول المحتلون البريطانيون إستمالة الشعب وحركته الوطنية، وذلك عن طريق تخفيض مدة معاهدة 1922م، من عشرين سنة إلى أربعة سنوات، ولم يشني ذلك الشيعة ومؤسساتها، من محاولة التقيوم، لأن الموقف لم يكن مقتصرًا على مدة الإنفاقية فحسب، إنما الموقف شمل غالبية بنودها التي تمس السيادة وحقوق الشعب في الصميم. لذا أصرت الشيعة ومؤسساتها، على رفضها رغم التعديل المذكور، بل إندفعوا أكثر في عرقلة إنتخاب المجلس التأسيسي، لعرقلة مهمة تصديق المعاهدة موضوعة البحث، وقد أقرن هذا الإصرار بتجديد فتاوى العلماء الداعم لهذا الموقف التقيومي. إلا أن السلطات السعدونية تصدت لهذه المواقف، وواجهتها بكل صلف وتعسف. وكان من أبرز تلك الأجراءات قيام عبد المحسن السعدون رئيسالوزراء، بإصدار أوامره بنفي المجاهد والعالم المجتهد الشيخ محمد مهدي الخالصي الكبير، وبعضا من خاصته وأتباعه إلى خارج العراق. بعد أن أضفى على إجراءاته تلك إستحصال موافقة وتأييد الملك فيصل الأول عليها، ولم يتردد السعدون من وصف المعارضين بالأجنبية وبأوصاف غير لائقة، في حين أن المبعدين جميعهم عرب أقحاح، وذوو منزلة دينية وإجتماعية متميزة، وهو ما أشير إليه سابقا. وجاءت خطوة النظام الملكي هذه في نفي المعارضين له إلى خارج الوطن، متطابقة لما عمل به المحتلون

(1) الحسيني، م . س، ج1، ص 118.

(2) بصري، م . س، ص 68.

البريطانيون، دون الأكتراث لمكانة المنفيين الدينية والاجتماعية إضافة لمكانتهم الوطنية. وبعد أن استقام الأمر للسعدون بنفي الخالصي وجماعته لخارج الوطن، وبعد إشاعة جو من الأرهاب إثر عملية النفي تلك، قررت وزارة السعدون إجراء الإنتخابات. وعن الشروع بإنتخابات المجلس التأسيسي يحدثنا جميل فيقول:

«وفي جلسة مجلس الوزراء بتاريخ 7 تموز 1923 قرر المجلس الشروع في إنتخاب للمجلس التأسيسي، إبتداء من يوم الخميس في 12 تموز، وسارت إجراءات الإنتخاب بدون معوق، وتم إنتخاب النواب في 25 شباط - فبراير سنة 1924، وفي 27 آذار- مارس دعي المجلس للأجتماع»⁽¹⁾.

وفي محصلة الأمر تم لبريطانيا ما أرادت حيث يشير تقرير هنري دويس إلى قيام ملك بريطانيا تصديق أول معاهدة عراقية - بريطانية في 10 تشرين ثاني عام 1924م، كما صدقها الملك فيصل الثاني في 12 كانون أول من نفس العام⁽²⁾. وقد تأخر سريان مفعول هذه الاتفاقية منذ توقيعها في 10 تشرين أول عام 1922م، نتيجة موقف نخب الشيعة ضدها ومحاولة تقويم الأقدام على تصديقها، مدة سنتان كاملتان.

ثالثاً: قضية الموصل، ومحاولة نخب الأمة من الشيعة تقويم الأقدام على عقد إتفاقية النفط، التي أبرمتها حكومة ياسين الهاشمي الأولى عام 1925م:

كان للموقف المتهاون الذي وقفته حكومة ياسين الهاشمي المشكلة في 4 آب 1924-26 حزيران 1925م⁽³⁾. أن مكن لمناورات الأنكليز وإبتزازاتهم، من إستعمال قضية ولاية الموصل ورقة ضاغطة، من أجل تمرير عقد وتصديق معاهدة إمتياز، النفط التي عقدت في 14 آذار عام 1925م، بين العراق وبريطانيا، هذه المعاهدة الجائرة التي حددت سعر الطن الواحد من البترول بأربعة شلنات ذهب، وهو سعر بخس للغاية، إضافة عن مدة عقد الأمتياز الطويل وهو خمسة وسبعون عاماً⁽⁴⁾. ولم تكن بريطانيا جادة حقيقة بالتخلي عن ولاية الموصل، بأي حال من الأحوال، وهناك أكثر من دليل، ولا سيما بعد أن تأكد لها وجود النفط في هذه الولاية، لأن السيطرة على هذه الثروة هو أقرب للتحقيق ببقاء ولاية الموصل ضمن الخارطة العراقية منه في إلحاقها بالدولة التركية. وقد إختارنا من هذه الأدلة أربعة أدلة هي:

(1) جميل، شهادة سياسية، ص 113.

(2) أيضاً، ص 122

(3) بصري، م . س، ص 95.

(4) جميل، م . س، ص 176.

1 - ما ذهب إليه ويلسن بهذا الخصوص، فقد كان ويلسن مقتنعا تماما بضرورة الاحتفاظ بولاية الموصل ضمن الجسد العراقي، حتى يمكن أن يكون وضع الحكم، وضع طبيعي. لذا جاء عنه:

«مهما كان شكل الحكم الذي سيقوم في النهاية في ما بين النهرين، فإن من الضروري لأستمراره، بشكل فعال، أن يغطي الولايات الثلاث: البصرة، وبغداد، والموصل»⁽¹⁾.

2 - ما أورده علي جودت الأيوبي من إعتقاد في مذكراته؛ حيث يقول:

«إنني لست معتقدا بأن الأنكليز يسلمون حقول النفط للحكومة التركية»⁽²⁾.

3 - كانت ولاية الموصل التي إستعملت ورقة ضغط لعقد هذه الإتفاقيه الجائرة، تشكل مع ولاية البصرة وبغداد، كما عرف تاريخيا. الثالث الذي يتكون منه العراق، وهو ما أكده لونكريج Longgrig الذي يعتبر من أكثر الباحثين إطلاعا على الوثائق البريطانية، وهو ما هـى له فرصة لم تهيأ لغيره. وقد اورد المعلومات التالية في كتابه المؤلف قبل ما يقرب من نصف قرن، فهو حين يقول في المتن فهذا يعني من تاريخه، كما سنرى ذلك، في النص التالي الذي يتحدث فيه عن ولايات العراق الثلاث.

«كان أتراك إسطنبول قبل نصف قرن من الزمن، يعترفون بالبعد الذي تقع عليه أراضي نهري دجلة والفرات. فالولايات الثلاث سوف تصبح في يوم ما المملكة العراقية التي تقع على الحدود القصية جدا للممتلكات التركية. ففي الوقت الذي لم يكن فيه الأتراك يسكنونها كانت هذه المملكة بالأحرى تعود إلى الأمتداد الشمالي لشبه الجزيرة العربية، وأصبحت تؤلف النصف الشرقي من هلالها الخصيب. وكان قطر العراق في الأيام القديمة يؤلف الولايات العباسية من العراق، وجزءا من الجزيرة. وفي القرون الثلاثة الأولى من الحكم التركي، إتحدت في ولاية واحدة هي إيالة بغداد، وهي واحدة من أعظم ولايات الأمبراطورية التركية التي يحكمها باشا يحمل الراية ذات الأذنان الثلاث. وبفضل شهرتها القديمة وموقعها الاستراتيجي ونطاقها الحالي، كانت بغداد على الدوام تحتفظ بالسيادة الهينة على المدينتين الأخرين المتجددتين في العراق. أي الموصل والبصرة. وحتى في سنة 1900، وبعد ان ظهرت الموصل في صفة ولاية سنة 1879 والبصرة في سنة 1884 كان والي بغداد يعتبر على مستوى واسع، هو كبير الولاية

(1) F.O. 371/5127, "From civil Commyssionr, Baghdad, to IndiaOffice, 18 November 1918"

(2) الايوبي؛ علي جودت؛ مذكراته ص 179-180

.. (1) «الثلاثة» . .

4 - وهو ما نقله الرائد نورمان سكوت القنصل العام لبريطانيا في بغداد، بتاريخ آذار عام 1913م، عن أحد أعوانه من البريطانيين المقيمين في الموصل آنذاك، نورد ما يؤكد أن ولاية الموصل تابع من توابع أباله بغداد، شأنها شأن البصرة تماما. ومما جاء في النقل:

«أن الموصل في الحقيقة تعد من الناحية الجغرافية تابعة لولايتي بغداد والبصرة» (2).

لذا كانت لعبة ولاية الموصل الوسيلة للوصول للعقد هذه الإتفاقية، ذات الأبعادها والمضامين غير المشروعة، والتي كانت موضع إنتقاد ورفض شديدين، من قبل نخب الشيعة التي حاولت تقويم إقدام حكومة الهاشمي توقيع الإتفاقية، وضرورة رفضها، وعدم القبول بها، ولأنها إتفاقية غير متكافئة. الأمر الذي أدى بالشيخ محمد رضا الشبيبي وهو من رموز الشيعة المبرزين، الاستقالة من منصبه كوزير للمعارف في حكومة الهاشمي، لعدم إستطاعته تقويم عقد الإتفاقية بشروطها الموضوعية من قبل المحتلين البريطانيين، تلك الشروط الهاضمة لحقوق الشعب (3). وللعلم فإن معاهدة سان ريمو النفطية التي وقعت بين بريطانيا وفرنسا في نيسان عام 1922م، أكدت على حق العراق بالأحتفاظ بـ 20٪ من أسهم الشركة التي تقوم بإستثمار نفط العراق. إلا أن البريطانيين رفضوا حتى هذا الحق بكل قوة وإصرار رغم مطالبة المفاوض العراقي بذلك (4). ويجدر الإشارة هنا إلى الهيمنة البريطانية، في فرض إتفاقية النفط موضوعة البحث، حين شعرت بريطانيا أن المجلس التأسيسي غير متحمس بقبول إتفاقية النفط هذه. ففي يوم حزيران من عام 1924م، طلب المندوب السامي البريطاني من الملك فيصل الأول، ضرورة قبول تصديق الإتفاقية من قبل المجلس التأسيسي على ما هي عليه، حتى أن المندوب رفض إقتراح الملك تمديد فترة البت في الإتفاقية يوما واحدا،

(1) لونكريج، م. س، ص 19، 20. وقد أشار لونكريج في هامش ص 19 عن الذي أشرنا عليه بـ* في متن النص أعلاه، بما يلي: «تحدد الرايات التي كانت تسلم إلى الولاة في العهد العثماني بعدد الذبول فيها. وهي تكون على ثلاثة أقسام عادة: الوالي هي ذات الذنب الواحد والثانية ذات الذنين والثالثة ذات الأذنان الثلاثة، فإنها تعتبر أكبر درج يبلغها الوالي عند تعيينه واليا، ولا علاقة لأذنان هذه الراية، بالولايات الثلاث التي كان العراق ينقسم إليها في ذلك العهد، وإنما هي من صنوف الدرجات، ليس إلا».

(2) مجلة دار السلام، العدد / 131 / جمادي الأولى 1420 هـ - آب 1999م، الصادرة في لندن.

(3) جميل، م. س، ص 165.

(4) ن. م، ص 166.

كي يتسنى له إجراء إتصالاته. إلا أن المندوب جسد غطرسته وبلادته بصورة ملفتة للنظر، حين طلب من الملك في حالة عدم موافقة المجلس على الإتفاقية، أن يستعمل الملك صلاحياته في تعديل قانون المجلس التأسيسي، يخوله حق فض المجلس في موعد أقصاه منتصف ليلة العاشر من حزيران عام 1924م. ومهما يكن من امر فقد كان للأنكليز ما ارادوا.

رابعاً: محاولة نخب الأمة من الشيعة تقويم الأقدام على توقيع معاهدة 1930م، من قبل وزارة نوري السعيد الأولى: قيام حكومة نوري السعيد الأولى التي تشكلت في 23 آذار من عام 1930 - 19 تشرين الأول 1931م⁽¹⁾، بتعديل المعاهدة العراقية البريطانية التي عقدت في عام 1922م، من قبل حكومة عبد الرحمن النقيب، وذلك بتوقيع معاهدة جديدة في 30 من حزيران عام 1930م، وهو التعديل التي واجهته نخب الشيعة ورفضت القبول به، لأنه جاء أكثر وطأة من المعاهدة السابقة ومن صك الإنتداب. وقد تصدى الشيعة لهذه المعاهدة، حين إنبرى محمد جعفر أبو التمن، رئيس الحزب الوطني العراقي، ومحمد مهدي كبة، عضو اللجنة التنفيذية للحزب، بتعرية بنود هذه المعاهدة ومحاولة تقويم الأقدام على عقدها، ولم يكتف كبة بذلك بل راح يفند بنودها بندا بندا من على صفحات الجرائد بصورة مستقلة عن حزبه⁽²⁾، مستهدفا إثارة نخبة الأمة وجماهيرها، لتقويم الأقدام على عقدها، وضرورة إلغائها.

خامساً: محاولة نخب الأمة من الشيعة تقويم المحاولات الطائفية على المستوى الشعبي، ورفض الأسلوب التعريضي في الكتابة: فحين حصل في حزيران عام 1933م، عندما قام سلمان الحصان، الذي كان يعمل في وزارة المعارف، بإصدار كتاب عنوانه العروبة في الميزان، وكان صريحاً في إتهامه للشيعة، بأنهم ليسوا عرباً، إنما إنحدروا من المجوس القدماء، وإن إنتماءهم وولائهم إلى الأيرانيين⁽³⁾. ولسنا هنا لتفنيد هذه المقولة التي ورائها من ورائها من رموز سلطة الحكم المتمزتين طائفاً، لأننا اثبتنا بما لا يقبل الشك والتأويل، وبالأدلة المادية، والواقعية، عروبة الشيعة العراقيين، منذ بدايات الإسلام قبل ألف وأربعمائة عام، وحتى يومنا هذا لا زال الشيعة العراقيين في صميم العروبة والإسلام. وليس خافياً على أحد إن مثل هذه الإثارة المتجنبة أحدثت ردة فعل وإستنكار شديدين، لدى عموم الشيعة، وقد تفاوت التذمر بين تقديم الاحتجاجات، بصورة عقلانية إلى السلطات

(1) بصري، م . س، ص 127، 128.

(2) كبة، م . س، ص 36 - 45.

(3) د. التميمي؛ م . س. ص 320؛ 321

المحلية، وبين تصرفات غير مسؤولة، مدفوعة بعواطف الناس ومشاعرهم، وبمحصلة الأمر لم ترى الحكومة، من سبيل غير سحب الكتاب من الأسواق، ومحاكمة مؤلفه بالسجن. هنا أنبرى أحد رموز الشيعة، وأحد قادة العراق وزعمائها السياسيين، محاولاً تقويم هذا العمل غير المسؤول والذي أقدم عليه الحصان مدفوعاً إليه، من مراكز تصديق الوحدة الوطنية، بين أخوة العروبة والإسلام، أخوة الجهاد والتضحية، أيام العشرينات وعبر أحداث الأمة القومية والوطنية. وإن محاولة أبو التمن هذه لم تأت بمعزل عن مواقف نخبة الشيعة، إنما جاءت في صميمها و مترجمة لها. ولأهمية بيان أبو التمن رئيس الحزب الوطني العراقي، حول هذا الموضوع. نورد نصه:

«ما وضعت الحرب العامة أوزارها إلا إمتشق الشعب العراقي حسامه، وخاض غمار الحرب الثانية مع اعظم دولة في العالم، وهو منهوك القوى لا طاقة له بأن يتحرك أو يتململ، لما غنتابه من خسائر في النفس، والأموال، في الحرب العالمية. حارب الإحتلال حرباً كانت لها روعتها في تاريخ المم الضعيفة، فلم يعز عليه مال ولا ولد، لإعتقاده بان الموت خير من حياة الذل والأستعباد. ولكن الطالع أبقى إلا أن تكون عاقبة أمره بعد تلك الضحايا، أسوأ مما كانت قبلها، فقد تقيد بمعاهدات وإتفاقات وضمانات لم يتقيد بمثلها من ذي قبل. وشر من ذلك أن تتفرق صفوفه بعد أن كانت كالبنيان المرصوص، وتنقسم كلمته بعد ان كانت لا تقبل التجزئة والأنقسام على إختلاف الطوائف والعناصر والمذاهب والأديان، وتلك هي الغاية التي يتمناها من لا يروقه صفا الود بين أبناء الأمة، وحنان بعضهم على بعض، وهذا هو السلاح القاتل، الذي يصوله الشعب إلى قلبه، ويتحرر به ولات حين مناص. إن المدافع والدبابات والطيارات والأساطيل والمدروعات لا تحقق الفوز في المعامع إذا لم تعضدها الوحدة بين أفراد الأمة، على إختلاف طبقاتها ونزعاتها، والصفوف المتأخية والعقيدة الراسخة، وإذا ما تحققت الوحدة وهي العروة الوثقى التي لا إنفصام لها، فالنصر حليفها بدون شك، ولا ريب. ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً يَا ذَنْ لِلَّهِ﴾ [البقرة: 249]. .

والآن والعراق في أشد الحاجة إلى جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ليزيح عنه ولو بعض الشئ، ما اصابه من جور وإجحاف، وفي طلائع الشتات تلوح في أفق العراق لتعمير الصفو على أبنائه، ومن ورائها شبح مخوف يحاول تمزيق شمل الوحدة لا سمح الله، فإن من الناس من يقلب صحائف التاريخ ويبحث عن روايات عبثت فيها أهواء السياسة، أو تحكمت في مضامينها العاطفة، فتخللها الشئ الكثير من الأفرط والتفريط والشذوذ، وتتخذ منها ذريعة المتنافرين الآخرين، وإن منهم من أراد أن يبحث في

إختلاف الفقهاء، في مسائل لم تكن من أصول الدين، ولا هي ركن من أركان الإيمان، أو مبدأ من مبادئ الشريعة الإسلامية، دواعي للجدل والخصام بين المسلمين، وإشغال الرأي العام بما هم في غنى عنه، لا سيما والبلاد في محتتها، والمسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، يثنون مما هم فيه من عذاب الوضع السياسي، الذي لو أصيب به غيرهم لما هجموا، وكانوا يدا واحدة على من يريد بهم سوءا. وهذه الأمم أمانا تستعد لاستعادة مجدها بالإتحاد وجمع الكلمة، وحالتنا نحن معاشر العراقيين أسوأ الحالات. أفلا يجدر بنا أن لا نفكر اليوم إلا في أمر واحد، وهو الكفاح المشروع لنيل حريتنا التي ننشدها، منذ أربعة عشر عاما، وضحينا في سبيلها كل غال ورخيص، لا لتحليل آراء السلف في مسائل فرعية لدينا في الوقت الحاضر بعد إتفاقنا، ما يمكننا من حلها، فإجمعوا كلمتكم وإتحدوا، ﴿وكونوا عباد الله إخوانا وإعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا فتنفلوا وتذهب ريحكم﴾ [البقرة: 212]..

بغداد في 28 تموز عام 1933م المعتمد العام: محمد جعفر أبو التمن⁽¹⁾.

ووقفه مقارنة بين هذه المعالجة المتزنة، والتي تصب في المصلحة الوطنية، ووحدة الكلمة، وبين موقف أسبق وقفه البعض، بحجة حرية الرأي والفكر ففي قضية مدرس التاريخ في المدرسة الثانوية في بغداد للعام الدراسي 1926.1927م، المدعو أنيس منصور النصولي، الذي ألف كتابا دون أن يراعي طبيعة المجتمع العراقي وخصوصياته، حيث أورد فيه إشارات صريحة، تتعارض ومعتقدات الشيعة الإمامية الأثني عشرية. ففي حين يمجّد الكتاب بالأمويين وعلى رأسهم معاوية بن أبي سفيان، الذي خرج على الشرعية، أثناء خلافة الإمام علي كرم الله وجهه، مما تسبب بحرب صفين، الذي سالت دماء المسلمين لها أنهارا. و بإستشهاد الإمام علي، تمكن معاوية من تولي الخلافة بعده، فحول الخلافة إلى ملك وراثي عضوض، وفي عهد ابنه يزيد الذي تقلد الخلافة من بعده ورائه، حصلت على عهده مجزرة الطف في كربلاء، حيث قتل جلاوزته سبط رسول الله وجمعا من أهل بيته، وأتباعه. ورغم أن الكتاب كان يتقصص من الإمام علي وأبنة الحسين. إلا أن الأمر الأكثر إسفا هو أن وزارة المعارف/ قسم الكتب، سمحت له أن يوزع نسخا من كتابه على طلبة صف التاريخ الذي يدرسه، لكن الوزارة سحبت الكتاب⁽²⁾. وتم إلغاء تعيين المدرس، لتفادي تفاعل الأمور وتصاعدها.

(1) الحسيني، م . س، ج 3، ص 137.

(2) ورد ذلك في تقرير حكومة صاحب الجلالة البريطانية إلى مجلس عصبة الأمم حول إدارة العراق للسنة

1927، في ص 16.

المهم في الأمر أنه يأتي حسين جميل من نخبة السنة وبعد مرور ستين عاما، على هذه الحادثة، ليوقد نارا خمدت جذوتها، حين يفرد لهذه الحادثة ما يقارب العشرين صفحة (183 - 202)، في كتابه الموسوم العراق شهادة سياسية، دون أن يراعي مشاعر الآخرين، من أبناء شعبه، بل راح يبرر للتصولي فعلته، مدافعا عما أقدم عليه، متبجحا بحرية الرأي وسيادة الفكر، ولو كان هذا التبجح بحرية الرأي وسيادة الفكر فيه مغالطات للتاريخ، وتجاوزات على الواقع والحقيقة، بخصوص معاوية ويزيد، ومن سار على نهجهم من الحكام الأمويين. وحتى تكون أوجه المقارنة مشفوعة بالأدلة فكتب الصحاح الستة ومصادرهما القديمة المعتمدة، والكثير من الدراسات الحديثة، وأغلبها لباحثين ومؤرخين من نخبة السنة، تناولوا تلك الوقائع بما يدين معاوية ويزيد، والسلاطين الأمويين الآخرين، الذين ساروا على نفس النهج، باستثناء فترة خلافة: عمر بن عبد العزيز، الذي عد الخليفة الخامس، لعدله وإستقامته. وهنا يبرز الفرق بين المعالجة المتزنة الهادفة التي سلكها محمد جعفر أبو التمن، كما تقدم ذكرها، والتي لم يחדش فيها أحدا لا من قريب ولا من بعيد، وبين الأصرار على التجاوز، والأمعان في تحذ المشاعر، الذي عليه حسين جميل، فيما عمد إليه في كتابه المتقدم، وإشارته لتلك الحادثة التجاوزية، التي طواها التاريخ، لكن جميل أعاد قراءتها، وعززها في كتابه المتقدم.

سادساً: محاولة نخب الأمة من الشيعة تقويم ممارسات حكومة ياسين الهاشمي الثانية، وتحميلها مسؤولية الإجراءات التعسفية بحق الشيعة: حين تولى ياسين الهاشمي رئاسة الوزارة الثانية، 17 آذار 1935. 29 تشرين أول 1936م⁽¹⁾. قامت وزارته بتجاوز حدودها أكثر مما ينبغي، حين راحت تتدخل في ممارسات وشعائر دينية لأكبر فئة يتكون منها الشعب العراقي وهم الشيعة، عن طريق إتخاذ إجراءات تعسفية ضد الشعائر الحسينية، التي تقام في شهر محرم الحرام من كل عام. ولا ندري لماذا هذا الموقف الأحادي؟ فإذا كانت الشعائر الحسينية تقاليد مرفوضة وغير حضارية، فهل أن الدروشة والدرباشة التي عليها بعض الجماعات من السنة العرب العراقيين، هي عادات مقبولة وممارسات حضارية؟ فلماذا تعاملت حكومة ياسين الهاشمي بمعيارين غير متوازنين تجاه الممارستين ولكلا الفئتين؟ يبدو أن لا مسوغ قانوني ولا معيار حضاري، لهذا الموقف الأحادي، سوى الحقد الطائفي. ولم تكتف حكومة الهاشمي بذلك، بل راحت تفرض لباسا ليس من صميم الزي العراقي الصميم، الذي تعود عليه الآباء والأجداد، إنما هو لباس أجنبي مقتبس من الأفغان والترك.

(1) بصري، م . س، ص 96.

فهل أن الهاشمي أراد أن يتقمص النهج الأتاتوركي الغربي الأصول؟: يبدو أن ذلك أقرب للواقع منه لغيره، من حيث أن الهاشمي كان يحاول التشبه بنظيره التركي جمال أتاتورك وممارساته، لأنها بالأساس تنسجم ومتطلبات المحتلين الجدد للعراق وهم الأنكليز، حيث يتمركز هدفهم على فصم المجتمع من أصالته وتراثه، ومسح هويته العروبية الأصيلة، والروحية الإسلامية، ليسهل ترويضه وخنوعه وبالتالي إنقياده لهم. وقد أصرت حكومة الهاشمي التوغل أكثر فأكثر في ممارساتها المضادة للشيعة، حين قررت حكومته إقامة مبنى للبريد على مقبرة الكاظمية، وهيمقبرة لها مكانتها لدى الشيعة الإمامية الأثني عشرية، ولا ندري هل أنحسرت الأرض العراقية ولم يبق فيها مساحة خالية، إلا هذه المقبرة حتى يقام عليها هذا المبنى، أنه الحقد الطائفي الأسود. المهم حين علم ذوو الموتى بهذا الأمر، جاءوا مسرعين، معتصمين في أرض المقبرة، للحيلولة دون تنفيذ الأمر الظالم، فما كان من وزير الداخلية آنذاك رشيد بالسلاح والعتاد، بقيادة المدعو وجيه يونس الموصللي، تحملهم سيارات مصفحة، فتحت عالي الكيلاني، إلا وأرسل بتاريخ 23 آذار عام 1935م، مفرزة مدججة النار على المعتصمين، حيث صرع في هذا العمل الجبان، عشرات من الأبرياء العزل، دون ذنب إرتكبه حتى يستحقوا مثل هذا العقاب الصارم. وقد تم دفن المستشهدين بصورة سرية كي تتجنب الحكومة، المسائلة وتأزيم الموقف، ولم تكتف حكومة الهاشمي بهذه المجزرة المروعة، بل قامت بإحالة بعض المحتجين إلى المحكمة الكبرى، والتي حكمت سبعة منهم بالأشغال الشاقة المؤبدة⁽¹⁾. هنا إنبرت نخبة الشيعة لقييم هذه الأعمال الإجرامية، والأجراءآت التعسفية بحق الشيعة. حين قام كل من الشيخ رايح العطية، والشيخ حسن المكوطر، والشيخ علوان الحاج سعدون، ومجموعة من الشيوخ، رفع مذكرة إستنكارية شديدة ضد ما قامت به وزارة الهاشمي⁽²⁾. إلا أن هذا الواقع المرلم يتم التهاون فيه إنما دفع بمجموعة من السياسيين، من المحامين والمثقفين الشيعة، إستغلال تواجدهم في مدينة النجف في تلك الظروف الملتهبة، وبالتحديد في الثالث والعشرين من آذار عام 1935م، بمناسبة عيد الغدير الأغر لعام 1353هـ، بعقد إجتماع في مدينة النجف حضره نخبة من رؤساء عشائر الفرات الأوسط، ونخبة من ممثلي المؤسسة الدينية في النجف، تقرر فيه إعداد ميثاق أطلق عليه ميثاق النجف. وقد تم رفعه إلى الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، ليقوم برفعه إلى أعلى المستويات، مؤكدين فيه ضرورة معالجة الأمور بصورة منصفة، ودون الكيل بمكيالين. وإذا كان الميثاق قد ركز على بعض الخصوصيات، وهو

(1) الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ج4، ص 98.

(2) أيضا، ص 99.

حق مشروع إقتضته ضرورات طبيعة الممارسات السالفة الذكر، إلا أن جل فقراته كانت في صميم الحالة العامة بما يخص الأمة بكل طوائفها ومكوناتها. وبالنظر لأهمية هذا الميثاق وما ورد فيه نشير إلى نصه الكامل وفقراته:

«نحن الموقعين في ذيله أدناه من زعماء قبائل الفرات الأوسط، قد رفعنا مطالبينا المشروعة، التي كان الغرض منها إصلاح وضع المملكة العراقية، حتى يتقدم العراق إلى مصاف الأمم الراقية، ويمشي إلى الأمام على أقدام العدل والمساواة بين سائر طبقاته، وعناصره، ويبرهن على أهليته للاستقلال. وقد رفعنا مطالبينا إلى سماحة زعيمنا الروحاني، المصلح الأكبر حجة الأسلام والمسلمين الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، كي يتقدم بها إلى صاحب الجلالة غازي الأول، وحكومته الموقرة، ويطلبه بإنجازها. وسماحته هو الممثل لنا جميعا والمفوض فيها النافذ أمره علينا فيما يعود إلى مصالحنا، وقد أعطينا هذا الميثاق شاهدا وحجة علينا، مع التمسك والالتزام منا جميعا على محافظة مصالح البلاد، وتمام الرعاية للمعاهدات الدولية، مع المثابرة على إنجاز تلك المواد الإصلاحية، وتحقيق رغائبنا القانونية مهما كلفنا الأمر وللبيان حرر».

وقد تضمن هذا الميثاق إثنتي عشرة مادة ذات مساس بمصالح الشعب يمكن ادرجها كما

يلي:

1 - المادة الأولى: لقد تمشت الحكومة العراقية منذ تأسيسها حتى اليوم على سياسة خرقاء لا تتفق ومصالح الشعب، وإتخذت سياسة التفرقة الطائفية أساسا للحكم، فمثلت أكثرية الشعب بوزير واحد او زيرين، ممن يسايرون السلطة في سياستها على الأكثر. وعلى مثل هذا الأساس تمشت في سياسة التوظيف، فظهر التحيز صريحا في إنتقاء الموظفين، وأعضاء مجلس الأمة، بينما القانون الأساسي، لم يفرق بين أبناء البلاد، كما نصت المادة السادسة من القانون الأساسي. فلإيجاد الأستقرار والطمأنينة في نفوس الشعب، ورفع التفرقة بين أبناء الأمة، يجب أن يساهم الجميع في مجلس الوزراء، وفي مجلس الامة، وسائر وظائف الدولة، كما يساهم في الجندية والضرائب.

2 - المادة الثانية: إن طريقة الانتخابات النيابية أسئ إستعمالها حتى أصبح مجلس الأمة لا يمثل الشعب تمثيلا صحيحا وضمانا لرفع التلاعب من ناحية الحكومة نرى وجوب تعديل قانون الانتخاب على أساس ضمان الحرية المطلقة بوضع القيود بدرجة واحدة وإعتبار كل لواء منطقة إنتخابية مستقلة.

- 3 - المادة الثالثة: لما كانت المادة 77 من القانون الأساسي تنص على وجوب تعيين القضاة من مذهب أكثرية السكان، فنطلب تطبيق أحكام المادة المذكورة من القانون الأساسي، مع لزوم تدريس أحكام الفقه الجعفري في كلية الحقوق العراقية.
- 4 - المادة الرابعة: لما كانت محكمة التمييز العراقية المرجع لمحافظة أرواح وأموال الشعب وقد سبق أن مثلت الطائفتان المسيحية واليهودية والعناصر الأخرى فيها، فعليه نطلب أن يكون في كل فرع من فروع المحكمة، عضو شيعي لتنمئن النفوس بأحكام المحاكم.
- 5 - المادة الخامسة: لما كانت الصحافة لسان الشعب الناطق، فيجب إطلاق الحريات الكاملة للصحافة، ورفع القيود الإدارية وحصر المسؤوليات بالمراجع القضائية، تمشيا مع روح المادة 12 من القانون الأساسي.
- 6 - المادة السادسة: لما كانت الأوقاف العامة أوقافا إسلامية، خصصت لخدمة الشرع الشريف، وإعاشة المتفرغين لهذه الخدعة، وما يتفرع عنها، غير أن سياسة الحكومة إتجهت إلى نواح أخرى، وأصبحت مواردها تصرف على تشكيلات الأوقاف الإدارية، وأهملت دور العلم ومساجد العبادة، فعليه يجب الإقلاع عن هذه السياسة في إدارة الأوقاف العامة، وصرف مواردها على المؤسسات بصورة عامة.
- 7 - المادة السابعة: تعميم وتعديل لجان تسوية الأراضي، التي يتم بواسطتها الاستقرار الزراعي، كما نطلب الإسراع في تنفيذ قانون البنك الزراعي الصناعي، وتمليك الأراضي لأربابها من غير بدل.
- 8 - المادة الثامنة: إلغاء ضريبي الأرض والماء، وإستبدال ضريبة الكودة على المواشي، بضريبة الأستهلاك، وعدم فرض الضريبة على الآلات الرافعة.
- 9 - المادة التاسعة: أن وظائف إدارة الدولة في تضخم مستمر، بسبب عدم إستقرار الملاك، وإن رواتب الموظفين في تزايد بصورة لا تتناسب مع الوضع الأقتصادي، ومع مستوى المعيشة، كما ان الموظفين قد تهادوا بالأستهتار بمصالح الشعب بعدم رعاية القوانين، فيجب إتخاذ تدابير سريعة لأستبدال موظفي الدولة المعروفين بسوء السلوك والسمعة، والتخفيف من نفقات الدولة، بتخفيض رواتب الموظفين الضخمة، إلى الحد المعقول، وتخفيض رواتب التقاعد المدني والعسكري.
- 10 - المادة العاشرة: إن معظم مؤسسات الدولة الصحية والعمرانية والتهديبية لم ترع في توزيعها النسبة العادلة بين أبناء الشعب، وخاصة في المنطقة الجنوبية من العراق، كما يجب وضع الأنظمة والقوانين لمنع تفشي الأمراض الأجتماعية والأخلاقية، وتهذيب مناهج المعارف، وجعل الدروس الدينية، كسائر الدروس ذات درجة في الأمتحان،

والسعي وراء صيانة الأخلاق، بمنع البغاء، والتظاهر ببيع الخمر، والقمار، وكل ما يؤدي إلى فساد الاخلاق.

11 - المادة الحادية عشر: عدم التعرض لمن إشتراك في الحركات الوطنية الحاضرة من أبناء الشعب، أو من الموظفين، وأفراد الجيش، والشرطة.

12 - المادة الثانية عشر: توقيف أحكام القوانين التي تعارض هذه الطلبات، وإستبدالها بما يضمن تنفيذ الطلبات المتقدمة⁽¹⁾.

وحتى نعزز ما تقدم من حديث، حول تعسفية حكومة ياسين الهاشمي، وتجاوزاتها ضد العراقيين، فإن هذه الوزارة هي الوزارة الوحيدة التي تجاوزت الحدود في إعلان الأحكام العرفية، ففي حين أن مجموع المرات التي أعلنت فيها الأحكام العرفية، ضمن الفاصل الزمني لهذه الدراسة، من قبل ثمانية رؤساء للوزراء، كانت عشرة مرات، في حين أن ياسين الهاشمي، أعلنها لوحده ستة مرات⁽²⁾. وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الخمسة عشر سنة الأولى من الحكم، إبتداءً من 1920 - 1935م، والتي شهد الحكم فيها إثنان وعشرون وزارة، تقلدها أحد عشرة شخصية من نخبة الأقلية السنية، هم كل من عبد الرحمن النقيب، محسن السعدون، جعفر العسكري، ياسين الهاشمي، توفيق السويدي، ناجي السويدي، نوري السعيد، ناجي شوكت، رشيد عالي الكيلاني، جميل المدفعي، علي جودت الأيوبي⁽³⁾، ولم يمثل الأكثرية الشيعية فيها إلا بوزير واحد فقط، في كل وزارة من الوزارات، أسوة بتمثيل اليهود والمسيحيين وهم أقل الأقليات عدا وزارة واحدة من هذه الوزارات إشتراك فيها وزيران شيعيان، هي وزارة جعفر العسكري الأولى. وذلك لأمتصاص نقمة الشيعة، على إثر قيام وزارة السعدون السابقة بنفي علماء الشيعة إلى خارج بلدهم⁽⁴⁾. وقد لاحظنا كيف حاولت نخب الشيعة من المؤسسة الدينية والعشائرية والمدنية، تقويم الممارسات والأجراء التي أقدمت عليها تلك الحكومات، وهي وإن لم تستطع تقويم الحالة للأفضل، لما يحقق المصلحة العليا للشعب، بفعل حالة إستحواذ نخبة الأقلية على الحكم والسلطة، وبدعم من السلطات البريطانية. إلا أن نخبة الأكثرية الشيعية أثبتت أنها في صميم الأحداث، لا تصبر على ضيم، ولا تقر بما عمد إليه أولئك المسؤولين المتأثرين

(1) جريدة العراق الناطقة بإسم: المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، الصادرة في لندن.

(2) الحسيني، الوزارات، ج 1، ص 144 - 293 و ج 4، ص 78 - 215.

(3) بصري، م . س، ص 282، 285.

(4) الحسيني، الوزارات، ج 1، ص 192.

بالنهج الطائفي والعنصري والولائي، وبما إنطوت عليه ممارساتهم من ظلم وتعسف وعزل. لكن نخبة الأكثرية بمواقفها الوطنية الصلبة، ظلت الرائدة في العمل الوطني والقومي، حين سجلت للتاريخ مواقف جليلة في هذا الاتجاه، مترجمة إرادة العراقيين، وما يتطلعون إليه من مستقبل أفضل لهم ولأجيالهم. ومهما يكن من أمر فإن تراكمات الممارسات التجاوزية آنفة الذكر، وعلى مدى الخمسة عشر سنة الأولى من الحكم، ولد آثارا سلبية أدت إلى حالة من الأستنكار والسخط الشديدين، على مجمل ما حصل، وهو ما سبب إندلاع إنتفاضة خلال فترة وزارة الهاشمي الثانية، في منطقة الفرات الأوسط وبالتحديد في الرميثة، عام 1936م، هذه المنطقة التي سبق وإن إنطلقت منها الشرارة الأولى لثورة العشرين المجيدة. فمثلما واجه المحتلون الأنكليز ثورة العشرين ورجالاتها بالنار والحديد وأخمدوها. إنبرى ياسين الهاشمي ووزرائه وأجهزته. وعلى سنة المحتلين الأنكليز، بقمع الإنتفاضة، بكل وحشية بواسطة الدبابات والمدفعية والطائرات⁽¹⁾.

ولم تكن المقابر الجماعية حديثة عهد متأخر، إنما وجدت أبان هذه الأنتفاضة، فحين تم أسر ثلاثين نائرا من رجال الأنتفاضة، أمر بكر صدقي قائد الحملة، بإعدامهم رميا بالرصاص، وتم دفنهم بمقبرة جماعية من قبل بلدية الديوانية⁽²⁾. والأسير هو في كل القوانين الوضعية والإلهية كالوديعه، لا بد من حمايته. وهكذا تحول قمع الأمة من اليد الأجنبية إلى اليد العراقية، في ظل حكم يقال له حكم وطني. وقد دفعت هذه الظروف بنخب الشيعة إلى محاولة تقويم تلك الممارسات غير الأنسانية، فإنبرى مجموعة من رؤساء العشائر العربية الشيعية، برفع رسالة إستنكار وإحتجاج شديدين، إلى الملك غازي، ضد قيام قطعات من الجيش العراقي، المفترض به أن يكون حامي الشعب، لا مستيحا لحرمة الشعب، في مدينة الرميثة الصامدة. ومما جاء في المذكرة:

«إن ناحية الرميثة تعرضت إلى سفك الدماء وقتل الشيوخ والعجزة والأطفال والنساء من غير المحاربين، ورمي القنابل المحرقة على المزارع والقرى الآمنة»⁽³⁾.

ولم يتأخر الزعيم الوطني محمد جعفر أبو التمن هو الآخر، عن إستنكار إستباحة مدينة ثورة العشرين الرميثة، حين بادر بتوجيه رسالة إستنكارية عما حصل في الرميثة، إلى الملك

(1) العلوي، الشيعة والدولة القومية، ص 181.

(2) الحسني، تاريخ لوزارات العراقية، ج2، ص 193.

(3) أيضا، ج4، ص 192.

غازي⁽¹⁾. وعلية فنخب الشيعة من مؤسسة دينية بما فيها من مجتهدين وعلماء ورجال دين، ومؤسسة عشائرية بما فيها من سادات ورؤساء عشائر، ومؤسسة مدنية بما فيها من وجهاء ومثقفين. لم يتوانوا في محاولات تقويم الكثير من الممارسات التي تم تناولها في هذا المبحث، كأمثلة حية على ذلك.

المبحث الثاني: الشيعة و إسهاماتهم في البنى التحتية للدولة

مرت الدولة العراقية الحديثة، بثلاث مراحل أساسية. ويمكن تحديد تلك المراحل التي مرت بها كالتالي:

المرحلة الأولى: قيام الدولة

وهي مرحلة لها أهميتها غير العادية، لأنها هيأت الظروف الموضوعية، التي ساعدت في الصميم على قيامها، وكان لشيعة العراق الدور الريادي الأول في خلق تلك الظروف، عبر مسيرتهم الجهادية والسياسية، والتي بدأت من عام 1914 - 1921م، وهو ما سبق الحديث فيه بصورة مفصلة في المباحث المتقدمة.

المرحلة الثانية: تأسيس كيان وهيكلية الدولة

وهي المرحلة التي جاءت من خلال التوافقات بين نخبة الأقلية من السنة، وبين المحتلين البريطانيين، حين آل لنخبة الأقلية الأضطلاع بسلطة الحكم، بتمهيد ومساعدة مباشرين من المحتلين البريطانيين، فتم تأسيس كيان وهيكلية الدولة العراقية، على عزل نخب الشيعة، ما أستطاعوا إلى ذلك سبيلا، والنتيجة مما تقدم أن تأسيس كيان هيكلية الدولة، قام على أسس فئوية محضه، مع موالة لرغبات للمحتلين الأنكليز. وقد اعطينا أمثلة كثيرة تؤيد وتؤكد هذا النهج، عبر مباحث هذه الدراسة.

المرحلة الثالثة: البناء

وهي المرحلة التي ساهمت فيها نخب الشيعة الفاعلة وقواها المختلفة مساهمة مباشرة، كما هو شأن مساهمتهم الريادية التي أدت إلى قيام الدولة العراقية الحديثة. وإن هذا المبحث يختص في بيان أدوار نخب الشيعة المختلفة وقواها الفاعلة، في المساهمة في بناء البنى التحتية للدولة العراقية الحديثة.

أن تفائلنا بإعطاء هذا المقطع حقه من الناحيتين العلمية والموضوعية، يبقى خاضعا

(1) العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق / 1914 - 1990م، ص 192.

لتوفر مستلزمات البحث العلمي، بوجود المراجع والوثائق والأرقام التي تعزز إلى حد كبير حديثنا عن هذا المقطع. من حيث أن الحديث في هذا المقطع ليس أمراً سهلاً وميسراً، ففي حين أن كل مباحث الدراسة المتقدمة، عززت بمصادر ومراجع عربية وأجنبية، إستفدنا منها بما يعزز البحث العلمي، إلا أن هذا المقطع من الصعوبة أن تعثر له على ما يدعم طلبك، بما تستطيع به إعطاء هذا المقطع حقه. لأن أدوار وإسهامات الشيعة في البنى التحتية قد تداخلت في الكثير من أوجهها، ضمن تداخلات الحالة العراقية، بل في صميمها، سواء على مستوى الحكم، أو مستوى القوى الفاعلة من الشعب. إلا أننا يمكن أن نتقارب مع طموحاتنا بهذا الصدد، ضمن هذه الدراسة والتي يمكن تغطية هذا المقطع وفق الإمكانيات المتاحة. وحيث أننا نعتقد أننا وفقنا إلى حد كبير، في تغطية دور الشيعة في قيام الدولة العراقية الحديثة، وإن جزءاً لا يستهان به، من دور الشيعة في بناء الدولة العراقية، قد تم تغطيته، إلا أننا حتى نعزز هذا المبحث الذي نفتقد فيه لعناصر دعم البحث العلمي، كما تقدم الإشارة إليه، وذلك عن طريق إستنباط ما يمكن أن يوصلنا لغايتنا، عن طريق الوقوف على أنشطة ومساهمات الشيعة، في هذا البناء من خلال أربعة منافذ، نرجو أن نوفق من خلالها، لأعطاء فكرة تقريبية عامة، عن دورهم الريادي بهذا الخصوص. أما المنافذ فيمكن أن نحددها بما يلي:

أولاً: المؤسسة الشيعية العلمائية، العطاء التربوي والثقافي:

كنا قد اشرنا إلى الأدوار القيادية السياسية والجهادية للمؤسسة الحوزوية العلمائية الدينية، في مباحث سابقة. ولكن الأدوار لم تقتصر على الناحيتين السياسية والجهادية، بل هناك أدواراً هي في الأساس من صميم واجبات الحوزات الدينية العلمائية المستمرة في الأمة، وهي في واقع الأمر تدخل في صميم المساهمة المباشرة في تأسيس البنى التحتية لدولة العراق الحديث، سواء على المستويين الديني أو الثقافي أو التربوي. فقد إنحصر وجود الحوزات الدينية العلمائية الشيعية في العراق، خلال هذا القرن، والقرون السابقة، في المدن المقدسة الشيعية الأربع، وفي مدينة الحلة، وقد ضمت فيها هذه الحوزات جهابذة من المجتهدين. نحاول هنا الإشارة لهم، منهم:

1 - الحوزة الدينية في مدينة النجف، على عهد المجتهدين: السيد محمد سعيد الحبوبى، والسيد كاظم اليزدي، والشيخ عبد الكريم الجزائري، وشيخ الشريعة الأصفهاني، والسيد مهدي بحر العلوم، والسيد أبو الحسن الأصفهاني، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيد محسن الحكيم، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشهيد محمد باقر الصدر.

2 - الحوزة الدينية العلمائية في مدينة كربلاء، على عهد الشيخ محمد تقي الشيرازي.

- 3 - الحوزة الدينية العلمائية في مدينة الكاظمية، على عهد السيد مهدي الحيدري، والشيخ مهدي الخالصي، والسيد حسن الصدر، والشيخ الأنصاري.
- 4 - الحوزة الدينية العلمائية في مدينة سامراء، على عهد الشيخ محمد تقي الشيرازي.
- 5 - الحوزة العلمية العلمائية في مدينة الحلة، على عهد كان لهذه الحوزات دورا كبيرا في المساهمة في تأسيس البنى التحتية للدولة العراقية الحديثة، في مجال التربية والتعليم، فهي عدا دورها المركزي في تعليم ونشر كل ما يتعلق بعلوم الإسلام وأحكامه وتشريعاته، من خلال معينيه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، حيث خرجت هذه الحوزات الآلاف من العلماء ورجال الدين والوعاض والخطباء، سواء من من العراقيين أو من جنسيات شتى، وهو ما مهد لإنتشار كل هؤلاء في أرجاء المعمورة لنشر علوم الإسلام. وعدا إصدار الفتاوى المختلفة من قبل مراجع هذه الحوزات، في مختلف القضايا التي تهم المسلمين، كان لرموز هذه الحوزات أدوارا بناءة في إقامة ودعم المنتديات والكليات والمدارس، الفكرية والثقافية العلمية والتعليمية، كمنتدى النشر والتأليف في النجف، وكلية الفقه في النجف، وكلية أصول الدين في بغداد، ومدرسة الإمام الخالصي في الكاظمية، والمدارس الجعفرية في بغداد، ومدارس الإمام الجواد للبنين، ومدارس الزهراء للبنات في الكاظمية، وقد ساعدت هذه المؤسسات على تخرج الآلاف من الطلبة والطالبات العراقيين، وقد تبوأ الكثير منهم مسؤوليات حكومية وإجتماعية مرموقة، وساهموا هم لاحقا في تعميق مختلف البنى التحتية للدولة العراقية.

ثانياً: المؤسسة الشيعية العشائرية، الأهمية الأنتاجية:

حين نقول المؤسسة الشيعية العشائرية، ونقرنها بالأنتاجية والمشاركة، فليس ذلك من فراغ، إذا وقفنا على بعض الحقائق الهامة، فبخصوص الأنتاج الزراعي في العراق، ضمن الفاصل الزمني لهذه الدراسة، بني على اكتاف هذه المؤسسة، وهذا القول لم يأت جزافاً، إذا ما قارنا بين الفاصل الزمني من بدايات القرن، وحتى ثورة الرابع عشر من تموز، وبين ما حصل بعد هذه الثورة بثلاث سنوات فقط، لوجدنا أن العراق الذي أطلقنا عليه ظلماً العراق الأقطاعي، ضمن فاصل هذه الدراسة، كان في وضع متقدم في الأنتاج الزراعي، وما تبعه من الأنتاج الحيواني، فالمعروف أن أي حالة تقدم وتوسع في الزراعة، يصحبه تقدم وتوسع في الثروة الحيوانية ومنتوجاتها المختلفة. وإن الرقعة الجغرافية التي تسكنها العشائر الشيعية في العراقية، سبق ان أوضحنا انها الرقعة الأكبر من الخارطة الجغرافية، وهي بنفس الوقت الرقعة الأخصب، والتي درت من المحصولين الزراعي والحيواني، ما مكن العراق قبل ثورة

تموز 1958م، من سد الحاجة المحلية، وتصدير الفائض منها إلى الخارج، وبالخصوص الحبوب، من حنطة وشعير ورز، والمنتجات الحيوانية من جلود وصوف. ولعل سنة 1956م⁽¹⁾، كانت تعد السنة الذهبية. وكانت منطقة الجنوب الشيعية، بلد النخيل في العالم، حين كانت تمتلك ثلثي نخيل العالم، هذا حين كان الأقطاع الذي حاربناه، سائدا آنذاك. لكن الذي حصل بعد ثورة تموز، بثلاث سنوات فقط، أي بعد خمسة سنوات على العام الذهبي المشار إليه اعلاه، وبعد ان قامت الدولة في إلغاء ما يسمى نظام الأقطاع، أن أصبح العراق وبالأسف بلدا مستوردا للحبوب، وللمنتجات الحيوانية، بعد ان كان مصدرا لها. المهم في هذا المقطع أن المؤسسة الشيعية العشائرية، كان لها ولجماهيرها ضمن الفاصل الزمني لهذه الدراسة، دورا مبرزا في تأسيس البنى التحتية الزراعية والحيوانية في العراق، أذا ما عرفنا أن الجنوب الشيعي كان حديقة التمور في العالم. وأن الفرات الأوسط ذو الغالبية المطلقة الشيعية، كان حديقة الرز في المنطقة المحيطة في العراق. أما في الوسط الشيعي فقد كانت الكوت وتوابعها حديقة الحبوب، كما كانت ديالى الوسطية وذات الأكثرية الشيعية، حديقة الحمضيات في العراق. ولم يقتصر دور المؤسسة العشائرية وجماهيرها في تأسيس البنى التحتية للدولة العراقية الحديثة، على الإنتاجية الزراعية والحيوانية، بل كان لجماهيرها مشاركة غير عادية، في رفد البنى التحتية العسكرية والأمنية والإدارية والخدمية، بعشرات الآلاف من أبنائها البررة، الذين تقلدوا المسؤوليات، الوسطية والدونية، في تلك البنى التحتية، وأصبح العنصر الشيعي المادة المركزية الأولى لهذه البنى التحتية بحكم حجم المكون الشيعي.

ثالثاً: المؤسسة الشيعية الحكومية، المساهمة والمسؤولية

وحتى نعرف مدى أهمية هذه المشاركة والمساهمة، يقتضي الأمر بدءاً، أن نعرف مساحتها، لا سيما على مستوى الوزارات، ونمط الوزارات التي تبوءوها، وهو ما يعكس بمحصلة الأمر سعة والمساهمات، في مختلف المؤسسات، لا سيما تلك التي تعود للوزارات التي تقلدها رموز من نخبة الشيعة. ولمجرد العلم بالشئ، فإذا ما وقفنا على رصد تشكيلات الوزارات التسعة والخمسين، التي إستوعبتها فترة الحكم من 1920 - 1958م، التي ضمت 175 وزيراً⁽²⁾، نجد أن حصة الأكثرية الشيعية فيها بحدود 45 وزيراً، وهي نسبة تعادل

(1) هذه المعلومة مأخوذة بصورة مباشرة من الراحل حازم يونس يحيى، رئيس مصلحة تجارة الحبوب، حيث أكد أن العراق صدر أكثر من مليون طن من الحبوب إلى الخارج عام 1956م.

(2) الحسني، الوزارات، ج10، ص 285.

الـ 25٪. وإذا تم حساب المشاركات الفعلية، يظهر أن عدد المشاركات لنخبة السنة سواء كرؤساء وزراء، أو وزراء، كانت بحدود 364 مشاركة متكررة، إضطلع فيها بحدود 130 شخصية بين رئيس للوزراء ووزير في حقيبة وزارية، وبدون حقيبة في حين أن حساب المشاركات الفعلية لنخبة الشيعة سواء كرؤساء وزراء، أو وزراء، كانت بحدود 136 مشاركة متكررة، إضطلع فيها بحدود الـ 45 شخصية بين رئيس للوزراء ووزير بحقيبة وزارية، وبدون حقيبة، وهي نسبة تقل عن الـ 40٪، من حجم المشاركات العمومية. ورغم ان ما تقدم من نسب المشاركات لا تتكافئ وحجم المكون الشيعي، إلى أنها في مقياس التقييم المؤثر تشكل الزخم المركزي، لأن تأثيراتها وإفرازاتها إنعكست بعمق وشمولية، بما يتناسب وحجم هذا المكون، فترك أثره العميق في بناء الدولة العراقية الحديثة. أما الوزارات التي تبوءها الشيعة، فهي متنوعة، شملت كل الوزارات العراقية، التي قامت خلال تلك الفترة، ومن المفيد رصدها، لما يمكن ان يعكس مساهماتها بصورة وأخرى في بناء الدولة العراقية الحديثة. والوزارات موضوع الإشارة هي: وزارة المعارف، وزارة الأشغال والمواصلات، وزارة الاقتصاد، وزارة الشؤون الاجتماعية، وزارة الصحة، وزارة الخارجية، وزارة العدل، وزارة الداخلية، وزارة المالية، وزارة الدفاع، وزارة الأعمار، وزارة التموين. وسوف نتطرق بالتفصيل عن أسماء الذين تبوؤوا مناصب وزارية، وأسماء من أصبحوا رؤساء وزراء، من نخبة الشيعة، مع تراجع شريحة منهم حين الحديث في الباب الثامن / الفصل الثاني / المبحث الأول، عن مواقف الشيعة من الحكم والسلطة. بما يحقق هدفين مركزيين:

1 - حقيقة مشاركة الشيعة في الحكم والسلطة.

2 - حقيقة مساهمة الشيعة على مستوى الوزارات ورئاستها، في البنى التحتية للدولة العراقية الحديثة.

إن مشاركة الشيعة في الحكم والسلطة، رغم انها غير متناسبة ومساحة المكون الشيعي، فذاك أمر ليس للشيعة فيه خيار، إنما هو خاضع للفهم الذي انشأت عليه الدولة العراقية الحديثة، والذي سبق الحديث فيه. إلا أن مشاركات كل من تقدم الحديث عنه، أو سيتم الحديث عنهم من رؤساء وزراء، ووزراء مختلفين من نخبة الشيعة ورموزها، عبر المسؤوليات المختلفة، المهنية، والإدارية، والسياسية. ما يجسد من تأثيرات هذه المسيرة، التي نتجت عنها إفرازات إيجابية، ساعدت على خلق مئات الفرص لمجموعة كبيرة من المسؤولين من: متصرفين، ورؤساء مؤسسات، ومدراء عامين، وقضاة، ورؤساء هيئات وشعب، من نخب الشيعة المختلفة، الذين.

أنعكست أدوارهم ومشاركاتهم هي الأخرى لصالح الأسهميات المباشرة في تأسيس

البنى التحتية للدولة العراقية الحديثة، كل ضمن حيز إختصاصه ومسؤوليته وإضافة لذلك هناك إسهامات أساتذة الجامعات العلمية والأنسانية التي كان لهم أدوارا ريادية متقدمة في تلك المشاركات، وقد برز من نخبة الشيعة، في مختلف الأختصاصات العلمية والأنسانية، ليس على المستوى المحلي فحسب، بل كان لبعضهم بروزا حتى على المستوى العالمي. فمن الأختصاصات الأنسانية نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: د. مصطفى جواد (عالم لغوي)، ود. مهدي المخزومي (عالم نحوي)، ود. طه باقر (عالم الآثار)، ود. حسين محفوظ (عالم محقق)، ود. عبد الله الفياض (العالم البحاثة)، ود. جواد علي (عالم تاريخ) ود. شاكر خصبك (عالم جغرافية)، ود. حسن الجلبي (عالم قانون دولي)، ود. صفاء خلوصي (عالم عروض)، ود. عبد الحسن زلزلة (عالم إدارة)، ود. عباس النصراوي (عالم إقتصاد)، وعزيز الحافظ (محاسبة قانونية)، وعبود الشالجي (محامي مخضرم)، ومحمد حسين المظفر (عالم مجدد)، والشهيد محمد باقر الصدر (مفكر إسلامي)، ومرضى العسكري (عالم فقيه)، ومحمد باقر الشيبسي (أديب كبير)، محمد صالح كبة (عالم مالي)، وأحمد أمين (مربي فاضل)، ومحمد مهدي الجواهري (عميد الشعر العربي)، والصابي النجفي (شاعر كبير)، ومحمد علي الجلبي (مصرفي مخضرم)، ومحمد حسين الطباطبائي (عالم تفسير). أما على مستوى الأختصاصات العلمية، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر: د. كاظم شبر (اختصاصي طب العظام)، ود. عبد الأمير علاوي (اختصاصي طب الأطفال)، ود. فرحان باقر (اختصاصي طب الباطنية)، ود. هادي الخليلي (اختصاصي طب الأعصاب)، ود. محمد جعفر الكويتي (اختصاصي طب القلب والأوعية الدموية)، ود. عبد المحسن أبو تراب (اختصاصي طب العيون)، ود. كامل الجواهري (اختصاصي طب التحليل)، ود. زهير البحراني (اختصاصي طب الجراحة)، ود. محمد مكية (عالم هندسة)، ود. فاضل الجلبي (خبير نفط)، ود. عبد العزيز كاظم (عالم كيمياء)، ود. عباس طه النجم (عالم حيوان)، ود. محمد علي البصام (عالم رياضيات)، ود. مهدي الشكري (عالم نبات)، ود. النصراوي (عالم إقتصاد)، والثلاثي علماء القنبلة الذرية العراقية - التي لم تر النور - كل من: جعفر ضياء جعفر (عالم فيزياء) وحسين الشهرستاني (عالم فيزياء)، وحيدر عبد العباس حمزة (عالم فيزياء). يلاحظ القارئ الكريم أننا أعطينا لكل إختصاص مثلا واحدا، لكن هناك العشرات من المتميزين الآخرين غيرهم، كما أن هناك المئات والآلاف من نفس الأختصاصات بمستويات مختلفة. وقد تتلمذ عشرات الآلاف سواء من طلبة الدراسات المختلفة، أو من الكوادر الفنية والتخصصية، على يد الكثير من الذين ذكروا والذين لم يذكروا، ولمختلف الأختصاصات المتقدم ذكرها، سواء في جامعات العراق، أو في الدوائر المختلفة. وبذا فإن مساهمة هذه النخب، يعد في صميم تأسيس البنى التحتية،

لدولة العراق الحديث. في مجال العلوم الأنسانية والعلمية، سواء كان ذلك عن طريق التعليم الجامعي المباشر، أو عن طريق تدريب الكوادر في مؤسسات ودوائر الدولة المختلفة.

رابعاً: المؤسسة الشيعية الخاصة، المردود التنموي والعمراني

رغم أن المؤسسة الشيعية العشائرية هي الأخرى ذات صفة خاصة، إلا أننا فرزناها عن هذه المؤسسة كما تقدم، كون أن المؤسسة الشيعية العشائرية، تحكمها، قوانينها الخاصة بها. في حين أن المؤسسة التي نحن بصدددها لها خصوصياتها هي الأخرى، وهو ما إقتضى الفرز بينهما. وأن إقران هذه المؤسسة بالتنمية والتعمير، إنما جاء في صميم دورها الريادي الواسع والمتنوع، في المساهمة في تأسيس البنى التحتية للدولة العراقية الحديثة. وتمثل أنشطة هذه المؤسسة في عدة إتجاهات، فالإيها يعود الفضل الأول في تأسيس قواعد البنى التحتية، التجارية والصناعية والزراعية والعمرانية، في دولة العراق الحديث. ورب سؤال يطرح نفسه كيف إستطاعت هذه المؤسسة، أن تفرض هذا الواقع؟ الجواب كما هو متداول ومعروف، إن حالة الأهتمام هذه لم تأت من عدم، بل لها اسبابها ومسبباتها، ولعل من اهم أسبابها هو سياسة العزل المبرمج، الذي إتخذته سلطة الحكم، ضد حقوق الشيعة في الكثير من مؤسسات الدولة، سواء على مستوى التوظيف أو القبول في بعض الكليات أو البعثات الحكومية إلى الخارج، وإن حصلت تحصل في نواذر الدهر، وهو ما سبق التثبت منها في مباحث الدراسة. أما المسببات فهو ضرورة التعويض عن هذا العزل، بإيجاد مصادر أخرى للرزق، وسد الحاجة، الأمر الذي فتح الأبواب على مصراعها على الأعمال الحرة المختلفة. كانت البدايات خلال القرن العشرين بدايات بسيطة، سواء كان ذلك في مجال العمل التجاري، أو الصناعي، أو الزراعي، أو العمراني، إلا أنها تطورت، مع الزيادة السكانية، وإتساع المشاريع الحكومية وتنوعها، والتي بدأت تنعكس إيجابيا على نشاطات القطاع الخاص الشيعي، خلال الأربعينات من القرن، وتصاعدت أكثر، في خمسينات هذا القرن، حيث الحاجة أصبحت في توسع مستمر، لكافة السلع والحاجات سواء الدائمة الأستهلاك، أو لتلك الحاجات الكمالية والسكنية، وبما يتناسب مع زيادة نفوس العراق بنفس الوقت، لا سيما إذا عرفنا الزيادة المضطردة، في واردات العراق من النفط، حين تم تعديل إتفاقيات النفط مع الشركات الأجنبية، بداية الخمسينات، بتقاسم العائدات على اساس 50٪، مما خلق فائضا ماليا ملموسا، كان له تأثيراته الإيجابية، في تعميق مساهمات القطاع الخاص وبالخصوص الشيعي، في المساهمة المباشرة في تقويم البنى التحتية للعراق، التجارية والصناعية والزراعية والعمرانية. بدأت الغرف التجارية العراقية تأخذ

طريقها في التأسيس منذ عشرينات القرن، وأعقبها في الأربعينات الغرف الزراعية. وكانت غرفة تجارة بغداد من أوائلها، ولو رجعنا إلى عدد وأنماط المنتسبين للغرف التجارية والصناعية، لوجدنا الزخم الشيعي واضحا فيها جدا، حتى إن غالبية أعضاء مجالس الإدارة ورؤسائها كانوا غالبا من الشيعة، حتى قيام الحكومة في سبعينات هذا القرن، بتغيير نمط التكوينة، حين زجت بكل مؤسساتها التجارية، بهذه الغرف، وحولتها إلى شبه دوائر حكومية، بعد ان كانت مؤسسات شبه رسمية، كان للشيعة فيها الكلمة الأولى. وهذه الحالة تنطبق على غالبية الغرف التجارية والزراعية التي قامت في مدن العراق الأخرى، كالحلة، وكربلاء، والنجف، والبصرة وغيرها. ولم يكن ضمن الفاصل الزمني لهذه الدراسة 1914 - 1958م، غرف للصناعة، بالمعنى المتعارف عليه، بل كانت الغرف التجارية العراقية هي التي تمثل مصالح الصناعيين، ومثل هذا الأمر لم يات من فراغ، كون ان الكثير من التجار يعملون بالتجارة والصناعة معا، حيث لم تكن الصناعة قد أخذت بعدا ملحوظا ومتميزا ومستقلا، إلا في النصف الثاني من القرن العشرين. حين تأسس إتحاد الصناعات العراقية. وقد توزع التجار الشيعة على مختلف أصناف الأعمال التجارية والصناعية والزراعية والعقارية، ولم يبق صنفا منها إلى وكان للشيعة فيه نشاطا مؤثرا فيه، وكانت عملية النشاطات تقوم على عدة أشكال، منها نشاط الأستيراد، ونشاط التصدير، ونشاط الجملة، ونشاط المفرد، ونشاط التجارة الداخلية، والوكالات التجارية، وتجارة العقار، والبناء والتعمير والمقاولات، والتطوير الزراعي، وحقول الدواجن، ومحطات العجول، ومراكز الأبقار الحلوب، والأنتاج الحيواني، والتصنيع الزراعي، وكافة الصناعات المختلفة، وحتى المهن الفنية والحرفية الأخرى. وكان الشيعة يضطلعون في كل هذه الأنشطة بالمساحة الأكبر. لذا كان دور مساهمتهم متميزا وواضحا، في تأسيس البنية التحتية التجارية والصناعية والزراعية والعقارية، والقضائية، والتربوية، والصحية، لدولة العراق الحديث. وقد برزت منهم عوائل مرموقة، مارست وعملت في العديد من هذه الأنشطة، نخص منهم العوائل البغدادية الأصيلة، التي سكنت بغداد خلال القرون السابقة؛ أو التي سكنت بغداد في النصف الأول من القرن العشرين؛ كمثال على هذه المساهمة. وقد إخترنا من هذه العوائل الشريحة الأكثر عطاء في تلك الأنشطة عن طريق ترسيم تراجم مختصرة عن أهم تلك العوائل، مع الإشارة لأسماء العوائل الأخرى، فعلى سبيل المثال لا الحصر، ندرج أدنا ترسيم تراجم العوائل ذات العطاءات المتميزة في مختلف النشاطات:

1 - عائلة آل السيد عيسى وعلى رأسها صادق، وباقر، وهادي، ونوري، وأمين، وحسن، ومجيد، آل السيد عيسى. وكلهم أهل تجارة وبالخصوص الشاي، وأهل صناعة

كصناعة الكبريت والصابون والأكياس والنايلون، وهم أهل عقار وملك، حيث شيّدوا البيوت والعمارات، في بغداد. ولسيد أمين آل عيسى، مساهمات مادية ملحوظة، في تعمير مسجد حسين أبو الروح في بغداد / الشورجة تحت الطاق. وفي العائلة من الرواد الأوائل، رجالات متفقهون في الدين، وعلى رأسهم السيد صادق آل السيد عيسى، وفي العائلة مجموعة تبوّأوا مناصب مختلفة في الدولة، من وظائف مدنية وعسكرية منذ ثلاثينات القرن العشرين. كما برز من أبنائها مجموعة صاعدة من المتعاملين في التجارة والصناعة، بين بينهم: رؤوف وحيدر ومهدي وأحمد وحسن وأصبح أحد أبنائها؛ أحمد آل عيسى عضواً في إدارة غرفة تجارة بغداد.

2 - عائلة السادة الحيدرية وعلى رأسها مهدي، وجعفر، وطالب الحيدري. وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الشاي والقهوة، وأهل صناعة، وعقار، ومقاولات. ولهم حسينية قديمة معروفة بإسم العائلة، في مدينة الكاظمية. وبجانب ذلك هم بيت علم وإجتهد وأدب وشعر، ومنهم المجتهد علي نقي الحيدري، والشاعر طالب الحيدري، أما أجيالها الطالعة فلهم إهتمامات في نفس سياق العائلة. عائلة الحسيني وعلى رأسها: كاظم الملقب بأبي الحب، ومكي، وفخري وغازي الحسيني. وهم أهل تجارة وبخاصة الرز والشاي والصابون. ويشتهرون بصناعة الصابون. وهم أهل عقار وملك وقد شيّدوا الدور والعمارات في بغداد.

3 - عائلة كبة وعلى رأسها محمد صالح، ومحمد حسن، ومصطفى، وعبد الغني، ومحمد جعفر، وعبد القادر، عبد الحسين، ومحمد سليم، ومحمد حسين، وعطوف، وعبد الأمير، ومحمد مهدي، وراجي، وعبد الرسول، ومحمد صالح (الثاني)، ومحمد حسن (الثاني)، وعبد الحميد، وعبد المجيد، وعبد الله، وجميل، وصبيح إبراهيم، وصالح، وهم من جيل القرنين التاسع عشر، والنصف الأول من القرن العشرين، وهم أهل تجارة، وصناعة وعقار، ولمحمد صالح الكبير الفضل الأكبر في بناء الخانات بين مدن العراق المقدسة، كخان الربيع، وخان النص، والخانات الأخرى حتى الكاظمية وسامراء، لأيواء المسافرين (مجاناً) ولوجه الله، من حر الصيف ورمضاء الصحراء، ومشقة الطريق. وكان محمد صالح الكبير من المتفهمين بالدين، وقد برز منهم على مستوى الأجتهد، مثل محمد حسن كبة، وهو بجانب ذلك من أهل الأدب والشعر. وقد برز منهم الشيخ محمد مهدي كبة كزعيم وطني يشار له بالبنان. وتعتبر عائلة آل كبة من أوسع العوائل الشيعية التي تبوّأت مناصب مرموقة ومختلفة، على المستويين السياسي والوظيفي، منهم:

- أ - محمد مهدي محمد حسن كبة: من أبرز شخصيات عائلة آل كبة خلال القرن العشرين، وهو من الشباب الرواد في الحركة الوطنية الاستقلالية، في هذا القرن، حيث بدأ نشاطه السياسي منذ عام 1918م، وله مسيرة غنية قاربت النصف قرن من الزمن، في العمل السياسي، عبر أحداث الأمة الوطنية منها، والقومية، ولزيادة المعلومات، راجع كتابنا عنه الموسوم ب: سمات التاريخ السياسي للعراق الحديث، ودور الشيخ محمد مهدي كبة، في الحياة السياسية، 1914 - 1960م. وعبد الغني مصطفى كبة: عين وزير دولة في أول وزارة عراقية ألفها عبد الرحمن النقيب، عام 1920م، كما عين عضواً في مجلس الأعيان عند تشكيل أول مجلس للأعيان.
- ب - عبد الرسول محمد جعفر كبة: من رواد الحركة الوطنية العراقية، وكان عضواً نشطاً في حزب النهضة 1922م، وقد أبعده إلى جزيرة هنجام عام 1922م، لتصديه وحزبه للمحتلين البريطانيين.
- ت - محمد حسن عبد القادر كبة (الثاني): وقد أبعده هو الآخر ولنفس الأسباب، إلى جزيرة هنجام. وبعد عودته أسس المدرسة الحسينية الأهلية، وحين تخرج من كلية الحقوق، عين حاكماً وتدرج في القضاء إلى أن أصبح عضواً في المحكمة الكبرى؛ وعين بعدها وزيراً للصحة فوزيراً للعدلية ووزارات أخرى وأنتخب عضواً في مجلس الأمة. فريسا له للدورة من 20 كانون الأول 1944 - 1 حزيران عام 1946م وعين عضواً في مجلس الأعيان.
- ث - عبد الحميد محمد صالح كبة: بعد تخرجه من كلية الحقوق، تدرج في وظائف مختلفة وأصبح حاكماً ثم عضواً في محكمة تمييز العراق.
- ج - عبد المجيد عبد الحسن كبة: بعد تخرجه من كلية الحقوق عين في مديرية المحاسبات العامة التابعة لوزارة المالية وبقى يتدرج في وظيفته إلى أن أصبح مديراً عاماً للمحاسبات العامة.
- ح - عبد الله محمد حسن كبة: بعد تخرجه من كلية الحقوق، توظف في الدولة. وتدرج في الوظيفة حتى أصبح مديراً عاماً لمديرية التسوية العامة التابعة لوزارة المالية.
- خ - جميل محمد سليم كبة: بعد تخرجه من كلية الحقوق إشتغل في الدولة بمناصب مختلفة. ثم إستقال وعمل في المحاماة وكان من المؤسسين لحزب الأتحاد الوطني عام 1946م. إنتخب نائباً في مجلس النواب عن المنطقة الرابعة في بغداد. أعتقل عام 1963م. وأطلق سراحه عام 1964م.
- د - صالح عبد الأمير كبة: بعد تخرجه من دار المعلمين الابتدائية، مارس مهنة التدريس

في الحلة والنجف وبغداد والتحق بالبعثة العلمية للدراسة في الجامعة الأمريكية في بيروت. وبعدها إلى الولايات المتحدة الأمريكية فتخرج من جامعة كاليفورنيا في (بركلي) عام 1940م. ثم تدرج في الوظائف الحكومية. أصبح مميزاً فمديراً لدائرة الأحصاء. وساهم في تأسيس البنك المركزي العراقي وعين مديراً للتحويل الخارجي فيه. كما عين مديراً عاماً لشركة النقل البحري العراقية فوكيلاً لوزارة النفط، وبعد تقاعده من هذه الوظيفة. وانتقل للعمل في القطاع الخاص فعين مديراً عاماً للبنك العراقي المتحد ودون علم منه عين وزيراً للمالية. وحين إستقالت الوزارة عاد إلى نفس وظيفته في البنك العراقي المتحد. وعند تأسيس شركة النفط الوطنية تم تعيينه رئيساً لمجلس إدارة شركة النفط الوطنية وبعدها عين محافظاً للبنك المركزي العراقي ومرة ثانية يعين بدون علمه وزيراً للمالية. إلا انه بعد ذلك أثر على رفض أي منصب حكومي لكنه بقي في وظيفته السابقة كمدير للبنك العراقي المتحد وترك العراق مضطراً عام 1969م.

ذ - مكّي راجي كبة: بعد تخرجه من كلية الهندسة، تدرج في وظائف الدولة، إلى ان أصبح المسؤول عن هندسة الأمواج المحملة فرئيساً للمنطقة الثالثة للبريد والبرق والهاتف فنائباً للمدير العام لمصلحة البريد والبرق والهاتف فمديراً عام لها.

ر - إبراهيم عطوف كبة: بعد ان اكمل كلية الحقوق، إشتغل في دوائر الدولة وأستقال ليذهب إلى مصر ومن ثمة إلى فرنسا، لأكمال دراسة الماجستير والدكتوراه بعد عودته إلى بغداد عين مرة ثانية كموظف في الدولة ولآرائه السياسية فصل من وظيفته إلا انه عين بعد قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م، عين وزيراً للأقتصاد ومن ثمة وزيراً للأصلاح الزراعي.

ز - صبيح محمد حسين كبة: بينما كان صبيح موظفاً في وزارة المالية، أكمل كلية الحقوق وتدرج في الوظائف المالية حتى أصبح مديراً عاماً لمديرية الواردات العامة، التابعة لوزارة المالية ومارس بعد أن تقاعد عن الوظيفة مهنة المحاماة إستقينا هذه المعلومات من خلال معرفتنا ببعض شخصيات هذه العائلة ومن مصادر أخرى⁽¹⁾.

(1) راجع كتاب العقد المفصل لجيدر الحلبي (المقدمة) وكذلك:

بصري، م. س، ص. 281.

معلومات من رسالة الأستاذ صالح كبة الموجهة إلينا بخصوص. كتابنا عن الشيخ محمد مهدي محمد حسن كبة.

4 - عائلة أبو التمن وعلى رأسها داود، وكاظم، ومحمد جعفر، وهم أهل تجارة، وبالخصوص تجارة الحبوب، وأهل صناعة، وعقار، وللحاج داود جامع سمي بإسمه في بغداد / منطقة الخلاني، وكان من المتفهمين بالدين، ومن رواد المجاهدين، ضد المحتلين البريطانيين، وكان حفيده محمد جعفر على سجيته، قد سلك نفس طريق جده، لكنه أصبح أحد أبرز الزعماء الوطنيين، وقد قدمت العائلة الكثير ماديًا ومعنويًا، لنصرة الحق ضد الظلم، وبخاصة إبان الاحتلال البريطاني للعراق.

5 - عائلة الجلبي وعلى رأسها عبد الحسين، وعبد الهادي، ورشدي، وهم أهل تجارة واسعة وبالخصوص الحبوب، وكانوا من أهم المصدرين لهذه المادة، وهم أهل صناعة، ولعلمهم من أوائل من أسس معامل الطحين الفنية في العراق، وهم أهل عقار وملك واسع، فقد شيّدوا البيوت والعمارات فعماراتهم منتشرة في بغداد، وهم مؤسسوا مدينة الهادي السكنية، التي ضمت مئات المساكن، والتي أصبح إسمها بعد ثورة تموز مدينة الحرية، وهم عدا ذلك يمتلكون أراضٍ سكنية وتجارية وزراعية، في أماكن مختلفة من العراق. وهم عدا ذلك كانوا في صميم المسؤولية السياسية، وتقلدوا مناصب وزارية متعددة⁽¹⁾.

6 - عائلة الشيببي وعلى رأسها محمد رضا، ومحمد باقر، وجعفر، ومحمد علي، ومحمد حسين، ورشاد، وصبيح، وهم أهل تجارة واسعة، وبالخصوص الأقمشة، والملابس الجاهزة، وهم أهل صناعة، حيث كان جعفر الشيببي من مؤسسي شركة سميت الفرات، كما كان له مساهمات في جمعية الهلال الأحمر، وهو عدا ذلك من بناء غرفة تجارة بغداد، وقد أصبح جعفر، وولده صبيح، أعضاء في مجالس إدارتها مرات عديدة، كما أصبحا رؤساء لمجالس إدارتها أكثر من مرة، كما كان محمد باقر الشيببي له إهتمامات في الزراعة، وكانت لصبيح الشيببي إهتمامات في مجال المقاولات، وهم أهل عقار وملك، وقد برز في العائلة رجالات حكم وأدب وشعر وتفقه في الدين، أمثال: محمد رضا ومحمد باقر الشيببي. ففي حين تقلد محمد رضا الشيببي منصب وزير معارف خمسة مرات، فقد كان عضواً لمرات عديدة في مجلسي النواب والأعيان، وشغل رئاسة مجلس النواب والأعيان مرة واحدة، لكل منهما، كما إنتخب محمد باقر الشيببي مرة واحد لمجلس النواب، وقد عرف الأثنان بخطهما الوطني الإصلاحي المعارض، وكانت لهما مواقف رائدة، وهي ماثورة في بعض مباحث هذه

(1) المصدر السابق.

الدراسة كما تقدم، أما محمد حسين الشبيبي، فقد كرس جل حياته لتربية الأجيال وتدريسهم اللغة العربية، في المدارس الثانوية. أما أجيالهم الطالعة: أسعد، ود. أكرم، وأمجد، ود. سنان، ونجيب، وكامل، ومحسن، وغالب، ومحمد، وقيس، وعادل، وصادق، فلهم إهتماماتهم المتنوعة سواء في عالم التجارة والتصنيع الزراعي، أو المحاماة، والطب، والهندسة، والنفط، والتعليم الجامعي، والبحث الإقتصادي، والسلك الدبلوماسي الخارجي، ومنهم من إشتغل في الأمم المتحدة منظمة الأنكتاد⁽¹⁾.

6 - عائلة البغدادي وعلى رأسها محمد صالح، وطاهر، وعبد العزيز، وعباس البغدادي. وهم أهل تجارة عامة ومن المصدرين الرئيسيين للجلود، وللحاج عبد العزيز البغدادي مشاركة واضحة في مخازن أورزدي باك التجارية المعروفة، في بغداد / شارع الرشيد، وهم أهل صناعة، حيث يمتلك عبد العزيز البغدادي، معملا لصناعة السيكاير المحلية، وللحاج مجيد عليان مشاركة محدودة معه في هذا المعمل. ولعبد العزيز مشاركة كبيرة في شركة الزيوت النباتية المؤممة، وقد شيّدوا الدور والعمارات، وعماراتهم منتشرة في أماكن مهمة من بغداد. عدا ما يمتلكونه من أراضي زراعية وسكنية في بغداد ومدن عراقية أخرى. ولعبد العزيز البغدادي مدرسة دينية أوقفها لطلبة العلم في مدينة النجف، بتوجيه من الإمام محسن الحكيم. ويمتلك ولده كامل سينبا كائنة في بغداد / شارع السعدون.

7 - عائلة الدامرجي وعلى رأسها عبد الهادي، ومحمد، وإسماعيل الدامرجي، وهم أهل تجارة واسعة، وبالخصوص تجارة السيارات، فهم وكلاء سياسات فورد الأمريكية، وهم من المتاجرين الكبار في الحبوب ومن المصدرين لها. وهم أهل صناعة، فهم من أوائل من أسس معامل الطحين الفنية في بغداد / العظيفية، على ضفاف نهر دجلة، وهم أهل عقار وملك كبير، حتى كان يضرب المثل فيما شيّدوه من عمارات شاهقة، في تلك الحقبة، أما أراضيهم السكنية في كراة مريم، فهي من السعة يمكن ان تكون مدينة سكنية متكاملة، وكراة مريم كانت من أروع الأماكن السكنية وأغلاها، في بغداد. ناهيك عن الأراضي التجارية والزراعية التي كانوا يمتلكونها، في بغداد وباقي المدن الأخرى.

8 - عائلة علاوي وعلى رأسها توفيق، وعماد علاوي. وهم أهل تجارة عامة وخاصة تجارة

(1) المصدر السابق.

السيارات وكانوا وكلاء شركة فولكا ومسكوفيج الروسيان، وهم أهل صناعة، وعقار. ومن المصدرين للجلود، وقد برز منهم في عالم السياسة، كل من: عبد الأمير علاوي، وعبد المجيد علاوي، وتقلدوا مناصب وزارية متعددة.

9 - عائلة البحراني وعلى رأسها خليل، ورؤوف، ومحمد، وإسماعيل البحراني. وهم أهل تجارة عامة وتصدير، وخاصة الأسفلت، وهم أهل صناعة متنوعة، وهم أهل عقار وملك، وهم مشيدوا للدور والعمارات، من أشهرها فندق السفير، المطل على نهر دجلة في بغداد منطقة السعدون، وهو من فنادق الدرجة الأولى، وسينما في بغداد / شارع السعدون. ومنهم من تقلد مناصب سياسية مرموقة مثل: رؤوف البحراني، الذي أصبح وزيراً. ويعتبر إحسان وزهير البحراني من كبار اختصاصيي الطب في العراق.

10 - عائلة الجميلي وعلى رأسها محمد، وغني، وتوفيق، وعبد الأمير، ونايف الجميلي. وهم أهل تجارة عامة وخاصة تجارة الشاي والتون، وهم أهل صناعة، حيث يمتلك عبد الغني وعبد الأمير الجميلي، أقدم معمل متميز لصناعة البسكويت وعصاير الفواكه، في بغداد، وكان الحاج عبد الأمير عضواً في مجلس إدارة إتحاد الصناعات العراقي. وهم أهل عقار وملك، فقد شيدوا الدور والعمارات في بغداد. وكان نايف الجميلي من كبار المتاجرين في الأراضي السكنية والعقار. ومن أبنائهم الصاعدين في التجارة والعقار والمقاولات كل من: غازي، وعلاء، وصبيح، ومازن الجميلي.

11 - عائلة الوحيد وعلى رأسها علي الوحيد. وهم أهل تجارة وبالأخص إستيراد الشاي، وأهل عقار.

12 - عائلة مباركة وعلى رأسها عبد الباري مباركة، وهم أهل تجارة، وعقار، وصناعة، وكان الحاج عبد الباري من الباذلين مادياً ومعنوياً للصندوق الخيري الإسلامي، الذي أمر بتأسيسه الإمام محسن الحكيم، وقد تبرع عبد الباري ببنية كلية أصول الدين، في الكرادة الشرقية / خارج، وهي إحدى مؤسسات هذا الصندوق. ولعبد الباري حسينية في بغداد / الكرادة داخل، في منطقة البوشجاع، الشارع العام، وقد سميت بإسم آل مباركة.

13 - عائلة الرحيم وعلى رأسها عباس، وهادي، ومهدي الرحيم. وهم أهل تجارة عامة، وصناعة، وعقار. ومهدي الرحيم من أصحاب مخازن أورزدي باك المعروفة. وهم من المصدرين المهمين للجلود. وكان مهدي الرحيم عضواً في مجلس إدارة غرفة تجارة بغداد، لمرات عديدة.

14 - عائلة الظاهر وعلى رأسها: أحمد، وعبد الرزاق، وعبد الهادي، وهم أهل عقار وملك

واسع، وغالبية في بغداد وقد تقلدوا مناصب وزارية ومرموقة. وقد برز من أبنائهم محمد الظاهر، في مجال التجارة والعقار.

15 - عائلة عليان وعلى رأسها حسن، وحسين، عبد الله، وعلي، ومحمد، وأحمد، وعباس، وعبد الباقي، وإسماعيل، وكاظم، ومجيد، وعبد الحسين، وعبد الرزاق، وعبد المحسن، ومحمد سعيد، ومحمد جواد، ومحمد صالح، وعبد الستار، ومحمد حسن، وعبد الهادي، وداود، وعبد الرضا، وعدنان، ومحمد حسن (الثاني)، وأحمد، وضياء، وفيصل، وحמיד عليان. وقد إشتهرت العائلة نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين بسكالات الخشب، وتحولوا في ثلاثينات وأربعينات القرن العشرين إلى تجارة وأستيراد الشاي والحبوب والبقاليات والمعلبات والأقمشة والتتون والحبوب والمعلبات والبقاليات والعطاريات والفحم الخشبي والكهربائيات والسلع المطبخية والملابس المستعملة والحديد والشيش والجيئكو، وهم أهل صناعة حيث يمتلك الحاجان كاظم ومجيد عليان مآكنة لقص ورق السيكاير المحلية، ومحلات عديدة لصنع السيكاير المحلية، في بغداد / جانب الكرخ. كما يمتلك عدنان عليان مساهمة كبيرة في معملين حديثين كهربائيين للطحن سعة كل واحد منها مائة طن يومياً، في بغداد / أبي غريب. وفي النجف / المنطقة الصناعية، وقد أسس لهذا الغرض شركتان صناعيتان هما: شركة الخنساء لطحن الحبوب ذ. م. م / بغداد. وشركة الغري لطحن الحبوب ذ. م. م / النجف. وكان مديرها ورئيس مجلس إدارتهما. إضافة لإهتماماته في عمليات تصدير التمور العراقية والكبريت والزجاج والترامس المحلية لمنطقة الخليج وسوريا. وللعائلة شركة تجارية (شركة عليان وأولاده للتجارة والأستيراد ذ. م. م) بإدارة عدنان عليان، وتمتلك هذه الشركة مجموعة من الوكالات التجارية وتمثيل الشركات الأجنبية، مثل شركة كومبلكس الهندكارية، لصناعة معامل الطحين والعلف والبناء الجاهز، فقد ساعدت شركة عليان بشخص مديرها مجموعة من الصناعيين العراقيين على تأسيس مايقارب الأربعين معملاً للطحن والعلف، سعة 30 - 100 يومياً، قسم منها مع بنائها الجاهز، وفي كل أنحاء العراق من شماله إلى جنوبه، وبالتحديد في السليمانية، وأربيل، والموصل، وصلاح الدين، وبغداد، والرمادي، وديالى، والنحلة، وكربلاء، والنجف، والسماوة، والناصرية، والعمارة، والبصرة. وشركة عليان تمتلك وكالات تجارية وصناعية وخدمية متنوعة، منها: وكالة شركة متسو بيشي لمختلف منتوجاتها وصادراتها للقطاع الخاص حصراً، وشركة جوب الفرنسية لصناعة ورق السيكاير للقطاع الخاص حصراً. وكالة شركة

نيوزيلاند إيروسييس لصناعة الطائرات الزراعية وطائرات التدريب المدنية، تمثيل شركة كروبر الهنكارية للمنشآت الزراعية وبحيرات تربية وتكثير الأسماك. تمثيل شركة حنا النيوزلندية لصناعة البيوت الجاهزة والمستشفيات. عدا زكالات متفرقة ومختلفة للصناعات المطبخية، والكهربائية، والأجهزة الموسيقية، ومختلف المواد الغذائية والأستهلاكية. وللعائلة عقار وملك وبساتين ومشاتل وحقول دواجن في أنحاء متفرقة من بغداد / الكرخ. وبعض أفراد العائلة من المتفهمين في الدين، وعلى رأسهم عميد الأسرة الحاج عبد الباقي عليان، الذي كان ممثلاً للإمام السيد محسن الحكيم، في بغداد. وكان يخصه بتمثيله في بعض المراجعات مع مسؤولي الدولة. وكان لعميد الأسرة دور مؤثر في إخراج (الفرقة البابية) من محلة الشيخ بشار، وتحويل بنايتها لتصبح حسينية الشيخ بشار الكبيرة. كما كان له مساهمة في إدامة حسينيته الشيخ بشار الكبيرة والصغيرة، في بغداد / الكرخ. وللحاج عدنان عليان مساهمة في إعادة تعمير وتوسيع جامع الحاج عباس في الحارثية.

16 - عائلة الفاطمي وعلى رأسها مهدي، وضياء الفاطمي. وهم أهل تجارة، وبالخصوص تجارة الشاي والقهوة والمعلبات، وأهل صناعة فلديهم معمل لتحميص القهوة، وأهل عقار أهمه في بغداد / المسبح، والجادرية.

17 - عائلة جعفر وعلى رأسها عبد الهادي، وجواد، وضياء جعفر، وهم أهل عقار وملك في بغداد / الكرخ وللسيد هادي جعفر واحدا من أهم بساتين الحمضيات في بغداد / الكرخ، منطقة الدورة. وهم أهل صناعة فكان لديهم معمل لصنع السيكاير الحديثة. وأصبح منهم وزراء، وعلماء ذرة.

18 - عائلة الجوهر وعلى رأسها محمد حسن، وأنور، وكاظم، وحسين الجوهر، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الحبوب، وأهل صناعة فلأنور الجوهر معمل فني للطحين في الحلة، ومعمل للمشروبات الغازية كوكا كولا فرع بابل، مع عقار كبير في الحلة.

19 - عائلة الكاتب وعلى رأسها حسن، وجواد الكاتب، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الأصباغ، وهم أهل صناعة فلديهم معملا حديثا لصناعة أصباغ البناء، وهم أهل عقار في بغداد.

20 - عائلة المحسن وعلى رأسها داود، وعبد الأمير محسن، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الشاي والمعلبات، وهم أهل صناعة، وأهل عقار في بغداد.

21 - عائلة الخليلي وعلى رأسها صادق الخليلي. وهم أهل تجارة وبالخصوص الشاي، وهم أهل صناعة، حيث يمتلك الحاج صادق أكبر معمل للظروف والأكياس في

بغداد. وهو صاحب عقار وملك معروف في بغداد. وله مساهمات مادية ومعنوية في دعم الصندوق الخيري الإسلامي، الذي أقيم بتوجيه، من الإمام محسن الحكيم، وكان احد المشرفين عليه. وكان عضوا في مجلس إدارة غرفة تجارة بغداد، ومجلس إدارة إتحاد الصناعات العراقي. وللعائلة إهتمام بالتاريخ والأدب والفقه، ومنهم المؤرخ والقاص المعروف جعفر الخليلي.

22 - عائلة المؤمن وعلى رأسها عبد علي، حسين، وتوفيق المؤمن. وهم أهل تجارة وبالخصوص المواد الأنشائية، وهم أهل عقار وملك، وكان الحاج عبد علي يمتلك عدة عمارات في بغداد / الكرخ، ويمتلك اراضي سكنية وزراعية، في بغداد وخارجها، وهو من المتفهمين في الدين، وكان له السبق في إتمام بناء جامع براثا في بغداد / العطفية. وقد سمعت منه «رحمه الله» مباشرة، أنه إنما أراد من بناء المنارتين في هذا الجامع، لتكونان ثقل، يحسب حسابه، إذا ما سولت لأحد نفسه تهديم هذا الجامع، الذي يعتبر من تراث الشيعة الإمامية الأثني عشرية. وهو ما سبق وحصل الحديث عن مثل هذه المحاولة، التي باءت بالفشل. علما بأنه كان لبعض ابناء العائلة، باعا طيلا في القضاء والمحاماة، وبالخصوص حسين وتوفيق المؤمن.

23 - عائلة الغبان وعلى رأسها عبد الرزاق، وحسن، ومحمد حسين، وباقر الغبان. وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة التبغ، وهم أهل صناعة وعقار. وغالبية الرعيل الأول من المتفهمين بالدين، وكان الحاج عبد الرزاق الغبان، وكيلا للإمام السيد محسن الحكيم، في بغداد.

24 - عائلة الجوراني وعلى رأسها عبود، ودروش، وحسن، وعبدان، ومحمد علي، وفاضل الجوراني. وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة التمور والحبوب، وهم أهل صناعة، فللحاج فاضل مشاركة مهمة في معمل للطحين في الحلة / المنطقة الصناعية. أما في العقار فقد إشتهر منهم الحاجان عبدان ومحمد علي الجوراني، فلديهم عقارات مهمة في بغداد شارع الشيخ معروف. تمتد من علوة المخضرات المعروفة وحتى سينما زبيدة. وللحاج فاضل مساهمات واضحة في تعمير حسينية الشيخ بشار في مدينة النجف، وإدامة حسينية الشيخ بشار الصغيرة في بغداد / الكرخ.

25 - عائلة الشوك وعلى رأسها عبد الحسين، وأحمد، وماجد الشوك. وهم أهل تجارة وقد إشتهر منهم احمد الشوك بتجارة الأراضي والعقارات. وللعائلة بساتين معروفة في منطقة اليوسفية. ولهم حسينية في بغداد / الشوكية، في جانب الكرخ، عرفت بإسم العائلة.

- 26 - عائلة العبيدي وعلى رأسها حسن، وعبد الأمير، وهادي العبيدي. وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة المكائن والمولدات، وصناعة الثلج، وهم أهل عقار وملك، فقد أسسوا مدينة العبيدي السكنية والصناعية، الواقعة، على طريق دبالى. ولديهم جامع وحسينية في هذه المدينة. وأصبح لأولادهم أعمال تجارية وصناعية وعقارية وزراعية مختلفة.
- 27 - عائلة النجار وعلى رأسها علوان، وأكرم النجار. وهم أهل تجارة وعقار وملك مهم متكون من سينما وعمارات في بغداد. وهم أصحاب مدينة سكنية تقع في شرق بغداد. وللحاج علوان النجار حسينية في كركوك، بناها بتوجيه من الإمام السيد محسن الحكيم.
- 28 - عائلة البياع وعلى رأسها علي، وصاحب البياع. وهم أهل تجارة وزراعة واسعتين، وبالخصوص تجارة الأراضي السكنية والعقار. فمدينة البياع السكنية الواقعة غرب بغداد هم أصحابها ومؤسسوها. ولهم في هذه المدينة جامع عرف بإسم العائلة.
- 29 - عائلة زلزلة وعلى رأسها عبد الأمير، ومحمد علي، وجعفر زلزلة. وهم أهل تجارة وبالخصوص الأقمشة والشاي، وهم أهل صناعة، وعقار وملك يتكون من عدة عمارات، في بغداد ومدينة العمارة. ولهم وقف هو عبارة عن خمسة آلاف متر مربع، واقعة في أهم منطقة من بغداد / الجادرية، كانت العائلة عازمة على بنائها مستشفى أو مستوصف، وما شابه، من اجل تقديم الخدمات المجانية، للمحتاجين. لكن المشروع لم يرى النور لظروف خارجة عن إرادة العائلة، كما قال لي المرحوم السيد عبد الأمير زلزلة.
- 30 - عائلة السيد البهبهاني وعلى رأسها هاشم البهبهاني. وهم أهل تجارة وخاصة تجارة السكر والشاي، وهم أهل عقار وملك كبيرين في بغداد والكاظمية. ولديهم حسينية البهبهاني في الكاظمية/ الشوصة. وهم أصحاب مصالح ضاربة في دولة الكويت وخاصة تجارة الذهب.
- 31 - عائلة التميمي وعلى رأسها خزعل، وغني، وعباس، وصادق التميمي. وهم أهل تجارة وبالخصوص المكائن والأدوات الأحتياطية، وأهل صناعة، وأهل عقار وملك كبيرين، وإن الحاجان عباس وصادق يمتلكون عشرات العقارات والأراضي السكنية والزراعية، وفي مناطق مختلفة من بغداد وباقي مدن العراق. ولعباس التميمي حسينية كبيرة، في بغداد الكرادة الشرقية/ رخيته، سميت بإسمه، وصادق التميمي صاحب فندق «تايكوس بلاس» في شارع الرشيد، ذو النجوم الخمسة.

32 - عائلة علي وعلى رأسها عبد الرسول علي . وهم أهل تجارة وبالخصوص إيطارات السيارات، وأهل صناعة، وأهل عقار وملك واسع، في بغداد والكاظمية. ولديهم حسينية عبد الرسول علي في بغداد، الكرادة الشرقية / داخل، وللحاج عبد الرسول مساهمات في عمار أضرحة الأئمة الأطهار وبالتحديد ضريحا الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام. وله مساهمة ملحوظة في تعمير ضريح الحوراء زينب عليها السلام بنت الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه في دمشق. وقد أصبح الحاج عبد الرسول عضوا في مجلس إدارة غرفة تجارة بغداد، لمرات عديدة، كما أصبح رئيسا لها عدة مرات. وطلع من أولاده فاضل وجواد وسعدي، بنفس الأهتمامات.

33 - عائلة الجرجفجي وعلى رأسها محمد أمين الجرجفجي، وهم أهل تجارة وصناعة وعقار، وأهل سياسة وحكم، وكان أمين الجرجفجي له باع في السياسة، وقد أسس حزبا سياسيا، عام 1922م، وإسمه حزب النهضة الوطني، وقد شهدت له الساحة السياسية دورا مهما، في مواجهة المخططات الأنكليزية، وقد أبدته السلطات البريطانية، إلى جزيرة هنجام.

34 - عائلة الصفار وعلى رأسها رجب الصفار. وهم أهل تجارة، وصناعة، وعقار. وأصبح رجب الصفار عضوا في مجلس إدارة غرفة تجارة بغداد، عدة مرات.

35 - عائلة العادلي وعلى رأسها عباس العادلي. وهم أهل تجارة، وصناعة، وعقار. وتشتهر تجارتهم بالألبسة المستعملة المستوردة. ولديهم جامع في بغداد / الحارثية يعرف بإسم جامع الحاج عباس العادلي.

36 - عائلة الصباغ وعلى رأسها أحمد، وهادي، ومهدي، ومجيد ورشيد الصباغ، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الموبيليا، ولعل شهرة مزاد الحاج أحمد الصباغ وصناعة الموبيليا، في بغداد / الباب الشرقي، قد ذاع صيته ليس في العراق، بل في المنطقة. كما ذاع صيت الحاج مجيد الصباغ بصناعة الحلويات، وللحاج أحمد الصباغ مواقف ريادية متنوعة، في خدمة الطائفة الشيعية، وهو من الشخصيات الشيعية المعروفة والمحبية لنفوس الناس، هو وأخوه الحاج هادي.

37 - عائلة الحبيب الخزرجي وعلى رأسها مجيد، وحמיד، وفائق الحبيب، وهم أهل تجارة وبالخصوص الحبوب والخضر والفواكه، وهم أهل صناعة، وقد إشتهر فائق الخزرجي صناعيا بمكائن التورنة وخنزيرات المياه.

38 - عائلة حمرة وعلى رأسها عبد الهادي، وسليم، وصاحب، وهم أهل تجارة وخاصة تجارة الفواكه المستوردة، وأهل صناعة حيث يمتلكون معملا لصناعة اللحوم،

- ومشاركون في معمل للطحين . وأهل عقار ويمتلكون مجمعا سكنيا في بغداد / الكرادة الشرقية . وكان الحاج سليم عضوا لمرات عديدة في مجلس إدارة غرفة تجارة بغداد، ونائبا لرئيسها .
- 39 - عائلة مبارك وعلى رأسها إبراهيم، و خليل مبارك، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الحبوب والبقاليات، وهم أهل صناعة، وأهل عقار وملك، وعمارتهم معروفة في بغداد قرب ساحة الفتح .
- 40 - عائلة هلبون وعلى رأسها عبد، ومحسن هلبون، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة المواد المطبخية، وأهل صناعة حيث يمتلك محسن معملا لصناعة المبردات الفلينية، وهم أهل عقار، وكان محسن يمتلك فندقا في بغداد، حوله إلى مستشفى خاص، بمشاركة بعض الأطباء الأختصاصيين، وكان هو من المشاركين الملحوظين .
- 41 - عائلة الصالح وعلى رأسها فرج علي الصالح، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الحبوب، وأهل صناعة حيث كان الحاج فرج يمتلك هباشات للرز، في بغداد / جميلة . وهم أهل عقار وملك، موزع في بغداد .
- 42 - عائلة الحمامي وعلى رأسها سلمان، وفائق، وكامل، وهوبي، وهم أهل عقار وملك، ولديهم حمامان عامان الأول للرجال، والآخر للنساء، ويلتصق بهذين الحمامين، أراضي سكنية واسعة تعود للعائلة، وقد تم بناء قسما منها دورا سكنية للإيجار، وقد عمل هوبي في المقاولات العمرانية .
- 43 - عائلة المختار وعلى رأسها فيصل، وعبد المنعم، وجيليل، وهم أهل تجارة و صناعة، وكان لديهم معمل سيكاير المختار، ومطبعة حديثة، وهم أهل عقار وملك في بغداد .
- 44 - عائلة العزيز وعلى رأسها جميل، و خليل، وصائب العزيز، وهم أهل تجارة وبالخصوص مواد صناعة العصاير والآيس كريم، وهم أهل صناعة فجميل العزيز من المشاركين الكبار، في معمل للمشروبات الغازية كوكا كولا فرع بغداد . وأهل عقار وملك في بغداد .
- 45 - عائلة رحمة الله وعلى رأسها وهم أهل تجارة، وأهل صناعة، وأهل عقار وملك .
- 46 - عائلة مكية وعلى رأسها كاظم، ومجيد، وهم أهل تجارة واسعة، وبالخصوص الأقمشة . وأهل صناعة، وأهل عقار وملك في بغداد .
- 47 - عائلة الخاصكي وعلى رأسها نوري، وناطق، وهم أهل تجارة واسعة، وبالخصوص المواد الغذائية . وأهل صناعة، وأهل عقار وملك واسع، في بغداد / الشورجة، والكرادة الشرقية، داخل وخارج .

48 - عائلة القرشي وعلى رأسها مرتضى، وفريد، وهم أهل تجارة وبالخصوص تجارة الشاي والمعلبات، وأهل ملك وعقار في بغداد.

49 - عائلة الطحان وعلى رأسها عبد الخالق، ومحمد علي، وجابر، وهم أهل صناعة متنوعة، وبالخصوص السخانات، وهم أهل ملك وعقار واسع، ولديهم العديد من العمارات في بغداد، وبالخصوص في شارع الرشيد، وللحاج عبد الخالق الطحان، جامع في بغداد / الكرادة الشرقية / خارج.

50 - عائلة الشكرجي وعلى رأسها جواد، ومحمود، وهم أهل صناعة وقد إشتهروا بصناعة الحلويات، وكان لهم صيتهم في هذا النوع من الصناعة، ليس على مستوى العراق فحسب بل على مستوى الدول المجاورة، ولديهم معمل حديث لصنع الحلويات، في بغداد / الكرخ، منطقة الطوبجي، وهم أهل عقار وملك، ولديهم عدة عمارات في بغداد. والحاج جواد الشكرجي من الرجال المتفهمين بالدين.

إن الأجيال الجديدة من العوائل، المتقدم ذكرها، هم غالبيتهم في صميم واقع العائلة، التجاري والصناعي والأستثمالي والعقاري. ونحن حين أخذنا هذه الشريحة من العوائل الشيعية البغدادية، والبالغة خمسون عائلة، إنما أخذناها للمثال وليس للحصر، ونحن إذ نكتفي بذكر هذا القدر من العوائل البغدادية الشيعية التي سكنت بغداد قبل وبدايات القرن العشرين، فهو لا يعني أنها النهاية، بل هناك مئات العوائل الشيعية البغدادية الأخرى، التي كان لها مساهمات كبيرة بنفس السياقات، والتي تواكبت مع مساهمات أخواتها من العوائل المتقدم ذكرها، والتي ساعدت على تأسيس البنى التحتية لدولة العراق الحديث. ونحن إذ نذكر بعضها بالأسم دون التفصيل، إنما الهدف منه التلليل على وجود، كم هائل، من أنماط هذه العوائل، إلا أننا لا نستطيع ذكرهم جميعاً، وإلا إحتجنا إلى دراسة خاصة بهم، ونشير هنا لما يقارب الخمسين عائلة شيعية بغدادية فاعلة أخرى، ولكن بالأسم دون التفصيل وهم: عائلة بجة، عائلة عكرة، عائلة الديك، عائلة القتال، عائلة الكندي، عائلة الضاييف، عائلة الطباطبائي، عائلة الكط، عائلة الجنابي، عائلة جمعة، عائلة جلال، عائلة قنبر أعما، عائلة القرشي، عائلة الطائي، عائلة الزبيدي، عائلة الواسطي، عائلة الموسوي، عائلة البلداوي، عائلة الدجيلي، عائلة الجيلاوي، عائلة الحسون، عائلة الجليل، عائلة اليوسف، عائلة السراج، عائلة حساني العبادي، عائلة أبو زلام الجبوري، عائلة الغرب، عائلة المولى، عائلة الحميري، عائلة الجركجي، عائلة الحداد، عائلة الأعضب، عائلة الطوفي، عائلة الجليل، عائلة لبجة، عائلة الشالجي، عائلة حمندي، عائلة الأعرجي، عائلة الخطيب، عائلة تويج، عائلة تاج الدين، عائلة الحيدر، عائلة القاموسي، عائلة الجواد،

عائلة الحلاوي، عائلة الزنبوري، عائلة الخياط، عائلة الروماني، عائلة الشيخ عباس، عائلة القماجي، عائلة الشعر باف، عائلة الحلي، عائلة البونايلة.

وهناك حقيقة يجب أن لا نغفلها وهي، أن النمط الذي إستعرضناه لا يتحدد بمدينة بغداد فحسب، بل أن ما تقدم الحديث فيه عن بعض العوائل البغدادية الشيعية، إنما طرحناه على سبيل المثال، لأعطاء فكرة موجزة عن مساهماتهم، في تأسيس البنى التحتية لدولة العراق الحديث، وهذا النمط من العوائل إنما ينطبق على الكثير من العوائل الشيعية، في كل المدن العراقية الوسطية، كديالى، والحلة، وكربلاء، والكوت، والنجف، والديوانية. والمدن الجنوبية، كالسماوة، والناصرية، والعمارة، والبصرة، وإن تأثير العوائل الشيعية الفاعلة، في هذه المدن، لا يقل عن تأثير العوائل الشيعية البغدادية، إنما في صميمها. ومما لا ريب فيه فإن مجموع الناتج العام لكل نشاطات العوائل الشيعية، في كل المدن المتقدم ذكرها، سواء في المجال التجاري، أو الصناعي، أو العمراني، رغم كونه يصب في المصالح الشخصية، إلا ان هذه المصالح لها نتائج وإفرازات ومردودات عامة، شكلت عاملا مهما وأساسيا، في وضع اللبنة الأولى للبنى التحتية، التجارية والصناعية والعمرانية، وظلت هذه النشاطات تتعمق، خلال جيلين من الزمن، حتى وصلت إلى مستوى إعتبر متقدما، وكان يمكن أن يحقق الكثير على طريق التطور، لو لم يحجم هذا القطاع بتجاوزات حكومية، ليس للمصلحة العامة فيها أي إتصال، كما حاولت الجهات الرسمية تبريرها، حين أعلنت تلك القرارات الأشتراكية عام 1964م، التي خدعنا بريقها فصفقتنا لها طويلا، وهي بحقيقة الأمر إنما حصلت، في بعض المفاصل، حصلت بفعل الحقد الطائفي المقيت، وهو بحقيقة الأمر يعتبر المبرر الأول لتشريعها.

وجاءت الظروف الكارثية التي خلقتها، الحروب والغزوات بين أعوام 1980 - 1991م، والتي لا ناقة للشعب فيها ولا جمل، لتقضي على البقية الباقية، فزعزعت كل البنى التحتية التي ساهمت في تأسيسها قطاعات واسعة من الشعب، وكان للشيعية فيها الدور الريادي الأول، كما تقدم. كل ذلك حصل ويحصل بمعزل عن حقوق الشعب، ومصصلحة العراق، والأمة العربية، والذي جاءت نتائجه وإفرازاته موافقة لمصالح الأمبريالية والصهيونية العالميين، ففي حين أن الأمم المتقدمة استقبلت القرن الواحد والعشرين، بكل تفائل وأمل بعد أفضل، نريان الأمة العربية، والشعب العراقي واحدا من أهمها، قد استقبل هذا القرن وهو في حالة تراجع قهقري، إلى بدايات القرن العشرين المنصرم، حين تكالبت قوى العدوان العالمي بتقاسم تركة الدولة العثمانية، وكأن التأريخ يعيد نفسه، والسبب المركزي إستمرار تهاون الأنظمة العربية وركوعها، وإستسلامها للعدوان العالمي القديم الجديد.

الباب الثامن

مواقف الشيعة السياسية وتأثيراتها

والخطاب السياسي المطلوب للشيعة: ما له وما عليه من حقوق والتزامات

الفصل الأول: مواقف الشيعة السياسية وتأثيراتها

- المبحث الأول: مواقف الشيعة السياسية، القومية والوطنية
والدولية

- المبحث الثاني: الشيعة وأبعاد المواقف العربية والأقليمية والدولية

الفصل الثاني: الشيعة وسلطة الحكم، والخطاب السياسي

- المبحث الأول: مواقف الشيعة من الحكم والسلطة

- المبحث الثاني: الشيعة والخطاب السياسي ما له وما عليه

الفصل الأول

مواقف الشيعة السياسية، وتأثيراتها

المبحث الأول: مواقف الشيعة السياسية، القومية والوطنية والدولية

لما كان هذا الباب هو آخر الأبواب . لذا فإن ربط معالم مجسات هذه الدراسة التي سبق إستعراضها، كمنافذ تطل على هذا الباب، الأمر الذي يستدعي مجرد الإشارة لما تناولناه في أبواب متقدمة عن الشيعة والتشيع، الجذور، الفكر، الرجال، المرتكزات، وخلاصة ما أثبتناه من عروبة التشيع في الخليج والجزيرة العربية، وان العراق هو مركز التشيع العربي في المنطقة، وإن عقائد الشيعة والفكر الشيعي هما في صميم القرآن والسنة النبوية الشريفة، وليس بمعزل عنه . وبذا تم دحض المقولة التي تتردد على بعض الألسن الحاقدة، حول عجمة الشيعة وتكفيرهم .

بعد ذلك تحدثنا عن البعد السكاني والحضاري والاقتصادي للشيعة، واثبتنا أهمية الوجود الشيعي العراقي الاستراتيجي، سكانيًا وحضاريًا واقتصاديًا، بإعتباره يشكل المكون الأول بين مكونات الشعب العراقي . وانتقلنا في الحديث عن العراق ذي الأثرية الشيعية، حين أصبح في دائرة الضوء الأجنبي، وأوضحنا فيه طبيعة تركز إستقطاب الصراع الدولي والإقليمي، من أجل تحقيق المصالح، خلال القرن العشرين .

بعد ذلك تحدثنا عن العراق بين إحتلالين، فإستخلصنا من طياته طبيعة التمييز الأقتصادي والأقتصادي والسياسي، الذي عاشه شيعة العراق في عهد الأحتلال العثماني، من تمييز طائفي وحرمان إقتصادي، وعزل سياسي، الأمر الذي أدى إلى انتفاضات شيعية عديدة، ضد الأحتلال العثماني، حين قدم الشيعة سلسلة طويلة من المستشهادين عبر تلك المواقف والانتفاضات . وظل الحديث متواصلًا عن مواقف الشيعة من الأحتلال البريطاني، بخصوص صيغة الحكم، وتوجهات العراقيين . مشيرين إلى أن غالبية نخب الشيعة من مؤسسة دينية وعشائرية ومدنية، كانت في صميم التأكيد على الأستقلال الناجز، لذا نرى تلك النخب بمدنها الشيعية المقدسة، قد واجهت المحتلين البريطانيين، بمجرد ان وطأة أقدامهم أرض العراق عام 1914م . وتجسد هذا الموقف ثانية أبان الأستفتاء الذي عمد إليه نائب الحاكم العام البريطاني ويلسون، بين عامي 1918 - 1919م، وكانت النتيجة مع قيام

حكم عربي، وإستقلال غير منقوص، ونظام مقيد بمجلس تأسيسي. وصولاً إلى الأدوار الجهادية والسياسية المتداخلة للشيعة ضد المحتلين البريطانيين، متوجاً بثورة العشرين العظيمة، مستنبطين مما قدمنا له حقيقة ان وقفة الشيعة الجهادية والسياسية، ضد المحتلين البريطانيين، هي التي أدت لعزل الشيعة عن الحكم والسلطة، بالأعتماد على نخبة الحكم، من الأقلية السنية، التي هادنت المحتلين الجدد.

كما تم إعطاء فكرة عن الملامح العامة لنظام الدولة الجديدة، ومحاولات الشيعة تقويم ممارسات الدولة، وقد أثبتنا صور من ممارسات النظام عبر حكوماته التسعة والخمسين، منذ عام 1920 - 1958م، سواء الممارسات الاجتماعية وبالخصوص التمييز المذهبي ضد الشيعة والممارسات السياسية وبالخصوص العزل السياسي، وإستشعرنا ما قام به الشيعة من محاولات لتقويم معالم الدولة المضادة لحقوق الشيعة، والأسهام الشيعي المركزي في البنى التحتية للدولة.

وفي مباحث هذا الباب الأخير، نستكمل دراستنا هذه بربط مجسات الحلقات المتقدمة، في الأبواب السابقة، بالحلقات الآتية ومجساتها، كي تتكامل وتتواصل الحلقات كلها، ونخرج بالمحصلة المرجوة من هذه الدراسة، بما تفاد منها كل مكونات الشعب العراقي. وقبل الانتقال المباشر لصلب المبحث الأول من مباحث الباب الثامن والأخير، لا بد من تثبيت هذه الحقيقة لأهميتها، وهي أن نخب الشيعة لم يجمعهم طيف سياسي أو فكري واحد، بل نراهم قد تناغموا مع كل الأطياف السياسية والفكرية، وتوزعوا كل تنظيماتها، وبنسب متفاوتة يصعب حصرها، إلا ان الأكثر خصوصية أن الغالبية منهم هم ضمن الطيفين القومي العروبي، والأسلامي الوطني، وهي ظاهرة ملموسة، وحقيقة ساطعة، جسدها مسيرة الأحداث التي مررنا عليها في مباحث الأبواب السابقة، كما تجسدها مباحث هذا الباب التي بصدد الحديث عنها. فقد شهدت الساحة العراقية السياسية والفكرية، منذ بدايات القرن العشرين، وخلال العقدين الأولين منه، على بروز تياران أساسيان، هما: التيار القومي العروبي، والتيار الإسلامي الوطني. والملاحظ في هذا الصدد هو تلازم التياران المتقدمان على مستوى أحداث الأمة، سواء من خلال التنظيمات السياسية الشيعية منها، أو تلك التي ضمت الشيعة والسنة معاً، والتي كان للشيعة فيها أدواراً مؤثرة وواضحة، أو من خلال رموز شيعية غير منتمية تنظيمياً، ولكنها منتمية تيارياً. والحقيقة التي ترسم أماننا أن هذا التلازم بين التيارين لم يأتيا من فراغ، لأنهما في تمثيل الواقع يشكلان تجسيدا حيا لواقع العراق العربي المسلم، وخاصة وأن الشيعة العرب يعتزون بالعروبة كهوية إنتمائية، وبالإسلام كهوية روحية. لذا جاء التناغم بين التيارين عبر الأحداث الوطنية

والقومية، مجسداً، لحقيقة واقع المجتمع العراقي، وليس بمعزل عنه، إنما في صميم تكوينه.

وحين نستعرض مواقف نخبة الشيعة من التيارات السياسية الوطنية والقومية وتنظيماتها التي قامت خلال حقبة هذه الدراسة، يشخص لنا تجسيد ما ذهبنا إليه من قول، حول توزع الشيعة على كل الأطياف السياسية، مع بروز خصوصية تناغم التيارين القومي العربي والإسلامي الوطني المتلازمين. وسنحاول في هذا المبحث المرور على أهم تلك المواقف المختلفة، ضمن الفاصل الزمني لهذه الدراسة، وحسب تدرجها التاريخي:

الموقف الأول: كان أول موقف سياسي وقفته نخبة الشيعة كموقف قومي عربي؛ حصل بدايات هذا القرن حين إنتصر علماء الدين ورؤساء العشائر والطبقة المثقفة الشيعية سياسياً ومادياً ومعنوياً وأدبياً، لطرابلس الغرب، (ليبيا حالياً) أثناء تعرضها للأحتلال الإيطالي عام 1911م⁽¹⁾.

الموقف الثاني: كان اول حزبان إسلاميان سياسيان برزا بدايات القرن العشرين في العراق من تأسيس نخبة الشيعة، فقد تأسس حزب النهضة الإسلامي عام 1917م، في مدينة النجف، كما تأسس الحزب الإسلامي عام 1919م، في مدينة كربلاء، إلا أن الحزبين لم يكونان بعيدين عن العروبة، بل عملاً ضمن تلازم العروبة والإسلام، لأنهما كانا يمثلان الحالة السائدة آنذاك، حتى أن حزب النهضة الإسلامي النجفي كان من أهدافه: التأييد الروحي والمادي للمجتمع العربي إذا كانت مبادئه تهدف إلى الأستقلال العربي التام. كما كان من أهداف الحزب الإسلامي الكربلائي تأييد الوحدة العربية⁽²⁾. كما قامت جمعية حرس الأستقلال عام 1919م⁽³⁾، كحزب عروبي إسلامي في بغداد، كان هو الآخر في صميم الحالة المتقدم ذكرها، إنطلاقاً من نفس المفهوم، وليس بمعزل عنه. وجاء في منهاجه / المادة الخامسة منه ما يعزز هذا الكلام، ونص المادة هو «يجب على الجمعية أن تفرغ قصارى جهدها في سبيل ضم المملكة إلى لواء الوحدة العربية»⁽⁴⁾. وأن هذا الحزب قد

(1) الخاقاني، علي، شعراء الحلة «البابليات»، (دار البيات، النجف، 1951-1953م)، ص 196-230.

(2) نظمي، م. س، ص 346، 351، 352.

(3) البصير، م. س، ص 78.

(4) ن. م، ص 78.

ضم نخبة من الشيعة والسنة، وتم إنتخاب السيد محمد الصدر رئيساً له، وهو من الرموز الشيعية المعروفة، وفي ضوء ذلك تم فتح فروع له في المناطق الشيعية. وقد شاركه مجموعة رموز من نخبة الشيعة مثل: محمد جعفر أبو التمن، ومحمد رضا الشيبلي، ومحمد باقر الشيبلي، ومحمد مهدي البصير، وعشرات غيرهم. كما إندمجت جمعية الشبيبة العراقية في جمعية حرس الأستقلال⁽¹⁾، وكان جل أعضاء جمعية الشبيبة من نخبة الشيعة. وكان لكل من الأحزاب الثلاثة المتقدم ذكرها أدوارها، في الدفاع عن إستقلال العراق⁽²⁾. وقد لاحظنا في حديثنا في المباحث السابقة الأدوار السياسية التي قامت بها المؤسسة الدينية الشيعية، أو هذه الأحزاب والجمعيات، سواء التي ضمت الشيعة حصراً، أو تلك التي ضمت الشيعة والسنة، في خضم الأحداث، سواء في وقفة الشيعة في المزيرعة والروطة والشعبية في البصرة، أو في إنتفاضة النجف، أو ثورة العشرين المجيدتين، ضد المحتلين البريطانيين وأذئابهم، من أجل تحقيق الأستقلال الناجز. وليس تجاوزاً، فقد كان للشيعة الأدوار الريادية عبر تلك الأحداث، وهو ما سبق تثبيته في مباحث سابقة.

الموقف الثالث: أما عقد الثلاثينات من القرن العشرين، فقد شهد بداياته قيام حزبان سياسيان أسسا عام 1922م وهما الحزب الوطني العراقي ذو الوجود الشيعي الواضح، برئاسة محمد جعفر أبو التمن⁽³⁾، وحزب النهضة الوطني ذو الغالبية الشيعية أيضاً برئاسة أمين الجرجفجي⁽⁴⁾، والرئيسان كما هو معلوم من رموز الشيعة المعروفين. وكان لهذين الحزبين مواقف صريحة وحازمة، بخصوص إنتخاب المجلس التأسيسي العراقي أو الوقوف بوجه عقد إتفاقية عام 1922م، مع البريطانيين. والتي أبرمها عبد الرحمن النقيب في وزارته الثانية، والتي جاءت بنودها أكثر وطأة من صك الأنتداب نفسه.

(1) الحسيني، الثورة العراقية الكبرى، ص 57

(2) محبوبة، م . س، ص 344 - 348.

الوهاب، م . س، ص 25.

(3) البصير، م . س، ص 211 - 217.

(4) ن . م، ص 236 - 231.

وللعلم لم يكن الحزبان بعيدان عن التلازم الوطني والقومي والإسلامي، بل كانا في صميم هذا التلازم، رغم أن منهاجيهما لم يفصحا بذلك، إلا أن طبيعة تلك المرحلة وممارساتهما كانت تعيش هذه الأجواء، وتفرض وجودهما، ونتيجة لمواقف هاذين الحزبين، قامت السلطات البريطانية بغلقهما، وإبعاد رئيسيهما وثلة من الممتنمين والمؤيدين لهما، إلى جزيرة هنجام في الخليج العربي⁽¹⁾.

الموقف الرابع: وما دنا في هذا المقطع الزمني، فلا بد من تثبيت هذه الحقيقة، فلم تقتصر نشاطات نخبة الشيعة على منتمي تلك الأحزاب والتنظيمات السياسية، ودورهم في مسيرة الأحداث، بل كان في هذا الفاصل الزمني، مواقف لرجالات عظام من نخبة الشيعة، ممن لم ينتموا لتلك الأحزاب، ولكنهم كانوا في صميم العمل السياسي وأحداثه، ونهجه المتقدم. وليس من ضرورة تستدعي تكرار ذكرهم، فهم مبثوثون في الكثير من صفحات هذه الدراسة. فلأحزاب المتقدم ذكرها، لم يبق منها في العمل غير الحزب الوطني العراقي برئاسة محمد جعفر أبو التمن، بعد ان تفتت الأحزاب الأخرى، وربما كان سبب تفتتها كونها أحزاب حديثة، خلقتها ظروف خطيرة ناتجة عن الأحتلال البريطاني لأرض الرافدين وسياساته المجحفة. ورغم أن حزب أبو التمن، قد توقف عن نشاطه السياسي لفترة من الزمن، إلا أنه عاد له عام 1929م، بعد ان إندمج فيه حزب الجمعية الوطنية الذي أجزع عام 1928م⁽²⁾، والذي كان من أهم أعضائه الشيخ محمد مهدي كبة، فأصبح الحزب الوطني العراقي برئاسة محمد جعفر أبو التمن، وعضوية الشيخ محمد مهدي كبة، في قمة العمل السياسي، ضمن النهج الوطني العروبي الإسلامي التقدمي. وكان لهذا الحزب ولرموزه وقياداته من نخبة الشيعة، وبالخصوص محمد جعفر أبو التمن والشيخ محمد مهدي كبة، أدوارا ريادية وصلبة، ضد المصالح البريطانية، وضد تساقط العراقيين من نخبة السنة في خدمة تلك المصالح، وقد تصدى هذا الحزب بكل قوة لمعاهدة عام 1930م ولمهندسها نوري السعيد⁽³⁾. ومهما يكن من أمر فقد

(1) أيضا، ص 79.

(2) المكام، م. س، ص 18.

(3) كبة، م. س، ص 36. 45.

تعرض رموز هذا الحزب وقادته ومؤيديه، لشتى انواع الأضطهاد والتعسف من لدن السلطات البريطانية والعراقية، وحين كثرت على هذا الحزب ورموزه الهجمات وتنوعت عليهم المكائد والمؤامرات، إنحل تحت وطأة تلك الضربات المتتالية، منذ بدايات تأسيسه عام 1922م، وحتى توقفه عن العمل نهائيا عام 1933م⁽¹⁾. لكن رجالته البارزين من الشيعة، راحت تراقب الأوضاع عن كثب، ورغم تريثها الشديد من الأندماج بأي عمل سياسي تنظيمي، إلا انها لم تتوقف عن العمل السياسي، بل كانت في صميمه، ما دعت ذلك حاجة البلد عبر الأحداث.

الموقف الخامس: وحين بدأت تطراً على الحالة الفكرية السياسية من تحولات، في منتصف الثلاثينات من القرن العشرين، وظهرت أفكار أجنبية، كان وجهها الظاهر مغلف بمجموعة شعارات تجنب الأنهار، والتي كانت في صميم حاجات الناس تشكل طموحات مثالية، لكنها من وجه آخر كانت بعيدة عن أصالة المجتمع العراقي، المتمسك بقيمه الروحية ومكارم الأخلاق العربية. الأمر الذي دفع بنخبة من الشيعة ممن عملوا للعروبة والإسلام، وكان في مقدمتهم الشيخ محمد مهدي كبة، بالمساهمة مع آخرين بتأسيس نادي قومي عروبي وحدوي، هو: نادي المثني بن حارثة الشيباني. وقد اصبح الشيخ كبة فيه نائباً للرئيس، وأول ما إنبرى الشيخ كبة وصحبه التصدي للقضية الفلسطينية، وقام على رأس وفد بزيارة للأماكن المقدسة الشيعية، وقد تمكن أثناء وجوده في النجف الأشرف من إستصدار فتوى من الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، لدعم القضية الفلسطينية، بكل ماهو ممكن تيسيره من اسباب القوة والدعم⁽²⁾. ومثل هذا النشاط يعتبر في صميم العمل السياسي، الذي خاضت غماره نخبة الشيعة. كما إنبرى الشيخ كبة، لعقد الندوات الفكرية لتعميق الفهم القومي العروبي في عقول النشئ، وكان حديث الجمعة، من كل إسبوع يصب في هذا الأتجاه. وإضافة لذلك كان الشيخ كبة وصحبه في صميم العمل لسياسي العربي، من خلال نأديه هذا، في إتجاه توثيق العلاقات مع الشعوب العربية⁽³⁾.

(1) أيضا.

(2) كبة، م . س . ص .

(3) كبة، م . س .

الموقف السادس: وحين نتحدث ضمن عنوان هذا المبحث عن الشيعة والعمل السياسي وتنظيماته، وضمن الفاصل الزمني الذي نحن فيه، لا بد من الإشارة لميثاق النجف السياسي، ودور نخبة الشيعة من علماء ورجال دين، وسادات ورؤساء العشائر، ومثقفين ومحامين، في الأعداد لمؤتمر النجف السياسي، والذي تمخض عنه الميثاق السياسي، الذي تكون من اثني عشر مادة، كلها تصب للحد من غلواء ممارسات سلطة الحكم الأحادية ضد الشيعة، وفضح إندفاعاتها الموالية للمحتلين البريطانيين وخدمة مصالحهم، وسياساتهم في المنطقة.

والتأكيد على ضرورة تغيير نهج سلطة الحكم المتمسك بالتمييز الطائفي المقيت ضد الشيعة. وقد سبق أن أشرنا إلى نصوص هذا الميثاق السياسي، الذي جاء في وقته المناسب، والذي رفعه الإمام الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، إلى أعلى المستويات⁽¹⁾، كي تعمل بوجه لما فيه خير كل مكونات الشعب العراقي. وقد شكل ميثاق النجف، أول وثيقة سياسية متقدمة، لشيعة العراق ونشاطاتهم السياسية، في الدولة العراقية الحديثة.

الموقف السابع: بعد هذه الوقفة السريعة نعود إلى نادي المثني بن حارثة الشيباني، الذي إنطلق في ممارسة نشاطاته السياسية، وكان الشيخ محمد مهدي كبة، واحداً من أبرز أعضائه المتحركين سياسياً، حيث ظلت نشاطاته تتصاعد، وحين أزفت الساعة كان للنادي تأثيراته في صميم أحداث حركة مايس العربية التي قامت عام 1941م، ضد السلطات البريطانية وأعوانها من العراقيين⁽²⁾. هنا نقف مرة أخرى على مواقف سياسية رائدة وفتتها شيعة العراق، من مؤسسات دينية، وعشائرية، ومدنية، لشد عضد هذه الحركة القومية العروبية الوجدوية، حركة مايس العربية أو ما أصطلح عليها حركة العقدهاء الأربعة. فرغم المواقف غير المشرفة التي وقفها رشيد عالي الكيلاني في فاصل زمني أسبق، ضد ثوار إنتفاضة الرميثة التي قامت عام 1936م، حين كان الكيلاني وزيراً للداخلية في حكومة ياسين الهاشمي، والذي إتخذ لنفسه غرفة عمليات يدير من خلالها عملية قمع الإنتفاضة والقضاء عليها.

(1) جريدة العراق اللندنية، الناطقة باسم: المجلس العلى للثورة الإسلامية في العراق.

(2) الجادرجي م.س؛ ص 212.

وما قام به بنفس الفترة تجاه المعتصمين في مقبرة الكاظمية⁽¹⁾. نقول أنه رغم كل مواقف الكيلاني تلك، إلا أن قيامه ومجموعة من الضباط الأحرار في حركتهم عام 1941م، حيث أصبح الكيلاني رئيساً لحكومتها، وكونها حركة وطنية قومية هادفة، ضد مصالح الأنكليز وأعدائهم من نخبة الحكم، وإنتصاراً لحقوق الشعب وسيادته، وهي الأمور التي تتطابق وتتناغم وتطلعات شيعة العراق التي عملوا من أجلها بكل ما يملكون، كانت الشيعة في مقدمة الداعمين لهذه الحركة. وإليك المواقف السياسية المشرفة التي إتخذتها نخب الشيعة في هذا الاتجاه.

الموقف الثامن: قيام الإمام أبو الحسن الموسوي، إصدار فتوى لدعم هذه الحركة العروبية، والتي سبق وأشرنا إلى نصها⁽²⁾.

الموقف التاسع: قيام الإمام محمد حسين آل كاشف الغطاء، بدعم وتأييد هذه الحركة التي وصفها بقاعدة الدين عرى فيها المسلمون الذين إنتصروا للأنكليز، ونعت الذين يرومون الوقوف ضد هذه الحركة بأعداء الإسلام⁽³⁾. وقد حاول عبد الآله الوصي وولي عهد العراق، أنالامام كاشف الغطاء، بإغرائه بالمال كي يعمل على إثارة العشائر العربية الشيعية، ضد الحركة، لصالح نظامه، لكنه فشل في ذلك. ويحدثنا الكيلاني في مذكراته عن هذا الموقف، فيقول:

«إن الأمير عبد الآله حاول رشوة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، أعظم العلماء الدينيين، في العراق بمبلغ 20 ألف جنيه من الذهب، حتى يعمل على إثارة العشائر والقبائل، ضد حكومة الدفاع الوطني ببغداد، إلا أن الشيخ رفض ذلك بشدة، وأمر الرسول الذي حمل الذهب إليه أن يحمله بنفسه إلى الكيلاني، لأيداعه خزانة الدولة»⁽⁴⁾.

الموقف العاشر: قيام المجاهد الكبير والمجتهد الشيخ عبد الكريم الجزائري، بمنح حكومة هذه الحركة القومية. العروبية الوجدوية الإسلامية، صفة «الحكومة الإسلامية» في فتوى مبكرة جاء فيها:

(1) الحسنی، تاریخ الوزارات العراقية، ج5، ص 268، 269.

(2) د. الموسوي، م. س، ص 90.

(3) الحسنی، م. س، ص 268 - 269.

(4) الكيلاني، رشيد عالي، مذكرات رشيد عالي الكيلاني، ص 105.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى كافة إخواننا المؤمنين المسلمين المتدينين بشريعة سيد المرسلين .
السلام عليكم جميعا ورحمة الله وبركاته :

لا يخفاكم ما قام به فخامة رئيس الوزراء وأبناء الجيش العراقي الباسل في الحال الحاضر، من النهضة المباركة لحفظ إستقلال العراق - البلاد الإسلامية - وقطع تصرف الأجانب فيها، فيما أعهده فيكم يا معشرالعراقيين من الشمم والحمية، والغيرة الإسلامية، ولكم السابقة في تشييد هذه الحكومة الإسلامية، أحثكم وأدعوكم للمساعدة لهذه النهضة الدفاعية ما أستطعتم، فإنها نصرة للدين وحماية للمسلمين . والله يرعاكم بتأييده⁽¹⁾ .

6 ربيع الثاني سنة 1360هـ

الموقف الحادي عشر: قيام الثائر العربي الشيخ عبد الواحد الحاج سكر، بتوجيه خطاب ذو أبعاد سياسية وتعبوية، لأصحابه ورعيته، وهو ما ينقله لنا رشيد عالي الكيلاني في مذكراته، حيث قال لهم سكر، وهو ينتصر لحركة ميس العربية، ضد الأنكليز وأعوانهم من سلطة الحكم، قائلاً:

«إن موقفنا في هذه الحرب يشبه موقف أحدنا، وكانما قد إصطحب زوجته، وهو يحمل بندقيته وذهب معها لتزور أهلها في قرية قريبة من قريته . وفي الطريق خرج عليه عشرون من قطاع الطرق المسلحين بالبنادق الرشاشة ماذا يفعل؟ هل يستسلم ويترك عرضه وكرامته؟ وقام الرجل من مكانه - ويعني الكيلاني عبد الواحد سكر- وأخذ يصيح: سنقاتل بالبندقية اليتيمة، حتى الموت دفاعا عن بلادنا، ولن نسنسلم لنرى بلادنا بأعيننا، وهي تداس وتهدر كرامتها . وأثار الرجل حماسة زملائي، ولم يكن مني إلا ان قمت من مكاني وإحتضنته . وقرر زعماء القبائل أن يهبوا جميعا لنصرة الوطن، وإتفقوا على الجهاد المقدس ضد الأنكليز، وأذناهم في العراق»⁽²⁾ . .

الموقف الثاني عشر: قيام الشيخ محمد مهدي كبة منتصرا لمصادقية حركة ميس العربية، ومدافعا عن نقاء وجهها العروبي الوحدوي، فحين خمدت جذوة هذه

(1) الحسيني، م . س، ج5، ص 268، 269 .

(2) الكيلاني، م . س، ص 164 .

الحركة بفعل تأمر نخبة سلطة الحكم الموالية للمحتلين البريطانيين، الذين سيروا جيوش العدو الرابض على أرض العراق، والمعزز بقطعات جلبت خصيصاً لأخماد هذه الحركة الفتية، التي كانت شأنها داخلياً محضاً، وتم لهم القضاء عليها، وعودة سلطة الحكم الموالية للأنكليز لكراسيها المدعومة بحرابهم. وحين راح الأعداء ينتعون الحركة والقائمين عليها، والمهيين لها الأجواء السياسية، من رموز نادي المثني بن حارثة الشيباني، اللذين إعتبرهم الأنكليز والبلاط، أنهم كانوا وراء هذه الحركة، ينتعونهم ويشهروا بهم، ويتهمونهم تارة بالنازيين، وأخرى بالتبعية للألمان⁽¹⁾. وحين حاول هذا البعض من الأعداء نعتهم بالنازية والتبعية للألمان، إنبرى لهذه الطغمة، الشيخ كبة، مدافعاً عن نخبة الحركة والنادي، في رده على محاضرة مسترسكيف، والتي جاءت مليئة بالمغالطات والأتهامات، سواء للحركة أو لرموز النادي، وقد أكد كبة في رده على تلك الأفتراءات، أن رموز النادي وحركته هم وطنيون قوميون عربيون، وهم ليسوا بنازيين، ولا تابعين للألمان. وإن هذه التهمة هي من دبلجة الاستخبارات البريطانية، والتي راح أعوانها يرددونها، في ندواتهم وصحافتهم المشبوهة⁽²⁾. ووقفة تقييمية لحركات التحرر الوطني والأستقلال السياسي، التي خاضت غمارها نخب الشيعة على المستويين السياسي والألتحامي، نلاحظ أنه مثلما توجت الأحداث السياسية والألتحامية مع المحتلين البريطانيين وأعوانهم، في عشرينات القرن العشرين، بثورة العشرين المجيدة. فإن الثلاثينات من القرن نفسه قد شهدت هي الأخرى أحداثاً ساخنة ومتصاعدة، أدت بمحصلة الأمر إلى قيام حركة مايس العربية عام 1941م. ورغم فشل الحركتين، التي كان للشيعة في الأولى أدوار ريادية متقدمة ومباشرة، على المستويين السياسي والألتحامي. كما كان للشيعة في الحركة الثانية، دوراً ريادياً غير عادي هو الآخر، ولكن بنمط آخر ينحصر في التأييد السياسي والتعبوي المطلق لهذه الحركة، والأستعداد للذود عنها من قبل كل فئات ونخب الشيعة. ويبقى فشل الحركتان من الناحية العسكرية، له أسبابه

(1) الجادرجي، م . س، ص 212.

(2) كبة، م . س، ص 58، 59.

ومسبباته، ضمن القوة الضاربة لدولة عظمى، ومؤازرة الموالين لها من العراقيين، ولكن! ولكن تبقى هاتين الحركتين، في مقياس الثمين السياسي والألتحامي، حركتان وطنيتان خالصتان، بدليل مواجهتهما من قبل المحتلين البريطانيين، وأعوانهم من العراقيين بكل ضراوة وقسوة. إلا ان ما لا يمكن تجاهله، هو أن الحركتين حققتا رصيذا ضخما في اتجاه الكسب السياسي، الذي تصاعدت وتأثره، ليتوج عبر مسيرة الأحداث الوطنية والقومية بثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م المجيدة.

الموقف الثالث عشر: كانت أربعينات القرن العشرين هي الأخرى، قد شهدت أحداثا عالمية وعربية وقطرية ساخنة، وكان لنخبة الشيعة فيها مواقف سياسية دولية رائدة في عمومها وتمييزة بخصوصيتها، فقد كان لمحمد فاضل الجمالي، وهو من عائلة شيعية معروفة، ورغم إختلافنا في أسلوب العمل والنهج معه، إلا أننا يجب ان لا ننكر حقه في خدمة بلده وأمته حسب قناعاته، فقد كان له دورا سياسيا دوليا رائدا ومميزا، حين شارك في الأعداد لميثاق أكبر هيئة دولية شهدها القرن العشرين، وهي هيئة الأمم المتحدة، وكان أحد الموقعين على ميثاقها في سان فرانسيسكو عام 1945م. كما كان الجمالي أكبر نصير سياسي عربي ودولي، في دعم حركات التحرر العالمية، وبخاصة العربية، وقد عمل بكل ما يمتلك من قوة الحجة، ودقة الأفتاع، وتوضيف علاقاته السياسية الدولية، الخاصة منها والرسمية. لتنال كل من: ليبيا وتونس والمغرب والجزائر، في محصلة جهوده السياسية والدبلوماسية، حقوقها وإستقلالها. إضافة لموقفه السياسي المشرف في هيئة الأمم المتحدة مدافعا ومنتصرا للشعب العربي المصري، ضد العدوان الثلاثي على مصر عبد الناصر عام 1956م، رغم إنتمائه للمدرسة الغربية⁽¹⁾. وحين قامت الحرب العالمية الثانية، حاول أقطاب المعسكر الغربي تمنية الشعوب المستعمرة والسائرة في ركاب الأتفاقيات الجائرة غير المتكافئة، تمنيتها بان عهدا من الحياة السياسية والديمقراطية، سيأخذ طريقه في حياتهم، بمجرد أن تضع الحرب اوزارها، وكان المعسكر الغربي وعلى رأسه الأمبراطورية البريطانية، يدفع بحكومات تلك الشعوب وبخاصة

(1) جريدة الحياة اللندنية، الصادرة في 26 أيار عام 1997م. من كلمة لدكتور غسان العطية.

العربية، الدخول لجانب التحالف الغربي، ضد المحور النازي، وكان لهم ما أرادوه بإستجابة الحكومات الموالية. ورغم إنتهاء الحرب العالمية الثانية، حين وضعت اوزارها بانتصار الدول الديمقراطية، إلا أن الحكومة العراقية التي كان يرأسها حمدي الباجه جي 4 حزيران 1944. 23 شباط 1946م⁽¹⁾، لم تظهر أي حماسة في العمل لإطلاق الحريات الديمقراطية، بل ظلت على حالها أبان الأوضاع التي كانت سائدة أثناء الحرب⁽²⁾. وهكذا نلاحظ أن غالبية رموز نخبة الحكم، حتى وإن كانت بدايات عملها السياسي، ضمن الحركة الوطنية المعارضة، ضد المحتلين البريطانيين، كحمدي الباجه جي، حين كان في صميم المطالبة بالاستقلال، والحكم البرلماني الدستوري التعددي، إلا أنه عندما تبوأ رئاسة الوزارة، لم يحرك ساكنا في إتجاه ما كان يؤمن به وينادي بالعمل من أجله، قبل توليه السلطة، ويبدو ان السبب المباشر هو عدم إعطاء الضوء الأخضر من قبل البلاط، للبت في هذا الأمر. وحين إزدادت المطالبة من قبل رموز الحركة الوطنية المعارضة، بضرورة إجراء تغيير في هذا النهج، الذي عليه الحكومة والنظام، عندها إستجاب البلاط لذلك في خطاب ألقاه الوصي عبد الأله⁽³⁾. ومهما يكن من امر فقد بدأت هذه المرحلة فعلا في العراق، حيث سن قانون خاص للأحزاب عام 1946م، على عهد وزارة توفيق السويدي الثانية 23 شباط عام 1946. 31 أيار عام 1946م⁽⁴⁾. وكان سعد صالح وهو من الوطنيين، وزيرا للداخلية آنذاك، وهو من نخبة الشيعة، فأجاز خمسة أحزاب سياسية معارضة⁽⁵⁾، هي كل من: الشعب، والأحرار، والاتحاد الوطني، والوطني الديمقراطي، وهي أحزاب تعنى بالشأن الوطني حصرا،

(1) بصري، م . س . ص 203.

(2) Majid Khadduri, Independent Iraq 1932 - 1932 (Astudy in Iraq 2nd Ed. 1960 - P253 - 27 Politics).

(3) جريدة الأهالي البغدادية، الصادرة في تاريخ 28 كانون الول عام 1945م.

(4) بصري، م . س . ص 119.

(5) الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية، ج7، ص 20.

خليل، م . س . ص 64.

أما الحزب الخامس فهو حزب الاستقلال⁽¹⁾. وكان يعني بالشأنين الوطني والقومي، دون أن يغفل تمسكه بالإسلام، لأنه كان يؤمن بالعرش والبرلمان والشورى⁽²⁾. ولم يجز حزب التحرر الوطني لأنه اعتبر واجهة للحزب الشيوعي العراقي⁽³⁾، والأسباب معروفة لأولي الألباب، لا سيما في تلك الظروف الدقيقة والحساسة، إلا انه مهما تكن الأسباب والمسببات، فالديمقراطية حق للجميع في إطار التطبيق والممارسة، ولا يمكن أن توزع وتمنح بالتجزئة، ووفق مواصفات معينة. هذا من زاوية ومن زاوية أخرى، نعتقد أنه لو مهد للحزب الشيوعي العراقي بتقديم طلب بإسمه، وليس ببيانات أخرى، واجيز كغيره، لما بقى هذا الحزب يعمل بالسر، ولما سلطت عليه تلك الأضواء، حيث إنبهرت به الناس، وراحت تتسقط اخباره ونشاطاته وأدبياته، وبذا ساهمت الحكومات المتعاقبة، بالترويج له ولأفكاره، دون أن تدري. وعليه نلاحظ توزيع نخب من الشيعة على كل هذه الأحزاب، بما فيها الحزب الشيوعي العراقي، الذي ظل يعمل بالسر. كما تبوء البعض من رموز الشيعة مراكز قيادية متقدمة في تلك الأحزاب. إلا أن حزب الاستقلال ضم نخبة واسعة من الشيعة ورجالاتها، وكان على رأسهم الشخصية الشيعية المرموقة: الشيخ محمد مهدي كبة، الذي أصبح رئيساً لهذا الحزب، حيث جدد إنتخابه لطيلة إنعقاد عمل هذا الحزب، الممتدة من عام 1946 - 1960م، من خلال مؤتمرات الحزب الخمسة، التي إنعقدت خلال فترة نشاطه الحزبي السياسي⁽⁴⁾. كما أصبح عددا من نخب الشيعة، من المؤسسة الدينية، أو العشائرية، أو من طبقة المثقفين وبالخصوص المحامين، سواء أعضاء في اللجنة التنفيذية، أو في الهيئة العليا للحزب، أو في فروعه وشعبه، أو تنظيماته ومكاتبه أو لجانته

(1) أنضم كاتب هذه السطور لهذا الحزب بدايات الخمسينات من القرن العشرين.

(2) د. فاضل، م. س، ص 36.

(3) الحسيني، م. س، ج7، ص 41.

(4) كنة، خليل، العراق أمسه وغده، (بيروت، 1966م)، 67. راجع ايضا كل من العكام، م. س، ص

28، 210، 211، 236، 246، 254. وجريدة لواء الاستقلال، الأعداد / 506 و 1114 و 1416.

الصادرة على التوالي بالتواريخ التالية: 22 تشرين أول عام 1948م. و 5 تشرين ثاني عام 1950م. و 4

تشرين الثاني عام 1952م.

المتعددة، سواء في بغداد أو كربلاء أو النجف أو الحلة أو البصرة، ونورد من الذاكرة أسماء رموز الشيعة الأستقلايين ومنهم: عبد الرزاق الظاهر، وسلمان الصفواني، وعبد الشهيد الياسري، وفاضل عباس معلة، وحسين غلام، وجياد مرزوك العواد، وغالب الناهي، وعبد الحسين العاملي، وصفي الدين القزويني، وحسين الجوهر، وعبود جايد، وعبد الكريم الدلي، والشيخ أحمد بن المجاهد الشيخ عبد الكريم الجزائري، ومهدي قنير، وكاظم أحمد، ومالك الهنداوي، وأحمد الحبوبي، وصادق الحسيني، وحسن صبري، وتوفيق المؤمن، وجعفر عبد الحسين، ومحسن البهادلي، وعباس حسن. ومئات غيرهم، عدا الآلاف من الجماهير. لذا إختارنا الإشارة لهذا الحزب ومواقفه السياسية، كنموذج للأحزاب السياسية التي كان للشيعة فيها أدوارا سياسية رائدة.

الموقف الرابع عشر: وكما تقدم ذكره كان لنخبة الشيعة في هذا الحزب في خضم العمل السياسي، أدوارا سياسية ونضالية غير عادية، عبر المواقف والأحداث الوطنية والقومية، وشكل الشيخ محمد مهدي كبة محور تلك الأدوار السياسية والتحركات النضالية، مع إخوانه في القيادة، من أجل تحقيق الاهداف التي آمنت بها جماهير العراق والأمة العربية، وكان من باكورة أعمالهم هذا الموقف على المستوى الدولي، وقبل ان تصدر إجازة الحزب بأيام، وصلت بغداد بعثة ما يسمى لجنة تقصي الحقائق (الأمريكية - البريطانية) عن القضية الفلسطينية، فلم يرى الشيخ محمد مهدي كبة بدا من مقابلتها، وتمت المقابلة فعلا في 17 آذار عام 1946م، حيث قدم لها الشيخ كبة مذكرة سياسية مستفيضة، فند فيها كل الأدعاءات الأستعمارية والصهيونية واليهودية، تفنيدا تاريخيا، وواقعا، ودينيا، وقانونيا، وإنسانيا⁽¹⁾. ولعل من أخطر المجسات التي وردت في هذه المذكرة، هو إستباق الأحداث قبل وقوعها، والتي مضى على إستباقها الآن نصف قرن ونيف من السنين، إلا انها في مجال التجسيد أصبحت اليوم من الحقائق الدامغة، كما هو مشاهد فيما حصل ويحصل على الساحة العربية. والنص موضوع الإشارة هو:

(1) راجع ملحق (رقم 3) في كتابنا الموسوم بمسيرة العراق السياسية، ودور: الشيخ محمد مهدي كبة السياسي في خضم الأحداث، وفيه النص الكامل للمذكرة.

«إن الحركة الصهيونية لا تقتصر كما يصرح زعمائها على فلسطين فحسب، وإنما تستهدف إستعمار البلاد العربية كلها. وإن الحركة الصهيونية تستهدف إقامة مجتمع رأسمالي صناعي في فلسطين، على أن تجعل البلاد العربية، مجالاً حيويًا له»⁽¹⁾.

كان الشيخ كبة وإخوانه يرصدون أي حدث قومي أو وطني، إلا وكان لهم فيه دور واضح، بما يتطلبه الموقف القومي أو الوطني، وقد رصدوا في فترة مبكرة من عملهم السياسي، جملة قضايا قومية ساخنة إتخذوا تجاهها المواقف التي يملها عليهم الواجب القومي، منها قضية عربستان، المنطقة العراقية - العربية، التي إستولت عليها إيران الشاه ظلماً وعدواناً. وقضية طرابلس ليبيا حالياً التي إستعمرها الطليان. وقضية تونس وقضية مراكش المغرب حالياً وقضية الجزائر التي تسلط عليها جميعاً الأستعمار الفرنسي، وعمل جاهداً على فرنسة شعوبها وقضية لواء الأسكندرون اللواء السوري - العربي، المغتصب من قبل تركيا الأتاتورية. وقد إختارنا واحدة من مواقف الشيخ محمد مهدي كبة لتسليط الأضواء عليها، من هذه القضايا، وهي قضية عربستان. وجاء في بيان من توقيع الشيخ كبة:

«روع الوطن العربي عامة والعراق بخاصة بأنباء الأضطهادات التي لجأت إليها السلطات الإيرانية، بالأشتراك مع حزب تودة - الشيوعي - ضد إخواننا العرب في إيران. ويعلم الجميع إن هذه المنطقة المعروفة بإسم (عربستان) الواقعة جنوب إيران مما يلي شط العرب. إنما هي منطقة عربية عراقية محضه، بتاريخها وسكانها وأنساب أهلها، وطبيعة أرضها، وقد كانت إلى زمن غير بعيد جزء من العراق في إدارتها ونظمها وكافة شؤونها. لذلك يحتج حزب الأستقلال بشدة على هذه السياسة الأستبدادية الجائرة، ويطلب إجراء إستفتاء في هذه المنطقة العربية تشرف عليه هيئة دولية محايدة ليتسنى لها تقرير مصيرها بنفسها»⁽²⁾ ..

الموقف الخامس عشر: مبادرة محمد مهدي كبة والقيادة، العمل لقيام تنظيم سياسي عربي موحد في الوطن العربي، أو قيام الجامعة الشعبية لتضم الأحزاب القومية العربية⁽³⁾. وقد نالت هذه صداً عربياً ومحلياً واسعاً راحت الكثير من

(1) الجيزاني، عبد الله، حزب الأستقلال، ص 171.

(2) كبة، (دار الطليعة، بيروت، 1956م)، ص 189، 190، 2.

(3) الحكام، م. س، ص 125.

الصحف والمجلات العربية والمحلية تمجد هذه المبادرة السياسية القومية الرائدة⁽¹⁾. وحتى يخرج هذا المشروع للنور كان لا بد من مؤتمر عربي عام يعقد في هذا الاتجاه، ورغم الحماس المنقطع النظير، لعقد مثل هذا المؤتمر، إلا أن القوي الرجعية العربية ومن ورائها الأستعمار والصهيونية، عرقلت هذه المسيرة، وأجهضت عقد المؤتمر، فأجهضت الفكرة من أساسها⁽²⁾.

الموقف السادس عشر: كانت مبادرة محمد مهدي كبة وإخوانه، بإتجاه العمل للاتحاد مع قطر السوري قد مرت في مخاض طويل، وكانت موجبات وإستدعات هذه المبادرة غاية في الخطورة، فحين حلت نكبة فلسطين، عام 1948م، وقام على إثرها الكيان الصهيوني، شكل هذا الكيان خطراً حقيقياً على الأمة العربية، وبخاصة على سوريا قطر العربي المتحرر. لذا كانت هذه المبادرة، في صميم أهداف الأمن القومي العربي، لصون سوريا وتحقيق هدف الأمة في الوحدة. وحين تحدث الشيخ محمد مهدي كبة عن هذه المبادرة، إلى جريدة النداء المصرية، إنطلق من فكره القومي، إذ يقول:

«إن حزب الأستقلال حزب قومي، ومن أول أهدافه تحقيق الوحدة العربية، إننا نؤمن بالقومية العربية، ونؤيد كل فكرة ترمي إلى تحقيق هذا الهدف بين الأقطار العربية، كل أو بعضها، وخاصة إذا كان هذا الأتحاد بين قطرين يتمم أحدهما الآخر، من حيث الأوضاع الجغرافية والثقافية والأقتصادية»⁽³⁾.

(1) جريدة الأستقلال البغدادية، الناطقة بإسم حزب الأستقلال، العدد/25، الصادرة في تاريخ 3 أيلول عام 1946م.

جريدة الحضارة الدمشقية، الصادرة في تاريخ 14 أيلول عام 1946م.

مجلة المصور المصرية، العدد/1145، الصادرة في تاريخ 20 سبتمبر 1946م.

جريدة الجمهور اللبنانية، الصادرة في تاريخ 5 كانون الأول عام 1946م.

جريدة فتى العراق الموصلية، العدد/411، الصادرة في تاريخ 14 أيلول عام 1946م.

جريدة البعث السورية، الصادرة في تاريخ 11 كانون الأول عام 1946م.

جريدة نصير الحق الموصلية، العدد/425، الصادرة في تاريخ 13 أيلول عام 1946م.

(2) جريدة الجبهة الشعبية البغدادية، العدد/94، الصادرة في تاريخ 19 تشرين الثاني عام 1951.

(3) جريدة لواء الأستقلال البغدادية، العدد/816، الصادرة في تاريخ 13 تشرين الأول عام 1949م.

إلا أن الشيخ كبة وهو ينبري للدفاع عن المبادرة ضد المعارضين لها والمتربصين بها الدوائر، لم ينس أن الأتحاد المطلوب، لا بد وان يكون من صميم إرادة الشعبين، العراقي والسوري، لا أمراً فوقياً يفرض على الشعبين، دون إستقصاء رغبتيهما الحقيقية. فوقف يدافع عن المبادرة، تحت قبة البرلمان العراقي، المنعقد بجلسته في 19 نيسان عام 1950م، فيقول:

أما معارضة بعض الحكومات العربية لهذا الأتحاد فأعتقد أنها لم تكن منبعثة من رغبة شعوبها، لأنني اعتقد أن شعور الشعب العربي، شعور لا يختلف بعضه عن بعض، ولكنني «كما قلت إن الأخطاء السياسية التي إقترفها بعض الساسة في العراق، هي التي أوجدت مثل هذا الخلاف وهي التي حملت المصريين وغيرهم على التنكر للعراق وأشاعت هذا الجو من فقدان الثقة والشكوك بين البلاد العربية. وكيفما كان الأمر فلا بد لنا من ان نناقش هذه الحكومات ونقول لها ماهو المستند الذي تتذرعين به للحيلولة دون مثل هذا المشروع، إننا مقيدون جميعاً بتنفيذ وتطبيق ميثاق الجامعة العربية، وليس في ميثاق الجامعة العربية ما يحول دون تحقيق الأتحاد. علينا ان نصارح شقيقتنا الكبرى مصر بأننا كما كنا ولا نزال على أمانيك القومية ومصالحك الوطنية، نأمل ونرجو ان يكون هذا العطف متبادلاً. نقول لشقيقتنا مصر بأن نحرص على مصالح شقيقاتها الأخرى حرصها على مصالحها. وبالتالي أعتقد بأنه لا لمصر ولا لأية دولة عربية التدخل في شؤون دولتين أو شعبين، إذا أرادا تحقيق مشروع يخصهما وان يكون ذلك التحقيق بطريق شرعي دستوري، بمحض أبناء هذين الشعبين وإرادتهما»⁽¹⁾.

وقد مرت هذه المبادرة في مخاض طويل، منذ إنطلاق أول وفد إلى سوريا في 19 نيسان 1949م، وحتى إخفاق المحاولة في 1951م. كما عانت هذه المبادرة شتى المصاعب والمؤامرات حتى أنه حدثت ثلاث إنقلابات عسكرية، ضمن هذا الفاصل الزمني، وكان سبب حدوثها في الغالب إجهاض هذه المبادرة القومية. كان الأتحاد الأول برئاسة حسني الزعيم، ضد المبادرة بالصميم، وبعده جاء إنقلاب سامي الحناوي، ليكون مع

(1) مجلس النواب، الدورة النيابية الثانية عشر، 21 حزيران 1948. تشرين ثاني 1952م، الأجمعاع الأعتيادي 1950.

المبادرة ضمن مراجعات فنية لا بد من إتخاذها. إلا ان إنقلاباً ثالثاً ومشبوها قاده أديب الشيشكلي، أجهض المبادرة. وعدا ذلك كان لمواقف الحكام العرب والأمبريالية والصهيونية، أدواراً منها خفية وأخرى مفضوحة لأجهاض هذه المبادرة. وقد تناولت بعض المراجع والصحف العربية والمحلية، هذه المبادرة وملاساتها بالكثير من التحليل، والمواقف سواء لصالحها أو ضدها، وسارت على ما تعتقد وتؤمن إنطلاقاً من خلفية أصحابها⁽¹⁾.

الموقف السابع عشر: حين ألف صالح جبر وهو من رموز الشيعة المحسوبين على المدرسة الغربية، وزارته الأولى في 29 آذار عام 1947م - 27 كانون الثاني عام 1948م⁽²⁾. أعلن في منهاج وزارته تعديل المعاهدة العراقية - البريطانية⁽³⁾، لكن البدايات جاءت ملففة للنظر لأن وزارته إتخذت الكثير من الإجراءات ضد الحركة الوطنية المعارضة، عن طريق غلق الصحف، وإبطال رخصتها حزبي الإتحاد الوطني، والشعب، قبل أن تبدأ مفاوضات التوقيع، وهو ما أدى إلى إحتجاج الأحزاب المعارضة الباقية على تلك الإجراءات التي لا

- (1) جريدة لواء الأستقلال البغدادي، الأعداد: 653، 654 / عام 1948م. 579، 594، 647، 649، 653، 654، 667، 693، 698، 699، 713، 766، 788، 794، 796، 816، 886، 818، 831، 838، 844، 856، 884/ عام 1949م. 865، 867، 893، 914، 1112، 1114، 1117، 1119 عام 1950م. 1416 عام 1951م. كبة، م. س، 294. الجيزاني، م. س، ص 142 - 151. العكام، م. س، ص 144 - 162. - جريدة القبس الدمشقية، الأعداد: 3378، 3979، 3980 / عام 1949م. جريدة الحياة البيروتية، الصادرة في تاريخ 13 كانون الأول عام 1949م. جريدة المصري القاهرية، العدد / 4366، 4365 / عام 1950م. جريدة الأهرام القاهرية، العدد / 23097، 23103 / عام 1950م. جريدة الزمان المصرية، الصادرة في تاريخ 19 كانون الثاني عام 1950م. بصري، م. س، ص 210.
- (2) جريدة الوقائع العراقية / الرسمية، العدد 2455 بتاريخ 7 نيسان عام 1949م.
- (3) محاضر مجلس النواب العراقي / إجتماع إعتيادي / السنة 1947م، ص 80.

تم عن حسن النوايا تجاه الحركة الوطنية⁽¹⁾. لقد أكتنف الغموض موضوع الأعداد للوفد المفاوض، حيث إستبعدت مشاركة الأحزاب في الأتماعات التي عقدت من أجل ذلك، والأستئناس برأيها. المهم ما ترتب من إلتزامات مجحفة بالحقوق العراقية والعربية، ضمنمت في تعديل الأتفاقية، وحين عرضت نصوصها العربية والأنكليزية على الملأ. يأتي دور الشيخ محمد مهدي كبة، الذي عكف ورفاقه، إلى ترجمة وتحليل النص الأنكليزي المعلن، فوجدوا فيه ثغرات خطيرة، الأمر الذي دفعه وصحبه تنفيذ الكثير من بنود المعاهدة⁽²⁾، كما تدارس الموقف مع احزاب الحركة الوطنية المعارضة الأخرى، وبدأ الشيخ كبة دوراً سياسياً غير عادي، وراح يصعد الموقف ضد هذه المعاهدة، وضرورة إلغائها، عن طريق البيانات والمقالات الصحفية، فعمت التظاهرات والأضرابات، كافة الكليات والمدارس، وإمتدت إلى رجل الشارع، فلم تستجب الحكومة لنداءاتهم، بل راحت تهدد بإجراءات ردية صارمة ضد كل من يقف في طريقها، وحين لم تزدع الجماهير الغاضبة، بدأت ملحمة الأستشهاد، التي راح ضحيتها مجموعة من المواطنين، وقد وصلت ذروتها في 27 كانون الثاني عام 1948م. لذا أطلق على هذا اليوم (وثبة كانون) المجيدة، التي راح ضحيتها عشرات من الشهداء، ومئات الجرحى⁽³⁾. إلا ان تصاعد وتأثر الصمود والتحدي هذا، أدى بمحصلة الأمر، إلى إسقاط الوزارة، وبالتالي إلغاء الأتفاقية موضوعة البحث، وإضافة للمعلومات المتقدمة هناك المزيد منها، تناولتها مراجع وصحف عراقية عديدة بشئ من التفصيل، وسلطت الأضواء عليها. وأشارت إلى أدوار كثيرة للشيخ محمد مهدي كبة السياسية خلال مسيرة أحداث هذه الفترة الخطيرة من الوضع السياسي⁽⁴⁾. مما لا

(1) جريدة الزمان البغدادية، الأعداد الصادرة في: 8 آذار، 30 مايس، 1 حزيران عام 1947م.

جريدة لواء الأستقلال البغدادية، العدد / 196، الصادرة في تاريخ 30 أيلول عام 1947م.

(2) راجع ملحق (رقم 3) في كتابنا المتقدم ذكره. وفيه تحليل لتعديل المعاهدة موضوعة البحث.

(3) كان لكاتب هذه السطور وهو لما يزل فتى يافع، مشاركة بريئة في هذه الوثبة، من خلال التظاهرات

التي عممت مدارس الكرخ، وقد بدأت تفتح مداركه منذ هذه الوثبة، لترسم له طريق النضال طريق

العروبة والأسلام ضد الأستعمار والصهيونية، لأنهما أساس مشاكل الأمة العربية ولا زالت.

(4) جريدة الزمان البغدادية، الصادرة في تاريخ 30 أيلول عام 1947م. =

إشكال فيه أن هذا المقطع الزمني، وما حصل فيه من أحداث غير عادية، يعتبر من بين أخطر المقاطع السياسية، التي حصلت في العراق خلال النصف الأول من القرن العشرين، وحتى نعطي هذا المقطع الزمني حقه بما له وما عليه، كان لا بد من الوقوف على حيثيات حدث وثبة كانون من خلال إستعراض بعض الملاحظات والتفسيرات الملفتة للانتباه. فالملاحظة الأولى أن هذه المعاهدة التي أطلق عليها معاهدة بورتسموث أو معاهدة بيفن - صالح، والتي أدت إلى وثبة كانون، قد ووجهت مواجهة غير عادية، من قبل غالبية نخب العراقيين، وكان للشيعة في هذه المواجهة حصة مؤثرة، والسؤال الذي يطرح نفسه، هو: لماذا تم التركيز غير العادي على عقد هذه الإتفاقية؟ وهل أن الإتفاقيات المعقودة سابقا كانت أقل ضررا منها، وخاصة إتفاقية عام 1922م، التي أبرمها عبد الرحمن النقيب، وصدقها محسن السعدون عبر المجلس التأسيسي الذي أقامه عام 1923م؟ وإتفاقية النفط التي أبرمها وصدقها ياسين الهاشمي عام 1925م؟ وإتفاقية عام 1930م التي أبرمها وصدقها نوري السعيد؟ وكلها إتفاقيات جائرة، تمس بالصميم مصير وطن وحقوق شعب، وقفت الحركة السياسية الممثلة

- = جريدة لواء الاستقلال، العدد / 271، 272، 284، بتاريخ 2، 5، 18 كانون الثاني عام 1948م. القصاب، عبد العزيز، من ذكرياتي، (مطبعة الفضول، بيروت، 1962م)، ص 315، 324، 325. القاضي، محمود، كانون الثاني شهر الجهاد الوطني، (بغداد، 1948)، ص 28، 31، 37، 48. محكمة الشعب: المحكمة العسكرية العليا الخاصة، وزارة الدفاع، مطبعة الحكومة، بغداد، 1959م، ج1، ص315.
- جريدة صوت الأحرار البغدادية، العدد / 449، 463، في تاريخ 6، 23 كانون الثاني عام 1948م. كبة، م . س، ص 224، 229، 234، 253.
- د. حسين، فاضل، م . س، ص 217، 227، 228.
- شرف الدين، صدر الدين، سحابة بورتسموث، (مطبعة الكشاف، بيروت، 1948م)، ص 89.
- جريدة العراق، الصادرة في 16 كانون الثاني، عام 1948م.
- لنشوفسكي، جورج، الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، (بغداد، 1965م)، تر: جعفر خياط، ج2، ص25.
- جريدة الشعب البغدادية، العدد / 988، 989، الصادرة في تاريخ 26، 27 كانون الثاني عام 1948م. الحسيني، م . س، ج7، ص 256، 259، 263، 266، 278، 313، 335.
- جريدة صوت الأهالي البغدادية، العدد/ 472 في 5 شباط 1948م، و1552/ في 28 أيار 1948م.

برجالات من نخب الشيعة على وجه التحديد ضدها ، مواقف التصدي والمواجهة، وهو ما تم تناوله في مباحث سابقة. هنا يقف المرء متحيراً كيف تفسر مثل هذه الظاهرة، ففي حين تم تمرير توقيع الاتفاقيات المتقدم ذكرها اعلاه، والتي سبقت إتفاقية صالح - بيفن، في حين تم إسقاط هذه الاتفاقيات، التي لا بد ان تكون متميزة عن سابقتها، كما يقتضي منطلق العقل والقاموس السياسي ولكن! ولكن الذي حصل كان العكس تماماً. فلماذا إذن حصل من يستقرأ الأحداث ترسم أمامه جملة تفسيرات لهذه المرحلة:

1 - فهناك من يردد أن العامل الطائفي، قد ساعد كثيراً على التركيز في هذه المواجهة، حتى تم إسقاط الوزارة، وإلغاء الاتفاقيات، كون ان صالح جبر رئيس الوزراء ومهندس الاتفاقيات، من الشيعة المعروفين، هو ووزير خارجيته محمد فاضل الجمالي. لذلك عمد الخصوم الطائفيين على إفشاله في إدارة دفة الحكم، حتى لا يكون للشيعة أدوار في قيادة وحكم العراق، لا سيما وأن صالح جبر كان اول شيعي يتقلد هذا المنصب، منذ تأليف أول حكومة عراقية عام 1922م، أي بعد أكثر من ربع قرن على قيام الدولة العراقية الحديثة، ورغم ان هذا التردد فيه بعض القبول من الناحية الاستراتيجية، وفق الفهم الطائفي، الذي انشأت عليه الدولة العراقية الحديثة، كما تقدم الحديث فيه. إلا ان هذا التردد لا يصمد أمام طبيعة الأحداث، كون ان نخب من رموز الشيعة، وعلى رأسهم الشيخ محمد مهدي كبة، كان لها أدوار سياسية وتعبوية غير عادية، للتصدي للاتفاقيات ولعاقديها، دون أن يحجبهم العامل الطائفي المعاكس، أو يتحكم في مواقفهم، وما حركهم هو طبيعة بنود المعاهدة، ضمن الموقف الوطني، وليس دون ذلك.

2 - وهناك من يردد أن للمعاهدة (ملاحق سرية)، غير معلنة، وهذه الملاحق لو قيص لها أن ترى النور، عبر التطبيق والممارسة، لما قام الكيان الصهيوني على ارض فلسطين العربية، إلا أن اللوبي الصهيوني العالمي، حين توافرت بين يديه المعلومات، شعر أن الخطر يدهم المخططات الصهيونية في فلسطين، فراح يعمل بكل ما يمتلك من قدرات إعلامية ومادية وسياسية، عبر الوكالات الصهيونية، من إحباط هذه الاتفاقيات وإسقاطها، وكان له ما اراد من خلال عملائه المتشربين في العراق والوطن العربي.

3 - وحين نقف على مقولة وجود الملاحق السرية، لم نجد رغم التحري الشديد، أي وجود مادي لها، سوى مقالة كتبها الصحفي اللبناني المعروف كامل مروءة، عام 1951م، وهو صاحب جريدة الحياة البيروتية، عنوانها (لك الله يا صالح)، يشير فيها إلى أهمية

المعاهدة، لأنه إطلع على نصوصها الأنكليزية، بما فيها الملاحق السرية، ولكن دون ان يشير إلى أي شي عن الملاحق في هذه المقالة، كونه قد اعطى موثقا وأتمانا، لصالح جبر بعدم نشر أي شي يذكر عنها، تلبية لرغبة الأخير. إلا أن كاتب هذه السطور حين إستفسر من محمد فاضل الجمالي، في إحدى زيارته إلى لندن عام 1996م، عن صحة الملاحق السرية، نفى ذلك وأكد عدم وجود مثل تلك الملاحق السرية، والمعلوم أن الجمالي كان أحد أعضاء الوفد المفاوض الذي وقع المعاهدة، كونه كان وزيرا للخارجية كما تقدم ذكره. هنا يقف الباحث متحيرا أمام ما أكتنف بنود هذه الأنفاقية من غموض، وبالتحديد ما يخص موضوع الملاحق السرية. وإذا كان العرف السياسي والدبلوماسي يقتضيان عدم البوح بهما، في حالة التطبيق للمعاهدة؟، فهل هذا الفهم ينطبق حتى بعد إلغاء المعاهدة ذاتها قبل أن ترى النور؟. في القاموس السياسي يمكن ذلك ولكن ! واكن يبقى موقف الحركة السياسية الوطنية موقفا وطنيا صحيحا، كونه إستند على النص المعلن للمعاهدة، ليس العربي بل الأنكليزي، ليكون حكمه دقيقا.

أن من يتلمس حقيقة تصاعد الوعي السياسي لدى العراقيين، وبالخصوص في فترة الأربعينات والتي بلغت ذروتها في الخمسينات من القرن العشرين، يدرك مدى التأثيرات التي أحدثها هذا الوعي السياسي المتصاعد، في نفوس العراقيين، إذن فإن مثل هذا الوعي السياسي المتصاعد، يمكن أن يكون هو الذي ساعد بصورة وأخرى على أن تكون المواجهة، مواجهة حدية، لا رجعة فيها، إلا إذا تحققت إرادة الجماهير، وهو ما حصل فعلا، ومثل هذا التحليل هو أقرب من كل الأشكال الأخرى، حتى إذا إفترضنا صحة بعض أشكال التفسيرات المتقدم ذكرها. وتبريرنا الموضوعي لذلك أنه لو كان وعي الجماهير أبان توقيع الأنفاقيات التي سبقت معاهدة بورتسموث، على نفس المستوى من النضج والقوة والمساحة، لما أمكن لرؤساء الوزراء الذين سبقوا صالح جبر، مثل عبد الرحمن النقيب، ومحسن السعدون، وياسين الهاشمي، ونوري السعيد، أن يتمكنوا من عقدها بتلك السهولة، رغم ما جوبهت به تلك الأنفاقيات من تصدي ومواجهة من الحركة السياسية الوطنية، والتي كان للشيعة فيها الريادة والبروز. والسبب المركزي كما نعتقد هو عدم وجود فاصل زمني مناسب، بين الآثار الضارة، التي خلفها إجهاض ثورة العشرين، من قبل المحتلين البريطانيين، والتي قاد غمارها شيعة العراق، وبين عقد الأنفاقيات التي سبقت معاهدة بورتسموث، وإن هذا الفاصل الزمني القصير، والأمة تخرج من حرب ضروس

بسبب ثورة العشرين، قد حال دون إستمرار التصدي والمقاومة لعقدها، بنفس قوة ثورة العشرين، التي قاومت أساسا الوجود البريطاني في العراق، وهو أمر غاية في الخطورة والأهمية، ولا يمكن قياسه بعقد إتفاقية. إلا ان الفرق بين الفاصلين الزمنيين، ثورة العشرين وعقد الإتفاقيات الثلاث المتقدم ذكرها أعلاه، والذي لا تتجاوز حدوده الثمان سنوات، في حين أن الفاصل الزمني بين ثورة العشرين، وعقد معاهدة بورتسموث عام 1948م، هو أكثر من ربع قرن من الزمن، وهو فاصل زمني، تمكنت أحداثه القومية والوطنية، من تعميق الوعي السياسي وتوسيع رقعته، وشحذ الهمم لدى نخبة الأمة، وهو ما دفع بإتجاه إجهاض معاهدة بورتسموث، ببندوها المعلنة. ومهما يكن من أمر فإن مرور أكثر من نصف قرن على إفشال تلك المعاهدة، لم تعلن مؤسسة الوثائق البريطانية أي وثيقة أو قرينة يؤيدان وجود الملاحق السرية، علما بأن هذه المؤسسة تكشف عن بعض وثائقها السرية بعد مرور ثلاثين عاما، أو خمسين عاما، وها هي فترتا الثلاثين عاما والخمسين عاما إنتهتا ولم يكشف على أي وثيقة تشير إلى ذلك، حتى يمكن من خلالها أن نصف مهندس المعاهدة، وصحبه. فحقائق التاريخ السياسي الوطني، لا تنصفها العواطف، بل تنصفها القرائن والأدلة، وهو ما إنفقدته معاهدة بورتسموث حتى الآن، على أقل تقدير، وهو ما يعجز أي باحث حصيف، من قيامه بإنصافها بأمانة وصدق. وفي ضوءه يبقى حكم التاريخ لغير صالح مهندسي وعاقدي الإتفاقية موضوعة البحث. وهكذا شاركت نخبة الشيعة في حزب الأستقلال بأدوار مهمة ومؤثرة عبر الأحداث المتقدمة، منذ تأسيسه عام 1946م، وحتى تجميده عام 1960م، أبان الظروف الأستثنائية، التي مر بها العراق، بعد ثورة 14 تموز عام 1958م، والتي أصبح فيها الشيخ محمد مهدي كبة، عضوا في مجلس السيادة لهذه الثورة، والذي إستقال منه عام 1959م، بعد ان عجز عن رأب الصدع بين القوى الوطنية والقومية، والتي كان من أهم أسبابها، التزمت الحزبي والتخندق الأيديولوجي، والتناحر على تحقيق المكاسب الضيقة، والوقوف بوجه تيار الأمة في: الأستقلال والوحدة والحرية، وهي الأهداف التي آمن بها حزب الأستقلال وعمل من اجل تحقيقها، والتي تعتبر أهداف الأمة وشاغلها الأول، إنسجاما مع أدوار نخبة الشيعة الرواد من المؤسسة الدينية والعشائرية والمدنية، في خضم الأحداث التي تقدم التفصيل فيها في مباحث هذه الدراسة.

نكتفي بهذا القدر من إستعراض المواقف السياسية التي وقفتها نخبة الشيعة، على مستوى الأحداث الوطنية والقومية والدولية، وهناك عشرات المواقف السياسية الأخرى كان للشيعة لهم فيها أدوارا بارزة ومؤثرة، عبر أحداث العراق والأمة العربية، لعل من أبرزها

إنتفاضة تشرين عام 1952م. عقد حلف بغداد عام 1955م. العدوان الثلاثي على مصر عبد الناصر عام 1956م. ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م وللعلم فإن المواقف السياسية لنخب الشيعة والتي إستعرضناها أو التي تم الإشارة إليها أو التي لم نشر لها، لا تقتصر على نخب الشيعة في حزب دون آخر، فقد كان لنخب الشيعة مشاركة وأدوار سياسية عمت الأحزاب العلنية الأخرى، إضافة لحزب الأستقلال، وإن حصر الحديث عن نشاطات نخب الشيعة في حزب الأستقلال حصراً، إنما مرده أن هذا الحزب قد ضم نخبة متميزة من الشيعة، كان على رأسهم الشيخ محمد مهدي كبة، وهو من رواد الأستقلال الأوائل. وحتى لا يكون حديثنا عن عنوان هذا المبحث مجتزئاً فإن نخب الشيعة لم تقتصر مشاركتهم وأدوارهم السياسية على الأحزاب العلنية، المشار إليها، بل شملت مجموعة من الأحزاب الوطنية السرية، سواء كانت تلك الأحزاب فروع لأصول أسست في الخارج، كالحزب الشيوعي العراقي، الذي بدأ عمله السياسي السري في العراق عام 1935م. وحزب الأخوان المسلمين، الذي بدأ عمله السياسي السري في العراق بداية الخمسينات. وحزب التحرير الإسلامي الذي بدأ عمله السياسي السري في العراق في النصف الثاني من الخمسينات. وحزب البعث العربي الإشتراكي، الذي بدأ عمله السياسي السري في العراق في النصف الأول من الخمسينات.

حزب الدعوة الإسلامية

كانت مشاركة الشيعة في الحزب الشيوعي العراقي السري بدءاً، وفي حزب البعث العربي الإشتراكي لاحقاً، مشاركة واضحة، وهو ما مكّنهم من تبوأ مناصب قيادية مركزية في الحزبين. إلا أن الحزبين السريين الآخرين الأخوان المسلمين، والتحرير، وهما حزبان ذوا اكثرية سنّية تكاد تكون مطلقة، فقد كانت مشاركة الشيعة فيهما محدودة، وخصوصاً في حزب التحرير الإسلامي. وحين نقف على تنظيم سياسي إسلامي شيعي سري وهو حزب الدعوة وهو حزب عراقي أصيل وليس فرع، نرصد أن هذا الحزب الذي قام عام 1957م، قد إنبثق من صميم رحم المؤسسة الدينية الشيعية، بمشاركة ثقل ديني وعلمائي وطبقة من المثقفين الإسلاميين، يجلب الأنتباه، ويستدعي التوقف عند نخبة تأسيسه ورواده الأوائل، والذي كان على رأسهم المفكر الإسلامي الكبير الشهيد السيد محمد باقر الصدر «رضوان الله عليه»، ويأتي في سياق الشهيد المجاهد العلامة السيد مهدي ابن الإمام محسن الحكيم «رضوان الله عليهما»، ونجله الثاني المجاهد العلامة السيد محمد باقر الحكيم، ومشاركة العلامة المجاهد السيد محمد بحر العلوم، سليل العائلة العلمائية المعروفة، إضافة لنخبة رائدة من رموز الشيعة. والحقيقة أن من يقف على نهج هذا الحزب تشخص امامه عدة الحقائق.

أن هذا الحزب ظل يعمل في كتمان وسرية شديدين للغاية، ولم تنعكس نشاطاته السياسية على الساحة العراقية، كغيره من الأحزاب السرية، إلا بدايات السبعينات، أي ان هناك ما يقارب الخمسة عشر سنة من تعميق الفكر، وبناء القواعد، وترسيخ الجذور، ليتمكن هذا الحزب من ان يقف بصلافة وقوة خارقتين دفعة واحدة، جلبت أنظار المتعاملين في الشأن السياسي العراقي، عدا حالة إنبهار الجماهير به. لذا كان نهج حزب الدعوة مختلفا تماما عن أساليب الأحزاب السرية الأخرى، لذا كانت مواجهته مواجهة صارمة منذ البدايات الأولى. وإذا ما وقفنا على الفرق بينه وبين الأحزاب الأخرى نلاحظ انه في حين عكست تلك الأحزاب نشاطاتها المبكرة بمجرد ان تمكنت من إيجاد المؤيدين لها، لتوجه عبر أدبياتها الإعلامية، رسالة للجماهير وللسلطة على السواء، على إعلان نشاطها في معترك العمل السياسي السري. كان نهج الدعوة وأسلوبه في معترك العمل السياسي مختلفا تماما، حين إعتد عملية البناء الداخلي في مرحلتها الأولى، وحين إطمئن إلى أنه أصبح على مستوى من القوة والتمكن، إنطلق بقوة ليعلمن لجماهير الأمة، وللسلطة الحكم، أنه في صميم المعترك السياسي، ليس من خلال أدبيات إعلامية، بل من خلال فعاليات، لم تخطر على بال أحد، لعل من أبرزها مواكب الطلبة، التي تضم نخبة من المثقفين الإسلاميين، وكان الحزب يسير المواكب، في مناسبات دينية ذات حضور جماهيري واسع إعتادت عليها الشيعة، وكانت تلك النخب تحمل لافتات تعبر عن أهدافها ضمن الحدث الديني، إضافة للهِتافات التي كانت بنفس السياق. ونقارن هنا بين ما تقدم بخصوص حزب الدعوة، وبين فعاليات الحركة الاستقلالية، الممثلة في حزب حرس الاستقلال، والذي إستعرضنا نشاطاته، في متن الدراسة، حيث تشخص أمامنا حقيقة التناغم بين نهجيهما، وتتطابق أساليب عملهما. وكان حزب الدعوة أراد ان يعيد للتاريخ الجهادي والسياسي، الذي تمتعت به نخبة الأمة، أبان العشرينات من هذا القرن، نكهته المتألفة، ووجهه الناصع، حين كانت نخبة الأمة تستغل مناسباتي المجالس الذكورية، ذكرى المولد النبوي الشريف، وذكرى إستشهاد سبطه الحسين، والتي كانت تعقد في جوامع وحسينيات بغداد، في رمضان وعاشوراء، والتي باتت تشكل حالة تهديد للمحتلين البريطانيين، يصعب مواجهتها كما اشارت لذلك مس بيل.

ووقفة على موقف سلطة الحكم من حزب الدعوة لم تكن سلطة الحكم وأجهزتها بعيدة عن هذه المشاهد المثيرة، التي أخذت تشكل تهديدا تعبويا ضد النظام، ويبدو أن إلتفاتهم لهذا الأمر كان قد سبق مواكب الطلبة، وبالتحديد حين راحت قياداتهم القومية والقطرية، تدرس ظاهرة الأنتطاع المليونى من قبل الجماهير من شيعة وسنة، التي شاركت في تشييع جنازة الإمام السيد محسن الحكيم «قدس» عام 1970م، وكان حدث موكب التشييع الذي بدأ

من مدينة العروبة والأسلام، مدينة الكاظمية المقدسة، التي تضم ضريح الإمامين موسى بن جعفر ومحمد الجواد عليهما السلام، وهما من أئمة الشيعة الأثني عشرية، مروراً بمدينة العروبة والإسلام مدينة الأعظمية، التي تضم ضريح الإمام أبو حنيفة النعمان «رض»، وهو من أبرز أئمة السنة، وقد مر الموكب في شارع الرشيد حيث جامع الحيدرخانة، فتعالت التكبيرات التي ربطت الماضي المشرق القريب، حيث صرخات جماهير الأمة من هذا الجامع الذي شهد أعظم دروس الألتحام بين الشيعة والسنة، ضد المحتلين البريطانيين عام 1919-1920م، وبين صرخات الجماهير المستنكرة لأعمال أقزام المحتلين البريطانيين، بعد نصف قرن من الزمن في عام 1970م، وكأن النظام البعثي ما وجد إلا من أجل أن ينتقم من أحفاد قادة ثورة العشرين، الذين أذاقوا المحتلين البريطانيين الهوان، عبر معارك العروبة والإسلام، في المزيرعة والروطة والشعبية والعارضيات بين أعوام 1914 - 1915م، وإنتفاضة النجف عام 1918م، ومعارك الرارنجية والقطار والسوير وأبي غريب وديالى وسامراء، أثناء ثورة العشرين المجيدة.

وهكذا إستمر موكب التحدي المليوني هذا في مسيرة التشيع مخترقاً شارع الرشيد حتى جسر الأحرار، وعبوره لجانب الكرخ حيث إنتهت المرحلة الأولى منه في منطقة المتحف العراقي، بعد ان قطعت هذه المسيرة ما يقارب السبع كيلو مترات مشياً على الأقدام وكان لرسم هذه المسيرة قصة جمعت بين العفوية والإرادة الإلهية⁽¹⁾. وهكذا إنتهت هذه المسيرة لتبدأ بعدها مسيرة من نوع آخر يعجز اليراع عن وصفها، ولتستمر ثلاثة أيام، حيث وروي جثمان الفقيد الكبير الإمام محسن الحكيم «قدس»، في جامع الخضرة في النجف الأشرف. وليس أدل على أهتمام النظام البعثي بهذه الظاهرة وجزعه منها، من إعلان الأنداز العام الحزبي والأمني والعسكري، لمواجهة مسيرة موكب تشيع الإمام محسن الحكيم «قدس»،

(1) لم يكن تخطيط مسيرة التشيع قد حسب حسابه بعد، فقد فوجئ الجميع بموت الإمام محسن الحكيم «قدس» بعد ان بانث بوادر تحسن طفيف على صحته اثناء رقاذه في مستشفى بن سينا في بغداد / الكرخ / كراة مريم، فحار الجميع في إتخاذ القرار المناسب، لكن إلهاما إلهيا لرجل من رجالات الطائفة وهو المرحوم الشيخ محمد صالح بن المرحوم الوجيه الحاج عبد الباقي عليان (عميد أسرة آل عليان) البغدادية/ الكرخية، قد حسم الأمر بحضور جمهرة من العلماء والوجهاء، فقال: «إني أعجب من حيرتكم هذه، في حين ان الله سبحانه وتعالى قد حسم هذا الأمر، ولا راد لأمر الله» فإلتفت الجميع لهذا الصوت النابع من أعماق القلب، ينتظر ما سيفصح به اللسان، فعرض طريق المسيرة، وقال: «إنها على نهج مسيرة تشيع الإمام السيد أبو الحسن الأصفهاني «قدس». فحسم الأمر. وكانت مسيرة التحدي المليونية».

وما يمكن ان يترتب جرائها من مخاطر. ولا أغالي إذا قلت أن تلك المسيرة المليونية، تعد أكبر حدث سياسي سلمي متحرك، يعقد لأول مرة ليمثل أكبر تحدي جماهيري إستنكاري لنظام دكتاتوري جائر. ولأن مخططي سياسة النظام البعثي القابعين في القيادتين القومية والقطرية، أدركوا خطورة هذه الظواهر، وما يمكن أن يترتب عليها من أمور ستعجزهم عن المواجهة إن هم لم يبادروا لأحتواءها والقضاء عليها نهائيا، وهو ما إستدعى التحرك السريع على سنة المحتلين البريطانيين، عن طريق الأعتقال والسجن والأرهاب والأبعاد القسري، ومن ثم التصفيات الجسدية.

الأمر الذي دفع بقيادات حزب الدعوة أن تغير من نهجها السلمي الهادف، لتتحول إلى المواجهة الصدامية المسلحة. وكان لهذا التحول الخطير من السلطة وما يقابله من الحزب كل إتجاه الآخر، عواقبه الوخيمة على الحزب ولكل أنشطته، فمن منطلق الواقع وعبر الأحداث المتراكمة، أنه لا يمكن لأي قوة شعبية لم تستطع تهيئة الأمة يكاملها للثورة بإيجاد مستلزمات نجاحها، التمهيدية والتعبوية والمادية، أن تواجه قوى عسكرية وأمنية منظمة لدولة تمتلك مختلف القدرات العسكرية والمادية.

وهكذا دفع هذا الحزب بكواكب من أعضائه، ليستشهدوا امام تلك القوة الضاربة، ولم يقتصر الأمر على المستشهدين فحسب، بل إضطرت الآلاف منهم على مغادرة وطنهم، تخلصا من جور النظام وظلمه، الذي لم يستهدف المتحركين منهم فحسب، بل إستهدف عوائلهم ومتعلقهم، ليس إلى الدرجة الرابعة فحسب، بل شمل الأصدقاء والمعارف، حتى وإن لم يكن لهم أي نشاط سياسي يذكر. وهكذا تم القضاء على جذوة نشاط هذا الحزب بنفس القوة والسرعة، الذي بدأت به تتصاعد جذوة نشاطه بادئ ذي بدء. والمؤلم اليوم أنه بدل ان يعيش حالة المبادرة والفعل والحركة، تحول إلى حالة المراقبة، وفي أحسن الأحوال حالة ردود الأفعال، شأنه في ذلك شأن باقي فصائل الحركة السياسية الوطنية. وحتى تكتمل الصورة التي عليها نخب الشيعة من الادوار السياسية، نعود للحديث عن توزيعها على الأحزاب السياسية، فلم يقتصر الأمر على أدوارهم في الأحزاب السياسية الوطنية العلنية منها أو السرية، الأصلية منها أو الفرعية كما تقدم، بل توزعت حتى على أحزاب سلطوية متأثرة بالمدرسة الغربية. ومن تلك الأحزاب: الحزب الدستوي، الذي قام عام 1949م⁽¹⁾، وترأسه نوري السعيد، وهو من رموز السنة المعروفين، وكان من نخبة الحكم والسلطة المزمنين، وكون أن نوري سعيد كان له الكأس المعلى، لذا تقاطر عليه وعلى حزبه من يبغى صيدا من

(1) بصري، م . س، ص 211.

النخبين السنة والشيعة، سواء كان ذلك الصيد مصلحة في حكم وسلطة، او مصلحة ذاتية في أمور دنيوية.

وهناك حزب ثاني قام عام 1951م، أطلق عليه: حزب الأمة الاشتراكي، ترأسه صالح جبر⁽¹⁾. وهو من نخبة الشيعة المعروفين، ويكاد هذا الحزب أن يكون محصورا في الشيعة بالدرجة الأولى، رغم ان رئيسه لم يكن معروفا بالطائفية. وهكذا يرسم لنا واقع التجربة أن رموز نخب الشيعة قد إعتنقوا كل التيارات السياسية، التي سادت العمل السياسي، سواء التيار القومي العربي، او التيار الإسلامي الوطني، أو التيار الشيوعي، أو التيار الديمقراطي، أو التيار اللبرالي، وهم بنفس الوقت قد توزعوا على كل الأحزاب والجمعيات والمنتديات السياسية، ذات التوجهات الفكرية المختلفة، السرية منها والعلنية، الوطنية منها أو السلطوية.

ومن هذا يتضح أن للشيعة العراقيين من رموز المؤسسة الدينية والعشائرية والمدنية، مشاركات وأدوار سياسية غير عادية، في صميم المعترك السياسي العراقي، وقد اصبح للكثير منهم مواقع متقدمة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى سعة الوعي عندهم، ولكل الأطياف الفكرية، وبالخصوص التي تعنى بالشأن القومي العربي، والإسلامي الوطني. وقد خلفت لنا مسيرتهم السياسية رصيذا ضخما من العطاءات على طريق العمل السياسي المنظم، منذ اول وقفة مشرفة عام 1914م، ضد المحتلين البريطانيين، وحتى إنتفاضة شعبان المجيدة عام 1991م، التي قدمت فيها نخب الشيعة أكبر تضحية إستشهادية، ليس في تاريخ العراق السياسي فحسب، بل في تاريخ الإنتفاضات والثورات السياسية العالمية، خلال هذا القرن.

المبحث الثاني: الشيعة والموقف العربي والأقليمي والدولي:

من حيث أن عنوان هذا المبحث له أهميته الأستراتيجية، في صميم تكوين الخطاب السياسي المطلوب لشيعة العراق، وبالنظر لأهميته وخطورته هذه، آثرنا أن نحاول التعمق في أبعاد ومضامين مفرداته، مستنبطين عبر المسيرة الشيعة السياسية والجهادية الرؤية المستقبلية، من خلال خطاب سياسي جديد، يجسد مستقبل الشيعة السياسي في العراق، بما يؤدي إلى نقلة نوعية متقدمة، في عملية البناء المطلوبة، وبأساليب حديثة ومرتكزات حضارية، ضمن النسيج العراقي الواحد الموحد. وإن مثل هذا الأمر منوط بمدى تشخيص

(1) الحسيني، الوزارات، ج، ص .

أهم ما يمكن أن يشكل خطورة، على حقوق الشعب العراقي وسيادته، وصون إستقلاله، والمحافظة على وحدة أراضيه، وتعزيز كيانه. ويخطئ من يظن أن حالة الوثام أو الصراع، بين مكونات الشعب العراقي، المذهبية والأثنية، هي شأن عراقي محض، وإن هذين الأمرين قد تشابكت عليهما مواقف عربية وإقليمية ودولية، لا بد من التعامل معها بحذر وروية شديدين. ويمكن حصر الحديث عن تلك المواقف بإختصار بما يلي:

أ - الشيعة والموقف العربي والغياب الموجه

على مستوى مواقف الشعوب العربية، كان شعب العراق العظيم وبخاصة الشيعة العرب، عوناً ونصيراً للعرب في محنتهم، لكن الشعوب العربية لم تكن عوناً لشعب العراق في محنته المركبة الحالية، وإن وجد العون فهو عون مضلل، لصالح النظام الحاكم، وليس لصالح الشعب، وحتى إن وجد ذلك فهو النزر غير الفاعل بالمرة. أما على مستوى الأنظمة العربية، فما زال موقفها مغيب، وغيابه غياب موجه، وإن وجد حقيقة فهو الآخر موجه لصالح النظام، يقابله تقاطع حاد من قبل بعض الأنظمة ممن تعامل مع القضية العراقية وكأنها ورقة تستعمل عند الحاجة والضرورة؛ وليس بفعل التقييم والدعم الحقيقي المسؤول، نحو شعب العراق. ورغم المرارة من الموقف العربي لكننا نرنوا لموقف عربي متقارب من زاويتين:

- 1 - أنه في الوقت الذي ينظر فيه العراقيون إلى إخوانهم العرب، بعين الرجاء والأفئطاع، نرى العرب ينظرون للعراقيين، إما بعين الشماتة، أو بعدم الإكتراث، وكلاهما يولد في نفوس العراقيين الشرفاء، المرارة والحزن العميقين. إلا أن قيام موقف عربي متقارب على أقل تقدير، بفهم قضية الشعب العراقي وما يعاينه من تمييز طائفي وإضطهاد إثني، ودعم قضيته المشروعة في العيش الحر الكريم، عن طريق إنهاء الدكتاتورية لا زال مطمحا لكل العراقيين، ممن يمتلكون ضمائر يأبون الزنا عليها.
- 2 - إن مثل هذا الموقف العربي المتقارب في فهم قضيتهم، سيكون له شأن وتأثير كبيرين على الكثير من المعادلات الإقليمية والدولية، التي باتت تتجاذب الوضع العراقي، الذي أمسى بفعل هذا التجاذب، بين المطرقة والسندان، بين نظام دكتاتوري جائر وبين مواقف إقليمية ودولية متقاطعة، كل يرنو إلى مبتغاه، ويبقى الشعب العراقي الخاسر الأول في حلبة الصراع، أما الخاسر للعمق الاستراتيجي فهم العرب أنفسهم، لا سيما بعد أن أقلمت ودولت قضيته، ولا نريد أن نقول عربت، فلا زال في الأفق أمل بموقف عربي

جامع ومتقارب لنصرة قضية الشعب العراقي، من منظور واقعي، من أجل العراقيين والعرب أجمعين.

ب - الشيعة والموقف الأقليمي والأطماع المبيتة

لسنا ببعيدين عن الأطماع الأقليمية، سواء التركية او الإيرانية، فالتاريخ القريب يحدثنا عن، لواء الأسكندرونة العربي بأرضه وشعبه، والمقتطع من الجسم العربي السوري، والمضموم لتركيا. وعربستان العربية بأرضها وشعبها، وشط العرب المقتطعان من الجسد العراقي العربي والمضمومان لإيران. تلك هي حقائق وشواهد شاخصة على تلك الأطماع. إلا أننا ونحن نعيش محنة العراق، لا يسعنا إلا أن نشير بكل صراحة إلى إهتمامات الدولتان بالشأن العراقي، كما هو مشاهد الآن، ومع إهتمامات الدولتين تجاه العراق من الزاوية الروحية المشروعة. إلا أننا نتمنى أن لا يكون هذا الإهتمام مدعاة لعودة الصراع فيما بينها، بخصوص الشأن العراقي، وعلى حساب مصالح الشعب، كما حصل في حقب تاريخية سابقة. وفي ضوء ذلك نحن نتمنى على الجارتين المسلمتين أن تحظى لديهما أولويات، دعم قضية العراق المشروعة، بتجرد، وحسن نوايا، وصدق أفعال، وتنسيق هادف. بما يؤدي إلى خلق فهم حقيقي مشترك في الحاضر، من أجل علاقات متميزة ومتوازنة في المستقبل، تخدم كل الأطراف وحتى نتجاوز أية هواجس تتعرض لوحدة العراق وسيادته، وبدون أي تحفظ من أية حساسيات نقول على بعض الشيعة العراقيين أن يفهموا أنفسهم أولاً، والإيرانيين ثانياً، أن لا مصلحة حقيقية ترجى من إقامة دولة شيعية في العراق، لا في كله ولا في جزئه. وعلى بعض السنة العراقيين أن يفهموا أنفسهم أولاً، والأترك ومن هم على نهجهم من الخليجيين ثانياً، أن لا جدوى حقيقية من إستمرار الأستحواذ الطائفي الأستفرادي على السلطة في العراق. وأن يؤكد العراقيون بكل مكوناتهم المذهبية والأثنية، أن العراق لكل العراقيين، وأن حالة الصراع القديم بين الدولتين الجارتين، لا يمكن أن يكون له مكان في عراق المستقبل، مثلما كان في ماضي العراق البعيد والقريب. كما ويؤكد العراقيون كافة أنهم مع بناء عراق جديد موحد، يكفل للجميع كافة الحقوق السياسية والثقافية والإجتماعية والدينية.

ت - الشيعة والموقف الدولي والمخططات الصهيونية لتفتيت العراق

للموقف الدولي مصالح في المنطقة، والعراق، واحداً من أهم دولها، والمصالح المتبادلة والمتكافئة حق مشروع في العلاقات الدولية، بل يجب التأكيد عليها بكل قوة وإصرار، فالعراق بلد حضاري لا يمكن له أن يعيش بمعزل عن المجتمع الدولي، والمجتمع الدولي يرمته تحكمه المصالح والمنافع المشتركة والمتبادلة. إلا أن الحذر كل الحذر من

دعم الموقف الدولي، وبالخصوص الأمريكي، للمخططات الصهيونية. فالمخططات الصهيونية لا تقف عند مصالح محددة ومشروعة، إنما المخططات الصهيونية، لها أغراض سياسية بعيدة وغير مشروعة، لأن كيانها قام على أساس غير مشروع. ونحن من منطلق الحرص المطلق على المصلحة العليا للأمة نحذر من ذلك أشد التحذير، ونؤكد على أن الخطر لم يأت من قيام دولة صهيونية في فلسطين فحسب، إنما الخطر كل الخطر يكمن في تحول هذه الدولة الصهيونية، إلى قوة سياسية وإقتصادية مؤثرة في المنطقة، تؤدي إلى تفتيت المصالح القومية، وبما يحقق لها السيطرة على مقدرات الأمة السياسية والإقتصادية. أن الخطر لم يأت من قيام دولة صهيونية في فلسطين فحسب، إنما الخطر كل الخطر يكمن في تحول هذه الدولة الصهيونية، إلى قوة سياسية وإقتصادية مؤثرة في المنطقة، تؤدي إلى تفتيت المصالح القومية، وبما يحقق لها السيطرة على مقدرات الأمة السياسية والإقتصادية. ونحن اليوم وبعد نصف قرن من الزمن على قيام الدولة الصهيونية في فلسطين، نرى أن هذه المقولة أخذت تتجسد يوما بعد يوم وبأيادي عربية. لقد أصبح ما كان مرفوضا بكل إصرار بالأمس القريب، أصبح مقبولا ومبررا على إمتداد الوطن العربي، من خلال إتفاقيات، كامب ديفيد، وأوسلو، ووادي عربة، وغدا أو بعد غد من يدري من ينضم لهذه التسويات، حينما تحتم الظروف وتصبح مواتية لذلك. إضف إلى ذلك تسارع المغرب وموريتانيا وعمان وقطر وتونس، دون أن تكون هذه الدول معنية بالتسوية، في هذه المرحلة على أقل تقدير. وإن غدا ليس ببعيد حين تأتي البقية الباقية من الدول العربية، راحة طوعا أو كرها، بواسطة ضغوط القطب الآحادي الولايات المتحدة الأمريكية، ليسدل الستار نهائيا على قضية العروبة والإسلام، أرض المقدسات، فلسطين العربية. عندها تنتهي مرحلة وتأتي مرحلة جديدة من السيطرة الصهيونية الأخطبوطية، على مقدرات الأمة العربية سياسيا وإقتصاديا. وكما هو مشاهد فعلا قيام بعض الأنظمة العربية المتهاففة، بعقد المؤتمرات والندوات، هنا وهناك، وبحضور الدولة الصهيونية، إسرائيل، حتى تنال تلك الأنظمة القبول والرضا من الصهيونية العالمية، لتعزيز كراسي حكمها المهزوز. وبعد أن كان الحديث يدور في أروقة الجامعة العربية، وبعض المباحثات الثنائية بين الدول العربية، عن السوق العربية المشتركة، والدفاع العربي المشترك، والنظام العربي الموحد، والتكامل الإقتصادي العربي، تحول الحديث وبالسخریات الأقدار، منطلقا من راعي الصهيونية العالمية، واشنطن وتل أبيب، عن سوق شرق أوسطية، ونظام شرق أوسطي، ونظام أممي شرق أوسطي.

وهكذا نسى وتناسى أبناء وأحفاد المشروعين العثماني والأنكليزي من الحكام العرب، إن للزمن دورة، فمثلما ملك العرب في عز إزدهارهم الأمم والبلدان، حين كانت نخبة الأمة

قائمة على التضحية والفداء، و متمسكة بقيمها ومبادئها، وملتصقة بحقيقة بعروبيتها وإسلامها. مثلما تفتت الأمة حين تداعت النخبة، وتنازلت عن قيمها، وأسلخت عن عطاءاتها، وتجردت من عروبيتها، وتخلت عن إسلامها، لا بل وصيرت أنظمتها تبعاً لمصالح الأجنبي ولكن! ولكن يبقى في كل الأحوال للزمن دورة والمستقبل لا بد أن يكون للأمة العربية بأجيالها القادمة. وحين تكون نخبة شعب العراق أكثر يقظة وإلتفاتاً لحقيقة ما يخطط للعراقيين وللأمة، فيجب أن يكون ذلك مدعاة فخر وإعتزاز، ونحن هنا لا نذيع سرا، إنما نحاول أن نكون أكثر إلتصاقاً بقضيتنا المشروعة، التي تتجاذبها اليوم المخططات الصهيونية، وإن إي حالة إغفال لأي ظاهرة تحيطنا، فإننا سنرتكب نفس الأخطاء التي إرتكبها الماضون والقائمون، الذين أوصلونا لما هو مشاهد حتى الآن.

ونحن بموقفنا هذا لا ندعي أن بإمكاننا لوحدنا على المواجهة، فالمواجهة أكبر منا بكثير، لكننا على أقل التقادير نستطيع أن نحافظ على الحد الأدنى، من حقوق شعب ووحدة وطن، اللذان يتعرضان اليوم لمؤامرة التقسيم والتفتيت. لذا فنحن حين نعري المخططات الصهيونية المتربصة بنا الدوائر كعراقيين، إنما نحاول أن نعيد إلى الأذهان، ما يمكن أن تحققه تلك المخططات اليوم عبر فرسانها من عرب الجنسية، الذين أخذوا يبادرون إكمال أدوار آبائهم وأجدادهم، ضمن المخططات القديمة الجديدة. ولنا في تاريخ المخططات الصهيونية مسيرة تمتد لمائة عام خلت فتوافقا وتناغما مع ما جاء في مقررات برتوكولات حكماء صهيون، الأربع والعشرين، هذه المقررات التي أبرمت في المؤتمر الصهيوني العالمي، الذي إنعقد في مدينة بازل السويسرية عام 1897م، وحضره رؤوس الماسونية العالمية والأخبار اليهود، ممن يتمتعون بالدرجة الثالثة والثلاثين، وهي أعلى درجة في السلم الماسوني العالمي⁽¹⁾.

فهؤلاء الماسونيون إستطاعوا بعد عقدين من الزمن على مؤتمرهم هذا، إستطاعوا أن ينتزعوا من البريطانيين وعد بلفور المشؤوم عام 1917م، بإقامة وطن للصهيونية العالمية في فلسطين، على حساب الحق العربي، كما ساهموا بكل إمكانياتهم لتكريس تجزئة الوطن العربي، بالوقوف ضد توحيد في دولة عربية واحدة بعد الحرب العالمية الأولى، ليسهل عليهم بالتالي تهيئة الفرصة المناسبة لأقامة وطنهم الصهيوني في فلسطين، وكان لهم ما أرادوا عام 1948م، بعد نصف قرن على إبرام مقررات حكماء صهيون، وبعد ثلاثين عاما

(1) دينون، أودي، الخطة الصهيونية للشرق الأوسط / المقدمة، (أبو ظبي، لا، ت)، ترجمها للإنكليزية: إسرائيل شاهاك. وترجمها للعربية: د. أحمد سلامة، ص .

على إطلاق وعد بلفور، المبينة تواريخهما أعلاه. وإضافة لذلك تم إستكمال السيطرة على كل التراب الفلسطيني، عام 1967م، أي بعد عشرين عاما على قيام الكيان الصهيوني.

إن الصهيونية العالمية وضعت لها أهدافا محددة في صراعها مع العرب، وراحت تنفذ مآربها كما جاءت في مقررات حكماء صهيون، وعلى ضوء هذه القاعدة يخططون وينفذون بكل دقة وإخلاص.

أما العرب فظلوا في طغيانهم يعمهون وبنشوة الحكم يمرحون؛ ولم تتوقف المخططات الدولية والصهيونية بقيام الكيان الصهيوني على الأرض العربية الفلسطينية المغتصبة، وعلى حساب حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة فحسب، بل تمادت تلك المخططات مستهدفة إشغال الأمة العربية، وإنهاكها، وتفويت أية فرصة تقدم حضاري ملموس لها، سواء في المجال الإقتصادي أو الإجتماعي أو العلمي أو العسكري، وإن مسلسل المخططات لم يتوقف لحظة واحدة، ولنا في الأحداث الخطيرة التالية خير شاخص ودليل على ما تقدم:

- 1 - إستهداف مصر عبد الناصر عن طريق العدوان الثلاثي عام 1956م.
- 2 - العدوان الغادر على مصر عبد الناصر عام 1967م.
- 3 - إقتال الأهل في لبنان عام 1974م.
- 4 - تركيب السادات عام 1978م والحسين عام 1982م وعرفات عام 1991م. بإتفاقيات التسوية المذلة.
- 5 - الحرب العراقية الإيرانية عام 1980م.
- 6 - الأجتياح العراقي للكويت عام 1990م.
- 7 - العدوان العالمي على شعب العراق وتدمير بناء التحتية، عام 1991م.
- 8 - الحصار الإقتصادي الأممي على شعب العراق، عام 1990م.
- 9 - إستباحة أرض العراق وسيادته، بالتناوب، من قبل دول الجوار والدول الأجنبية، وبحجج شتى. بعد العدوان العالمي.
- 10 - الحصار الذي فرض على الشعب الليبي عام 1992م.
- 11 - العقوبات التي فرضت على الشعب السوداني عام 1994م.
- 12 - التحالف السياسي والإقتصادي بين (الكيان الصهيوني - تركيا العسكرية) ضد الأمة العربية، وبخاصة سوريا والعراق. بتقنين المياه الدولية عنهما، بالصورة التي تؤدي إلى خنقهما تدريجيا.

والشوط ما زال في منتصف الطريق، فالمخططات الصهيونية ما زالت تتوالى، ولعل من أبرزها اليوم، هو ما يستهدف تفتيت وحدة العراق. وإليك بعض ما حصلنا عليه بما يتوافق مع الأهداف الاستراتيجية للصهيونية العالمية وريبتها الكيان الإسرائيلي. فقد تبنى المؤتمر الصهيوني الذي إنعقد في تل أبيب بداية الثمانينات، هدف تقسيم العراق إلى ثلاث فدراليات، طائفية وإثنية، وهو ما أكده لاحقاً وعلى رؤوس الأشهاد في عام 1982م، أدي دينون، أحد دبلوماسيي خارجية الكيان الصهيوني، والذي تحول بعدها العمل في الصحافة، هذا الدينون أصدر كراساً باللغة العبرية. وإليك مقتبس من فيما يخص العراق، ففي المقتبس الأول يؤكد الخوف من قوة العراق فيقول:

«أما العراق الغني بالنفط فهو مرشح لأن يكون أحد أهداف إسرائيل. فإن تقسيمه يعتبر أكثر أهمية لنا»⁽¹⁾.

وفي المقتبس الثاني يشير المخطط إلى ضرورة قيام مواجهة عربية عربية، حتى يسهل تقسيم العراق، حيث يقول:

«من ناحية ثانية فإن مواجهة بين الدول العربية بعضها ببعض، سوف يساعدنا في المدى القصير على تحقيق هدف مهم، ويختصر لنا الطريق من أجل تقسيم العراق، إلى طوائف. إن تقسيم العراق على أسس عرقية هو أمر ممكن، وهكذا تقوم ثلاث دول أو أكثر حول المدن المهمة، كالبصرة، وبغداد، والموصل»⁽²⁾.

وعدا ذلك لم يخف الصهاينة هذه الأهداف، فقد كتبت صحيفة هاآرتس الصهيونية، وترجم لنا ذلك فتقول:

«تفتيت العراق وتقسيمه، إلى دويلات صغيرة كدولة شيعية ودولة سنية، إضافة إلى انفصال الأكراد»⁽³⁾.

لذا يجب على العراقيين في ضوء ما جاء في هذه المخططات، من إستهدافات تقسيمية مذهبية وإثنية، أن يكونوا أكثر حذراً وأعمق تفهماً، وأن ينظروا لهذا الموضوع الخطير نظرة شمولية في التحليل والتشخيص.

(1) دينون، م. س. ص 21.

(2) أيضاً، ص 21.

(3) صحيفة هاآرتس الصهيونية، في عددها الصادر في الثاني من حزيران عام 1982.

الفصل الثاني

الشيعة وسلطة الحكم، والخطاب السياسي

المبحث الأول: مواقف الشيعة من الحكم والسلطة:

كنا قد تحدثنا عن الفهم الذي أنشأت عليه الدولة العراقية الحديثة، وقلنا انه أنشئ على أساس الفهم الطائفي، الولائي للإنكليز، وقد إستعرضنا أسباب ومسببات ذلك، بفعل السيطرة البريطانية، كنتيجة حتمية للمواجهة الشيعية للمحتلين البريطانيين، التي توجت بثورة العشرين المجيدة، وبفعل الطرف العراقي المتعاون مع المحتلين البريطانيين، والذي تبوأ السلطة والحكم. لذا وجدت السلطات البريطانية، التي تمكنت من القضاء على ثورة العشرين، بفعل الفارق الكبير بين قوة الطرفين. وجدت في نخبة الأقلية السنية ما تبغي وتريد، فوضعتها على دست الحكم، فأمعنت تلك الأقلية، ومن ورائهم، في عزل الشيعة عن الحكم، ما أستطاعوا إلى ذلك سبيلا.

إلا أن نخبة الحكم ومن ورائها السلطات البريطانية، كانت في خضم أوضاع غير عادية، لا تستطيعان الأعراض والتجاهل الكاملين، لأكثر من نصف الشعب العراقي، فراحا يطعمان بالنزر القليل، وفي أوقات متباعدة، بعض مرافق الدولة وهيكلتها، بعناصر من نخبة الشيعة، وغالبا تختارهما من الموالين لهم، وتضعهم في مراكز غير حساسة، وليست مؤثرة. وحتى نستطيع الوقوف على مواقف الشيعة من الحكم والسلطة، لا بد أن نخرج على حقيقة إستعداد نخب الشيعة من تقلد المناصب المختلفة في الدولة، هناك مقولتان حاول من حاول ترويجها، وهما:

المقولة الأولى:

إن الشيعة كانوا عازفين عن تقلد مختلف المناصب في هيكلية الدولة العراقية الحديثة، وهذه المقولة ترفض نفسها بنفسها، حيث هناك من تقلد من نخب الشيعة، مختلف المناصب سواء الرفيعة منها أو دون ذلك، ومن تلك النخب، الموالين لنخبة الحكم والسلطة ومن ورائهم، أو من نخب المعارضة الشيعية، في ظروف التآزمات السياسية، وفي نطاق ضيق للغاية، كما تقدم الحديث فيه.

المقولة الثاني :

وكما رددت مدرسة الحكم والسلطة، والموالين لهم، في المقولة الأولى، راحوا انفسهم يبررون مقولتهم هذه، من أن عزوف الشيعة عن تقلد المناصب الحكومية، إنما مرده أن الشيعة فضّلوا الأعمال الحرة والتجارة، على الوظائف الحكومية. والحقيقة أن هذه المقولة مردود عليها هي الأخرى، لأنها لا تستند على أي مسوغ واقعي وموضوعي، بل تستند على حقيقة أن موقف سلطة الحكم، ومن ورائها، كانوا في صميم عزل نخب الشيعة، حين منوهم في الغالب الأعم من الأضطلاع بأية مناصب حكومية في هيكلية الدولة، إلا في نواذر الدهر وبالخصوص خلال الربع قرن الأول من عمر الدولة العراقية الحديثة، وهو الأمر الذي دفع بالشيعة إلى التفتيش عن مصادر الرزق الأخرى، التي تسد تكاليف الحياة، فعملوا في شتى الأعمال والنشاطات الحرة من: عقار وزراعة وتجارة وصناعة، وهم بذلك ساهموا في إقامة البنى التحتية، في تلك المرافق الحيوية، التي تهتم الشعب. وإليهم يعزى الفضل الأول في تطور البلد، في شتى المرافق.

وحتى تكون الصورة معززة بالشواهد، نشير هنا إلى أرقام وأسماء، لرجال من نخب الشيعة، حين سنحت لهم الفرصة لم يترددوا من قبول المناصب المختلفة، والأضطلاع بها. ولعل من أبرز تلك المناصب تقلد رئاسة الوزارات والحقب الوزارية المختلفة، والتي سنشير إليها بالتفصيل، من باب الوقوف على حقيقة موقف الشيعة من السلطة والحكم. وحتى نستدل على مشاركات رموز الشيعة في السلطة والحكم، منذ الوزارة الأولى عام 1920م، وحتى آخر وزارة، وهي الوزارة التاسعة والخمسين عام 1958م، نشيركم إلى تلك المشاركات التي إعتدناها من كتاب: تاريخ الوزارات العراقية، للمؤرخ الشيعي المعروف: عبد الرزاق الحسيني، بأجزائه العشرة، الذي يعتبر واحدا من المؤرخين العراقيين المرموقين، والوثائقيين المعدودين، المعروفين عراقيا وعربيا ودوليا. وله عشرات المؤلفات، ولمختلف المواضيع الاجتماعية والسياسية والصحفية. أما المشاركين الشيعة وحسب الوزارات التي تبوأ حقايبها أصالة ووكالة، فهم:

1 - وزارة المعارف: تقلدها بفترات مختلفة كل من: محمد مهدي بحر العلوم، محمد علي هبة الدين الشهرستاني، عبد الحسين الجلبي، ومحمد رضا الشبيبي، وعبد المهدي المنتفجي، عباس مهدي، صالح جبر، صادق البصام، محمد حسن سلمان، محمد حسن أبو المحاسن.

2 - وزارة المالية: تقلدها بفترات مختلفة كل من: عبد المحسن شلاش، رستم حيدر، عبد

- الكريم الأزري، ضياء جعفر، محمد رؤوف البحراني، جعفر أبو التمن، صالح جبر، صادق البصام، عبد المجيد محمود.
- 3 - وزارة الأشغال والمواصلات: تقلدها بفترات مختلفة كل من: عبد الحسين الجلي، وعبد المحسن شلاش، عبد المهدي المنتفجي، صادق البصام، عبد الأمير الأزري، عبد الهادي الجلي، ضياء جعفر، عبد الوهاب مرجان، عبد المجيد محمود، عبد المجيد عباس، عبد الأمير علاوي.
- 4 - وزارة الصحة: تقلدها بفترات مختلفة كل من: محمد حسن سلمان، عبد الأمير علاوي.
- 5 - وزارة الخارجية: تقلدها بفترات مختلفة كل من: محمد فاضل الجمالي.
- 6 - وزارة التموين: تقلدها بفترات مختلفة كل من: عبد الجبار الجلي، محمد مهدي كبة.
- 7 - وزارة الدفاع: تقلدها صادق البصام.
- 8 - وزارة الأعمار: تقلدها بفترات مختلفة كل من: عبد الكريم الأزري، وضياء جعفر، عبد المجيد محمود، رشدي الجلي.
- 9 - وزارة الداخلية: تقلدها بفترات مختلفة كل من: سعد صالح، صالح جبر.
- 10 - وزارة العدلية: صالح جبر، عباس مهدي، صادق البصام، محمد حسن كبة، عبد الرسول الخالصي.
- 11 - وزارة الزراعة: تقلدها بفترات مختلفة كل من: عبد الجبار الجلي، رايح العطية، عبد الغني الدلي، عبد الوهاب مرجان، رشدي الجلي.
- 12 - وزارة الشؤون الاجتماعية: تقلدها بفترات مختلفة كل من: محمد رؤوف البحراني، عبد الرزاق الأزري، محمد حسن كبة، أركان العبادي، عبد الرسول الخالصي، صادق كمونة.
- 13 - وزارة الاقتصاد: تقلدها بفترات مختلفة كل من: رستم حيدر، صادق البصام، عبد المهدي المنتفجي، عبد المحسن شلاش، عباس مهدي، عبد الهادي الظاهر، عبد الوهاب مرجان، ضياء جعفر، عبد الرزاق الظاهر، علي الصافي، رشدي الجلي، سلمان البراك.
- 14 - وزير بلا وزارة: تقلدها بفترات مختلفة كل من: علي الشرقي، نجم البدرابي، محمد الحبيب، رشدي الجلي، عجيل السمرمد، سالم الخيون، رايح العطية، جواد الخطيب، صادق كمونة، محمد الصيهود، عبد الجبار الخياط.

علما بأن بعض المشاركين الشيعة في هذه الوزارات قد تكررُوا، أكثر من مرة في بعض الوزارات، فمثلاً تقلد محمد فاضل الجمالي وزارة الخارجية، ثمان مرات، وهكذا بالنسبة للبقية، ولكن بنسب مختلفة. وبما يغطي مجموع المشاركات البالغة بحدود 136 مشاركة للشيعة من مجموع مقداره بحدود 364 مشاركة، كما تقدم ذكرها. أما على مستوى رئاسة الوزارات فإن الأكثرية الشيعية لم يسمح لبعض رموزها، حتى من الموالين للبلاد، أو لتكتل نوري السعيد، ومن هم ورائهم، من تبوأ رئاسة الوزارات العراقية سوى خمسة مرات فقط، ترأسها أربعة منهم، هم كل من؛ صالح جبر (مرة واحدة) ومحمد الصدر (مرة واحدة) ومحمد فاضل الجمالي (مرتان) وعبد الوهاب مرجان (مرة واحدة)؛ في حين تبوأ من رموز الأقلية السنية أربعة وخمسون وزارة.

وسنحاول هنا إعطاء صورة مختصرة عن مسيرة حياة، رؤساء الوزارات الأربعة، وترجمة حياة أربعة وزراء من نخبة الشيعة، موضحين فيها إنتساباتهم، ومسيرة حياتهم المهنية، والإدارية، والمهام الجهادية والسياسية، بما يعطي فكرة عن نصيب إسهاماتهم في الحكم والسلطة.

1 - محمد صالح جبر 1895-1957م⁽¹⁾ :

أ - الأنتساب: عربي من بني زيد من عشائر الشطرة في المنتفق.

ب - الدراسة: تخرج من كلية الحقوق العراقية عام 1926م.

ت - الوظائف المهنية: عين حاكماً للصلح في قضاء الهندية في شباط عام 1926م؛ ثم عين حاكماً للصلح في السماوة في تشرين الثاني عام 1927م.

ث - الوظائف السياسية: ويمكن اجمال عضويته في مجلس النواب بما يلي:

1 - إنتخب نائباً عن لواء المنتفق في تشرين الثاني عام 1930م.

2 - جدد إنتخابه نائباً عن لواء المنتفق في آذار عام 1933م.

3 - جدد إنتخابه نائباً عن لواء المنتفق في شباط عام 1934م.

4 - جدد إنتخابه نائباً عن لواء المنتفق عام 1937م.

5 - إنتخب نائباً عن لواء الديوانية في حزيران عام 1939م.

اما عضويته في مجلس الاعيان وترأسه المجلس فيمكن ادرجها كما يلي:

(1) الحسني، الوزارات، ج 7، ص 160 - 280.

بصري، م . س، ص 209 - 214.

- 1 - عين عضوا في مجلس الأعيان في 25 تشرين الأول عام 1941م.
- 2 - إنتخب رئيسا لمجلس الأعيان في 17 آذار عام 1947م.
- 3 - جدد تعيينه عينا في مجلس الأعيان في 24 تشرين الثاني عام 1949م.

ج - الوظائف الإدارية: ويمكن اجمالها بما يلي:

- 1 - عين متصرفا للواء كربلاء في نيسان عام 1935م.
- 2 - عين متصرفا للواء العمارة في حزيران عام 1941م.
- 3 - عين مديرا عاما للكمارك والمكوس.

ح - أستوزر عدة مرات في وزارات مختلفة منها:

- 1 - وزارة المعارف ثلاث مرات. عام 1933، 1938، 1939م.
- 2 - وزارة العدلية مرة واحدة. عام 1936م.
- 3 - وزارة الشؤون الاجتماعية مرة واحدة 1940م.
- 4 - وزارة الداخلية مرة واحدة. عام 1941م.
- 5 - وزارة المالية مرة واحدة، عام 1942م.
- 6 - وزارة الدفاع وكالة، وزارة التموين وكالة، وزارة الخارجية وكالة.

خ - رئاسة الوزارة: كلف بتأليف الوزارة العراقية الوحيدة، في 29 آذار عام 1947م، وإستقال منها في 27 كانون الثاني عام 1948م. ولعل أهم ما جرى في فترة رئاسته لهذه الوزارة، هو توقيع المعاهدة المعروفة بمعاهدة بورتسموث، والتي سبق الإشارة إلى تفصيلاتها.

د - تأليف الأحزاب: ألف حزبا أطلق عليه حزب الأمة الأشتراكي عام 1951م، وتولى رئاسته إلى أن حلت الأحزاب عام 1954م. وحسب معلوماتي الخاصة كأستقلالي سابق فإن صالح جبر كان على وشك أن ينضم وحزبه إلى جبهة الأتحاد الوطني السرية التي قامت في عام 1957م، وكان صالح جبر على قناعة تامة بهذا التوجه، إلا أن بعضا من أعضاء حزبه، لم يرق لهم الأمر، فأعتذر صالح جبر عن الدخول في الجبهة. وإن صدق توجهه في الانضمام للجبهة، وقبول أطراف الجبهة بانضمامه، له دلالات يدركها أولي الألباب. فأطراف الجبهة وخاصة حزب الأستقلال، والحزب الوطني الديمقراطي، والحزب الشيوعي العراقي، والجماهير المؤيدة لهذه الأحزاب الوطنية والقومية المعارضة، كانوا في صميم التصدي والمواجهة لصالح جبر ووزارته أثناء عقدها لمعاهدة بورتسموث عام 1948م، المنوه عنها، والتي ادت وفتهم إلى إسقاط الوزارة،

ومن ثمة إلغاء المعاهدة المقصودة. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل إما على خطأ مواقفهم السابقة، ضد معاهدة بورتسموث، أو حصول تغير فكري وسياسي لدى صالح جبر، وكلا الأمران مقبولان في القاموس السياسي، لكنني لم أجد ما يسعفني من رأي ومعلومة، يشير لأحد الأمرين، مدعوما بما يقنع بهذا، أو بذلك. ولصالح جبر مواقف تحسب له، إذا ما علمنا عداء نوري السعيد للأحزاب المعارضة وبالخصوص حزب الاستقلال ورجالاته، والذي كان يتصف بالحق والكرهية، على عكس موقف صالح جبر الذي كان موقفه يتسم بالمرونة والشفافية، وبالتحديد بعد أحداث الوثبة. ويحدثنا الأزري عن محاوره حصلت بوجوده بين نوري وصالح، بهذا الخصوص، يقول الأزري:

«ومن الأمور التي أتذكرها أنني كنت يوماً - عام 1950 - في مكتب صالح جبر في وزارة الداخلية، فدخل نوري السعيد. فقال نوري السعيد مخاطباً صالح جبر: إنني أستغرب منك هذا الاهتمام الزائد بحزب الاستقلال وبفائق السامرائي وصدیق شنشل، إنك تهتم بهم أكثر من اللازم، فأجابه صالح جبر: يا باشا ألا ترى من الصلح أن لا نجعل هذه الأحزاب تكتل ضدنا؟، ألا ترى أن الحكمة تقتضي أن تستميل قسماً من هذه الأحزاب إلى جانبنا؟، ونحاول أن نتفاهم معها. إنني أعتقد أن في إجتماع الأحزاب وتكتلها ضد الحكم، خطر كبير يجب تلافيه على كل حال. وكان جواب نوري السعيد إنني ما دمت معتقداً بصواب العمل الذي أقوم به فلا يهمني تكتل الأحزاب، أو غير الأحزاب ضدي. وأتذكر جيداً الأخذ والرد الذي إستغرق قرابة نف ساعة، بين الرجلين، على هذا الموضوع، وإفترقا وهما مختلفان. وبقي نوري متمسكاً برأيه، وصالح يؤكد الخطر الجسيم الذي تتعرض له الدول من تكتل الأحزاب السياسية ضدها. وقد أثبتت الحوادث صواب رأي صالح جبر وخطأ رأي نوري السعيد»⁽¹⁾.

وللحقيقة والواقع فقد أصاب الأزري في ذكر تحليل صالح جبر هذا، فبعد بضع سنوات استطاعت الأحزاب الوطنية المعارضة أن تتكتل وتشكل جبهة الأتحاد الوطني عام 1957م، لتصدى للنظام وحكومته، حيث توج هذا التكتل بإنبثاق ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958 المجيدة، وهو ما أدى إلى إنهيار النظام الملكي بكامله، وأقيم بدله النظام الجمهوري. ورغم إختلافنا مع مدرسة صالح جبر في الفكر والأسلوب، إلا أننا حين نقف على تقييم هذا الرجل، فلا بد أن نعمد أن يكون التقييم من أناس محايدون، يختلفون معه بصورة وأخرى،

(1) الأزري، عبد الكريم، تاريخ في ذكريات العراق، ج 1، ص 276.

فكريا وسياسيا، أوحزيا وطائفيا، كي لا نظلم الرجل. فمثلا يقول الجادرجي، عن هذه الشخصية:

«إن من ابرز صفات صالح جبر ذكاؤه، وإعتداده بنفسه، وتحزبه القوي، ونزاهته، أثناء توليه المناصب القضائية الصغيرة، ثم عند توليه المناصب الإدارية الكبيرة وكان تحزبه القوي يستهدف طائفته وأصداؤه».

كامل الجادرجي / رئيس الحزب الوطني العراقي المعارض⁽¹⁾

وحين يتحدث الجمالي عن صالح جبر يقول:

«إنه آمن بوحدة عراقية صميمة لا تفرق بين العراقيين على أساس المذهب أو الدين أو العنر، كما آمن بالقومية العربية إيمانا صادقا، وكان مستعدا لبذل كل الجهود في سبيل إتحاد الأقطار العربية، وإنقاذ فلسطين من الأستعمار الصهيوني».

محمد فاضل الجمالي / رئيس وزراء أسبق⁽²⁾

أما الأزري فيقول عن صالح جبر

«إن صالح جبر كان يمتلك المؤهلات، وخاصة الذكاء الوقاد، والشجاعة النادرة، وقوة الأعصاب، والثقة في النفس، والخبرة، وفوق كل ذلك الشخصية القوية الفذة، التي تؤهله لأن يكون زعيما كبيرا في العراق».

عبد الكريم الأزري / وزير مالية وإعمار أسبق⁽³⁾

حتى كنة تحدث عن صالح جبر فقال:

«وصالح جبر عصامي شق طريقه بما عرف عنه من كفاءة، وصلابة وإعتداد بالنفس وهكذا إنتقل من الحاكمية، إلى النيابة، إلی الإدارة، فالوزارة، وعضوية الأعيان، ورتأستهم، ليصبح في نهاية المطاف رئيسا للوزراء».

خليل كنة / وزير معارف ومالية أسبق⁽⁴⁾

وهكذا أنصف أقران الراحل صالح جبر، صالح جبر، بصورة واخرى، بما قدمه في

(1) الجادرجي، م . س، ص 66.

(2) الجمالي، صفحة من تاريخ العراق المعاصر، ملزمة مطبوعة، ص 1.

(3) بصري، م . س، ص 213.

(4) كنة، العراق أمسه وغده، ص 81.

حياته المهنية والإدارية والسياسية التي إمتدت لنصف قرن، والتي بدأها وهو ابن ثلاثة عشر سنة⁽¹⁾، بالكفاح من أجل لقمة العيش، ليصل في محصلة الأمر لأرفع المناصب المهنية والإدارية والقضائية والسياسية.

2 - السيد محمد الصدر 1883-1956م⁽²⁾:

أ - الأنتساب: سيد من سادات العرب العلويين المرموقين، يتصل نسبه بالإمام موسى ابن جعفر عليه السلام.

ب - الدراسة: حيث أن محمد الصدر ينتمي إلى أسرة علمائية، توارثت الزعامة الدينية، كابرا عن كابر، لذا كانت دراسته في هذه الأجواء، فهو حين بلغ أشده، أرسله والده إلى مدينة علوم القرآن والسنة النبوية الشريفة، النجف الأشرف، وهو بن الخامسة عشر سنة، فدرس على علمائها: الفقه، والأصول، والحديث، والبيان، والمنطق، والبديع، والمعاني، والعروض، والهيئة، والرجال. لكنه عاد إلى الكاظمية بعد أن أمضى ثمانية أعوام، في مدينة النجف، ليعيش ثانية في كنف والده السيد حسن، ليلازم دروسه، فقد كان السيد حسن مرجعا من مراجع الدين، الذي يشار له. هكذا أتم السيد محمد الصدر، دراسته لعلوم القرآن والسنة النبوية الشريفة واللغة العربية، وهو أعظم زاد لرجل، تبوأ مكانة متميزة من الناحيتين الإجتماعية والسياسية، التي برع فيهما، وكان من المرموقين.

ت - المهمات الجهادية: لسنا بحاجة إلى إستعراض حياته الجهادية، فقد سبق التطرق إليها، قبل وبعد ثورة العشرين، إلا أن ما لم يطرق الحديث فيه، أن جهاده لم يتوقف عند المسألة القيادية للمسيرة، كما هو شأنه في قيادة حزب حرس الإستقلال، وقيادة الحركة السياسية الوطنية الأستقلالية، بل كان الصدر في صميم الألتحامات التي حصلت، في معارك ديلتاوة، وسامراء، والتي تعتبر شاهد ودليل. فقد جمع الصدر بين القيادة والأستبسال، في مواجهة المحتلين البريطانيين، لما عرف عنه من فروسية وإقدام. وحين نرصد هذه الحقيقة، تبرز أمامنا أهمية هذا الجمع بين القيادة والفروسية، وتأثيراتها المعنوية، في دفع فلول الثوار المجاهدين، نحو الإقدام على مواجهة المحتلين البريطانيين، طلبا لنيل الإستشهاد، لتحقيق النصر، حين يروا قادة أولي الأمر

(1) بصري، م . س، ص 209.

(2) الحسني، الوزارات، ج 7، ص 282 - 328.

بصري، م . س، ص 110 - 113.

في المقدمة . وكان مشوار مسيرته الجهادية طويلا ومحفوفًا بالمخاطر، فهو بعد معارك ديلتاوة وسامراء، إنتقل إلى الفرات الأوسط، ومنها رمت به مقادير الأمور إلى بلاد نجد في الجزيرة العربية، ومنها إلى سوريا، فالقاهرة، وبعدها إلى جدة، ومنها إلى بغداد عام 1921م، صحبة الملك فيصل الأول، الذي توج ملكا على العراق في نفس السنة . لكن رحلة جهاد السيد محمد الصدر لم تنته بعد، فقد تصدى لمعاهدة 1922م، وجاهد كثيرا في إفشال توقيعها، ولما لم يستطع، أجبر على مغادرة العراق مرة أخرى في ظل حكم، يقال له وطني، وكانت محطته هذه المرة إيران حسب أوامر المحتلين البريطانيين وهي آخر محطات جهاده المضني، في سبيل شعبه ووطنه، إلى أن عاد إلى بغداد بعد أن أمضى في إيران، ما يقارب الستين

ث - المهمات السياسية: ويمكن اجمالها بما يلي:

1 - عين عضوا في مجلس الأعيان منذ تأسيسه عام 1921م، حتى وفاته عام 1956م .

2 - أصبح رئيسا لمجلس الأعيان لأول مرة ولمدة ثمان سنوات تقريبا منذ عام 1929 - 1937م .

3 - جدد إنتخابه رئيسا لمجلس الأعيان مرة ثانية ولمدة تقارب الخمس سنوات منذ عام 1937 - 1943م .

4 - جدد إنتخابه رئيسا لمجلس الأعيان مرة ثالثة ولمدة تقارب الستين، منذ عام 1953 - 1955م .

وبالنظر لمكانته المتقدم ذكرها، فقد كان السيد محمد الصدر رجل المهمات الصعبة، فحين حصلت الظروف الاستثنائية عام 1948م، أبان وثية كانون، كلفه الوصي عبد الإله، بتشكيل الوزارة، لكنه إعتذر إعتذارا جميلا، إلا أن إصرار الحركة الوطنية العراقية المعارضة على ضرورة إعتلائه هذه المهمة، كان من أهم الدوافع التي جعلت الصدر يستجيب لرغبتهم في محصلة الأمر، إضافة لموافقة الوصي على شروط الصدر بهذا الخصوص، وألف الصدر وزارته الوحيدة 29 كانون الثاني عام 1948م - 26 حزيران عام 1948م⁽¹⁾ . ورغم تلك الظروف القاهرة، إستطاع أن يجتاز تلك المرحلة الدقيقة، فقد تم في عهده:

1 - فتح تحقيق عما جرى من حوادث إطلاق النار على المتظاهرين، ضد عقد معاهدة

(1) بصري، م . س، ص 111 .

بورتسموث، بتأليف لجنة لتقصي الحقائق، وتقديم توصياتها.

2 - إلغاء المعاهدة العراقية - البريطانية، أو ما كان يطلق عليها معاهدة (بورتسموث)، الموقعة من سلفه محمد صالح جبر، والتي رفضها الشعب عبر وثبته المعروفة. ولم يمر هذا الأمر مروراً عابراً، إنما جاء عن طريق إعادة دراسة المعاهدة بنداً بنداً، وأصدر مجلس الوزراء بياناً مختصراً لكنه مركزاً، حول الإستدعاءات التي أدت إلى إلغاء المعاهدة. ومما جاء في حيثيات القرار، موضوع البحث:

«تداول مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في 31/1/1948م، و 2/2/1948م، في موضوع معاهدة بورتسموث، وإطلع على نصوصها وملاحظتها والكتب المتبادلة بشأنها، بما فيها الكتب السرية المرفقة بكتاب وزارة الخارجية، المرقم غ 13-131-5 والمؤرخ في 1/2/1948م، وإستمع إلى بيانات وزير الخارجية، فرأى أن الغاية التي ينبغي توخيها من عقد معاهدة جديدة، هي إستبدال معاهدة التحالف بين العراق وبريطانية، الموقع في 30 حزيران 1930م، التي أصبحت لا تتناسب مع المبادئ والأسس المرسومة في ميثاق جامعة الأمم المتحدة، وغير مطمئنة لأمان الشعب العراقي، وذلك بعقد معاهدة جديدة تنظم التحالف بين المملكتين، على أسس تتساوى فيها الحقوق، وتتعادل المصالح، ويتناسب التعاون بينهما ليكون هذا الحلف أداة صالحة لقيام كل منهما بنصيبه في تعزيز سلم العالم. وحيث وجد المجلس أن معاهدة بورتسموث بعيدة عن تحقيق تلك الغاية المتوخاة وإنها ليست أداة صالحة لتعزيز أواصر الصداقة بين المملكتين، فإنه قرر عدم الموافقة عليها، بما يتبعها من ملاحق وكتب متداولة بشأنها، وتخويل وزير الخارجية إبلاغ حكومة صاحب الجلالة البريطانية بذلك، مع إبدائه بنفس الوقت إستمرار رغبة الحكومة العراقية، في إستبدال معاهدة 30 حزيران 1930م، للأسباب الأتفة الذكر، بمعاهدة جديدة، تضمن تحقق الغاية المذكورة أعلاه»⁽¹⁾.

والشيء الملفت للنظر أنه لم يعارض موضوع الإلغاء سوى شخص واحد فقط، من مجموع أعضاء مجلس الوزراء البالغ عددهم أربعة عشر وزيراً، وهو عمر نظمي وزير العدلية⁽²⁾.

3 - إعادة الشرعية لنشاط الأحزاب، التي ألغتها الوزارة السابقة، وكذلك السماح للصحف والمجلات بالصدور، ورفع الرقابة المفروضة على المراسلات، والأشخاص،

(1) الحسني، الوزارات، ج 7، ص 288.

(2) كبة، م. س، ص 347.

وإستيناف الدراسة في المدارس الحكومية، والأهلية، إضافة لأطلاق سراح جميع المعتقلين والموقوفين، وبذلك تم إعادة الأمور إلى مجاريها الطبيعية.

4 - حل مجلس النواب تلبية لرغبة الشعب في إنتخاب مجلس يمثله حقيقة، كما أنه أجرى الأنتخابات النيابية، إلا أنها لم تكن أفضل من مثيلاتها، فلم تكن بمعزل عن تدخل البلاط، والمحاور الأخرى، مما شوه محتواها.

ولعجز رئيس الحكومة تجاه مجمل الأوضاع غير الطبيعية، ولأسباب منظورة وأخرى مخفية، لعل من أهمها ما إعتري موضوع الأشتباكات مع العدو الصهيوني، في فلسطين، ومناورات بعض كبار قادة الجيش العراقي، من تخاذل وتواطى، متأثرين بصورة وأخرى في إرادات وتوجيهات قادة السياسة الحقيقيين، الذين يتخفون وراء الستار، كل ذلك أدى بالسيد محمد الصدر إلى العجز والشلل مما إضطره ذلك على الإستقالة، في 26 حزيران عام 1948، ولم يمض على تأليفها، سوى أقل من الخمسة أشهر. وهكذا طوى السيد محمد الصدر هذه الصفحة، التي تداخلت فيها الصور المشرفة، بالصور المعتمة، وظل الصدر وفي لمبادئ (العروبة والإسلام)، والتي آمن بها طريقاً ومنهجاً من اجل تحقيق الأستقلال الناجز، وإنهاء تبعية الأجنبي. وكان بجانب ذلك أمينا كل الأمانة لصون الدولة ومكتسباتها، وصون النظام الملكي، والحفاظ على رمزه الملك فيصل الثاني، أبان حركة مايس العربية عام 1941م، وكانت له مواقف مشهودة في هذا الأتجاه، عن طريق الدعوة للأناة والتعقل، وعدم التسرع بأي إجراء يلحق الضرر، في النظام وبرمزه الذي إعتبره الصدر أمانة في أعناق العراقيين، هذا الرمز الذي لم يكن قد بلغ الحلم بعد. وقد وظف الصدر كل ثقله الأجتماعي والسياسي، للمحافظة على البيت الهاشمي. وكما كان السيد محمد الصدر وفياً للعائلة المالكة، كان وجود لها بالنصيحة، حين يدعو الواجب لذلك، وظل الصدر صمام أمان لها، لأن الصدر تخلق بالوفاء والأمانة، وهما من مكارم الأخلاق التي تربي عليها، في أسرته الكريمة، وظل هذا شاخصه حتى وفاته، في الثالث من نيسان علم 1956م. وقد شهدت جنازته صحبة بعض أفراد العائلة، ممن كانوا على علاقة وصلة بالفقيد، وقد إنطلقت جنازته الرسمية، من داره في محلة الجعيفر، حتى الجسر الحديدي، في العطيفية الأولى، في جانب الكرخ، وبعدها كانت جنازته الشعبية، تتقدمها ريات جده الحسين عليه السلام، حتى الحضرة الكاظمية، وكان التشيع الرسمي والشعبي، يليقان بمكانته المرموقة. وحتى ندرك عمق تأثيره الإجتماعي والسياسي، فكان في عشرينات هذا القرن، يقصد بغداد عن طريق التراموي، وكان حين يصل بغداد / جانب الكرخ / شريعة النواب، حيث المحطة الأخيرة للتراموي، تستقبله الجماهير عند وصوله، وترافقه حتى جامع الحيدر خانة / جانب الرصافة، أو لأي مكان

تعتقد فيه الأجيال الجماهيرية السياسية، لتأليب الناس على المحتلين البريطانيين، بواسطة القوائد الشعرية ذات النبرة الثورية، والكلمات الحماسية ذات الدفع من أجل المطالبة بالاستقلال، وإقامة الحكم الوطني الحر المستقل. وعن إطلالة السيد الصدر يقول الشيخ رضا آل ياسين:

قدم الزعيم وأقبل العمل فاليوم لا وهن ولا كسل
قدم الزعيم فحي موكبه حيث الرجاء يسير والأمل
وإذا اطل بنور طلعتة فقل: السلام عليك يا بطل . . .

وقد تبارى الشعراء والأدباء في مدح هذا الرجل، ومما قاله الشيخ سليمان الظاهر عضو المجمع العلمي العربي بدمشق:

نور النبوة من جبينك يصعد إن لم تكن طه فأنت محمد

وحين نعى الناعي وفاته، أبنه توفيق السويدي، في مجلس الأعيان قائلاً:

«لقد كان المرحوم الصدر من العناصر الرزينة، المعتدلة في التفكير والعمل، وقد قام في مختلف أدواره السياسية بما يؤكد هذه الصفات الممتازة فيه فعرف بكونه رجلاً عطوفاً يحب الخير، ويعمله، ويسعى إلى التفاهم حتى مع العناصر المفرطة، في التفكير السياسي والاجتماعي»⁽¹⁾.

كما رثاه جميل الكاظمي شعراً، فقال:

يا حامله رويداً تحت محمله على الرؤوس فقد حملتم البطلا
ما كان أثقله يوم الرحيل هدى والمجد والفضل في اعواده ثقلا
إن خف ما خف إلا في الوغى ذرباً سيفاً بكف إله الكون قد صقل⁽²⁾

3 - محمد فاضل الجمالي 1903.1997م⁽³⁾

أ - الأنتساب: ينتمي إلى عشيرة آل شيبه، وهم فرع من فروع «فريش» في مكة المكرمة،

(1) بصري، م . س، ص 111.

(2) ن . م، ص 112، 113.

(3) كتاب عن محمد فاضل الجمالي، عنوانه: (جهاد في سبيل العروبة والإسلام)، (ط1)، دار الحكمة للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، 1998م). صدر الكتاب بمناسبة حفل تأبينه في لندن عام 1997م. الحسيني، الوزارات، راجع الأجزاء الأربعة الأخيرة منها من: جزء 7 إلى جزء 10، للأطلاع على طبيعة مشاركات المبحوث عنه كوزير للخارجية، كما موضح في المتن أعلاه.

وقد هاجرت عائلته إلى العراق قبل ثلاث قرون.

ب - الدراسة: كانت بداية دراسته في مدرسة الإمام الخالصي الكبير، حيث درس علوم الدين والعربية فيها. وحصل بدءاً على شهادة دار المعلمين الابتدائية من بغداد، ومن ثمة حصل على شهادة البكالوريوس، من الجامعة الأمريكية في بيروت، عام 1927م، وحصل على شهادة الدكتوراه، في علوم التربية من جامعة كولومبيا في نيويورك عام 1932م.

ت - حياته المهنية: ويمكن اجمالها بما يلي:

1 - حصوله على شهادة البكالوريوس، مارس مهنة التعليم، في دار المعلمين الابتدائية، في بغداد، عام 1927م.

2 - بعد حصوله على شهادة الدكتوراه، عين عام 1932م مرشداً عاماً في وزارة المعارف، ومدير عاماً لها، فمفتشاً عاماً في ذات الوزارة.

3 - نقلت خدماته عام 1943م، إلى وزارة الخارجية، بدرجة مدير عام فيها.

4 - انضم إلى الوفد العراقي إلى مؤتمر سان فرانسيسكو عام 1945م، وسهم في إعداد ميثاق الأمم المتحدة، ووقع عليه ممثلاً عن العراق.

5 - شغل منصب وزير الخارجية، مرات عديدة في مختلف الوزارات العراقية، وكان له فيها أدواراً مختلفة، ومن تلك الوزارات؛

أ - وزارة أرشد العمري الأولى: في أول حزيران عام 1946م، وكان من أهم مشاركات الجمالي فيها، ترأسه وفد العراق إلى إجتماع الجامعة لعربية، الذي إنعقد في مدينة «بلودان» السورية، للبحث في أمر لجنة التحقيق (الأنكلو - أمريكية)، الخاصة بالمشكلة الفلسطينية، وقد لعب هذا الوفد دوراً كبيراً في إتخاذ قرارات عربية صارمة، لضمان الحق العربي الفلسطيني. وفي نفس السياق، شارك الجمالي في جلسات مؤتمر وزراء الخارجية العرب، الذي إنعقد في القاهرة، في 12 آب عام 1946م، للعمل على إنقاذ فلسطين من الضياع. وشارك الجمالي في المؤتمر الخاص حول معاهدة الصلح مع إيطاليا في أيلول عام 1946م. وتوجه الجمالي منها إلى لندن، لحضور مؤتمر الطاولة المستديرة، لمعالجة القضية الفلسطينية. وقد تم في وزارة الجمالي تصعيد التمثيل الدبلوماسي، بناء على طلب من الولايات المتحدة الأمريكية، إلى درجة السفارة، في 28 كانون الأول عام 1946م. ونفس الشيء حصل مع بريطانيا. وتم الاعتراف بجمهورية الفلبين⁽¹⁾.

ب - وزارة نوري السعيد التاسعة: والمؤلفة في 21 تشرين الثاني عام 1946م.

ت - وزارة صالح جبر الوحيدة: المؤلفة في 29 آذار عام 1947م، ومن أهم مشاركات الجمالي، تم عقد معاهدة أخوة وتحالف بين الأردن والعراق، بتاريخ 14 نيسان عام 1947م، ورغم المعارضة التي ووجهت بها هذه المعاهدة، من قبل بعض أعضاء مجلسي النواب والأعيان، لما حوته بين طياتها من بنود تمس السيادة، إلا أنه صودق عليها بالأكثرية⁽¹⁾. وحين تراكمت للعراق بذمة بريطانيا عدة عشرات من ملايين الباونات، منذ عام 1941م، يقول محمد حديد عنها: «فهذه الباونات الأسترلينية المتراكمة تمثل إذا رصيد ثمن المواد والخدمات التي جهزت بها بريطانيا، منذ عام 1941م»⁽²⁾. لذا صار الأمر في مجلس الوزراء أن يسافر وفد خاص إلى بريطانيا بعضوية كل من مدير لمالية العام إبراهيم الكبير، ومدير الاقتصاد العام نديم الباجه جي، ومدير مصرف الرافدين محمد علي الجلبي، وقد سافر الوفد برئاسة محمد فاضل الجمالي، إلى لندن في 13 حزيران عام 1947م، وقد لعب الجمالي دورا كبيرا للحصول على تلك الديون، حتى أنه إستغل علاقاته الشخصية مع آرنست بيفن وكان إذ ذاك وزيرا للخارجية، مستعينا به على تسهيل مهمته، وكان له ما أراد، بعد مفاوضات طويلة، ولو بالحدود الممكنة آنذاك، وتم إبرام إتفاقية لتسوية تلك الديون بين الطرفين في 13 آب 1947م، ومن إنجازات الجمالي الاعتراف بالجمهورية الأندونيسية في 16 تموز عام 1947م⁽³⁾. لكن كان للجمالي مشاركة دقيقة وحساسة، جلبت عليه وعلى رئيسه وأعضاء الوفد، الكثير من الأشكالات، بسبب إبرامه والوفد معاهدة بورتسموث وقد ضم الوفد عدا الجمالي وزير الخارجية كلا من: رئيسه صالح جبر، وعضوية كل من العينين: رئيس الظل المزمّن لكل الوزارات نوري السعيد، وتوفيق السويدي، بالإضافة لعضوية وزير الدفاع شاعر الوادي. وقد أشير في مكانه عن الموقف الوطني تجاه هذه المعاهدة.

ث - وزارة مصطفى العمري الوحيدة: المؤلفة في 12 تموز عام 1952م، ومن أهم أعمال

(1) محاضر مجلس الأعيان، السنة/1947م، ص 72-73.

S.H. Longrigg. IRAQ 1900-1950 P.95.

(2) الحسني، الوزارات، ج 7، ص 176، نقلا عن: محمد حديد، في رسالته «مشكلة الأرصدّة الأسترلينية» ص 5.

(3) الحسني، الوزارات، ج7، ص 178، 179.

ومشاركات الجمالي، رفع التمثيل السياسي بين مصر والعراق، والعراق وتركيا من درجة المفوضية، إلى درجة السفارة، في 9 آب عام 1952م. شارك في إجتماعات الجامعة العربية في الثامن من أيلول عام 1952م، كما شارك في إجتماعات هيئة الأمم المتحدة في 4 تشرين الثاني عام 1952م. وفي زمنه تم عقد إتفاقية تعاون وصداقة بين العراق والهند في 23 شباط عام 1953م.

ج - وزارة نوري الدين محمود الوحيدة: المؤلفة في 23 تشرين الثاني عام 1952م. والتي لم يكن للجمالي أية أدوار ملموسة، من حيث أن هذه الوزارة جاءت على أعتاب إنتفاضة تشرين المعروفة، وكان هم الوزارة الأساسي تهدأة الحالة، عن طرق سن الأحكام العرفية في بغداد.

ح - وزارة أرشد العمري الثانية: المؤلفة في 29 نيسان عام 1954م. ولم تكن هذه الوزارة هي الأخرى، ذات نشاطات خارجية، لأن همها الأول والأخير كان إجراء الأنتخابات لمجلس النواب، وكانت أجواء الظروف آنذاك معقدة تشاغلها المناورات السياسية، بين الأنكليز وعبد الأله ونوري سعيد.

خ - وزارة نوري السعيد الرابعة عشر: المؤلفة في 3 آذار عام 1958م. وكانت مشاركات الجمالي منحصرة، بأهم أحداث هذه الوزارة، فيما يخص الإتحاد بين العراق والأردن، والموقف من وحدة الجمهورية العربية المتحدة، التي قامت في عام 1958م، بين سوريا ومصر. وما صاحب تلك الأحداث من التداخلات والتقاطعات والمناورات، على الساحة العربية والدولية، بخصوص الوحدة والأتحاد، وبالخصوص بين الأنكليز ونوري سعيد، من جهة وبين نوري سعيد، وبين نوري سعيد وأمريكا، وأخيرا بين نوري سعيد وعبدالله السالم الصباح أمير الكويت، بخصوص ضم الكويت إلى الإتحاد الهاشمي، والذي إنتهى إلى قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م.

د - ترأس الجمالي الوفد العراقي إلى مؤتمر باندونغ عام 1955م.

ذ - تولى الجمالي رئاسة الوزارة العراقية مرتان، في: 17 أيلول عام 1953م، وفي 8 آذار عام 1954م.

هنا لا بد من الوقوف على أعمال هاتين الوزارتين، ما لها وماعليها، الملفت للنظر أن الوزارة الأولى ضمت وجوها شابة تستوزر لأول مرة، وهو خروج عن المألوف، فقد جرت العادة في الغالب الأعم تكرار نفس الوجوه الكلاسيكية. عدا ذلك فإن هذه الوزارة ضمت لأول مرة ستة وزراء شيعة من مجموع سبعة عشر وزارة، وهو مالم يحدث في كل الوزارات

الملكية، البالغة تسعة وخمسون وزارة. ويعقب الحسيني على التشكيلة الأولى، فيقول:

«لقد قوبل تأليف هذه الوزارة بإرتياح من قبل الرأي العام، لأنها جاءت بعدد من العناصر الشابة إلى الحكم، بعد أن مل الناس الوجوه القديمة. كان ثلثاهم من المستقلين وأربعة من حزب الأتحاد الدستوري المعجم، وعضوان من حزب الجبهة الشعبية الوطنية المعجم»⁽¹⁾.

وكان من بوادر أعمال هذه الوزارة إلغاء الأحكام العرفية، في اليوم الخامس من شهر تشرين الأول عام 1953م، والتي سنت على عهد الوزارة السابقة، وهي وزارة نوري الدين محمود، في 23 تشرين الثاني عام 1952م. كما تم إعادة الروح للأحزاب الوطنية، التي جمدها الأحكام العرفية لحكومة نوري الدين محمود، وعادت لتزاول نشاطاتها. وتم إعادة جميع الطلبة المفصولين، إلى مقاعد دراستهم. لكننا نرى أن هذه الوزارة وبسبب إضراب عمال شركة نفط البصرة، للمطالبة بزيادة الأجور وتحسين ظروف المعيشة، وتحت تهديد وزير داخليتها سعيد القزاز في الاستقالة، ورغم محاولة الجمالي من تخفيف حدة إصرار القزاز على إعلان الأحكام العرفية أو الاستقالة، إلا أنه لم ينجح مما اضطرت حكومته لسن الأحكام العرفية في لواء البصرة في 15 كانون أول عام 1953م، وإستصدار مرسوم بذلك. علما بأن هذه الوزارة سبق لها بسبب نفس الظروف، غلق تسعة من الصحف المحلية، وإحالة جريدتا لواء الأستقلال، والأهالي للمحاكم الجزائية، بسبب دعمها للمضربين ولحقوقهم المشروعة. لكنها من جانب آخر ألغت الرقابة على البرقيات الداخلية والخارجية. وعادت الوزارة مرة ثانية إلى إلغاء الأحكام العرفية في الثامن والعشرين من شهر كانون الثاني عام 1954م. وعدا ذلك فقد كان لهذه الوزارة إنجاز عمل إجتماعي وأخلاقي، ينسجم والواقع الديني والأخلاقي الذي عليه المجتمع العراقي، وذلك بإلغاء المبعي العام، الذي كان قائما في بغداد، والذي تم إستملاك أبنيته ودوره وتحويلها إلى ساحة عامة لوقوف السيارات. إلا ان الوزارة من جانب آخر كانت تراقب الضائقة المالية التي كانت تعصف بالناس، وحيث أن مجلس النواب كان يتمتع بعطلته السنوية، ولوجود ضرورة ملحة لأصدار بعض المراسيم لمعالجة الضائقة المالية التي كانت تطبق على المواطنين، إستعانت الوزارة بإصدار إرادة ملكية، بجمع المحكمة العليا، التي سهلت مهمة الوزارة، في إصدار بعض المراسيم بهذا الصدد، منها:

أ - مرسوم تعديل ضريبة الأملاك من 15٪ وتخفيضها إلى 10٪.

(1) الحسيني، الوزارات، ج 9، ص 57.

ب ب - مرسوم من أجل خلق فرص عمل جديدة للناس، وتنفيذ المشاريع البلدية في الأولوية، بمنح إمانة العاصمة والبلديات، مبلغا مقداره مليون ونصف دينار كي تتمكن من تنفيذ ذلك.

ت ت - مرسوم بتخصيص مبلغا مقداره ثلاثين ألف دينار كمخصصات للملتحقين بدورات تجارية، وحسابية، وتعليمية، لخريجي كلية الحقوق، والدراسة الأعدادية، فتحت لهذا الغرض، كي ترفد دوائر الدولة بهذه العناصر المدربة.

ث ث - مرسوم بجعل نسبة ضريبة الدخل في حدها الأول 5٪ لغاية 300 دينار بعد أن كانت 6٪ لغاية 150 ديناراً.

ج ج - مرسوم أجاز لمجلس الوزراء تخفيض بدلات الأيجار بنسبة 10٪، عند تجديد العقار⁽¹⁾.

ومن جانب آخر قامت الوزارة بتوزيع ما يقرب من المليون مشاركة من الأراضي الزراعية على المستحقين، إلا ان الحسني لم يذكر من هم المستحقين، فهل هم رؤساء العشائر؟ أم الفلاحين؟، وهناك فرق كبير بين هذا وذلك، إلا ان وزارة الجمالي حاولت جادة التخفيف من تلك الضائقة، وهنا يعقب الحسني قائلاً:

«تخفيف الضيق الاقتصادي المستحوذ على السوق بنتيجة تدهور أسعار الحاصلات الزراعية، وإنخفاض الدخل الزراعي، فقد لجأت الحكومة إلى ضخ كمية كبيرة من النقد في السوق، بالتسريع في الأعمال العمرانية في جميع الأولوية، وتشجيع التسليف الزراعي، على يد المصرف الزراعي، وهي سائرة في شراء ما يفيض من الحنطة، إضافة إلى مشترياتها منها لمشروع الخبز»⁽²⁾.

ومشروع الخبز هذا من المشروعات الهادفة، لتخفيف الضائقة عن المحتاجين والمعوزين من الناس، بأسعار مدعومة. وكانت نية الجمالي متجهة إلى تطهير أجهزة الدولة من المرتشين والمفسدين، إلا أن ذلك إصطدم بعقبات لم يتمكن الجمالي من تجاوزها، لأنها من صنع عمودي السياسة والحكم في العراق، نوري السعيد وعبد الأله، من حيث أن غالبية كبار الموظفين الذي كان يجب تطهيرهم، كانوا محسوبين إما على عبد الأله أو على نوري السعيد. لذا كانت مهمة الجمالي في هذا الصدد عسيرة، إن لم تكن مستحيلة، فأسقط

(1) الحسني، الوزارات، ج 9، ص 62، 63.

(2) ن . م، ص 64، 65.

في يده. وحين يعقب عبد الله بكر رئيس الديوان الملكي، أميره، يقول:
 «إن الوضع كله معروف، كل شيء كان بيد عبد الأله. حتى رؤساء الوزارات الآخرين
 كانوا لا يقدرُوا يعملُوا شيء»⁽¹⁾..

هذا أهم ما يمكن التطرق إليه بخصوص الوضع القطري، أما على المستوى العربي فقد
 كانت للجمالي، وقات تستدعي الوقوف عندها، لأهميتها أولاً، ولحساسيتها ثانياً. وكان
 الجمالي يعمل في عام 1953م، على إقامة إتحاد بين سوريا والعراق، ولكن الشيء الملفت
 للنظر، أن عمله هذا كان محفوظاً بالتأمر على النظام السوري برئاسة الشيشكلي، لتحقيق هذا
 الهدف، وكان هذا الموضوع يجري بعلم الملك والوصي وبالتنسيق معهما، حيث تم رصد
 جبر بتكليف من الوصي ورئيس وزرائه الجمالي، إلى لبنان، وبمعيته مبلغاً مقداره مائة ألف
 دينار، لتهيأة عملية إنقلابية على الشيشكلي، وهو ما كان. حتى أن المكلف بالمهمة صالح
 جبر قد صرف من المبلغ المرسل معه سبعون ألف ديناراً، لهذا الغرض، كما أشار
 الأزري⁽²⁾. ويؤيد السويدي هذه المعلومات بقوله:

«وقد قامت الحكومة العراقية، على يد صالح جبر وعبد الكريم الأزري، بما تعهدت به
 من دفع أموال أوصلتها إلى يد هاشم الأتاسي فعلا مع تموين وسلاح واعتدة وصلت إلى
 يد اصحابها، حسب الاتفاق مما ادى إلى قيام حركة قوية إنبثقت من حمص بتأييد
 حلب»⁽³⁾..

إن مثل هذا الموقف يلفت النظر، ويشير التسائل؛ فكيف تقوم دولة عضوة في هيئة الأمم
 المتحدة، وذات بعد حضاري دستوري وديمقراطي مثل العراق - كما يدعي حكامها -
 بالتأمر على دولة أخرى ذات سيادة وعضوة في هيئة الأمم المتحدة، وهي سوريا، حتى ولو
 كان الهدف الدافع لهذا التأمر هدفاً سامياً ونبيلاً. ومما يثير الأستغراب أن النظام الملكي،
 حين قيام الدولة الوحيدة الأندماجية بين سوريا ومصر عام 1958م، بإرادة جماهيرية، وقف
 موقفاً مضاداً منها، متهمين إياها بأنها وحدة حكام وليست وحدة شعبين، وحتى لو أفترضنا
 ذلك فهي في كل القياسات لم تقم، عن طريق التأمر وتغيير الأنظمة، كما حاولها النظام
 الملكي، وكما فعل النظام لمواجهة هذه الوحدة الأندماجية، بإقامة إتحاد التيجان بين الأردن

(1) محاضر جلسات محكمة الشعب، مجلد/4، ص 129.

(2) الأزري، م . س، ص 510.

(3) السويدي، م . س، ص 528.

والعراق. ووقفة لا بد منها، يقتضيها الموقف المنصف والمحايد؛ فمن خلال لقائين أو ثلاث لي مع الراحل محمد فاضل الجمالي في لندن، في تواريخ مختلفة، أثناء زيارته الخاطفة. وجدت عنده ميلا كبيرا للعروبة والإسلام، كما وجدت لديه موقف واضح جدا يجلب الأنتباه، فرغم أنه كان متأثرا جدا بالسياسة الغربية، ورغم ثقافته الغربية التي لا يطوي ذكرها، نجده في موقف الأنتصار للعروبة والإسلام، في صميم الضد مع السياسة الغربية، وبالخصوص السياسة الأمريكية الصهيونية، والموجه ضد الأمة العربية، وبالخصوص ضد العراق. وحسب توالي الأحداث والمواقف، وإهتمام الجمالي الزائد بقضية العروبة والوحدة أو الأتحاد، إقدامه خلال وزارته الأولى، على تقديم مشروع عن إتحاد الدول العربية للجامعة العربية، في إجتماعها المنعقد في كانون الثاني عام 1954م، وكان هذا المشروع موضع رعاية ودرس من قبل الدول العربية، الأعضاء في الجامعة العربية. والذي يقرأ مفردات هذا المشروع يدلك على صدق السريرة، وشفافية الطرح، حتى كأني أجد في نفسي أمام هذه المفردات، بعض الحرج الأدبي، كوني أحد المتصددين لحكومات العهد الملكي، دون التفريق بين الصالح والطالح، وربما أجد لنفسني العذر في ذلك، كون ان الطالح قد طغى على الصالح، فكان موقفي مبهورا بالتصدي والمواجهة. وإليكم نص المقدمة والمشروع المقدم للجامعة العربية:

«يهدى الوفد العراقي لجامعة الدول العربية تحياته إلى المانة العامة لجامعة الدول العربية، ويرجو إبلاغ المذكرة الآتية إلى الدول العضاء فيها. ليس بخاف إن سياسة العراق القومية كانت وما تزال تهدف دائما إلى وحدة العرب وجمع كلمتهم. وقد أعلنت الحكومة العراقية في خطاب العرش بتاريخ 1 كانون الأول سنة 1953م، بأن السبيل الوحيد لأنقاذ العرب من محتتهم الحاضرة، ومجابهة الخطر الإسرائيلي، وإقرار السلم في هذا القسم الحيوي من العالم، هو تحقيق «الأتحاد العربي» وهي ماضية في هذه الخطة. وقد لاحظت الحكومة العراقية بسرور وإبتهاج ما رددته مصر الشقيقة بلسان رئيسها ورجال حكومتها، من الرغبة الصادقة في إتحاد البلاد العربية، وقد بدت مثل هذه الرغبة في فترات متفاوتة، من قبل رؤساء حكومات الدول العربية الخرى، وقد رأى الوفد العراقي تحقيقا لسياسته، وإستجابة للرغبة الكريمة، التي ترددت في مصر والبلاد العربية الأخرى، تقديم المذكرة التالية، وقد حرص على أن تكون إجمالية مختصرة، وإرجاء التفصيل الضروري إلى المفاوضات المرجوة، حين قبوله والشروع في تنفيذه.

أ - لم يعد إتحاد الشعوب العربية خيالا يداعب مخيلة المعنيين بالمثل العليا، بل أصبح ضرورة قومية لازمة للأمة العربية كافة، تتوقف عليه في الوقت نفسه القدرة الأكيدة على

درء الاخطار التي تحدق بالامة العربية، وحل المشاكل التي تواجهها.

ب - وإذا ما سلمنا بتلك الحقائق، وادركنا الخطر الداهم الذي يهدد الكيان العربي، فواجب محتوم على الدول العربية، أن تبادر إلى الاخذ عمليا بمبدأ الاتحاد، مع تقدير احتمال أنها لا تستطيع كلها مجتمعة، وبسرعة واحدة، السير في طريق الأتحاد، وذلك لعوامل وإعتبارات، جغرافية وداخلية وإجتماعية موقوتة، تحص كل قطر من الاقطار العربية.

ت - إن القول بضرورة السير لأجماعي نحو التحد المنشود بسرعة واحدة، من قبل الدول أعضاء الجامعة كلهم، قد أخرج قضية الأتحاد العربي، التي يهدف إليها ميثاق جامعة الدول العربية.

ث - وعليه فإن الواجب على الدول ذات الممكنات الراهنة لتحقيق الأتحاد أن تشرع فوراً، وان تمضي قدماً لتحقيقه، على ان تساعدوا الدول الأخرى، ريثما تستطيع بدورها الأنضمام إلى هذا الأتحاد بصورة طبيعية.

ج - لا شك في ان أي إتحاد يتم بين دولة وأكثر، يجب أن ينبعث عن قناعة شعوب تلك البلاد وحكوماتها، بما تمليه وحدة المصالح والاهداف، ولا يجوز السير بالأتحاد على أسس غير ديمقراطية. ونحن مطمئنون إلى ان شعوب الدول العربية سائرة عاجلاً أم آجلاً نحو هذه الغاية.

ح - تجري مفاوضات بين الدول التي تستطيع وتريد الدخول في الأتحاد، على الأسس التي يرغب في إنشاء الأتحاد عليها، وبعد التوصل إلى إتفاق في هذا الخصوص، تحاط جامعة الدول العربية عليهما بذلك، وهي بدورها تحيط الدول الأعضاء علماً بذلك.

خ - تشرع الدول الراغبة في الأتحاد، في سن دستور للأتحاد يعرض على برلماناتها لأقراره، ثم تعدل دساتيرها على هذا الأساس.

د - يستهدف الدستور الإتحادي وحدة السياسة الخارجية، والدفاع، والشؤون الإقتصادية المشتركة، وغير ذلك مما إتفق عليه المتفاوضون، وينص الدستور على الأداة الاشرعية، والتنفيذية للأتحاد.

ذ - إن العراق ليعرب عن إستعداده في الدخول في الأتحاد مع أي قطر من الأقطار العربية الراغبة فيه، ويرجو مخلصاً أن يلقي من لدن الأعضاء مثل الرغبة التي يحملها ويعمل لتحقيقها.

ر - وإلى ان تنتمي جميع الدول الأعضاء في الجامعة العربية إلى الأتحاد، فإن الجامعة العربية تظل أداة تعمل لأرتباط المجموعة العربية الكبرى بعضها ببعض.

وينتهز الوفد العراقي في هذه الفرصة، ليعرب للأمانة العامة عن فائق إحترامه وتقديره⁽¹⁾.

وحتى تكتمل الصورة نعود بالحديث عن موقف بعض الساسة المهمين مثل نوري سعيد، ضد مشروع الأتحاد هذا، وإفشاله، والذي عزي لروح الأنانية الشخصية لدى نوري سعيد. إذ كيف يطلق العنان للجمالي لمثل هذا المشروع، دون نوري السعيد. يقول الحسيني عن ذلك:

«وكان نوري السعيد يعارض فكرة الصرف على هذا المشروع، بدعوى أنه خيالي، يؤدي إلى إفلاس العراق، ولا يمكن أن يحققه. ويعتقد الجمالي أن نوري كان يعارضه لثلاث أسباب على يد غيره، وإنه - الجمالي - لو بقي في الحكم ستة أشهر أخرى، لتحقق الأتحاد بين العراق وسورية»⁽²⁾.

أما الجمالي فيحدثنا عن موقف نوري بصورة مباشرة، من خلال موقفين، الموقف الأول، ورد في محاضر المحكمة العسكرية العليا الخاصة، التي تشكلت لمحاكمة مجموعة من رموز الحكم الملكي، ومنهم الجمالي، حيث يقول:

«بعد ما غادر الشيشكلي دمشق، وعقد مؤتمر حمص، وأصبح السيد الأناسي رئيساً للجمهورية، وتشكلت حكومة جديدة برئاسة العسلي، بدأت الأتصالات بيننا وبين بعض زعماء سورية حول الأتحاد بالصورة الدستورية، ولكن معارضة نوري السعيد الذي كانت له الأكثرية في البرلمان لسياستي في الأتحاد مع سورية، حملتني على الإستقالة، وهي كانت السبب الرئيسي المباشر لأستقالتي»⁽³⁾.

أما الموقف الثاني فقد ثبته الجمالي في كتابه ذكريات وعبر، قال فيه:

«أما ما يتعلق بسورية فقد ذكرت بأن نوري أوقف كل جهودي للمضي في تحقيق الأتحاد بين العراق وسورية. لم يوافق على إنفاق أية اموال لتلك الغاية. وكان نوري قد إعترض على عزم حكومتي على إنفاق ربع مليون دينار على مشروع الأتحاد، لكن العراق خسر حوالي خمسين مليون دينار، عندما دمر السوريون، أنابيب الزيت العراقية التي تمر بسورية»⁽⁴⁾.

(1) الجمالي، محمد فاضل، من واقع السياسة العراقية، ص 119 - 121.

(2) الحسيني، الوزارات، ج 9، ص 78.

(3) من محاضر المحكمة العسكرية العليا الخاصة، رقم الصفحة 3/1097.

(4) الجمالي، ذكريات وعبر، ص 260.

وحتى نتحقق عما تم إيراده من معلومات، من طرف محايد إلى حد ما، نورد فحوى الرسالة الموجهة من قبل أحمد مختار بابان، نائب رئيس مجلس الوزراء، في حينه، والموجهة إلى المؤرخ عبد الرزاق الحسيني والتي جاء فيها:

«إنه - أي بابان - يشعر والوزيرين السيدين علي ممتاز، ومحمد علي محمود، بضرورة إستقالة الوزارة، لأنهم وجدوا النواب متمردين وجالسين، في إحدى الصالات. وكانت أمام المجلس ميزانية مديرية الأوقاف العامة للمصادقة عليها، ولما وجدوا أن بعض الشيوخ يتسربون من المجلس، لحقوا بهم، وطلبوا عودتهم للتصديق على الميزانية المذكورة وإذا بالنائب محمد الحردان يقول لأحمد مختار: يا أبا سراب نحن لسنا بخصومك، ولكننا ضد الجمالي. ولكن بابان إستطاع أن يدخله وبعض النواب إلى قاعة المجلس لأكمال النصاب، وتمشية لائحة قانون الميزانية. ثم إقترح - أي بابان - وزميلاه - علي الجمالي بالأستقالة، فتقدم الرجل بكتاب إستقالة وزارته»⁽¹⁾.

تشخص أمامنا من خلال المفردات المتقدمة، التي إكتنفت محاولات الجمالي، بخصوص موضوع الأتحاد مع سوريا، قضيتان مركزتان، هما:

أ - أن موضوع الأهتمام بالأتحاد مع سوريا من ناحية الحركة والفعل وتنفيذ الخطة، قد إنحصر في الثلاثي الشيعي (محمد فاضل الجمالي - عبد الكريم الأزري - صالح جبر) ومثل هذا الموقف غير مقبول في معادلة الحكم القائمة في العراق، حتى ولو كان الأمر مدعوماً من سلطة عليا. وهو ما يجسد صميم الفهم الطائفي الولائي الذي أنشأت عليه الدولة العراقية الحديثة، والمتقدم الحديث عنه. هذا فيما إذا سمح لقيام مثل هذا الأتحاد.

ب - نحن نختلف مع من ذهب في تفسير موقف نوري السعيد، المذهب الذي تقدم، بل نحن نعتقد أن هناك إرادة خارجية متحكمة فيما يجب ان يكون وما يجب ان لا يكون، ويبدو أن الوحدة أو الأتحاد، أو أي شكل من صيغ التعاون الأستراتيجي الحقيقي لدول الأمة العربية، لا بل أية حالة تقدم حضاري وتقني حقيقيين لأي دولة عربية، يعتبر من الخطوط الحمراء التي لا تسمح الدوائر الأستعمارية والصهيونية، ان ترى النور.

لذا فنحن نعتقد أن موقف نوري السعيد المعرقل لأقامة الأتحاد مع سوريا، لم يأت من فراغ، وهو ليس حالة أنانية، إنما هو حالة مندرجة في إطار النهج الأستعماري الصهيوني

(1) الحسيني، الوزارات، ج 9، هامش / ص 99.

المتقدم، وليس بمعزل عنه. وهناك من أدلة التاريخ الأسبق وأدلة الأحداث اللاحقة ما يؤكد هذا السياق. فالأستعمار الغربي المتأثر بالصهيونية حتى النخاع قد رسم الخطة للشرق العربي في معاهدة (سايكس - بيكو الموقعة عام 1916م، لتقاسم النفوذ، وإن ما أعقبها في وعد بلفور عام 1917م، بإقامة قاعدة متقدمة للأستعمار والصهيونية عن طريق إنشاء الكيان الصهيوني، في فلسطين العربية على حساب حق الشعب العربي الفلسطيني، والشعوب العربية الأخرى. إضافة للمعاهدات الجائرة التي فرضت على دول الأمة العربية، وربطتها بعجلة الأستعمار والصهيونية العالميين، ولم تتوقف الخطط الأستعمارية الصهيونية في إي مفصل زمني، بل هي مستمرة ما دامت الحاجة إليها قائمة، ولعل الخطة الصهيونية للشرق الأوسط، لعام 1983م، كما تقدم الحديث عنها، هي من الأدلة الدامغة التي تؤيد ما ذهبنا إليه من تحليل وتفسير. وإذا ما أردنا أن نقيم هذه الشخصية الشيعية العربية، بغض النظر عن خلافنا معه في الفكر والسياسة والأسلوب، فإن آراء جمهوره من الشخصيات العراقية والعربية والأجنبية، خير ما يعطيها من تقييم. وإليك نماذج. فالأبراهيمي حين يخاطب الجمالي أثناء وليمة دعوة، يقول له:

«وأنت أيها الدكتور جمعت في شخصك، كما جمعت في إسمك ثلاث صفات نادرة هي الحمد والفضل والجمال»

الشيخ البشير الإبراهيمي، رئيس جمعية علماء الدين الجزائريين⁽¹⁾

ومما ورد في حقه في الصحف العربية حين توفاه الله إلى جواره، أنه:

«آخر من بقي على قيد الحياة من الذين وقعوا على ميثاق المنظمة الدولية في مؤتمر سان فرانسيسكو في عام 1945م. وكان من أوسع الساسة العراقيين في العهد الملكي ثقافة، وأكثرهم نشاطاً، وقد عرف بدفاعه المجيد عن القضايا العربية، في المحافل الدولية وخاصة عن قضية فلسطين، وقضايا المغرب العربي».

جريدة الشرق الأوسط الصادرة في لندن في 26 مايس عام 1997م⁽²⁾

وحين يحدثنا الأزري عنه يقول:

أعد الجمالي نفسه لخدمة وطنه العراق، ولبناء الدولة العراقية، في حقل إختصاصه وهو

(1) من كتاب: محمد فاضل الجمالي، جهاد في سبيل العراق والعروبة والأسلام، (دار الحكمة، لندن،

عام 1988م) ص 16.

(2) ن . م ، ص

حقل التربية والتعليم، ولم يدر في خلدته ان يعمل في حقل آخر، أو، مجالات أخرى. ولكن ظروفًا سياسية خارجية وداخلية تضافرت على إبعاده عن هذا الحقل إلى حقل آخر، هو حقل السياسة الخارجية، فأتيح له المجال لتسخير مواهبه، وقابلياته للعمل لتحرير أمته العربية من من الظلم والاستعمار، وقد ظل يجاهد في هذا السبيل حتى تحقق تحرير الشمال العربي الأفريقي (ليبيا وتونس والجزائر والمغرب)»

عبد الكريم الأزري (وزير مالية وأعمار العراق الأسبق)⁽¹⁾

أما الدكتور عز الدين العراقي، فيقول عن الجمالي:

«فلا شك أن ذكرى هذا الرجل ستبقى عالقة في أذهان كل من عرفوه وخبروا معدنه، وإطلعوا على قلبه الكبير، وحبه الصادق للعروبة والأسلام. وسيكون من باب الاعتراف بالجميل له ان تتطلع الأجيال التي لم تتح لها معرفته، على خدماته ومواقفه، وخصوصاً على افكاره المتحررة الهادفة، في باب السياسة والتعليم على الخصوص».

الدكتور عز الدين العراقي / وزير خارجية المغرب الأسبق⁽²⁾

وحين يتناول الدكتور زريق الحديث عن الجمالي، يقول عنه:

«أنه عد من أركان العهد الذي جرى أكثرنا على نعته بالعهد البائد، وعلى ذمه وتحقيره وتحميل اربابه مسؤولية كل ما أصاب العرب من محن وأوزار. ولم تأت الجهود التي تلت العهد البائد بأفضل منه، بل كثيراً ما تمنينا - لهول ما أصابنا - أن يعود ذلك العهد السابق على رغم ما ندرك من أخطائه ونقائصه».

الدكتور قسطنطين زريق (وزير سابق)⁽³⁾

وقد ورد في خطاب الأستاذ عفيف صافية، الذي إرتجله في حفل تأبين الجمالي، جملة إشارات، وتحذيرات، ومواقف، لها أبعادها ومضامينها، وبالخصوص تجاه القضية الفلسطينية، ومما اورده صافية، مقتبساً من كتاب: السيد ز. هاري. جي. آلموند عنوانه «رجل دولة عراقي، صورة شخصية لمحمد فاضل الجمالي»، حيث جاء في هذا المقتبس:

«يسجل أن الجمالي منذ إنتقاله من إدارة التعليم العامة في وزارة المعارف العراقية، إلى مدير عام الخارجية عام 1943م، ثم وزيراً للخارجية، ثم مندوباً للعراق في هيئة الأمم

(1) ن . م . ص 17.

(2) ن . م . ص 20.

(3) ن . م . ص 21، 22.

المتحدة، عدة مرات، طالما وقف مذكرا العالم ورافعا صوته، بالأحتجاج ضد المجازر التي إرتكبها الصهاينة في (دير ياسين) ثم في (قبية ونحالين وغزة وكفر قاسم)». ويستشهد صافية بما أورده الجمالي في كتابه (الخطر الصهيوني - بقلم ابن العراق) الصادر عام 1943م، في القاهرة، والذي أعيد طبعه عام 1977م، في تونس، حيث يقول الجمالي:

«وإن الأخطار التي حذرت منها امتي قبل ثلث قرن من الزمن قد داهمتهم بالفعل. إن المعطيات الساسية للقضية الفلسطينية، لم تتغير، وحقوق العرب المشروعة في وطنهم فلسطين ثابتة، ما دامت في الكون شرائع سماوية، وحقوق وقوانين إنسانية». ويمر صافية بشكل مباشر، على رصد مواقف الجمالي العملية، لنصرة القضية الفلسطينية بقوله:

«في عام 1946م، إنعقد مجلس دول الجامعة العربية في (بلودان / سوريا)، لأتخاذ ما يجب من التدابير ضد إصرار الرئيس الأمريكي (ترومان) على بريطانيا الدولة المنتدبة، بالسماح بهجرة مئة ألف يهودي إلى إسرائيل، فتقدم الجمالي بإسم العراق بإقتراح فاجأ أعضاء المجلس، حيث طالب:

- 1 - بتخصيص مليوني باون إسترليني من قبل دول الجامعة يذهب نصفها لتمويل مكاتب الأعلام العربية للوقوف ضد الدعاية الصهيونية في بريطانيا، وأمريكا خاصة، ويذهب النصف الآخر لشراء الأراضي العربية، والحيلولة دون شرائها، من قبل الصهيوينيين.
- 2 - إستخدام النفط كسلاح في محاربة الصهيونية، والدول المناصرة لها، ووقف ضخ النفط عن تلك الدول، إذا إستمرت في تحيزها للصهيونية. وقد أعتبرت غالبية أعضاء المجلس هذا الأقتراح خطوة متطرفة لا يمكن قبولها، وإتخذت قرارا بشطب كلمات الجمالي من محضر الأجتماع، الأمر الذي دفعه لأن يجيب بالقول: «لكم أن تشطبوا الكلمات ولكنكم لن تشطبوا الواقع. إن الحقائق ستفرض نفسها». وهكذا كان حيث أضطرت الدول العربية للأخذ برأي الجمالي بوقف النفط دفاعا عن فلسطين، وكيان الأمة العربية، ولكن بعد سبع وعشرين عاما».

ويستطرد صافية في حديثه عن الجمالي، منطلقا من موقف آخر إتخذه الجمالي متشبها في الحفاظ على فلسطين ووحدة شعبها وأرضها، فيقول:

«ويذكر للجمالي موقف آخر لا يقل جراءة وخطورة، فعندما تقدمت أمريكا بإيعاز من الرئيس ترومان في 29 نوفمبر عام 1947م، بإقتراح إلى هيئة الأمم يقضي بتقسيم

فلسطين؛ أثار الجمالي بشدة موضوع شرعية هذا الاقتراح، وصلاحيه هيئة الأمم، لاتخاذ قرار بتقسيم بلد دون موافقة سكانه الأصليين. وطالب بضرورة إستشارة محكمة العدل الدولية قبل الدخول في مناقشة الأمر. حضى إقتراح الجمالي بتأييد مندوبي الدول العربية والإسلامية ودول العالم الثالث، وأحدث إرباكا في الجانب الأمريكي، أدى إلى إستعمال الرئيس الأمريكي نفوذه الشخصي، لدى عدد من دول العالم الثالث، خاصة في أمريكا اللاتينية، لتمرير، هذا القرار بأكثرية ضئيلة»

ويختتم صافيه حديثه عن الجمالي قائلاً:

«هذه صورة من كفاح رجل مخلص لأمته، شاءت التناقضات العربية والدسائس الصهيونية والدولية، أن يتهم بالباطل».

الأستاذ عفيف صافية المفوض الفلسطيني العام لدى المملكة المتحدة⁽¹⁾.

وحين نقف عند كلمة إيفر نكتون، تتجلى امامنا صورتان، صورة فلسفية ذات أبعاد إنسانية، وصورة تقييمية ذات أبعاد إجتماعية، يقول في الأولى:

«لقد حمل الفقيه نظرة عالمية تكونت لديه بداية في مرحلة دراسته الجامعية، في الجامعة الأمريكية - بيروت في العشرينات. عندما كان الجمالي ينتقد أخطاء بلدك، كان نقده لاذعاً بل قاتلاً، ولكنه كان يقترن دائماً بالرفقة نحو كانسان... ربما كان أكثر من نصف العالم في الوقت الحاضر لا يهتم بالعدالة نحو الأشخاص الآخرين، أو البلاد الأخرى. وربما كان نصف العالم تقريباً يحارب في سبيل العدالة بروح الكراهية. وتبقى جماعة صغيرة هي التي تجاهد في سبيل العدالة دون مراعاة. تلك مزية من المزايا النادرة في هذا العالم، وكان الجمالي واحداً من أبرز المتصفين بها والممارسين لها».

ويقول في الثانية:

«من الحق أن ننظر إلى الوراثة لنحيط بحياة رجل غطت إنجازاته معظم هذا القرن. ولكنني أعتقد أن الجمالي، رجل التربية، يريد منا في هذه اللحظات، ان نفكر في أحفاده، وفي معاصريهم من مختلف انحاء العالم، وفي المستقبل الذي سيرثونه، في القرن القادم. إنه ترك لهم نموذجاً لأنسان عظيم عليهم ان يقتدوا به».

السيد بيتر إيفر نكتون (عضو حركة التسليح الخلقى - بريطانيا)⁽²⁾.

(1) ن . م ، ص 25 ، 26

(2) ن . م ، ص 33 ، 34.

ولعل ما صوره الدكتور الناهي في شخصية الجمالي لها وقفة صدق حين ناقش ببحث لتأبينه خير شهادة شبابية في جيل عاصر السياسة العراقية منذ بداية الدولة العراقية حين قال فيه:

«قبل ان خوض في مناقشة السيل الفكري عند الجمالي لا بد ان اشير انني عرفت هذا الرجل من على الصحف والمجلات الاكاديمية. وكان يتابني خوف اللقاء به حين يحضر مؤتمرا اكون فيه لولبا شاملا ويستوجب اللقاء بالمفكرين. كنت اهاب سعة فكره ونموذجه السياسي الاخلاقي. وحين شئت الظروف ان التقى به بناء على طلبه؛ عرفت فيه سمو الحب للوطن وشهامة التفكير لآبناء العراق وحرصه على الامة العربية وقضاياها المصيرية ومحذرا من المؤامرات التي تحاك ضد الاسلام. فهو بحق باني هيكله الدولة العراقية في السياسة التربوية والدبلوماسية الخارجية. وما فقدانه الا انطفاء لآخر مصباح نور فكري عراقي عربي مسلم نحس بالحاجة إليه في كل وقت وزمان».

الأستاذ الدكتور هيثم غالب الناهي (عميد معهد اكسفورد للعلوم والبحوث) (1)

نكتفي بها القدر من الأستشهادات لنخبة من الشخصيات، ويمكن، للقارئ الكريم أن يستزيد في معرفة هذه الشخصية، في عيون وعقول وضمائر عراقية وعربية وأجنبية، فليراجع الكتاب المشار إليه، والمقالات التي كتبت عنه في الصحف والمجلات العربية والاجنبية. حيث ورد فيها وقفة لهؤلاء الشخصيات ما بين كلمة وخطاب ودراسة، لعراقيين وعرب وأجانب، وإذ يدل ذلك هذا على شيء، فإنما يدل على ما كانت تتمتع به هذه الشيعة العراقية العربية العالمية، من مساحة تقييم متفرد قل من تمتع بها من نظرائه. ورغم إختلافنا الفكري والسياسي معه، في حقب النضال السلبي الذي خضناه في أربعينات وخمسينات القرن العشرين، إلا أننا لا نستطيع أن نطمس هذه الومضات المشرقة، في حياة رجل خدم بلاده وأمته والأنسانية، من خلال منطلقاته الخاصة به، والتي آمن بها، وعمل من اجلها، ومهما يكون أسلوب عمله وقناعاته، يبقى عنصر التجرد ونكران الذات، الصفة الغالبة المتحكمة فيه، وأظن أن أحدا لا يختلف معي، أن هاتين الصفتين إذا ما توفرتا بصدق في أي إنسان، مهما كانت توجهاته السياسية، فهما يشكلان قمة الوطنية والأخلاص.

4 - عبد الوهاب مرجان 1907 - 1964م (2).

أ - الدراسة: تخرج من كلية الحقوق العراقية عام 1933م.

(1) الناهي؛ هيثم غالب؛ الجمالي فكر في قضايا وقضايا في فكر؛ القدس العربي؛ ديسمبر 1997-12.

(2) بصري، م. س، ص 234، 235.

ب - الوظائف المهمة: ويمكن اجمالها بما يلي:

- 1 - عين حاكما للصلح في الصويرة عام 1938م.
 - 2 - إنتخب رئيسا لغرفة زراعة الحلة، في أيلول عام 1942م؛ ولم يكن إنتخابه رئيسا قد جاء من فراغ، فهو وعائلته أهل زراعة وتجارة وصناعة واسعة.
- ت - تمثيله في مجلس النواب ورئاسته له: وكانت كالآتي:

- 1 - إنتخب نائبا عن لواء الحلة في آذار عام 1947م. وتكرر إنتخابه في مجلس النواب لكل الدورات اللاحقة، في 21 حزيران عام 1948م، و24 كانون الثاني عام 1953م، و 26 تموز عام 1954م، و16 أيلول عام 1954م، و10 أيار عام 1958م.

- 2 - إنتخب رئيسا لمجلس النواب أكثر من مرة، كما في أول كانون الأول عام 1948م، وفي أول كانون الأول عام 1951م. وفي أول كانون الأول عام 1953م، وفي تموز عام 1954م، وفي أيلول عام 1954م، وفي أول كانون الأول عام 1957م، وفي أيار عام 1958م.

ث - أستوزر في وزارات مختلفة: منها

- 1 - وزارة الأقتصاد مرة واحدة، عام 1948م.
- 2 - وزارة المواصلات والأشغال للاعوام 1950م، و1953م، و1957م.
- 3 - وزارة المالية مرة واحدة، عام 1950م.
- 4 - وزارة الزراعة مرة واحدة عام 1954م.
- 5 - أصبح وكيلا لوزارة المالية مرة واحدة، عام 1950م، ووكيلا لوزارة الدفاع مرة واحدة عام 1958م.

ج - تأليف الوزارة: كلف بتأليف الوزارة وأصبح رئيسا للوزراء، مرة واحدة عام 1957م. وكان مرجان من المؤمنين بالعروبة والوحدة العربية، ورغم أن منهاج الوزارة لا يعني الكثير، في ظروف وأوضاع تحيط بالحكم، ولا يمكن تجاوزها، مهما أوتي رئيس الوزراء من قوة وصدق في التوجه، وذلك بسبب وجود المحاور والتكتلات، لكنك مع هذا تحس تجاه منهاج الوزارة المعلن من قبل مرجان، بنبرة الصدق المصحوب بالتفائل، والرغبة بالعمل بموجبه ونحاول هنا تثبيت مقطع من منهاجه الوزاري، الذي جاء منه:

«سادتي: إنني من المؤمنين بأن وحدة الصف العربي، وجمع كلمة العرب، ضرورة ملحة، لا سيما في مثل هذا الظرف العصيب، ولذلك فسوف لن أعمل على تنقية الجو

العربي فحسب، بل سأذهب إلى ابعده من ذلك في سبيل تحقيق أمانينا الوطنية. ولا شك إخواني إنكم مدركون نوايا إسرائيل التوسعية، على حساب البلاد العربية، فالواجب علينا أن نجتمع كلمتنا، ونوحد صفوفنا، ونكون على اهبة الاستعداد، ليس لمواجهة مفاجآت المستقبل فحسب، وإنما لإعادة حقوق إخواننا عرب فلسطين في فلسطين».

وحين يعقب مرجان على إستفسارات زملاءه المعقبين على هذا المقطع من الكلمة، تلمس أن لدى مرجان إعتداد بالنفس، وقناعة بالطرح، وتصميم على النهج، ويجسد ذلك ليس برده على زملاءه فحسب، بل وحتى بفعله، الذي إضطره في محصلة الأمر للاستقالة، حين إصطدم بما لا يمكن السكوت عليه، يقول مرجان:

«سادتي: تفضل أخوأي وصديقي الأستاذان معالي حسن عبد الرحمن، ومعالي صادق البصام، وقالوا: كيف تجمع الوزارة كل هذه الأهداف؟ وكيف يتهاى لها أو لرئيس الوزراء أن تجمع بين ميثاق بغداد، ومصالح العرب، وما إلى ذلك؟ ليكون معلوما أنه إذا تعارضت هذه المصالح مع مصالح العرب، فإنني أقدم مصالح العرب. أما السؤال الآخر الذي تفضل به معالي الأستاذ صادق البصام، عن الصلح مع إسرائيل، فأود أن أقول أن لا صلح مع إسرائيل».

ويأتي الموقف القومي العملي، الذي يؤدي إلى إستقالة مرجان؛ فحين قامت الوحدة الأندماجية بين مصر وسوريا، وقيام الجمهورية العربية المتحدة، فرغم القبول والتأييد المطلق من قبل الشارع العراقي بكل مستوياته، إلا أن الموقف الرسمي، وبالخصوص البلاط الممثل بعنجهية عبد الإله، كان موقفا غير وديا، حتى قيل ان عبد الإله أصيب بإنفجار بعينه، بمجرد سماعه الخبر. ورغم أن دول حلف بغداد بإستثناء العراق، ودولا عربية وإسلامية وأجنبية، قد إعترفت بهذه الدولة الجديدة، إلا أن الموقف العراقي الرسمي ظل محكوما بموقف البلاط، الذي أفزعته هذه الخطوة الجريئة، فعدا مقابلتها بالبحود، عمل على إقامة إتحاد التاجين الأردني والعراقي. ومع ذلك كان موقف قادة الجمهورية العربية المتحدة، من هذا الأتحاد موقفا وديا وصميميا، حيث قام الزعيم الخالد جمال عبد الناصر، عدا إبراقه بالتهنئة، أن إعترف بقيام دولة الأتحاد هذه، رغم أن العراق لم يهنئ ولم يعترف بالجمهورية العربية المتحدة. الأمر الذي جعل حكومة مرجان في موقف صعب للغاية لا يمكن السكوت عليه، بسبب موقف البلاط هذا. لذا إنبرى مرجان بإعداد برقية إعتراف بالجمهورية العربية المتحدة، وحاول إستحصال موافقة البلاط عليها، فتعذر عبد الإله بسفر الملك فيصل، وطلب ترك البرقية لديه ريثما يعود الملك، إلا أن الذي حصل هو تغيير ديباجة البرقية، بصورة مثيرة، من قبل عبد الإله دون الأعتراف بالجمهورية العربية المتحدة،

وأبرقها دون الرجوع إلى رئيس وزرائه، الأمر الذي وضع فيه الوزارة في حرج أكبر، ونتيجة لهذه المواقف غير الودية، قام عبد الناصر بمهاجمة موقف العراق غير الودي، مما زاد في تعقيدات الموقف. وردت النصوص وفحاوي المعلومات أعلاه بتصرف محدود وغير مخل من قبلنا في مراجع عديدة⁽¹⁾. ونقف هنا على حقيقة موقف مرجان من هذه الوحدة، من خلال رده على سؤال وجه إليه، حول رأيه في قيام الجمهورية العربية المتحدة، والمتفحص لهذا الرأي يدرك، إدراكا واعيا أن مرجان كان يحاول مراعاة موقف البلاط الحاسم من هذا الأمر، لكن حقيقة رده لمتفحصه بعناية، وما أعقبه من موقف حاسم، يدرك حقيقة أنه في صميم تأييد هذه الدولة الفتية، وبما ينسجم وطموحاته الوحدوية، يقول مرجان:

«كان العراق ولا يزال يعمل بوحى من اهداف الثورة العربية الكبرى، بقيادة المغفور له الملك حسين، وأنجاله، وأحفاده العظام، ويدعو إلى التعاون، فإتحاد، فوحدة بين الأقطار العربية، وكان من المتوقع أن يستطلع رأي العراق، والدول الشقيقة الأخرى، في موضوع الوحدة، التي اعلنت أخيرا بين مصر وسورية، غير أننا لم ننتلق شيئا رسميا عنه، على خلاف ما تقتضي به روابط الأخوة والتضامن العربي. إن أمر هذه الوحدة يخص الشعبين الشقيقين: المصري والسوري، واللذين نتهنى لهما التوفيق، غير انه كان من الضروري أن يعرف العراق مدى طبيعة هذا المشروع، ليستطيع تقدير نتائجه وتبعاته من جهة تحقيق الأهداف القومية، ومصالح العراق كجزء من الوطن العربي الكبير، وعضو في الجامعة العربية»⁽²⁾.

لم ينتهي الموقف عند هذا الحد، بل راح العراق يعد العدة لأفئال هذه الوحدة، عن طريق التآمر على الجمهورية الفتية، وقد بدا التعاون واضحا جدا بهذا الخصوص، بين نوري السعيد وعبد الأله. ويشير كنة إلى أن عبد الإله أصبح لا يطيق عبد الوهاب، لكنه تريت، ريشما يتم إنجاز الأتحاد بين العراق والأردن⁽³⁾. أما بخصوص موقف نوري السعيد من

(1) الحسيني، الوزارات، ج 10، ص 193 - 207. ورد فيها تفصيلات وافية جدا عن هذا الأتحاد. كنة، خليل، العراق أمسه وغده، ص 286.

E. Childers, Common sease about the Arab Word p138-139.

محضر جلسة دول ميثاق (بغداد)، المنقذة في 28 كانون الثاني عام 1958م.
جريدة الزمان البغدادية، العدد / 6165، الصادرة في تاريخ 7 شباط عام 1958م.
محاضر المحكمة العسكرية العليا الخاصة، ج 4، ص 1321.

(2) جريدة الزمان البغدادية، العدد/ 6165، الصادرة في تاريخ 7 شباط عام 1958م.

(3) كنة، م. س، ص 285.

مرجان، فيشير عبد الله بكر رئيس الديوان الملكي، أمام المحكمة الخاصة، أن مرجان، كان ضد رغبة السعيد في زج الجيش ضد سوريا، فأجبر مرجان بمحصلة الأمر على الإستقالة⁽¹⁾. وهكذا جاء موقف مرجان ترجمة حقيقية لموقفه القومي العملي، الذي أدى لأستقالته. وعلينا ان ندرك طبيعة اللعبة، فإن التوافق الحاصل بين عبد الإله ونوري السعيد، لم يأت من فراغ، وهو ليس حالة تناغم بين نهجين خاصين بهما فحسب، بل إنه جاء في صميم نهج السياسة الأستعمارية الصهيونية، التي لا تسمح بقيام مثل هذه الوحدة، النابعة من رحم الأمة. ودليلنا على ذلك، الرد على الوحدة والموجه من قبل المجلس الوزاري لحلف بغداد، الذي كان منعقدا في مدينة إسطنبول التركية، حين أعلنت الجمهورية العربية المتحدة. حين إقترح وزير خارجية بريطانيا، ما يلي:

أ - إقامة إتحاد بين العراق والأردن والسعودية، ليكون أحسن رد على هذه الحركة.

ب - تشجيع المقاومة السورية وبث الدعاية لهدم الوحدة والقيام بعمل عسكري لهدم هذه الوحدة إذا إقتضى الأمر⁽²⁾.

فبخصوص الفقرة الأولى فقد تم العمل بموجبها، رغم أن السعودية، أبدت تريثها في الدخول، إلا أن الأتحاد قام فعلا بين التاجين الأردني والعراقي. وحين يحدثنا الحسيني عن الشق الثاني، ينقل لنا الحديث الذي تم بينه وبين عبد الوهاب مرجان، بهذا الخصوص، حيث يقول مرجان للحسيني:

«لما رجع نوري باشا من إجتماع ميثاق بغداد الذي عقد في انقرة، إجتمع بي وبولي العهد الأمير عبد الإله، وبرئيس الديوان الملكي عبد الله بكر، وقال: إن سورية مقبلة على ثورات، وإن الواجب على العراق إسناد سورية، وإن ادى الأمر إلى تدخل الجيش العراقي فأجبتة إنني لا أرى من المصلحة زج جيش العراق في أحداث سورية الداخلية، وإن أية حكومة عراقية توعد إلى جيشها بالذهاب إلى سورية سينقلب عليها. فإستغرب نوري هذه المفاجأة وسألني قائلاً؛ من جاءك بهذا الخبر؟ فقلت له: إنه مدير الأمن العام بهجت العطية، فأنكر الباشا صحة ذلك»⁽³⁾.

إلا أن هناك من الأدلة والحديثات ما يؤيد ما ذهب إليه بهجت العطية، وما نقله مرجان، للمجتمعين، ولعل من أبرز تلك الأدلة التي قصمت ظهر البعير، قيام ثورة الرابع عشر من

(1) محاضر جلسات (محكمة الشعب)، ج 4، ص 1290.

(2) مقترحات ميثاق (بغداد) في تاريخ 28 كانون الثاني عام 1958م.

(3) الحسيني، الوزارات، ج 10، هامش / ص 206.

تموز عام 1958م، أما ابرز تلك الحثيات، فهي توافقات مصالح رؤوس أنظمة الحكم، المتمثلة في الثلاثي: شمعون رئيس جمهورية لبنان، وحسين ملك الأردن، وعبد الإله المتصرف بملك العراق، والسعيد عراب السياسة الغربية في المنطقة، وهو الأمر الذي فضح ابعاده تشايلدرز TICHAYLDARZ، بقوله:

«وتوصل نوري السعيد الذي كان على تفاهم وثيق مع الرئيس كميل شمعون، إلى قراره الذي قدر له أن يكون ميتا. وهو الدخول إلى سورية بقوة عسكرية، عن طريق الأردن، والقضاء على الوحدة مع مصر، والعمل على سحق الثورة في لبنان»⁽¹⁾.
 وحين يحدثنا الدرة عن عبد الوهاب مرجان يقول عنه:

«من وجهاء الحلة، ومن المحامين المبرزين فيها وعبد الوهاب شاب مخلص في وطنيته، وهو ولا شك يريد يعمل لرفعة بلده، وتقدمها، نظيف اليد واللسان، محبوب من عارفيه».

خالد الدرة⁽²⁾

أما الباحث بصري، فيقول عنه:

«كان مثال الطيبة وصفاء النفس ودمائة الخلق، تقلد ارفع مناصب الدولة، خلال عشرة أعوام، فلم يزد ذلك إلا تواضعا وسكونا».

مير بصري⁽³⁾

وهكذا طويت مواقف الوزارات الأربع المتقدمة، بإيجابياتها، وسلبياتها سواء فيما يخص المواقف الوطنية، أو الإسهامات في بناء الدولة العراقية الحديثة، أو المواقف القومية سواء الرائدة منها، أو السلبية غير المسؤولة أو الموجهة والمفروضة من جهات عليا، والتي تداخلت فيها المحاور والمناورات، ذات الأبعاد المتأثرة بالنهج الغربي الصهيوني. والتي لا قبل للرؤساء الأربعة لهم في تسييرها، أو التأثير في مجرياتها، إلا بحدود ربما تكون هامشية.

5 - محمد جعفر أبو التمن، 1881 - 1945م⁽⁴⁾

أ - الإنساب: ينتمي أبو التمن لعائلة عربية معروفة، تنتمي لقبيلة ربيعة.

(1) تشايلدرز، أرسكين، الحقيقة عن العالم العربي، ص 145

(2) مجلة الوادي البغدادي، لصاحبها: خالد الدرة.

(3) بصري، م . س، ص 235.

(4) راجع كتاب محمد جعفر أبو التمن، رسالة دكتوراه، للدكتور خالد التميمي.

ب - الدراسة: لم يحض أبو التمن بدراسة أكاديمية، إلا أنه حضى بدراسة دينية، حين تتلمذ على يد الملا شكر السلطان، مفتي الجعفرية. فتعلم أبو التمن العربية وعلوم القرآن، والسنة النبوية الشريفة، ونهج مدرسة أهل البيت، حتى أصبح من المتفهمين بالدين، وكان لدراسة أبو التمن الدينية، دافعا في تقليد المراجع العظام، ولم يقتصر تقليده على شخص واحد، بل ترك لنفسه حرية التنقل من مقلد لآخر، متى ما رأى أن الموجبات تستدعي ذلك. وقلد جده الذي بنى مسجدا وحسينية خاصة في بغداد، فبادر هو الآخر في تأسيس مدرسة خاصة للشيعة، عام 1908م⁽¹⁾.

ت - الوظائف المهنية: ولمكانته المرموقة عين عضوا في اللجنة التعليمية عام 1917م عن الشيعة، والتي أسست من قبل المحتلين البريطانيين⁽²⁾. وكانت عائلة أبو التمن من العوائل التي تمتهن التجارة والصناعة، لذا كان محمد جعفر من التجار المرموقين، والصناعيين المهتمين بالنسيج، والزيوت. وكان مفتونا في تأسيس النقابات، والاتحادات والجمعيات، والتعاونيات، ويعتبرها أجهزة رقابة ميدانية، لصالح العاملين، والمستهلكين والعملية الإنتاجية، ولدفع عجلة التطوير التجاري والصناعي والزراعي والمهني، لخدمة العملية الاقتصادية. وتعدى إهتمامه الزائد بالعمل النقابي، أن قام بتوجيه النصح للمحامين، كي يأسسوا نقابة خاصة بهم للدفاع عن حقوقهم ومصالحهم المشروعة. وكانت إلفاته هذه محركا مباشرا للكثير من أصحاب التعاونيات المختلفة، في هذا الاتجاه⁽³⁾.

ث - الوظائف الإدارية: تهيأ لأبو التمن، فرصة إدارية مهمة، حين أصبح نائبا لرئيس غرفة تجارة بغداد؛ 1929 - 1935م، فريسا لها 1935 - 1939م⁽⁴⁾. وقد عمل الكثير على

(1) د. الوردى، م. س، ج 3، ص 46.

(2) بيل، م. س، ص 106.

(3) د. التميمي، م. س، ص 248، 249. نقلا عن: -

Intelligence Report, 24 October, 1928, No. para. 506 In; F.O.371/13027/E5309/91/65.

Batatu, H, op,cit, pp.295-7.

Records of Leading personalities Confidential, 29 January, 1934, no.4, para 62.In; F.O.371/17864/E653/653/93.

Report by H.m. Government is the u.,; to the Council of the League of Nations 1920, p.27.

(4) البصري، م. س، ص 104؛ من أوراق جعفر أبو التمن، ص 64، المحفوظة في المركز الوطني للوثائق، بغداد.

تطويرها، وتوسيع أنشطتها، بما يؤدي إلى خدمة اعضائها، وتطوير أساليب العمل الحر والتجارة، وبما يؤدي لخدمة الأقتصاد الوطني، وكان أبو التمن يؤمن بالأقتصاد الحر غير المقيد، لأن عملية التقييد تصيب الأقتصاد بدرجة من الضمور والإنكفاء، في حين يعتقد ان الأقتصاد الحر المتوازن يؤدي إلى مساحة كبيرة من حرية التصرف والتنوع والتطوير، لخدمة القضية الأقتصادية في أطرها الخاصة والعامه.

ج - المهمات السياسية: كان لدراسته الدينية وإنتمائه العروبي، مؤثرا ودافعا مهما للعمل للعروبة والإسلام، ودون إغفال الجانب الوطني الذي أولاه إهتمامه السياسي الخاص، وقد مارس أبو التمن نشاطه السياسي، من خلال عدة قنوات تنظيمية، وكان له إهتمام مبكر في حزب الحرية والأئتلاف المؤسس أصلا في تركيا، والذي فتح له فرع في بغداد عام 1912م، كما كان من المؤسسين لحزب حرس الأستقلال العراقي عام 1919م، وكان له فيه أدورا متميزة، في مناهضة المحتلين البريطانيين، من أجل تحقيق الأستقلال الناجز، وإقامة الحكم الوطني العراقي بإرادة عراقية حقيقية.

ح - تأسيس الأحزاب: وبعد فاصل زمني من التصدي والمواجهة مع المحتلين البريطانيين، وبالتحديد في عام 1922م، أقدم أبو التمن على تأسيس الحزب الوطني العراقي، الذي أصبح رئيسه، طيلة فترة إنعقاده، التي تجاوزت العشر سنوات. وكانت له إهتمامات شديدة بجماعة الأهالي التي تأسست عام 1930م. وكان يتابع أفكارها وخطواتها، وكان مبهورا بها، الأمر الذي دفعه لتلبية رغبة القائمين عليها، حين راح يعمل في صفوفهم، وبالتالي ترأس منظماتها التي قامت بعد ذلك، مثل: جمعية مكافحة الأمية، حيث أصبح أبو التمن رئيسا لهيئتها الإدارية. وتم بعدها تأسيس حزب الشعبية السري، وأصبح أبو التمن رئيساً له⁽¹⁾. وهكذا تبوأ محمد جعفر أبو التمن، مكانة متميزة في عالم السياسة، وكان مسكونا فيها، ومن الضليعين بأبعادها ومضامينها، ومن المتمسكين بالعروبة والإسلام، منذ بدايات القرن العشرين، وحتى وفاته عام 1945م، وقد دفع من اجل ذلك الكثير، من سجن وإبعاد، وأضرار مادية كبيرة، عدا كونه كان رجل تجارة وصناعة وخبرة واسعة فيهما، ووظفها للصالح العام.

خ - المهمات الجهادية والسياسية: سبق أن إستعرضنا المهمات الجهادية لأبي التمن قبل وأثناء ثورة العشرين، كما إستعرضنا إهتماماته التنظيمية السياسية، في حرس الأستقلال

(1) د. التميمي، م. س، ص 340، 341. نقلا عن: - جريدة الأهالي البغدادية، العدد / 102.94، الصادرة في آذار - حزيران عام 1932م.

ومن ثمة الحزب الوطني العراقي . أما المهمات السياسية، فقد تبوأ أبو التمن مناصب سياسية مرموقة، الأولى حين أصبح وزيرا للتجارة، في وزارة عبد الرحمن النقيب الثانية، المؤلفة في 10 أيلول عام 1922م؛ آب عام 1922م⁽¹⁾، بدلا من عبد اللطيف المنديل، الذي إقيل من وزارته . وقد صدرت الإرادة الملكية المرقمة 102 والمؤرخة في 24 نيسان عام 1922م، بتعيين أبو التمن وزيرا للتجارة⁽²⁾.

كان هدف تعيين أبو التمن ضمان توقيع إتفاقية عام 1922م، مع البريطانيين، وهو ما يمكن أن يؤدي بنفس الوقت إلى إضعاف الحركة الوطنية من الاعتراض عليها، هكذا عشعش في أذهان البريطانيين، والمتعاونين معهم . . ولكن ! ولكن أنى يكون لهم ذلك والرجل الذي حاولوا إسكاته بهذا الثمن، شخص أكبر من أن يشتري بمنصب وجاه، فمثل محمد جعفر أبو التمن، شخص لم يقبل المهادنة والتهاون في حقوق شعبه . وحين عرضت المعاهدة العراقية - البريطانية لعام 1922م، كان أبو التمن قد إطلع عليها، فوجدها أكثر وطأة من صك الأنتداب، فما كان منه إلى تنفيذها والاعتراض على الكثير من بنودها، ورفض التوقيع عليها، ولما لم يكن بمقدوره لوحده تعطيل التوقيع عليها، أثر على الأستقالة في 26 حزيران عام 1922م، إحتجاجا على عقدها، ولم يمض على إستيزاره، سوى شهر ونيف من الأيام . وقد أضاف أبو التمن بهذا الموقف رصيذا جديدا، لرصيده السياسي الوطني الحر المستقل . وجاءت مسؤوليته الوطنية الثانية، حين عقد نوري السعيد مهندس المعاهدة العراقية - البريطانية عام 1930م، والتي جاءت بنودها كسابقتها، وليس من جديد لصالح حقوق الشعب، سوى التصرف في الألفاظ، وتناقل المواد، فعرى حقيقتها، وبين أضرارها، وحاول هو وحزبه، وبقية أطراف الحركة الوطنية المعارضة، مواجهتها والتصدي لها، إلا أنها مرتت كسابقتها . وكانت مسؤوليته الوطنية الثالثة في وزارة حكمت سليمان، 29 تشرين الأول عام 1936م؛ 17 آب عام 1937م، حين عين وزيرا للمالية، في وزارة الأنتقلاب العسكري الذي قام به بكر صدق⁽³⁾ . وحين نقف على منهج وزارة المالية، التي إضطلع بها أبو التمن، تشخص لنا الخطوط التالية، التي إستنبطها التميمي، من المنهج العام للوزارة، والتي أوردها الحسيني في وزاراته⁽⁴⁾ . أما الخطوط التي صاغها التميمي، فهي :

(1) ن . م ، العدد / 7 ، الصادرة في تشرين الثاني عام 1933م 109 - بصري ، م . س ، ص 61 .

(2) الحسيني، الوزارات، ج 1، ص 89 - 109 .

(3) ن . م ، ج 4، ص 220 - 320 .

(4) الحسيني، الوزارات، ج 4، 248، 249 .

- 1 - إعداد ملاك دائم من الموظفين بما يتفق وإحتياجات البلاد.
- 2 - تحسين الإدارة المالية، بحيث تتم جباية كافة عائدات الدولة دون ضياع في الوقت، أو، إثارة للشكاوي.
- 3 - تحسين الإدارة المالية، بحيث تتم جباية كافة عائدات الدولة دون ضياع في الوقت، أو، إثارة للشكاوي.
- 4 - توحيد نظام المراقبة المالية لضمان السيطرة الفعالة.
- 5 - إعداد برنامج عام لمشاريع رأسمالية، يكتمل كل منها في الوقت المحدد له.
- 6 - تعديل كافة القوانين المالية، التي لم تعد ملائمة، خاصة تلك التي تتعلق بالضرائب، وبصورة أخص ضريبة الدخل، لكي تصبح أكثر منطقية وإنصافاً؛ وإتخاذ الخطوات لإحلال نظام الأراضي، وبنظام مساحي، وإتخاذ إجراءات لتحسين تجارة العراق الداخلية والخارجية، لكي تتم موزنتها في حدود المستطاع.
- 7 - فتح معامل الغزل والحياكة، لتجهيز الجيش والشرطة والطلاب، بإحتياجاتهم من الملابس.
- 8 - توسيع المصرف الزراعي والصناعي، ليصبح قادراً على تولي المشروعات الزراعية الصناعية، ولتحسين نوعية المنتوجات العراقية.
- 9 - الإشراف على فعاليات المصارف والشركات والمؤسسات الإقتصادية الأخرى، وإدخال القوانين، لضمان تطوير موارد العراق، عن طريق توظيف أموال التامين في العراق.
- 10 - تسوية مسألة الأراضي الحكومية وفق مبادئ المساواة، والمصلحة العامة، وتقسيم الأراضي الحكومية، التي ما تزال غير مستثمرة، على الناس بطريقة تحفظ حقوق الأفراد⁽¹⁾.

وحين نقف على هذه الأهداف، نشعر لأول وهلة، وكأننا نتصفح برنامج حزبي وطني صميم، له أبعاد ومضامين كبيرة، لو كتب لها التنفيذ، لشكلت قفزة في تقدم البلد ورفقيه، ولنعكست آثاره على كل مفاصل الدولة العراقية، لما لها من علاقة عميقة ومتداخلة وتفصيلية معها... ولكن! ولكن أنى يكون ذلك، والمتربصون في الداخل والخارج، ليسوا قليلين، ومنهم من له تأثيرات مباشرة وغير مباشرة، في تحريك المواقف المضادة، وحين يتحدث التميمي عن ذلك يقول:

(1) د. التميمي، م. س، ص 400، 401.

«لقد كان لدى جعفر أبو التمن قناعات صادقة حول موضوع الشؤون المالية، الذي قدمه بحسن نية، غير أنه بقيت هنالك حقيقة أن الحكومة لم تكن منيعة أمام الإنتقادات والضغط، من قبل الأطراف الأخرى، في المجتمع العراقي»⁽¹⁾.

ورغم أن برنامج أبو التمن كان برنامجاً مالياً، إلا أنه ترك تأثيراً غير عادي على الموقف الدولي، وبالخصوص البريطاني، حيث توجس البريطانيون الخوف على المعاهدات، العراقية - البريطانية، من جهة وعلى الاتفاقيات الاقتصادية المعقودة معها من جهة أخرى، وبالتحديد إتفاقية السكك الحديدية. أما على الجانب المحلي، فقد كان البند الخاص بتوزيع الأراضي على الفلاحين، المضمن في منهج وزارة المالية، مدعاة لأستنكار الأقطاعيين، الذين راحوا يفسرونه بأنه جاء مستوحاً من الفكر الشيوعي ومذهبه الإقتصادي. ومهما يكن من أمر فقد حاول أبو التمن جاهداً تنفيذ ما يستطيع من برنامجه المتقدم، فبعد أن إستحصل موافقة مجلس النواب والملك، على الحصول على قرض أجنبي مقداره ثلاثة ملايين دينار، لتمشية برنامجه، تداخلت الأمور السياسية مع بعضها، ومن أطراف شتى منها مؤيدة، وأخرى مناورته، للتأثير على منهج السياسة المالية، سواء في الاتجاه السلبي أو الإيجابي. حتى أن بعض المواقف السياسية المعارضة، خلطت الأوراق كلها، مستغلة عدم إهتمام البرنامج العام للوزارة بالشؤون العربية، وبالتحديد موضوع (الوحدة العربية)، مما إنعكس ذلك سلباً على تنفيذ البرنامج المالي. وقد تناول ذلك باحثون ومؤرخون بشئ من التفصيل⁽²⁾. وذلك ومن أجل تحقيق برنامجه الطموح، حاول أبو التمن الحصول على القرض المطلوب، مع البريطانيين أولاً، بضمن عائدات النفط العراقية، لكنه فشل في إقناع شركات النفط، بإعطاء هكذا ضمان.

وإن طلب البريطانيين الضمان، وإمتناع شركات النفط بتقديم الضمان عن طريق وضع

(1) د. التميمي، م. س، ص 402.

(2) جريدة الأستقلال البغدادية، العدد / 6، الصادرة في تاريخ 6 تشرين ثاني عام 1936م.

أبو طيخ، محسن، المبادئ والرجال، ص 90.

Confidential Report, from Sir A. Clark Kear to Mr. A. Eden, 16 Novmber 1936, no545, para. 9.

In; F.O. 371/E7147/1419/9/20014.

كبة، م. س، ص 45.

جريدة المشى البغدادية، الصادرة في 12 تشرين الثاني عام 1936م.

Khadduri, M Independent Iraq, op. cit, pp97 - 98. 108.

C.I.D. Report, File No. 7/15/3. In: N.A.I. New Delhi.

شروط قاسية وتعجيزية، من أجل إصدار القرض، له أبعاد اقتصادية غير منظورة، الهدف المركزي منها هو أن لا يعطى العراق فرصة القيام بتنفيذ برنامجه الإستثماري الطموح، الذي وضعته وزارة المالية. آخذين بنظر الاعتبار أن مثل هكذا برنامج سيؤدي في محصلة الأمر إلى التأثير على المعادلات الاقتصادية الإستهلاكية، التي تتمتع بريطانيا فيها بحصة الأسد، في السوق العراقية. فبريطانيا كانت مصرة على بقاء العراق مستهلكا، وليس منتجا، لتحقيق عن طريق ذلك أقصى ما يمكن من الأرباح، على حساب الخزينة العراقية، والمستهلك العراقي، وتطوير الخبرة العراقية. وخين حاول أن يحصل أبو التمن من الألمان على قرض بشروط مناسبة، بعد أن أجرى محادثات مع وزير الاقتصاد الألماني البروفيسور شاخت Schacht. إلا أنه فشل أن يكسر الطوق البريطاني. فأضطر بمحصلة الأمر الحصول على قرض من شركة بيرنك إخوان الأنكليزية، كأسهم مالية، بقيمة مليون جنيه إنكليزي، وبيعها في الأسواق⁽¹⁾، ولم تكن شروطها ميسرة... ولكن! ولكن ما حيلة المضطر إلا ركوبها. وحتى يستطيع أبو التمن أن ينفذ ما عزم عليه، حاول تغطية ذلك بسن اللوائح والأجراءات القانونية، المؤيدة من قبل مجلس النواب، والمقرونة بالموافقة الملكية، وقد إصطدم أبو التمن بمعوقات غير عادية، فرغم أنه إستطاع إنتزاع موافقة البرلمان بصعوبة، على لائحته المقدمة، بخصوص، تطوير الحياة الريفية، وتحرير الفلاحين من ربة الإقطاع والاستغلال، عن طريق توزيع الأراضي على الفلاحين، وبناء القرى العصرية لهم، وإقامة الجمعيات التعاونية. إلا أن أبو التمن فشل في إستحصال موافقة مجلس النواب على اللائحة الخاصة بضرية الدخل والأرث، الذي رفض قبولها. وزاد في الأمور تعقيدا كثرة تدخلات بكر صدقي رئيس الأركان، في شؤون الوزارة، ومناوراته مع رئيس الوزراء حكمت سليمان في مسارات كثيرة، وجاء قيام الجيش بتلك العملية العسكرية القمعية البشعة، لعشائر الفرات الأوسط، القشة التي قصفت ظهر البعير، لتضع حدا لسكوت أبو التمن، وكان قراره بالاستقالة هو الرد الأنسب، على تلك الأوضاع الشاذة، والمواقف غير المسؤولة. بعد أن أزره وشاركه في الإستقالته ثلاثة وزراء آخرين، من بينهم محمد صالح جبر. وهكذا طوى أبو التمن صفحته السياسية، عبر مواقف وطنية، غير عادية، وكانت المواقف الثلاثة المتقدمة، إضافة لمواقفه الجهادية التي سبق الإشارة إليها، وبالخصوص أبان الصراع مع المحتلين البريطانيين، والتي توجت بثورة العشرين المجيدة، خاتمة لحياة سياسية وجهادية، طرزت بالفخر والأعتزاز.

(1) د. التميمي، م. س، ص 415 - 418.

6 - الشيخ محمد مهدي كبة 1900 - 1984م،

أ - الأنتساب: ينتمي الشيخ محمد مهدي كبة إلى عائلة جمعت المجد من اصوله قبل فروعها، فهو ينتمي لعائلة (آل كبة)، وهي من العوائل البغدادية القديمة والمرموقة والكبيرة العدد، وتتسبب العائلة لإمارة ربيعة العربية الضاربة في عمق التاريخ، وهم من فرع (بجيلة)، وكانت عائلة كبة على ثراء كبير، فهم أهل تجارة وملك.

ب - الدراسة: كانت ولادة محمد مهدي كبة، في مدينة سامراء، المدينة العربية الشامخة، وكان سبب ولادته في هذه المدينة وهو من عائلة بغدادية أصيلة، أن والده محمد حسن، كان يدرس في حوزة رئيس أساطين المراجع العظام، السيد محمد حسن الشيرازي، (صاحب فتوى ثورة التتباك في إيران المعروفة)، والتي إقترنت بإسمه. ورغم أن محمد مهدي قد دخل المدرسة الحكومية للدراسة فيها، إلا أنه ولكون والده من الميسورين مادياً، فقد تتلمذ على أيدي أساتذة متخصصين، في علوم القرآن واللغة العربية. وحين إنتقل والده والعائلة لمدينة الكاظمية، عام 1918م، إنضم محمد مهدي إلى مدرسة الإمام المجاهد محمد مهدي الخالصي الكبير، لأكمال ما بدأه من دراسة، وأثناء ذلك توطدت علاقته وهو بهذه السن المبكرة، لكونه شخصية مرموقة ومن عائلة كريمة، مع الإمام الخالصي الكبير، ونجله المجاهد محمد الخالصي. وهكذا شأن الكثيرين من أبناء العوائل المرموقة، كان لهم نصيب كبير، في الدراسة الخاصة والعامية، في تلك الظروف الصعبة، فترى محمد مهدي على مكارم الخلاق، ونال قسطاً لا يستهان به من التفقه في الدين، وهو ما إنعكس إيجابياً على حياته الإجتماعية والسياسية، عبر مشوارها، الذي إمتد لأكثر من ثمان عقود من الزمن.

ت - الوظائف الإدارية: في أواخر حياته العامرة بالعطاء والتضحية، من اجل الوطن والشعب، ولكفافة المادي، رغم ان عائلته وبالخصوص أبوه وجدته، كانوا ميسورين جداً، إلا أن بذلهم وعطائهم، وإنشغالهم بالعلم بدل التجارة التي كانت الأسرة تتعاطاها، لجئت محمد مهدي كبة، إلى الوظيفة الإدارية، كمدير لمحلج للأقطان، براتب شهري، لم يتجاوز المئة دينار عراقي⁽¹⁾.

ث - المهمات الجهادية: لقد عاش كبة حقبة الأعمال الجهادية منذ إنطلاقاتها الأولى، بدايات القرن العشرين، والتي إنحصرت بين إحتلالين بفرته المتداخلة، الأحتلال

(1) رسالة الأستاذ عبد الستار علي الحسين، لنا عن الشيخ محمد مهدي كبة. والحسين من القوميين العربيين، والأستقلاليين القدماء، وأصبح وزيراً للنقط في العهد الرئيس عبد الرحمن عارف.

العثماني، حيث إنتفاضة النجف عام 1915م، وإنتفاضة كربلاء عام 1915م، وإنتفاضة الكوت عام 1916م، وإنتفاضتي الحلة عامي 1915م، 1916م، ضد المحتلين الأتراك. والإحتلال البريطاني، حيث معركة المزيرية، فالروطة، فالشعبية عام 1914-1915م، وإنتفاضة النجف عام 1918م، وثورة العشرين، ضد المحتلين البريطانيين. ورغم تأثره بتلك الوقائع الحديثة، ضد المحتلين العثمانيين والبريطانيين، إلا أن الشيخ كبة كان مسكونا بثورة العشرين، لأنها بالنسبة له تشكل أول عمل جهادي، فهو قبل قيامها ولوجوده في الكاظمية، ولعلاقته بالعائلة الخالصة المجاهدة، التي كان يقف على رأسها المجاهد الإمام محمد الخالصي الكبير، كان الشيخ كبة يقوم هو وثلة من الشباب في تكثير فتاوي العلماء، الداعية إلى المطالبة بالأسقلال الناجز، وقيام الدولة العربية المسلمة بإرادة عراقية حرة مستقلة، وكان الشيخ كبة ينشط في توزيع تلك الفتاوى، في مناطق مختلفة، لتثوير الجماهير، ولتهيأتهم ليوم عظيم.

ج - المهتمات السياسية: كانت حياة المترجم له حافلة بالعمل والمهمات السياسية، كونها تعايشت مع أحداث سياسية، غير عادية، أسوة برفيق دربه محمد جعفر أبو التمن. كانت أولى خطواته في العمل السياسي المنظم، إتمائه لحزب محمد جعفر أبو التمن، عام 1922م، الحزب الوطني العراقي، وسرعان ما كلفه أبو التمن وبالتعاون مع عبد الحسين الأزري، بفتح فرع للحزب في الكاظمية، لكن ذلك لم يحصل بسبب غلق الحزب من قبل السلطات البريطانية، وإبعاد رئيسه أبو التمن إلى جزيرة هنجام، لأصرار أبو التمن على عدم القبول بالمعاهدة العراقية - البريطانية، عام 1922م، لأنها جاءت أكثر وطأة وضررا من صك الأنتداب، هذا الأنتداب الذي كان مرفوضا أساسا، من قبل الحركة العلمائبة والعشائرية والسياسية الأستقلالية، والذي كان من اهم أسباب قيام ثورة العشرين. بعدها إنتقل كبة إلى عرين عائلته في بغداد عام 1924م، وهناك بدأ مرحلة جديدة ومختلفة عما سبق، ففي عام 1928م، أسس هو ومجموعة من صحبه حزب الجمعية الوطنية، لكنه وأصحابه راجعوا أبو التمن وأقنعوه بضرورة العودة للعمل الحزبي، وتم إندماج حزبهم بالحزب الوطني العراقي، الذي رأسه أبو التمن، وأصبح الشيخ كبة، عضوا في هيئته التنفيذية. وكان من أهم الأحداث التي مر بها هذا الحزب بعد الأندماج، هو المعاهدة العراقية - البريطانية، عام 1930م، وحين تم تجميد الحزب الوطني العراقي، من قبل قيادته، وحين بدأت في منتصف الثلاثينات الأفكار الأجنبية تغزو الجيل، إنبرى الشيخ كبة مع كوكبة من القوميين العروبيين، بتأسيس (نادي المثى بن حارثة الشيباني) عام 1935م، وما أن جاء عام 1946م، قام الشيخ كبة

وكوكبة من نادي المثى الذي إستولت عليه المخابرات البريطانية، وحولته إلى نادي الحرية، إلى تأسيس حزب الأستقلال، وقد سبق أن تناولنا بالحديث المفصل كل هذه الموضوعات في الفصل الأول / المبحث الأول / الباب الثامن. إلا أن الشيخ محمد مهدي كبة، كان قد تبوأ منصباً وزارياً مهماً، في ظروف وطنية وقومية دقيقة وحساسة، أملت عليه قبول الوزارة، كي يكون في صميم الأحداث كما هو شأنه دائماً... ولكن! ولكن هذه المرة من خلال السلطة والحكم، حين أصبح وزيراً للتموين، في وزارة السيد محمد الصدر 29 كانون الثاني عام 1948م - 26 حزيران عام 1946م⁽¹⁾. كانت مهمات الشيخ كبة، مهمات غير عادية، في ظروف هي الأخرى غير عادية، حيث للتو والعراق خرج من واحدة من أكبر إنتفاضاته نهاية النصف الأول من القرن العشرين، وثبة كانون عام 1948م، هذه الوثبة التي ترتب عليها إستحقاقات غير عادية، لا بد للشيخ كبة الأضطلاع بمعالجتها، من خلال هذه الوزارة، التي إشتراط كبة للدخول فيها، أن تعالج إفرازات تلك الأستحقاقات. وكانت مهمة معقدة وصعبة. وقد تم للشيخ كبة كل ما أرادته هو والحركة السياسية المعارضة. وهو ما تقدم الحديث فيه بالتفصيل في المبحث المشار إليه أعلاه لقد كان للشيخ كبة أدواراً غاية في الأهمية، تخصص معالجات الأمور ذات العلاقة بوزارته، وزارة التموين، وهي وزارة مهمة وذات طبيعة أعمال ومسؤوليات لها علاقة مباشرة بحاجات الناس المعاشية، في تلك الظروف الصعبة، ومن تلك المعالجات:

1 - تشذيب الهيكلية الوظيفية في الوزارة: حيث حساسية طبيعة أعمال هذه الوزارة، وإمكانية التلاعب والرشوة فيها، فإن الشيخ كبة بادر وأول ما بادر، هو تشذيب هيكلية وزارته من العناصر الفاسدة، ومنهم من كان في مناصب رفيعة، ليقطع الطريق على المنتفعين بالمال الحرام، سواء من المستفيدين الخارجيين، من أصحاب المصالح، أو الموظفين ضعاف الذمة والنفوس. ورغم أن مثل هذا الأمر ليس بالمستحيل، إلا أنه في مضمار التطبيق يعتبر السهل الممتنع كون أن الموظفين الكبار مدعومون من قبل البلاط ونوري السعيد. إلا أن الواجب الوطني لدى الشيخ كبة كان أكبر من أن يؤثر عليه بهذا الاتجاه أو ذاك، حتى أن الشيخ كبة لم يلتفت لنصيحة أرشد العمري، القريب جداً من البلاط، حين نصحه، بأخذ موافقة الوصي على التغييرات المزمع إتخاذها من قبل

(1) الحسنی، الوزارات، ج 7، ص 282.

بصري، م . س، ص 111.

الشيخ كبة، لكن كبة رفض ذلك، ونفذ ما زأه مناسباً للمصلحة الوطنية⁽¹⁾.

2 - إتخاذ الخطوات العملية لتوفير المواد الاستهلاكية: عمل الشيخ كبة على توفير المواد الأساسية، وبالخصوص السكر، حيث كسر لأول مرة في تاريخ العراق طوق الاستيراد من بريطانيا فقط، بل استطاع الحصول على أسعار منافسة من بولونيا، وقد استطاع الشيخ كبة بهذه الحركة ضمن الاستقلال الاقتصادي، توفير عشرات الآلاف من العملة الصعبة. كما ضمن إنسياب الحنطة والرز في الأسواق المحلية، بصورة مستمرة، لسد حاجة الناس.

3 - تغيير توزيع الحصص الاستيرادية: عمل الشيخ كبة على تغيير الخطة الاستيرادية لأول مرة في تاريخ هذه الوزارة، والتي كانت تمنح لفئة محدودة من العراقيين، وكانت أهم الحصص وأكبرها من نصيب اليهود فقط، مما كان ذلك يؤدي إلى خلق تفاوت طبقي في المجتمع العراقي، وكان سبيله إلى ذلك هو تخفيض 75٪ من حصص بعضهم، وتوزيعها على العراقيين المستحقين، وبذلك عمد تفتيت الرأسمالية وإضعافها، عن طريق خلق فئة برجوازية وطنية غير مستغلة.

4 - الموقف من الأموال المحجوزة في الكمارك: وضعت الكمارك يدها على كمية كبيرة من الأقمشة الصوفية المستوردة، لمخالفتها مواصفات إجازة الاستيراد، وكان معظم البضاعة المخالفة تعود لتجار يهود، وكان أحد التجار اليهود جاراً للشيخ كبة، فزار اليهودي الشيخ كبة في بيته، وعرض عليه هذه المشكلة، مضيفاً أن التجار جمعوا مبلغاً كبيراً من المال، لتوكيل أحد المحامين المعروفين، وقد رأيت أن اعرض عليك الموضوع فقال الشيخ كبة وماذا عن المال الذي جمعه، رد هذا الجار البائس: هو تحت أمركم وتصرفكم، توجهونه إلى أية جهة ترونها، عندها تملك الشيخ كبة الغضب والاستنكار لهذا التجاسر، فطرد اليهودي من داره شر طردة، بعد أن حملة واليهود معه، مسؤولية إفساد ذمم رجال الدولة والموظفين بالرشاوي والأعطيات التي تضعف أمامها النفوس غير المحصنة. ولم تنته هذه القضية عند هذا الحد، بل كان لها ذبول ظلت متفاعلة، لما للأخطبوط اليهودي الصهيوني، من تداخلات مريبة. عدا ذلك هناك الكثير من الصور ذات العلاقة بهذه الوزارة، إضافة لأحداث أخرى وطنية وقومية، كان للشيخ كبة تأثيره فيها، وتأثره بها، عبر مسيرته الطويلة وهو يعمل للعروبة والإسلام، وهي وإن إنتهت على مستوى السلطة والحكم، حين إستقال الشيخ كبة من

(1) كبة، م. س، ص 244.

عضوية (مجلس السيادة) الذي قام بعد ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م، لعجزه عن رأب الصدع الوطني، وللظروف الاستثنائية التي سادت العمل الوطني السياسي، في تلك الفترة الدقيقة من عمر العراق الجمهوري.

وحين نقف على تقييم هذه الشخصية الوطنية والقومية والإسلامية، من قبل نخبة من العراقيين، ممن واكبوا هذه الشخصية، أو عملوا معها، أو عاصروها، ومن مختلف الاتجاهات، ترتسم أمامنا صورة رائعة قلما نجد لها في غيره، ومما قيل فيه انه:

«عنوان الطهر . . . وعاش عيشة الكفاف»

عبد الستار علي الحسين⁽¹⁾.

«لقد كان من الملتزمين إلتزاماً دقيقاً بالفرائض الشرعية»

شكري صالح زكي⁽²⁾.

«فهو من الرجال الأفاضل الذين يندر أن وجود الزمان بمثل نزاهته، وخلقه»

أحمد هادي الجبوبي⁽³⁾.

«رجلا وطنيا، مخلصا، ومستقيما، عمل بتجرد ونزاهة وجرأة»

محمد حديد⁽⁴⁾.

«كل الناس تعلم أنه كان يعمل صادقا ومخلصا لوجه الله ولوطنه»

ناجي طالب⁽⁵⁾.

«لقد كان مفكراً سياسياً صادقاً أحب الوطن والعروبة والإسلام وجاهد من أجل عراق حر

باخلاص وشهامة فذة»

غالب الناهي⁽⁶⁾.

(1) من رسالته إلينا في عام 1995م. وهو وزير نفط أسبق، في عهد الحكم العارفي الجمهوري الأول.

(2) من رسالته إلينا في عام 1996م. وهو وزير إقتصاد، ووزير مالية أسبق في عهد العارفين.

(3) من رسالته إلينا في عام 1997م. وهو وزير بلديات، ووزير عمل أسبق، في عهد العارفين.

(4) من رسالته إلينا في عام 1996م. وهو وزير تموين في العهد الملكي، ووزير مالية أسبق في العهد

القاسمي الجمهوري.

(5) من رسالته إلينا في عام 1994م. وهو أحد الضبط الأحرار لثورة تموز، ووزير في العهد القاسمي

الجمهوري، ووزير خارجية أسبق، ورئيس وزراء أسبق، في عهد العارفين.

(6) من رسالته إلينا في عام 1995م. وهو أمين سر حزب الاستقلال في المنطقة الجنوبية؛ العراق ومن

مؤسسه في البصرة؛ وكاتب ومؤرخ وشاعر واديب.

«وهو من مفاخر العناصر النظيفة، المخلصة للعراق، وللعروبة، والإسلام»

محمد فاضل الجمالي⁽¹⁾.

«متواضع صادق مؤمن بدينه الإسلام»

عبد الوهاب الأمين⁽²⁾.

وهكذا طوى الشيخ محمد مهدي كبة، هذه المسيرة من العمل السياسي المعارض، أو ضمن سلطة الحكم، إلى أن إستقال من عضوية مجلس السيادة عام 1959م، فأثر في محصلة الأمر عن التوقف عن العمل الحزبي والسياسي، منذ عام 1960م، لكنه تحول إلى مراقب يرصد الظواهر الجديدة، التي إكتنفت المسيرة السياسية بعد هذا التاريخ، وظلت تلك الظواهر تتطور وتأخذ أبعاداً مختلفة، أدت بمحصلة الأمر بأن تحول الحكم إلى حكم فردي تسلطي، ومن ثمة إلى حكم دكتاتوري، تم فيه إلغاء حكم المؤسسات، الذي كان سائداً (نسبياً) في العهد الملكي. وراحت معاناة الشيخ الجليل تتعمق يوماً بعد آخر، حتى أتت على صحته، فنال شهادة العروبة والإسلام، التي آمن بهما، وعمل من أجلهما الكثير، عبر سني عمره الطويل⁽³⁾.

المبحث الثاني: الشيعة والخطاب السياسي، ما له وما عليه:

حتى يمكن للشيعة أن تتوصل للخطاب السياسي المطلوب، وعطفاً على كل ما إستعرضناه من حلقات في هذه الدراسة، لا بد أن نستمد قناعاتنا من الواقع العراقي المعاش، وليس بمعزل عنه أولاً. آخذين بنظر الاعتبار ما إستعرضناه من أبعاد ومضامين الإهتمامات العربية والأقليمية والدولية ثانياً.

ومما يساعد على إمكانية الخلاص، أن شعب العراق على مستوى كل مكوناته، ما زال يمتلك رصيذاً ضخماً من المعطيات الرائدة في العلاقات فيما بين مكوناته، وهو ما أثبتته الأحداث الوطنية والقومية، وهو ما يمكن من خلالها تحقيق هذا الهدف المركزي. ونقف

(1) من رسالته إلينا في عام 1995م. وهو وزير خارجية أسبق للعراق ثمان مرات، ورئيس للوزراء مرتان، في العهد الملكي.

(2) من رسالته إلينا في عام 1995م. وهو من الضباط الأحرار لثورة تموز، ووزير العمل والشؤون الإجتماعية أسبق، في العهد القاسمي الجمهوري.

(3) راجع كتابنا الموسوم ب: الشيخ محمد مهدي كبة في ميزان المواقف المبدئية والأخلاقية. مطبوع على الآلة الكاتبة. لما ورد فيه من تفصيلات ضافية عن هذه الشخصية الوطنية القومية الفذة.

هنا على هذه الحقيقة الساطعة وهي أن مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية عبر نفحات التاريخ، وتواصلها عبر فاصلها الزمني في هذه الدراسة، متوجة بثورة العشرين، ومتواصلة عبر أحداث الأمة حتى قيام ثورة الرابع عشر من تموز عام 1958م، أثبتت بكل المقاييس عراقيتها وعروبته وإسلاميتها، لأنها إعتمدت على ثوابت وطنية وقومية وإسلامية واضحة، وحكمت المسألة المبدئية والأخلاقية في مسيرتها ونهجها، ولم تنطلق من فهم طائفي أو حس عنصري، إنما إنطلقت بكل مسؤولية، من فهم وحس إنسانيين صميمين، غير مبالية بالتضحيات الجسام التي قدمتها، من أجل حقوق شعب ومصير وطن، تكالبت عليهما قوى العدوان المختلفة، كل له ظلمه وظلامه. ولعل خير من ترجم حقائق مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، وأدق من شخص نهجها، وحدد ملامحها، وعبر عن حقيقة فكرها، في ضوء مسيرة الأحداث بين عام 1914 - 1958م، ولا زال، هو هذا التشخيص الذي يقول:

«إن الشيعة العرب كانوا أول من تقبل ودافع عن الأفكار الداعية إلى التجديد والقومية العربية، لكونهم عرباً رفضوا الإندماج بالفرس من ناحية، وبمضطهديهم الأتراك من ناحية أخرى، ولكونهم من الجهة الأخرى شيعة، كانوا ناقلين على الحكم الطائفي والأستبدادي العثمانيين، ولكنهم في الوقت نفسه لم يكن بوسعهم التخلي عن الإسلام، أو القبول بمحاكاة الغرب. لقد كان من المنطقي بالنسبة لهم، أن يتطلعوا إلى حكم دستوري، وكيان قومي عربي»⁽¹⁾.

في هذا التحليل المتطابق مع الواقع، وعلى هذا المستوى من الاعتراف الصريح من رجل كان جده وأبوه متأثران بامتدادات المدرسة العثمانية، ذات النهج الطائفي والعنصري، والتي تأثرت بها مدرسة العهد الملكي، وكان فيها أبوه وزيراً. أما هو فكان متأثراً بامتدادات المدرسة العراقية الحديثة، المتطابق نهجها مع نهج المدرسة العثمانية، من ناحية الممارسات الطائفية والأثنية، والتي مثلتها مدرسة العهد الجمهوري والتي حظي بها الباحث بالرعاية، وبخاصة من النظام البعثي. ولكن والحق يقال أن هذا الباحث كان أميناً في تحليله فيما يخص حقيقة وطبيعة الوجود الشيعي العربي في العراق، فإستحق على موقفه هذا، الشناء والتقدير، في مقياس التقييم المنصف المتجرد. وكم الحاجة ملحة لمثل هذه الوقفات الشجاعة، كي نجلي من خلالها غبار السنين عما لحق بالشيعة العرب، من حيف، وعزل، وإفتراءات مرفوضة، وممارسات ممجوجة. وإن جالة متقدمة من الاعتراف المتجرد والصدق مع النفس والأمانة في النقل، سيمكن من بناء مواقف أكثر نضجاً وأقرب واقعية وأعمق تأثيراً، لإزالة

(1) نظمي، م. س، ص 74.

مخلفات الماضي وآثاره، لبناء عراق جديد تصان فيه حقوق كل مكونات الشعب. ففي ضوء ما ذهب إليه الباحث من تحليل نظرح السؤال التالي: كم من الآخرين غير الشيعة العرب، كانوا على هذا المستوى الذي تحدث عنهم الباحث؟ إن الواقع المعاش ليحدثنا عن أن غالبية نخبتا المدرستين القديمة والحديثة، من سلطة الحكم، كانوا تماما على عكس ما كانت عليه غالبية نخبة مدرسة الشيعة العرب، من زاوية أن غالبية نخبتا المدرستين من سلطة الحكم، قد تأثروا بالفهم الطائفي والعنصري العثمانيين، كما تأثروا بالحالة الولاية للمحتلين البريطانيين بدءا، إضافة لمحاكاة الغرب لاحقا، في حين أن غالبية نخبة مدرسة الشيعة العرب، بعد أن عملوا بكل صدق وإنقطاع للعروبة والإسلام، رفضوا الأندماج بالحالة الفارسية، بنفس المستوى الذي رفضوا فيه النهج العثماني، وكانوا في الضد من محاكاة الغرب.

وفي ضوء ذلك جسد الشيعة العرب حالة الرفض الطائفي والعنصري، في نهجهم السياسي، إضافة لرفضهم التعاون مع المحتلين الأنكليز، والوقوف بوجه محاكاة الغرب. فأثبتت مدرسة الشيعة العرب في ضوء ذلك، أنها تمثل بحق وعن جدارة الحالة الوطنية والقومية والإسلامية، بأصدق صورها. ووقفه إنصاف للحقيقة والتاريخ عن الإنتساب للعروبة والإسلام: فقد أثبت الواقع العراقي المعاش أن مسيرة الفكر السياسي الشيعي، كانت أقرب للحالة القومية العروبية الأصيلة والأسلامية الوطنية، منها من النماذج الأخرى، ضمن الحدث القطري والعربي، سواء كان ذلك على مستوى تفاعل المؤسسة الدينية في المدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمية وسامراء، أو إنتساب المؤسسة العشائرية في منطقة الفرات الأوسط، أو إندفاع الحركة السياسية الوطنية، التي مثلتها نخبة الطائفة من وجهاء ومثقفين، عبر المسيرة السياسية. ولذا كان موقف النهج السياسي الشيعي، منذ وطئت أقدام المحتلين الأنكليز أرض الوطن، أعمق قربا وأصدق تمثيلا للوجه الناصع للمفهوم القومي العروبي الأصيل والمفهوم الإسلامي الوطني، عبر أحداث الأمة المنصرمة خلال هذا القرن. وإن أي محاولة تشويه من بعض رموز المدرستين سواء القديمة أو الحديثة لهذه الحقيقة، إنما هو إفتراء وتجني على الحقيقة والواقع المعاش.

وعطفا على ماتقدم نشير إلى أن النخبة من الشيعة العرب، هم أول من جسد هذه الحقائق، وهذا النهج في إطار التطبيق والممارسة، ولم يقتصر هذا الأمر على الأوائل، بل إمتد نحو أجيال أخرى، فتحقق التواصل بين حلقات الأوائل وحلقات المتأخرين، فشكل هذا التواصل نسيجاً متفرداً في العمل المثمر الهادف، وظلت ديناميكية التحرك متقاداة للظروف والمستجدات التي تحيط بالأمة صعوداً ونزولاً. ولا أدل على ذلك من إستعراض بعضاً من نخب الشيعة العرب، ممن تنطبق عليهم حقيقة ما ذهب إليه الباحث أعلاه، من

توصيف دقيق لحقيقة الشيعة العرب. ومن هؤلاء على سبيل المثال لالحصر ثلاث شرائح مهمة يمكن ادرجها كما يلي:

الشريعة الأولى:

نخبة من المجتهدين والعلماء ورجال الدين العرب العراقيين من المؤسسة الدينية الشيعية مثل: محمد سعيد الحبوبي (السيد المجتهد)، ومحمد مهدي الحيدري (السيد المجتهد) ومحسن الحكيم (السيد المرجع الديني الكبير)، وعبد الكريم الجزائري (الشيخ المجتهد)، ومهدي الخالصي (الشيخ المرجع الكبير)، وهبة الدين الشهرستاني (السيد المجتهد)، ومحمد حسين كاشف الغطاء (الشيخ المرجع الديني الكبير)، ومحمد علي بحر العلوم (السيد المجتهد)، ومحمد جواد الجزائري (السيد المجتهد)، ومحمد الخالصي (الشيخ المجتهد) ومحمد باقر الصدر (السيد المفكر الإسلامي الكبير)، داود أبو التمن (الحاج المتفقه في الدين - جد محمد جعفر أبو التمن). وعشرات غيرهم، ومئات من اللاحقين والمتأخرين.

الشريعة الثانية:

نخبة سادات ورؤساء عشائر منطقة الفرات الأوسط والجنوب مثل: نور الياسري (السيد الوجيه)، ومحسن أبو طيبخ (السيد الوجيه)، ومحمد علي زوين (السيد الوجيه)، وعلوان الياسري (السيد الوجيه)، وهادي زوين (السيد الوجيه)، وعبد المهدي المنتفجي (السيد الوجيه)، وحسون محمد الناهي (شيخ عشيرة)، وعبد الواحد الحاج سكر (الزعيم العشائري الكبير)، وشعلان أبو الجون (رئيس العشيرة ورجل المهمات)، ومجبل الفرعون (رئيس عشيرة)، وعزارة المعجون (رئيس عشيرة)، وعبادي الحسين (رئيس عشيرة)، ومرزوك العواد (رئيس عشيرة)، وعمرالعلوان (رئيس عشيرة) وعشرات غيرهم، ومئات من اللاحقين والمتأخرين.

الشريعة الثالثة:

نخبة رموز وقادة الحركة السياسية الشيعية مثل: محمد الصدر (السيد الوجيه)، ومحمد جعفر أبو التمن (الحاج الوجيه التاجر)، ومحمد مهدي كبة (الشيخ الوجيه)، ومحمد رضا الشيببي (الشيخ العلامة الأديب)، ومحمد مهدي البصير (الشيخ الباحث المؤرخ)، وعلي الشرقي (الشيخ العلامة الأديب)، ومحمد باقر الشيببي (الشيخ العلامة الأديب)، وغالب الناهي (الاستاذ الأديب) وعبد المحسن شلاش (الحاج الوجيه التاجر) وسعد صالح (الأستاذ الوجيه) وعبد الوهاب الوهاب (الأستاذ الوجيه)، ومحمد الباقر (السيد الأديب الشاعر) وعشرات غيرهم، ومئات من اللاحقين والمتأخرين.

إذن فالخطاب السياسي لشيعة العراق تحكمه جملة إستحقاقات وإن تلك الأستحقاقات تتحدد بعمق إدراكهم للظروف الدقيقة والحساسة التي تحيط بقضيتهم العراقية الكبرى، وإن ما ورد من تعابير ومسميات مثل (الأقلية السنية والأكثرية الشيعية، والعربية والكردية والتركمانية) في متن البحث، ليس مرده حالة فئوية، بقدر ما هي مسميات فرضتها طبيعة مسيرة الأحداث. وإن خطابا سياسيا شيعيا بلغة عقلانية وواقعية جامعة، لكل العراقيين، هو الغاية والهدف معاً، من أجل عراق واحد موحد، يتساوى فيه المواطنون في الحقوق والواجبات. وإذا ما وقف هذا الخطاب عند موضوع السلطة والحكم، فهو لا يقف موقف النازع لحق الآخرين بالأستحواذ عليه، بأي صورة كانت، لأنه لا ينطلق من نفس المنطلقات التي كانت تتعامل بها نخبة الحكم والسلطة. والسبب المركزي في الخطاب السياسي الشيعي، والذي لن يحيد عنه، أنه يؤمن إيماناً حقيقياً بضرورة عدالة الحاكم، هذا الحاكم سواء كان عربياً أو كردياً أو تركمانياً سنياً أو شيعياً، المهم في نظرة الخطاب السياسي الشيعي هو، (العدل والتوازن والمساواة)، في الحقوق والواجبات، في كل مرافق ومفاصل الدولة، ولكل مكونات الشعب العراقي.

ومع القناعة الضمنية من إنه ليس من السهولة على «أبناء العمومة»، أن يفقدوا جزءاً من رصيدهم السلطوي الأول، والذي تمتعت به نخبهم ولا زالت بحكم العراق على مدى ما يزيد عن الثلاثة أرباع القرن، فليس من الحكمة والعدل الأصرار عليه بنفس الوقت. إلا أن خلق حالة متوازنة بهذا الصدد بين كل مكونات الشعب العراقي، سيجعل كل العراقيين في خندق واحد، وهو ما يمكن فعلاً أن يلغي العزل السياسي سواء المذهبي أو الإثني. وإن أية معادلة سياسية غير متكافئة، كما هي في القاموس السياسي، لا بد ومصيرها إلى زوال، وإن أي أسلوب غير مشروع لتغييرها، كما هو في التغيير العسكري الإستحواذي، سيصيب الأمة في مقتل، لأن الأمة تحملت ما يفوق الكفاية من المآسي والأهوال. لذا وجب الحذر كل الحذر من أي منزلق يؤدي إلى ذلك، وإن حالة من التوافق المصحوب بالإطمئنان بين كل مكونات الشعب العراقي، عبر صناديق الاقتراع، هو الطريق الأصوب نحو عراق أفضل لتداول السلطة سلمياً.

نكرر لقد قدم العراقيون ما فيه الكفاية بما خاضوه من غمار صراع مرير، ضد المحتلين العثمانيين، والغزاة الأنكليز، والحكومات المتعاقبة، في العهدين الملكي والجمهوري، وقدموا مئات الآلاف من الشهداء، من أجل نيل حقوقهم المشروعة، في الإستقلال والحرية والسيادة والمساواة، لا سيما وهم اليوم قد إستوعبوا الكثير من الدروس والعظات، عبر مسيرتهم المنخضبة بالدم. وإن على الشيعة العراقيين أن يدركوا أن الحنكة السياسية

ومناوراتها، لا تلغي المسألة المبدئية والأخلاقية التي جبل عليها روادهم حين تمسكوا بها دون اللعبة السياسية، والتي طبعت علاقاتهم مع المحتلين البريطانيين بداية القرن، بالتصدي والمواجهة الضاريتين، الأمر الذي أدى بشيعة العراق أن يصبحوا - معزولين في النظام السياسي الذي قام بعد ثورة العشرين - لكنهم في ضوء نتائج عزلتهم المفروضة أصبحوا اليوم يدركون بعمق، (الخطأ التكتيكي) الذي وقعوا فيه، حين ركنا اللعبة السياسية ومناوراتها جانبا، وركزوا على المسألة المبدئية والأخلاقية. وهم اليوم غيرهم بالأمس، كما أنهم اليوم لا بد أن يكونوا غيرهم في الغد، فإن حالة تطور الوعي السياسي والفكري والعلمي والثقافي، لدى الشيعة جعلتهم مؤهلين أكثر من أي وقت مضى، ليواكبوا روح العصر وتطلعاته المشروعة، وليلعبوا كل الأدوار المشروعة، في إطار الخطاب الجامع لكل العراقيين، ودون الحالة الفتوية أو الإثنية، مستهدفين قيام عراق حضاري يجمع بين الأصالة والعصرية، ضمن حدود الهوية العربية الإسلامية.

فالشيعة العراقيون بقدر تمسكهم بحقوقهم السياسية، يؤكدون اليوم أنهم في صميم المسؤوليات الوطنية يدركون أن السياسة هي (فن الممكن) في إطار نيل الحقوق المشروعة، وإن مستقبل شيعة العراق مرتبط بكل حلقاته عضويا ومصيريا، بمستقبل الكيان العراقي الواحد الموحد، وليس دون ذلك مهما بلغت التضحيات.

أما في صميم المسؤوليات القومية، فإن الخطاب السياسي الشيعي لا يرى نفسه إلا في صميم إنتمائه العربي، وهو في موقفه الإسلامي يعتبر نفسه القاعدة الأساسية التي حفظت دستور الإسلام، (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة). وهو يقف اليوم بالتناغم مع دوره التاريخي المتواصل، مدافعا ومنافحا ومكافحا عن، العروبة والإسلام، كونهما صنوان يكمل أحدهما الآخر، كما هو شأنه ودوره في كل مفاصل الحقب الزمنية السالفة، عبر التاريخ العربي والإسلامي. وفي ضوء ما تقدم يتضح لنا أن الهدف المركزي في الخطاب السياسي لشيعة العراق، والذي لا يحيدون عنه، وبالتعاون مع كل مكونات الشعب العراقي وبدون إستثناء، هو، «إقامة نظام برلماني دستوري ديمقراطي تعددي»، تكافئ فيه الفرص أمام جميع مكوناته، في الحقوق والواجبات.

ومثل هذا النهج في الخطاب السياسي الشيعي يمثل قمة المسؤولية الوطنية والقومية والإسلامية، ولكنه بنفس الوقت يمكن أن يكون إثارة مشروعة، لوضع أبناء العمومة، أمام مسؤولياتهم التاريخية في هذه الظروف الدقيقة، التي تتكالب فيها قوى الأستعمار والأمبريالية المؤطر بثوب (النظام الدولي الجديد) ومن ورائه الصهيونية العالمية، على حقوق شعب ومصير وطن. ليستفيد «أبناء العمومة» من فرصة التاريخ ويثبتوا صدقيتهم، بضرورة قيام

عراق لجميع العراقيين، بالتكافل والتضامن والمشاركة. وكى تستطيع النخبة من الأمة ومن مختلف المكونات، أن تحقق عملية التغيير المنشود، فلا بد من رؤية جديدة للمستقبل، وذلك عن طريق خلق بيئة صحية لأساليب العمل الوطني المشترك، وتثبيت المبادئ والأهداف التي تخص طموحات كل الشعب العراقي، وتساعد في المدى المنظور على تجسيد الرؤية المستقبلية الجديدة لعراق المستقبل، وبما يجسد عراقية الحل بكل أبعاده ومضامينه. ومن وجهة نظر عراقية صميمة لا بد أن تكون الرؤية المطلوبة لعراق المستقبل، قد إستوعبت تجارب الماضي، وحتى تحصن الحالة العراقية الجديدة، ولدرء الأخطار المستقبلية المحتملة، التي تسعى لخلقها الدوائر الأستعمارية والصهيونية، والتي يمكن أن تصيب بالصميم حالة التوافق والوثام والأئتلاف والتفاعل، كان لا بد لنخبة الشيعة وهم في صميم الموقع المتقدم أن يبادروا إلى عقد (ميثاق وطني) بين نخب وقيادات التيارات السياسية ومكونات الشعب العراقي، تحت شعار: «أن العراق لكل العراقيين المخلصين، المنقطعين لتربته، المدافعين عن وحدته وسيادته، الذابيين عن دينه وحرمة، المتمسكين بتراثه وأصالته، المتجردين لخدمة شعبه».

وهناك ضرورة يقتضيها العمل الأستراتيجي السليم، وذلك عن طريق تثبيت أساليب العمل الجماعي المشترك، والمبادئ والأهداف الوطنية العراقية، بصورة واضحة لا لبس فيها في السياسات: الداخلية، والخارجية، والإقتصادية، والتربوية، وحتى العسكرية في (الميثاق الوطني). مع ضرورة مراعاة أن تؤدي أساليب العمل والثوابت والمبادئ والأهداف تلك، إلى ضمان الحقوق المشروعة لكل مكونات الشعب العراقي، وإزالة كل ما من شأنه عرقلة مسيرة الشعب الحضارية والإنسانية. ووفق واقع الأهتمامات التي عاشتها وتعيشها كل مكونات الشعب العراقي اليوم، فإن الخطاب العام لشيعة العراق، يجب أن يتبنى أهداف هذه المكونات، بحدود هوية العراق العربية الإسلامية، وليس بمعزل عنها، وضمن التراب العراقي وفي مختلف المرافق. كما يجب أن يتبنى الأساليب الكفيلة بتحقيق ذلك بما يؤدي إلى ضمان كل الحقوق المشروعة، وتحديد كل الواجبات لكافة العراقيين دون إستثناء.

وإن ما يمكن أن يطرحه الخطاب الشيعي، في هذه المرحلة الدقيقة، يمكن أن يكون مشروعاً جامعاً لمفردات (الميثاق الوطني) يمثل غالبية المستلزمات الكفيلة بنجاحه، على أن يراعي غالبية الأستحقاقات المترتبة على حقوق وواجبات المواطنة العراقية. ومن وجهة نظر عراقية وطنية خاصة نابعة من صميم الخطاب السياسي الشيعي، في ضوء ما إستعرضناه، ومن خلال معايشة ميدانية، أخذت من الزمن نصف قرن، للحالة العراقية بكل أبعادها ومضامينها، يمكن أن نعطي لنفسنا الحق ونجرأ بوضع الخطوط العامة لمفردات الميثاق

الوطني، بما يمكن أن يعتمد كمسودة مشروع وطني ومرحلي، قابل للتعديل والتطوير والإغناء، بما يكفل الأهداف المرجوة منه، آخذين بنظر الاعتبار هوية العراق العربية الإسلامية، مع مراعاة الحقائق الدينية والمذهبية والتاريخية والجغرافية والسياسية، لكل مكونات الشعب العراقي. إذن لا بد هنا من تناول الجانبين التاليين:

أولاً: خلق بيئة صحية للعمل المشترك:

- ومثل هذا الجانب يحتاج إلى مرتكزات ذات قيم حضارية يمكن حصرها بما يلي:
- 1 - ضرورة إعادة بناء الثقة والإنسجام والإطمئنان، بين كل مكونات الشعب العراقي، عن طريق التواصل الصادق، والحوارات الصريحة الهادفة، دون المناورات والتجاوزات والإحتواءآت.
 - 2 - التأكيد على الإيمان بأهمية التجديد بما يتلائم مع التطورات الإنسانية الحديثة، ودون الإنسلاخ من المبادئ والمثل العربية العليا والقيم الروحية السامية للأمة.
 - 3 - التركيز على تفعيل المواقف المشتركة داخل الحركة الوطنية العراقية بما يؤدي مرحلياً وإستراتيجياً أن يفاد منها الشعب بكل مكوناته.
 - 4 - تكريس وتعزيز الممارسات الديمقراطية، في كل مفاصل العمل المشترك، حتى نتجنب أية ممارسة دكتاتورية، مع إقرار مبدأ قبول الصيغ التوافقية بأضيق الأطر.
 - 5 - إعتداد الإرادة العراقية الوطنية الحرة المستقلة، مبدأ أساسياً وثابت لا يتعارض والتنسيق القائم على إحترامها مع المواقف العربية والأقليمية والدولية، ودون المساس بها أو التأثير عليها. مع شرط أن يكون لتلك المواقف، مصداقية حقيقية ثابتة، لدعم القضية العراقية. وبالوقت الذي يؤكد فيه على الثوابت الوطنية التي لا يمكن تجاوزها كخطوط حمراء، فلا ضير في ثوابت وطنية متحركة، يمكن من خلالها خدمة القضية العراقية.
 - 6 - إن القضايا الكبرى هي من إختصاص وإرادة الشعب العراقي، وهذا يعني إنه لا يحق لأي طرف مهما أوتي من مساحة، التفريط بأي قضية كبرى مثل: القبول بالتعويضات، وترسيم الحدود، وصيغة الحكم، أو أية قضية كبرى قد تبرز على السطح مستقبلاً.
 - 7 - لا بد لإسلوب العمل أن يتجنب حالة التعريض بالأفراد والمنظمات العراقية، وحتى المواقف العربية الإقليمية والدولية، إلا من خلال المواقف والممارسات والمشاريع، التي تتبناها تلك الجهات، والتي تهدد المصالح الوطنية، وتعرض سيادة العراق للأنتهاك. المهم التمسك بهذه الثوابت كخطوط حمراء لا يمكن تجاوزها.
 - 8 - العمل بكل جدية على إعادة الروح المسؤولة لعنصر الشباب، وأعتمادهم كأساس في

- إعادة البناء، وصنع الغد المشرق. وهذا يعني ضرورة تمكينهم ليتبؤوا موقعهم، حتى يصبحوا في وضع مرموق، يؤهلهم صنع القرار.
- 9 - إن قيام مركز موحد للمعلومات والدراسات، وآخر للعمليات، أصبح من ضرورات أساليب العمل المشترك الناجع، شريطة أن يكون بعض رموز وأدوات هاذان المركزان من التكنوقراط حتى نضمن تقديم ما تفاد منها القضية العراقية.
- 10 - وحتى يمكن أن تدار دفة الأمور بكل مسؤولية، كان لا بد من مجلس للخلاص الوطني قوامه 25-30 شخصية رمزية وقيادية، وليس دون ذلك، كي يتحملوا المسؤوليات الوطنية والتاريخية كاملتين، طيلة فترة إنتقالية لا تتجاوز السنة في كل الأحوال.

ثانيا: الرؤية المطلوبة لعراق المستقبل:

إن الرؤية المطلوبة لعراق المستقبل، لا بد وأن تكون قد إستوعبت تجارب الماضي، بقدر ما أخذت منها العبر والمثل، لحاضرنا من أجل مستقبلنا المنشود، وحتى تحصن الحالة العراقية الجديدة، ولدرء الأخطار المستقبلية المحتملة، التي يمكن أن تصيب بالصميم حالة التوافق والوئام والأئتلاف، وهو ما تسعى لخلقه الدوائر الأستعمارية والصهيونية. كان لا بد أن يصار إلى تحديد الخطوط العامة لهذه الرؤية، والتي يمكن ان نحصرها بما يلي:

أ - في السياسة الداخلية:

- 1 - يؤكد في الدستور الذي ستعده هيئة وطنية عليا متخصصة على أن العراق، هو جزء من الأمة العربية، وأن العراق شركة بين العرب والأكراد، وكل العراقيين، على إختلاف مذاهبهم ونحلهم. ويؤكد في الدستور على أن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، وهو مصدر من مصادر التشريع التي تعتمده الدولة، بما يتناسب مع التطورات الإنسانية الحديثة، والإجتهد المتفتح على الأوضاع الحضارية الجديدة. ويعرض الدستور بعد إعداده على الشعب لمناقشته، ويقر بعدها من قبل مجلس الأمة الموحد المنتخب من قبل الشعب.
- 2 - مارست الأنظمة السابقة وإيمعان أكثر النظام البعثي الدكتاتوري، سياسة ظلم وتمييز طائفي وعنصري، لأوسع مساحتين في المجتمع العراقي وهم، الشيعة والكرد. فهو عدا إمعانه في محاولة إحتواء الفئة الثانية ومسخ هويتها، راح يشكك بعروبة الفئة الأولى، والتي لا يرقى لها الشك، الأمر الذي يتوجب على النظام الجديد إزالة هذه المظلومية، وإنهاء حالة التمييز هذه، برفض الطائفية والعنصرية، بكل صيغهما وأبعادهما ومضامينهما، الإستعلائية والإحتوائية، وآثارهما، لأنهما يؤديان إلى تفتت وحدة الشعب.

3 - حيث أن العراق هو جزء من الأمة العربية والإسلامية، فهو على ضوء ذلك حمل صفتان لهما أبعاد ومضامين إنسانية وروحية، يجب أن تأخذ بنظر الاعتبار الشعور بالحس والانتساب العروبي المرهف، دون التطرف المقيت، هو الأساس في التوجه نحو القوميات الأخرى، ومساعدتها على الإنبعاث الفكري والتطور الاجتماعي، بأعتبارهم شركاء في الوطن العراقي العزيز، لهم مالاآخرين وعليهم ما على الآخرين من الحقوق والواجبات. ولما كان الإسلام هو الهوية الروحية للمجتمع العراقي، من خلال معينيه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فلا بد أن تصان وتحترم المذاهب الإسلامية التي هي من صميم القرآن والسنة، بإعتبارها المنافذ والقنوات التي تفسر أبعاد ومضامين أحكام وسنن دينك المعينين. ولسماحة الإسلام وإنسانيته فلا بد من التأكيد على إحترام كافة الأديان، مع ضمان حرية طقوسها وممارساتها المشروعة، ودون المساس بها.

4 - رفض صيغة الحكم الدكتاتوري بأي شكل كان، والعمل بإصرار، بصيغة الحكم الديمقراطي البرلماني التعددي، بإجراء إنتخابات برلمانية حرة ونزيهة ومباشرة، وصولاً إلى حكم الشعب لنفسه بواسطة ممثليه الشرعيين، وتكريس قاعدة التداول السلمي للسلطة، وإطلاق الحريات العامة والخاصة، بما ينسجم والواقع الموضوعي للمجتمع العراقي المسلم، المتسم بمكارم الأخلاق العربية والإسلامية.

5 - ضمان إستقلال القضاء عن السلطتين التشريعية والتنفيذية، من أجل صيانة وتطبيق وسيادة القانون، وحكم المؤسسات، ورفض الإنتقام بكل أشكاله، لا سيما الإنتقام السياسي، لأنه يؤدي إلى كوارث لا تحمد عواقبها، ويترك أمر المخالفات والتجاوزات لسيادة القانون.

6 - ضمان حقوق الأفراد والجماعات في العيش الحر الكريم، وتكافؤ الفرص أمام المواطنين كل حسب إستحقاقه وإختصاصه. وهو ما يتطلب إلغاء كافة القوانين والتعليمات والإجراءات والقرارات، التي تتعارض مع مصالح الشعب كله، وسن ما يقابلها، لضمان تلك المصالح المشروعة، وضمن المصلحة العليا للشعب والوطن.

7 - إعادة كافة المهجرين والمهاجرين وفق برنامج مدروس، إلى أرض الوطن معززين مكرمين، وإعادة كل فرد إلى منطقتة التي أبعد عنها قسراً، مع إعادة حقوقهم المشروعة، زائدا تعويضات مناسبة للمستحقين منهم. وحيث ظروف المهجرين والمهاجرين، ووجود مشاكل كثيرة ومتداخلة، وحيث هناك جماهير كبيرة مستضعفة تعرضت إلى شتى صنوف الأضطهاد والحرمان والتجاوز، لذا يؤكد على ضرورة إضافة وزارة جديدة للوزارات، يطلق عليها وزارة ضمان حقوق المستضعفين.

- 8 - تغيير قانون الجنسية العراقية لسنة 1924م وتعديلاته، بما يضمن حقوق المهجرين، ومن شابه قضاياهم ممن لم يهجروا، وتنظيم عملية التجنس بصورة نهائية بما يضمن للمتجنس حقوق المواطنة الكاملة، ودون أدنى إنتقاص.
- 9 - ضمان الحقوق المشروعة للمرأة في مختلف الميادين، وبما يتناسب مع قدراتها وإمكاناتها، ومساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات، ضمن حدود الأحكام الشرعية الإسلامية.
- 10 - إعادة النظر بكافة المناهج الدراسية، التربوية والأخلاقية والأعلامية، المقرية والمسموعة والمرئية، بما يتناسب وتقاليد وعادات وأصالة الشعب العراقي.
- 11 - إن القبول بالتعويضات، وترسيم الحدود، وصيغة الحكم، هي من القضايا الكبرى، لذا فإن الشعب العراقي هو الحكم الفيصل فيها.
- 12 - بناء القوات المسلحة ومؤسساتها العسكرية، بما ينسجم والحاجة الفعلية لإبقاء العراق قوي الجانب، بما يؤهله للدفاع عن نفسه، ومساهمته في الدفاع عن الأمة العربية ضد الطامعين والأعداء.
- 13 - تطوير قوى الأمن الداخلي كافة، بما يعزز دورها في حفظ الأمن الداخلي، وصون كرامة المواطن وحفظ أمنه وضمان حريته، والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة.
- 14 - من أجل إستبعاد أية مغامرة عسكرية طائشة، وغير مسؤولة، يحضر حضرا تاما على أفراد القوات المسلحة وقوى الأمن كافة، العمل السياسي، ويؤكد على تكريس طاقاتها وإمكاناتها الفنية والمادية والبشرية، للمساهمة في إعادة عمار العراق وتطويره، وحفظ الأمن والإستقرار فيه، إضافة لدورهم المركزي في الدفاع عن الوطن الأشم، والذود عن الأمة ضد أي عدوان أجنبي غادر. إلا أن ذلك لا يحجب عنهم حق الإنتخاب، أما الترشيح فيحق للمتقاعدين منهم والمستقلين، بعد مرور ثلاث سنوات على تقاعدهم أو إستقلالهم، حتى يصبح هناك إنقطاع تام عن مراكزهم المؤثرة قبل التقاعد والأستقالة.

ب - في السياسة الخارجية:

- 1 - إقامة علاقات متوازنة مع كافة الدول، على أسس الاحترام المتبادل، والمصالح المتكافئة المشتركة، وأن إقامة علاقات حسن جوار خالية من المشاكل والتوتر، ستضيف عنصر توافق جديد لأستقرار المنطقة. والتركيز على إقامة علاقات متميزة مع العالم العربي،

- بما يعزز دور العراق الجديد، للمساهمة في تقدم ورقي الدول العربية.
- 2 - ترسيم الحدود بصورة نهائية وعقلانية، وبما يضمن حقوق جميع دول الجوار، هو من أهم أسباب الأستقرار والطمأنينة في المنطقة، والسبيل إلى ذلك هو عقد اتفاقيات تعد لهذا الشأن شرط أن تقترن هذه الاتفاقيات المبرمة بين الحكومات، بالموافقة الشعبية، سواء كانت عن طريق الأستفتاء الشعبي، أو تصديق البرلمان المنتخب حقيقة من الشعب، ولكلا الطرفين المتعاقدين، حتى لاتصبح الاتفاقيات عرضة للتشكيك أو الرفض في ظروف لاحقة ولأي سبب كان، كما حصل لأتفاقية الجزائر المبرمة بين شاه إيران وبين صدام البعث تلك الأتفاقية التي كانت مرفوضة من حكومات عراقية برلمانية - منذ ثلاثينات هذا القرن العشرين.
- 3 - الإلتزام بالمواثيق والقوانين والمعاهدات والأتفاقيات " المشروعة المبرمة مع دول العالم كافة، والعمل بالطرق السلمية مع المنظمات العربية والإسلامية والدولية، إلغاء مافرض على العراق من عقوبات جائرة، سواء كانت تعويضية أو إقتصادية أو سياسية، فليس من العدل والإنصاف أن يتحمل شعب العراق، عقوبات قاهرة لم يكن له في أسباب فرضها أي خيار.
- 4 - يؤكد على ضرورة مساهمة دول العالم لاسيما دول التحالف الغربية والخليجية، في إعادة أعمار العراق وإزالة آثار العدوان والدمار الذي ألحقه به، نتيجة حروب ظالمة فرضت على شعب العراق وحضارته فرضا.
- 5 - الأصرار على بناء سلام قائم على العدل في المنطقة العربية، يضمن حقوق كافة دولها، مع الأعتراف الكامل بحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة، بإقامة دولته الحرة المستقلة على الأرض الفلسطينية. مع الأيمان الكامل بأن فلسطين أرضا وشعبا، عربية الأصول والجدور، وإسلامية المحتوى والمقدسات، تاريخيا وواقعا وإنسانيا وقانونيا ودينيا.
- 6 - العمل على جعل كافة دول منطقة الشرق الأوسط، منطقة خالية من كافة أسلحة الدمار الشامل، لضمان السلم والإستقرار الحقيقيين في هذه المنطقة الحساسة من العالم.
- 7 - العمل مع المنظمات العربية والإسلامية والإقليمية والدولية، بما يخدم شعوب دول العالم، والعمل على حل المشاكل العربية والإسلامية والأقليمية والدولية، بالطرق السلمية، دون المواجهة المسلحة، والمشاركة الفاعلة في توطيد دعائم السلم والحرية وحقوق الإنسان، لينعم الإنسان على هذا الكوكب بالطمأنينة والأمان، والمستقبل الأفضل له ولأمتداده الأسري.
- 8 - إن غالبية العراقيين ينظرون للمستقبل بكل فواصله الزمنية القريبة والبعيدة، ومن حيث أن

هذا العصر هو عصر التكتلات والتوحيديات السياسية والإقتصادية، فإن أقرب النماذج لطبيعة الشعب العراقي، هم الدول العربية فالدول الإسلامية. لذا فإن قيام أي شكل من أشكال التكتل والتوحيد العربي فالأسلامي، ربما يصبح في فاصل زمني مستقبلي حالة يحكمها منطق الواقع، لذا يؤكد على تعزيز هذا النهج، في أية خطوات هادفة يمكن أن تتخذ في ظروف مناسبة في المستقبل، مع التأكيد على مراعاة خصوصيات كل شعب من شعوب الأمتين، وضمنان مصالحها الوطنية.

9 - إن تحلل الأتحاد السوفييتي، وغياب الدور الروسي المثقل بالمشاكل الداخلية والأقتصادية، قلب كل موازين المعادلات التي كانت سارية قبل التحلل والغياب، وهو ما أدى إلى إستفراد الولايات المتحدة الأمريكية كقوة آحادية أعظم. وإن ما يطلق عليه اليوم بالنظام الدولي الجديد المتبنى من قبل أمريكا بملامحه العامة، حقوق الإنسان، وسيادة الشعوب، وتكريس الديمقراطية، وحكم المؤسسات، هي أهداف يتبناها كل مخلص لوطنه ولقضيته، شرط أن لا يتحول هذا التبنى إلى صورة من صور التبعية، لخفايا هذا النظام غير المعلنة، وعدم التورط بأية حلقة من حلقاته، والتعامل معه بحذر شديد. فما زال في ذاكرة الشعوب، مقررات حكماء صهيون عام 1897، ومشروع بلفور عام 1917، ومشروع ويلسن عام 1914، ومشروع آيزنهاور عام 1957، ومشروع روجرز عام 1966، ومشروع كيسنجر عام 1983. وكافة المسميات الأخرى، فكلها مشاريع أثبتت الواقع أنها عملة لوجه واحد هو، خدمة مصالح الأمريكان والغرب، ومن ورائها مصالح الصهيونية العالمية.

ت - في السياسة الأقتصادية:

- 1 - بناء إقتصاد متوازن، دون الإطلاق، ومن غير تقييد، والتركيز بقوة على ترشيد الأستهلاك، على مستوى الشعب والدولة، وضرورة معالجة ظاهرة التضخم المالي، والتفرغ لبناء مادمرته الحروب، وإعادة الروح إلى الإقتصاد العراقي، لينهض من جديد ويساهم في الركب الحضاري والأنساني، وصولاً إلى بناء مجتمع قائم على، العدل، والمساواة، والتوازن.
- 2 - تنمية موارد الدولة غير النفطية، بالتركيز على الزراعة والتصنيع الزراعي، والثروة الحيوانية والتصنيع الحيواني، والتوسع بإنتاج ما يمكن تصديره من المحاصيل الزراعية والحيوانية، بأسعار تنافسية، للأستفادة من العملات الصعبة، وصولاً لجعل التقدم الزراعي والحيواني، والتصنيع الزراعي والحيواني، الرافد الموازي للثروة النفطية.
- 3 - إعادة دراسة الجداول الإقتصادية، للمشاريع والصناعات المختلفة القائمة، سواء

للمستهلك المحلي، أو لغرض التصدير، أو لأقتصاد البلد. والتركيز على المشاريع والصناعات التي تتوافر موادها الأولية محليا، لتقليل تكلفة تصنيعها أولا، ولتوظيفها لصالح الأقتصاد الوطني ثانيا، عن طريق تصديرها بأسعار تنافسية إلى الخارج.

4 - الحرص على إنسياب النفط، وما يقابله من المواد الأولية، والأجهزة المصنعة ونصف المصنعة، والمكائن والمعدات، والتكنولوجيا، والمنتجات الزراعية والحيوانية، والأجهزة الطبية والأدوية، بين أطراف المعادلة الأقتصادية من مستهلكين ومنتجين متقابلين، بأسعار معقولة تتناسب صعودا ونزولا عند الطرفين بصورة متوازنة، وعدم جعل التبادل هذا وموازنة الأسعار، سببا من أسباب التوتر بين أطراف المعادلة، ويمكن أن يصار إلى المطالبة بإقامة محكمة أقتصادية دولية، تحسم حالات التوتر المنوه عنها، وبذلك نضمن حقوق شعبنا من الضياع.

5 - إعادة بناء مؤسسات الدولة الأقتصادية، على أسس النزاهة ومحاربة الرشوة والمحسوبيات والمنسوبيات وإلغاء الحالات البيروقراطية، وسد الطريق أمام خلق طبقة جديدة مستغلة، على حساب الوضع الجديد، إلا بالطرق المشروعة. مع ضرورة سن قانون خاص، من أين لك هذا؟ لمحاسبة المسيئين إلى أموال الشعب والدولة.

6 - العمل على إعادة العقول المهاجرة، من رجال الفكر والعلم والمال والتجارة والصناعة، وتعويض من تضرر منهم، نتيجة الأجراءات التعسفية التي أتخذت بحقهم، من قبل الأنظمة المتعاقبة، ليسهموا في بناء العراق الحضاري.

7 - أنشطة التعاون والتكامل الأقتصادي وتشمل:

أ - إقامة مشاريع أقتصادية جديدة مشتركة ذات إمكانات كبيرة، بين الدولة والقطاع الخاص. مشاركة القطاع الخاص بمشاريع الدولة القائمة ذات الإمكانيات الكبيرة لتطويرها وتحسين أوضاعها لخبرات القطاع الخاص. بيع مشاريع الدولة ذات الإمكانيات المتوسطة والدنيا للقطاع الخاص للتخلص من أعبائها. التأكيد على دعم الدولة لكافة المشاريع الخاصة والمشاركة، بتقديم كافة التسهيلات الأئتمانية والفنية والمعنوية، لدفع العملية التنموية إلى أمام.

ب - إقامة مشاريع أقتصادية مشتركة بين العراق والدول الأخرى، لاسيما الدول العربية والإسلامية، ويركز على الصناعات التخصصية والتكميلية، لغرض الأكتفاء الذاتي وتصدير الفائض منها.

ت - إقامة معارض وأسواق عراقية أو مشتركة، في داخل العراق وخارجه، لتعريف الشعوب على المنتجات العراقية أو المنتجات المشتركة، سواء المعدة للأستهلاك

أو القابلة للتصدير، لتعميق العلاقات الإنسانية والإقتصادية بين الشعوب .

ث - إقامة مشاريع التكليف الخاص، وهي مشاريع ذات طابع تعاوني إستثماري خيري، يشمل كافة القطاعات، وتكون هوامشه الربحية محدودة للتخفيف عن كاهل الطبقات الضعيفة، كما تؤول صافي الأرباح لتطوير هذه المشاريع أولاً، ولإقامة مشاريع خدمية لصالح تلك الطبقات في أماكن تواجهها ثانياً. وتدعم الدولة رأسمال هذه المشاريع إضافة للتبرعات من المؤسسات والأفراد.

8 - العمل بكل حرص ودقة على توزيع الثروة الوطنية، الخاصة للأستثمار والخدمات العامة الداخلية، توزيعاً عادلاً، ويعتمد في ذلك خطة علمية وعملية، تقوم على أساس توزيع العراق إلى ثلاث مناطق تنموية، متخلفة، ومتوسطة، ومتقدمة، ففي الوقت الذي يحافظ على إبقاء حالة التقدم الكلي والنسبي، لبعض المناطق المتوسطة والمتقدمة دون أي إهمال، يكرس الجهد والمال للمناطق المتخلفة لرفعها إلى مستوى المتوسطة، ويتظافر العمل لهما معاً بصورة متوازنة، بما يجعلهما على قدم وساق بمستوى المناطق المتقدمة. وعندها تتوحد الخطة التنموية لتشمل المناطق الثلاث بالتوازن، مع الأخذ بنظر الاعتبار مراعاة الحجم السكاني والجغرافي لكل منطقة، وبذلك يقضى على التفاوت التنموي والإستثماري والحضاري بين تلك المناطق، والذي كان سائداً في العهود السابقة، وكان من أهم أسباب حالات تدمير المواطنين، وخلق هوة سحيقة بين السلطة والمواطنين، وهو ما كان يؤدي بالمحصلة إلى إنتفاضات وثورات شعبية ضد السلطات الحاكمة، عبر التاريخ الحديث.



الخاتمة

في ضوء ماتقدم من وقائع وتحليلات، يمكن أن نجمل في هذه الخاتمة أهم المعطيات، التي أفرزتها هذه الدراسة ضمن فاصلها الزمني موضوع البحث، فبخصوص:

المعطيات السياسية:

جعلت الأنكليز يقطعون بأن لاسبيل لضم العراق للإمبراطورية البريطانية، ولا إلى حكم العراق المباشر من قبل المحتلين الأنكليز، ولا إلى إلحاق العراق بالهند كمستعمرة من المستعمرات البريطانية، كما تداول وعمل له مجموعة من قيادات ورموز البريطانيين، وهو ما أثبتناه في صلب الدراسة. ولإعادة كتابة التاريخ المعاصر، ولتعريف الأجيال الحاضرة والمستقبل، بحقيقة دور شيعة العراق، نقول؛ لئن فشلت المسيرة الشيعية الجهادية في تحقيق الوجه الأول من أهدافها العسكرية المسلحة، بفعل الفارق الهائل بين قدرات شعبية محدودة، وقدرات دولة كبرى مثل بريطانيا، إلا أن هذه المسيرة قد ظفرت بالوجه الثاني وهو تحقيق المعطى السياسي، حين أجبرت الأمبراطورية البريطانية على الرضوخ لأرادتها، بإقامة الدولة العراقية الحديثة. وهو الأمر الذي إعترفت به وأقرته السلطات البريطانية نفسها، كما تقدم في صلب الدراسة.

المعطيات الفكرية:

أثبتت مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية عبر الأحداث، وضمن الفاصل الزمني بين عام 1914 - 1920، وهي تخوض غمار هذا الصراع الجهادي والسياسي، ضد المحتلين البريطانيين، أنها تنطلق في نهجها الفكري من صميم واقعها الوطني، ودون الأنسلاخ من هويتها العربية الإسلامية. وقد أثبتت هذه المسيرة؛ أنها كانت أقرب للعروبة والإسلام منها من النماذج الأخرى، ضمن الحدث الوطني والقومي والإسلامي، سواء على مستوى المؤسسة الدينية التي راعت عن قرب وإهتمام شديدين المشاعر العربية لدى الشعب، أو على مستوى المؤسسة العشائرية لعشائر منطقة الفرات الأوسط، المفطورة على حب العروبة والإسلام، أو على مستوى الحركة السياسية التي مثلتها نخبة الطائفة من وجهاء و مثقفين، والتي ترجمت موقفها العروبي الإسلامي، في مختلف المناسبات والأحداث.

المعطيات الإئتلافية:

عبرت مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية عبر الأحداث التي تخللتها في فاصلها الزمني

بين عام 1914 - 1958م، عن أول صورة مشرقة، وأول بذرة تلاحم مصيري عربي شيعي وسني، مع مشاركات مقطعية من قبل الأكراد والتركمان في العصر الحديث. وقد أثبتت المؤسسات الدينية والعشائرية والسياسية الشيعية، إنفتاحها الكامل للعمل الجماعي مع الطائفة السنية وبدون تحفظ، وقد تجسد هذا الإنفتاح بأحسن صوره، من خلال فعاليات الحركة الاستقلالية التي أضطلع فيها حزب حرس الاستقلال، الذي ضم النخبة من الأمة من شيعة وسنة. لذا عد حزب حرس الاستقلال: أول بذرة وباكورة للعمل السياسي العراقي الصميم، ضد للمحتلين البريطانيين، خلال هذا القرن، وقد لعبت قيادة هذا الحزب أدوارا رائدة في مجال العمل السياسي، من أجل تحقيق الإستقلال الوطني الناجز، لذا تعرض جلهم بمحصلة الأمر، إلى السجن والإبعاد، على أيدي السلطات البريطانية، التي إعتقدت أن ذلك سيمكنها من تحجيم مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية في منطقة الفرات الأوسط، لكن الذي حصل كان بالضد تماما، لأنه أدى إلى تصاعد أوار المسيرة التي توجت بثورة العشرين المجيدة، هذه الثورة التي قضت مضاجع المحتلين البريطانيين. وتواصل عبر أحداث الأمة وعلى نفس النهج والمسيرة والأئتلاف العربي الإسلامي (اللاطائف) الذي تمثل في حزب حرس الاستقلال 1919 - 1920م: فقد أثبت الحزب الوطني العراقي 1922 - 1933م، برئاسة محمد جعفر أبو التمن، وحزب الاستقلال العراقي 1946 - 1960م، برئاسة الشيخ محمد مهدي كبة، أن الرءآستان وهما من نخبة الشيعة المرموقة، لن يحيدا عن المسألتين المبدئية والأخلاقية، وأنهما في صميم الأحداث، لم يتخليا عن العروبة والإسلام، ضمن إطار التفتح والتقدمية، من خلال مبادئ الوطنية الحققة، والقومية الإنسانية، والإسلامية غير المنغلقة، ضمن أطر الشعبية والعدالة الاجتماعية والديمقراطية، لمواكبة روح العصر.

المعطيات الأستمكانية:

كان الاعتماد على القدرات الأستمكانية العراقية، في تموين المسيرة الشيعية الجهادية والسياسية، هو السبيل الأوحد، ودون الأعتماذ على أية مصادر مالية أجنبية تذكر. وقد أختصرت المصادر المالية التموينية من أجل تعزيز أستمكان المجاهدين للحصول على السلاح والعتاد والغذاء، على قناتين:

القناة الأولى: كان على رأسها المجاهد السيد مهدي الحيدري، والمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبي، والحاج داود أبو التمن، والسيد نور الياسري، والشيخ عبد الواحد الحاج سكر، والسيد علوان الياسري، والسيد محسن أبو طبيخ، ومحسن شلاش وآخرون.

القناة الثانية: قناة الحقوق الشرعية كالخمس مثلا، التي كانت تجبى من قبل المرجعية الدينية الأولى المتمثلة بالإمام الشيخ محمد تقي الشيرازي، والتي كانت توجه أولا بأول لجبهات القتال وخاصة أبان ثورة العشرين، وبأمر مباشر من قبل الإمام الشيرازي نفسه، الذي كان حريصا على أن لا يبقى بين يديه أية حقوق شرعية، إلا وأوعز بإرسالها فوراً لتموين العمليات الجهادية، وخاصة في منطقة الفرات الأوسط.

المعطيات المعنوية:

كانت التضحية والفداء رمزان للعطاء المعنوي، في مواجهة جحافل المحتلين البريطانيين، ولا أدل على ذلك من عظم نتائج الخسائر التي منيت بها مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، عبر إلتحامات معارك الروطة والشعبية عام 1914 - 1915، وما قدمته إنتفاضة النجف عام 1918، ومعارك الرميثة والرارنجية والعارضيات والسوير في ثورة العشرين. وحتى نصف القائمين على المسيرة الشيعية، من مجاهدين ورؤساء عشائريين وقادة روحانيين، وبالخصوص أبان الثورة العشرينية: فقد أثبت المجاهد العراقي معنويات وثبات منقطعي النظر، أضف إلى ذلك دراية ومعرفة غير محدودة في فنون القتال والتكتيك وإستعمال السلاح، وهو ما أقر به العدو البريطاني نفسه. ومن الخلاصات المهمة أن المسيرة الشيعية الجهادية والسياسية، عبر مؤسساتها الدينية والعشائرية والسياسية، قد أثبتت بما لا يقبل الشك، وضمن أحداث الأمة، على تمتعها بمعنويات متميزة وعالية، مما خلق لديها قدرات إيجابية رائدة، في خلق الإنسجام والتفاعل بين كل مكونات الشعب العراقي، ضمن المصلحة الوطنية العليا للأمة.

المعطيات الأدبية:

كان العطاء الشعري الهادف، لاسيما الشعر الشعبي الحماسي، الذي وظف لدفع المجاهدين إلى القتال والألتحام، لصون المال والعرض والوطن والدين. لذا كان سجلا خالدا أرخ كل المعارك التي خاضتها جماهير الأمة، وجسد بعمق دلالاتها الوطنية والقومية والإسلامية. وحتى نعطي هذا الجانب حقه، وننصف دوره المهم، نثبت هنا نماذج منه قيلت في صميم أحداث الأمة عبر المسيرة الشيعية، ففي موقف رائد نجد صورا لتتاج شعر شعبي، تمتاز فيه المشاعر بالتضحيات، تتصدى له فارسة عربية، وأم قحطانية، وزوجة بدرية، وهي تشهد مصارع رجال أهل بيتها، الواحد تلو الآخر، زوجها وإبنيها في ثورة العشرين، من أجل الإستقلال الوطني، والكرامة العربية، وبيضة الدين، وبصورة تراجيدية تحرك المشاعر والأحاسيس النسائية، وتهزها بعنف. فحين إستشهد إبنها الأكبر، وقفت على جسده الطاهر، بعد أن زينت ثيابها بأوسمة من دمه الزكي وأنطلقت تردد:

عافية أولدي شيال راسي ردتك ترد ذولة الجواسي
وبموتك قويت باسي

ولما جاءها خبر إستشهاد زوجها وهي لا زالت مكلومة القلب على فلذة كبدها الأكبر،
راحت تردد:

عمر ككضيته إبعز يمير أوولا واحد إيدناك يكدر
وبعز منك تعارج العسكر ولموطنك معرض أمكنظر
الفخر لك جاورت حيدر

وختمت هذه التراجيديا العروبية الإسلامية الرائعة، بإستشهاد إبنها الثاني، فوقفت
شامخة شموخ الأبطال في سوح الوغى، وهي تردد:

شلتك إبطني تسعة إصباح وحفظتكم أمن أجله أو شمس ضحضاح
الما بين كومك كمر وضاح ردتك المثل اليوم سفاح
تطارد العسكر أهل الرماح شيال راسي بيوم الصياح⁽¹⁾.

المعطيات الوقائية:

لقد أثبت الواقع المستعرض، أن الصراعات الإقليمية والدولية والصهيونية بشأن
العراق، لم تقف عند حد في أي وقت من الأوقات، إلا أنها كانت تتصاعد وتفتت عبر
أحداث الأمة، الوطنية والقومية والإسلامية. وحين نقف على طبيعة المعطيات الوقائية
نجد: أن الحقبة الحالية التي تشكل دليل عملنا الوطني والقومي والإسلامي المعاصر، لتدل
لنا بما لا يقبل الشك، أن هذه الصراعات أصبحت اليوم في أوج تصاعدها، مما يجعل
مستقبل العراق مرتهن بالإفرازات التي يمكن أن تتمخض عنها هذه الصراعات، دون الإرادة
العراقية الحرة المستقلة، نتيجة التآمر المشترك على حقوق الأمة، وهو ما يدعونا للحذر
الشديد من الأنزلاق في مهاويه، وذلك عن طريق فرز الصراعات ومواجهتها، والتي تتمثل
اليوم في خمسة مدارس، لا بد من ان نحسب لها كل الحسابات، متى ما أقدمنا على أية
خطوة في هذا الاتجاه. والمدارس هي:

أولاً: المدرسة العراقية الحديثة ممثلة بالأنظمة والأحزاب الدكتاتورية.

ثانياً: المدرسة الولائية، ممثلة بالعراقيين المتأثرين بالولاء للمواقف الإقليمية والدولية.

(1) د. الوردى، م. س، ج 5 / قسم خامس، ص.

ثالثاً: المدرسة الاستفرادية، ممثلة بالدول الكبرى.

رابعاً: المدرسة الصهيونية، ممثلة بالمتأثرين بالصهيونية العالمية.

خامساً: مدرسة الأنظمة العربية المتأثرة بالسياسات الغربية والأمريكية.

المعطيات المستقبلية:

وبقدر مسؤوليات العراقيين التاريخية، فإن تعميق حالة الرفض الحقيقي من قبلهم، لكل الإفرازات السلبية وتأثيراتها الخطيرة، والتي ترتبت جراء الفهم الذي أنشأت عليه الدولة العراقية الحديثة بداية هذا القرن أولاً، والتأمر الدولي والأقليمي والعربي والصهيوني المستمر ثانياً. فإن القبول الصادق المخلص المتجرد، لكل الإفرازات الإيجابية وتأثيراتها، سواء التي عرضنا لها أو التي فاتتنا، سيجعل العراقيين قادرين على لعب أدوار مباشرة في سد الطرق بوجه كافة الأعداء المتربصين بالعراق، وخلق الظروف والبيئة المناسبين، لقيام عراق حضاري جديد، تتمتع فيه كل المكونات البشرية بحقوقها المشروعة. وحتى نكون عادلين مع أنفسنا، ومع الآخرين، وحتى لا نعمن في تحميل جانب دون آخر كل المسؤولية، ومن أجل ان تنصف هذه المسيرة، نرى أنه رغم أن الكرة في ملعب أبناء العمومة، إلا أن وقفة شجاعة حقيقية من كل أطراف «المعادلة العراقية» بكل مكوناتها، لقطع الطريق على المواقف الأقليمية والدولية والصهيونية العالمية، بات أمراً إستراتيجياً لا بد منه. والعبرة هنا أن ينصف أولو الأمر من نخب الأمة، هذه التجربة الرائدة، التي قدمتها مسيرة الشيعة السياسية والجهادية، عبر الأحداث المتقدمة، التي وردت في صلب الدراسة، ويستفيدوا منها بقدر ما يأخذوا من إيجابياتها العبر لحاضرهم، والمثل لمستقبلهم. ومع ذلك هناك سؤال كبير يفرض نفسه في هذه الخاتمة، هو هل يحكم الحلم والعقل، ويتغلبا على العاطفة، ويتجاوزا حالة التزمت الطائفي والعنصري، ليأخذ (الحق والعدل) طريقهما في بناء العراق الجديد؟ سؤال نترك جوابه لكل عراقي حر أصيل، ممن يمتلك ضميراً حياً يأبى الزنى عليه، ليقول قولة لا تأخذه في الحق لومة لائم. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: 227].

آملين أن نكون بهذا الجهد المتواضع، قد قدمنا دراسة مختصرة ولكن مفيدة عن حقيقة الشيعة والتشيع، الجذور، الفكر، التطور، الرجال، الانتشار، في الخليج والجزيرة العربية. مركزين على الحالة العراقية الصميمة، عبر تحليلات نقدية للأحداث والمواقف، مستعرضين وجهات النظر المستمدة من الواقع، راصدين خطوط التحرك الوطنية والعربية والأقليمية والدولية، مستشهدين عليها عبر وقفات مسيرة الشيعة الجهادية والسياسية، ضمن ما إستعرضناه في الفاصل الزمني لهذه الدراسة، وبما يمكن أن يعزز العمل الوطني والقومي

والإسلامي، في عراق القرن الحادي والعشرين، وبما عسى أن يفاد منها شعب العراق بكل مكوناته، وما يمكن أن ينعكس على شعوب المنطقة، وبالخصوص الشعوب العربية في الخليج والجزيرة العربية.

﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: 105]

صدق الله العظيم



ملحق رقم (1)

أسماء مجموعة من رواد التشيع

من المتشيعين للامام علي في عهد النبي محمد ﷺ

أسماء المتشيعين من بني هاشم

- | | |
|-------------------------------------|-------------------------------------|
| 1 - عبد الله بن عباس | 2 - الفضل بن العباس |
| 3 - عبيد الله بن العباس | 4 - قثم بن العباس |
| 5 - تمام بن العباس | 6 - عقيل بن أبي طالب |
| 7 - أبو سفيان بن الحرث بن عبدالمطلب | 8 - نوفل بن الحرث |
| 9 - عبد الله بن جعفر بن عبد المطلب | 10 - عون بن جعفر |
| 11 - محمد بن جعفر | 12 - ربيعة لن الحرث بن عبد المطلب |
| 13 - الطفيل بن الحرث | 14 - المغيرة بن نوفل بن الحرث |
| 15 - عبد الله بن الحرث بن نوفل | 16 - عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث |
| 17 - العباس بن لبيعة بن الحرث | 18 - العباس بن عتبة بن أبي لهب |
| 19 - عبد المطلب بن ربيعة بن الحرث | 20 - جعفر بن أبي سفيان بن الحرث |

اما من غير بني هاشم فهذه مجموعة من علية القوم جلهم من العرب :

- | | |
|-----------------------------------|--------------------------------|
| 1 - سلمان الفارسي الملقب بالمحمدي | 2 - المقداد بن الاسود الكندي |
| 3 - أبو ذر الغفاري | 4 - عمار بن ياسر |
| 5 - حذيفة بن اليمان | 6 - خزيمة بن ثابت |
| 7 - أبو ايوب الانصاري | 8 - أبو ميثم مالك بن التيهان |
| 9 - أبي بن كعب | 10 - سعد بن عبادة |
| 11 - قيس بن سعد بن عبادة | 12 - عدي بن حاتم |
| 13 - عبادة بن الصامت | 14 - بلال بن رباح الحبشي |
| 15 - أبو رافع مولى رسول الله | 16 - هاشم بن عتبة |
| 17 - عثمان بن حنيف | 18 - سهل بن حنيف |
| 19 - حكيم بن جبلة العبدي | 20 - خالد بن سعيد بن العاص |
| 21 - ابن الحصيب الاسلامي | 22 - هند بن أبي هالة التميمي |
| 23 - جعدة بن هبيرة | 24 - حجر بن عدي الكندي |
| 25 - عمو بن الحمق الخزاعي | 26 - جابر بن عبد الله الانصاري |
| 27 - ابان بن سعيد بن العاص | 28 - زيد بن صوحان العبيدي |

ملحق رقم (٢)

أسماء صحاح ومصادر مدرسة الخلافة التي ضمت

الأحاديث النبوية الشريفة بخصوص الإمامة

- 1 - أسد الغابة؛ لعز الدين علي بن محمد المعروف بأبن الاثير؛ مطبعة الوهبية مصر 1385هـ؛ ج 1؛ ص 307، 308.
- 2 - الاصابة؛ اشهاب الدين أحمد بن علي المعروف ابن حجر؛ كلكتا 1853هـ؛ ج 2 القسم 1 ص 319؛ ج 2 القسم 1؛ ص 57؛ ج 3؛ القسم 1؛ ص 39؛ ج 4؛ القسم 1؛ ص 14، 16، 143، 1469، 183؛ ج 7؛ القسم 1؛ ص 78، 156.
- 3 - الامامة والسياسة؛ عبد الله بن مسلم المعروف بابن قتيبة؛ مطبعة الفتوح؛ 1331هـ ص 93.
- 4 - ابن حنبل؛ أحمد؛ مسند ابن حنبل؛ مطبعة الميمنية؛ مصر 1313هـ.
- 5 - اسباب النزول؛ تصنيف الإمام أبي الحسن علي بن أحمد المعروف بالواحدي؛ مطبعة الخيدير؛ بومبي؛ 1394هـ؛ ص 150.
- 6 - التفسير الكبير؛ للإمام محمد الرازي فخر الدين بن العلامة ضياء الدين عمر؛ دار الطباعة العامرة لا ت؛ في تفسيره لقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ يَلْفُحُ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: 67].
- 7 - تهذيب التهذيب؛ لشيخ الاسلام شهاب الدين علي بن حجر العسقلاني؛ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية؛ حيدر اباد 1335 هـ؛ ج 7 ص 339؛ 337
- 8 - تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي أحمد بن علي؛ مطبعة السعادة؛ مصر 1360هـ؛ ج 7 ص 377؛ ج 8 ص 390؛ ج 13 ص 343؛ ج 14 ص 336.
- 9 - حلية الاولياء؛ للحافظ أحمد بن عبد الله الاصبهاني؛ مطبعة السعادة؛ مصر 1351؛ ج 4 ص 33؛ ج 5 ص 26.
10. خصائي النسائي؛ أحمد بن شعيب؛ مطبعة الميمنية مصر 1313 هـ؛ ص 4، 8، 21، 33-36، 40.
- 11 - الدر المنثور؛ في تفسير قوله تعالى: ﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ الأحزاب؛ وفي تفسيره قوله تعالى: ﴿اليوم اكملت لكم دينكم ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [المائدة: 3].
- 12 - ذخائر العقبي؛ للحافظ أبي جعفر أحمد بن عبد الله المعرف بالمحب الطبري؛ مكتبة حسام الدين القدسي؛ مصر 1356هـ؛ ص 68، 86.
- 13 - الرياض النضرة؛ للحافظ أبي جعفر أحمد بن عبد الله المعرف بالمحب الطبري؛ ط 2 مطبعة الاتحاد المصري لا ت؛ ج 3 ص 169-173؛ ص 303؛ ص 317.
- 14 - سنن البيهقي؛ للحافظ أبي الحسن علي بن عمر الداقني؛ مطبعة الأنصاري؛ دهلي لا ت؛ ج 10؛ ص 14.

- 15 - سنن بن ماجه؛ لابن ماجه القزويني؛ مطبعة الفاروقي؛ دهلي لات؛ في باب فضائل اصحاب رسول الله ﷺ؛ ص 13.
- 16 - شرح معاني الاثار؛ للطحاوي أحمد بن محمد؛ مطبعة المصطفى؛ 1300هـ.
- 17 - صحيح الترمذي؛ لمحمد بن عيسى؛ مطبعة بولاق 1393هـ؛ ج 2؛ ص 398.
- 18 - الصواعق المحرقة؛ لشهاب الدين أحمد بن علي؛ المعروف بأبن حجر؛ مطبعة الميمنية؛ مصر 1313هـ.
- 19 - فيض القدير؛ عبدالرؤوف المناوي؛ مصر 1356هـ؛ ج 4 ص 358.
- 20 - كنز العمال؛ للمتقي الحمدي؛ مطبعة المعارف النظامية؛ حيدر اباد 1312هـ؛ ج 1 ص 48، ج 6 ص 154، 390، 397-399، 403، 405، 406.
- 21 - كنوز الحقائق؛ للعلامة عبدالرؤوف المناوي؛ اسلامبول 1358هـ؛ ص 93.
- 22 - مجمع الزوائد؛ نور الدين علي الهيثمي؛ مكتبة المقدسي؛ مصر 1353هـ.
- 23 - مرعاة المفاتيح؛ لعلي بن سلطان محمد القاري؛ المطبعة الميمنية مصر؛ 1309هـ؛ ج 5 ص 568.
- 24 - مشكل الاثار؛ لابي جعفر أحمد بن محمد المصري الحنفي؛ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية؛ حيدر اباد 1333هـ؛ ج 2 ص 307.

ملحق رقم (٣)

صحاح ومصادر مدرسة الخلافة التي تضمنت الاحاديث النبوية الشريفة «الاستشارات» بـرجوع أبو بكر وعمر وعثمان وعائشه وابن عمر «رضوان الله عليهم» إلى الإمام علي «كرم الله وجهه» في كثير من المسائل الشرعية والفقهية والقضائية.

- 1 - الاستيعاب؛ للخافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بأبن البر؛ مطبعة دائرة المعارف النظامية؛ حيدر اباد 1336هـ؛ ج 2 ص 461؛ 363؛ 764.
- 2 - جامع البيان؛ للإمام جعفر بن محمد بن جرير الطبري؛ المطبعة الكبرى مصر 1323هـ؛ في تفسير قوله تعالى: ﴿حماته وفصاله في ثلاثين شهراً﴾ و﴿وفصاله في عامين﴾؛ ج 3 ص 61.
- 3 - شرح معاني الآثار؛ لابي جعفر الطحاوي؛ مطبعة المصطفائي 1300هـ؛ ج 2 في كتاب الطهارة ص 49-50؛ في كتاب الخدود ص 88؛ في كتاب القضاء ص 394؛ في كتاب الحج ص 386.
- 4 - الطبقات الكبرى؛ لمحمد بن سعد الواقدي؛ مطبعة بريل؛ ليدن؛ 1322هـ؛ ج 2 القسم 1 ص 102؛ ج 2 ص 231؛ ج 8 ص 35 و 163.
- 5 - فتح الباري في شرح البخاري؛ للخافظ شهاب الذي أبي الفضل العسقلاني؛ المعروف بـابن حجر؛ مطبعة الباب الحلبي واولاده؛ مصر 1378؛ ج 15 ص 73، 105، وج 16 ص 168.
- 6 - قصص الأنبياء؛ لاحمد بن ابراهيم الثعلبي؛ مطبعة الحيدري؛ بومباي 1394 هـ؛ ص 55-566.
- 7 - موطأ الإمام مالك؛ لمالك بن أنس؛ المطبعة الحجرية مصر 1380هـ؛ في كتاب الاشربة ص 186؛ في كتابي الاقضية ص 136؛ في كتاب طلاق المرض ص 36.
- 8 - مسند الإمام أحمد؛ لاحمد بن حنبل؛ مطبعة الميمنية؛ مصر 1334هـ؛ ج 1 ص 84-149؛ و ص 310-377، ص 430-338؛ ج 2 ص 336؛ ج 3 ص 5، 26-28، 37، 48، 60، 69، 98، 317، 333؛ ج 5 ص 17؛ ج 7 ص 577.
- 9 - مستدرك الشافعي؛ لامام أبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي؛ مطبعة الخليلي؛ الهند 1306هـ؛ في كتاب الاشربة ص 66؛ كتاب العدد ص 171؛ كتاب الجائز والحدود ص 204.
- 10 - مستدرك الصحيحين؛ للخافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الشهير بالحاكم؛ مطبعة حيدر اباد 1334هـ؛ ج 1 ص 400، 457؛ ج 3 ص 4، 14؛ ج 4 ص 375، 454، 363، 365، 503، 514، 557، 558.
- 11 - مسند أبو داوود الطيالسي؛ للخافظ سليمان بن داود الطيالسي؛ مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية؛ حيدر اباد 1321هـ؛ ج 1 ص 15.
- 12 - مسند أبي حنيفة؛ للإمام أبو حنيفة النعمان؛ مطبعة محمدي لاهور 1306هـ؛ ص 139.
- 13 - ميزان الاهتدال؛ للخافظ شمس الدين محمد بن أحمد المعروف بالذهبي؛ مطبعة السعادة؛ مصر 1325هـ؛ ج 2 ص 24.
- 14 - نور الابصار؛ للعالم الشيخ الشبلنجي المعروف بالمؤمن؛ مطبعة الميمنية مصر 1322هـ؛ ص 77، 171.

ملحق رقم (٤)

أسماء صحاح ومصادر مدرسة الخلافة التي تضمنت الاحاديث النبوية الشريفة لخصوص الإمام المهدي عليه السلام.

- 1 - اسد الغابة؛ لعز الدين علي بن محمد المعروف بأبن الاثير؛ مطبعة الوهبية مصر 1385هـ؛ ج1؛ ص 357.
- 2 - الاستيعاب؛ للخافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بأبن البر؛ مطبعة دائرة المعارف النظامية؛ حيدر اباد 1336هـ؛ ج1 ص85.
- 3 - تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي أحمد بن علي؛ مطبعة السعادة؛ مصر 1360هـ؛ ج7 ص377؛ ج8 ص390؛ ج4 ص388.
- 4 - حلية الاولياء؛ لأبي نعيم الحافظ أحمد بن عبد الله الاصبهاني؛ مطبعة السعادة؛ مصر 1351هـ؛ ج3 ص184.
- 5 - الدر المنثور في التفسير المأثور؛ للإمام جلال الدين عبدالرحمن أبي بكر السيوطي؛ مطبعة الميمنية؛ مصر 1314هـ في تفسير سورة محمد.
- 6 - ذخائر العقبي؛ للحافظ أبي جعفر محمد بن عبد الله المعروف بالمحب الطبري؛ مطبعة الميمنية مصر 1312هـ؛ ص 44، 136.
- 7 - صحيح الترمذي؛ لمحمد بن عيسى الترمذي؛ مطبعة بولاق مصر؛ 1393 هـ؛ ج2 ص36.
- 8 - الصواعق المحرقة؛ لشهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي؛ مطبعة الميمنية مصر؛ 1312هـ ص98.
- 9 - صحيح بن ماجه؛ لابن ماجه القزويني؛ مطبعة الفاروقي لات؛ في ابواب الجهاد والفتن.
- 10 - صحيح أبي داود؛ لأبي داود الجستاني؛ مطبعة الكستلية 1280هـ؛ ج27.
- 11 - طبقات الكبرى؛ محمد سعد الواقدي؛ مطبعة بريل؛ ليدن 1322هـ؛ ج4 ص4.
- 12 - فيق القدير؛ للعلامة عبدالرؤف المناوي؛ مصر 1356هـ؛ ج6 ص17.
- 13 - كنوز الحقائق في احاديث خير الخلائق؛ للعلامة عبدالرؤف المناوي؛ اسلامبول 1385هـ؛ ص154.
- 14 - مسند الإمام أحمد؛ لاحمد بن حنبل؛ مطبعة الميمنية؛ مصر 1334هـ؛ ج1 ص99؛ ج2 ص336؛ ج3 ص17، 38، 37، 98، 317.
- 15 - مستدرك الصحيحين؛ للحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري الشهير بالحاكم؛ مطبعة حيدر اباد 1334هـ؛ ج4 ص463، 465، 502، 503، 514، 554، 557، 558.
- 16 - مجمع الزوائد؛ للحافظ نوري الدين علي بن أبي بكر الهيتمي؛ منشورات مكتبة حسام الدين القدسي؛ مصر 1352هـ؛ ج7 ص314-317.
- 17 - مرعاة المفاتيح؛ لعلي بن سلطان محمد القاري؛ المطبعة الميمنية مصر؛ 1309هـ؛ ج5 ص658.

ملحق رقم (٥)

أسماء العراقيين من الشيعة والسنة رواد الاستقلال الاوائل الموقعون على مذكرة المطالبة باقامة حكم وطني عراقي مستقل:

- | | |
|------------------------|-----------------------------|
| 1 - ابراهيم الراوي | 2 - أحمد الشواف |
| 3 - أحمد الظاهر | 4 - أحمد الجرجفجي |
| 5 - أحمد منير | 6 - اسماعيل الواعظ |
| 7 - جواد المصلاوي | 8 - حسن ال عيسى |
| 9 - حامد عبدالرضا | 10 - حامد الموسوي |
| 11 - حسين علاوي | 12 - حسون محمد الناهي |
| 13 - حمدي الباجه جي | 14 - درويش علي حيدر |
| 15 - خالد الشابندر | 16 - سعيد النقشبندي |
| 17 - سليمان السنوي | 18 - صادق جعفر |
| 19 - صالح المناصير | 20 - طاهر محمد سليم |
| 21 - ظافر الزهاوي | 22 - عبدالكريم حيدر |
| 23 - عبدالرحمن الحيدري | 24 - عبدالوهاب النائب |
| 25 - عبد الله الشاوي | 26 - عبد الله الحيدري |
| 27 - عبد الواحد يحيى | 28 - عبد المطلب حسون الناهي |
| 29 - علاء قاسم | 30 - عبد الأمير آل عيسى |
| 31 - عبد الحسين كبة | 32 - عبد الرضا يحيى |
| 33 - عبد الغني كبة | 34 - عبد الباقي المتولي |
| 35 - علي حسين شكاره | 36 - عبد الحسين البحراني |
| 37 - علي السوزفان | 38 - عبد اللطيف المنديل |
| 39 - كاظم الحاج داود | 40 - مهدي الخناق |
| 41 - محمد حسين | 42 - محمد حسن الجواهر |
| 43 - مزاحم فتاح باشا | 44 - محمد صالح الباجه جي |
| 45 - محمد مصطفى الخليل | 46 - محمد جعفر أبو التمن |
| 47 - محمد ياغلامجي | 48 - محمد الاورفلي |
| 49 - محمد رشيد ال عيسى | |

المراجع

فهرس الايات القرانية

- | | |
|----------------------------|---------------------|
| 1 - ال عمران: 38، 61، 104 | 2 - الانفال: 70 |
| 3 - الانسان: 8 | 4 - الاحزاب: 36 |
| 5 - البقرة: 85 | 6 - البينة: 7 |
| 7 - التوبة: 1، 3 | 8 - الحجر: 9 |
| 9 - الرحمن: 19، 20، 31، 33 | 10 - الشعراء: 214 |
| 11 - الصافات: 83 | 12 - طه: 35 |
| 13 - فاطر: 35 | 14 - المائدة: 3، 62 |
| 15 - النحل: 106 | |

فهرس المراجع والمصادر العربية

- 1 - ابن منظور
- جمال الدين محمد بن مكرم؛ لسان العرب؛ منشورات أدب الحوزة؛ قم 1405 هـ.
- 2 - ابن خلدون
- عبدالرحمن بن محمد؛ المقدمة؛ منشورات الاعلمي للمطبوعات؛ بيروت 1975م.
- 3 - أمين
- أحمد؛ فجر الاسلام؛ ط10؛ بيروت؛ 1983م.
- 4 - أبو ريان
- محمد علي؛ تاريخ الفكر الفلسفي في الاسلام؛ بيروت؛ لا. ت.
- 5 - ابن سعد
- محمد؛ الطبقات الكبرى؛ بيروت؛ 1959م.
- 6 - أبو زهرة
- محمد؛ تاريخ المذاهب الاسلامية؛ القاهرة؛ 1974م.
- 7 - ابن حنبل
- أحمد؛ مسند الإمام أحمد؛ المطبعة الميمنية؛ مصر؛ 1313هـ.
- 8 - ابن حجر
- شهاب الدين أحمد بن علي؛ الاصابة؛ كلكتا؛ 1853هـ.
- 9 - ابن حجر
- شهاب الدين أحمد بن علي؛ الصواعق المحرقة؛ المطبعة الميمنية؛ مصر؛ 1313 هـ.
- 10 - ابن لاثير
- عز الدين علي بن محمد؛ اسد الغابة؛ مطبعة الوهبية؛ مصر؛ 1385 هـ.

- 11 - لبن ماجة
- القزويني؛ سنن ابن ماجة؛ مطبعة الفاروقي؛ دلهي؛ لا. ت.
- 12 - ابن قتيبة
- عبد الله بن مسلم؛ الامامة والسياسة؛ مطبعة الفتوح؛ 1331 هـ.
- 13 - الاصبهاني
- أحمد بن عبد الله؛ حلية الاولياء؛ مطبعة السعادة؛ مصر؛ 1351 هـ.
- 14 - ابن أبي الحديد
- عزالدین عبدالحمید؛ شرح نهج البلاغة؛ ط2؛ دار احیاء الکتب العربیة؛ مصر؛ 1385 هـ.
- 15 - انظرنيوس
- جورج؛ يقظة العرب؛ بيروت؛ 1949 م.
- 16 - ايرلند
- فيليب ويلارد؛ العراق؛ بيروت؛ 1949 م.
- 17 - اغا بزرك
- طبقات اعلام الشيعة؛ بيروت؛ 1375 هـ.
- 18 - ابراهيم
- فرهاد؛ الطائفية السياسية في العالم العربي: نموذج شيعة العراق؛ ط1؛ منشورات مكتبة مدبولي؛ القاهرة؛ 1996م؛ تر: مركز دراسات التفاعل الثقافي.
- 19 - البرقي
- أحمد بن أبي عبد الله؛ الرجال؛ طهران؛ لا. ت.
- 20 - البغدادي
- أحمد بن علي؛ تاريخ بغداد؛ مطبعة السعادة؛ مصر؛ 1360 هـ.
- 21 - بحر العلوم
- محمد مهدي؛ الفوائد الرجالية؛ مطبعة الاداب؛ النجف؛ 1965م.
- 22 - بطاطو
- خنا؛ العراق: الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية في العهد العثماني وحتى قيام الجمهورية؛ ط1؛ منشورات الابحاث العربية؛ بيروت؛ 1990م.
- 23 - البزركان
- علي؛ الوقائع الحقيقية للثورة العراقية؛ بغداد؛ 1945م.
- 24 - برو
- توفيق علي؛ العرب والاتراك؛ القاهرة؛ 1960م.
- 25 - بيل
- مس كيرترود؛ فصول من تاريخ العراق القريب؛ بيروت؛ 1971م؛ تر: جعفر الخياط.

- 26 - البصير
- محمد مهدي؛ تاريخ القضية العراقية؛ ط2؛ دار اللام؛ لندن؛ 1990م.
- 27 - تسهير
- المستشرق كولدا؛ العقيدة السياسية؛ بيروت؛ لا. ت.
- 28 - الترمذي
- محمد بن عيسى؛ صحيح الترمذي؛ مطبعة بولاق؛ مصر؛ 1392 هـ.
- 29 - الجميلي
- رشيد عبد الله؛ دراسات في تاريخ الخلافة العباسية؛ الرباط؛ 1983م.
- 30 - جميل
- حسين؛ الحياة النيابية في العراق؛ ط1؛ منشورات مكتبة المثنى؛ بغداد؛ 1983م.
- 31 - جمال الدين
- مصطفى؛ كراس: محنة الاهوار والصمت العربي؛ ط1؛ لندن؛ 1993م.
- 32 - الجادرجي
- كامل؛ من اوراق كامل الجادرجي؛ ط1؛ دار الطليعة؛ بيروت؛ 1971م.
- 33 - جمعة
- محمد لطفي؛ حياة الشرق؛ دمشق؛ لا. ت.
- 34 - جميل
- حسين؛ شهادة سياسية؛ ط1؛ دار اللام؛ لندن؛ 1987م.
- 35 - عباس
- حسن؛ الفكر السياسي الشيعي؛ ط1؛ الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت؛ 1988م.
- 36 - حسين
- طه؛ الفتنة الكبرى؛ منشورات دار المعارف؛ القاهرة؛ 1956م.
- 37 - الحسيني
- هتشم معروف؛ الانتفاضات الشيعية؛ ط2؛ منشورات دار الهدى؛ قم؛ 1404 هـ.
- 38 - حرز الدين
- محمد؛ معارف الرجال؛ ط1؛ مطبعة الولاية؛ قم؛ 1405 هـ.
- 39 - حتي
- فليب؛ وادورد جرجي؛ وجبور جبرائيل؛ تاريخ العرب؛ ط1؛ بيروت؛ 1965م.
- 40 - الحسيني
- عبدالرزاق؛ العراق خلال الاحتلال والانتداب؛ صيدا؛ 1935م.
- 41 - الحسيني
- عبدالرزاق؛ تاريخ الصحافة العراقية؛ بغداد؛ 1957م.

- 42 - الحسيني
- عبدالرزاق؛ الثورة العراقية الكبرى؛ صيدا؛ 1931م.
- 43 - الحسيني
- عبدالرزاق؛ تاريخ الوزارات العراقية؛ بغداد؛ 1988م.
- 44 - الحسيني
- أحمد؛ الإمام الثائر؛ النجف؛ 1386 هـ.
- 45 - الحبوبى
- عبدالغفار؛ ديوان السيد محمد سعيد الحبوبى؛ بغداد؛ 1988م.
- 46 - الخاقاني
- علي؛ شعراء الغري؛ النجف؛ 1954م.
- 47 - الخالصى
- الشيخ محمد؛ سيرة حياة والد؛ الكاظمية؛ 1939م؛ كتاب مخطوط.
- 48 - الدوري
- عبدالعزيز؛ مقدمة في تاريخ صدر الاسلام؛ بغداد؛ 1949م.
- 49 - الناهى
- غالب عبد المطلب؛ ذاكرة ثورة العشرين؛ الهدف الموصلية؛ ص12-16؛ 22 مارس 1962م.
- 50 - الناهى
- غالب عبد المطلب؛ ذاكرة ثورة العشرين؛ الهدف الموصلية؛ ص12-16؛ 22 نيسان 1964م.
- 51 - دينون
- أودي؛ الخطة الصهيونية للشرق الاوسط؛ أبو ظبي؛ لا. ت.؛ ترجمه للانكليزية: اسرائيل شاهاك؛ وترجمه للعربية؛ د. أحمد سلامه.
- 52 - ربيع
- حامد؛ محاضرات في القرار السياسي في اسرائيل؛ مكتب القاهرة الحديث؛ القاهرة؛ لا. ت.
- 53 - الرازي
- محمد فخر الدين؛ التفسير الكبير؛ مطبعة دار الطباعة العامة؛ لا. ت.
- 54 - الرهيمي
- عبد الحليم؛ تاريخ الحركة الاسلامية في العراق؛ الدار العالمية للطباعة والنشر والتوزيع؛ بيروت؛ 1985م.
- 55 - السيوطي
- جمال الدين؛ الدر المنثور في التفسير المأثور؛ ط1؛ بيروت؛ 1983م.
- 56 - السبحاني
- جعفر؛ الشيعة في موكب التاريخ؛ ط1؛ ايران؛ 1413 هـ.

- 57 - سلمان
- حسن محمد؛ التطور الاقتصادي في العراق: التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي 1964-1958م؛ بيروت؛ 1965م.
- 58 - الشيببي
- كامل مصطفى؛ الصلة بين التصوف والتشيع؛ ط3؛ بيروت؛ 1983م.
- 59 - شمس الدين
- مهدي؛ انصار الحسين؛ ط3؛ منشورات قسم الدراسات الاسلامية؛ طهران؛ 1357 هـ.
60. الشاهرودي
- نور الدين؛ تاريخ الحركة العلمية في كربلاء؛ بيروت؛ 1990م.
- 61 - الصدر
- محمد باقر؛ بحث في الولاية؛ ط2؛ بيروت؛ 1979م.
- 62 - الصدر
- محمد باقر؛ التشيع والاسلام؛ ط4؛ بيروت؛ 1973م.
- 63 - الصباغ
- صلاح الدين؛ فرسان العروبة؛ ط1؛ تانيت للنشر والتوزيع؛ بيروت؛ 1994م.
- 64 - الطبرسي
- الفضل بن الحسن؛ مجمع البيان في تفسير القرآن؛ ط1؛ دار المعرفة للطباعة والنشر؛ بيروت؛ 1986م.
- 65 - الطبري
- أحمد بن عبد الله؛ الرياض النظرة؛ ط1؛ مطبعة الاتحاد؛ مصر؛ لا. ت.
- 66 - الطبري
- أحمد بن عبد الله؛ نظائر العقبي؛ مكتبة حسام الدين؛ مصر؛ 1356 هـ.
- 67 - الطحاوي
- أحمد بن محمد؛ شرح المعاني والآثار؛ مطبعة المصطفى؛ 1300 هـ.
- 68 - العزاوي
- عباس؛ عشائر العراق؛ ط1؛ منشورات الشريف الرضي؛ قم؛ 1411 هـ.
- 69 - العزاوي
- عباس؛ العراق بين اختلاطين؛ منشورات الشريف الرضي؛ قم؛ 1410 هـ.
- 70 - العطية
- حسن ودای؛ تاريخ الديوانية قديما وحديثا؛ النجف؛ 1954م.
- 71 - العلوي
- حسن؛ التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي في العراق؛ ط1؛ منشورات الشريف الرضي؛ قم؛ 1413 هـ.

- 72 - المعطية
- غسان؛ العراق نشأة الدولة؛ ط1؛ دار اللام؛ لندن؛ 1988م.
- 73 - العمري
- محمد أمين؛ تاريخ حرب العراق؛ بغداد 1935م.
- 74 - الغريفي
- عبد الله؛ التشيع؛ ط1 دار الموسم للاعلام؛ بيروت؛ 1990م.
- 75 - الفياض
- عبد الله؛ تاريخ الامامية واسلافهم من الشيعة؛ ط2؛ مؤسسة الاعلمي للمطبوعات؛ بيروت؛ 1975م.
- 76 - الفياض
- عبد الله؛ الثورة العراقية الكبرى؛ بغداد؛ 1974م.
- 77 - القضيي
- عبدالهادي؛ تاريخ التشريع الاسلامي؛ ط1؛ دار النصر؛ بيروت؛ 1992م.
- 78 - الفضلي
- عبدالهادي؛ دليل النجف الاشرف؛ النجف؛ 1960-1966م.
- 79 - فارس
- عبدالجبار؛ ستان في الفرات الاوسط؛ النجف؛ 1353 هـ.
80. الفرعون
- مزهر؛ الحقائق الناصعة؛ بغداد؛ 1974م.
- 81 - فيضي
- سليمان؛ في غمرة النضال؛ بغداد؛ 1953م.
- 82 - فراتي
- علي؛ على هامش الثورة العراقية تالكبرى؛ بغداد؛ 1953م.
- 83 - الفيروزايادي
- مرتضى الحسيني؛ فضائل الخمسة في الصحاح الستة؛ ط4؛ منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات؛ بيروت؛ 1983م.
- 84 - قطب
- سيد؛ العدالة الاجتماعية في الاسلام؛ ط5؛ القاهرة؛ 1985م.
- 85 - كاشف الغطاء
- محمد حسين؛ اصل الشيعة واصولها؛ ط4؛ بيروت؛ 1983م.
- 86 - كريمر
- صموئيل؛ من الواح سومر؛ تر: طه باقر؛ بغدلد؛ 1962م.

- 87 - كركوش
- يوسف؛ تاريخ الحلة؛ النجف؛ 1965م.
- 88 - كمال الدين
- محمد علي؛ معلومات ومشاهدات؛ بغداد؛ 1971م.
- 89 - كوتولوف
- ثورة العشرين؛ ط1؛ تر: د. عبدالواحد كرم؛ بغداد؛ 1971م.
- 90 - كبة
- محمد مهدي؛ في صميم الاحداث؛ ط1؛ منشورات دار الطليعة؛ بيروت؛ 1965م.
- 91 - الليثي
- سميرة مختار؛ جهاد الشيعة؛ دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة؛ بيروت؛ 1976م.
- 92 - لونكريج
- ستيفن هملي؛ العراق الحديث 1900-1950م؛ دار الفجر بغداد؛ 1968م.
- 93 - المظفر
- محمد حسين؛ الإمام الصادق؛ ط3؛ دار الزهراء للطباعة والنشر؛ بيروت؛ 1087م.
- 94 - المسعودي
- علي بن الحسين؛ مروج الذهب؛ قم؛ 1404 هـ.
- 95 - المناوي
- عبد الرؤوف؛ فيض القدير؛ مصر؛ 1356هـ.
- 96 - المناوي
- عبدالرؤوف؛ كنوز الحقائق؛ طبعة اسلامبول؛ 1285 هـ.
- 97 - الموسوي
- علاء نجف؛ التطور السياسي للقيادة الشرعية في عصر الغيبة الكبرى؛ ط1؛ طهران؛ 1980م.
- 98 - ميرسكي
- ك. ي؛ العراق في العهد المضطرب؛ موسكو بالروسية؛ 1961م؛ نقلا عن مقالة في مجلة العالم.
- 99 - الموسوي
- مجيد؛ الحاج عطية أبو كلل الطائي؛ بغداد؛ تر لا.
- 100 - محبوبة
- جعفر الشيخ باقر؛ ماضي النجف وحاضره؛ النجف؛ 1985م.
- 101 - الناهي
- هيثم غالب؛ الصراع العثماني البريطاني الفرنسي على الموصل؛ القدس العربي؛ لندن 11 ايلول 1998م.

- 102 - الناهي
- هيثم غالب؛ السياسة الدولية النووية واثرها على الشرق الاوسط؛ القدس العربي؛ 18 ديسمبر 1998م.
- 103 - الناهي
- هيثم غالب الناهي؛ الكويت ومستقبل العراق؛ القدس العربي؛ ج3 ص 13-14؛ 7 ديسمبر 1998.
- 104 - الناهي
- هيثم غالب؛ الحدث والدلالة التاريخية في استعمال الاسلحة الكيماوية؛ القدس العربي؛ لندن الحلقة الرابعة؛ 11 نوفمبر 1998م.
- 105 - الناهي
- هيثم غالب؛ الجمالي فكر في قضايا وقضايا في فكر؛ صحيفة القدس العربي؛ ديسمبر 1997.
- 106 - النويختني
- حسن بن موسى؛ فرق الشيعة؛ دار الاضواء؛ بيروت؛ 1984م.
- 107 - نعمة
- عبد الله؛ روح التشيع؛ بيروت؛ 1985م.
- 108 - نقاش
- اسحاق؛ شيعة العراق؛ ط1؛ دار المدى للثقافة والنشر؛ بيروت؛ تر: عبد الله النعيمي؛ 1996م.
- 109 - النيسابوري
- ابي عبد الله محمد بن عبد الله؛ مستدرك الصحيحين؛ مطبعة حيدر اباد دكن؛ 1334 هـ.
- 110 - النسائي
- أحمد سعيد؛ صحيح النسائي؛ مطبعة الميمنية؛ مصر 1312 هـ.
- 111 - النجفي
- محمد حسن؛ جواهر الكلام في شرايع الاسلام؛ ط6؛ بيروت؛ 1985م.
- 112 - النفيسي
- محمد حسن؛ دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث؛ ط1؛ دار النهار للنشر؛ بيروت؛ 1973م.
- 113 - نديم
- شكري محمود؛ حرب العراق 1914-1918؛ ط8؛ بغداد؛ لا. ت.
- 114 - نظمي
- وميض جمال عمر؛ الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية الاستقلالية في العراق؛ ط2؛ مركز دراسات الوحدة العربية؛ بغداد؛ 1985م.

- 115 - الوائلي
- أحمد؛ هوية التشيع؛ بيروت؛ 1987م.
- 116 - الوردي
- علي؛ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث؛ ط2؛ كزفان؛ لندن؛ 1991م.
- 117 - الواعظ
- نور الدين؛ الوض الازهر؛ الموصل؛ 1948م.
- 118 - الوهاب
- عبدالرزاق؛ كربلاء في التاريخ؛ بغداد؛ 1935م.
- 119 - الهيثمي
- نور الدين علي؛ مجمع الزوائد؛ مكتب القدسي؛ مصر؛ 1352 هـ.
- 120 - الهندي
- المتقي؛ كنز العمال؛ مطبعة المعارف النظامية؛ حيدر اباد؛ 1312 هـ.
- 121 - هالدين
- السير أيلمر؛ ثورة العراق؛ تر: فؤاد جميل؛ بغداد 1965م.
- 122 - الياسري
- عبدالشهيد؛ البطولة في ثورة العشرين؛ النجف؛ 1966م.

فهرس الصحف والمجلات

- 1 - صحيفة الاستقلال: تعبر عن لسان حال الحركة الوطنية العراقية؛ الصادرة في تشرين اول عام 1920م.
- 2 - صحيفة الوقات البغدادية: الصادرة في حزيران عام 1920م.
- 3 - مجلة الاسرار البيروتية: الاعداد 30-34 لعام 1938م.
- 4 - مجلة الشرق الكربلائية: الصادرة في 15 شعبان عام 1373 هـ.
- 5 - صحيفة صدى الاسلام: الصادرة في 16 ذي القعدة 1333 هـ.
- 6 - مجلة العربي الكويتية: الصادرة في شباط عام 1873م.
- 7 - صحيفة العراق: الصادرة في 31 اب عام 1930م.
- 8 - مجلة المختر الاسلامي: العدد 37 السنة السابعة؛ ايلول- تشرين اول عام 19875م.
- 9 - مجلة النجف: العدد 3 السنة الرابعة؛ عام 1960م.
- 10 - صحيفة نداء الرافدين: العدد 118؛ الصادرة في دمشق؛ 15 كانون اول 1995م.
- 11 - صحيفة التايمس اللندنية: الصادرة في 16 اب 1930م.
- 12 - صحيفة ها ارتس الاسرائيلية: الصادرة في حزيران عام 1980م.

فهرس المراجع والوثائق الاجنبية

- 1 - A. S. Trioñ Isañ Hutchinson University 1968 pp 72.
- 1919 Censis by Reigion, F. O, 371| 4152| 175918, Reigious for Iraq, 1 August 1919, F. O. 406-70.
- 3 - Iraq - Demographic and Ethnic Distribution U. S. Government.
- 4 - Great Britain Adminstration reports for 1918, Najaf Co 696 -1 Thomas Lye. The lns and outo of Meopeaamia, London, 1923, 21-22.
- 5 - Cab, 42-2 No. 10, March 16, 1915.
- 6 - Earies Turkey, the Great Powers and the Baghdad Raiway, pp. 1415.
- 7 - G. Cooch & H. Temperey, British Documents, VO1 - X. Part 1, pp. 160-168, London, 1898.
- 8 - G. Cooch & H. Temperey, British Documents on Orgin of the War, London, 1914.
- 9 - F. O 371 | 3384 | 180425.
10. Cmd, 5957, Correspondee between Sir Henryr McMahan and Sharif Husayn of Mecca, Juy 1915-1916.
- 11 - F. O 371| 523 | E13272, from the Secretray of State to the High Commissioner, Mesoptama dated October 23, 1920.
- 12 - F.O 371 | 5229 | 10440. Forgin Office, September 11 1920, to the Under Secretary of state, India Office, signed by J. A. C. Tiey.
- 13 - F. O. 882| VOL. 24, Arab Bureau Papers, Document SY | 20| 17.
- 14 - F.O. 371| 5228 | E9849, From the Civi Commissioner, Baghdad, August 5, 1920.
- 15 - F. O. 371 | 2486 | 165415.
- 16 - F. O. 371 | 2402 | 19455.
- 17 - Cab. 371 | 136 year 1915, No. 38.

- 18 - F. O. 371 | 2783 | 220355.
- 19 - Sef Determination in Iraq, Office of the Civi Commissioner, No. 1 Basra.
20. Sef Dtermination in Iraq section, 14.
- 21 - sef Determination in Iraq section 1.
- 22 - F. O. 882 | VOL. 24, Arab Bureau Papers series, Document No. SY/19/10.
- 23 - F. O. 371 | 5226 | E4539, From Civi Commissioner, Baghdad, May 5, 1920.
- 24 - Sef Determination in Iraq Section 7.
- 25 - F. O. 371 | 4148 | 13298, From Poitica Office, Baghdad, December 14, 1918.
- 26 - Sef Determination, Iraq Section 13, No.8.
- 27 - Wison, A Cash of Loyaties, pp. 254.
- 28 - Wison, A Cash of Loyation, pp. 255-256.
- 29 - F. O. 371 | 5228 | E9848, From Civi Commissioner, Baghdad, August 6, 1920.
30. Hadane, Insurrection in Mesotamia, Edinburgh, pp. 147, 1922.
- 31 - F. O. 371| 5231| E13302, October 10, 1920.
- 32 - F. O. 371 | 508, November 16, 1920.

الفهرس

الصفحة	الموضوع
7.....	تقديم
17.....	المقدمة
23.....	توطئة
الباب الأول: الشيعة والتشيع، الفكر والمرتكزات	
31.....	الفصل الأول: الشيعة والتشيع والفكر والمرتكزات
31.....	المبحث الأول: الشيعة لغة والتشيع إصطلاحاً
37.....	المبحث الثاني: جذور التشيع ورجاله
40.....	الفصل الثاني: مرتكزات الفكر الشيعي وتطوره
40.....	المبحث الأول: مرتكزات الفكر الشيعي
86.....	المبحث الثاني: تطور الفكر الشيعي الإمامي
الباب الثاني: التشيع في الخليج والجزيرة العربية ومركزه	
95.....	الفصل الأول: التشيع في الخليج والجزيرة العربية
95.....	المبحث الأول: التشيع في بلاد الحرمين الشريفين
125.....	المبحث الثاني: التشيع في البحرين الحديث
132.....	الفصل الثاني: العراق مركز التشيع في الخليج والجزيرة العربية
132.....	المبحث الأول: التشيع في كوفة ونجف العراق
158.....	المبحث الثاني: التشيع في أنحاء العراق
الباب الثالث: البعد السكاني والحضاري والاقتصادي	
189.....	الفصل الأول: الشيعة ومكونات الشعب العراقي
190.....	المبحث الأول: الدليل التاريخي القديم
194.....	المبحث الثاني: الدليل الإحصائي الحديث
199.....	الفصل الثاني: البعد الحضاري للشيعة
199.....	المبحث الأول: الأهمية العلمية

المبحث الثاني: الأهمية الدينية والنراثية 213

المبحث الثالث: المعطيات التكوينية 215

الباب الرابع: العراق في دائرة الضوء الأجنبي

الفصل الأول: أهمية العراق الاستراتيجية، والتغلغل الأجنبي 221

المبحث الأول: أهمية العراق الاستراتيجية 221

المبحث الثاني: محاولات التغلغل الأجنبي 222

الفصل الثاني: التنافس الأجنبي وتميرير المخططات الأجنبية 230

المبحث الأول: التنافس بين الأجنب على المصالح في العراق 230

المبحث الثاني: محاولات تميرير المخططات الإستعمارية 232

الباب الخامس: شيعة العراق بين إحتلالين

الفصل الأول: الحالة العامة للشريعة أبان الإحتلال العثماني 247

المبحث الأول: الحالة الإجتماعية وأهم مظاهرها 247

المبحث الثاني: الحالة الأقتصادية وأهم سماتها 257

المبحث الثالث: الحالة السياسية وأهم أبعادها 263

الفصل الثاني: الشيعة والإحتلال البريطاني والأدوار الجهادية السياسية المنظمة 270

المبحث الأول: المرحلة الجهادية الأولى 1914-1915م 270

المبحث الثاني: الدور السياسي الأول وإنتفاضة النجف 1918م 276

المبحث الثالث: صيغة الحكم والموقف إتجاهه 282

الباب السادس: الشيعة وقيام الدولة الجديدة

الفصل الأول: دور الشيعة في قيام الدولة الجديدة 305

المبحث الأول: الأدوار السياسية المتداخلة، والتمهيد لثورة العشرين 305

المبحث الثاني: المرحلة الجهادية الثانية 326

الفصل الثاني: لماذا أصبح شيعة العراق معزولين في نظام الدولة؟ 346

المبحث الأول: عناصر المسيرة الشيعة السياسية والجهادية 346

المبحث الثاني: أسباب إنكفاء مسيرة الشيعة السياسية والجهادية 351

المبحث الثالث: (النتيجة الكبرى) وتأثيراتها 360

المبحث الرابع: الشيعة وقيام الدولة العراقية الحديثة وسلطة الحكم 367.....

الباب السابع: الملامح العامة للدولة الجديدة

الفصل الأول: الملامح العامة لطبيعة نظام الدولة وممارسات الحكم 385.....

المبحث الأول: الملامح الاجتماعية والأقتصادية لنظام الدولة وممارسات الحكم 385

المبحث الثاني: الملامح السياسية والديمقراطية لنظام الدولة وممارسات الحكم 396..

الفصل الثاني: الشيعة ومحاولة تقويم الدولة، وبناء مركزاتها 415.....

المبحث الأول: الشيعة ومحاولة تقويم نظام الدولة وممارسات الحكم 415.....

المبحث الثاني: الشيعة وإسهاماتهم في البنى التحتية للدولة 437.....

الباب الثامن: مواقف الشيعة السياسية وتأثيراتها

الفصل الأول: مواقف الشيعة السياسية، وتأثيراتها 461.....

المبحث الأول: مواقف الشيعة السياسية، القومية والوطنية والدولية 461.....

المبحث الثاني: الشيعة والموقف العربي والأقليمي والدولي 488.....

الفصل الثاني: الشيعة وسلطة الحكم، والخطاب السياسي 495.....

المبحث الأول: مواقف الشيعة من الحكم والسلطة 495.....

المبحث الثاني: الشيعة والخطاب السياسي، ما له وما عليه 538.....

الخاتمة

ملحق رقم (1) 559.....

ملحق رقم (2) 560.....

ملحق رقم (3) 562.....

ملحق رقم (4) 563.....

ملحق رقم (5) 564.....

المراجع 565.....

فهرس الآيات القرآنية 565.....

فهرس المراجع والمصادر العربية 565.....

فهرس الصحف والمجلات 573.....

فهرس المراجع والوثائق الاجنبية 574.....

الفهرس 576.....